البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

وثقه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض — الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم — دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد — الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الساتر

المجلد الثاني

٣ - ٤

السنوات ١ - ٨ من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

البداية والنهاية

تأليف
أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

وثقه وقابل مخطوطاته
الشيخ علي محمد معوض
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه
دكتور أحمد أبو ملحم
دكتور علي نجيب عطوي
الأستاذ فؤاد السيد
الأستاذ مهدي ناصر الدين
الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء الثالث

المحتوى
السنتان الأولى والثانية من الهجرة النبوية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ere Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2781-0



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، وذكر أول شيء نزل من القرآن العظيم عليه

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير عن ابن عباس وسعيد ابن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة.

قال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح[1]، ثم حبّب ليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث[2] فيه، وهو التعبّد الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فقال: «اقرأ. فقال: ما أَنَا بِقَارِىءٍ». قَالَ: «فأَخذَنِي فَغطَّنِي حتَّى بَلَغَ منِّي الجهد، ثُمَ أرسَلني. فقال: اقرأ، فَقُلْتُ: مَا أنا بقارِىءٍ، فأخذني فَغطَّنِي الثانِيَة حَتَّى بلغ منِّي الجهد، ثُم أرسلني. فقال: اقرأْ، فقلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخذني فَغطَّني الثالثَةَ حَتَّى بلغ منِّي الجُهد. ثُمَ أرسلني فَقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾» [العلق ١ ـ ٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد. فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»[3]، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فقالت خديجة: كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتقري الضيف، وتحملُ الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب[4] الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى ابن عم خديجة.

وكان امرأ قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم!

---

(١) فلق الصبح: ظهوره ووضوحه.

(٢) يتحنث: يتعبد.

(٣) زملوني: أي لفوني بثوبي، غطوني به.

(٤) النوائب: ج نائبة وهي الحادثة.

اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً[١]، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخرجيَّ هُمْ؟» فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلاّ عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفي وفتر الوحي[٢] فترة. حتى حزن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حزناً غدا منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدّى له جبريل فقال: يا محمّد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه. فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك. قال: فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك[٣]، هكذا وقع مطوّلاً في باب التعبير من البخاري.

قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرَّحمٰن أن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال ـ وهو يحدّث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه: «بينَا أنَا أمْشي إذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّماءِ، فَرَفَعْتُ بَصَري فَإذا المَلَكُ الَّذي جَاءني بِحراء جَالِسٌ عَلَى كُرْسيّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْض. فَرَعِبْتُ مِنْهُ. فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُوني، زَمِّلُوني، فَأنْزَلَ اللّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر ١ ـ ٥] فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ»[٤] ثم قال البخاري تابعه عبد اللّه بن يوسف، وأبو صالح، يعني عن الليث، وتابعه هلال بن رداد[٥] عن الزهري. وقال يونس ومعمر: ـ بوادره. وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه، وتكلّمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي إسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة.

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الليث به، ومن طريق يونس ومعمر عن الزهري كما علقه البخاري عنهما، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد، وانتهى سياقُه إلى قول ورقة: أنصرك نصراً مؤزراً.

فقول أم المؤمنين عائشة. أول ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، يقوي ما ذكره محمّد بن إسحاق بن يسار عن عبيد بن عمر الليثي أن النبي ﷺ قال: «فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ. فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أقْرَأُ؟ فَغَتَّنِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّهُ المَوْتُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي» وذكر نحو حديث عائشة سواء، فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة، وقد جاء مصرّحاً بهذا في مغازي موسى بن

(١) جذعاً: الجذع: الصغير من البهائم، وهنا تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام أن يكون شاباً ليكون أمكن لنصره.

(٢) إلى هنا رواية البخاري وما بعده أخرجه الإمام أحمد في المسند.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ٣، والتعبير باب ١، وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ٣، ومسلم في الإيمان حديث ٢٥٦، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٧.

(٥) في ط داود، وهو تحريف ورداد. بفتح الراء وتشديد الدال.

عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة.

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه: «دلائل النبوّة» حدّثنا محمّد بن أحمد ابن الحسن، حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جناب بن الحارث، حدّثنا عبد الله بن الأجلح عن إبراهيم عن علقمة بن قيس. قال: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد. وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه، وهو كلام حسن يؤيّده ما قبله ويؤيّده ما بعده.

[ذكر][1] عمره عليه الصلاة والسلام وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد: حدثنا محمّد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند، عن عامر الشَّعْبي أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلّمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا، فإنه يجوز أن يكون أوّل أمره الرؤيا. ثم وكّل به إسرافيل في تلك المدّة التي كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل. فعلّمه بعدما غطّه ثلاث مرّات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصّة إسرافيل.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن هشام عن عكرمة عن ابن عباس أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً. ومات وهو ابن ثلاث وستين[2]، وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيّب. ثم روى أحمد عن غندر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال: بُعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة[3]. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حمّاد ابن سلمة، أنبأنا عمّار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أقام النبي ﷺ بمكّة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء، ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين[4].

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٩.

قال أَبو شامة: وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حجراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[١] انتهى كلامه.

وإنما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه. وقد ذكر محمّد بن إسحاق عن عبد الملك بن عبد اللّه بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة ـ قال: وكان واعية ـ عن بعض أهل العلم قال: وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسّك فيه. وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة. وهكذا روي عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدّث عبد اللّه بن الزبير مثل ذلك، وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبّدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة: [الطويل]

وَثَورٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ ... وَراقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءَ وَنَازِلِ

هكذا صوّبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي وأَبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزي رحمهم الله، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه: وراقٍ ليرقى في حر ونازل ـ وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم.

وحراء يقصر ويمدّ ويصرف ويمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المارّ إلى منى، له قلّة[٢] مشرفة[٣] على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج: [الرجز]

فَلاَ وَرَبِّ الآمِنَاتِ القُطَّنِ[٤] ... وَرَبِّ رُكْنٍ مِنْ حِرَاءَ مُنْحَنِي

وقوله في الحديث: والتحنّث التعبّد، تفسير بالمعنى، وإلاّ فحقيقة التحنث من حيث البنية[٥] فيما قاله السهيلي الدخول في الحنث، ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء كحنث أي خرج من الحنث، وتحوّب وتحرّج وتأثّم وتهجّد هو ترك الهجود وهو النوم للصلاة، وتنجّس وتقذّر أوردها أبو شامة. وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله يتحنّث أي يتعبّد. فقال: لا أعرف هذا إنما هو يتحنّف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: والعرب تقول التحنّث والتحنف يبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدف وجذف كما قال رؤبة: [الرجز]

لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الأَجْدَاف

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ٢، وأحمد في المسند ٥/ ٩٥.

(٢) قلة: قمة.

(٣) في ط: شرفة.

(٤) القطن: الحمام.

(٥) كذا في الحلبية وفي المصرية.

يريد الأجداث[١]. قال وحدَّثني أبو عبيدة أن العرب تقول فُمّ في موضع ثمّ. قلت: ومن ذلك قول بعض المفسرين وفومها أن المراد [به][٢] ثومها.

وقد اختلف العلماء في تعبّده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع فقيل شرع نوح وقيل شرعُ إبراهيم. وهو الأشبه الأقوى. وقيل موسى، وقيل عيسى، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به، ولبسط هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر في أصول الفقه والله أعلم.

وقوله: حتى فجئه الحق وهو بغار حراء أي جاءه[٣] بغتة على غير موعد كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦] الآية. وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥] وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في التفسير، وكما سيأتي أيضاً في يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»[٤] وقال ابن عباس: ولد نبيكم محمّد ﷺ يوم الاثنين، ونبىء يوم الاثنين. وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء: أنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.

ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نصّ على ذلك عبيد بن عمير، ومحمّد بن إسحاق وغيرهما.

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فقيل في عشره. وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه. قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدّثنا عمران أبو العوام عن قتادة، عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالإِنْجِيلُ لِثَلاثِ عَشْرَةَ لَيلَةٍ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ القُرْآنُ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»[٥] وروى ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه، ولهذا

---

(١) الأجداث: جمع جدث وهو القبر.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: جاء.
(٤) أخرجه مسلم في الصيام حديث ١٩٧، وأحمد في المسند ٥/٢٩٩.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٠٧.

ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

وأما قول جبريل: «اقرأ» فقال: «مَا أَنَا بِقَارِىءٍ»فالصحيح أن قوله: «مَا أَنَا بِقَارِىءٍ» نَفيٌ أي لست ممن يحسن القراءة. وممن رجّحه النووي وقَبْلَه الشيخ أبو شامة. ومَن قال إنها استفهامية فقوله بعيد لأن الباء لا تزاد في الإثبات. ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه: فقال رسول الله ﷺ ـ وهو خائف يرعد ـ «مَا قَرَأْتُ كِتَاباً قَطُّ وَلاَ أُحْسِنُهُ وَمَا أَكْتُبُ وَمَا أَقْرَأُ»فأخذه جبريل فَغَتّه (١)غتاً شديداً. ثم تركه فقال له: اقرأ. فقال محمّد ﷺ: «مَا أَرَى شَيْئاً أَقْرَأُهُ، وَمَا أَقْرَأُ، وَمَا أَكْتُبُ»يروى فغطّني كما في الصحيحين وغتّني ويروى قد غتّني أي خنقني «حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدُ»يروى بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به ذلك ثلاثاً.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلّفه به من أعباء النبوّة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم، وتأخذه الرحضاء أي البهر والعرق. وقال غيره: إنما فعل ذلك لأمور: منها أن يستيقظ لعظمة ما يلقى إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمرّ وجهه ويغطّ كما يغط البكر من الإبل، ويتفصّد جبينه عرقاً (٢)في اليوم الشديد البرد.

وقوله فرجع بها رسول الله ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده. وفي رواية: بوادره، جمع بادرة قال أبو عبيدة: وهي لحمة بين المنكب والعنق. وقال غيره: هو عروق تضطرب عند الفزع وفي بعض الروايات ترجف بآدله واحدتها بادلة. وقيل بادل: وهو ما بين العنق والترقوة وقيل أصل الثدي. وقيل لحم الثديين وقيل غير ذلك.

فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»فلما ذهب عنه الروع. قال لخديجة: «مَا لِي؟ أَيُّ شَيْءٍ عَرَضَ لِي؟»وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك، ولا كان في خلده. ولهذا قالت خديجة: أبشر، كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً. قيل: من الخزي، وقيل: من الحزن، وهذا لعلمها بما أجرى الله به جميل العوائد في خلقه أن من كان متصفاً بصفات الخير لا يخزى في الدنيا ولا في الآخرة. ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتَصْدُق الحديث ـ وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق ـ وتحمل الكلّ: أي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما يريحه من ثقل مؤنة عياله، وتكسب المعدوم: أي تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسنته قبل غيرك. ويسمّى الفقير معدوماً لأن حياته ناقصة. فوجوده وعدمه سواء كما قال بعضهم: [الخفيف]

---

(١)غت: خنق.

(٢)يتفصد جبينه عرقاً: يسيل.

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

وقال أبو الحسن التهامي، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم: [الخفيف]

عَدُّ ذا الفَقْرِ مَيِّتاً وَكَسَاهُ كَفَناً بَالِياً وَمَأْوَاهُ قَبْرَا

وقال الخطابي: الصواب (وتكسب المعدم) أي تبذل إليه أو يكون تلبس العدم تعطيه مالاً يعيش به. واختار شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزي [الحجازي][(١)] أن المراد بالمعدوم ههنا المال المعطى، أي يعطي المال لمن هو عادمه. ومن قال إن المراد أنك تكسب باتجارك المال المعدوم، أو النفيس القليل النظير، فقد أبعد النجعة[(٢)] وأغرق في النزع وتكلّف ما ليس له به علم، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم.

وتقري الضيف: أي تكرمه في تقديم قراه، وإحسان مأواه. وتعين على نوائب الحق، ويروى الخير، أي إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها، وقمت مع صاحبها حتى يجد سداداً من عيش أو قواماً من عيش، وقوله: ثم أخذته فانطلقتْ به إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. وقد قدّمنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو ابن نفيل رحمه الله. وأنه كان ممن تنصّر في الجاهلية، ففارقهم وارتحل إلى الشام، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش فتنصّروا كلّهم، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق، إلاّ زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتخبيطاً وتبديلاً وتحريفاً وتأويلاً. فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً، وبشره[(٣)] الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أزف زمانه واقترب أوانه، فرجع يتطلّب ذلك، واستمرّ على فطرته وتوحيده. لكن اخترمته[(٤)] المنيّة قبل البعثة المحمدية. وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسّمها في رسول الله ﷺ كما قدّمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له، وما هو منطو عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات، ولهذا لمّا وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله ﷺ وجاءت به إليه فوقفت به عليه. وقالت: ابن عم اسمع من ابن أخيك؛ فلما قصّ عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى قال ورقة: سُبُوح سُبُوح[(٥)] هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى، لأنه كانت شريعته متمّمة ومكمّلة لشريعة موسى عليهما السلام، ونسخت بعضها على[(٦)] الصحيح من قول العلماء. كما قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]. وقول ورقة هذا كما قالت الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]. ثم قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً. أي يا ليتني أكون اليوم شاباً

(١) سقط في ط.
(٢) النجعة: طلب الكلأ في مواضعه. وقوله: أبعد النجعة: كناية عن أنه تكلف في قوله كثيراً.
(٣) في ط: وبشروه.
(٤) اخترمته: أهلكته.
(٥) سبوح: صيغة فعول من سبح.
(٦) في ط: من.

متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك يعني حتى أخرج معك وأنصرك؟ فعندها قال رسول الله ﷺ: «أو مُخرِجيَّ هُمْ؟» قال السهيلي: وإنما قال ذلك، لأن فراق الوطن شديد على النفوس، فقال: نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلاّ عودي، وإن يُدركْني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً، أي أنصرك نصراً عزيزاً أبداً. وقوله «ثم لم ينشب ورقة أن توفي» أي توفي بعد هذه القصّة بقليل رحمه الله ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونيّة صالحة للمستقبل.

وقد قال الإمام أحمد: **حدّثنا** حسن عن ابن لهيعة، حدّثني أبو الأسود عن عروة، عن عائشة. أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: «قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ فَأَحْسَبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيابُ بَياضٍ»(١). وهذا إسناد حسن، لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلاً فالله أعلم. وروى الحافظ أبو يعلى عن شريح بن يونس، عن إسماعيل، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «قَدْ رَأَيْتُه فرأيتُ عَلَيْهِ ثِيابَ بياضٍ أَبْصَرْتُهُ في بُطْنَانِ الجنَّة وعليهِ السُّنْدُسَ». وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: «يُبْعَثُ يَوْم القِيامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ». وسئل عن أبي طالب فقال: «أَخْرَجْتُهُ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّم إلَى ضَحْضَاحٍ(٢) منْها» وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ـ فقال: «أَبْصَرْتُها عَلَى نَهرٍ فِي الجَنَّةِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ» إسناد حسن، ولبعضه شواهد في الصحيح والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزّار: **حدّثنا** عبيد بن إسماعيل، حدّثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ» وكذا رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة وهذا إسناد جيد. وروي مرسلاً وهو أشبه.

وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» من حديث يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إِنّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قالت: معاذ الله ما كان [الله](٣) ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتَصْدُق الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة فقالت: يا عتيق اذهب مع محمّد إلى ورقة. فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر. فقال: انطلق بنا إلى ورقة قال: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قال: خديجة فانطلقا إليه فقصّا عليه. فقال رسول الله ﷺ: «إِنّي إِذَا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٦٥.
(٢) الضحضاح: القريب القعر.
(٣) لفظ الجلاله سقط من ط.

خَلْوْتُ وَحْدي سَمِعتُ نِدَاءَ خَلْفِي: يا مُحَمَّدُ يا مُحَمَّدُ فأنطَلِقُ هارِباً فِي الأَرْض». فقال له: لا تفعل. إذا أتاك فاثبت، حتى تسمع ما يقول لك، ثم ائتني فأخبرني. فلما خلا ناداه يا محمّد قل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قل لا إله إلا الله. فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقةُ: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذي بشّر بك ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبيّ مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لأجاهدنّ معك. فلما توفي. قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رأيتُ القِسَّ فِي الجَنَّةِ عَلَيهِ ثِيَابُ الحَرِيرِ. لأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» يعني ورقة. هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل، وقد قدّمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتأكّده عنده، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة، وكيف كانت الغمامة تظلّله في هجير لقيظ. فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا، منها قوله: [الوافر]

لَجَجْتُ(١) وكنت في الذكرى لجوجاً ... لأمرٍ طالما بعث النَّشِيجا(٢)
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طالَ انتظاري منه يا خديجا
ببطنِ المكّتينِ على رَجائي ... حديثَكِ أنْ أرى منهُ خُروجَا
بأن محمداً سيسود قوماً ... ويخصم من يكون له حجيجا
وَيُظْهِرُ في البِلادِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ البَرِيَّةَ أنْ تَعُوجَا(٣)
فيلقى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا(٤)
فَيَا لَيْتِي إذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أوْلَهُم وُلُوجَا(٥)
وَلَوْ كان في الَّذي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا(٦)
أُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعاً ... إِلَى ذِي العَرْشِ إذْ سَفَلُوا عُرُوجَا
فَإنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ يَكُنْ أُمُور ... يَضِجُّ الكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى: [الطويل]

وَأَخْبَارُ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ ... يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إذَا غَابَ نَاصِحُ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ ... إلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ(٧)
وَظَنِّي بِهِ أنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقاً ... كَمَا أُرْسِلَ العَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ

(١) لججت: الححت.
(٢) النشيج: البكاء.
(٣) في سيرة ابن هشام: أن تموجا.
(٤) الفلوج: الظفر.
(٥) الولوج: الدخول.
(٦) العجيج: الصياح بصوت مرتفع.
(٧) الأباطح: جمع بطحاء: مكان متسع منبسط يسيل فيه الماء فيخلف فيه التراب والحصى. وبطائح مكة معروفة.

وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الحقِّ (١) وَاضِحُ
وَيَتْبَعُهُ حَيًّا لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ شَبَابُهُمُ وَالأَشْيَبُونَ الجَحَاجِحُ (٢)
فَإِنْ ابْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبْشِرُ الوِدِّ فَارِحُ
وَإِلاَّ فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي عَنْ أَرْضِكِ فِي الأَرْضِ العَرِيضَةِ سَائِحُ

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ورقة: [الطويل]

فَإِنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي حَدِيثَكِ إِيَّانَا فَأَحْمَدُ مُرْسَلُ
وَجِبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعْهُمَا مِنَ اللَّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ
يَفُوزُ بِهِ مَنْ فَازَ فِيهَا بِتَوْبَةٍ وَيَشْقَى بِهِ العَانِي الغَرِيرُ المُضَلَّلُ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ فِي جِنَانِهِ وَأُخْرَى بِأَحْوَازِ الجَحِيمِ تَغَلَّلُ
إِذَا مَا دَعَوْا بِالْوَيْلِ فِيهَا تَتَابَعَتْ مَقَامِعُ (٣) فِي هَامَاتِهِمْ ثُمَّ تُشْعَلُ
فَسُبْحَانَ مَنْ يُهْوِي الرِّيَاحَ بِأَمْرِهِ وَمَنْ هُوَ فِي الأَيَّامِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ
وَمَنْ عَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا وَأَقْضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ لاَ تُبَدَّلُ

وقال ورقة أيضاً: [البسيط]

يَا لَلرِّجَالِ وَصَرْفِ الدَّهْرِ وَالقَدَرِ وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ غِيَرِ
حَتَّى خَدِيجَةُ تَدْعُونِي لأُخْبِرَهَا أَمْراً أَرَاهُ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ أُخَرِ
وَخَبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالعُصُرِ
بِأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ جِبْرِيلُ إِنَّكَ مَبْعُوثٌ إِلَى البَشَرِ
فَقُلْتُ عَلَّ الَّذِي تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ لَكِ الإِلَهُ فَرَجِّي الخَيْرَ وَانْتَظِرِي
وَأَرْسِلِيهِ إِلَيْنَا كَيْ نُسَائِلَهُ عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ وَالسَّهَرِ
فَقَالَ حِينَ أَتَانَا مَنْطِقاً عَجَباً يَقِفُّ مِنْهُ أَعَالِي الجِلْدِ والشَّعَرِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَاجَهَنِي فِي صُورَةٍ أُكْمِلَتْ مِنْ أَعْظَمِ الصُّوَرِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الخَوْفُ يُذْعِرُنِي مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَرِ
فَقُلْتُ ظَنِّي وَمَا أَدْرِي أَيَصْدُقُنِي أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ
وَسَوْفَ يُبْلِيكَ إِنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ مِنَ الجِهَادِ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرِ

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من الدلائل، وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم.

(١) في الحلبية: من الذكر.
(٢) الجحاجح: السادة الكرام.
(٣) مقامع: خشبة أو حديدة يضرب بها الإنسان ليذل..

وقال ابن إسحاق حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ـ وكان داعية ـ عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوّة كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب عنه ويفضي إلى شعاب مكّة وبطون أوديتها، فلا يمرّ بحَجَر ولا شَجَر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. قال فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلاّ الشجر والحجارة، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان.
قال ابن إسحاق: وحدّثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي: حدّثنا يا عبيد كيف كان بدو ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من النبوّة حين جاءه جبريل، قال: فقال عبيد وأنا حاضر ـ يحدّث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس ـ: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهراً يتحنّث، قال: وكان ذلك مما يحبب به قريش في الجاهلية، والتحنّث التبرّر، فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك الشهر رمضان خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد به، جاءه جبريل بأمر الله تعالى قال رسول الله ﷺ: «فجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ: اقْرَأْ؟ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ المَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقرَأْ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ المَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقَالَ: اقرَأْ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ بِهِ المَوْتَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقرَأْ قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إلا افتداءَ مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. **قَالَ**: فقرأتُها ثم انتهى وانصرفَ عني، وهَبَبْتُ من نومي فكأنَّما كُتب في قلبي كتاباً. **قال**: فخرجتُ حتى إذا كنت في وسطِ من الجبلِ سمعتُ صوتاً من السماءِ يقول: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، **قال**: فرفعتُ رأسِي إلى السماءِ فأنظرُ فإذَا جبريلُ في صورةِ رَجلٍ صَافٌ قَدَمَيْهِ فِي أفقِ السماءِ، يقول: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، فوقفتُ أنظرُ إليه فما أتقدَّمُ وما أتأخَّرُ وجعلتُ أُصرفُ وجهي عنهُ فِي آفاقِ السَّماءِ فما أنظرُ فِي ناحيةٍ منها إلاّ رأيتُهُ كذلكَ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدَّمُ أمامي وما أرجعُ ورائِي، حتى بَعَثَتْ خديجةُ رسلَها في طلبي، فبلغُوا مكّةَ ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مَكاني ذلك، ثم انصرفَ عنّي وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيْتُ خديجةَ فجلستُ إلى فَخِذِهَا مضيفاً إليها، فقالتَ: يا أبَا القَاسِمِ أيْنَ كُنْتَ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكّة ورجعوا إليّ، ثم حدّثتها بالّذي رأيتُ. فقالت: أبْشِرْ يا ابنَ العَمِّ واثْبُتْ فَوَالَّذِي نفسُ خديجةَ بيدِهِ إنّي لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذهِ

الأمة». ثم قامتْ فجمعتْ عليها ثيابَها، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بن نَوْفَلٍ، فأَخْبَرَتْهُ بما أخبرَها بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فقال ورقة: قدّوس قدّوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبيّ هذه الأمة، وقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبيّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنّه ولتؤذينّه ولتخرجنّه ولتُقاتلنّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبّل يافوخه[1] ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله. وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح. ويحتمل أن هذا المنام كان بعدما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ، ويحتمل أنه كان بعده بمدة والله أعلم.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعني رسول الله ﷺ أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام، فشقّ ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق، فقالت: أبشر فإن الله لم يصنع بك إلاّ خيراً، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم غسل وطهّر، ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خير، فأبشر ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة، فأجلسه على مجلسٍ كريم معجب كان النبي ﷺ يقول: «أَجْلَسَنِي عَلَى بِسَاطٍ كَهَيْئَةِ الدُّرْنوكِ[2] فِيهِ اليَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ» **فَبَشَّرَهُ بِرِسَالَةِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فقال له جبريل: اقرأ فقال: كَيفَ أَقْرَأُ؟ فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾. قال: ويزعم ناس أن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أول سورة نزلت عليه والله أعلم. قال: فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربّه واتبع ما جاءه به جبريل من عند الله، فلما انصرف منقلباً إلى بيته جعل لا يمرُّ على شجر ولا حجر إلاّ سلّم عليه، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً، فلما دخل على خديجة قال: «أَرَأَيْتِكِ التي كُنتُ حَدَّثْتُكِ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي المَنَامِ؟ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ اسْتَعْلَنَ إِلَيَّ، أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلاّ خيراً، واقبل الذي جاءك من أمر الله، فإنه حقّ، وأبشر فإنك رسول الله ﷺ حقاً. ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى، يقال له عداس، فقالت له: يا عداس أذكّرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من

---

(١) يافوخه: مقدمة جمجمته.

(٢) الدرنوك: نوع من البسط أو الثياب له خمل.

جبريل، فقال [عداس][١]: قدّوس قدّوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال: فإنه أمين الله بينه وبين النبيّين، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام. فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه جبريل. فقال لها ورقة: يا بنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وأقسم بالله لإن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حيٌّ لأبلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر. فمات ورقة رحمه الله. قال الزهري: فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدّق رسوله ﷺ.

قال الحافظ البيهقي بعد إيراده ما ذكرناه: والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه، يعني شقّ بطنه عند حليمة، ويحتمل أن يكون شقّ مرّة أخرى، ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم.

[وقد[٢] ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي. قال: بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة، وكان أول شيء اختصّه به من النبوّة والكرامة رؤيا كان يراها، فقصّ ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له: ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلاّ خيراً، فبينما هو ذات يوم في حراء، وكان يفرّ إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل، فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ مخافة شديدة، فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه. فقال: اللَّهُمَّ احْطُطْ وِزْرَهُ، وَاشْرَحْ صَدْرَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، يَا مُحَمَّدُ أَبْشِرْ! فَإِنَّكَ نَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ. اقْرَأْ. فقال له نبيُّ الله: وهو خائف يرعد: «مَا قَرَأْتُ كِتَاباً قَطُّ وَلاَ أُحْسِنُهُ، وَمَا أَكْتُبُ وَمَا أَقْرَأُ» فأخذه جبريل فغته غتاً شديداً ثم تركه، ثم قال له: اقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ الآيات ثم قال له: لا تخف يا محمّد إنك رسول الله، ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ همّه، فقال: كيف أصنع وكيف أقول لقومي، ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فأتاه جبريل من أمامه وهو في صعرته[٣] فرأى رسول الله ﷺ أمراً عظيماً ملأ صدره، فقال له جبريل: لا تخف يا محمّد، جبريل رسول الله جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله، فأيقن بكرامة الله، فإنك رسول الله، فرجع رسول الله ﷺ لا يمرّ على شجر ولا حجر إلاّ هو ساجد يقول: السلام عليك يا رسول الله، فاطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تغيّر لونه، فأفزعها ذلك، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول: لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم، فقال: «يَا خَدِيجَةُ

---

(١) سقط في ط.

(٢) من هنا وإلى قال البيهقي حدثنا أبو عبد الله الحافظ ساقط من النسخة المصرية.

(٣) صعرته: عظمته.

أَرَأَيتِ الَّذِي كُنتُ أَرَى فِي المَنَامِ وَالصَّوتَ الَّذِي كُنتُ أَسمَعُ فِي اليَقَظَةِ، وَأَهَالُ مِنهُ، فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ قَدِ اسْتَعْلَنَ لِي وَكَلَّمَنِي وَأَقْرَأَنِي كَلاماً فَزِعْتُ مِنهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي نَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَأَقْبَلْتُ رَاجِعاً فَأَقْبَلْتُ عَلَى شَجَرٍ وَحِجَارَةٍ فَقُلْنَ: السَّلامُ عَلَيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ» . فقالت خديجة: أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلاّ خيراً، وأشهد أنك نبيّ هذه الأمة الذي تنتظره اليهود، قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرى الراهب، وأمرني أن أتزوّجك منذ أكثر من عشرين سنة. فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك، ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها، قال: ما لك يا سيدة نساء قريش؟ فقالت: أقبلت إليك لتخبرني عن جبريل، فقال: سبحان الله ربّنا القدّوس ما بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان، جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله، وهو صاحب موسى وعيسى، فعرفت كرامة الله لمحمد، ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عدّاس، فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد. قال: جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه، وكان معه حين كلّمه الله على الطور، وهو صاحب عيسى ابن مريم الذي أيّده الله به. ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل، فقال لها مثل ذلك، ثم سألها ما الخبر فأحلفته أن يكتم ما تقول له، فحلف لها فقالت له: إن ابن عبد اللّه ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب، أنه نزل عليه جبريل بحراء وأنه أخبره أنه نبي هذه الأمة، وأقرأه آيات أرسل بها. قال: فذعر ورقة لذلك، وقال: لئن كان جبريل قد استقرّت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض، وما نزل إلاّ على نبي، وهو صاحب الأنبياء والرسل، يرسله الله إليهم وقد صدقتك عنه، فارسلي إلى ابن عبد اللّه أسأله وأسمع من قوله وأحدّثه، فإني أخاف أن يكون غير جبريل، فإن بعض الشياطين يتشبّه به ليضلّ به بعض بني آدم ويفسدهم، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلهاً[1] مجنوناً. فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة، فأنزل الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ الآيات. فقال لها: «كلاّ والله إنه لجبريل» ، فقالت له: أحب أن تأتيه فتخبره لعل الله أن يهديه، فجاءه رسول الله ﷺ فقال له ورقة: هذا الذي جاءك في نور أو ظلمة؟ فأخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه. فقال ورقة: أشهد أن هذا جبريل، وأن هذا كلام الله، فقد أمرك بشيء تبلّغه قومك وإنه لأمر نبوّة، فإن أدرك زمانك أتبعك، ثم قال: أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به. قال: وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشقّ ذلك على الملأ من قومه، قال وفتر الوحي. فقالوا: لو كان من عند الله لتتابع، ولكن الله قلاه فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ و ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بكمالهما[2] .

---

(١) مدلهاً: أي متحيراً أو مدهوشاً.

(٢) إلى هنا سقط من النسخة المصرية.

وقال البيهقي: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو العباس، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس، عن ابن إسحاق، حدّثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدّثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك. فقال: «نَعَمْ!» فقالت: إذا جاءك فأخبرني. فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه[1] جبريل فرآه رسول الله ﷺ. فقال: «يَا خَدِيجَةُ! هَذَا جِبْرِيلُ» فقالت: أتراه الآن: قال: «نَعَمْ!» قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن فتحوّل فجلس، فقالت: أتراه الآن؟ قال: «نَعَمْ!» قالت: فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «نَعَمْ!» فتحسّرت[2] رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «لاَ» . فقالت[3] : ما هذا بشيطان إن هذا لملك يا ابن عم، فاثبت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق.

قال ابن إسحاق: فحدّثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام. قال البيهقي: وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً. فأما النبي ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرّة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً.

وقد قال مسلم في صحيحه: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا إبراهيم بن طهمان، حدّثني سمّاك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[4] .

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا سليمان بن مُعاذ عن سمّاك بن حرب، عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ بِمَكَّةَ لَحَجَراً كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لَيَالِيَ بُعِثْتُ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِ»[5] . وروى البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدّي الكبير عن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بمكّة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله. وفي رواية لقد رأيتني أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه.

---

(١) في ط: جاء.
(٢) تحسرت: خلعت ما على رأسها.
(٣) في ط: قالت.
(٤) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ٢، وأحمد في المسند ٥/ ٨٩.
(٥) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٥، وأحمد في المسند ٥/ ١٠٥.

فصل

فصل: قال البخاري في روايته المتقدمة: ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه، تبدّى له جبريل، فقال: يا محمّد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقرّ نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل، فقال له مثل ذلك(١). وفي الصحيحين من حديث عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري قال: سمعت أبا سلمة عبد الرّحمٰن يحدّث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدّث عن فترة الوحي قال: «فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السّماء، فرفعتُ بصري قِبَلَ السّماءِ فإذا المَلَكُ الّذي جاءني بحراء قاعدٌ على كُرسيّ بين السّماء، فجثيتُ منهُ فرقاً حتّى هويتُ إلى الأرض فجئتُ أهلي فقُلْتُ: زمّلوني زمّلوني فأنزل اللّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ قال: ثُمّ حَمِيَ الوحْيُ وتتابعَ»(٢)، فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً، ذاك قوله ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه. ثم قوله: يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين من حديث علي بن المبارك وعند مسلم والأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرّحمٰن أي القرآن أنزل قبل؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ فقلت و ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فقال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ فقلت: و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فقال: قال رسول الله ﷺ: «إني جاورْتُ بحِراءَ شهراً فلمّا قضيتُ جِواري نزلْتُ فاستبطنتُ(٣) الوادِي فنُودِيتُ فنظرْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وخلفي وعَنْ يَمِيني وعَنْ شِمالي فلَمْ أرَ شيئاً، ثُمّ نظرْتُ إلى السّماءِ فإذا هُوَ على العَرْشِ في الهَواءِ فأخذتْني رَعْدَةٌ - أو قال وَحْشَةٌ - فأتيتُ خديجة فأمرتُهُمْ فدَثّرُوني فأنزلَ اللّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ حتى بلغ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ - وقال في رواية - فإذا المَلَكُ الّذي جاءني بحِراءَ جالسٌ على كُرسيّ بَيْنَ السّماءِ والأرضِ فجَثَيْتُ مِنْهُ»(٤) وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم. ومنهم زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير باب ١.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ٣، ومسلم في الإيمان حديث ٢٥٦، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٧.

(٣) استبطن: نزل المكان المنخفض.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٧٤، سورة المدثر، ومسلم في الإيمان حديث ٢٥٨، وأحمد في المسند ٣/ ٣٠٦.

إلى آخرها. قاله محمّد بن إسحاق، وقال بعض القراء: ولهذا كبّر رسول الله ﷺ في أولها فرحاً وهو قول بعيد يردّه ما تقدّم من رواية صاحبي الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ ولكن نزلت سورة والضحى بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث الأسود بن قيس عن جندب بن عبد اللّه البجلي قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً، فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلاّ تركك، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1] وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس، وبالأول حصلت النبوّة. وقد قال بعضهم كانت مدّة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً، والظاهر والله أعلم أنها المدّة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره، ولا ينفي هذا تقدّم إيحاء جبريل إليه أولاً ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] ثم اقترن به جبريل بعد نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥] وثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع ـ أي تدارك شيئاً بعد شيء ـ وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد، والأحرار والعبيد، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبّار عنيد، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصدّيق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم. وتقدّم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي، ومات في الفترة رضي الله عنه.

فصل في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ٨ ـ ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

قال الحافظ أبو نعيم: حدّثنا سليمان بن أحمد ـ وهو الطبراني ـ حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن سعيد بن أبي مريم، حدّثنا محمّد بن يوسف الفريابي، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان الجن يصعدون إلى السماء

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ٩٣، ومسلم في الجهاد حديث ١١٥، وأحمد في المسند ٣١٢/٤.

يستمعون الوحي، فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فتكون باطلاً، فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس هذا لأمر قد حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين، فأتوه فأخبروه فقال: هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض[1]. وقال أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾[2] [الجن: ١ ـ ٢] فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية. أخرجاه في الصحيحين. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا محمّد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس، قال: إنه لم تكن قبيلة من الجنّ إلاّ ولهم مقاعد للسمع، فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديدة ألقيتها على الصفا، قال فإذا سمعت الملائكة خرّوا سجداً، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى ينزل، فإذا نزل قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربّكم؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا الحقّ وهو العليّ الكبير، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض تكلّموا به، فقالوا: يكون كذا وكذا، فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم، فلما بعث النبي محمّد ﷺ دحروا بالنجوم، فكان أول من علم بها ثقيف، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة، وذو الإبل فينحر كل يوم بعيراً، فأسرع الناس في أموالهم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فإن كانت النجوم التي يهتدون بها وإلاّ فإنه لأمر حدث، فنظروا فإذا النجوم التي يُهتدى بها كما هي لم يزل منها شيء فكفّوا، وصرف الله الجنّ فسمعوا القرآن، فلما حضروه قالوا: انصتوا وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه. فقال: هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل أرض بتربة فأتوه بتربة تهامة فقال: ههنا الحدث. ورواه البيهقي والحاكم من طريق حمّاد بن سلمة عن عطاء بن السائب. وقال الواقدي: حدّثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العبسي عن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمي بها فرأت قريش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون أرقّاءهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٠٥، ومسلم في الصلاة حديث ١٤٩.

قال: ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمي بالنجوم فرأيناها تهافت من السماء، فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد، فلا تعجلوا وانظروا فإن كانت[1] نجوماً تعرف، فهو عندنا من فناء الناس، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث، فنظروا فإذا هي لا تعرف، فأخبروه فقال الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي. فما مكثوا إلاّ يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله، فجاء عبد ياليل فذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان: ظهر محمّد بن عبد الله يدّعي أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل فعند ذلك رمي بها. وقال سعيد بن منصور عن خالد بن حصين عن عامر الشعبي، قال: كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله ﷺ فسيبوا أنعامهم وأعتقوا رقيقهم. فقال عبد ياليل: انظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس، وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث، فنظروا فإذا هي لا تعرف. قال: فأمسكوا فلم يلبثوا إلاّ يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ. وروى البيهقي والحاكم من طريق العوفي عن ابن عبّاس، قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمّد صلوات الله عليهما وسلامه. فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة، ويجب حمل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث من طريق عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رمي بنجم فاستنار فقال: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إذَا رُمِيَ بِهٰذَا؟» قالوا: كنا نقول مات عظيم، وولد عظيم فقال: «لاَ وَلَكِنْ»[2]. فذكر الحديث كما تقدّم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق ولله الحمد.

وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة قصة رمي النجوم، وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم: إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سمّاه عمرو بن أمية فالله أعلم. وقال السدي لم تكن السماء تحرس إلاّ أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمّد ﷺ قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، فلمّا بعث الله محمّداً ﷺ نبياً رجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف. فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدّة النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم، ويسيبون مواشيهم. فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا من[3] أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها، فلم يهلك أهل السماء، وإنما هو من ابن أبي كبشة، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهل السماء، فنظروا فرأوها، فكفّوا عن أموالهم، وفزعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فقال ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب، فأتوه، فشمّ فقال: صاحبكم بمكّة، فبعث سبعة نفر من جن نصيبين، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ في المسجد الحرام

(١) في ط: تكن.

(٢) أخرجه مسلم في السلام حديث ١٢٤، وأحمد في المسند ٢١٨/١.

(٣) في ط: عن.

يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله أمرهم على نبيه ﷺ.

وقال الواقدي: حدَّثني محمّد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً، فأتت الشياطين فقالوا له ما على الأرض من صنم إلاَّ وقد أصبح منكساً، قالوا(١) هذا نبي [قد](٢) بعث، فالتمسوه في قرى الأرياف، فالتمسوه فقالوا لم نجده، فقال أنا صاحبه فخرج يلتمسه فنودي عليه(٣) بجنبة الباب - يعني مكة - فالتمسه بها فوجده بها عند قرن الثعالب، فخرج إلى الشياطين فقال: إني قد وجدته معه جبريل، فما عندكم؟ قالوا: نزين الشهوات في عين أصحابه، ونحببها إليهم، قال فلا آسى إذاً.

وقال الواقدي: حدَّثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد اللّه بن عمرو قال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب، فجاؤوا إلى إبليس فذكروا ذلك له فقال: أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بني إسرائيل، قال فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا ليس بها أحد، فقال إبليس: أنا صاحبه، فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً معه جبريل، فرجع إلى أصحابه فقال قد بعث أحمد ومعه جبريل، فما عندكم؟ قالوا: الدنيا نحببها إلى الناس قالوا(٤) فذاك إذاً. قال الواقدي: وحدَّثني طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عبّاس، قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمّد ﷺ منعوا فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وضع على وجه الأرض - فرأى رسول الله ﷺ يصلي خلف المقام. فقال: اذهب فاكسر عنقه. فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحه في كذا وكذا، فولّى الشيطان هارباً.

ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال فركضه برجله فرماه بعدن.

فصل في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرّة، وثاني مرّة أيضاً، وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلةِ(٥) الجَرَس - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ - فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعِيتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ رَجُلاً يُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا

(١) في ط: قال.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: عليك.
(٤) في ط: قال.
(٥) الصلصلة: الصوت القوي.

يقولُ»[١]. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد[٢] عرقاً أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به. ورواه الإمام أحمد عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه. وكذا رواه عبدة بن سليمان وأنس بن عياض عن هشام بن عروة، وقد رواه أيوب السختياني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال سألت رسول الله ﷺ فقلت: كيف يأتيك الوحي؟ فذكره، ولم يذكر عائشة. وفي حديث الإفك قالت عائشة: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه. فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل الوحي الذي نزل عليه. وقال الإمام أحمد حدّثنا عبد الرزّاق أخبرني يونس بن سليم قال أملى عليّ يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمٰن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، وذكر تمام الحديث في نزول ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾[٣] وكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الرزّاق، ثم قال النسائي: منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ولا نعرفه. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث الحسن عن حطان بن عبد اللّه الرقاشي عن عبادة بن الصامت. قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كربه ذلك وتربّد وجهه - وفي رواية وغمض عينيه - وكنا نعرف ذلك منه[٤]. وفي الصحيحين [من][٥] حديث زيد بن ثابت حين نزلت ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] فلمّا شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. قال: وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي[٦]. وفي صحيح مسلم من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن يعلى بن أمية. قال: قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة، فإذا هو محمر الوجه، وهو يغط كما يغط البكر[٧]. وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ٢، ومسلم في الفضائل حديث ٨٧، ومالك في القرآن حديث ٧، وأحمد في المسند ٦/٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) يتفصد: يسيل.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ٢٤، من سورة المؤمنون، وأحمد في المسند ١/ ٣٤.

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ٨٨، وأحمد في المسند ٥/٣١٧.

(٥) سقط في ط.

(٦) أخرجه البخاري في التفسير باب ١٨، سورة النساء، ومسلم في الإمارة حديث ١٤١، وأحمد في المسند ٥/ ١٨٤.

(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٦.

تَخرُجْنَ لِحَاجَتِكُنّ»[١] . فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه. وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا عباد بن منصور، حدّثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي تربّد لذلك جسده ووجهه وأمسك عنه[٢] أصحابه، ولم يكلمه أحد منهم. وفي مسند أحمد وغيره من حديث ابن لهيعة: حدثّني يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن الوليد، عن عبد اللّه بن عمرو، قلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: «نَعَمْ أَسْمَعُ صَلاصِلَ، ثُمّ أَثْبُتُ عَندَ ذٰلِكَ، وما مِن مرّةٍ يُوحى إليّ إلاّ ظَنَنْتُ أنّ نَفْسي تفيضُ مِنْهُ»[٣] .

وقال أبو يعلى الموصلي: حدّثنا إبراهيم بن الحجاج، حدّثنا عبد الواحد بن زياد، حدّثنا عاصم بن كليب، حدّثنا أبي عن خاله العليان بن عاصم. قال: كنا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه، وكان إذا أنزل عليه دام بصره وعيناه مفتوحة، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عزّ وجلّ. وروى أبو نعيم من حديث قتيبة: حدّثنا علي بن غراب عن الأحوص بن حكيم، عن أبي عوانة، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صدع وغلف رأسه بالحناء. هذا حديث غريب جداً. وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر حدّثنا، أبو معاوية سنان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قالت: إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة[٤] كلّها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة[٥] . وقد رواه أبو نعيم من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدّثنا حسن، حدّثنا ابن لهيعة، حدّثني جبر بن عبد اللّه عن أبي عبد الرّحمٰن الحبلي[٦] عن عبد اللّه بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها[٧] . وروى ابن مردويه من حديث صباح بن سهل عن عاصم الأحول حدثتني أم عمرو عن عمّها أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق عنق الراحلة من ثقلها. وهذا غريب من هذا الوجه. ثم قد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال والله أعلم[٨] . وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه ﷺ في أول شرح البخاري، وما ذكره الحليمي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب ١١٥، ومسلم في السلام حديث ١٧.
(٢) في ط: عن.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٢٢.
(٤) المقصود سورة المائدة.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥٥.
(٦) في الأصل الجبلي وهو تحريف الحبلي.
(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٦.
(٨) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٥، سورة الفتح، ومسلم في الجهاد حديث ٣٤.

فصل

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وكان هذا في الابتداء، كان عليه السلام من شدّة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عزّ وجلّ ليساوقه في التلاوة، فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، وتكفّل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسّر عليه تلاوته وتبليغه، وأن يبيّنه له، ويفسّره ويوضحه ويوقفه على المراد منه. ولهذا قال: ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي وأن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي تلاه عليك الملك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي فاستمع له وتدبّره ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وهو نظير قوله ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾. وفي الصحيحين من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال: **كان** رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة؛ فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ قال فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزّ وجلّ [1].

فصل: قال ابن إسحاق: ثم تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله ـ على رضا العباد وسخطهم ـ وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستضلع بها إلاّ أهل القوّة والعزم من الرسل، بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس، وما يردّ عليهم مما جاءوا به عن الله عزّ وجلّ، فمضى رسول الله ﷺ على ما أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

قال ابن إسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد وصدّقت بما جاءه من الله ووازرتْه على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدّقت بما جاء منه فخفّف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه، وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها تثبّته وتخفّف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها.

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عبد اللّه بن جعفر. قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ»[2] وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام. قال ابن هشام: القصب ها هنا اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله به عليه وعلى العباد

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٤٣، ومسلم في الصلاة حديث ١٤٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٠٥.

من النبوّة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله، قبل أن تفرض الصلاة.

قلت: يعني الصلوات الخمس ليلة الإسراء. فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه.

وقال ابن إسحاق: وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به. ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم، فتوضأ جبريل ومحمّد عليهما السلام، ثم صلّى ركعتين وسجد أربع سجدات، ثم رجع النبي ﷺ وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات، ثم كان هو وخديجة يصلّيان سراً.

قلت: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبيّن له أوقات الصلوات الخمس، أولها وآخرها، فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

فصل في [ذكر][1] أول من أسلم، ثم [ذكر][2] متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم

قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان. فقال عليّ: يا محمّد ما هذا؟ قال: «دِينُ اللّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، فَأَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ. وأَنْ تَكْفُرَ بِاللاَّتِ وَالعُزَّى». فقال عليّ: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدّث به أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره. فقال له: «يا عَلِيُّ إذْ لَمْ تُسْلِمْ فَاكْتُمْ[3]» فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَتَكْفُرَ بِاللاَّتِ وَالعُزَّى، وَتَبْرَأَ مِنَ الأَنْدَادِ» ففعل عليّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم عليّ إسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة ـ يعني زيداً ـ فمكثا قريباً من شهر يختلف علي إلى رسول الله ﷺ، وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال ابن إسحاق: حدّثني ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: وكان مما أنعم الله به على

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) في المصرية: إذا لم تسمع فاكتم وكذا بالأصل.

عليّ أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ لعمّه العباس - وكان من أيسر بني هاشم - «يَا عَبَّاسُ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ العِيَالِ، وَقَدْ أَصابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ حَتَّى نُخَفِّفَ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ» فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمّه إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه عليّ وآمن به وصدّقه.

وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدَّثني إسماعيل بن أبي إياس بن عفيف عن أبيه عن جدّه عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال: كنت امرءاً تاجراً فقدمت منى أيام الحج، وكان العبّاس بن عبد المُطّلب امرءاً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلّي تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلّي، وخرج غلام فقام يصلّي معه. فقلت: يا عبّاس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما ندري ما هو فقال: هذا محمّد بن عبد اللّه يزعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمّه علّي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً[1]. وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وقال في الحديث: إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي. ثم ذكر قيام خديجة وراءه.

وقال ابن جرير: حدَّثني محمّد بن عبيد المحاربي، حدّثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبدة البجلي، عن يحيى بن عفيف. قال: جئت زمن الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العبّاس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخرّ الشاب ساجداً فسجدا معه، فقلت: يا عبّاس أمر عظيم! فقال: أمر عظيم. فقال: أتدري من هذا؟ فقلت: لا، فقال: هذا محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من الغلام؟ قلت: لا. قال: هذا عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حدَّثني أن ربّك ربّ السماء والأرض أمره بهذا الذي تراهم عليه، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وقال ابن جرير: حدَّثني ابن حميد، حدّثنا عيسى بن سوادة بن أبي الجعد، حدّثنا محمّد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرَّحمٰن وأبو حازم والكلبي. قالوا: عليّ أول من

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٠٩، ٢١٠.

أسلم. قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين. **وحدّثنا** ابن حميد، حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق. قال: أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدّقه علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان علي في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. قال الواقدي: **أخبرنا** إبراهيم عن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين.

قال الواقدي: وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله بسنة. وقال محمّد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعليّ، وأسلم عليّ قبل أبي بكر، وكان علي يكتم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه قال: أسلمت؟ قال: نعم! قال: وازر ابن عمك وانصره. قال: كان أبو بكر الصدّيق أول من أظهر الإسلام. وروى ابن جرير في تاريخه من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس. قال: أول من صلّى عليّ[1].

وحدّثنا عبد الحميد بن يحيى، حدّثنا شريك عن عبد الله بن محمّد بن عقيل عن جابر. قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء.

وروي من حديث شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبي حمزة ـ رجل من الأنصار ـ سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، قال: فذكرته للنخعي فأنكره. وقال: أبو بكر أول من أسلم[2]. ثم قال: **حدّثنا** عبيد الله بن موسى، حدّثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلاّ كاذب مفتر، صلّيت قبل الناس بسبع سنين[3]. وهكذا رواه ابن ماجه عن محمّد بن إسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى الفهمي ـ وهو شيعي من رجال الصحيح ـ عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي ـ وثقوه، ولكن قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة ـ وقال علي بن المديني روى أحاديث مناكير والمنهال بن عمرو ثقة. وأما شيخه عباد بن عبد الله ـ وهو الأسدي الكوفي ـ فقد قال فيه علي بن المديني هو ضعيف الحديث، وقال البخاري فيه نظر. وذكره ابن حبان في الثقات، وهذا الحديث منكر بكل حال، ولا يقوله علي رضي الله عنه، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم.

وقال آخرون: أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصدّيق، والجمع بين الأقوال كلّها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات ـ وقيل الرجال أيضاً ـ وأول من أسلم من الموالي: زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان: عليّ بن أبي طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الأحرار: أبو بكر الصدّيق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب ١١.

صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام. وكان محبباً متألفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله.

قال يونس عن ابن إسحاق ثم إن أبا بكر الصدّيق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمّد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بَلَى إنّي رَسُولُ اللَّه ونبيُه، بعثَني لأبلّغ رسَالتَهُ وأدْعُوكَ إلى اللَّهِ بالْحَقِّ فَوَاللَّهِ إنَّهُ للْحَقُ، أدْعُوكَ يا أبا بكْرٍ إلى اللَّه وحْدهُ لا شريكَ لهُ، ولا تَعْبُدَ غَيْرَهُ وَالمُوَالاةِ عَلى طَاعَتِهِ» وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر. فأسلم وكسر[1] الأصنام، وخلع الأنداد وأقرّ بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدّق.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعَوْتُ أحداً إلى الإسْلاَمِ إلاَّ كَانَتْ عنْدَهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ، إلاَّ أبَا بَكْرٍ مَا علم عنه حينَ ذَكَرْتُهُ، ولا تردّد فيه» ـ أي تلبث ـ وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر منكر فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه، ما يمنعه من الكذب على الخلق. فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا عكم وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته، وأوردنا فضائله وشمائله واتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً، وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث، وما روي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ولله الحمد والمنة. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إلَيكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وقالَ أبُو بَكْرٍ صدَق، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي»[2] مرتين. فما أوذي بعدها، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه، وقد روى الترمذي وابن حبان من حديث شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: ألست أحق الناس بها، ألست أول من أسلم، ألست صاحب كذا[3]؟

وروى ابن عساكر من طريق بهلول بن عبيد: حدّثنا أبو إسحاق السبيعي عن الحارث سمعت علياً يقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصدّيق، وأول من صلى مع النبي ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب.

وقال شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من صلّى مع

---

(١) في ط: وكفر بالأصنام.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٥.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب باب ١٦.

النبي ﷺ أبو بكر الصديق[١]. رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح. وقد تقدّم رواية ابن جرير لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب. قال عمرو بن مرة فذكرته لإبراهيم النخعي فأنكره، وقال: أول من أسلم أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه[٢]. وروى الواقدي بأسانيده عن أبي أروى الدوسي وأبي مسلم بن عبد الرّحمٰن في جماعة من السلف أول من أسلم أبو بكر الصديق. وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا أبو بكر الحميدي، حدّثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال: سئل ابن عبّاس مَنْ أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصدّيق، أما سمعت قول حسّان: [البسيط]

إِذَا تَـذَكَّـرْتَ شَـجْـواً[٣] مِـنْ أَخِـي ثِـقَـةٍ ... فَـاذْكُـرْ أَخَـاكَ أَبَـا بَـكْـرٍ بِـمَـا فَـعَـلاَ
خَـيْـرَ الـبَـرِيَّـةِ أَوْفَـاهَـا وَأَعْـدَلَـهَـا ... بَـعْـدَ الـنَّـبِـيِّ وَأَوْلاَهَـا بِـمَـا حَـمَـلاَ
وَالـثَّـالِـيَ الـثَّـانِـيَ الـمَـحْـمُـودِ مَـشْـهَـدُه ... وَأَوَّلُ الـنَّـاسِ مِـنْـهُـمْ صَـدَّقَ الـرُّسُـلاَ
عَـاشَ حَـمِـيـداً لأَمْـرِ الـلَّـهِ مُـتَّـبِـعـاً ... بِـأَمْـرِ صَـاحِـبِـهِ الـمَـاضِـي وَمَـا انْـتَـقَـلاَ

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة: حدّثنا شيخ لنا عن مجالد، عن عامر، قال: سألت ابن عباس ـ أو ـ سئل ابن عباس ـ أي الناس أول إسلاماً؟ قال: أما سمعت قول حسّان بن ثابت فذكره، وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد، عن عامر الشعبي، سألت ابن عباس فذكره. وقال أبو القاسم البغوي حدَّثني سريج بن يونس، حدّثنا يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمّد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرّحمٰن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمّد، لا يشكّون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه.

قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمّد بن كعب ومحمّد بن سيرين وسعيد بن إبراهيم، وهو المشهور عن جمهور أهل السنّة. وروى ابن عساكر عن سعد بن أبي وقّاص ومحمّد ابن الحنفية أنهما قالا: لم يكن أوّلهم إسلاماً، ولكن كان أفضلهم إسلاماً. قال سعد: وقد آمن من قبله خمسة.

وثبت في صحيح البخاري من حديث همّام بن الحارث عن عمّار بن ياسر. قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلاّ خمسة أعبد، وامرأتان، وأبو بكر[٤].

وروى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر، عن ابن مسعود قال: **أول** من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأمّه سميّة، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه، وأما أبو بكر منعه الله

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٢١، وأحمد في المسند ٤/٣٦٨.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٧٠.
(٣) شجوا: ألماً وحزناً.
(٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٥.

بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا، إلاّ بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكّة وهو يقول أحد أحد[١]. وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً. فأما ما رواه ابن جرير قائلاً: **أخبرنا** ابن حميد، حدّثنا كنانة بن حبلة[٢] عن إبراهيم بن طهمان عن حجاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص. قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ قال: لا! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أفضلنا إسلاماً. فإنه حديث منكر إسناداً ومتناً.

قال ابن جرير وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد بن حارثة، ثم روي من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب، سألت الزهري من أول من أسلم من النساء؟ قال: خديجة، قلت: فمن الرجال؟ قال: زيد بن حارثة. وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة.

وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قال محمّد بن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزّ وجلّ، وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه [ويألفونه][٣] لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير ابن العوام، وعثمان بن عفّان، وطلحة بن عبيد اللّه، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرَّحمٰن ابن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحقّ الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى[٤] الإسلام، صدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله.

وقال محمّد بن عمر الواقدي: حدَّثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبي، عن إبراهيم بن محمّد بن أبي طلحة. قال: قال طلحة بن عبيد اللّه: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم أفيهم رجل من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد اللّه بن

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ١/٤٠٤.

(٢) في الأصلين حبلة بالمهملة وفي ابن جرير جبلة بالجيم نقلاً عن محمود الإمام.

(٣) سقط في ط.

(٤) في ط: في.

عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرّة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حديث؟ قالوا: نعم محمّد بن عبد الله الأمين قد تنبأ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى قدمت على أبي بكر، فقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه، فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية ـ وكان يدعى أسد قريش ـ فشدّهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، فلذلك سمّي أبو بكر وطلحة القرينين.

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ ابْنِ العَدَوِيَّةِ»رواه البيهقي. وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الإطرابلسي: حدّثنا عبيد اللّه بن محمّد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة، حدّثنا أبو بكر عبد اللّه بن عبيد اللّه بن إسحاق بن محمّد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد اللّه، حدّثني أبي عبيد اللّه حدّثني عبد اللّه [بن محمّد] بن عمران بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة قال: حدّثني أبي محمّد بن عمران عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها. فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي رَسُولُ اللّهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللّه»فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفّان وطلحة بن عبيد اللّه والزبير بن العوّام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عُبَيْدة بن الجرّاح وعبد الرّحمٰن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم. قال عبد اللّه بن محمّد فحدّثني أبي محمّد بن عمران عن القاسم بن محمّد عن عائشة. قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ»فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا [١]على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت [٢]بنو تيم [٣]

(١)نزا: وثب.

(٢)في ط: وجاء.

(٣)في المخطوطة: تميم وهو خطأ.

يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلّم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلمّا خلت به الحّت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى اتت[1] أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمّد بن عبد اللّه؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمّد بن عبد اللّه، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟ قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً[2]، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله[3] عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ. فأمهلتا حتى إذا هدأت الرّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، قال: فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبّله وأكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله ﷺ رقّة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلاّ ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برّة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر، ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ـ أو لأبي جهل بن هشام ـ فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، فكبّر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلا مكة، وخرج أبو الأرقم ـ وهو أعمى كافر ـ وهو يقول: اللهم اغفر لبني عبيد الأرقم فإنه كفر، فقام عمر فقال: يا رسول الله علامَ نخفي ديننا ونحن على الحقّ ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: «يَا عُمَرُ إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ رَأَيتَ مَا لَقِينَا» فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلاّ أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مرّ بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله، فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل اصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح فتنحى الناس، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه

(١) في ط: جاءت.

(٢) دنفاً: ثقيل المرض. قريباً من الموت.

(٣) في ط: الله.

أحد إلاّ أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم. قال ما عليك بأبي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلاّ أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلّى الظهر مؤمناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي ﷺ.

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة، وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله. وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها، وبسطنا القول هنالك ولله الحمد. وثبت في صحيح مسلم من حديث أَبي أُمامة عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخفي، فقلت: ما أنت؟ قال: «أَنا نَبِيٌّ»، فقلت: وما النبي؟ قال: «رَسُولُ اللَّه»، قلت: الله أرسلك؟ قال: «نَعَمْ» قلت: بما أرسلك؟ قال: «بِأَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَتَكْسِرَ الأَصْنَامَ، وتصل[١] الأَرْحَامَ». قال: قلت: نِعْم ما أرسلك به فمن تبعك على هذا؟ قال: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» ـ يعني أبا بكر وبلالاً ـ قال: فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام. قال: فأسلمت، قلت: فاتبعك يا رسول الله، قال: «لاَ وَلَكِنْ إِلْحَقْ بِقَوْمِكَ، فَإِذَا أُخْبِرْتَ أَنّي قَدْ خَرَجْتُ فَاتَّبِعْنِي»[٢]، ويقال إن معنى قوله عليه السلام حرّ وعبد اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عَبَسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذا ذاك يستسرون بإسلامهم، لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجانب دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم.

وفي صحيح البخاري من طريق أَبي أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام[٣]. أما قوله ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل، ويروى إلاّ في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام. وقد علم أن الصدّيق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدّم إسلام هؤلاء غير واحد، منهم ابن الأثير.

ونصّ أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم. وأما قوله ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه إلاّ أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم.

---

(١) في ط: وتوصل.

(٢) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ٢٩٤، وأحمد في المسند ٤/ ١١١.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٣١.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا حماد بن سلمة عن عاصم، عن زر، عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكّة. فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرّا من المشركين - فقال - أو فقالا - «عِنْدَكَ يَا غُلاَمُ لَبَنٌ تَسْقِينا؟» قلت: إني مؤتمن، ولست بساقيكما، فقال: «هلْ عندكَ منْ جَذَعَةٍ[1] لَمْ يَنْزُ[2] عَلَيْهَا الفَحْلُ بَعْدُ؟» قلت: نعم! فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا[3] فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع: «اقْلِصْ» فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علّمني من هذا القول الطيّب - يعني القرآن - فقال: «إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد[4]. وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حمّاد بن سلمة به. ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود به.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو عبد الله بن بطة الأصبهاني، حدّثنا الحسن بن الجهم، حدّثنا الحسين بن الفرج، حدّثنا محمّد بن عمر، حدَّثني جعفر بن محمّد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان -. قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن آتياً أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق، فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال: أريد بك خير هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال يا رسول الله يا محمّد إلى ما تدعو؟ قال: «أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَتَخْلَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ لاَ يَسْمَعُ، وَلاَ يَضُرُّ، وَلاَ يُبْصِرُ. وَلاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يَدْرِي مَنْ عَبَدَهُ مِمَّنْ لاَ يَعْبُدُهُ».

قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسرّ رسول الله ﷺ بإسلامه، وتغيّب خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأتي به. فأنّبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه. وقال: والله لأمنعنك القوت. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه.

[ذكر][5] إسلام حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني رجل ممن أسلم - وكان واعية - أن

(١) جذعة: شاة صغيرة.
(٢) نزا الفحل: وثب.
(٣) في ط: ودعا.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٦٢.
(٥) سقط في ط.

أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العَيْب لدينه، فذكِر ذلك لحمزة بن عبد المُطّلب، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجّه منها شجّة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه. وقالوا: ما نراك يا حمزة إلاّ قد صبوت(١)؟ قال حمزة: ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنّ الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سباً قبيحاً، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع فكفّوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعراً(٢).

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل حمزة على نفسه وقال: ما صنعت اللهمّ إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلاّ فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ. فقال: يابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غيّ شديد؟ فحدِّثني حديثاً فقد اشتهيت يابن أخي أن تحدِّثني، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه، وخوّفه وبشّره، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على ديني الأول. فكان حمزة [ممن](٣) أعزّ الله به الدين. وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار عن يونس بن بكير به.

ذكر إسلام أَبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدّثنا أبو عبد اللّه محمّد بن يعقوب الحافظ، حدّثنا الحسين بن محمّد بن زياد، حدّثنا عبد اللّه بن الرومي، حدّثنا النضر بن محمّد، حدّثنا عكرمة بن عمّار عن أبي زُميل سماك بن الوليد، عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر. قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ. هذا سياق مختصر، وقال البخاري: إسلام أبي ذر: حدّثنا عمرو بن عبّاس، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن مهدي عن المثنى، عن أَبي حمزة، عن

(١) صبوت: أي انحرفت عن دين آبائك..

(٢) لم يذكر هنا شعر حمزة وذكر السهيلي في الروض الأنف قطعة له مطلعها: [الوافر]

حَمِدْتُ اللّهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي ... إلَى الإِسْلَامِ وَالدِّينِ الحَنِيفِ...

(٣) سقط في ط.

ابن عبّاس. قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء. فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شنة[١] فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فرآه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمرّ به عليّ فقال: أما آن للرجل يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على مثل ذلك فأقام معه فقال: ألا تحدثني بالذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعل فأخبره. قال: فإنه حق وأنه رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إِلَى قَوْمِكَ فَأَخبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي» فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العبّاس فأكبّ عليه، فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام. فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكبّ العبّاس عليه[٢]، هذا لفظ البخاري. وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم وغيره، فقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون حدّثنا سليمان بن المغيرة حدّثنا حميد بن هلال عن عبد اللّه بن الصامت قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار - وكان يحلون الشهر الحرام - أنا وأخي أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس. فجاء خالنا فنثى[٣] ما قيل له فقلت له: أمّا ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد. قال: فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي قال فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال: فنافر[٤] أنيس عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخيّر أنيساً. فأتانا بصرمتنا ومثلها، وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين، قال: قلت لمن؟ قال: لله، قلت: فأين

(١) شنة: قربة.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب (٢٣) وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم حديث ١٣٣.

(٣) في النهاية من حديث أبي ذر فجاء خالنا فنثى أي أظهره إلينا وحدّثنا به.

(٤) نافر: من المنافرة وهي المفاخرة والمحاكمة، فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكما إلى رجل ليحكم أيهما أفضل.

توجّه؟ قال: حيث وجّهني الله. قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[١] حتى تعلوني الشمس قال فقال أنيس: إن لي حاجة بمكّة فألقني حتى آتيك قال فانطلق فراث[٢] عليّ، ثم أتاني فقلت: ما حبسك؟ قال: رأيت[٣] رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولوا إنه شاعر وساحر، وكان أنيس شاعراً. قال: فقلت: لقد سمعت الكهّان فما يقول بقولهم. وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: فقلت له: هل أنت كافيّ حتى أنطلق؟ قال: نعم! وكن من أهل مكّة على حذر، فإنهم قد شنعوا له وتجهّموا له. قال فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت[٤] رجلاً منهم، فقلت: أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء؟ قال: فأشار إليّ فمال أهل الوادي عليّ بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً عليّ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نُصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يا ابن أخي ثلاثين من يوم وليلة ما لي طعام إلاّ ماء زمزم، فسمنت حتى تكسّرت عكن بطني[٥] وما وجدت على كبدي سَخَفة[٦] جوع قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليّ وهما تدعوان إساف ونائلة. فقلت: انكحوا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك، فقلت وَهنٌ مثل الخشبة غير أني لم أركن. قال: فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال: «ما لكما»؟ فقالتا الصابىء بين الكعبة وأستارها، قالا: «ما قال لكما»؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم، قال وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، ثم صلى. قال: فأتيته فكنت أول من حيّاه بتحية أهل الإسلام. فقال: «عَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرحْمَةُ اللَّهِ مَنْ أَنْتَ؟» قال: قلت من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته قال فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار، قال فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه وكان أعلم به مني، قال: «مَتَى كُنْتَ هَهُنَا؟» قال: قلت كنتُ ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم. قال: «فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟» قلت ما كان لي طعام إلاّ ماء زمزم فسمنت حتى تكسّرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» قال فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في

---

(١) الخفاء: هو الكساء ج أخفية ككساء وأكسية، وفي النهاية وفي حديث أبي ذر: سقطت كأني خِفا، أي ثوب أو كِسَاء.

(٢) راث علي: أي أبطأ عليّ.

(٣) في ط: لقيت.

(٤) أي نظرت إلى أضعفهم فسألته.

(٥) عكن: ج عكنة، وهو الطي في البطن من السمن.

(٦) سَخَفة: هي رقة الجوع وضعفه وهزاله.

طعامه الليلة قال ففعل، قال فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال فكان ذلك أول طعام أكلته بها. فلبثت ما لبثت. فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ وُجِّهَتْ إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ وَلاَ أَحْسَبُهَا إِلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ؟» قال فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً، قال فقال لي: ما صنعت؟ قال قلت: صنعت أني أسلمت وصدقت، قال فما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت، ثم أتينا أمنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت، فتحمّلنا حتى أتينا قومنا غفار، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيما بن رخصة الغفاري وكان سيّدهم يومئذ. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، قال: فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم قال: وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ»[1]. ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه، وقد روى قصّة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم. وتقدّم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام.

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس. قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة. وكان يرقي من هذه الرياح، فسمع سفهاء من سفه مكّة يقولون: إن محمّداً مجنون. فقال أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؟ فلقيت محمّداً فقلت: إني أرقي من هذه الرياح، وأن الله يشفي على يدي من شاء فهلم. فقال محمّد: «إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». فقال والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة. وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ فقال له: «وَعَلَى قَوْمِكَ» فقال: وعلى قومي[2]. فبعث النبي ﷺ جيشاً فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردّها عليهم فإنهم قوم ضماد. وفي رواية فقال له ضماد: أعد عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر.

وقد ذكر أبو نعيم في «دلائل النبوة» إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً،

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٢، وأحمد في المسند ٤/١٧٤، ١٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة حديث ٤٦، وأحمد في المسند ١/٣٠٢.

واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه. وقد سرد ابن إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم. قال: ثم أسلم **أبو عبيدة**، **وأبو سلمة**، **والأرقم** بن أبي الأرقم، **وعثمان** بن مظعون، **وعبيدة** بن الحارث، **وسعيد** بن زيد، وامرأته **فاطمة** بنت الخطاب، **وأسماء** بنت أبي بكر، **وعائشة** بنت أبي بكر - وهي صغيرة - **وقدامة** بن مظعون، **وعبد الله** بن مظعون، **وخباب** بن الأرت، **وعُمَير** بن أبي وقّاص، **وعبد الله** بن مسعود، **ومسعود** بن القاري، **وسليط** بن عمرو، **وعياش** بن أبي ربيعة، وامرأته **أسماء** بنت سلمة[١] بن مخرمة التيمي، **وخنيس** بن حذافة، **وعامر** بن ربيعة، **وعبد الله** بن جَحْش، **وأبو أحمد** بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامرأته **فكيهة** ابنة يسار، **ومعمر** بن الحارث بن معمر الجمحي، **والسائب** بن عثمان بن مظعون، والمطّلب بن أزهر بن عبد مناف[٢]. وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم، **والنحّام** واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، **وعامر** بن فهيرة مولى أبي بكر، **وخالد** بن سعيد، **وأمينة** ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة، **وحاطب** بن عمرو بن عبد شمس، **وأبو حذيفة** بن عتبة بن ربيعة، **وواقد** بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي، **وخالد** بن البكير، وعامر بن البكير، **وعاقل** بن البكير، **وإياس** بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث، وكان اسم عاقل غافلاً فسمّاه رسول الله ﷺ عاقلاً، وهم حلفاء بني عدي بن كعب، **وعمّار** بن ياسر، **وصهيب** بن سنان. ثم دخل الناس أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكّة وتحدّث به.

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أُمر، وأن يصبر على أذى المشركين. قال وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستَخْفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر يصلّون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي جمل فشجه[٣]، فكان أول دم أهريق في الإسلام. وروى الأموي في مغازيه من طريق الوقاصي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. فذكر القصّة بطولها وفيه أن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله.

---

(١) في السيرة لابن هشام: أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمية.

(٢) في ابن هشام: ابن عبد عوف بدل مناف.

(٣) شجه: جرحه.

باب الأمر بإبلاغ الرسالة
إلى الخاص والعام، وأمره له بالصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذّبين بعد قيام الحجّة عليهم، وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذكر ما لقي من الأذيّة منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢٢٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى: [﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]][1] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ، ٩٣] والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. وأوردنا أحاديث جمّة في ذلك، فمن ذلك، قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال: لما أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صَباحاهُ» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله. فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عَبْد المُطلب يا بني فِهْرٍ، يا بني كَعْبٍ أرأيتم لَوْ أخبرتُكُم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريدُ أنْ تغير عليكُم صدّقْتُموني؟» قالوا: نعم! قال: «فإنّي نذيرٌ لكُمْ بين يدي عذابٍ شديدٍ» فقال أبو لهب ـ لعنه الله. تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلاّ لهذا؟ وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[2] وأخرجاه من حديث الأعمش به نحوه. وقال أحمد حدّثنا معاوية بن عمرو، حدّثنا زائدة، حدّثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة، عن أبي هريرة. قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص. فقال: «يا مَعْشر قُريشٍ أنقذُوا أنفُسكُمْ من النارِ. يا مَعْشَر بني كَعْبٍ أنقذُوا أنفُسكُمْ من النّارِ، يا مَعْشَرَ بني هاشم أنقذُوا أنفسكُمْ من النار. يا مَعْشَرَ بني عَبْدِ المُطّلِبِ أنقذُوا أنفسكُمْ من النّارِ. يا فاطِمَةُ بِنْتُ مُحمّدٍ أنقذي نفسكِ مِن النّارِ، فإنّي واللهِ لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شيئاً إلاّ أنّ لَكُمْ رَحِماً سأبُلُها بِبلالِها»[3] ورواه مسلم

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب ٢٦، ومسلم في الإيمان حديث ٣٣٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب ٢٦، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ ومسلم في الإيمان حديث ٣٤٨، والنسائي في الوصايا باب ٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٠.

من حديث عبد الملك بن عمير، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب وأَبي سلمة عن أَبي هريرة، وله طرق أُخر عن أَبي هريرة في مسند أَحمد وغيره.

وقال أَحمد أيضاً: حدّثنا وكيع بن هشام عن أبيه حدثنا[١] عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما نزلت[٢] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحمّدٍ، يا صَفيَةُ بِنْتَ عَبْد المُطّلب، يا بني عَبْد المَطّلب لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ من اللهِ شَيْئاً، سَلُوني مِنْ مَالي ما شِئْتُم»[٣]. ورواه مسلم أيضاً.

وقال الحافظ أَبو بكر البيهقي في الدلائل: أخبرنا محمّد بن عبد الحافظ، حدّثنا أَبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا أَحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق قال: فحدَّثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل ـ واستكتمني اسمه ـ عن ابن عبّاس، عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾. قال رسول الله ﷺ: «عرفْتُ إنّي إنْ بادأتُ بِها قَوْمي رأَيْتُ مِنْهُمْ ما أَكْرَهُ، فَصَمتُّ. فجاءَنِي جِبْرِيلُ عليْهِ السّلامُ فَقالَ: يَا مُحمّدُ إنْ لَمْ تَفعلْ ما أَمركَ بِهِ ربُّكَ عذّبكَ بِالنّارِ». قال: فدعاني فقال: «يا عَليُّ إنّ اللّهَ قدْ أَمرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عشِيرَتي الأقْرَبِينَ فاصْنَعْ لنا يا عليُّ شاةً على صَاعٍ مِنْ طَعامٍ، وأَعِدّ لَنا عُسَّ[٤] لَبنٍ، ثُمّ اجْمَعْ لِي بَنِي عبْدِ المُطّلبِ» ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أَربعون رجلاً يزيدون رجلاً أَو ينقصون فيهم أَعمامه أَبو طالب، وحمزة والعبّاس، وأَبو لهب الكافر الخبيث. فقدّمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشقّها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: «كُلُوا بِسْمِ اللّه» فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما نرى إلاّ آثار أَصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «اسْقِهِمْ يا عليُّ» فجئت بذلك القعب[٥] فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأَيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أَراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بدره أَبو لهب لعنه الله فقال لَهَدَّ ما سحركم صاحبكم، فتفرّقوا ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ. فلمّا كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «عُدْ لَنا مِثْلَ الّذي كُنْتَ صَنَعْتَ لَنا بالأَمْسِ مِنَ الطّعامِ وَالشّرابِ، فَإِنّ هَذَا الرّجُلَ قَدْ بَدَرَ إِلَى مَا سمِعْتَ قَبْلَ أَنْ أُكَلّمَ القَوْمَ» ففعلت ثم جمعتهم له وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، وأَيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «أَسْقِهِمْ يا عَلِيُّ»، فجئت

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: نزل.
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٣٥٠، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٧.
(٤) العس: القدح الكبير.
(٥) القعب: القدح الضخم الغليظ.

بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بدره أبو لهب لعنه الله إلى الكلام فقال: لهدّ ما سحركم صاحبكم؟ فتفرّقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يَا عَلي عُدْ لَنا بِمِثْلِ الَّذي كُنْتَ صَنَعْتَ بِالأَمْسِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ بَدَرَني إِلَى مَا سَمِعْتَ قَبْلَ أَنْ أُكَلِّمَ القَوْمَ» ففعلت ثم جمعتهم له. فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا، وأيم الله إن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «يَا بَني عَبْدِ المُطَّلِب إِنِّي واللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًّا مِنَ العَرَبِ جاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِنْ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد اللّه بن الحارث به. وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن محمّد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش، عن محمّد بن إسحاق، عن عبد الغفّار أبي مريم بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد اللّه بن الحارث، عن ابن عباس، عن علي فذكر مثله. وزاد بعد قوله: «وإِنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَني اللَّهُ أَنْ أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ. فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُني عَلى هَذا الأَمْرِ عَلى أَنْ يَكُونَ أَخي» وكذا وكذا. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم(١) عيناً، وأعظمهم بطناً، وأخمشهم(٢) ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي فقال: «إِنَّ هَذا أَخي وَكَذا وَكَذا فَاسْمَعُوا لَهُ وأَطيعُوا». قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع! تفرّد به عبد الغفّار بن القاسم أبو مريم وهو كذّاب اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث. وضعّفه الباقون. ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد اللّه بن عبد القدّوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو عن عبد اللّه بن الحارث. قال: قال علي: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. قال لي رسول الله ﷺ: «اصْنَعْ لِي رِجْلَ شَاةٍ بِصَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَإِنَاءٍ لَبَناً، وَادْعُ لِي بَني هاشم، فَدَعَوْتُهُمْ وَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لأَرْبَعُون غَيْرَ رَجُلٍ، أَوْ أَرْبَعُونَ وَرَجُلٌ» فذكر القصّة نحو ما تقدّم إلى أن قال: وبدرهم رسول الله ﷺ الكلام. فقال: «أَيُّكُمْ يَقْضِي عَنّي دَيْني وَيَكُونَ خَليفَتي في أَهْلي؟» قال فسكتوا وسكت العبّاس خشية أن يحيط ذلك بماله، قال: وسكتّ أنا لسنّ العبّاس. ثم قالها مرّة أخرى فسكت العبّاس، فلمّا رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: «أَنْتَ؟» قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن؛ خمش الساقين. وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدّم، إلاّ أنه لم يذكر ابن عبّاس فيها فالله أعلم. وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبّاد بن عبد اللّه الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم ـ أو كالشاهد له ـ والله أعلم. ومعنى قوله في هذا الحديث:

(١) ارمص: (أعمش) يسيل من عينيه سائل أبيض.

(٢) أخمشهم: أصلبهم.

«من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي» يعني إذا مت، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركين العرب[١] أن يقتلوه، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله، ويقضي عنه؛ وقد أمنه الله من ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يردّه عن ذلك راد، ولا يصدّه عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، ومواقف الحج. يدعو من لقيه من حرّ وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء. وتسلّط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشدّاء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وكان من أشدّ الناس عليه عمّه أبو لهب ـ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ـ وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وخالفه في ذلك عمّه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان رسول الله ﷺ أحبّ خلق الله إليه طبعاً، وكان يحنو عليه ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وملتهم[٢]، إلاّ أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبّه حباً طبعياً لا شرعياً. فكان[٣] استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه. ولاجترؤوا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، وربّك يخلق ما يشاء ويختار. وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً، فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب. ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح[٤] من نار، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ في المواعظ والخطب. تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمّالة الحطب. قال الإمام أحمد حدّثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه. قال: أخبر رجل يقال له ربيعة بن عبّاد من بني الديل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا هذا عمّه أبو لهب[٥].

ثم رواه هو والبيهقي من حديث عبد الرّحمٰن بن أبي الزناد بنحوه.

وقال البيهقي أيضاً: حدّثنا أبو طاهر الفقيه، حدّثنا أبو بكر محمّد بن الحسن القطّان،

---

(١) في المصرية: بإبلاغ مشركي العرب رسالة الله، عن محمود الإمام.

(٢) في ط: وعلى خلتهم.

(٣) في ط: وكان.

(٤) الضحضاح: القريب القعر.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٤١.

حدّثنا أبو الأزهر، حدّثنا محمّد بن عبد الله الأنصاري، حدّثنا محمّد بن عمر عن محمّد بن المنكدر، عن ربيعة الديلي. قال: رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرّنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب. ثم رواه من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا» وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يغرّنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى، كذا قال أبو جهل، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى.

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه، وسجاياه، واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. قال يونس ابن بكير عن طلحة بن يحيى، عن عبد الله عن موسى بن طلحة، أخبرني عقيل بن أبي طالب. قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا. فقال: يا عقيل انطلق فأتني بمحمّد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس ـ أو قال خنس ـ يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدّة الحر، فلما أتاهم قال إن بني عمّك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء. فقال: «تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟» قالوا: نعم! قال: «فَمَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَشْتَعِلُوا مِنْهُ بِشُعْلَةٍ». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا. رواه البخاري في التاريخ عن محمّد بن العلاء عن يونس بن بكير. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار عنه به ـ وهذا لفظه ـ. ثم روى البيهقي من طريق يونس عن ابن إسحاق، حدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأَخْنَس أنه حُدِّث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ. فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني وقالوا لي كذا وكذا، فأَبْقِ عليّ وعلى نفسك ولا تُحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت. فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظنّ رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمّه فيه، وأنه خاذله ومسلّمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمِّ لَوْ وَضَعْتَ الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِي طَلَبِهِ» ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولّى قال له حين رأى ما بلغ الأمر [من](١) برسول الله ﷺ: يا ابن أخي فأقبل عليه، فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلّمك لشيء أبداً. قال ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب في ذلك: [الكامل]

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِم ... حَتَّى أُوسَّدَ(٢) فِي التُّرَابِ دَفِينَا

(١) سقط في ط.
(٢) أوسد: أقوت وأقبر.

فامض[١] لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ[٢] أَبْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قِدْمُ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِيناً قَدْ عَرِفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةً لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا

ثم قال البيهقي: وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً؛ وفي ذلك دلالة على أنّ الله تعالى عصمه بعمّه مع خلافه إياه في دينه، وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمّه بما شاء لا معقب لحكمه. وقال يونس بن بكير: حدَّثني محمّد بن إسحاق حدَّثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عبّاس في قصّة طويلة جرت بين مشركي مكّة وبين رسول الله ﷺ. فلمّا قام [عنهم][٣] رسول الله قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلاّ ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسبّ آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فلمّا أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان قبلته الشام. فكان إذا صلّى صلّى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدتْ قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون، فلمّا سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحَجَر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَع مُنبهتاً ممتقعاً لونه مرعوباً قد يَبِست يداه على حَجَره، حتى قذف الحَجَر من يده، وقامت إليه رجالٌ من قريش. فقالوا له: ما بك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعلَ ما قلتُ لكم البارحة، فلمّا دنوت منه عَرَض لي دونه فَحْلٌ من الإبل والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته[٤]، ولا أنيابه لِفَحْل قطّ فهمّ أن يأكلني. قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «ذٰلِكَ جِبْرِيلُ، وَلَوْ دَنَا مِنْهُ لأَخَذَهُ».

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ أخبرني أبو النضر الفقيه حدّثنا عثمان الدارمي حدّثنا عبد اللّه بن صالح، حدّثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبي فروة، عن أبان بن صالح، عن علي بن عبد اللّه بن عباس، عن أبيه، عن عبّاس بن عبد المطلب. قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل ـ لعنه الله ـ فقال: إن لله[٥] عليّ إن رأيت محمّداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه

(١) في الأصل: فامضي والأصح فامضِ.
(٢) غضاضة: مذلة ونقصان
(٣) سقط في ط.
(٤) قصرته: أي عنقه وأصل رقبته.
(٥) في ط: الله.

فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط. فقلت هذا يوم شر، فاتزرت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرأ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ فلما بلغ شأن أبي جهل ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم هذا محمّد؟ فقال أبو جهل: ألا ترون ما أرى؟ والله لقد سد أفق السماء عليّ فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم، عن عكرمة قال: قال ابن عبّاس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمّداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لَوْ فعلَ لأَخذتْهُ الملائِكَةُ عِياناً»[1]. ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزّاق به.

قال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عبّاس. قال: قال: مرّ أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلّي. فقال: ألم أنهك أن تصلي يا محمّد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فانتهره النبي ﷺ. فقال جبريل: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب. رواه أحمد والترمذي وصحّحه النسائي من طريق داود به. وقال الإمام أحمد حدّثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد، حدّثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عبّاس. قال أبو جهل: لئن رأيت محمّداً عند الكعبة يصلّي لآتينّه حتى أطأ عنقه، قال فقال: «لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ الزَّبَانيةُ عِياناً»[2].

وقال أبو جعفر بن جرير: حدّثنا ابن حميد، حدّثنا يحيى بن واضح، حدّثنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس. قال قال أبو جهل: لئن عاد محمّد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ حتى بلغ من الآية ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾. فجاء النبي ﷺ يصلي فقيل: ما يمنعك؟ قال: قد اسودّ ما بيني وبينه من الكتائب. قال ابن عبّاس: والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه. وقال ابن جرير: حدّثنا ابن عبد الأعلى حدّثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة. قال قال أبو جهل: هل يعفر محمّد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم! قال فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلّي كذلك لأطأنّ على رقبته، ولأعفرنّ وجهه بالتراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته. قال فما فجئهم منه إلاّ وهو ينكص[3] على عقبيه، ويتقي بيديه، قال فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وَهَوْلاً وأجنحة. قال فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنا مِنّي لاَخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْواً عُضْواً». قال وأنزل الله تعالى ـ لا أدري في حديث أبي هريرة

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ٩٦، والترمذي في تفسير القرآن باب ٨٤، سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وأحمد في المسند ١/ ٣٦٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤٨.

(٣) ينكص: يتراجع إلى الوراء.

أم لا - ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ إلى آخر السورة[١] وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا وهب بن جرير، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد اللّه. قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس، وسلا[٢] جزور قريب منه. فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبي معيط: أنا، فأخذه فألقاه على ظهره. فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمّ عليك بهذا الملإ من قُرَيشٍ، اللَّهمّ عليكَ بعُتْبَة بْن ربيعة، اللَّهمّ عليكَ بشيبةَ بْن رَبيعة. اللَّهمّ عليك بأبي جهْل بْن هِشام. اللَّهمّ عليك بعُقْبة بْن أبي مُعَيط. اللَّهمّ عليك بأُبيّ بْن خلفٍ - أو أميّة بْن خلفٍ -»[٣] شعبةُ الشاكُ قال عبد اللّه: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحبوا إلى القليب غير أبي - أو أمية بن خلف - فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع، وقد رواه البخاري في مواضع متعدّدة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن إسحاق به. والصواب أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أبي إنما قتل يوم أُحُد كما سيأتي بيانه - والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة. وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا[٤] حتى جعل بعضهم يميل على بعض، أي يميل هذا على هذا من شدّة الضحك لعنهم الله. وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبّتهم، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم، فلما[٥] رأوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته، وأنه ﷺ دعا على الملأ منهم جملة وعيّن في دعائه سبعة. وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم: وهم عتبة، وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف. قال ابن إسحاق: ونسيت السابع. قلت: وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري.

قصة الإراشي[٦]

قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدّثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي. قال: قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكّة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام. فمطله بأثمانها.

---

(١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين حديث ٣٨، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٠.

(٢) سلا: غشاء رقيق يكون في الجنين في بطن أمه ويخرج معه.

(٣) أخرجه البخاري في الجزية باب ٢١، ومناقب الأنصار باب ٢٩، ومسلم في الجهاد حديث ١٠٨، وأحمد في المسند ١/ ٤١٧.

(٤) استضحكوا: أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جداً، فجعلوا يضحكون يميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.

(٥) في ط: فما.

(٦) الإراشي نسبة إلى إراش بالكسر والشين معجمة موضع ذكره ياقوت.

فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد. فقال: يا معشر قريش مَنْ رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب وابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك - يهزون به[١] إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه فهو يعديك عليه. فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر له ذلك[٢]، فقام معه. فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه يضرب[٣] عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: «مُحَمَّدٌ فَاخْرُجْ!» فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم، وقد انتقع لونه. فقال: «أَعْطِ هَذا الرَّجُلَ حَقَّهُ»، قال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: «الْحَقْ لِشَأْنِكَ». فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيراً، فقد أخذت الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلاّ أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: «أَعْطِ هَذا الرَّجُلَ حَقَّهُ». فقال: نعم! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقّه فأعطاه، ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك ما لك؟ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلاّ أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فوالله لو أبيت لأكلني.

فصل

وقال البخاري: حدّثنا عياش بن الوليد، حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثني الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمّد بن إبراهيم التيمي، حدّثني عروة بن الزبير. سألت ابن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٤] [غافر: ٢٨] الآية. تابعه ابن إسحاق قال: أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد اللّه بن عمرو. وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال قيل لعمرو بن العاص. وقال محمّد بن عمرو عن أبي سلمة حدّثني عمرو بن العاص. قال البيهقي وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة. انفرد به البخاري. وقد رواه في أماكن من صحيحه وصرّح في بعضها بعبد اللّه بن عمرو بن العاص،

---

(١) هذا نص الحلبية بالزاي المعجمة وفي المصرية يهرون.

(٢) في ط: ذلك له.

(٣) في ط: فضرب.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير باب ٤٠، سورة المؤمن، وأحمد في المسند ٢/ ٢٠٤.

وهو أشبه لرواية عروة عنه، وكونه عن عمرو أشبه لتقدّم هذه القصّة. وقد روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس، عن محمّد بن إسحاق: حدّثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة. قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه على أمر عظيم ـ أو كما قال ـ قال فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى، فمرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال: «أَتسمعُونَ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَمَا وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبحِ»[(١)]. فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلاّ وكأنما على رأسه طائر رقع حتى أن أشدهم فيه وصاة[(٢)] قبل ذلك ليرفؤه[(٣)] حتى أنه ليقول انصرفُ أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه. حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لِمَا كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نَعَمْ أَنا الَّذي أَقُولُ ذَلِكَ» ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.

فصل في تاليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمّه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلّمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوّته

قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. قال قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلالٍ مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلاَّ مَا يُوارِي إِبطَ بِلالٍ»[(٤)]. وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث حمّاد بن سلمة به، وقال الترمذي: حسن

(١) في الحلبية: بالذبح مهملة. وفي ابن هشام: بالذبيح.
(٢) الوصاة: الوصية.
(٣) ليرفؤه: يرفأه: يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له.
(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع باب ٣٤، وابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٠.

صحيح. وقال محمّد بن إسحاق: وحدب[١] على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لدينه لا يردّه عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتبهم[٢] من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمّه أبو طالب قد حَدِب عليه وقام دونه فلم يُسْلمه لهم، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب، عتبة وشَيْبَة ابنا ربيعة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان صَخْر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البَختري - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والأسود بن المطّلب بن أَسَد بن عبد العزّى، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المُغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، والوليد بن المُغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مَخْزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي، ونُبيه ومنبّه، ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعيد [بن تميم][٣] بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم. قال ابن إسحاق أو من مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تُكفّه عنّا وإما أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خِلافه فنكفيكه؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شري[٤] الأمر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال تظاعنوا[٥]. وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذامروا[٦] فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم أنهم مشوا إلى أَبي طالب مرّة أخرى. فقالوا: يا أبا طالب إن لك سنًا وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنّا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه فعظم على أَبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا كذا وكذا الذي قالوا له، فأبقِ عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، قال فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمّه فيه بدو وأنه خاذله ومسلّمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال فقال له رسول الله ﷺ: «يَا عَمّ وَاللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالقَمَرَ فِي

(١) حدب: أي عطف عليه ورق له. وأصل الحدب: انحناء الظهر.

(٢) لا يعتبهم من شيء: أي لا يرضيهم، يقال استعتبني فأعتبته، أي أرضيته وأزلت العتاب عنه.

(٣) سقط في ط.

(٤) شري، أي كثر واشتد.

(٥) تظاعنوا: ارتحلوا.

(٦) تذامروا: حض بعضهم بعضاً.

يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ» قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ. فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له - فيما بلغني -: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد[1] فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك؟ وأسلِم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامنا فنقتله فإنما هو رجل برجل! قال: والله لبئس ما تسومونني[2]؟ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فتقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. قال فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلّص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك - أو كما قال - فحقب الأمر[3]، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، ونادى بعضهم بعضاً. فقال أبو طالب عند ذلك يعرّض بالمطعم بن عدي ويعُمّ من خذله من بني عبد مناف ومَنْ عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم: [الطويل]

أَلاَ قُلْ لِعَمْرٍو وَالوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ ... أَلاَ لَيْتَ حَظِّي مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ
مِنَ الخُورِ حَبْحَابٌ[4] كَثِيرٌ رُغَاؤُهُ ... يُرَشُّ عَلَى السَّاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ
تَخَلَّفَ خَلْفَ الوِرْدِ لَيْسَ بِلاَحِقٍ ... إِذَا مَا عَلاَ الفَيْفَاءَ[5] قِيلَ لَهُ وَبْرُ
أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأُمِّنَا ... إِذَا سُئِلاَ قَالاَ إِلَى غَيْرِنَا الأَمْرُ
بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تحرجما[6] ... كَمَا حَرْجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ الصَّخْرُ
أَخُصُّ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا نُبِذَ الجَمْرُ
هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوَيْهِمَا ... فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكُفُّهُمَا صِفْرُ
هُمَا أَشْرَكَا فِي المَجْدِ مَنْ لاَ أَبَا لَهُ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْ يُرَسَّ[7] لَهُ ذِكْرُ

---

(١) أنهد: أشد وأقوى. وأصل هذه الكلمة للتقدم، يقال: نهد ثدي الجارية، أي برز قدماً.

(٢) تسومونني: تكلفونني.

(٣) حقب: زاد واشتد، وهو من قولك: حقب البعير: إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضاً لشدّة الحقب على ذلك الموضع.

(٤) حبحاب: القصير الرميم والسيء الخلق.

(٥) الفيفاء: الصخرة الملساء.

(٦) تحرجما: حرجم: أي رد بعضها على بعض وجمعها.

(٧) يرسّ: يذكر، يقال رسست الحديث: إذا حدثت به في خفاء.

وَتَـيْـمٌ وَمَـخْـزُومٌ وَزُهْـرَةُ مِـنْـهُـمُ ... وَكَـانُـوا لَـنَـا مَـوْلَـى إذَا بُـغِـيَ الـنَّـصْـرُ
فَـوَالـلَّـهِ لاَ تَـنْـفَـكُّ مِـنَّـا عَـدَاوَةٌ ... وَلاَ مِـنْـكُـمُ مَـا دَامَ مِـنْ نَـسْـلِـنَـا شَـفْـرُ

قال ابن هشام: وتركنا منها بيتين أبدع(١) فيهما(٢).

فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على مَنْ في القبائل مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبتْ كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذّبونهم وَيَفْتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمّه أبي طالب. وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلاّ ما كان من أبي لهب عدو الله. فقال في ذلك يمدحهم ويحرّضهم على ما وافقوه عليه من الحدب والنصرة لرسول الله ﷺ: [الطويل]

إذَا اجْـتَـمَـعَـتْ يَـوْمـاً قُـرَيْـشٌ لِـمَـفْـخَـرٍ ... فَـعَـبْـدُ مَـنَـافٍ سِـرُّهَـا وَصَـمِـيـمُـهَـا(٣)
وَإنْ حُـصِّـلَـتْ أَشْـرَافُ عَـبْـدِ مَـنَـافِـهَـا ... فَـفِـي هَـاشِـمٍ أَشْـرَافُـهَـا وَقَـدِيـمُـهَـا
وَإنْ فَـخَـرَتْ يَـوْمـاً فَـإنَّ مُـحَـمَّـداً ... هُـوَ الْـمُـصْـطَـفَـى مِـنْ سِـرِّهَـا وَكَـرِيـمُـهَـا
تَـدَاعَـتْ قُـرَيْـشٌ غَـثُّـهَـا وَسَـمِـيـنُـهَـا ... عَـلَـيْـنَـا فَـلَـمْ تَـظْـفَـرْ وَطَـاشَـتْ حُـلُـومُـهَـا(٤)
وَكُـنَّـا قَـدِيـمـاً لاَ نُـقِـرُّ ظُـلاَمَـةً ... إذَا مَـا ثَـنَـوْا صُـعْـرَ الـرِّقَـابِ(٥) نُـقِـيـمُـهَـا
وَنَـحْـمِـي حِـمَـاهَـا كُـلَّ يَـوْمِ كَـرِيـهَـةٍ ... وَنَـضْـرِبُ عَـنْ أَحْـجَـارِهَـا مَـنْ يَـرُومُـهَـا
بِـنَـا انْـتَـعَـشَ الـعُـودُ الـزُّوَاءُ(٦) وَإنَّـمَـا ... بِـأَكْـنَـافِـنَـا تَـنْـدَى وَتُـنْـمَـى أُرُومُـهَـا

فصل: فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ، وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحقّ سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيّهم وضلالهم يتردّون. قال

(١) في ط: أقذع.
(٢) في هذه القطعة اختلاف بين الأصلين وبينهما مع ابن إسحاق وقد اجتهدنا أن يكون الأصل النسخة الحلبية إلا ما كان خطأ متعمداً فيه على ابن إسحاق فالبيت الخامس منها أثبتناه كما في الأصلين، وفي ابن إسحاق جرجما بدل تحرجما.
(٣) سرّها: وسطها. وصميمها: خالطها.
(٤) الغث: في الأصل، اللحم الضعيف فاستعاره هنا لمن ليس نسبه هنالك، وطاشت: ذهبت.
(٥) صعر الرقاب: الرقاب المائلة.
(٦) الزواء: تحريف للذواء هكذا في ابن هشام والذواء: الذي جفت رطوبته.

الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس ٩٦ ـ ٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣] وقد تكلّمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير ولله الحمد.

وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ـ وهو شيخ من أهل مصر يقال له: محمّد بن أبي محمّد ـ عن سعيد بن جُبَيْر وعكرمة عن ابن عبّاس. قال: اجتمع عليّة من أشراف قريش ـ وعدّد أسماءهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمّد فكلّموه، وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء، وكان حريصاً يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عنتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمّد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنّما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا[1] يسمون التابع من الجن الرئي ـ فربّما كان ذلك؛ بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلاَ الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلاَ المُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ. فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ فقالوا: يا محمّد فإن كنت غير قابل منّا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً، ولا أقل مالاً، ولا أشدّ عيشاً منا. فسل لنا ربّك الذي بعثك بما

(١) في ط: وكان.

بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوا عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك عمّا نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعايش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربّك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم: «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللَّه حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربّك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلاّ أن تفعل فقال: «ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ» فقالوا يا محمّد ما علم ربّك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمّد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نُهْلِكك أو تُهْلِكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلمّا قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد اللّه بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمّته عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال: يا محمّد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته بما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية، ألاّ يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب، كما قال الإمام أحمد: حدّثنا عثمان بن محمّد، حدّثنا جرير عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس. قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن

تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم. قال: «لاَ بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَاۚ﴾(١) [الإسراء: ٥٩] الآية. وهكذا رواه النسائي من حديث جرير. وقال أحمد: حدّثنا عبد الرَّحمٰن، حدّثنا سفيان عن سلمة بن كهيل، عن عمران بن حكيم عن ابن عبّاس. قال قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربّك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال: «وَتَفْعَلُوا؟» قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربّك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً. فمن كفر منهم بعد ذلك أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، قال: «بَلِ التَّوْبَةُ وَالرَّحْمَةُ»(٢). وهذان إسنادان جيّدان، وقد جاء مرسلاً عن جماعة(٣) من التابعين منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد.

وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك: حدّثنا يحيى بن أيوب عن عبيد اللّه بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن(٤) أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرضَ عَليَّ ربِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ لاَ يا رَبِّ أَشْبَعُ يَوْماً وأَجُوعُ يَوْماً ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ»(٥) لفظ أحمد. وقال الترمذي هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث. وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني شيخ من أهل مصر ـ قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة ـ عن عكرمة عن ابن عبّاس. قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما سلوهم عن محمّد وصفا لهم صفته وأخبروهم(٦) بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ فإن أخبركم بهنّ فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان [نبؤه]، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتّبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٥٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٤٢.

(٣) في ط: جماعته.

(٤) في الأصلين: القاسم بن أبي أمامة، وإنما هو القاسم بن عبد الرَّحمٰن مولى بني أمية الدمشقي ولم يرو عن أحد من الصحابة غيره.

(٥) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٣٥، وأحمد في المسند ٥/٢٥٤.

(٦) في ط: وأخبرهم.

فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمّد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبراهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أُخْبِرُكُمْ غداً بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ» ولم يستثن[1]. فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف[2] أهل مكة وقالوا: وعدنا محمّد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشقّ عليه ما يتكلّم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عزّ وجلّ بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم [وخبر] ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف، وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقد تكلّمنا على ذلك كلّه في التفسير مطوّلاً فمن أراده فعليه بكشفه من هناك. ونزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩] ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣] ثم ذكر قصة موسى لتعلّقها بقصّة الخضر، ثم ذي القرنين ثم قال ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [الكهف: ٨٣] ثم شرح أمره وحكى خبره. وقال في سورة سبحان ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي خلق عجيب من خلقه، وأمر من أمره، قال لها كوني فكانت. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه، وتصوير حقيقته في نفس الأمر لضعف علمكم[3] بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد ثبت في الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية[4] - فإما أنها نزلت مرّة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدّماً ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففي قوله نظر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ولما خشي أبو طالب دهم العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرم مكّة وبمكانه منها، وتودّد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم لرسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه. فقال: [الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لاَ وُدَّ فِيهِمُ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى[5] وَالْوَسَائِلِ

---

(١) أي لم يقل إن شاء الله.

(٢) أرجف القوم: خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء.

(٣) في ط: يصعب عليكم.

(٤) أخرجه البخاري في العلم باب ٤٧، ومسلم في المنافقين حديث ٣٢.

(٥) العرى: جمع عروة وهي ما يوثق به.

وَقَـدْ صَـارَحُـونَـا بِـالْـعَـدَاوَةِ وَالأَذَى | وَقَـدْ طَـاوَعُـوا أَمْـرَ الْـعَـدُوِّ الْـمُـزَايِـلِ[١]
وَقَـدْ حَـالَـفُـوا قَـوْمـاً عَـلَـيْـنَـا أَظِـنَّـةً | يَـعَـضُّـونَ غَـيْـظـاً خَـلْـفَـنَـا بِـالأَنَـامِـلِ
صَـبَـرْتُ لَـهُـمْ نَـفْـسِـي بِـسَـمْـرَاءَ سَـمْـحَـةٍ | وَأَبْـيَـضَ عَـضْـبٍ مِـنْ تُـرَاثِ الْـمُـقَـاوِلِ[٢]
وَأَحْـضَـرْتُ عِـنْـدَ الْـبَـيْـتِ رَهْـطِـي وَإِخْـوَتِـي | وَأَمْـسَـكْـتُ مِـنْ أَثْـوَابِـهِ بِـالْـوَصَـائِـلِ[٣]
قِـيَـامـاً مَـعـاً مُـسْـتَـقْـبِـلِـيـنَ رِتَـاجَـهُ[٤] | لَـدَى حَـيْـثُ يَـقْـضِـي حَـلْـفَـهُ كُـلُّ نَـافِـلِ[٥]
وَحَـيْـثُ يُـنِـيـخُ الأَشْـعَـرُونَ رِكَـابَـهُـمْ | بِـمُـفْـضَـى الـسُّـيُـولِ مِـنْ إِسَـافٍ وَنَـائِـلِ
مُـوَسَّـمَـةُ الأَعْـضَـادِ أَوْ قَـصَـرَاتِـهَـا | مُـخَـيَّـسَـةٌ بَـيْـنَ الـسَّـدِيـسِ وَبَـازِلِ[٦]
تَـرَى الْـوَدْعَ فِـيـهَـا وَالـرُّخَـامَ وَزِيـنَـةً | بِـأَعْـنَـاقِـهَـا مَـعْـقُـودَةً كَـالْـعَـثَـاكِـلِ[٧]
أَعُـوذُ بِـرَبِّ الـنَّـاسِ مِـنْ كُـلِّ طَـاعِـنٍ | عَـلَـيْـنَـا بِـسُـوءٍ أَوْ مُـلِـحٍّ بِـبَـاطِـلِ
وَمِـنْ كَـاشِـحٍ[٨] يَـسْـعَـى لَـنَـا بِـمَـعِـيـبَـةٍ | وَمِـنْ مُـلْـحِـقٍ فِـي الـدِّيـنِ مَـا لَـمْ نُـحَـاوِلِ
وَثَـوْرٍ وَمَـنْ أَرْسَـى ثَـبِـيـراً مَـكَـانَـهُ | وَرَاقٍ لِـيَـرْقَـى فِـي حِـرَاءٍ وَنَـازِلِ[٩]
وَبِـالْـبَـيْـتِ حَـقِّ الْـبَـيْـتِ مِـنْ بَـطْـنِ مَـكَّـةٍ | وَبِـالـلَّـهِ إِنَّ الـلَّـهَ لَـيْـسَ بِـغَـافِـلِ
وَبِـالْـحَـجَـرِ الْـمُـسْـوَدِّ إِذْ يَـمْـسَـحُـونَـهُ | إِذَا اكْـتَـنَـفُـوهُ[١٠] بِـالـضُّـحَـى وَالأَصَـائِـلِ
وَمَـوْطِـىءِ إِبْـرَاهِـيـمَ فِـي الـصَّـخْـرِ رَطْـبَـةً | عَـلَـى قَـدَمَـيْـهِ حَـافِـيـاً غَـيْـرَ نَـاعِـلِ
وَأَشْـوَاطٍ بَـيْـنَ الْـمَـرْوَتَـيْـنِ إِلَـى الـصَّـفَـا | وَمَـا فِـيـهِـمَـا مِـنْ صُـورَةٍ وَتَـمَـاثُـلِ
وَمَـنْ حَـجَّ بَـيْـتَ الـلَّـهِ مِـنْ كُـلِّ رَاكِـبٍ | وَمِـنْ كُـلِّ ذِي نَـذْرٍ وَمِـنْ كُـلِّ رَاجِـلِ
وَبِـالْـمَـشْـعَـرِ الأَقْـصَـى[١١] إِذَا عَـمَـدُوا لَـهُ | إِلَالَ إِلَـى مُـفْـضَـى الـشِّـرَاجِ[١٢] الْـقَـوَابِـلِ[١٣]

---

(١) المزايل: المفارق والمتباعد. (٢) عضب: قاطع، المقاول: الملوك.
(٣) الوصائل: ثياب حمر فيها خطوط، كان يكسى بها البيت.
(٤) رتاجه: بابه العظيم.
(٥) كل نافل: أي كل متبرىء، يقال: انتفل من كذا، إذا تبرأ منه.
(٦) موسمة: معلمة، ويقال لذلك الوسم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة أيضاً، وللذي في الفخذ. . . والقصرات: ج قصرة، وهي أصل العنق، وخفضها بالعطف على الأعضاد المخيسة: المذللة. السديس: الذي دخل في السنة الثامنة. والبازل: الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة.
(٧) العثاكل: الأعناق. وفي الأصل الفناكل.
(٨) الكاشح: العدو.
(٩) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.
(١٠) اكتنفوه: أحاطوا به.
(١١) المشعر الأقصى: عرفة.
(١٢) الشراج: الفسحة ما بين الشيئين.
(١٣) إلال: جبل بعرفات، أو جبل رمل عن يمين الإمام بعرفة.

وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الجِبَالِ عَشِيَّةً ... يُقِيمُونَ بِالأَيْدِي صُدُورَ الرَّوَاحِلِ
وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالمَنَازِلِ مِنْ مِنًى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ[1]
وَجَمْعٍ إِذَا مَا المُقْرَبَاتُ أَجَزْنَهُ ... سِرَاعاً كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ[2]
وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا ... يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِالجَنَادِلِ
وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالحِصَابِ[3] عَشِيَّةً ... تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ
حَلِيفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا احْتَلَفَا لَهُ ... وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الوَسَائِلِ
وَحَطْمِهِمُ سُمْرَ الرِّمَاحِ وَسَرْحَهُ ... وَشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَامِ الجَوَافِلِ[4]
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذٍ ... وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللَّهَ عَادِلِ
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ العِدَا وَدَّ أَنَّنَا ... يَسُدُّ بِنَا أَبْوَابَ تُرْكٍ وَكَابُلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ ... وَنَظْعَنُ إِلاَّ أَمْرُكُمْ فِي بَلاَبِلِ[5]
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَبْزِي مُحَمَّداً ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ[6]
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلاَئِلِ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بِالحَدِيدِ إِلَيْكُمُ ... نُهوضَ الرّوايا تحت ذات الصّلاصل[7]
وَحَتَّى نَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المُتَحَامِلِ[8]
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى ... لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيَافُنَا بِالأَمَاثِلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ[9] ... أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الحَقِيقَةِ بَاسِلِ
شُهُوراً وَأَيَّاماً وَحَوْلاً مُحَرَّماً ... عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ
وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ - لاَ أَبَا لَكَ - سَيِّداً ... يَحُوطُ الذِّمَارِ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ[10]

---

(١) جمع: المزدلفة، وسميت بذلك لاجتماع الناس بها.
(٢) المقربات: الخيل التي تقرب مرابطها من البيوت لكرمها. والوابل: المطر الشديد.
(٣) الحصاب: موضع رمي الجمار، مأخوذ من الحصباء، وهو مصدر نقل إلى المكان.
(٤) الحطم: الكسر. والسمر: من شجر الطلح، والرماح وردت في ابن هشام الصفاح: ج صفح وهو عرض الجبل ويقال أسفله حيث يسيل ماؤه. والسرح: شجر عظام ويقال: كل شجر لا شوك له. والشبرق: نبات يقال ليابسه الحلي، ولرطبه الشبرق، والوخد: السير السريع والجوافل: الذاهبة المسرعة.
(٥) البلابل: الوساوس والهموم.
(٦) نبزي: أي نسلبه ونغلب عليه والمراد هنا لا نبزي محمداً، فحذف لا من جواب القسم وتناضل: نرامي بالسهام.
(٧) الروايا: الإبل التي تحمل الماء والأسقية. والصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.
(٨) الضغن: العداوة، ركب ردعه: إذا خرّ صريعاً لوجهه. والأنكب المائل إلى جهة، والذي مشى على شق.
(٩) السميدع: السيد.
(١٠) الذمار: ما يلزمك حمايته، والذرب (مخففاً): الفاحش المنطق. والمواكل: الذي لا جد عنده فهو يكل أموره إلى غيره.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أُسَيْدٌ وَبِكْرُهُ إِلَى بُغْضِنَا وَجَزآنَا لآكِلِ
وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ[1] عَلَيْنَا وَقُنْفُذٌ وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ القَبَائِلِ
أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثُهُمْ وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلٍ وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضاً لَمْ يُجَامِلِ
فَإِنْ يُلْفَيَا أَوْ يُمْكِنِ اللَّهُ مِنْهُمَا نَكِلْ لَهُمَا صَاعاً بِصَاعِ المُكَايِلِ
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى وَمُصْبَحٍ فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ[2]
وَيُؤْلِي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِن يَغُشُّنَا بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ خَائِلِ[3]
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ أَخْشُبٍ فَمُجَادِلِ[4]
وَسَائِلْ أَبَا الوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا بِسَعْيِكَ فِينَا مُعْرِضاً كَالمُخَاتِلِ
وَكُنْتَ امْرَءاً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
فَعُتْبَةُ لاَ تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ[5]
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضاً كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاوِلِ
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ وَيَزْعَمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
وَيُخْبِرُنَا فِعْلَ المُنَاصِحِ أَنَّهُ شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ[6]
أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ وَلاَ مُعْظِمٍ عِنْدَ الأُمُورِ الجَلاَئِلِ
وَلاَ يَوْمَ خَصْمٍ إِذْ أَتَوْكَ أَلِدَّةً أُلِي جَدَلٍ مِنَ الخُصُومِ المَسَاجِلِ[7]
أَمُطْعِمُ إِنَّ القَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً وَإِنِّي مَتَى أُوكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

(١) لم يربع: لم يقم ولم يعطف.
(٢) خاتل: الخداع والمكر.
(٣) يؤلي: يقسم ويحلف.
(٤) التلعة: المشرف من الأرض، وأخشُب: ج أخشبين: وهما جبلان بمكة، والمجادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال.
(٥) الدغاول: الدواهي.
(٦) عارمات: الشديدات، ويروى عازمات أي التي عزم على إنقاذها. والدواخل: النمائم والإفساد بهن بين الناس. ويروى الذواحل: العداوات. مأخوذ من الذحل: الثأر.
(٧) المساجل: الذي يعارضونه في الخصومة ويغالبونه.

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يَخِيسُ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ(١)
لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلاَمُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضاً بِنَا وَالغَيَاطِلِ(٢)
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلُ قُصَيٍّ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوا وَأَلَّبُوا عَلَيْنَا العِدَى مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ(٣)
فَعَبْدُ مُنَافٍ أَنْتُمُ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ(٤)
لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِىءٍ لِلْمَفَاصِلِ(٥)
وَكُنْتُمْ حَدِيثاً حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمْ الآنَ حِطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ
لِيَهْنِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا وَخِذْلاَنُنَا وَتَرْكُنَا فِي المَعَاقِلِ
فَإِنْ نَكُ قَوْماً نَتَّئِرْ مَا صَنَعْتُمُوا وَتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ(٦)
[وَسَائِطَ كَانَتْ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقْرٍ حُلاَحِلِ
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى وَأَلأَمُ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ](٧)
فَأَبْلِغْ قُصَيّاً أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا وَبَشِّرْ قُصَيّاً بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلاً قُصَيّاً عَظِيمَةٌ إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي المَدَاخِلِ
وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْباً خِلاَلَ بُيُوتِهِمْ لَكُنَّا أُسَى عِنْدَ النِّسَاءِ المَطَافِلِ(٨)
فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنِ أُخْتٍ نُعِدُّهُ لَعَمْرِي وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرَ طَائِلِ
سِوَى أَنَّ رَهْطاً مِنْ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةٍ بَرَاءٌ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلِ
وهنّا لهم حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ وَيَحْسُرَ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلِ
وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السِّقَايَةِ فِيهِمُ وَنَحْنُ الكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالكَوَاهِلِ(٩)

(١) يخيس: لا ينقص، وعائل: الحائر.

(٢) قيضاً: عوضاً، والغياطل: بنو سهم، قيل سمّوا كذلك لأن رجلاً منهم قتل جاناً طاف بالبيت سبعاً، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التي أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة.

(٣) ألّبوا: اجتمعوا، والطمل: الرجل الفاحش، والفقير أيضاً.

(٤) الواغل: الداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع.

(٥) تخطىء للمفاصل: أي بعيد عن الجادة والصواب.

(٦) اللقحة: الناقة ذات اللبن، والباهل: الناقة التي لا صرار على أخلافها، فهي مباحة الحلب.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من ابن هشام في الموضعين.

(٨) المطافل: ذوات الأطفال.

(٩) الكدي: ج كدية، وهي الصفاة العظيمة الشديدة، يشبّهم بها في المنعة والعزّة، والكواهل: ج كاهل، وهو سند القوم وعهدتهم.

شَبَابٌ مِنَ المُطَيِّبِينَ وَهَاشِمٍ كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ
فَمَا أَدْرَكُوا ذُحْلاً وَلاَ سَفَكُوا دَماً وَلاَ حَالَفُوا إلاَّ شِرَارَ القَبَائِلِ
بِضَرْبٍ تَرَى الفِتْيَانَ فِيهِ كَأَنَّهُمْ ضَوَارِي أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ
بَنِي أَمَةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِكِيَّةٍ[1] بَنِي جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
وَلَكِنَّنَا نَسْلٌ كِرَامٌ لِسَادَةٍ بِهِمْ نُعِيَ الأَقْوَامُ عِنْدَ البَوَاطِلِ]
وَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ زُهَيْرٌ حُسَاماً مُفْرَداً مِنْ حَمَائِلِ
أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ البَهَالِيلِ يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ المَجْدِ فَاضِلِ
لعمري لَقَدْ كُلِّفتُ وَجْداً بِأَحْمَدٍ وَإِخْوَتِه دأب المُحِبِّ المُوَاصِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ إِذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إِلهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
كَرِيمُ المَسَاعِي مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ لَهُ إِرْثُ مَجْدٍ ثَابِتٌ غَيْرُ نَاصِلِ
وَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِيناً حَقُّه غَيْرُ زَائِلِ
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي المَحَافِلِ
لَكُنَّا تَبِعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدّاً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا وَلاَ يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرُومَةٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُه وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى وَالكَلاَكِلِ[2]

قال ابن هشام: هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطوّلة بزيادات أخر والله أعلم.

فصل

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب

(١) هندكي: (بكسر الهاء والدال): من أهل الهند.
(٢) الكلاكل: جمع كلكل وهو الصدر وما بين الترقوتين.

والجوع والعطش، وَبِرَمْضاء مكّة إذا اشتد الحرّ من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدّة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يُصلب لهم ويعصمه الله منهم، فكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح مولداً من مولديهم وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد ﷺ، وتعبد اللاّت والعزى فيقول: ـ وهو في ذلك ـ أحدٌ أحدٌ. قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذّب لذلك وهو يقول أحد أحد، فيقول أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنّه حنانا.

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ [المدثر: ١] فكيف يمر ورقة ببلال، وهو يعذب وفيه نظر. ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذّب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب، وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عميس[1] التي أصيب بصرها ثم ردّه الله تعالى لها، والنهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيّدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: حل يا أم فلان، فقالت حل أنت أفسدتهما فأعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا. قال قد أخذتهما وهما حرّتان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بني مؤمل ـ حيّ من بني عدي ـ كان عمر يضربها على الإسلام. قال ابن إسحاق: فحدثني محمّد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال: قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟ قال فقال أبو بكر: يا أبة إني إنما أريد ما أريد. قال: فتحدّث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلاّ فيه وفيما قال أبوه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] إلى آخر السورة. وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث عاصم بن بهدلة عن زر، عن ابن مسعود. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأمه سميّة، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأمّا رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه، وأبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلاّ وقد واتاهم على ما أرادوا إلاّ بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه

(١) كذا في الأصلين والصحيح أن الذي أصيب بصرها (زنيرة) وضبطها السهيلي بكسر الزاي وتشديد النون فكأنها سقطت من الناسخ لأن ابن هشام ذكرها بعد أم عميس.

فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد[١]. ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً.

قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة يعذّبونهم برمضاء مكة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول ـ فيما بلغني ـ: «صَبْراً آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمُ الجَنَّةُ» وقد روى البيهقي عن الحاكم، عن إبراهيم بن عصمة العدل، حدّثنا السري بن خزيمة، حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا هشام بن أبي عبيد الله عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ مرّ بعمّار وأهله وهم يعذّبون فقال: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةَ» فأما أمه فيقتلوها فتأبى إلاّ الإسلام. وقال الإمام أحمد حدّثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد. قال أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمّار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها، وهذا مرسل.

قال محمّد بن إسحاق: وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخزّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفّهنّ حلمك، ولنفلين رأيك، ولنضعنّ شرفك. وإن كان تاجراً قال والله لنكسدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به لعنه الله وقبحه. قال ابن إسحاق: وحدّثني حكيم بن جُبَيْر عن سعيد بن جُبَيْر قال قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون الله فيقول نعم! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم.

قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦] الآية. فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوّته.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش عن مسلم، عن مسروق، عن خباب بن الأرت. قال: كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته اتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧] إلى قوله: ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾[٢] أخرجاه في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الأعمش به. وفي لفظ البخاري كنت

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ١٩، ومسلم في المنافقين حديث ٣٦، وأحمد في المسند ٥/ ١١٠.

قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث. وقال البخاري: حدّثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدّثنا بنان وإسماعيل. قالا: سمعنا قيساً يقول سمعت خباباً يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسّد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّة، فقلت ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمر وجهه. فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عِظامه مِنْ لَحْم أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلك عَنْ دِينِه، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلى مَفْرق رأسه فَيشقّ باثْنَتَين مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينه، ولَيُتمنّ اللّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنعَاء إِلَى حَضرَمَوْت ما يَخَافُ إلاّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ» زاد بنان «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ» وفي رواية «ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[(١)] انفرد به البخاري دون مسلم. وقد روي من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هذا والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرّحمٰن عن سفيان وابن جعفر، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب، عن خباب. قال: شكونا إلى النبي ﷺ شدّة الرمضاء[(٢)] فما أشكانا ـ يعني في الصلاة ـ وقال ابن جعفر: فلم يشكنا[(٣)]. وقال أيضاً: حدّثنا سليمان بن داود، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق، قال: سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خباباً يقول: شكونا إلى رسول الله ﷺ الرمضاء فلم يشكنا، قال شعبة يعني في الظهيرة[(٤)]. ورواه مسلم والنسائي والبيهقي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حرّ الرمضاء. ـ زاد البيهقي في وجوهنا وأكفّنا ـ فلم يشكنا. وفي رواية شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا. ورواه ابن ماجه عن علي بن محمّد الطنافسي عن وكيع، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب العبدي، عن خباب. قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حرّ الرمضاء فلم يشكنا[(٥)]. والذي يقع لي ـ والله أعلم ـ أن هذا الحديث مختصر من الأول، وهو أنهم شكوا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحرّ الرمضاء، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيتقون بأكفهم، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدّم عن ابن إسحاق وغيره، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراهنة وأخبرهم عمن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم، ولا يصرفهم ذلك عن دينهم، ويبشّرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره في الأقاليم والآفاق، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلاّ الله عزّ وجلّ والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون. ولهذا قال

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٩.

(٢) الرمضاء: الحر الشديد.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/١١٠.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٠٨.

(٥) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٨٩، والنسائي في المواقيت باب ٢، وابن ماجه في الصلاة باب ٣، وأحمد في المسند ٥/١٠٨.

شكونا إلى رسول الله ﷺ حرّ الرمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي لم يدع لنا في الساعة الراهنة، فمن استدل بهذا الحديث على عدم الابراد أو على وجوب مباشرة المصلي بالكفّ كما هو أحد قولي الشافعي ففيه نظر والله أعلم.

باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجّة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وبغياً وحسداً[١] وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه: حدّثنا عبد الرزّاق عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمّداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعلم[٢] بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر. قال: إن هذا إلاّ سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٣] الآيات. هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمّد الصنعاني بمكة عن إسحاق به. وقد رواه حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً. فيه أنه قرأ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]. وقال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن أبي محمّد عن سعيد بن جبير ـ أو عكرمة عن ابن عباس ـ أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر المواسم فقال: إنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً. فقيل: يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال بل أنتم فقولوا وأنا أسمع. فقالوا: نقول: كاهن؟ فقال: ما هو بكاهن رأيت الكهان. فما هو بزمزمة[٣] الكهان. فقالوا: نقول مجنون؟ فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. فقال: نقول شاعر؟ فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه

(١) في ط: وحسداً وبغياً.

(٢) في ط: أعرف.

(٣) زمزمة: صوت الكهنة وهم يرتلون.

وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر؟ قال: ما هو بساحر قد رأينا السحّار وسحرهم، فما هو بنفثه[١] ولا بعقده. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنّ لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلاّ عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا هذا ساحر، فنقول هذا[٢] ساحر يفرق بين المرء ودينه، وبين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون للناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلاّ حذّروه إياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ الآيات وفي أولئك النفر ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩١ ـ ٩٣].

قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلّة عقلهم ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ. قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨].

وقال الإمام عبد بن حميد في مسنده: حدّثني أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا علي بن مسهر عن الأجلحَ هو ابن عبد اللّه الكنديّ عن الذيال بن حرملة الأسدي، عن جابر بن عبد اللّه. قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وعاب ديننا، فليكلّمه ولينظر ماذا يردّ عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمّد أنت خير أم عبد اللّه فسكت رسول الله ﷺ. فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلّم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة[٣] قط أشأم على قومه منك، فرّقت جماعتنا، وشتّت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً. والله ما ننتظر إلاّ مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى: أيها الرجل إن كان إنّما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «فَرَغْتَ؟» قال: نعم! فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت. ١ ـ ٣] إلى أن بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]». فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا؟ قال:

---

(١) نفثه: سحره.

(٢) في ط: فتقولوا هو.

(٣) سخلة: الولد المحبب إلى والديه.

«لا!» فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلّمونه إلاّ كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم! ثم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة. وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم، عن الأصم، عن عبّاس الدوري، عن يحيى بن معين، عن محمّد بن فضيل، عن الأجلح به. وفيه كلام، وزاد: وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت وعنده أنه لما قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم. فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلاّ صبأ إلى محمّد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاّ من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلاّ أنك صبوت إلى محمّد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمّد. فغضب وأقسم بالله لا يكلّم محمداً أبداً. وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصّ عليهم القصّة فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكفّ، وقد علمتم أن محمّداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب.

ثم قال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس، عن محمّد بن إسحاق، حدّثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمّد بن كعب، قال: حدّثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً حليماً. قال ـ ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد ـ: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ويكفّ عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والملك وغير ذلك! وقال زياد بن إسحاق فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمّد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكفّ عنا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال فقال له رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الوَلِيدِ اسْمَعْ». قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي

يأتيك رئياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة. قال له النبي ﷺ: «أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟» قال: نعم! قال: «اسمع مني»، قال: افعل! فقال رسول الله ﷺ: «﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾» فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: «سَمِعْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ؟» قال: سمعت. قال: «فَأَنْتَ وَذَاكَ» ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ [عظيم]، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم. ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو محمّد عبد اللّه بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمي بمكة حدّثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي، حدّثنا داود بن عمرو الضبّي، حدّثنا المثنى بن زرعة عن محمّد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر. قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم، واعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه، وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. ثم روى البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس، عن ابن إسحاق حدّثني الزهري. قال: حدّثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا. فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمّد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف

ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ما(١) سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدّقه. فقام عنه الأخنس بن شريق.

ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس، حدّثنا أحمد، حدّثنا يونس عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن المغيرة بن شعبة. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يَا أَبَا الحَكَم، هَلُمَّ(٢) إِلَى اللّه وَإِلَى رَسُولِهِ، أَدْعُوكَ إِلَى اللّه». فقال أبو جهل: يا محمّد، هل أنت منتهٍ عن سبّ آلهتنا؟ هل تريد إلاّ أن نشهد أنك قد بلّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلّغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك. فانصرف رسول الله ﷺ. وأقبل عليّ فقال: والله أني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن [يمنعني] شيء. إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم. ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم. ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تحاكّت الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ قال: أخبرنا أبو العباس محمّد بن يعقوب الأصم، حدّثنا محمّد بن خالد، حدّثنا أحمد بن خلف، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق. قال: مرّ النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيّكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منّا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منّا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله ﷺ يسمع. فأتاهما فقال: «أمّا أَنْتَ يا أَبا سُفيانَ، فما لِلّهِ وَرَسُولِهِ غَضِبْتَ ولكِنَّكَ حَمِيتَ لِلأَصْلِ. وأَمّا أَنْتَ يا أَبَا الحَكَمِ، فَوَاللّهِ لَتَضْحَكَنَّ قَلِيلاً وَلَتَبْكِيَنَّ كَثِيراً» فقال: بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوّتك. هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل ـ لعنه الله ـ كما قال الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: ٤١ ـ ٤٢].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هشيم، حدّثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع

---

(١) في ط: ماذا.

(٢) في ط: هلك.

ذلك المشركون سبّوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال: فقال الله تعالى لنبيّه محمّد ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (١) [الإسراء: ١١٠]. وهكذا رواه صاحبا الصحيح من حديث أبي بشر جعفر بن أبي حية به.

وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن - وهو يصلي - تفرّقوا عنه وأبو أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع، دونهم فَرَقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرّقوا عنك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع، فينتفع به ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

باب هجرة من هاجر [من](٢) أصحاب رسول الله ﷺ، من مكة إلى أرض الحبشة، فراراً بدينهم [من الفتنة](٣)

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد. والإهانة البالغة. وكان الله عزّ وجلّ قد حجرهم عن رسوله ﷺ، ومنعه بعمّه أبي طالب، كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة. وروى الواقدي أن خروجهم إليها [كان](٤) في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة، وهم عثمان بن عفّان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة، وامرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوّام، ومُصعب بن عمير، وعبد الرَّحمٰن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة، وأبو سَبْرة بن أبي رهم، و[يقال بل أبو](٥) حاطب بن عمرو(٦)، وسهيل ابن بيضاء، وعبد اللّه بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن جرير وقال آخرون بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً، سوى نسائهم وأبنائهم، وعمّار بن ياسر، نشك فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً.

وقال محمّد بن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٤٤، ومسلم في الصلاة حديث ١٤٥، والترمذي في تفسير القرآن باب ١٨، من سورة بني إسرائيل، وأحمد في المسند ١/ ٢١٥.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

(٥) سقط في ط.

(٦) التصحيح عن ابن هشام والإصابة.

هو فيه من العافية، بمكانه من الله عزّ وجلّ، ومن عمّه أَبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ؟ فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ ـ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ» فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفّان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. وكذا روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى[١] عن الحسن بن زياد البرجمي حدّثنا قتادة. قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفّان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول سمعت أبا حمزة ـ يعني أنس بن مالك ـ يقول: خرج عثمان بن عفّان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمّد قد رأيت ختنك ومعه امرأته. قال: «عَلَى أَيِّ حالٍ رَأَيْتَهُمَا؟» قالت رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: «صَحِبَهُمَا اللَّهُ، إِنَّ عُثْمانَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِه بَعْدَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ».

قال ابن إسحاق: وأَبو حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ـ وولدت له بالحبشة محمّد بن أَبي حذيفة ـ والزبير بن العوّام، ومصعب بن عمير، وعبد الرَّحمٰن بن عوف، وأَبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أَبي أمية بن المغيرة ـ وولدت له بها زينب ـ وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة ـ حليف آل الخطاب، وهو من بني عنز بن وائل وامرأته ليلى بنت أَبي حثمة، وأَبو سبرة بن أَبي رهم العامري، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ـ ويقال أَبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ـ وهو أول من قدمها فيما قيل ـ وسهيل ابن بيضاء. فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني. قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أَبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له بها عبد اللّه بن جعفر. وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.

وقد زعم موسى بن عقبة أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أَبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب، وفي هذا نظر والله أعلم. وزعم أن خروج جعفر بن أَبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها. وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا، فلما قدموا مكّة ـ وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون ـ فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة. وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الثانية ـ كما سيأتي بيانه.

(١) في ز و ط: عن يونس بن عيسى.

قال موسى بن عقبة: وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً. وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم. لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً، وهو المقدّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره، كما سنورده مبسوطاً. ثم إن ابن إسحاق سرد الخارجين صحبة جعفر رضي الله عنهم. وهم عمرو بن سعيد بن العاص، وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق الكناني، وأخوه خالد، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعي. وولدت له بها سعيداً، وأمه التي تزوجها بعد ذلك الزبير، فولدت له عمراً وخالداً. قال وعبد الله بن جحش بن رئاب، وأخوه عبيد الله، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة، وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان، ومعيقيب بن أبي فاطمة، وهو من موالي سعيد بن العاص. قال ابن هشام: وهو من دوس. قال وأبو موسى [الأشعري] عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة. وسنتكلم معه في هذا. وعتبة بن غزوان، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد، وسويبط بن سعد بن حريملة، وجهم بن قيس العبدوي، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمة، وولداه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزهري، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة. وولدت بها عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن الأسود، والحارث بن خالد بن صخر التيمي، وامرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وشمّاس بن عثمان بن الشريد المخزومي - قال وإنما سمي شماساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة - وهو من حلفاء بني مخزوم.

قال: وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلل، وابناه منها محمّد والحارث، وأخوه خطاب، وامرأته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر بن حبيب، وامرأته حسنة، وابناه منها جابر وجنادة، وابنها من غيره. وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد الغوث ابن مزاحم بن تميم، وهو الذي يقال له شرحبيل ابن حسنة، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث

ومعمر والسائب وبشر وسعيد ابناء الحارث وسعيد بن قيس بن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التميمي، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم، وحليف لبني سهم: وهو محمية بن جزء الزبيدي، ومعمر بن عبد الله العدوي، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة بن عبد العزى، وابنه النعمان، وعبد الله بن مخرمة العامري، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمرو، وأخوه السكران، ومعه زوجته سودة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة، وامرأته عمرة بنت السعدي، وأبو حاطب بن عمرو العامري، وحليفهم سعد بن خولة ـ وهو من اليمن، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح الفهري، وسهيل ابن بيضاء ـ وهي أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة، وعثمان بن عبد غنم بن زهير أخوات، وسعيد بن عبد قيس بن لقيط، وأخوه الحارث الفهريون[١].

قال ابن إسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها ـ ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمّار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.

قلت: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جداً. وقد قال الإمام أحمد حدّثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى فأتوا النجاشي. وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: إن نفراً من بني عمّنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا. قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلّم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلاّ لله عزّ وجلّ قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلاّ لله عزّ وجلّ وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمّه؟ قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله ﷺ. وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي

---

(١) وقع اختلاف بين الأصلين وبينهما وبين السيرة لابن هشام في أسماء المهاجرين وعددهم وحيث المؤلف أسند النقل عن ابن إسحاق فما وافق أحد الأصلين مع ابن هشام اعتمدناه.

بشّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه. وأمر بهدية الآخرين فردّت إليهما، ثم تعجّل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً. وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته[1]. وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن. وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره مدرجاً من بعض الرواة والله أعلم. وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر.

فقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا محمّد بن زكريا الغلابي، حدّثنا عبد اللّه بن رجاء، حدّثنا إسرائيل. وحدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا محمّد بن زكريا، حدّثنا الحسن بن علوية القطان، حدّثنا عباد بن موسى الختلي، حدّثنا إسماعيل بن جعفر، حدّثنا إسرائيل. وحدّثنا أبو أحمد، حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن شيرويه، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدّثنا عُبَيد اللّه بن موسى، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية، فقبلها وسجدا له ثم قال عمرو بن العاص: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. قال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالا: نعم! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد. أنا خطيبكم اليوم، فانتهينا إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره. والقسيسون جلوس سماطين[2]. وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلاّ لله عزّ وجلّ. فلما انتهينا إلى النجاشي قال: ما منعك أن تسجد؟ قال: لا نسجد إلاّ لله. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسولاً - وهو الرسول الذي بشّر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر، ولم يفرضها ولد. فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد[3] هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشّر به عيسى. ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبّل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. وقال ردّوا على هذين

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٦١.

(٢) سماطين: صفين.

(٣) في ط: يزيدون.

هديتهما، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلا في البحر، فشربا ومع عمرو امرأته، فلما شربا قال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني. فقال له عمرو: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك، فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش. وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عُبَيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله: فأمر لنا بطعام وكسوة.

قال: وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جدّه أبي بردة عن أبي موسى: أنهم بلغهم مخرج رسول الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمره جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق والله أعلم.

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة. حدّثنا محمّد بن العلاء، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فأقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي ﷺ حين افتتح خَيْبَر، فقال النبي ﷺ: «لَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»(١) وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن بَرَّاد [بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى] كلاهما عن أبي أسامة به، ورواه في مواضع أخر مطولاً.

وأما قصّة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من تاريخه من رواية [نفسه، ومن رواية](٢) عمرو بن العاص. وعلى يديهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً. رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي، عن أبي الحسين بن النقور، عن أبي طاهر المخلص، عن أبي القاسم البغوي. قال حدّثنا أبو عبد الرّحمٰن الجعفي، عن عبد الله بن عمر بن أبان، حدّثنا أسد بن عمرو البجلي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه. قال: بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له ـ ونحن عنده ـ: قد صار إليك ناس من سفلتنا

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٣٧، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٩.

(٢) سقط في أ والمثبت من ط.

وسفهائنا، فادفعهم إلينا، قال: لا حتى أسمع كلامهم. قال فبعث إلينا فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدّقناه. فقال لهم النجاشي أعبيدهم لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلكم عليهم دين؟ قالوا: لا. قال: فخلوا سبيلهم. قال: فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، قال ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قلنا: يقول: هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال فأرسل فقال ادعوا لي فلان القس، وفلان الراهب. فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال أيؤذيكم أحداً؟ قالوا: نعم! فنادى مناد من آذى أحداً منهم فاغرموه أربعة دراهم، ثم قال أيكفيكم؟ قلنا: لا، فأضعفها. قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدّثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فردّنا. قال: نعم! فحملنا وزودنا. ثم قال أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وقل له يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال: «ما أدْرِي أنا بفتحِ خيبرَ أفرحُ أمْ بقُدومِ جعْفرٍ؟» ووافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا؟ فقال نعم [ما][(1)] فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزوّدنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال لي قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرّات: «اللّهمّ اغفرْ للنّجاشي» فقال المسلمون آمين. ثم قال جعفر فقلت للرسول انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ. ثم قال ابن عساكر: حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرّحمٰن بن حارث بن هشام، عن أم سلمة رضي الله عنها. أنها قالت: لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمّه [ما][(2)] يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنّ بأرْضِ الحبشةِ ملكاً لا يُظلَمُ أحدٌ عِندهُ فالحقوا ببلادِهِ حتّى يجعلَ اللّهُ لكمْ فرجاً ومَخْرجاً ممّا أنْتمْ فيه» فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً. فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، غاروا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدعوا منهم رجلاً

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: لا.

إلاّ هيئوا له هدية على حدة، وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطريق هديّته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردّهم عليكم قبل أن يكلّمهم فافعلوا. فقدما عليه فلم يبق بطريق من بطارقته إلاّ قدموا إليه هديته، فكلّموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلّمناه فأشيروا عليه بأن يفعل فقالوا نفعل. ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهدون إليه من مَكة الأدم ـ وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج ـ فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له: أيها الملك: إن فيتة منّا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مُبتدع لا نعرفه، وقد لجئوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم، فإنهم أعلا بهم عيناً، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك. فغضب ثم قال: لا لعمر الله! لا أردهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلّمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجئوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعم عينا.

[وذكر موسى بن عقبة أن أمراءه أشاروا عليه بأن يردّهم إليهم. فقال: لا والله! حتى أسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه؟ فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحدّثوني ما لكم لا تحيوني كما يحيّيني من أتانا من قومكم؟ فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا نعبد الله لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدّقناه وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكذّبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى. قال جعفر: وأما التحيّة فإن رسول الله ﷺ أخبرنا «أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الجَنَّةِ السَّلاَمُ»، وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس في حين رد علي ملكي فأطع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك. وقال يونس عن ابن إسحاق][1] فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمرو بن العاص وعبد اللّه بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم، فلما جاءهم

(١) ما بين المعكوفين زيادة عن النسخة المصرية.

رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا ماذا تقولون؟ فقالوا وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا [الدين][١] الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية، ولا نصرانية [في هذا الدين][٢]. فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسيء الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحلّ شيئاً ولا نحرّمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمي الجوار ونصلي لله عزّ وجلّ، ونصوم له، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم[٣] والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال ـ فعدوا عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما [حرّم][٤] علينا وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا[٥] عن ديننا ليردونا[٦] إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله. فقال له جعفر: نعم! قال: هلم فاتل علي مما جاء به، فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ فبكى والله النجاشي حتى أخضلت[٧] لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة[٨] التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا أردّهم عليكم ولا أنعمكم عيناً. فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد اللّه بن ربيعة. فقال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما استأصل به خضراءهم[٩]، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يُعبد عيسى ابن مريم عبد.

(١) سقط في أ.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: الأرحام.
(٤) سقط في ط.
(٥) في ط: ليفتنونا.
(٦) في ط: ويردونا.
(٧) اخضل: ندي.
(٨) المشكاة: قال في لسان العرب: «وفي حديث النجاشي: إنما يخرج من مشكاة واحدة، والمشكاة: الكوة غير النافذة، وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى وانهما من شيء واحد».
(٩) خضراءهم: أي شجرتهم التي منها تفرعوا.

فقال له عبد اللّه بن أبي ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا[١] فإن لهم رحماً ولهم حقاً. فقال: والله لأفعلن! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسَلْهم عنه. فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض ماذا تقولون له في عيسى إن هو يسألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه، فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العويد. فتناخرت[٢] بطارقته. فقال: وإن تناخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم[٣] في الأرض ـ السيوم الآمنون في الأرض، من سبّكم غُرِم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ثلاثاً ما أحب أن لي دَبراً وإني آذيت رجلاً منكم ـ والدبر بلسانهم الذهب. وقال زياد عن ابن إسحاق ما أحب أن لي دبراً من ذهب. قال ابن هشام: ويقال دبراً وهو الجبل بلغتهم. ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه. ردّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها. واخرجا من بلادي فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به. قالت: فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم نشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزنّا قط هو أشد منه، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعوا الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون؟ وقال الزبير ـ وكان من أحدثهم سناً ـ أنا، فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم خرج[٤] يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الوقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه. فجاءنا الزبير فجعل يليح لنا بردائه ويقول ألا فأبشروا، فقد أظهر الله النجاشي. قلت: فوالله ما علمنا [أننا] فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا [راجعاً][٥] إلى مكة، وأقام من أقام.

قال الزهري: فحدَّثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة. فقال عروة: أتدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه؟ فقلت: لا! ما حدَّثني ذلك أبو بكر بن عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة. فقال عروة: فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلاً ولم يكن لأب النجاشي ولد غير النجاشي، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملّكنا أخاه فإن له اثنا عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك،

---

(١) في ط: خالفوا.

(٢) تناخر: مد صوته.

(٣) سيوم: آمنون.

(٤) في ط: فجعل.

(٥) سقط في ط.

لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف، فعدوا عليه فقتلوه وملّكوا أخاه. فدخل النجاشي بعمّه حتى غلب عليه فلا يدبّر أمره غيره، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمّه قالوا قد غلب هذا الغلام على أمر عمّه فما نأمن أن يملكه علينا، وقد عرف أنا قتلنا أباه، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلاّ قتله، فكلّموه فيه فليقتله أو ليخرجنه من بلادنا، فمشوا إلى عمّه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتى منك، وقد عرفت أنا قتلنا أباه وجعلناك مكانه، وإنا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فأما أن تقتله وأما أن تخرجه من بلادنا. قال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم. بل اخرجه من بلادكم. فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجّار قذفه في سفينة بستمائة درهم أو بسبعمائة. فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمّه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون[١] ليس في أحد منهم خير فمرج[٢] على الحبشة أمرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فادركوه قبل أن يذهب، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه[٣] فردّوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملّكوه، فقال التاجر: ردّوا عليّ مالي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نعطيك. فقال: إذاً والله لأكلّمنه، فمشى إليه فكلّمه، فقال: أيها الملك إني ابتعت غلاماً فقبض مني الذي باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي، ولم يردّوا عليّ مالي، فكان أول ما خبر به من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردنّ عليه ماله، أو لتجعلنّ يد غلامه في يده فليذهبن به حيث شاء. فقالوا: بل نعطيه ماله، فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فآخذ الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه.

وقال موسى بن عقبة: كان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات والنجاشي غلام صغير، فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجّار فمات عمّه من ليلته ومضى[٤]، فردّت الحبشة النجاشي حتى وضعوا التاج على رأسه هكذا ذكره مختصراً، وسياق ابن إسحاق أحسن وأبسط فالله أعلم. والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد اللّه بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة، وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضاحكوا يوم وضع سلا الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة. وهكذا تقدّم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه، وعمارة كان شاباً حسناً، فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص، فألقى عمراً في البحر ليهلكه فسبح حتى رجع إليها. فقال له عمارة: لو

(١) المحمق: الساخط.
(٢) مرج: قلق واختلط.
(٣) في ط: فأدركوه.
(٤) في ط: وقضى.

أعلم أنك تحسن السباحة لما ألقيتك، فحقد عمرو عليه، فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي، فكأن[١] عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو، فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش[٢]. ـ وقد ذكر الأموي ـ قصته[٣] مطولة جداً، وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب، وأنه تقصده بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول أرسلني أرسلني وإلاّ مت، فلما لم يرسله مات من ساعته فالله أعلم. وقد قيل أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأول مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو، وعبد اللّه بن أبي ربيعة. نص عليه أبو نعيم في الدلائل والله أعلم. وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر قاله الزهري، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يجبهم النجاشي رضي الله عنه وأرضاه إلى شيء مما سألوا فالله أعلم.

وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق: أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشي أبياتاً يحضّه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ[٤] جَعْفَرٌ ... وَعَمْرٌو وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الأَقَارِبُ
وَمَا نَالَتْ أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَراً ... وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ
تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ مَاجِدٌ ... كَرِيمٌ فَلاَ يَشْقَى إِلَيْكَ الْمُجَانِبُ
وَنَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً ... وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَا بِكَ لاَزِبُ[٥]

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قال: إنما كان يكلّم النجاشي عثمان بن عفّان رضي الله عنه، والمشهور أن جعفراً هو المترجم رضي الله عنهم. وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور، ورواه أبو داود عن محمّد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل، عن محمّد بن إسحاق به لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور[٦]. وقال زياد عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني جعفر بن محمّد عن أبيه. قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً. وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له. فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق

---

(١) في ط: وكان.
(٢) في ط: الوحش.
(٣) في ط: قصة.
(٤) النأي: البعد.
(٥) لازب: ثابت.
(٦) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٢٩.

الناس بكم؟ قالوا: بلى! قال: فكيف رأيتم سيرتي[١] فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبده ورسوله. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله. فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه -: وهو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلّى عليه واستغفر له. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبّر أربع تكبيرات[٢]. وقال البخاري: موت النجاشي حدّثنا أبو الربيع، حدّثنا ابن عيينة عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر. قال قال رسول الله ﷺ - حين مات النجاشي -: «مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أصْحمة»[٣]. وروي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد، وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية مصحمة وهو أصحمة بن أبحر[٤] وكان عبداً صالحاً لبيباً زكياً وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه. وقال يونس عن ابن إسحاق اسم النجاشي مصحمة وفي نسخة صححها البيهقي أصحم وهو بالعربية عطية قال وإنما النجاشي اسم الملك: كقولهم[٥] كسرى، هرقل.

قلت: كذا ولعله يريد به قيصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك الفرس، وفرعون علم لمن ملك مصر كافة، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشحر، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك اليونان، وقيل الهند وخاقان لمن ملك الترك. وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه ﷺ. قالوا: فالغائب إن كان قد صلي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى؟ ولهذا لم يصل النبي ﷺ في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلي عليه فيها فالله أعلم.

قلت: وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر[٦] التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر، ولهذا روي أن النبي ﷺ قال: «وَاللَّهِ ما أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسَرُّ بِفَتْحِ

---

(١) في ط: أنتم بسيري.
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٥٤، ومسلم في الجنائز حديث ٦٢، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٩.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٣٨، ومسلم في الجنائز حديث ٦٥، وأحمد في المسند ٣/ ٣١٩.
(٤) في ط: بحر.
(٥) في ط: كقولك.
(٦) كذا في الأصلين: ولعل العبارة: في السنة التي. إلخ.

خيْبَرَ أَمْ بِقُدُوم جَعْفَر بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أَبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر وهدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو نختترا أو ذو مخمرا أرسله ليخدم النبي ﷺ عوضاً عن عمّه رضي الله عنهما وأرضاهما. وقال السهيلي: توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة وفي هذا نظر والله أعلم. وقال البيهقي أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم الطوسي، حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا هلال بن العلاء الرقّي، حدّثنا أبي العلاء بن مدرك، حدّثنا أبو هلال بن العلاء عن أبيه، عن أبي غالب، عن أبي أمامة. قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصحابنا[1] مُكْرِمِين وإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكافِيهِمْ». ثم قال وأخبرنا أبو محمّد عبد اللّه بن يوسف الأصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي حدّثنا هلال بن العلاء، حدّثنا أبي، حدّثنا طلحة بن زيد عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة. قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصْحابِنا مُكْرِمِينَ وإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُكافِيهِمْ». تفرّد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي. وقال البيهقي: حدّثنا أبو الحسين بن بشران، حدّثنا أبو عمرو بن السماك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، حدّثنا الحميدي، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرو. قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي.

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد اللّه بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردّهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر ابن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة[2] لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى غاظوا قريشاً فكان عبد اللّه بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلّينا معه. قلت: وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر بن الخطاب[3]. وقال زياد البكائي: حدّثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم. قال قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

---

(١) في ط: لأصحابي.

(٢) شكيمة: أنفة.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٦، ومناقب الأنصار باب ٣٥.

قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة. حدثني عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن عبد اللّه بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد اللّه بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد اللّه بنت أبي خيثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر حتى وقف[١] عليّ وهو على شركه، فقالت وكنا نلقى منه أذى لنا وشدّة علينا، قالت: فقال إنه الانطلاق يا أم عبد اللّه، قلت: نعم! والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت فقال: صحبكم الله ورأيت له رِقة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه فيما أرى خروجُنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك، فقلت له يا أبا عبد اللّه لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا قال: أطمعت في إسلامه قالت: قلت: نعم! قال: لا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمار الخطّاب، قالت: فأساء[٢] منه، لما كان يُرى من غلظته وقَسْوته على الإسلام.

قلت: هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهمّ إلاّ أن يقال إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين، ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق ههنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه، وسياقها فإنه قال: وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد اللّه النحّام رجل من بني عدي قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمّه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصدّيق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقيه نعيم بن عبد اللّه فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمّداً هذا الصابي الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمّداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال: وأي أهل بيتي، قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمّداً ﷺ على دينه، فعليك بهما، فرجع عمر عامداً[٣] إلى أخته فاطمة وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقريها إياها، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع[٤] لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت

---

(١) في ط: فوقف.
(٢) في ط: يأساً.
(٣) في ط: عائداً.
(٤) المخدع: البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير.

الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت[١] قراءة خباب عليها: فلما دخل قال: ما هذه الهينمة[٢] التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما بايعتما[٣] محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى[٤]، وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم[٥] آنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمّداً؟ وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنّها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت: يا أخي أنت[٦] نجس على شركك، وإنه لا يمسّه إلاّ المطهّرون، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها، فلما قرأ منها صدراً. قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بِأَبِي الحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ـ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ» فالله الله يا عمر فقال عند ذلك: فدلّني يا خباب على محمّد حتىّ آتيه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشّحاً[٧] بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشّحاً بالسيف، فقال حمزة فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: «إيذَنْ لَهُ» فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته[٨] أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة فقال: «مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً»[٩]، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، فتفرّق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا[١٠] أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوّهم، قال ابن إسحاق: فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد اللّه بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد

---

(١) في ط: الباب.
(٢) الهينمة: صوت كلام لا يفهم.
(٣) في ط: تابعتما.
(٤) ارعوى: رجع.
(٥) في ط: كنتم.
(٦) في ط: إنك.
(٧) في ط: فإذا هو بعمر متوشح.
(٨) الحجزة: موضع شد الإزار.
(٩) قارعة: نكبة مهلكة.
(١٠) في ط: وعلموا.

وعمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبّها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة[١] فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً، فقلت لو أني جئت فلاناً الخمّار لعلّي أجد عنده خمراً فأشرب منها، فخرجت فجئته فلم أجده، قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت سبعاً أو سبعين، قال فجئت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلّى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاّه بين الركنين الأسود واليماني، قال: فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمّد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت لئن دنوت منه لاستمع منه لأروعنه. فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلاّ ثياب الكعبة. قال: فلمّا سمعت القرآن رقّ له قلبي وبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته، ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ـ وكان مسكنه في الدار الرقطاء[٢] التي كانت بيد معاوية ـ. قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته، فلما سمع حسّي عرفني، فظن أني إنما اتبعته لأوذيه، فنهمني[٣] ثم قال: «مَا جَاءَ بِكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قال: قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله. قال فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «قَدْ هَدَاكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ» ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته. قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان.

قلت: وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطوّلاً في أول سيرته التي أفردتها على حدة ولله الحمد والمنّة.

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لمّا أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه، قال عبد اللّه وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ـ وأنا غلام أعقل كلما رأيت ـ حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمّد ﷺ؟ قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلا صوته يا معشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن ابن الخطاب قد صبا. قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال وطلح[٤] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو

(١) الحزورة: بفتح الحاء وسكون الزاي وفتح الواو: سوق مكة.

(٢) الرقطاء: التي فيها ألوان.

(٣) النهم: الزجر والنهيم زجر الأسد. حكاه السهيلي.

(٤) وطلح: أي أعيي كذا في النهاية في تفسيره هذا الخبر.

تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلّة حبرة[١] [وعليه][٢] قميص موشّى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر، قال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة مَنْ الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي، وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أُحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم.

وقال البيهقي: **حدّثنا** الحاكم، أَخبرنا الأصم، أَخبرنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس عن ابن إسحاق. قال: ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة ـ أو قريب من ذلك ـ من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه في المجلس، فكلّموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عمّا أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزّ وجلّ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدّقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال: خيّبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم، ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدّقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم ـ أو كما قال ـ قالوا لهم: فقالوا[٣] سلام عليكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً. فيقال إن النفر من نصارى نجران، والله أعلم أي ذلك كان. ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

فصل

فصل: قال البيهقي في الدلائل: باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، ثم روي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار عن يونس، عن ابن إسحاق. قال: . هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِي [بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول

---

(١) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٢) سقط في ط.

(٣) في ط: لا نجاهلكم.

الله إلى الأَصْحَم][(١)] عَظِيم الحَبَشَةِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُهُ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَى مِنْ قَوْمِكَ.

هكذا ذكره البيهقي بعد قصّة هجرة الحبشة، وفي ذكره ههنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ قبيل الفتح، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي. قال الزهري: كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة؛ يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران، وهي مدنية بلا خلاف، فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة. فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه إلى النجاشي الأصحم لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم.

وأنسب من هذا ههنا ما ذكره البيهقي أيضاً عن الحاكم عن أبي الحسن محمّد بن عبد الله الفقيه ـ بمرو ـ حدّثنا حماد بن أحمد، حدّثنا محمّد بن حميد، حدّثنا سلمة بن الفضل عن محمّد بن إسحاق. قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِي الأَصْحَمِ مَلِكِ الحَبَشَةِ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ المَلِكَ القُدُّوسَ المُؤْمِنَ المُهَيْمِنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ البَتُولِ الطَّاهِرَةِ الطَّيِّبَةِ الحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخَتِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفْخِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَالمُوَالاَةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتْبَعَنِي فَتُؤْمِنَ بِي وَبِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَراً وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَإِذَا جَاؤُوكَ فَأَقْرِهِمْ وَدَعِ التَّجَبُّرَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَد بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى». فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمّد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً

(١) في المصرية: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى. . . الخ وقوله: الأصحم كذا في الأصلين، وقد تقدم إنه أصحمة (اسم النجاشي).

ومصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلاّ نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق.

فصل في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتحالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وحصرهم إياهم في شعب أَبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، وأجمعوا على ذلك. اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلاّ بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ، فكان أَبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال كانت معلّقة في سقف البيت فلم تترك اسماً لله فيها إلاّ لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عزّ وجلّ رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب. فقال أَبو طالب: لا والثواقب[1] ما كذّبني فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو

(١) الثواقب: النجوم المضيئة.

حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ. فتكلّم أَبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله[١] أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعاً إليهم فوضعوها بينهم. وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم. فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نَصَف، إن ابن أخي أخبرني ـ ولم يكذبني ـ أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلّمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم. قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا والله إن كان هذا قط إلاّ سحر من صاحبكم، فارتكسوا[٢] وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم إن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت[٣] والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم، طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أَبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي ـ في رجال من أشرافهم ووجوههم: نحن برءاء مما في هذه الصحيفة. فقال أَبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضي بليل وأنشأ أَبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي.

قال البيهقي: وهكذا روى شيخنا أبو عبد اللّه الحافظ ـ يعني من طريق ابن لهيعة عن أَبي الأسود عن عروة بن الزبير ـ يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله ـ وقد تقدم عن موسى بن عقبة أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك فالله أعلم.

---

(١) في ط: فعله.

(٢) ارتكسوا: انتكسوا.

(٣) الجبت: السحر.

قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً، فذكرها ههنا أنسب والله أعلم. ثم روى البيهقي من طريق يونس عن محمّد بن إسحاق. قال: لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم اتقوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمّد؛ اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب [كتاباً](١) أن لا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً، ثم ذكر القصّة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد، حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون(٢) من وراء الشعب من الجوع، حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة، وذكروا أن الله برحمته أرسل على صحيفتهم(٣) الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو لله إلاّ أكلته، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمّه أبو طالب، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم.

وقال ابن هشام عن زياد عن محمّد بن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، فاجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه. وقال الواقدي: كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي.

قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق، وهو الذي شلّت يده فما كان ينتفع بها وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة. قال الواقدي: وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة. قال ابن إسحاق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم. وحدّثني حسين بن عبد

---

(١) سقط في ط.

(٢) يتضاغون: يتضورون جوعاً.

(٣) في ط: صحيفة قريش.

الله: أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً. فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها؟ قالت: نعم! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قال ابن إسحاق: وحدثت أنه كان يقول ـ في بعض ما يقول ـ يعدني محمّد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه فيقول: تبًا لكما لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمّد. فأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾. قال ابن إسحاق: فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب: [الطويل]

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَياً وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... نَبِيّاً كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الكُتْبِ
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي العِبَادِ مَحَبَّةً ... وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ(١)
وَأَنَّ الَّذِي أَلْصَقْتُمُوا مِنْ كِتَابِكُمْ ... لَكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ(٢)
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ... وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِي الذَّنْبِ
وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا ... أَوَاصِرَنَا(٣) بَعْدَ المَوَدَّةِ وَالقُرْبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرُبَّمَا ... أَمَرَّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الحَرْبِ
فَلَسْنَا وَرَبِّ البَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً ... لِعَزَّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ(٤)
وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ ... وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ(٥)
بِمُعْتَرَكٍ ضَيِّقٍ تَرَى كِسَرَ القَنَا ... بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكِفْنَ كَالشَّرْبِ(٦)
كَأَنَّ ضِحَالَ(٧) الخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ ... وَمَعْمَعَةَ(٨) الأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الحَرْبِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ ... وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُّ الحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا ... وَلاَ نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ(٩)

(١) قال السهيلي: ولا خير. . . البيت هو مشكل جداً.
(٢) راغية: من الرغاء وهو أصوات الإبل. والسقب: ولد الناقة.
(٣) الأواصر: أسباب القرابة والمودة.
(٤) العزاء: الشدّة، وعض الزمان: شدّته.
(٥) السوالف: صفحات الأعناق، أترت: قطعت. والقساسية: سيوف تنسب إلى قساس، وهو جبل لبني أسد فيه معدن الحديد.
(٦) الطخم: السود الرؤوس. يعكفن: يقمن ويلازمن. والشرب: الجماعة من القوم يشربون.
(٧) ضحال: قليل الماء.
(٨) معمعة: حرب أو معركة ضخمة.
(٩) النكب: المصائب الكبيرة.

وَلَكِنَّنَا أَهْلُ الحَفَائِظِ وَالنُّهَى إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الكُمَاةِ[١] مِنَ الرُّعْبِ

قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلاّ سراً، مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقي حكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسد، معه غلام يحمل قمحاً يُريد به عمّته خديجة بنت خُويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه[٢] في الشّعب، فتعلّق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أَفضحك بمكّة، فجاءه أَبو البَخْتِري بن هشام بن الحارث بن أسد. فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أَبو البختري: طعامٌ كان لعمّته عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بِطعامها؟ خلِّ سبيل الرجل، قال فأبى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لَحْي بعير فضربه فشجّه ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابَه، فيشمتون بهم ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، منادياً بأمر الله تعالى لا يتّقي فيه أحداً من الناس.

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمّه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يَهْمِزونه[٣] ويستهزؤون به ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، منهم من سمّى لنا، ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفّار. فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه، وأمية بن خلف ونزول قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ السورة بكمالها فيه. والعاص بن وائل ونزول قوله ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ [مريم: ٧٧] فيه. وقد تقدّم شيء من ذلك. وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي ﷺ لتتركن سبّ آلهتنا أو لنسبنّ آلهتك، ونزول قول الله فيه ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية. والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ـ ومنهم من يقول علقمة بن كلدة قاله السهيلي ـ وجلوسه بعد النبي ﷺ في مجالسه حيث يتلو القرآن ويدعو إلى الله، فيتلو عليهم النّضر شيئاً من أخبار رستم واسفنديار، وما جرى بينهما من الحروب في زمن الفرس، ثم يقول: والله ما محمّد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير [الأوّلين][٤] أكتتبها كما اكتتبها، فأنزل الله تعالى ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥] وقوله ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧﴾ [الجاثية ٧].

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال

---

(١) الكماة: الأبطال.

(٢) سقط في ط.

(٣) يهمزونه: يغتابونه.

(٤) سقط في ط.

قريش، فتكلّم رسول الله ﷺ فعرض له النضر، فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠]. ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد اللّه بن الزِّبَعْرى السّهمي حتى جلس. فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمّد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم(١). فقال عبد اللّه بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لَخَصَمْته، فسلوا محمّداً: أكلّ من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم(٢) فذكر ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مَنْ دُونَ اللّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ فِي النَّارِ، إِنَّهُمْ إِنما يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢] أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى. ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦] والآيات بعدها. ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعري ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٨] وهذا الجدل الذي سلكوه باطل، وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب، ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل، فقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور، ولا المسيح، ولا عزيراً، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى. فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي بنبوتنا ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] أي أمارة ودليلاً على قدرتنا الباهرة ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ نرحم بما ننزل عليه من نشاء(٣).

---

(١) حصب جهنم: كل ما أوقدت به.

(٢) كذا في الأصلين، وفي ابن هشام، ولعل الصواب (وخصم).

(٣) في ط: بها من نشاء.

وذكر ابن إسحاق: الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [القلم: ١٠] الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال: أينزل على محمّد وأترك وأنا كبير قريش وسيّدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو[١] الثقفي سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين. ونزل قوله فيه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف: ٣١] والتي بعدها، وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يبلغني أنك جالست محمّداً وسمعت منه؟ وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله، فأنزل الله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٨] والتي بعدها. قال: ومشى أبيّ ابن خلف بعظم بال قد أرمّ[٢]. فقال: يا محمّد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم، ثم فتّه بيده، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ. فقال: «نَعَمْ! أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ». وأنزل الله تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩] إلى آخر السورة. قال واعترض رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني وهو يطوف عند باب الكعبة ـ الأسود بن المطّلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل فقالوا: يا محمّد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ إلى آخرها. ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم قال: أتدرون ما الزقوم؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال هلموا فلنتزقم، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤] قال: ووقف الوليد بن المغيرة فكلّم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلّمه وقد طمع في إسلامه، فمرّ به ابن أم مكتوم ـ عاتكة بنت عبد اللّه بن عنكثة ـ الأعمى فكلّم رسول الله ﷺ وجعل يَستقريه القرآن، فشقّ ذلك عليه حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه فأنزل الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ إلى قوله ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ وقد قيل إن الذي كان يحدّث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فالله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكّة، وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة، وكان النقل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد، فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية: عمرو بن عمرو، وفي ابن هشام عمر بن عمير.
(٢) أرمّ: بلي وفني.

يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الحج: ٥٢] وذكروا قصة الغرانيق، وقد أحببنا الاضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها، إلا أن أصل القصة في الصحيح. قال البخاري: حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا أيوب عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[١] انفرد به البخاري دون مسلم. وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن بشّار، حدّثنا غندر، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت الأسود عن عبد اللّه. قال: قرأ النبي ﷺ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا، فرأيته بعد قتل كافراً[٢]، ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة. وقال الإمام أحمد: حدّثنا إبراهيم، حدّثنا رباح عن معمر، عن ابن طاوس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه. قال قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد، ولم يكن أسلم يومئذ المطلب. فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلاّ سجد معه[٣]. وقد رواه النسائي عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به. وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً، وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم. والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه، ولم يبق نزاع بينهم، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فظنوا صحة ذلك، فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل. فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع منهم؛ عثمان بن عفان وامرأته رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهلة بنت سهيل، وعبد اللّه بن جحش بن رئاب، وعتبة بن غزوان، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وسويبط بن سعد، وطُليب بن عمير، وعبد الرَّحمٰن بن عوف، والمقداد بن عمرو، وعبد اللّه بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشماس بن عثمان، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة ـ وقد حُبسا بمكة حتى مضت بدراً وأُحُداً والخندق ـ وعمّار بن ياسر ـ وهو ممن يشك[٤] فيه، أخَرج إلى الحبشة أم لا؟ ومعتب بن عوف، وعثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخوان قدامة وعبد اللّه ابنا مظعون، وخنيس بن حذافة، وهشام بن العاص بن وائل ـ وقد حبس بمكة إلى بعد الخندق ـ وعامر بن ربيعة، وامرأته ليلى بنت أبي حثمة. وعبد اللّه بن مخرمة، وعبد اللّه بن سهيل بن عمرو ـ وقد حبس حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ٥٣، سورة والنجم.

(٢) أخرجه البخاري في السجود باب ١، ومسلم في المساجد حديث ١٠٥، وأحمد في المسند ١/ ٤٤٤.

(٣) أخرجه النسائي في الافتتاح باب ٤٩، وأحمد في المسند ٦/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) في ط: شك.

فشهد معهم بدراً ـ وأبو سبرة بن أبي رهم، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، وامرأته سودة بنت زمعة ـ وقد مات بمكة قبل الهجرة، وخلف على امرأته رسول الله ﷺ ـ وسعد بن خولة، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل ابن بيضاء، وعمرو بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم.

وقال البخاري وقالت عائشة قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتِ نَخلٍ بَيْنَ لابَتَينِ»[1] فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة. فيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وقد تقدّم حديث أبي موسى وهو في الصحيحين، وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة [بها][2]ﷺ إن شاء الله وبه الثقة.

وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوانة عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد اللّه. قال: كنا نسلّم على النبي ﷺ وهو يصلي فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلّمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسول الله إنا كنا نسلّم عليك فترد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا؟ قال: «إنّ فِي الصَّلاةِ شُغلاً»[3] وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به، وهو يقوي تأويل من تأوّل حديث زيد بن أرقم الثابت في الصحيحين كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[4]. على أن المراد جنس الصحابة فإن زيداً أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعلّه اعتقد أنها المحرمة لذلك، وإنما كان المحرم له غيرها معها والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وكان ممن دخل معهم بجوار عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب، فإن أمه بَرّة بنت عبد المطلب. فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرّحمٰن بن عوف حدّثني عمن حدّثه عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غُدوّي ورَواحي في جوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يَلْقَون من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبني، لنقصٌ كثير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شَمْس، وفتْ ذمّتك، وقد رددتُ إليك جوارك. قال: لِمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؛ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، والكفالة باب ٤، وأحمد في المسند ٦/١٩٨.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٣٧، وأحمد في المسند ١/٤٠٩.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير باب ٤٣، ومسلم في المساجد حديث ٣٥، وأبو داود في الصلاة باب ١٧٨، والنسائي في السهو باب ٢٠.

لا، ولكني أرضى بجوار الله عزّ وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جواري علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يردّ عليّ جواري. قال: صدق قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان رضي الله عنه ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد: [الطويل]

أَلاَ كُـلُّ شَـيْءٍ مَـا خَـلاَ الـلَّـهَ بَـاطِـلُ

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد: [الطويل]

وَكُـلُّ نَـعِـيـمٍ لاَ مَـحَـالَـةَ زَائِـلُ

فقال عثمان: كذبت! نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يُؤذَى جليسُكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سُفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شَرِي[١] أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان. فقال: والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، ولقد كنت في ذمة منيعة. قال يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إلى جوارك فعد. قال: لا!.

قال ابن إسحاق: وأما أَبو سلمة بن عَبْد الأسد فحدَّثني أَبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد اللّه بن أَبي سلمة أنه حدّثه: أن أبا سلمة لما استجار بأَبي طالب، مشى إليه رجالٌ من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمّداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منّا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن أخي[٢]، وإن أنا لم أمنع ابن أخي[٢] لم أمنع ابن أخي. فقام أَبو لهب فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهينّ أو لنقومنّ معه في كل ما قام فيه حتي يبلغ ما أراد. قالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله ﷺ، فأبقوا على ذلك. فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ، فقال أَبو طالب يحرّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ: [الطويل]

إنَّ امْـرَءاً أَبُـو عُـتَـيْـبَـةَ عَـمُّـهُ لَـفِـي رَوْضَـةٍ مَـا إنْ يُـسَـامَ[٣] الـمَـظَـالِـمَـا

---

(١) شري: زاد وعظم.

(٢) في ط: أختي.

(٣) يسام: يكلف.

أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي أَبَا مُغْتِبٍ(١) ثَبِّتْ سَوَادَكَ قَائِمَا
وَلاَ تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ خُطَّةً تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ الْمَوَاسِمَا
وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لاَزِمَا
وَحَارِبْ فَإِنَّ الحَرْبَ نُصْفٌ(٢) وَلَنْ تَرَى أَخَا الحَرْبِ يُعطَى الخَسْفَ(٣) حَتَّى يُسَالِمَا
وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَانِماً أَوْ مُغَارِمَا(٤)
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً وَتَيْماً وَمَخْزُوماً عُقُوقاً(٥) وَمَأْثَمَا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْمَحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَبْزِي(٦) مُحَمَّداً وَلَمَّا تَرَوْا يَوْماً لَدَى الشِّعْبِ قَائِمَا

قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

[ذكر](٧) عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه كما حدّثني محمّد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابن الدُّغُنَّة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش. قال الواقدي: اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيّقوا عليّ. قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزين العشيرة، وتُعين على النوائب(٨)، وتفعل المعروف وتُكْسِب المَعْدوم(٩). أرجع فإنك في جواري. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلاّ بخير. قال: فكفوا عنه. قالت: وكان لأبي بكر مَسْجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن استبكى، قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، قال

---

(١) كذا في الأصل: وكنيته (أبو عتبة).
(٢) النصف: الأنصاف.
(٣) الخسف: الإذلال.
(٤) مغارماً: ملتزماً بدفع شيء ما.
(٥) عقوقاً: جحوداً.
(٦) قال ابن هشام: نبزي: نسلب.
(٧) سقط في ط.
(٨) النوائب: المصائب.
(٩) أي تكسب غيرك ما هو معدوم عنده.

فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة. فقالوا: يا ابن الدغنة إنك لم تُجِزْ هذا الرجل ليُؤذينا! إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمّد يرقّ وكانت له هيئة، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأْتِه فمُرْه بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدّغنة إليه فقال: يا أبا بكر إني لم أجُزْك لتؤذي قومك، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذُّوا بذلك منك، فادخل بيتَك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أوَ أرُدُّ عليكَ جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردد عليّ جواري. قال: قد رددته عليك. قالت: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد ردّ عليّ جواري فشأنكم بصاحبكم. وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث متفرداً به، وفيه زيادة حسنة. فقال حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل قال ابن هشام: فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: لم أعقل أبواي قطّ إلاّ وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد(١)، لقيه ابن الدغنة وهو سيّد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرَج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل(٢)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، وطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربّه في داره ويصلّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربّه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف(٣) نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم. فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن بالصلاة فيه(٤) والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا، فانهه فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبى إلاّ أن

(١) برك الغماد: موضع بناحية اليمن مما يلي ساحل البحر، وقال ابن فارس: بضم الغين، وقيل: برك الغماد في أقاصي هجر.

(٢) تحمل الكل: هو ما يثقل حمله من القيام بالعيال ونحوه مما لا يقوم بأمر نفسه.

(٣) في ط: فكان نساء المشركين.

(٤) في ط: فأعلن في الصلاة والقراءة منه.

يعلن ذلك فسله أن يردّ إليك[١] ذمّتك، فإنا قد كرهنا نخفرك[٢] ولسنا مقرّين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي قد عاقدت[٣] عليه قريش فأما أن تقتصر على ذلك، وأما أن تردّ إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عزّ وجلّ[٤]. ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الرَّحمٰن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصّدّيق قال: لقيه - يعني أبا بكر الصّدّيق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا[٥] على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول أي ربّ ما أحلمك! أي ربّ ما أحلمك! أي رب ما أحلمك!.

فصل: كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق معترضاً بها بين تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحصرهم إياهم في الشعب، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق.

[ذكر][٦] نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق: هذا وبنو هاشم، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حُبَيب بن نصر بنِ مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هشام بن عبد مناف لأُمّه، وكان هشام لبني هشام واصلاً، وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني - يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطّلب في الشعب ليلاً قد أَوْقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فَمَ الشعب خلع خِطامه[٧] من رأسه، ثم ضرب على جَنْبيه فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره براً فيفعل به مثل

(١) في ط: عليك.
(٢) نخفرك: ننقض عهدك.
(٣) في المصرية: قد عاقدتك عليه.
(٤) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٨٦.
(٥) حثا: صب.
(٦) سقط في ط.
(٧) الخطام: الحبل الذي يجعل في عنق البعير.

ذلك، ثم إنه مشى إلى زهير بن أَبي أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. فقال: يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالُك حيث علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبداً. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها. قال: قد وجدت رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أَبغِنا ثالثاً، فذهب إلى المُطْعِم بن عدي فقال له: يا مُطْعِم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً، قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد، قال قد وجدت لك ثانياً. قال: من؟ قال: أنا، قال: أبغنا ثالثاً قال قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أَبي أمية. قال: أبغنا رابعاً، فذهب إلى أَبي البختري بن هشام فقال [له][(١)] نحو ما قال للمطعم بن عدي، فقال وهل تجد أحداً يعين على هذا؟ قال: نعم! قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. قال: ابغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى القوم. فاتعدوا[(٢)] حطم الحجون ليلاً بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلّم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أَبي أمية عليه حلّة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس. فقال: يا أهل مكّة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. قال أبو جهل ـ وكان في ناحية المسجد ـ والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حين كتبت. قال أَبو البختري: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به. قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أَبو جهل: هذا أمر قد قضي بليل تشور فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللّهمّ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلّت يده فيما يزعمون.

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يَا عَمِّ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيهَا اسْماً هُوَ لِلَّهِ إِلاَّ أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنْهَا الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ». فقال: أَربُك أَخبرك بهذا؟ قال: «نَعَمْ»! قال فوالله ما يدخل عليك أحدٌ، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا، فهلمّ صحيفتكم فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفعت

---

(١) سقط في ط.

(٢) اتعدوا: تواعدوا.

إليكم ابنَ أخي. فقال القوم: قد رَضينا فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شراً. فعند ذلك صنع الرهطُ من قريش في نَقْض الصحيفة ما صنعوا.

قال ابن إسحاق: فلما مُزِّقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا[1] صُنْعُ رَبِّنَا ... عَلَى نَأْيِهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ[2]
فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدُ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ ... وَلَمْ يُلْفَ سِحْراً آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِفرفر[3] ... فَطَائِرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ
وَكَانَتْ كِفَاءً وَقْعَةٌ بِأَثِيمَةٍ ... لِيُقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدُ[4]
وَيَظْعَنَ أَهْلُ الْمَكَّتَيْنِ فَيَهْرُبُوا ... فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرعَدُ[5]
وَيُتْرَكَ حَرَّاثٌ يُقَلِّبُ أَمْرَهُ ... أَيُتْهِمُ فِيهَا عِنْدَ ذَاكَ وَيُنْجِدُ[6]
[وَتَصْعَدَ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ ... لَهَا حُدُجٌ[7] سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدُ][8]
فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِزَّةً ... فَعِزَّتُنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ[9]
نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلاَئِلٌ ... فَلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدَادُ خَيْراً وَنَحْمَدُ
وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ ... إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ[10]
جَزَى اللَّهُ رَهْطاً بِالْحُجُونِ تجمعوا ... عَلَى مَلإٍ يَهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ
قُعُوداً لِذِي خَطْمِ الْحُجُونِ كَأَنَّهُمْ ... مَقَاوِلَةٌ[11] بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ

---

(١) قال السهيلي: بحرينا يعني الذين بأرض الحبشة، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه. وشرح الألفاظ الغريبة لهذه القصيدة وقد قابلناها على شرح غريب السيدة للخشني.
(٢) أرود: متمهل، وأرفق.
(٣) فرفر: حسن الوجه.
(٤) المقلّد: العنق.
(٥) الفرائص: ج فريصة، وهي بضعة في الجنب ترعد إذا فزع الإنسان.
(٦) الحراث: المكتسب، وأتهم: أتى تهامة، وهي ما انخفض من أرض الحجاز، وأنجد: أتى نجداً وهي ما ارتفع من أرض الحجاز.
(٧) الحدج: الضرب بالسهم.
(٨) المرهد: السحق الشديد.
(٩) اتلد: أقدم.
(١٠) المفيضون: الضاربون بقداح الميسر، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلاّ سخيّ.
(١١) المقاولة: الملوك.

أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا مَشَى فِي رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ[١]
جَرِيءٌ عَلَى جُلِّ الخُطُوبِ[٢] كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّيْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ
مِنَ الأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ[٣]
طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الغَمَامُ وَيُسْعِدُ
عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ ... يَحُضُّ عَلَى مَقْرَى الضُّيُوفِ[٤] وَيَحْشِدُ
وَيَبْنِي لأَبْنَاءِ العَشِيرَةِ صَالِحاً ... إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي البِلاَدِ وَيَمْهَدُ
أَلَظَّ[٥] بِهَذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّأٍ ... عَظِيمِ اللِّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يُحْمَدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا ... عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ
هُمُ رَجَّعُوا سَهْلَ ابْنَ بَيْضَاءَ رَاضِياً ... وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَى شُرِّكَ الأَقْوَامُ فِي جُلِّ أَمْرِنَا ... وَكُنَّا قَدِيماً قَبْلَهَا نُتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيماً لاَ نُقِرُّ ظُلاَمَةً ... وَنُدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلاَ نَتَشَدَّدُ
فَيَالَ قُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نُفُوسِكُمْ ... وَهَلْ لَكُمُ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ ... لَدَيْكَ البَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ

قال السهيلي: أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول [هذا][٦] لديك البيان لو تكلمت أسود، أي يا أسود لو تكلمت لأبنتَ لنا عمن قتله.

ثم ذكر ابن إسحاق شعر حسان يمدح المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة. وقد ذكر الأموي ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق. وقال الواقدي: سألت محمّد بن صالح وعبد الرَّحمٰن بن عبد العزيز متى خرج بنو هاشم من الشعب؟ قالا: في السنة العاشرة ـ يعني من البعثة ـ قبل الهجرة بثلاث سنين.

قلت: وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عم رسول الله ﷺ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

فصل: وقد ذكر محمّد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عداوة قريش لرسول الله ﷺ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو

---

(١) رفرف الدرع: ما فضل منه، واحرد: بطيء المشيء لثقل الدرع الذي عليه.
(٢) الخطوب: الأمور العظيمة.
(٣) سيم: كلف. والخسف: الذل، ويتربد: يتغير إلى السواد.
(٤) مقرى الضيوف: طعامهم.
(٥) ألظَّ: لزم وألحّ.
(٦) سقط في ط.

غير ذلك منه، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى، وتكذيبنا لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول، والله غالب على أمره. فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة، وكان سيداً مطاعاً [شريفاً][(١)] في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذّروه من رسول الله، ونهوه أن يجتمع به، أو يسمع كلامه، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوا[(٢)] أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[(٣)] فَرقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه. قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلّي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي واثُكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح، فما يَمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته [فاتبعته حتى إذا دخل بيته][(٤)] دخلت عليه فقلت: يا محمّد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ـ الذي قالوا ـ قال فوالله ما برحوا بي يخوّفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلاّ أن يُسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك: قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن فوالله[(٥)] ما سمعتُ قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدلَ منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً» قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنيّة[(٦)] تطلعني على الحاضر[(٧)]، وقع بين عيني نور مثل الصباح[(٨)]. قال: فقلت: اللهم في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا بها مثلة[(٩)] وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحوّل فوقع في رأس سوطي، قال: فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلّق، وأنا أتهبط عليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلت: إليك عني ـ يا أبة فلست منك ولست مني، قال: ولمَ يا بني؟ قال: قلت أسلمت وتابعت دين محمّد ﷺ. قال: أي بني فدينك ديني. فقلت: فاذهب فاغتسل وطهّر ثيابك ثم ائتني حتى أعلّمك مما علّمت. قال: فذهب فاغتسل وطهّر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم قال[(١٠)]: ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني. قالت:

---

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: حشوت.
(٣) الكرسف: القطن.
(٤) سقط في ط.
(٥) في ط: فلا والله.
(٦) الثنية: الفرجة بين الجبلين.
(٧) الحاضر: القوم النازلون على الماء.
(٨) في ط: المصباح.
(٩) المثلة: العقوبة والتنكيل أو الآفة.
(١٠) في ط: قال ثم.

ولـم؟ بأبي أنت وأمي. قال: قلت فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمّد ﷺ. قالت فديني دينك، قال: فقلت: فاذهبي إلى حمى ذي الشّرى فتطهري منه، وكان ذو الشّرى صنماً لدوس، وكان الحمى حِمًى حَمَوْه حوله به وشل[١] من ماء يهبط من جبل. قالت: بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشّرى شيئاً؟ قلت: لا، أنا ضامن لذلك. قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة. فقلت: يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا[٢] فادع الله عليهم. قال: «اللَّهُمّ أهْد دَوْساً، ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فادْعُهم وارْفَقْ بهِمْ». قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأُحُد والخندق، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين ـ أو ثمانين بيتاً ـ من دوس، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين. ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة. فقلت: يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفّين، صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أحرقه. قال ابن إسحاق: فخرج إليه فجعل الطُفيل وهو يوقد عليه النار يقول: [الرجز]

يَـا ذَا الـكَـفّـيْـنِ لَـسْـتُ مِـنْ عُـبّـادِكَـا ... مِـيـلاَدُنَـا أَقْـدَمُ مِـنْ مِـيـلاَدِكَـا
إِنّـي حَـشَـوْتُ الـنّـارَ فِـي فُـؤَادِكَـا

قال: ثم رجع رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قُبض رسول الله ﷺ. فلمّا ارتدت العرب خرج الطُفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلّها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن الطُفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبُرُوها لي، رأيت أن رأسي حُلِق، وأنه خرج من فَمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حُبِس عني؛ قالوا: خيراً قال: أما أنا والله فقد أوّلتها، قالوا: ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني، فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني. فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة، وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبلّ[٣] منها، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله. هكذا ذكر محمّد بن إسحاق قصّة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد. ولخبره شاهد في الحديث الصحيح. قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا سفيان عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال إن دوساً قد استعصت قال: «اللَّهُمّ اهْدِ دَوْساً وائْتِ بِهِمْ»[٤] رواه البخاري عن أبي نعيم عن سفيان الثوري. وقال

---

(١) وشل: الماء القليل.
(٢) الزنا: لهو مع شغل قلب وبصر.
(٣) استبل: أفاق وشفي.
(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٥٩، والمغازي باب ٧٥، وأحمد في المسند ٢/٤٤٨.

الإمام أحمد: حدّثنا يزيد أنبأنا محمّد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد عصت، وأبت، فادع الله عليها. قال أبو هريرة: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت: هلكت دوس. فقال: «اللّهمّ اهدِ دَوْساً، وائتِ بهِمْ»[1] إسناد جيد، ولم يخرجوه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حمّاد بن زيد عن حجّاج الصّوّاف، عن أبي الزبير عن جابر. أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعة؟ - قال: حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة[2]، فمرض فجزع، فأخذ مشاقص[3]، فقطع بها براجمه[4]، فشخبت[5] يداه، فما رقأ[6] الدم حتى مات. فرآه الطُفيل بن عمرو في منامه في هيئة حسنة، ورآه مغطياً يديه. فقال له: ما صنع ربّك بك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيّه ﷺ، قال: فما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت. قال: فقصّها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ وليديه فاغفرْ»[7] رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن سليمان بن حرب به. فإن قيل فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق الحسن عن جندب، قال قال رسول الله ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ به جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّيناً فَحَزَّ بها يَدَهُ فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِه فحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[8].

فالجواب من وجوه؛ أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار، وإن كان شركه مستقلاً إلاّ أنه نبّه على هذا لتعتبر أمته. الثاني قد يكون ذاك عالماً بالتحريم، وهذا غير عالم لحداثة عهده بالإسلام. الثالث قد يكون ذاك فعله مستحلاً له، وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً. الرابع قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا، فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه، وإنما أراد غير ذلك. الخامس قد يكون ذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور، فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنات، فقاومت الذنب، فلم يلج النار بل غفر له بالهجرة إلى نبيه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٠٢.

(٢) اجتووا: كرهوا المقام فيها.

(٣) مشاقص: ج مشقص وهو سهم فيه نصل عريض.

(٤) براجم: مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد.

(٥) شخبت: سالت دماً.

(٦) رقأ: جف وانقطع.

(٧) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ١٨٤، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٨) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٥٠.

ﷺ. ولكن بقي الشين[١] في يده فقط، وحسنت هيئة سائره، فغطى الشين منه، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له: ما لك؟ قال: قيل لي لن يصلح منك ما أفسدت، فلما قصّها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ» أي فاصلح منها ما كان فاسداً. والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو.

قصة أعشى بن قيس [بن ثعلبة][٢]

قال ابن هشام: حدثني خلاد بن قرّة بن خالد السدوسيّ وغيره من مشايخ بَكر بن وائل عن أهل العلم: أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح النبي ﷺ: [الطويل]

أَلَـمْ تَـغْـتَـمِـضْ عَـيْـنَـاكَ لَـيْـلَـةَ أَرْمَـدَا ... وَبِـتَّ كَـمَـا بَـاتَ الـسَّـلِـيـمُ مُـسـهَّـدا[٣]
وَمَـا ذَاكَ مِـنْ عِـشْـقِ الـنِّـسَـاءِ وَإِنَّـمَـا ... تَـنَـاسَـيْـتَ قَـبْـلَ الـيَـوْمِ صحبة مَـهْـدَدَا[٤]
وَلَـكِـنْ أَرَى الـدَّهْـرَ الَّـذِي هُـوَ خَـائِـنٌ ... إِذَا أَصْـلَـحَـتْ كَـفَّـايَ عَـادَ فَـأَفْـسَـدَا
كُـهُـولاً وَشُـبَّـانـاً فَـقَـدْتُ وَثَـرْوَةً ... فَـلِـلَّـهِ هَـذَا الـدَّهْـرُ كَـيْـفَ تَـرَدَّدَا
وَمَـا زِلْـتُ أَبْـغِـي الـمَـالَ مُـذْ أَنَـا يَـافِـعٌ ... وَلِـيـداً وَكَـهْـلاً حِـيـنَ شِـبْـتُ وَأَمْـرَدَا
وَأَبْـتَـذِلُ الـعِـيـسَ الـمَـرَاقِـيـلَ تَـغْـتَـلِـي ... مَـسَـافَـةَ مَـا بَـيْـنَ الـنُّـجَـيْـرِ فَـصَـرْخَـدَا[٥]
أَلاَ أَيُّـهَـذَا الـسَّـائِـلِـي أَيْـنَ يـمَّـمـت ... فَـإِنَّ لَـهَـا فِـي أَهْـلِ يَـثْـرِبَ مَـوْعِـدَا
فَـإِنْ تَـسْـأَلِـي عَـنِّـي فَـيَـا رُبَّ سَـائِـلٍ ... حَـفِـيٌّ عَـنِ الأَعْـشَـى بِـهِ حَـيْـثُ أَصْـعَـدَا
أَجَـدَّتْ بِـرِجْـلَـيْـهَـا الـنَّـجَـاءَ وَرَاجَـعَـتْ ... يَـدَاهَـا خِـنَـافـاً لَـيِّـنَـا غَـيْـرَ أَحْـرَدَا[٦]
وَفِـيـهَـا إِذَا مَـا هَـجَّـرَتْ عَـجْـرَفِـيَّـةٌ ... إِذَا خِـلْـتَ حِـرْبَـاءَ الـظَّـهِـيـرَةِ أَصْـيَـدَا
وَآلَـيْـتُ لاَ آوِي[٧] لَـهَـا مِـنْ كَـلاَلَـةٍ ... وَلاَ مِـنْ حَـفـىً حَـتَّـى تُـلاَقِـي مُـحَـمَّـدَا
مَـتَـى مَـا تُـنَـاخِـي عِـنْـدَ بَـابِ ابْـنِ هَـاشِـمٍ ... تُـرَاحِـي وَتَـلْـقَـيْ مِـنْ فَـوَاضِـلِـهِ نَـدَى
نَـبِـيٌّ يَـرَى مَـا لاَ تَـرَوْنَ وَذِكْـرُهُ ... أَغَـارَ لَـعَـمْـرِي فِـي الـبِـلاَدِ وَأَنْـجَـدَا[٨]

---

(١) الشين: العيب. (٢) سقط في ط.
(٣) الأرمد: الذي يشتكي عينيه من الرمد، والسليم: الملدوغ. والمسهد: الذي منع من النوم.
(٤) مهددا: اسم امرأة.
(٥) العيس: الإبل البيض تخالطها حمرة. المراقيل: من الارقال، وهو السرعة في السير تعتلي: يزيد بعضها على بعض في السير. والنجير: موضع في حضرموت من اليمن، وصرخد: موضع بالجزيرة.
(٦) الخفاف: أن تلوي يديها في السير من النشاط، والأحرد: الذي لا ينبعث في المشي ويعتقل.
(٧) لا آوي: لا أشفق ولا أرحم ويقال: لا أرثي.
(٨) أغار: بلغ الغور وهو ما انخفض من الأرض؛ وانجد: بلغ النجد وهو ما ارتفع من الأرض وقال ابن دريد في الاشتقاق: من روى أغار لعمري فقد لحن وأخطأ.

لَـهُ صَـدَقَـاتٌ مَـا تـغِـبُّ وَنَـائِـلٌ فَـلَـيْـسَ عَـطَـاءُ الـيَـوْمِ مَـانِـعَـهُ غَـدَا
اجِـدَّكَ لَـمْ تَـسْـمَـعْ وَصَـاةَ مُـحَـمَّـدٍ نَـبِـيِّ الإلَـهِ حَـيْـثُ أَوْصَـى وَأَشْـهَـدَا
إذَا أَنْـتَ لَـمْ تَـرْحَـلْ بِـزَادٍ مِـنَ الـتُّـقَـى وَلاَقَـيْـتَ بَـعْـدَ الـمَـوْتِ مَـنْ قَـدْ تَـزَوَّدَا
نَـدِمْـتَ عَـلَـى أَنْ لاَ تَـكُـونَ كَـمِـثْـلِـهِ فَـتُـرصِـدَ لِـلأَمْـرِ الَّـذِي كَـانَ أَرْصَـدَا[1]
فَـإِيَّـاكَ وَالـمَـيْـتَـاتِ لاَ تَـقْـرَبَـنَّـهَـا وَلاَ تَـأْخُـذَنْ سَـهْـمـاً حَـدِيـداً لِـتُـفْـصِـدَا
وَذَا الـنُّـصُـبِ الـمَـنْـصُـوبَ لاَ تَـنْـسُـكَـنَّـهُ وَلاَ تَـعْـبُـدِ الأَوْثَـانَ وَالـلَّـهَ فَـاعْـبُـدَا
وَلاَ تَـقْـرَبَـنَّ جـارةً[2] كَـانَ سِـرُّهَـا عَـلَـيْـكَ حَـرَامـاً فَـانْـكِـحَـنْ أَوْ تَـأَبَّـدَا
وَذَا الـرَّحِـمِ الـقُـرْبَـى فَـلاَ تَـقْـطَـعَـنَّـهُ لِـعَـاقِـبَـةٍ وَلاَ الأَسِـيـرَ الـمُـقَـيَّـدَا
وَسَـبِّـحْ عَـلَـى حِـيـنِ الـعشـيـة وَالـضُّـحَـى وَلاَ تَـحْـمَـدِ الـشَّـيْـطَـانَ وَالـلَّـهَ فَـاحْـمَـدَا
وَلاَ تَـسْـخَـرنْ مِـنْ بَـائِـسٍ ذِي ضَـرَارَةٍ وَلاَ تَـحْـسَـبَـنَّ الـمَـالَ لِـلْـمَـرْءِ مُـخْـلِـدَا

قال ابن هشام: فلما كان بمكة ـ أو قريب منها ـ اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسلِم. فقال له: يا أبا بصير إنه يُحرّم الزنا. فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرَب. فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الخمر. فقال الأعشى: أما هذه فوالله إن في نفسي منها العُلالات[3]، ولكني منصرفٌ فاتروى منها عامي هذا، ثم آته فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد إلى النبي ﷺ. هكذا أورد ابن هشام هذه القصّة ههنا، وهو كثير المؤاخذات لمحمّد بن إسحاق رحمه الله، وهذا مما يؤاخذ به ابن هشام رحمه الله، فإن الخمر إنما حرّمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير، كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة، وفي شعره ما يدلّ على ذلك وهو قوله: [الطويل]

أَلاَ أَيُّـهَـا ذَا الـسَّـائِـلِـي أَيْـنَ يَـمَّـمَـتْ فَـإِنَّ لَـهَـا فِـي أَهْـلِ يَـثْـرِبَ مَـوْعِـدَا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخّر ذكر هذه القصّة إلى ما بعد الهجرة، ولا يوردها ها هنا والله أعلم. قال السهيلي: وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه، فإن الناس مجمعون على أنّ الخمر لم ينزل تحريمها إلاّ في المدينة بعد أُحُد. وقد قال: وقيل إن القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة. وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس، وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال وقوله: ثم آته فاسلم ـ لا يخرجه عن كفره بلا خلاف والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق ها هنا قصّة الإراشي وكيف استعدى إلى رسول الله ﷺ من أبي

---

(١) أرصد: أعد.

(٢) في المصرية وابن هشام: حره. وفي ح: مكان سرها: أمرها.

(٣) العلالات: الأمراض.

جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه، وكيف أذلّ الله أبا جهل، وأرغم أنفه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة، وقد قدّمنا ذلك في ابتداء الوحي، وما كان من أذية المشركين عند ذلك.

قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها ﷺ فأقبلت

قال ابن إسحاق: وحدّثني أَبي إسحاق بن يسار قال: وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشاً، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا رُكَانَةُ أَلاَ تَتَّقِي اللّهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟» قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك، فقال له رسول الله: «أَفَرأَيتَ إِنْ صَرَعْتُكَ أَتعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ؟». قال: نعم! قال: «فَقُمْ حَتَّى أُصَارِعَكَ». قال فقام ركانة إليه فصارعه، فلمّا بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال عد يا محمّد فعاد فصرعه. فقال: يا محمّد والله إن هذا للعجب، أتصرعني؟ قال: «وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أُرِيكَهُ إِنِ اتَّقَيتَ اللّهَ وَاتَّبَعْتَ أَمْرِي». قال: وما هو؟ قال: «أَدْعُو لَكَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَرَى فَتَأْتِينِي». قال: فادعها فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقال لها: «ارْجِعي إِلَى مَكَانِكِ» فرجعت إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع. هكذا روى ابن إسحاق هذه القصّة مرسلة بهذا السياق[1]. وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أَبي الحسن العسقلاني عن أَبي جعفر بن محمّد بن ركانة عن أبيه. أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ[2]، ثم قال الترمذي غريب ولا نعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة.

قلت: وقد روى أَبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات، كل مرّة على مائة من الغنم، فلما كان في الثالثة قال: يا محمّد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إليّ منك. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ وردّ عليه غنمه.

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرّات متعددة إن شاء الله وبه الثقة. وقد تقدّم عن أَبي الأشدين أنه صارع النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ. ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم، وقد تقدّم ذلك بعد قصة النجاشي ولله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلس إليه المستضعفون

---

(١) في ط: البيان.

(٢) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٢٣، والترمذي في اللباس باب ٤٢.

من أصحابه خباب، وعمّار، وأبو فكيهة، ويسار مولى صفوان بن أمية، وصُهَيب، وأشباههم من المسلمين. هزئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحقّ، لو كان ما جاء به محمّد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، وما خصّهم الله به دوننا. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٤]. قال وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مَبْيَعة[1] غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني الحَضرمي[2]، وكانوا يقولون والله ما يعلم محمّداً كثيراً مما يأتي به إلاّ جبر، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. ثم ذكر نزول سورة الكوثر في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ إنه ابتر أي لا عقب له، فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣] أي المقطوع الذكر بعده، ولو خلف الوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير ولله الحمد. وقد روي عن أبي جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنّما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبي ﷺ، وقد كان بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة. ثم ذكر نزول قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨] وذلك بسبب قول أُبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والعاص بن وائل، والنّضر بن الحارث؛ لولا أنزل عليك ملك يكلّم الناس عنك.

قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠].

قلت: وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥]. قال سفيان عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس. قال: المستهزؤون الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زَمَعَة، والحارث بن عيطل[3]، والعاص بن وائل السهمي. فأتاه جبريل فشكاهم

(١) في الأصلين: بيعة، وفي ابن هشام والسهيلي: مبيعة (وزان مفعلة).
(٢) قوله: عبد لبني الحضرمي. الذي في ابن هشام عبد لابن الحضرمي.
(٣) كذا في الأصول، وسيأتي أنه ابن الطلاطلة وابن الطلاطل، وهكذا في ابن هشام والسهيلي، وقد اختلف أصحاب السير في ذلك ومنهم من حكى القولين معاً.

إليه رسول الله ﷺ، فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أنمله وقال: كفيته، ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عنقه وقال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال: كفيته، ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال كفيته، ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال: كفيته. فأمّا الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أنمله فقطعها، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الأسود بن المطلب فعمي. وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً. وجعل يقول يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت، ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة[١] حتى امتلأت منها فمات منها. وقال غيره في هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة - يعني شوكة - فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته. رواه البيهقي بنحو من هذا السياق.

وقال ابن إسحاق: وكان عظماء المستهزئين كما حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم؛ الأسود بن المطلب أبو زَمَعَة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ أعْمِ بَصَرَهُ وَأَثْكِلْهُ وَلَدَهُ». والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلاطلة. وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦]. وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى باطنه فمات منه حبنا[٢]، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعةَ فتعلّق سهم بإزاره فخدشه خدشاً يسيراً، فانتقض[٣] بعد ذلك فمات. ومرّ به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص[٤] رجله فخرج على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحارث بن الطلاطل فأشار إلى رأسه فامتحض قيحاً فقتله.

ثم ذكر ابن إسحاق: أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد. فقال لهم: أي بني أوصيكم بثلاث، دمي في خزاعة فلا تطلبنه[٥]،

---

(١) الشبرقة: رطب الضريع. (٢) الحبن: انتفاخ البطن.

(٣) انتقض الجرح: إذا تجدد بعدما برىء.

(٤) الأخمص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض.

(٥) في ط: تطلوه: والمقصود: تطالبونه.

والله إني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبُّوا به بعد اليوم، ورِبَاي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعُقْري[1] عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به، وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه، فلم يدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عقرها منه ـ وهو صداقها ـ فلما مات الوليد وثبت بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد، وقالوا إنّما قتله سهم صاحبكم، فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر. ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل[2] واصطلحوا وتحاجزوا.

قال ابن إسحاق: ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز فقتله، وكان شريفاً في قومه، وكانت ابنته تحت أَبي سفيان ـ وذلك بعد بدر ـ فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني مخزوم وكان أبوه غائباً، فلما جاء أبو سفيان غاظه ما صنع ابنه يزيد، فلامه على ذلك وضربه وودّى أبا أزيهر وقال لابنه: أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس؟ وكتب حسّان بن ثابت قصيدة له يحضّ أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال بئس ما ظن حسّان أن يقتل بعضنا بعضاً، وقد ذهب أشرافنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأله في ربا أبيه من أهل الطائف.

قال ابن إسحاق: فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلن في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨] وما بعدها.

قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس، إلاّ أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الأسلمي خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلان مولاة لدوس، وكانت تَمْشُط النساء وتجهّز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر فقامت دونه أم غَيْلان ونسوة كّن معها حتى منعتهم. قال السهيلي: يقال إنها أدخلته بين درعها وبدنها.

قال ابن هشام: فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غَيْلان وهي ترى أن ضراراً أخوه، فقال لها عُمَر: لست بأخيه إلاّ في الإسلام، وقد عرفت منّتك عليه، فأعطاها على أنها بنت سبيل.

قال ابن هشام: وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أُحُد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطّاب لا أقتلك، فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضي الله عنهما [وارضاهما][3].

فصل: وذكر البيهقي ها هنا دعاء النبي ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف وأورد ما أخرجاه في الصحيحين من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن

(١) العُقر: (بالضم) دية الفرج المغصوب.

(٢) العقل: الدية.

(٣) سقط في ط.

مسروق عن ابن مسعود. قال: خمس مضين؛ اللزام[1] والروم، والدخان، والبطشة، والقمر. وفي رواية عن ابن مسعود. قال: إن قريشاً، لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطئوا عن الإسلام. قال: «اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَيهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» قال فأصابتهم سنة حتى فحصت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والميتة، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع. ثم دعا فكشف الله عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥] قال فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة - أو قال فأخّروا إلى يوم بدر - قال عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦] قال: يوم بدر. وفي رواية عنه، قال لما رأى رسول الله ﷺ من الناس ادباراً. قال: «اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام. فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمّد إنك تزعم أنك بعثت رحمة، وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعاً فشكا الناس كثرة المطر. فقال: «اللَّهُمْ حوَالَينا ولاَ علينا» فانجذب السحاب عن رأسه فسقي الناس حولهم، قال لقد مضت آية الدخان - وهو الجوع الذي أصابهم - وذلك قوله ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ وآية الروم، والبطشة الكبرى، وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر[2]. قال البيهقي: يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلّها حصلت ببدر. قال وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية، ثم أورد من طريق عبد الرزّاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عبّاس. قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن[3]، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦] قال فدعا رسول الله ﷺ حتى فرّج الله عنهم. ثم قال الحافظ البيهقي: وقد روي في قصّة أبي سفيان ما دلّ على أن ذلك بعد الهجرة، ولعله كان مرّتين والله أعلم.

فصل: ثم أورد البيهقي قصّة فارس والروم ونزول قوله تعالى ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ١ - ٥]. ثم روي من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس. قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «أما أنَّهُمْ سَيَظْهَرُونَ»فذكر أبو بكر ذلك للمشركين

(١) اللزام: هو يوم بدر ذكر ذلك في النهاية.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب ٣، ومسلم في المنافقين حديث ٣٩، والترمذي في تفسير القرآن باب ٤٥، من سورة الدخان، وأحمد في المسند ١/ ٤٣١.

(٣) العهن: الصوف المصبوغ.

فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألاَ جَعَلْتَهُ أُراه». قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك[١].

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المباحث ـ أي المراهن ـ لأبي بكر أمية بن خلف، وأن الرهن كان على خمس قلائص[٢]، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصدِّيق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر ـ أو كان يوم الحديبية ـ فالله أعلم.

ثم روي من طريق الوليد بن مسلم: حدّثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدّث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم وظهورهم على الشام والعراق، كل ذلك في خمس عشرة سنة.

[في][٣] الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السموات وما رأى هنالك [من الآيات][٤]

ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين، وروى البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: أسري برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة. قال: وكذلك ذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة. ثم روى الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي. أنه قال: فرض على رسول الله ﷺ الخمس ببيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجره بستة عشر شهراً، فعلى قول السدّي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الأول. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عبّاس. قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. فيه انقطاع، وقد أورد حديثاً لا يصح سنده ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب. وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته، والله أعلم. ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب، وهي ليلة الرغائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة، ولا أصل لذلك والله أعلم. وينشد بعضهم في ذلك: [رجز]

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ٣١، من سورة الروم، وأحمد في المسند ١/ ٣٠٤.

(٢) قلائص: الإبل الطويلة القوائم.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

لَيْلَةَ الجُمُعَةِ عُرِّجَ بِالنَّبِي   لَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَوَّلَ رَجَبِ

وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاداً لمن يقول به. وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١] فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعزو، والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية ولله الحمد والمنة.

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله، فإنه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول: ثم أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلِّها. قال وكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنهم، والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث، كل يحدِّث عنه بعض ما ذكر لي من أمره. وكان في مسراه ﷺ وما ذكر لي منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق، وكان من أمر الله على يقين، فأسري به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد. وكان عبد اللّه بن مسعود فيما بلغني يقول: أتي رسول الله ﷺ بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في موضع منتهى طرفها، فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصلّى بهم، ثم أتي بثلاثة آنية من لبن وخمر، وماء. فذكر أنه شرب إناء اللبن، فقال لي جبريل «هُدِيتَ وَهَدَيْتَ أُمَّتَكَ». وذكر ابن إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً: أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق، وهو دابة أبيض بين البغل والحمار، وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طرفه، ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قلت: وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس[١] به فوضع جبريل يده على معرفته[٢]، ثم قال: ألا تستحي يا براق مما تصنع، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمّد أكرم عليه منه. قال: فاستحى حتى ارفضّ[٣] عرقاً ثم قرّ حتى رَكِبْته. قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل

(١) يقال: شمس الفرس: إذا لم يمكن أحداً من ظهره ولا من الإسراج والإلجام ولا يكاد يستقر.

(٢) العرفة: اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف.

(٣) ارفض: سال وترشش.

حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمّهم رسول الله ﷺ فصلّى بهم، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الخمر، وقول جبريل له هديت وهديت أمتك، وحرّمت عليكم الخمر. قال ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكّة فأصبح يخبر قريشاً بذلك فذكر أنه كذّبه أكثر الناس، وارتدت طائفة بعد إسلامها، وبادر الصدّيق إلى التصديق، وقال إني لأصدّقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدّقه في بيت المقدس، وذكر أن الصدّيق سأله عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال: فيومئذ سُمّي أبو بكر الصدّيق. قال الحسن: وأنزل الله في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] الآية. وذكر ابن إسحاق فيما بلغه عن أم هانىء أنها قالت: ما أُسريَ برسول الله ﷺ إلاّ من بيتي، نام عندي تلك الليلة بعدما صلّى العشاء الآخرة، فلمّا كان قبيل الفجر أهَبّنا[١]، فلما قامَ صلّى الصبح وصلّينا معه قال: «يا أمَّ هانىء لقَدْ صَلَّيْتُ معكُمْ العشاء الآخرةَ في هٰذا الوادي، ثمّ جئتُ بَيتَ المَقْدِس فصلّيتُ فيه، ثمّ قدْ صلّيْتُ الغداةَ مَعكُمْ الآنَ كما تَرَيْنَ» ثم قام ليخرج فأخذتُ بطَرفِ ردائه فقلت: يا نبي الله لا تحدّث بهذا الحديث الناس فيكذّبونك ويؤذونك. قال: «واللّهِ لأحَدّثنّهُمُوهُ» فأخبرهم فكذّبوه. فقال: وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حسّ الدابة فندّ لهم بعير فدللتهم عليه، وأنا متوجّه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضحنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطّيت عليه كما كان. وآية ذلك أن عيرهم تصوب[٢] الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق[٣] عليه غِرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء[٤]. قال فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول مِنَ الجمل الذي وصف لهم، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن إسماعيل السدّي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير، فدعا الله عزّ وجلّ فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال فلم تحتبس الشمس على أحد إلاّ عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون. رواه البيهقي.

قال ابن إسحاق: وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمَّا فَرَغتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ المقْدِسِ أُتِي بِالْمِعْرَاجِ ولَمْ أرَ شَيْئاً قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ الّذِي يَمُدُّ إلَيهِ مَيّتكُمْ عَيْنَيه إذا حَضرَ، فَأصْعَدَنِي فِيهِ صَاحِبِي حَتَّى انْتَهَى بِي إلَى بَابٍ مِنْ أبْوَابِ السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ: بَابُ الحَفَظَةِ، عَلَيْهِ بَرِيدٌ مِنَ المَلائِكَةِ يُقَالُ لَهُ أسْمَاعِيلُ تَحْتَ يَدِهِ اثْنَا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ، قال: يَقُولُ رَسُولُ

(١) أهبنا: أيقظنا.

(٢) تصوب: تنزل من عل.

(٣) الجمل الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد.

(٤) برقاء: أي ألوانها مختلفة.

اللّهِ ﷺ إذا حدّث بهذا الحديث ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ [المدثر: ٣١]». ثم ذكر بقية الحديث، وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في التفسير، وتكلّمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث. وفي إسناده ضعف، وكذا في سياق حديث أم هانىء فإن الثابت في الصحيحين من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر[1]، وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، والجواب أن مجيئهم أول مرّة كان قبل أن يوحى إليه، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء، ثم جاءه الملائكة ليلة أخرى ولم يقل في ذلك، وذلك قبل أن يوحى إليه، بل جاءه بعدما أوحي إليه، فكان الإسراء قطعاً بعد الإيحاء إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الأظهر، وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلاً ثانياً - أو ثالثاً - على قول أنه مطلوب إلى الملأ الأعلى والحضرة الإلهية، ثم ركب البراق رفعةً له وتعظيماً وتكريماً، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء، ثم دخل بيت المقدس فصلّى في قبلته تحيّة المسجد. وأنكر حُذَيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه وهذا غريب، والنصّ المثبت مقدم على النافي.

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دلّ عليه ما تقدّم أو بعد نزوله منها كما دلّ عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم. وقيل إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء، وهكذا تخيّره من الآنية اللبن والخمر والماء هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح. والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلّم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهّمه بعضُ الناس، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكّة، فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة، وكلّما جاء سماء تلقته منها مقرّبوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء. وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا، ويحيى وعيسى في الثانية وإدريس في الرابعة[2]، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبّدون فيه صلاةً وطوافاً، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ثم جاوز مراتبهم كلّهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، ونبقها كقلال هجر، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعدّدة باهرة،

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، حديث ٢٦٢.

(٢) كذا في الأصلين ولم يذكر الثالثة وفي ابن هشام (ج٢/٤٧): ثم أصعدني إلى السماء الثالثة. . وأنه رأى يوسف بن يعقوب، ولم يذكر الخامسة أيضاً وفي ابن هشام أنه رأى كهلاً أبيض الرأس المحبب في قومه: هارون بن عمران.

وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة وفراش من ذهب، وغشيها من نور الرب جل جلاله، ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٧] أي ما زاغ يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن المكان الذي حدّ له النظر إليه. وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم، وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها، كما نقله ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. والأولى هي قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ٥ ـ ١٠] وكان ذلك بالأبطح، تدلّى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى، هذا هو الصحيح في التفسير كما دلّ عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم. فأمّا قول شريك عن أنس في حديث الإسراء: ثم دنا الجبّار ربّ العزّة فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، فقد يكون من فهم الراوي فأقحمه في الحديث والله أعلم. وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة، بل هو شيء آخر غير ما دلّت عليه الآية الكريمة والله أعلم. وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمّد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربّه عزّ وجلّ حتى وضعها الربّ جلّ جلاله، وله الحمد والمنة إلى خمس. وقال هي خمس وهي خمسون، الحسنة بعشر أمثالها، فحصل له التكليم من الربّ عزّ وجلّ ليلتئذ، وأئمة السُنّة كالمطبقين على هذا، واختلفوا في الرؤية، فقال بعضهم: رآه بفؤاده مرّتين، قاله ابن عباس وطائفة، وأطلق ابن عبّاس وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما، وصرّح بعضهم بالرؤية بالعينين، واختاره ابن جرير وبالغ فيه، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين. وممن نصّ على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه.

وقالت طائفة: لم يقع ذلك لحديث أبي ذر في صحيح مسلم. قلت: يا رسول الله هل رأيت ربّك؟ فقال: «نور أنىَ أَراهُ» وفي رواية: «رَأيتُ نُوراً»[1]. قالوا: ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية، ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما رُوِيَ في بعض الكتب الإلهية: يا موسى إنه لا يراني حي إلاّ مات، ولا يابس إلاّ تدهده، والخلاف في هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم. ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة، كما هي عادة الوافدين، لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه، ولهذا كان كلّما مرّ على واحد منهم يقول

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٢٩، وأحمد في المسند ٥/١٥٧.

له جبريل - عندما يتقدم ذاك للسلام عليه - هذا فلان فسلّم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرّف بهم مرّة ثانية، ومما يدل على ذلك أنه قال: «فَلَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ: أَمَمْتُهُمْ». ولم يحن وقت إذ ذاك إلاّ صلاة الفجر، فتقدّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدّم في الإمامة على ربّ المنزل حيث كان بيت المقدس محلّتهم ودار إقامتهم، ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة، فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار. وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشاً أو طائش العقل، ولكنه ﷺ أصبح واجماً - أي ساكناً - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه، فتلطف في إخبارهم[1] أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة، وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خبر؟ فقال: «نَعَمْ!» فقال: وما هو؟ فقال: «إِنّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ». قال: إلى بيت المقدس؟ قال: «نَعَمْ!» قال: أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به؟ قال: «نَعَمْ!» فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم [وليفهمه][2]. فقال أبو جهل: هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديتهم فقال: أخبر قومك بما أخبرتني به، فقصّ عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلّى فيه، فمن بين مصفّق وبين مصفّر تكذيباً له واستبعاداً لخبره، وطار الخبر بمكة، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه، فأخبروه أن محمّداً ﷺ يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركي قريش، فسأله عن ذلك فأخبره، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفي الصحيح: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: «فَجَعَلْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ فَالْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ الشَّيْءِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ وَأَنْعَتُهُ لَهُمْ». فقال: أما الصفة فقد أصاب[3].

وذكر ابن إسحاق ما تقدم من إخباره لهم بمروره بعيرهم وما كان من شربه مائهم، فأقام الله عليهم الحجّة واستنارت لهم المحجّة، فآمن من آمن على يقين من ربّه، وكفر من كفر بعد قيام الحجّة عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي اختباراً لهم وامتحاناً. قال ابن عبّاس: هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ[4]، وهذا

---

(١) في ط: بإخبارهم.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٠٩.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٢، والترمذي في تفسير القرآن باب ١٨، من سورة بني إسرائيل، وأحمد في المسند ١/٢٢١.

مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه، كما دلّ على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك. ولهذا قال فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ﴾ والتسبيح إنما يكون عند الآيات العظيمة الخارقة، فدلّ على أنه بالروح والجسد، والعبد عبارة عنهما، وأيضاً فلو كان مناما لما بادر كفّار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له، إذ ليس في ذلك كبير أمر، فدلّ على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظةً لا مناماً. وقوله في حديث شريك عن أنس: «ثُمَّ اسْتَيقَظْتُ فَإِذَا أَنَا فِي الحِجْرِ» معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة، كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذّبوه، قال: «فَرَجَعْتُ مَهْمُوماً فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ»، وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنّكه فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه، فقالوا رفع فسمّاه المنذر. وهذا الحمل أحسن من التغليط والله أعلم. وقد حكى ابن إسحاق فقال حدّثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه. قال وحدّثني يعقوب بن عتبة: أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ وكما قال إبراهيم عليه السلام ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وفي الحديث: «تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانٌ».

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان. قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى على أي حالة كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق.

قلت: فقد توقف ابن إسحاق في ذلك وجوّز كلاً من الأمرين من حيث الجملة، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً لا محالة لما تقدم، وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ ما فقد، وإنما كان الإسراء بروحه أن يكون مناماً كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم، وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناماً. لعل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك. لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم.

تنبيه: ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإرهاص(١) والتوطئة والتثبت والإيناس والله أعلم.

---

(١) الإرهاص: المقدمة للشيء والإيذان به. .

ثم قد اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة؟ فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة، والمعراج في المنام. وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في شرحه البخاري عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء مرّتين؛ مرّة بروحه مناماً، ومرّة ببدنه وروحه يقظة وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه. قال السهيلي: وهذا القول يجمع الأحاديث فإن في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وقال في آخره: «ثُمَّ اسْتَيقَظْتُ فإذا أنا في الحجر» وهذا منام. ودلّ غيره على اليقظة، ومنهم من يدّعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم: إنها أربع إسراءات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالمدينة وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفّق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الإسراء بالجمع المتعدد، فجعل ثلاث إسراءات، مرّة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرّة من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة، ومرّة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات.

فنقول: إن كان إنّما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات، فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات، ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا التفسير عند قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس، وإلى السموات، فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلاّ بدليل والله أعلم. والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب، فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب، وابن إسحاق أخّر ذكر موت أبي طالب على الإسراء، فالله أعلم أي ذلك كان.

والمقصود أن البخاري فرّق بين الإسراء وبين المعراج فبوّب لكل واحد منهما باباً على حِدَة فقال: **باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.**

حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، حدّثني أبو سلمة بن عبد الرّحمٰن قال: سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، كُنتُ فِي الحِجْرِ فَجَلى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أحدثهم عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيهِ»[1]. وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به. ورواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه. ثم قال البخاري: **باب حديث المعراج:**

حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا همام، حدّثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤١، ومسلم في الإيمان حديث ٢٧٦، والترمذي في تفسير القرآن باب ١٨، من سورة بني إسرائيل، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٧.

صعصعة: أن النبي ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به. قال: «بَيْنَما أَنا فِي الحَطِيم - وربما قال فِي الحِجْرِ - مُضْطجِعاً إِذْ أَتانِي آتٍ» فقال: وسمعته يقول: «فَشَقَّ ما بَيْنَ هٰذِهِ إِلَى هٰذِهِ» فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به. قال: من نقرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته. «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطسْتٍ مِنْ ذهبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيماناً، فغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ» فقال الجارود: وهو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم! «يضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِه. فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرَائِيل حَتَّى أَتَى السماء الدُّنيا، فاستفتحَ قيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ، قيلَ: وَمن مَعَكَ؟ قال: محمّدٌ، قيل: وَقَدْ أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم! قيل: مرحباً به، فَنِعْمَ المَجيء جَاءَ، فَفُتِحَ فَلما خَلَصْتُ فإذَا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوكَ آدمُ فسلِّمْ عليهِ، فسلّمتُ عليهِ فردّ السَّلامَ ثم قال: مرحباً بالابنِ الصَّالحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثم صَعَدَ بِي إلى السماءِ الثانية فاستفتحَ قيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: ومن مَعَكَ؟ قال: محمّد قيلَ: وقد أُرسِلَ إِلَيْهِ [قال: نعم!] قيلَ: مَرْحَباً به، فَنِعْمَ المَجِيءِ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالَةٍ. قال: هذا يحيَى وعيسَى فسلِّمْ عليهِمَا، فسلّمتُ عليهما فَرَدَّا ثم قالا: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنَّبيِّ الصالحِ. ثم صعدَ بي إلى السماءِ الثالثةِ فاستفتحَ جِبْرَائيلُ قيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: ومن مَعَكَ؟ قال: محمّد قيلَ: وقد أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم! قيلَ: مرحباً به، فَنِعْمَ المَجِيءِ جاءَ، فَفُتِحَ، فلمّا خَلُصْتُ إذا يوسُف، قال: هذا يوسفُ فسلِّمْ عليهِ، فسلّمتُ عليهِ، فَرَدَّ ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالِحِ والنَّبِيِّ الصالحِ. ثم صعَد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستُفْتِحَ قيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: ومن مَعَكَ؟ قال: محمّد قيلَ: وقد أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نَعم! قيل: مرحباً بهِ فَنِعْمَ المَجِيءَ جَاءَ. فَلَمّا خَلُصْتُ، إِذَا إدريسُ، قال: هذا إدريسُ فسلِّمْ عليهِ فسلمتُ عليهِ فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالِحِ والنَّبِيِّ الصالحِ. ثم صَعَد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيلَ: ومن هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: من مَعَكَ؟ قال: محمّد قيلَ: وقد أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نعَمْ! قيلَ: مرحباً به فَنِعْمَ المَجِيء جَاءَ. فلما خَلُصْتُ إذا هارون قال: هذا هارونُ فسلِّم عليهِ فسلّمتُ عليه، فرَدَّ ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنَّبيِّ الصالحِ. ثم صَعَدَ بي حتى أتى السَّمَاء السادسةَ فاستفتَحَ فقيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: ومن مَعَكَ؟ قال: محمّد قيلَ: وقد أُرسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم! قيل: مرحبا به فنعمَ المَجِيءِ جَاءَ، فلما خَلُصْتُ إذا موسى قال: هذا موسى فسلِّمْ عليه، فسلّمتُ عليه، فَرَدَّ ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالِحِ والنَّبِيِّ الصالح. فلمّا تجاوزتُ بَكى، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ قال: أبكي لأنَّ غلاماً بُعث بَعدي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثم صَعَد بي إلى السماء السابعةِ فاستفتحَ جِبْرَائِيلُ قيلَ: من هذا؟ قال: جِبْرَائِيلُ قيلَ: ومن مَعَكَ؟ قال: محمّد. قيلَ: وقد بُعثَ إليهِ؟ قال: نَعَمْ! قيل: مَرْحَباً به فَنِعْمَ المَجِيءِ جَاءَ. فلما خَلَصْتُ إِذَا إبراهيمُ قال: هذا أبوكَ إبراهيمُ فسلِّمْ عليه، فسلّمتُ عليه فردَ السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح. ثم رُفِعْتُ إِلى سِدْرَةِ

الْمُنْتَهى وَإذا أربعةُ أنهارٍ؛ نهرانِ ظاهرانِ، وَنهرانِ باطنانِ. فقلتُ: ما هذا يا جِبْرَائِيل؟ قال: أمَّا الباطنانِ فنهرانِ في الجنَّةِ، وأما الظَّاهرانِ فَالنيلُ والفُراتُ، ثُم رُفِعَ لِي البيتُ المعمورُ يَدخلُهُ كلَّ يَوْم سبعونَ ألفَ مَلَكٍ، ثُمَّ أُتيتُ بِإناءٍ مِن خَمْرٍ وإناءٍ من لَبَنٍ وإناءٍ من عَسَلٍ، فأخذتُ اللَّبنَ قال: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْها وَأُمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضَ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسُونَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، فرجعتُ فَمَرَرْتُ على موسى فقال: بِمَا أُمِرْتَ؟ قال: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاةٍ كُلَّ يوْمٍ. قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تستطيعُ خمسينَ صلاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإنِّي واللَّهِ قد جرّبتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ؛ فارجعْ إلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فرجعتُ فوضعَ عَنِّي عشراً. فرجعتُ إلى موسى فقال: مثله فرجعتُ فوَضَعَ عَنِّي عَشْراً. فرجعتُ إلى مُوسى فقال مِثْلَهُ، فرجعتُ فوضعَ عَنِّي عَشْراً. فرجعتُ إلَى موسى فقال مثله، فرجعتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فقال مثلَهُ، فرجعتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ. فرَجَعْتُ إلى مُوسى فقال: بِمَ أُمِرْتَ؟ فقلتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قال إنَّ أُمَّتَكَ لا تستَطيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإنِّي قد جرّبتُ النَّاسَ قبلَكَ، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ، فارجعْ إلى ربِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قال: سألتُ رَبِّي حتى استحييتُ ولكن أرضَى وأُسَلِّمُ. قال: فلمَّا جاوزتُ نَادَاني مُنَادٍ، أمْضَيْتَ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتَ عَنْ عِبَادِي»[1].

هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا. وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ورويناه من حديث أنس بن مالك عن أبيّ بن كعب. ومن حديث أنس عن أبي ذر. ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي ﷺ. وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينساه أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو يبسط تارة فيسوقه كلّه، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده. ومن جعل كل رواية إسراء على حدة كما تقدّم عن بعضهم، فقد أبعد جداً. وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء، وفي كل منها يعرّفه بهم، وفي كلّها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدّعي تعدّد ذلك؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم. ثم قال البخاري حدّثنا الحميدي، حدّثنا سفيان عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. قال: هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، والشجرة الملعونة في القرآن. قال: هي شجرة الزقوم[2].

فصل: ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبرائيل عند الزوال،

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٢، وبدء الخلق باب ٦، ومسلم في الإيمان حديث ٢٦٣، ٢٦٤، والترمذي في تفسير القرآن باب ٨٢، من سورة ألم نشرح، وأحمد في المسند ٤/٢٠٧، ٢٠٨، ٥/ ١٤٣، ١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٢.

فبيّن له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلّى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمّون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبرائيل كما جاء في الحديث عن ابن عبّاس وجابر: «أمّني جبرائيل عند البيت مرّتين»[١]. فبيَّن له الوقتين الأول والآخر، فهما وما بينهما الوقت الموسع، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب. وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو، وكلّها في صحيح مسلم. وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام ولله الحمد. فأما ما ثبت في صحيح البخاري عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر[٢]. وكذا رواه الأوزاعي عن الزهري، ورواه الشعبي عن مسروق عنها، وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر، وكذا عثمان بن عفّان، وقد تكلّمنا على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. قال البيهقي: وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً، كما ذكره مرسلاً من صلاته عليه السلام صبيحة الإسراء الظهر أربعاً، والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً يجهر في الأوليين، والعشاء أربعاً يجهر في الأوليين. والصبح ركعتين يجهر فيهما.

قلت: فلعلّ عائشة أرادت أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ركعتين، ثم لما فرضت الخمس فرضت حضراً على ما هي عليه، ورخص في السفر أن يصلّي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً، وعلى هذا لا يبقى إشكال بالكُلية والله أعلم.

انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ

وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر: ١ ـ ٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. ونحن نذكر من ذلك ما تيسّر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. وقد تقصينا ذلك في كتابنا التفسير، فذكرنا الطرق والألفاظ محرّرة. ونحن نشير ههنا إلى أطراف من طرقها، ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوّته. وذلك مروي عن أنس بن مالك، وجُبَيْر بن مطعم، وحُذَيْفة، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٢، والترمذي في الصلاة باب ١١٣، وأحمد في المسند ١/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٨، والنسائي في الصلاة باب ٣.

أما أنس، فقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين. فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾(١) [القمر: ١] ورواه مسلم عن محمّد بن رافع عن عبد الرزّاق به وهذا من مرسلات الصحابة، والظاهر أنه تلقاه عن الجم الغفير من الصحابة، أو عن النبي ﷺ، أو عن الجميع، وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق شيبان. زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة وزاد مسلم وشعبة ثلاثتهم عن قتادة عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما(٢). لفظ البخاري.

وأما جُبَيْر بن مطعم فقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن كثير، حدّثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرَّحمٰن، عن محمّد بن جُبَيْر بن مطعم [عن أبيه]. قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمّد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم(٣). تفرّد به أحمد. وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمّد بن فضيل وغيره عن حصين به. وقد رواه البيهقي من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرَّحمٰن، عن جُبَيْر بن محمّد بن جُبَيْر بن مطعم، عن أبيه، عن جده به، فزاد رجلاً في الإسناد.

وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في الدلائل من طريق عن عطاء بن السائب، عن أَبي عبد الرَّحمٰن السلمي. قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق. فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة فحمد الله وقال مثله وزاد: ألا وإن السابق من سبق إلى الجمعة. فلما كنّا في الطريق قلت لأبي ما يعني بقوله ـ غداً السباق ـ. قال: من سبق إلى الجنة.

وأما ابن عباس فقال البخاري: حدّثنا يحيى بن كثير حدّثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عبَّاس. قال: إن القمر انشق في زمان النبي ﷺ(٤). ورواه البخاري أيضاً ومسلم من حديث بكر ـ وهو ابن نصر ـ عن جعفر قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾. قال: قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وهكذا رواه العوفي عن ابن عبّاس رضي الله عنه وهو من مرسلاته. وقال الحافظ أبو نعيم: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ٥٤، ومسلم في المنافقين حديث ٤٦، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٣٦، ومسلم في المنافقين حديث ٤٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٨١، ٨٢.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٥٤، ومناقب الأنصار باب ٣٦، ومسلم في المنافقين حديث ٤٨.

بكر بن سهيل، حدّثنا عبد الغني بن سعيد، حدّثنا موسى بن عبد الرَّحمٰن عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، وعن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم. فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشقّ لنا القمر فرقتين، نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقعان. فقال لهم النبي ﷺ: «إِنْ فَعَلْتُ تُؤْمِنُوا؟» قالوا: نعم! وكانت ليلة بدر ـ فسأل الله عزّ وجلّ أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله ﷺ ينادي: «يَا أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الأَسَدِ وَالأَرْقَمَ بْنَ الأَرْقَمِ اشْهَدُوا».

ثم قال أبو نعيم: وحدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن العمان، حدّثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عبّاس. قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبرائيل فقال: يا محمّد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة، فَسَيَرَوْا آية إن انتفعوا بها. فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرائيل، فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فنظروا، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا. فقالوا: يا محمّد ما هذا إلاّ سحر واصب فأنزل الله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

ثم روى الضحّاك عن ابن عبّاس. قال: جاءت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أرنا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربّه فأراهم القمر قد انشقّ بجزئين؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا: هذا سحرٌ مفترى.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدّثنا أحمد بن عمرو الرزّاز، حدّثنا محمّد بن يحيى القطعي، حدّثنا محمّد بن بكر، حدّثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾. وهذا إسناد جيّد، وفيه أنه كسف تلك الليلة، فلعله حصل له انشقاق في ليلة كسوفه، ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض، ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ويقال: إنه أرّخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرّخ بليلة انشقاق القمر.

وأما ابن عمر فقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا العباس بن محمّد الدوري، حدّثنا وهب بن جرير عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد به. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي

معمر، عن ابن مسعود[١]. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود. قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ شقّتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهَدُوا»[٢]. وهكذا أخرجاه من حديث سفيان ـ وهو ابن عيينة ـ به. ومن حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سمرة عن ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى، فقال النبي ﷺ: «اشهَدُوا» وذهبت فرقة نحو الجبل[٣]. لفظ البخاري، ثم قال البخاري وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بمكة ـ وتابعة محمّد بن مسلم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه. وقد أسند أبو داود الطيالسي حديث أبي الضحى عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود. قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كَبْشة. فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفّار[٤]؟ فإنّ محمّداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلّهم. قال فجاء السفّار فقالوا ذلك. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدّثنا أبو العباس، حدّثنا العباس بن محمّد الدوري، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا هشيم، حدّثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق، عن عبد الله، قال: انشقّ القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفّار قريش لأهل مكة: هذا سحرٌ سحركم به ابن أبي كبشة، انظروا السفّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم، فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم، فهو سحر سحركم به، قال: فسُئِل السفّار قال ـ وقدموا من كل وجهة ـ فقالوا: رأينا. وهكذا رواه أبو نعيم من حديث جابر عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا مؤمل حدّثنا إسرائيل عن سمّاك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر[٥]. وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسباط عن سمّاك به.

وقال الحافظ أبو نعيم: حدّثنا أبو بكر الطلحي، حدّثنا أبو حصين محمّد بن الحسين الوادعي، حدّثنا يحيى الحمّاني، حدّثنا يزيد عن عطاء، عن سمّاك، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. قال: كنا مع النبي ﷺ بِمِنًى وانشق القمر حتى صار فرقتين، فرقة خلف الجبل. فقال النبي ﷺ: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا» وقال أبو نعيم: حدّثنا سليمان بن أحمد حدّثنا جعفر بن محمّد القلانسي، حدّثنا آدم بن أبي إياس، حدّثنا الليث بن سعد، حدّثنا

---

(١) حديث ابن مسعود أخرجه مسلم في المنافقين حديث ٤٣، والترمذي في تفسير القرآن باب ٥٤، من سورة القمر.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٧، ومسلم في المنافقين حديث ٤٣، وأحمد في المسند ١/ ٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٣٦، والتفسير باب ١.

(٤) السفّار: المسافرون.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤١٣.

هشام بن سعد عن عتبة، عن عبد الله بن عتبة، عن ابن مسعود. قال: انشقّ القمر ونحن بمكّة، فلقد رأيت أحد شقّيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكّة، وحدّثنا أحمد ابن إسحاق، حدّثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدّثنا محمّد بن حاتم ، حدّثنا معاوية بن عمرو عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله. قال: انشقّ القمر بمكّة فرأيته فرقتين. ثم روي من حديث علي بن سعيد بن مسروق: حدّثنا موسى بن عمير عن منصور بن المعتمر، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود. قال: رأيت القمر والله منشقاً باثنتين بينهما حراء. وروى أبو نعيم من طريق السدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس. قال: انشقّ القمر فلقتين. فلقة ذهبت، وفلقة بقيت.

قال ابن مسعود: لقد رأيت جبل حراء بين فلقتي القمر، فذهب فلقة. فتعجّب أهل مكة من ذلك، وقالوا هذا سحر مصنوع سيذهب. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد. قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**فَاشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ**» وقال المشركون: سحر القمر حتى انشق فهذه طرق متعدّدة قوية الأسانيد، تفيد القطع لمن تأمّلها وعرف عدالة رجالها. وما يذكره بعض القصّاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له، وهو كذب مفترى ليس بصحيح. والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حيْن أشار إليه النبي ﷺ انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك. وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد: فانشق القمر بمكّة مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم.

[في][١] وفاة أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها. وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الأول. وهذان المشفقان؛ هذا في الظاهر وهذه في الباطن، هذاك كافر وهذه مؤمنة صدِّيقة رضي الله عنها وأرضاها.

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وَزِيرَ صِدْقٍ على الإسلام[٢] يسكن إليها، وبهُلك عمّه أبي طالب وكان له عضداً وحِرزاً في أمره، وَمَنَعَة وناصراً على قومه. وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلمّا هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تَطْمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فحدّثني هشام بن عروة عن أبيه. قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسله وتبكي، ورسول الله ﷺ يقول: «**لاَ تَبْكِي يَا بُنَيَّةُ فَإِنَّ**

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: الابتلاء.

اللَّه مانعٌ أبَاك» ويقول بين ذلك: «ما نَالَتني قُرَيْشٌ شَيئاً أكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أبُو طَالِبٍ»

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك: أن أحدهم ربما طرح الأذى في برمته ﷺ إذا نصبت له. قال فكان إذا فعلوا ذلك كما حدَّثني عمر بن عبد اللَّه عن عروة يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه على بابه ثم يقول: «يَا بَني عَبْدِ مَنَافٍ أيُّ جِوَارٍ هَذَا؟» ثم يلقيه في الطريق.

قال ابن إسحاق: ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمّد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، فإنا والله ما نأمن أن يبروا أمرنا. قال ابن إسحاق: وحدَّثني العباس بن عبد اللَّه بن معبد عن بعض أهله عن ابن عبّاس قال: لما مشوا إلى أبي طالب وكلّموه ـ وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأميّة بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم ـ. فقالوا: يا أبا طالب إنك منّا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوّفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ لنا منه، وخذ له منّا ليكفّ عنا ولنكفّ عنه، وليدعنا ودينا ولندعه ودينه. فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَمُّ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونَهَا تَمْلِكُونَ بِهَا العَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا العَجَمُ». فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات. قال: «تَقُولُونَ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ». فصفّقوا بأيديهم. ثم قالوا: يا محمّد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرّقوا. قال فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا[1]. قال: فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له: «أيْ عَمّ فَأنْتَ فَقُلْهَا أسْتَحِلُّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ القِيَامَةِ» فلما رأى حرص رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرّك بها. قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العبّاس إليه يحرّك شفتيه فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها. قال فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أسْمَعْ» قال: وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص ١ ـ ٢] الآيات. وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنة.

وقد استدلّ بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العبّاس هذا الحديث: يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني لا إله إلا الله ـ والجواب عن هذا من وجوه: أحدها أن في السند مبهماً لا يُعرف حاله، وهو

---

(١) شططاً: بعداً عن الحق..

قوله عن بعض أهله وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقّف فيه لو انفرد. وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة عن الأعمش، حدّثنا عباد عن سعيد بن جُبَيْر، فذكره ولم يذكر قول العبّاس[١]. ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش عن يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس فذكره بغير زيادة قول العبّاس. ورواه الترمذي وحسّنه والنسائي وابن جرير أيضاً. ولفظ الحديث من سياق البيهقي فيما رواه من طريق الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس. قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب، فجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك. وشكوه إلى أبي طالب. فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عَمّ إنّما أُريدُ منهُمْ كَلِمةً تَذِلُّ لهُمْ بها العَرَبُ، وَتُؤدّي إلَيْهِمْ بهَا الجزْيَةَ العَجَمُ، كَلِمةً واحدَةً». قال: ما هي؟ قال: «لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ» قال: فقالوا: ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾! قال: ونزل فيهم ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ الآيات إلى قوله ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ ثم قد عارضه ـ أعني سياق ابن إسحاق ـ ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري قائلاً: حدّثنا محمود، حدّثنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيّب، عن أبيه رضي الله عنه. أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل. فقال: «أيْ عَمّ قُلْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أحاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ اللَّه». فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلّماه حتى قال آخر ما كلّمهم به: على ملّة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «سأسْتَغفِرُ لَكَ ما لَمْ أُنهَ عَنكَ» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت ﴿ إنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢] ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزّاق. وأخرجاه أيضاً من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبيه بنحوه، وقال فيه: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملّة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «أمَا لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنهَ عَنكَ» فأنزل الله ـ يعني بعد ذلك ـ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ ونزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾[٣] [القصص: ٥٦] وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال: «يا عَمَّاهُ قُلْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ أشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيامَةِ» فقال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون ما

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ٣٩، من سورة ص، وأحمد في المسند ١/ ٣٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب ٩، سورة براءة، ومسلم في الإيمان حديث ٤٠، والنسائي في الجنائز باب ١٠٢.

حمله عليه إلاّ فزع الموت لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلاّ لأقرّ بها عينك. فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(١)] وهكذا قال عبد الله بن عبّاس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلاّ الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملّة الأشياخ. وكان آخر ما قال: هو على ملّة عبد المطلب. ويؤكد هذا كلّه ما قال البخاري: حدّثنا مسدد، حدّثنا يحيى عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، حدّثني عبد الله بن الحارث قال: حدّثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمّك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ[(٢)]» ورواه مسلم في صحيحه من طرق عن الله بن عمير به أخرجاه في الصحيحين من حديث الليث: حدّثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ ذكر عنده عمّه فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[(٣)] لفظ البخاري.

وفي رواية: «تَغْلِي مِنْهُ أُمّ دِمَاغِهِ»[(٤)] وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفّان، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أهونُ أهْلِ النَّارِ عَذاباً أَبُو طَالِبٍ، مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[(٥)] وفي مغازي يونس بن بكير: «يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ عَلَى قَدَمَيْهِ» ذكره السهيلي وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدّثنا عمرو ـ هو ابن إسماعيل بن مجالد ـ حدّثنا أبي، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر. قال: سئل رسول الله ﷺ ـ أو قيل له ـ هل نفعت أبا طالب؟ قال: «أخرَجْتُهُ مِنَ النَّارِ إِلَى ضَحْضَاحٍ مِنْهَا» تفرّد به البزار. قال السهيلي: وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادة العبّاس أخيه أنه قال الكلمة، وقال: «لَمْ أَسْمَعْ» لأن العبّاس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة.

قلت: وعندي أن الخبر بذلك ما صحّ لضعف سنده كما تقدّم. ومما يدل على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، وبتعليل صحّته لعلّه قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حيث لا ينفع نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول: سمعت علياً يقول: لما توفي أبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن عمّك قد توفي. فقال:

---

(١) أخرجه النسائي في الإيمان حديث ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٠، ومسلم في الإيمان حديث ٣٥٧، وأحمد في المسند ١/ ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٠، ومسلم في الإيمان حديث ٣٦٠، وأحمد في المسند ٣/٨، ٩.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٥١.

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٣٦٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٠.

«اذْهَبْ فَوَارِهِ» فقلت: إنه مات مشركاً، فقال: «اذهَبْ فَوَارِهِ[١] وَلاَ تُحْدِثَنَّ شيئاً حتّى تأْتِي» ففعلت فأتيته، فأمرني أن أغتسل[٢] ورواه النسائي عن محمّد بن المثنى عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية عن علي: لما مات أبو طالب قلت: يا رسول الله إن عمّك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: «اذهَبْ فَوَارِ أَبَاكَ وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي» فأتيته فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهنّ ما على الأرض من شيء[٣].

وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو سعد الماليني حدّثنا أبو أحمد بن عدي، حدّثنا محمّد بن هارون بن حميد، حدّثنا محمّد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدّثنا الفضل عن إبراهيم بن عبد الرّحمٰن عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال: «وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، وَجُزِيتَ خيراً يَا عَمُّ». قال وروي عن أبي اليمان الهوزني عن النبي ﷺ مرسلاً وزاد، ولم يقم على قبره. قال: وإبراهيم بن عبد الرّحمٰن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه.

قلت: قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني ومحمّد بن سلام البيكندي، ومع هذا قال ابن عدي ليس بمعروف، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة. وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه، وما قاله فيه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودّة والمحبّة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها، وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذّبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامى، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كلّه يعلم أن رسول الله ﷺ صادق بار راشد، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه. وفرّق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال تعالى في قوم فرعون ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] وقال موسى لفرعون ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقول بعض السلف في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ﴾ أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهى الناس عن أذيّة رسول الله ﷺ وينأى هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق. فقد روي عن ابن عبّاس، والقاسم بن مخيمرة، وحبيب بن أبي ثابت، وعطاء بن دينار، ومحمّد بن كعب، وغيرهم، ففيه نظر والله أعلم. والأظهر والله أعلم

(١) واره: ادفنه..

(٢) أخرجه النسائي في الطهارة باب ١٨٢.

(٣) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٧٠، والنسائي في الجنائز باب ٨٤.

الرواية الأخرى عن ابن عبّاس؛ وهم ينهون الناس عن محمّد أن يؤمنوا به. وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحّاك وغير واحد ـ وهو اختيار ابن جرير ـ وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدّون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به. ولهذا قال ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥ ـ ٢٦] وهذا اللفظ وهو قوله ﴿وَهُمْ﴾ يدلّ على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون في سياق الكلام، وقوله: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يدل على تمام الذمّ. وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصدّ الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال، ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدّر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة، والحجّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحّمنا عليه.

فصل

موت خديجة بنت خُويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرضاها، وجعل جنّات الفردوس منقلبها ومثواها. وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال يعقوب بن سفيان: **حدّثنا** أبو صالح، حدّثنا الليث حدّثني عقيل عن ابن شهاب. قال قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة. ثم روي من وجه آخر عن الزهري أنه قال: توفيت خديجة بمكّة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقبل أن تفرض الصلاة. وقال محمّد بن إسحاق: ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد. وقال البيهقي: بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام. ذكره عبد اللّه بن منده في كتاب المعرفة، وشيخنا أبو عبد اللّه الحافظ. قال البيهقي: وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خرجوا من الشعب، وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة.

قلت: مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد، ولكن أخّرنا ذلك عن الإسراء لمقصد ستطلع عليه بعد ذلك، فإن الكلام به ينتظم ويتّسق الباب كما تقف على ذلك إن شاء الله.

وقال البخاري: **حدّثنا** قتيبة، حدّثنا محمّد بن فضيل بن غزوان عن عمارة، عن أبي

زوعة، عن أَبي هريرة. قال: أتى جبرائيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ ـ أو طعام أو شراب ـ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ(١). وقد رواه مسلم من حديث محمّد بن فضيل به. وقال البخاري: حدّثنا مسدد، حدّثنا يحيى عن إسماعيل. قال: قلت لعبد اللّه بن أبي أوفى: بشّر النبي ﷺ خديجة؟ قال: نعم! ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب(٢). ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أَبي خالد به.

قال السهيلي: وإنّما بشّرها ببيت في الجنّة من قصب ـ يعني قصب اللؤلؤ ـ لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان، لا صخب فيه ولا نصب، لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً. وأخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة. وهلكت قبل أن يتزوجني ـ لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشّرها ببيت في الجنة من قصب. وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن(٣). لفظ البخاري، وفي لفظ عن عائشة ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها. وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربّه ـ أو جبرائيل ـ أن يبشّرها ببيت في الجنة من قصب(٤). وفي لفظ له قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ـ وما رأيتها ـ ولكن كان يكثر ذكرها، وربّما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة. فربّما قلت كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلاّ خديجة فيقول: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»(٥).

ثم قال البخاري: حدّثنا إسماعيل بن خليل، أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خُويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال: «اللَّهُمَّ هَالَةَ».

فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها(٦). وهكذا رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به. وهذا

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٧١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٢، وأحمد في المسند ٤/ ٣٨١.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٤، وأحمد في المسند ٦/ ٥٨.

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠.

(٦) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٢٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٨، وأحمد في المسند ٦/ ١٥٤.

ظاهر في التقرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة. إذا لم ينكر عليها ولا ردّ عليها ذلك، كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله.

ولكن قال الإمام أحمد: حدّثنا مؤمل أبو عبد الرحمٰن، حدّثنا حمّاد بن سلمة عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة، عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فأطنب[1] في الثناء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين. قال: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغيّر عند شيء قط، إلاّ عند نزول الوحي، أو عند المخيلة، حتى يعلم رحمة أو عذاباً[2]. وكذا رواه عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حمّاد بن سلمة، عن عبد الملك بن عُمَيْر به. وزاد بعد قوله حمراء الشدقين؛ هلكت في الدهر الأول. قال: قال فتمعّر[3] وجهه تمعراً ما كنت أراه إلاّ عند نزول الوحي، أو عند المخيلة حتى ينظر رحمة أو عذاباً. تفرّد به أحمد. وهذا إسناد جيد.

وقال الإمام أحمد أيضاً، عن ابن إسحاق: أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء. قالت فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها، قال: «مَا أَبْدَلَنِي اللّهُ خيراً منها، وقدْ آمنتْ بي إذْ كفر بي النّاسُ، وَصدَّقتْني إذْ كَذَّبَنِي، وآستْني بمالِهَا إذْ حرمني النَّاسُ، ورزقني اللّهُ ولدها إذْ حرمني أوْلادَ النِّساء»[4] تفرّد به أحمد أيضاً. وإسناده لا بأس به، ومجالد روى له مسلم متابعة، وفيه كلام مشهور والله أعلم. ولعل هذا أعني قوله: «وَرَزَقني اللّهُ ولدَها إذْ حَرمَني أوْلادَ النِّساءِ». كان قبل أن يولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذا معين. فإن جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدّم وكما سيأتي من خديجة إلاّ إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها. وقد استدلّ بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وتكلّم آخرون في إسناده وتأوّله آخرون على أنها كانت خيراً عِشرة وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها، وليس مرادها بقولها قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكي نفسها وتفضّلها على خديجة، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عزّ وجلّ، كما قال ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] الآية. وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً، وبجانبها طرقاً يقتصر عليها أهل الشيع وغيرهم، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء لسلام الربّ عليها، وكون ولد النبي ﷺ جميعهم - إلاّ إبراهيم - منها. وكونه لم يتزوّج

(١) أطنب: زاد أو أكثر.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٥٠.

(٣) تمعّر: عرته صفرة أو زالت نضارته.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١١٧، ١١٨.

عليها حتى ماتت إكراماً لها، وتقدير إسلامها، وكونها من الصدِّيقات، ولها مقام صدق في أول البعثة. وبذلت نفسها ومالها لرسول الله ﷺ. وأما أهل السنّة فمنهم من يغلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف، ولكن تحملهم قوة التسنن على تفضيل عائشة لكونها ابنة الصدِّيق، ولكونها أعلم من خديجة، فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول يحبّ أحداً من نسائه كمحبته إياها، ونزلت براءتها من فوق سبع سموات، وروت بعده عنه عليه السلام علماً جماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «خُذوا شطْرَ دِينكُمْ عَنِ الحُميْرَاء» والحقّ أن كلاً منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيّره، والأحسن التوقف في ذلك إلى الله عزّ وجلّ. ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنّه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومن حصل له توقّف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم. وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد اللّه بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ نِسائِها مرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان، وَخيرُ نسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلدٍ[(١)]» أي خير زمانهما. وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرّة بن إياس رضي الله عنه. قال قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاء إلاَّ ثَلاثٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان، وَآسِيَةُ امْرَأةُ فِرْعَوْن، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» رواه ابن مردويه في تفسيره. وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده. قالوا والقدر المشترك بين الثلاث نسوة؛ آسية ومريم وخديجة أن كلاً منهن كفلت نبياً مرسلاً، وأحسنت الصحبة في كفالتها وصدقته. فآسية ربّت موسى وأحسنت إليه وصدّقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدّقته حين أرسل. وخديجة رغبت في تزويج رسول الله ﷺ بها، وبذلت في ذلك أموالها كما تقدّم وصدّقته حين نزل عليه الوحي من الله عزّ وجلّ. وقوله: «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» هو ثابت في الصحيحين من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب الهمداني عن أبي موسى الأشعري. قال قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[(٢)] والثريد هو الخبز واللحم جميعاً، وهو أفخر طعام العرب كما قال بعض الشعراء: [الوافر]

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٤٥، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٦٩، والترمذي في المناقب باب ٦٢، وأحمد في المسند ١/ ٨٤، ١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأطعمة باب ٢٥، ٣٠، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٠، والترمذي في الأطعمة باب ٣١، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٤.

إِذَا مَا الخُبْزُ تَأْدُمُهُ بِلَحْمٍ فَذَاكَ أَمَانَةَ اللهِ الثَّرِيدُ

ويحمل قوله: «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ» أن يكون محفوظاً فيعمّ النساء المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف يحتمل التسوية بينهن فيحتاج من رجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم.

فصل في تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصدّيق وسودة بنت زمعة [رضي الله عنهما][١]

والصحيح أن عائشة تزوّجها أولاً كما سيأتي. قال البخاري في باب تزويج عائشة: **حدّثنا** معلى بن أسد، حدّثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «أُرِيتُكِ في المَنَام مَرَّتَينِ، أرى أَنَّكِ في سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ. فَأَكْشِفُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمضِهُ»[٢].

قال البخاري باب نكاح الأبكار: وقال ابن أبي مليكة: **قال** ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيرك.

حدّثنا إسماعيل بن عبد الله، حدّثني أخي عن سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «فِي التي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا» تعني أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها[٣]. انفرد به البخاري، ثم قال: حدّثنا عبيد بن إسماعيل، حدّثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أُرِيتُكِ فِي المَنَام فيجيء بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمضِهُ»[٤] وفي رواية: «أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ ثَلاثَ لَيَالٍ». [٥] وعند الترمذي أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[٦].

وقال البخاري: **تزويج الصغار من الكبار**.

حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الليث، عن يزيد، عن عراك، عن عروة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك. فقال: «أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلاَلٌ»[٧] هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل، وهو عند البخاري

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في النكاح باب ٩.

(٤) أخرجه البخاري في النكاح باب ٩.

(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٧٩.

(٦) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٣.

(٧) أخرجه البخاري في النكاح باب ١١.

والمحققين متّصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، وهذا من إفراد البخاري رحمه الله.

وقال يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: تزوّج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع. ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة. وهذا غريب. وقد روى البخاري عن عبيد ابن إسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين، فلبث سنتين ـ أو قريباً من ذلك ـ ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين[(١)]، وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدّمنا، ولكنه في حكم المتصل في نفس الأمر. وقوله تزوّجها وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس ـ وقد ثبت في الصحاح وغيرها ـ وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة. وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر. فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال: حدّثنا الحجاج، حدّثنا حمّاد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوّجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة، وأنا ابنة سبع ـ أو ست ـ سنين، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مجممة[(٢)]، فهيآنني وصنعنني، ثم أتين بي إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين[(٣)]. فقوله في هذا الحديث متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً، اللهمّ إلاّ أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم.

وقال البخاري: حدّثنا فروة بن أبي المغراء، حدّثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج. فوعكت فتمزّق شعري وقد وفت لي جميمة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمست به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار. قال فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهنّ، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلاّ رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمنني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين[(٤)].

وقال الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين: حدّثنا محمّد بن بشر حدّثنا بشر، حدّثنا محمّد بن عمرو، أبو سلمة ويحيى. قالا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٤.

(٢) مجممة: من شعرها نازل إلى أذنيها.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٨٠.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٤.

امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: «فَمَنِ البِكْرُ؟» قالت: أحب خلق الله إليك، عائشة ابنة أبي بكر. قال: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟» قالت: سودة بنت زمعة. قد آمنت بك واتبعتك. قال: «فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ». فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي» فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي. فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقول هذه؟ يقول إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدّته التي وعده. فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ، فدعته فزوّجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه. قالت: وددت، ادخلي إلى أبي بكر فاذكري ذلك له - وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن، قد تخلّف عن الحج - فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمّد بن عبد اللّه أخطب عليه سودة. فقال: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قال: تحبّ ذلك. قال: ادعيها إليّ، فدعتها، قال: أي بنيّة إن هذه تزعم إن محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفؤ كريم، أتحبين أن أزوّجك به؟ قالت: نعم. قال: ادعيه لي، فجاء رسول الله ﷺ فزوّجها إياه، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحجّ، فجاء يحثي على رأسه التراب. فقال: بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب، أن تزوّج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة. قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا لفي أرجوحة بين عذقين[1] يرجح بي، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك. فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت

(١) عذقان: مثنى عذق وهو كل غصن له شعب.

على جزور، ولا ذبحت على شاة. حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة، كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين(١).

وهذا السياق كأنه مرسل، وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبّار حدّثنا عبد اللّه بن إدريس الأزدي عن محمّد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرّحمٰن بن حاطب. قال قالت عائشة: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «وَمَنْ؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: «مَنِ البِكْرُ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟» قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك، وأما الثيب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك. قال: «فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ». وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم. وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكّة، وأما دخوله على عائشة فتأخّر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم، وكما سيأتي.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسود، حدّثنا شريك عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كبرت سودة وهبت يومها لي، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه. قالت: وكانت أول امرأة تزوّجها بعدي(٢).

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر حدّثنا عبد الحميد، حدّثني شهر، حدّثني عبد اللّه بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية، كان لها خمس صبية ـ أو ست ـ من بعلها مات. فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَمْنَعُكِ مِنِّي؟» قالت: والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحبّ البرية إليّ، ولكني أكرمك أن يمنعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال: «فَهَلْ مَنَعَكِ مِنِّي غَيْرُ ذٰلِكَ؟» قالت: لا والله، قال لها رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُكِ اللَّهُ إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الإِبِلِ، صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ بِذَاتِ يَدِهِ»(٣). قلت: وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم، ثم رجع إلى مكّة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه. هذه السياقات كلّها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدّماً على العقد بسودة، وهو قول عبد اللّه بن محمّد بن عقيل. ورواه يونس عن الزهري واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة، وحكاه عن قتادة وأبي عبيد. قال ورواه عقيل عن الزهري.

فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ، وأنه كان ناصراً له، وقائماً في صفه، ومدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال، فلما مات اجترأ سفهاء

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢١٠، ٢١١.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٦٨.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣١٨، ٣١٩.

قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه، ولا يقدرون عليه. كما قد رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم: حدّثنا محمّد بن إسحاق الصنعاني، حدّثنا يوسف بن بهلول، حدّثنا عبد اللّه بن إدريس، حدّثنا محمّد بن إسحاق عمّن حدثه عن عروة بن الزبير، عن عبد اللّه بن جعفر. قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أيْ بُنَيّةَ لاَ تَبْكِينَ فَإنَّ اللّهَ مَانِعٌ أبَاكِ» ويقول ما بين ذلك: «مَا نَالَتْ قُرَيْشٌ شَيْئاً أكْرَهُهُ حَتّى مَاتَ أبُو طَالِبٍ ثُمَّ شَرَعُوا». قد رواه زياد البكائي عن محمّد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً والله أعلم. وروى البيهقي أيضاً عن الحاكم وغيره عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعِينَ[1] حَتّى مَاتَ أبُو طَالِبٍ» ثم رواه عن الحاكم، عن الأصم، عن عباس الدوري، عن يحيى بن معين، حدّثنا عقبة المجدر عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَةً حَتّى تُوُفِيَ أبُو طَالِبٍ».

وقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام أنهما قالا: لما توفي أبو طالب وخديجة ـ وكان بينهما خمسة أيام ـ اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان، ولزم بيته وأقلّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمّد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا يُوصَل إليك حتى أموت.

وسبّ ابن الغيطلة رسول الله ﷺ، فأقبل إليه أبو لهب فنال منه، فولّى يصيح يا معشر قريش صبأ أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكني أمنع ابن أخي أن يضام، حتى يمضي لما يريد. فقالوا: لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم. فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط، وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب: يا محمّد أين مدخل عبد المطلب؟ قال: «مع قومه». فخرج إليهما فقال: قد سألته فقال مع قومه. فقالا: يزعم أنه في النار. فقال: يا محمّد أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار». فقال أبو لهب ـ لعنه الله ـ والله لا برحت لك إلاّ عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. واشتدّ عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه.

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب، والحكم ابن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن الحمراء، وابن الاصداء الهذلي.

---

(١) الكاعة جمع كاع وهو الجبان. كع الرجل يكع كعاً جبن عنه.

وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحد إلاّ الحكم بن أبي العاص. وكان أحدهم ـ فيما ذكر لي ـ يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود، ثم يقف به على بابه ثم يقول: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَيُّ جِوَارٍ هَذَا؟» ثم يلقيه في الطريق.

قلت: وعندي أن غالب ما روي مما تقدّم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي، كما رواه ابن مسعود، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه، وأقبلت عليهم فشتمتهم، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدّم. وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصدّيق قائلاً: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وكذلك عزم أبي جهل ـ لعنه الله ـ على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك، وما أشبه ذلك [كل ذلك](١) كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم. فذكرها ههنا أنسب وأشبه.

فصل في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله تعالى وإلى نصرة دينه فردوا عليه ذلك. ولم يقبلوا فرجع عنهم إلى مكّة

قال ابن إسحاق: فلمّا هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحده. فحدَّثني يزيد بن أبي زياد عن محمّد بن كعب القرظي. قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف وعمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة؛ عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلّمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرّط(٢) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ـ فيما ذكر لي ـ: «إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَلَيَّ»، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم(٣) ذلك عليه. فلم يفعلوا

(١) سقط في ط.
(٢) يمرّط ثياب الكعبة: أي ينزعه ويرمي به.
(٣) قال ابن هشام: فيذئرهم يعني يحرش بينهم، وأورد في ذلك شعراً ج ٢/ ٦١.

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه إلى حائط[١] لعتبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فعمد إلى ظل حبلة[٢] من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ ـ فيما ذكر لي ـ المرأة التي من بني جُمَح، فقال لها: «مَاذَا لَقِينا مِنْ أَحْمَائِكِ». فلما اطمأن قال ـ فيما ذكر ـ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[٣] أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي. إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ». قال: فلمّا رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس [وقالا له]: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «بِسْمِ اللَّهِ» ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: «وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ بِلاَدٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُكَ؟» قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ». فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه. قال يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلاّ نبيّ. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق، إلاّ أنه لم يذكر الدعاء وزاد؛ وقعد له أهل الطائف صفّين على طريقه، فلمّا مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاّ رضخوهما[٤] بالحجارة حتى أدموه، فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما لله ورسوله. ثم ذكر قصّة عداس النصراني كنحو ما تقدم.

وقد روى الإمام أحمد عن أبي بكر بن أبي شيبة: حدّثنا مروان بن معاوية الفزاري،

(١) حائط: بستان.

(٢) الحبلة الأصل أو القضيب من شجر الأعناب. قاله في النهاية وزاد في السهيلي والكرمة.

(٣) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

(٤) رضخوهما: رموهما.

عن عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن الطائفي، عن عبد الرَّحمٰن بن خالد بن أبي جبل العدواني، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو عصى - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعته يقول: «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ» حتى ختمها. قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنّا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه[١]. وثبت في الصحيحين من طريق عبد اللّه بن وهب[٢] أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدَّثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ عليك من يوم أُحُد؟ قال: «مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ، يَوْمُ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللّه قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ لَكَ مَلَكَ الجِبَالِ، لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. ثُمَّ نَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ بَعَثَنِي اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ لِتَأْمُرَنِي مَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ نُطْبِقُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟» فقال رسول الله ﷺ: «أَرْجُو أَنْ يَخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»[٣]

فصل

وقد ذكر محمّد بن إسحاق سماع الجن لقراءة رسول الله ﷺ، وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح، فاستمع الجن الذين صرفوا إليه قراءته هنالك. قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر، وأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير، وتقدّم قطعة من ذلك والله أعلم. ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي، وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأةً وتكذيباً وعناداً، والله المستعان وعليه التكلان.

وقد ذكر الأموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال: نعم! قل له فليأت. فذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلّدي السيوف جميعاً

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٣٥.

(٢) وفي السهيلي: عبد اللّه بن يوسف وهو خطأ. وإنما هو عبد اللّه بن وهب الفهمي القرشي.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ٧، ومسلم في الجهاد حديث ١١١.

فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ: طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم. فقال: أمجير أو تابع؟ قال: لا بل مجير. قال: إذاً لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه. وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال فمكث أياماً ثم أذن له في الهجرة، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير، فقال حسّان بن ثابت: والله لأرثينه فقال فيما قال: [الطويل]

فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ مُخْلِدَ اليَوْمَ وَاحِدٌ ... مِنَ النَّاسِ نَجّى مَجْدَهُ اليَوْمَ مُطْعِمَا
أَجَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا ... عِبَادَكَ مَا لَبَّى مُحِلٌّ وَأَحْرَمَا
فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرِهَا ... وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لَقَالُوا هُوَ المُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ ... وَذِمَّتِهِ يَوْماً إِذَا مَا تَجَشَّمَا[١]
وَمَا تَطْلَعُ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ ... عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَكْرَمَا
إِبَاءً إِذَا يَأْبَى وَأَلْيَنَ شِيمَةٍ ... وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قلت ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر: «لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ حَيّاً ثُمَّ سَأَلَنِي فِي هٰؤُلاَءِ النُّقَبَاءِ لَوَهَبْتُهُمْ لَهُ»[٢].

فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ويمنعوه ممن كذبه وخالفه فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله تعالى للأنصار من الكرامة العظيمة [رضي الله عنهم][٣]

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلاّ قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال ابن إسحاق: فحدَّثنا من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم، عن ربيعة بن عباد الدؤلي - ومن حدّثه أبو الزناد عنه - وحدّثني حسين بن عبد اللّه بن عُبَيد اللّه بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدّثه أبي. قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسولُ الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: «يَا بَنِي فُلاَنٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الأَنْدَادِ، وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي وتصدقوني[٤] وَتَمْنَعُونِي، حَتَّى أُبَيِّنَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ». قال وخلفه رجل أحول وضيء له

(١) تجشم الأمر: تكلفه.
(٢) أخرجه البخاري في الخمس باب ١٦، والمغازي باب ١٢، وأحمد في المسند ٤/ ٨٠.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: وتصدقوا بي.

غديرتان[١] عليه حلّة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه. قال ذلك الرجل: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن قيس[٢] إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. قال فقلت لأبي: يا أبت، مَنْ هذا الرجل الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمّه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب. وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب ـ يتبعه حيث ذهب ـ فسألت عنه فقالوا: هذا عمّه أبو لهب[٣]. ورواه البيهقي من طريق محمّد بن عبد اللّه الأنصاري عن محمّد بن عمرو عن محمّد بن المنكدر عن ربيعة الدؤلي: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقدّ وجنتاه وهو يقول: أيها الناس لا يغرنّكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو لهب. وكذا رواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمّد بن المنكدر به نحوه، ثم رواه البيهقي من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة. قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا» وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل وهو يقول: يا أيها الناس لا يغرنّكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى. كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على إذائه ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدّثني ابن شهاب الزهري: أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم، وفيهم سيّد لهم يقال له مُلَيح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه، قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن حصين أنه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد اللّه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى [إنه][٤] ليقول: «يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ» فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. وحدّثني بعض أصحابنا عن عبد اللّه بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فلم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه

---

(١) غديرتان: ذؤابتان من الشعر.
(٢) في ط: أقيش.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٤١.
(٤) سقط في ط.

منهم. وحدّثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأَمْرُ لِلّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم(١)، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلمّا قدموا عليه ذلك العام سألهم عمّا كان في موسمهم فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. قال فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذُنَابَاها من مَطْلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم؟.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلّم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلاّ أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: «لاَ أُكْرِهُ أَحَداً مِنْكُمْ عَلى شَيْءٍ، مَنْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِالَّذِي أَدْعُوهُ إِلَيْهِ فَذَلِكَ، وَمَنْ كَرِهَ لَمْ أُكْرِهْهُ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تَحْرُزُونِي فِيمَا يُرَادُ لِي مِنَ القَتْلِ حَتّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَحَتَّى يَقْضِي اللّهُ لِي وَلِمَنْ صَحِبَنِي بِمَا شَاءَ». فلم يقبله أحد منهم، ولم(٢) يأت أحد من تلك القبائل إلاّ قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟! وكان ذلك مما ذخّره الله للأنصار وأكرمهم به.

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد اللّه بن الأجلح، ويحيى بن سعيد الأموي، كلاهما عن محمّد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عبّاس عن العباس. قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لاَ أَرَى [لِي](٣) عِنْدَكَ وَلاَ عِنْدَ أَخِيكَ مَنعَةً فَهَلْ أَنْتَ مُخْرِجِي إِلَى السُّوقِ غَداً حَتَّى نَقِرَّ فِي مَنَازِلِ قَبَائِلِ النَّاسِ» وكانت مجمع العرب. قال: فقلت: هذه كندة ولفها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختر لنفسك؟ قال فبدأ بكندة فأتاهم فقال: «مِمَّنِ القَوْمُ؟» قالوا: من أهل اليمن. قال: «مِنْ أَيِّ اليَمَنِ؟» قالوا: من كندة. قال: «مِنْ أَيِّ كِنْدَةَ؟» قالوا: من بني عمرو بن معاوية، قال: «فَهَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ؟» قالوا: وما هو؟ قال: «تَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَتُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَتُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ». قال عبد اللّه بن الأجلح: وحدّثني أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المُلْكَ لِلّهِ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال

---

(١) في ط: المواسم.

(٢) في ط: وما.

(٣) سقط في ط.

الكلبي: فقالوا: أجئتنا لتصدّنا عن آلهتنا وننابذ العرب، إلْحق بقومك فلا حاجة لنا بك. فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: «مِمَّنِ القَوْمُ؟» قالوا: من بكر بن وائل. فقال: «مِنْ أيِّ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ؟» قالوا: من بني قيس بن ثعلبة. قال: «كَيفَ العَدَدُ؟» قالوا: كثير مثل الثرى. قال: «فَكَيْفَ المِنْعَةُ؟» قالوا: لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم. قال: «فَتَجْعَلُونَ لِلَّه عَلَيْكُمْ إنْ هُوَ أبْقاكُمْ حَتَّى تَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ، وَتَسْتَنْكِحُوا نِسَاءَهُمْ، وَتَسْتَعْبِدُوا أَبْنَاءَهُمْ أنْ تُسَبِّحُوا اللَّهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَتُحَمِّدُوهُ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَتُكَبِّرُوهُ أَرْبَعاً وَثَلاثِينَ» قالوا: ومن أنت؟ قال: «أنَا رَسُولُ اللَّهِ». ثم انطلق فلمّا ولّى عنهم قال الكلبي: وكان عمّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مرّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة[1] منا فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه، وقالوا: زعم أنه رسول الله، قال: ألا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنه مجنون يهذي من أم رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر.

قال الكلبي: فأخبرني عبد الرحْمٰن المعايري عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ، فقال: «مِمَّنِ القَوْمُ؟» قلنا: من بني عامر بن صعصعة. قال: «مِنْ أيِّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ؟» قالوا بنو كعب بن ربيعة. قال: «كَيفَ المِنْعَةُ؟» قلنا: لا يرامُ ما قبلنا، ولا يُصطلى بنارنا. قال فقال لهم: «إنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَآتِيكُمْ لِتَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلاَ أُكْرِهَ أحَداً مِنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ» قالوا: ومن أيِ قريش أنت؟ قال: «مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ». قالوا: فأين أنت من عبد مناف؟ قال: «هُمْ أوَّلُ مَنْ كَذَّبَنِي وَطَرَدَنِي». قالوا: ولكنّا لا نطردك ولا نؤمن بك، وسنمنعك حتى تبلّغ رسالة ربّك قال فنزل إليهم والقوم يتسوّقون، إذ أتاهم بحيرة بن فراس القشيري فقال: من هذا الرجل أراه عندكم أنكره؟ قالوا: محمّد بن عبد اللّه القرشي. قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله ﷺ، فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلّغ رسالة ربّه. قال: ماذا رددتم عليه؟ قالوا: بالترحيب والسعة، نخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا. قال بحيرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشد من شيء ترجعون به بدءاً، ثم لتُنابذوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى زهيق[2] قد طرده قومه وكذّبوه فتؤوونه وتنصرونه؟ فبئس الرأي رأيتم. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قم فالحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك. قال فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيث بحيرة شاكلتها فقمصت[3] برسول الله ﷺ فألقته. وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قرط، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكّة، جاءت زائرة إلى بني عمّها، فقالت: يا آل عامر ـ ولا عامر لي ـ أيصنع هذا برسول الله بين

(١) الذروة: القمة العلية.

(٢) زهيق: منهزم.

(٣) قمصت: رفعت يديها ونفرت.

أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة من بني عمّها إلى بحيرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطماً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى هَؤُلاَءِ وَالْعَنْ هَؤُلاَءِ» قال فأسلم الثلاثة الذين نصروه وقتلوا شهداء وهم؛ غطيف وغطفان ابنا سهل، وعروة ـ أو عذرة ـ بن عبد اللّه بن سلمة رضي الله عنهم. وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به. وهلك الآخرون وهم؛ بحيرة بن فراس، وحَزَن بن عبد اللّه بن سلمة بن قشير، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل لعنهم الله لعناً كثيراً. وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم.

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صعصعة وقبيح ردّهم عليه. وأغرب من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي ـ والسياق لأبي نعيم رحمهم الله ـ من حديث أبان بن عبد اللّه البجلي عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، حدّثني علي بن أبي طالب. قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى مِنًى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدّم أبو بكر رضي الله عنه فسلّم، وكان أبو بكر مقدّماً في كل خير، وكان رجلاً نسّابة فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها[1]؟ قالوا: بل من هامها العظمى. قال أبو بكر فمن أي هامتها العظمى؟ فقال: ذهل الأكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال لاحر بوادي عوف؟ قالوا: لا قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جسّاس بن مرّة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر. قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي ـ حين بقل وجهه ـ فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول: [الرجز]

إنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهْ وَالعِبْءَ لاَ نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلَهْ

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال: رجل من قريش. فقال الغلام: بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة، قادمة العرب وهاديها فمن أنت من قريش؟ فقال له: رجل من بني تيم بن مرّة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من صفات[2] الثغرة؟ أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكّة المتغلّبين عليها، وأجلى بقيتهم

(١) لهازمها: حاشيتها أو أطرافها.

(٢) في ط: سواء.

وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة، ثم استولى على الدار، وأنزل قريشاً منازلها، فسمّته العرب بذلك مجمعاً، وفيه يقول الشاعر: [الطويل]

أَلَـيْـسَ أَبُـوكُـمْ كَـانَ يُـدْعَـى مُـجَـمِّـعـاً ... بِـهِ جَـمَّـعَ الـلَّـهُ الـقَـبَـائِـلَ مِـنْ فِـهْـرِ

فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟ فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة، ففيه يقول الشاعر: [الكامل]

عَـمْـرُو الـعُـلاَ هَـشَـمَ الـثَّـرِيـدَ[1] لِـقَـوْمِـهِ ... وَرِجَـالُ مَـكَّـةَ مُـسْـنِـتُـونَ[2] عِـجَـافُ[3]

سَـنُّـوا إِلَـيْـهِ الـرِّحْـلَـتَـيْـنِ كِـلَـيْـهِـمَـا ... عِـنْـدَ الـشِّـتَـاءِ وَرِحْـلَـةِ الأَصْـيَـافِ

كَـانَـتْ قُـرَيْـشٌ بَـيْـضَـةً فَـتَـفَـلَّـقَـتْ ... فَـالـمُـخُّ خَـالِـصَـةٌ لِـعَـبْـدِ مَـنَـافِ

الـرَّائِـشِـيـنَ وَلَـيْـسَ يُـعْـرَفُ رَائِـشٌ ... وَالـقَـائِـلِـيـنَ هَـلُـمَّ لِـلأَضْـيَـافِ

وَالـضَّـارِبِـيـنَ الـكَـبْـشَ يَـبْـرُقُ بَـيْـضُـهُ[4] ... وَالـمَـانِـعِـيـنَ الـبِـيـضَ بِـالأَسْـيَـافِ

لِـلَّـهِ دَرُّكَ لَـوْ نَـزَلْـتَ بِـدَارِهِـمْ ... مَـنَـعُـوكَ مِـنْ أَزْلٍ[5] وَمِـنْ إِقْـرَافِ[6]

فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد، وصاحب عير مكة، ومطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قمر يتلألأ في الليلة الظلماء؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الإفاضة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال: فمن المفيضين أنت؟ قال: لا. ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده، فقال له الغلام: [الرجز]

صَـادَفَ دَرُّ الـسَّـيْـلِ دَرٌّ يَـدْفَـعُـهْ ... يَـهِـيـضُـهُ حِـيـنـاً وَحِـيـنـاً يَـرْفَـعُـهْ

ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش، ولست من الذوائب. قال: فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يتبسّم. قال عليّ: فقلت له يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة[7]. فقال: أجل يا أبا الحسن، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالقول. قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدّم أبو بكر فسلّم ـ قال علي وكان أبو بكر مقدّماً في كل خير ـ فقال لهم

---

(١) هشم الثريد: أي كسر الخبز وبله بالمرق.
(٢) مسنتون: مجدبون، جائعون من دون طعام.
(٣) عجاف: مهزولون.
(٤) يريدها ما كان خلال صوفه الأبيض سواد.
(٥) الأزل: الضيق والشدة.
(٦) الإقراف: الاتهام.
(٧) بقع: رمي بالقبيح من الكلام.

أَبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: [نحن][١] من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأَبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عزّ في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانىء بن قُبَيْصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أَبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره. فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أَبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشدّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرّة ويديل علينا، لعلّك أخو قريش؟ فقال أَبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أَبو بكر يظلّه بثوبه، فقال ﷺ: «أَدْعُوكُمْ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُؤْوُونِي وَتَنْصُرُونِي حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الحَقِّ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ». قال له: وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] فقال له مفروق: وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠] فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانىء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلّة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلّة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلّمت به. والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وإنا إنما نزلنا بين صريين[٢] أحدهما

---

(١) سقط في ط.

(٢) الصريين: وقيل صيرين تثنية صير، والصري يقال للماء إذا طال مكثه وتغيّر، وفي النهاية، الصير: الماء الذي يحضره الناس.

اليمامة، والآخر السماوة. فقال له رسول الله ﷺ: «وَمَا هَذَانِ الصَرِيئَانِ؟» فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأمّا ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَسَأْتُمْ الرَدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ إِنَّهُ لاَ يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ». ثم قال رسول الله ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَمْنَحَكُمْ اللَّهُ بِلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفرشَكُمْ بَنَاتِهِمْ أَتُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ؟» فقال له النعمان بن شريك: اللهمّ وإن ذلك لك يا أخا قريش! فتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر. قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «يَا عَلِيُّ! أية[١] أَخْلاَقٍ لِلْعَرَبِ كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ ـ مَا أَشْرَفَهَا ـ بِهَا يَتَحَاجَزُونَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا». قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ. قال علي: وكانوا صدقاء صبراء فسرّ رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إلاّ يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «احْمَدُوا اللَّهَ كَثِيراً فَقَدْ ظَفَرَتِ اليَوْمَ أَبْنَاءُ رَبِيعَةَ بِأَهْلِ فَارِسَ، قَتَلُوا مُلُوكَهُمْ وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ وَبِي نُصِرُوا». قال: وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى: [الطويل]

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... وَرَاكِبُهَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ
هُمُوا ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدِّمَةَ الهَامُرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ
فَلِلَّهِ عَيْناً مَنْ رَأَى مِنْ فَوَارِسٍ[٢] ... كَذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ بِهَا حِينَ وَلَّتِ
فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالمَوَدَّةُ بَيْنَنَا ... وَكَانَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوّة، ومحاسن الأخلاق، ومكارم الشيم، وفصاحة العرب، وقد ورد هذا من طريق أخرى، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر ـ مكان قريب من الفرات ـ جعلوا شعارهم اسم محمّد ﷺ فنُصِروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام.

وقال الواقدي: أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف، وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خيَّر لنا، قال وقد كنا

---

(١) كذا في السهيلي وفي الأصل أبت أخلاق في الجاهلية ما أشرفها. . . إلخ.

(٢) هذا البيت والذي بعده لم نجدهما في ديوانه ولا في المراجع التي لدينا وكان في الأصل هكذا:

فيه عينا من رأى من فوارس ... كذهل بن شيبال حتى ولت

سمعنا به وبدعائه في المواسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له، وكان معنا مَيْسرة ابن مسروق العبسيّ. فقال لنا: أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي. فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. وطمع رسول الله ﷺ في مَيْسرة فكلّمه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومي يخالفونني، وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه فالعدى[١] أبعد. فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم. فقال لهم مَيْسرة: ميلوا نأتي فدك فإن بها يهوداً نسائلهم عن هذا الرجل، فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه، ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبيّ الأمّي العربي، يركب الحمار ويجتزي بالكسرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسبط، في عينيه حمرة، مشرق اللون. فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه، فإنا نحسده ولا نتبعه، وإنا منه في مواطن بلاء عظيم، ولا يبقى أحد من العرب إلاّ اتبعه، وإلاّ قاتله فكونوا ممن يتبعه. فقال مَيْسرة: يا قوم ألا إن هذا الأمر بيّن، فقال القوم: نرجع إلى الموسم ونلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، وحجّ حجّة الوداع، لقاه ميسرة فعرفه. فقال: يا رسول الله والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أنخت بنا، حتى كان ما كان وأبى الله إلا ما ترى من تأخّر إسلامي، وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي، فأين مدخلهم يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَنْ مَاتَ عَلى غَيْرِ دينِ الإِسْلَامِ فَهُوَ في النَّارِ» فقال: الحمد لله الذي أنقذني. فأسلم وحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر مكان. وقد استقصى الإمام محمّد ابن عمر الواقدي فقصّ [خبر] القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر، وغسّان، وبني فزارة، وبني مرّة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عبس، وبني نضر بن هوازن، وبني ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الحطيم وغيرهم. وسياق أخبارها مطوّلة وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً ولله الحمد والمنّة.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن عثمان ـ يعني ابن المغيرة ـ عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد اللّه. قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إِلى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ مَنَعُوني أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ؟» فأتاه رجل من همدان فقال: «مِمَّنْ أَنْتَ؟» قال الرجل: من همدان. قال: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنعَةٍ؟» قال: نعم! ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل! قال: نعم! فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب[٢]. وقد رواه أهل السنن الأربعة من طرق عن إسرائيل به، وقال الترمذي حسن صحيح.

(١) العدى بالكسر: الغرباء والأجانب والأعداء، وبالضم: الأعداء خاصة. من النهاية.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة باب ٢٢، والترمذي في فضائل القرآن باب ٢٤، وأحمد في المسند ٣/ ٣٩٠.

فصل قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة بعد بيعة، ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله [وبه الثقة](١)

حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت(٢) بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم. فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جدّ رسول الله ﷺ.

قال محمّد بن إسحاق بن يسار: وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة، ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف، إلاّ تصدّى له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده. قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه. قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكّة حاجاً ـ أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسمّيه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وهو الذي يقول: [الطويل]

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بِالغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِي(٣)
مَقَالَتُهُ كَالشَّهْدِ مَا كَانَ شَاهِداً ... وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ(٤) عَلَى ثُغْرَةِ(٥) النَّحْرِ
يَسُرُّكَ بَادِيهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ(٦) ... تَمِيمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِي(٧) عَقِبَ الظَّهْرِ
تُبِينُ لَكَ العَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ(٨) ... مِنَ الغِلِّ وَالبَغْضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي ... وَخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِي

قال: فتصدّى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد:

---

(١) سقط في ط.
(٢) كذا في الأصل، وفي السهيلي: سويد بن السلط بن حوط.
(٣) يفري: فرى الشيء: شقه: وفرى عليه الكذب: اختلقه.
(٤) المأثور: السيف الموشى.
(٥) الثغرة: بين الترقوتين.
(٦) الأديم/ الجلد المدبوغ.
(٧) تبتري: تقطع.
(٨) كاتم: مخبأ، وكاتم هنا: بمعنى مكتوم.

فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله ﷺ: «وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟» قال: مجلّة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله ﷺ: «أعْرِضْهَا عَلَيَّ»، فعرضها عليه فقال: «إنَّ هَذَا الكَلاَمَ حَسَنٌ، وَالَّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيَّ هُوَ هُدًى وَنُورٌ» فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام. فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج. فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قتل وهو مسلم. وكان قتله قبل بعاث. وقد رواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبَّار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا.

إسلام إياس بن مُعاذ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني الحصين بن عبد الرَّحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد. قال: لما قدم أَبو الحَيْسر أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأَشْهل، فيهم إياس بن مُعاذ يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال: «هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟» قال، قالوا: وما ذاك؟ قال: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى العِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ الكِتَابُ». ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال: إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - يا قوم هذا والله خيرٌ مما جئتم له. فأخذ أبو الحَيْسر أنس بن رافع حَفْنة من تراب البَطْحاء، فضرب بها وجه إياس بن مُعاذ، وقال: دعنا منك، فلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حَضَرني من قومه أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله ويكبّره ويحمده ويسبّحه حتى مات، فما كانوا يشكُّون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

قلت: كان يوم بُعاث - وبعاث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والحزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلاّ القليل. وقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن إسماعيل عن أَبي أمامة عن هشام عن أَبيه عن عائشة. قالت: كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملاؤهم[١]، وقتل سراتهم[٢].

باب بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيّه، وإنجاز موعده له، خرج رسول

(١) الملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم وجمعه إملاء.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ١، ٢٧.

الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه. قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قالوا: نفر من الخزرج قال: «أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟» قالوا: نعم! قال: «أفلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهلَ شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً مبعوث الآن قد أظلّ زمانُه نتّبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرمَ. فلما كلّم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعّدكم به يهود فلا يسبقُنّكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنَقْدِم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونَعْرِض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدّين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدّقوا.

قال ابن إسحاق: وهم فيما ذكر لي ستة نفر كلّهم من الخزرج، وهم؛ أَبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنم بن مالك بن النجّار. قال أَبو نعيم: وقد قيل إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج. ومن الأوس أَبو الهيثم بن التيهان. وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء والله أعلم. وعوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجّار ـ وهو ابن عفراء ـ النجاريان، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقي. وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة[1] بن تزيد بن جشم بن الخزرج السلمي، ثم من بني سواد، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً، ثم من بني حرام. وجابر بن عبد اللّه بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً، ثم من بني عُبَيْد رضي الله عنهم. وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفر من الخزرج.

وذكر موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان ـ وهو ابن عبد قيس ـ وعبادة بن الصامت، وأَبو عبد الرَّحمٰن يزيد بن ثعلبة، وأَبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل[2]. فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى

(١) في الأصل: ساوة بن زيد وهو خطأ، وفي ابن هشام ساردة بن تزيد.

(٢) قابل: أي العام المقبل.

الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ ابن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عُمَيْر فنزل على أسعد بن زرارة، وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثني عشر رجلاً وهم؛ أبو أمامة أسعد ابن زرارة المتقدم ذكره، وعَوْف بن الحارث المتقدّم، وأخوه مُعَاذ وهما ابنا عفراء، ورافع ابن مالك المتقدّم أيضاً. وذكوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر بن زُرَيْق الزرقي. قال ابن هشام: وهو أنصاري مهاجري وعُبَادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرَّحمٰن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم البلوي، والعبّاس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدّم، وقطبة بن عامر بن حديدة المتقدّم، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الأوس اثنان وهما؛ عويم بن ساعدة وأبو الهيثم مالك بن التيهان. قال ابن هشام: التيهان يخفّف ويثقل كميّت وميت.

قال السهيلي: أبو الهيثم بن التيهان اسمه: مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. قال: وقيل إنه أراشي وقيل بلوي. وهذا لم ينسبه ابن إسحاق ولا ابن هشام. قال: والهيثم فرخ العقاب، وضرب من النبات، والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهدوا الموسم عامئذ، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء، وهي العقبة الأولى. وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله في سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] إلى آخرها. وقال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد اللّه اليزني، عن عبد الرَّحمٰن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة ـ وهو ابن الصامت ـ قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء عذّب وإن شاء غفر[(١)]. وقد روى البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه.

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله [بن عبد الله][(٢)] أبي إدريس

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٣، ومسلم في الحدود حديث ٤٤.

(٢) سقط في ط.

الخولاني أن عبادة بن الصامت حدّثه. قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ نَسْرِقَ وَلاَ نَزْنِي وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا وَلاَ نَأْتِي بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلاَ نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمُ الجَنَّة، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ [شَيْئاً][١] فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ[٢]. وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق عن الزهري به نحوه. وقوله على بيعة النساء ـ يعني وفق على ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية ـ وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غيرما موطن كما بيناه في سيرته وفي التفسير، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلّمهم الإسلام ويفقههم في الدين. وقد روى البيهقي عن ابن إسحاق قال: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدّم، إلاّ أنه جعل المرّة الثانية هي الأولى.

قال البيهقي: وسياق ابن إسحاق أتمّ، وقال ابن إسحاق: فكان عبد اللّه بن أبي بكر يقول: لا أدري ما العقبة الأولى. ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة. قالوا كلّهم: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالمدينة المقرىء، قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلّي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن أَبي أمامة بن سَهْل بن حَنيف عن أبيه عن عبد الرَّحمٰن بن كَعْب بن مالك قال: كنت قائدَ أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلّى على أبي أُمامة أسعد بن زرارة. قال فمكث حيناً على ذلك لا يسمع لأذان الجمعة إلاّ صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي والله إن هذا بي لَعَجز، ألا أسأله؟ فقلت: يا أبت ما لك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صلّيت على أبي أمامة؟ فقال: أي بنيّ، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هَزم النبيت[٣] من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات[٤] قال: قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً[٥]. وقد

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٣، ومسلم في الحدود حديث ٤١.

(٣) هزم النبيت: جبل على بريد من المدينة.

(٤) كذا بالأصل، وفي ابن هشام: نقيع بالنون. وأورده السهيلي بالباء والنون وذكر فيه روايات مختلفة.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٦وابن ماجه في الإقامة باب ٧٨.

روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه من طريق محمّد بن إسحاق رحمه الله. وقد روى الدارقطني عن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عُمَيْر يأمره بإقامة الجمعة، وفي إسناده غرابة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عُبَيد اللّه بن المغيرة بن مُعيقيب، وعبد اللّه بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظَفَر، وكان سعد بن مُعاذ ابن خالة أسعد بن زرارة؟ فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في حائط. واجتمع إليهما رجال ممن أَسْلم، وسعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن الحُضَيْر يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلمّا سمعا به، قال سعد لأسيد: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفّها ضُعفاءنا فازجرهما، وانهَهُما أن يأتيا دارَيْنا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً. قال: فأخذ أَسَيْد بن حُضَيْر حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعدُ بن زرارة، قال لمصعب: هذا سيّد قومه وقد جاءك فاصدُق الله فيه، قال مصعب: إن يجلسْ أكلّمه. قال: فوقف عليهما متشتّماً[1] فقال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ وقال موسى بن عقبة. فقال له غلام: أتيتنا في دارنا بهذا الوعيد الغريب الطريد ليتسفّه ضعفاءنا بالباطل، ويدعوهم إليه.

قال ابن إسحاق: فقال له مصعب: أوَتجلسُ فتسمعَ، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، قال: ثم رَكز حَرْبته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، في إشراقه وتسهّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلّي، فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ. ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلمّا نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً. قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلمّا وَقَف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً. وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببتَ، وقد حدّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقّروك، قال: فقام سعد بن مُعَاذ مُغْضَباً مبادراً مخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن

(١) متشتماً: أي متلفظاً بقبيح الكلام.

يسمع منهما، فوقف متشتّماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت[1] هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيّد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان. قال فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركّز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن. وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف.

قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهّله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عائداً إلى نادي قومه، ومعه أُسَيْد بن الحُضَيْر، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأتمنا نقيبة[2]، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلاّ مسلماً أو مسلمة، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون، إلاّ ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس وهم من الأوس ابن حارثة، وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفي.

وقال الزبير بن بكّار: اسمه: الحارث، وقيل: عُبَيد اللّه واسم أبيه الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرّة بن مالك بن الأوس. وكذا نسبه الكلبي أيضاً. وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق.

قلت: وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابن إسحاق أشعاراً بائية[3] حسنة تقرب من أشعار أمية بن أبي الصلت الثقفي.

قال ابن إسحاق فيما تقدم: ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر، وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود. فلما وقع أمره بالمدينة وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف، قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف. قال السهيلي: هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن

---

(١) رمت: طلبت.

(٢) النقيبة: العقل والنفس، والطبيعة، ونفاذ الرأي.

(٣) بائية: قافيتها تنتهي بالباء.

مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجّار، قال: وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية.

قال ابن إسحاق: وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهراً. كانت تحته أرنب بنت أسد ابن عبد العزى بن قصي، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته. قال قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشاً فيها عن الحرب، ويذكر فضلهم وأحلامهم، ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ﷺ: [الطويل]

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً[1] عَنِّي لُؤَيَّ بْنَ غَالِبِ
رَسُولَ امْرِىءٍ قَدْ رَاعَهُ ذَاتُ بَيْنِكُمْ ... عَلَى النَّأْيِ مَحْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ[2]
وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ[3] ... وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِي
نُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْنِ، كُلُّ قَبِيلَةٍ ... لَهَا أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكٍ وَحَاطِبِ[4]
أُعِيذُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ ... وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ
وَإِظْهَارِ أَخْلَاقٍ وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ ... كَوَخْزِ الأَشَافِي[5] وَقْعُهَا حَقُّ صَائِبِ
فَذَكِّرْهُمُ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... وَإِحْلَالِ إِحْرَامِ الظِّبَاءِ الشَّوَازِبِ[6]
وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ ... ذَرُوا الحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي المَرَاجِبِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... هِيَ الغُولُ لِلأَقْصَيْنَ أَوْ لِلأَقَارِبِ
تُقَطِّعُ أَرْحَاماً وَتُهْلِكُ أُمَّةً ... وَتَبْرِي السَّدِيفَ[7] مِنْ سَنَامٍ[8] وَغَارِبِ[9]
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالأَتْحَمِيَّةِ[10] بَعْدَهَا ... شَلِيلاً[11] وَأَصْدَاءَ ثِيَابَ المُحَارِبِ
وَبِالمِسْكِ وَالكَافُورِ غُبْراً سَوَابِغاً[12] ... كَأَنَّ قَتِيرَيْهَا[13] عُيُونُ الجَنَادِبِ[14]
فَإِيَّاكُمْ وَالحَرْبَ لَا تَعْلَقَنَّكُمْ ... وَحَوْضاً وَخِيمَ المَاءِ مُرَّ المَشَارِبِ
تَزَيَّنُ لِلأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا ... بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَتْ أُمَّ صَاحِبِ

(١) المغلغلة: الرسالة.
(٢) الناصب: المريض.
(٣) المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل، فيقيم فيه للراحة ثم يرتحل.
(٤) قال السهيلي: نبيتكم شرجين أي فريقين مختلفين، و[فيه] نبتتكم [بالهمز] وقال إنه لفظ مشكل، وقال فيه زحاف خرم وشرحها شرحاً حسناً.
(٥) الأشافي: ج أشفى وهي المخرز.
(٦) إحرام الظبا: المحرم صيدها؛ والشوازب: الضامرة البطون.
(٧) السديف: شحم السنام.
(٨) سنام: حدبة ظهر البعير.
(٩) الغارب: بين الظهر والسنام.
(١٠) الأتحمية: ثياب رقاق تصنع باليمن.
(١١) شليلاً: ثياباً خفيفة.
(١٢) السوابغ: الواسعة.
(١٣) القتير: حلق الدرع.
(١٤) الجنادب: نوع من الجراد صغير.

تَحرَّقُ لاَ تَشْوِي ضَعِيفاً وَتَنْتَحِي ... ذَوِي العِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ(١) الصَّوَائِبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ ... فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبِ
وَكَمْ ذَا أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ ... طَوِيلِ العِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ
عَظِيمِ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ ... وَذِي شِيمَةٍ مَحْضٍ كَرِيمِ المَضَارِبِ
وَمَاءٍ هُرِيقَ(٢) فِي الضَّلاَلِ كَأَنَّمَا ... أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ
يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا امْرُؤٌ حَقٌّ عَالِمٌ ... بِأَيَّامِهَا وَالعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَبِيعُوا الحِرَابَ مِلْمُحَارِبَ وَاذْكُرُوا ... حِسَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ
وَلِيُّ امْرِئٍ فَاخْتَارَ دِيناً فَلاَ يَكُنْ ... عَلَيْكُمْ رَقِيبٌ غَيْرَ رَبِّ الثَّوَاقِبِ(٣)
أَقِيمُوا لَنَا دِيناً حَنِيفاً فَأَنْتُمُوا ... لَنَا غَايَةٌ، قَدْ يُهْتَدى بِالذَّوَائِبِ(٤)
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ ... تُؤَمُّونَ وَالأَحْلاَمُ غَيْرُ عَوَازِبِ(٥)
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ ... لَكُمْ سُرَّةُ البَطْحَاءِ شُمُّ الأَرَانِبِ
تَصُونُونَ أَنْسَاباً(٦) كِرَاماً عَتِيقَةً ... مُهَذَّبَةِ الأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ
يُرَى طَالِبُ الحَاجَاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ ... عَصَائِبَ هَلْكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ(٧)
لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ سُرَاتَكُمْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الجَبَاجِبِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْياً وَأَعْلاَهُ سُنَّةً ... وَأَقْوَلُهُ لِلْحَقِّ وَسْطَ المَوَاكِبِ
فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا ... بِأَرْكَانِ هَذَا البَيْتِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلاَءٌ وَمَصْدَقٌ ... غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الكَتَائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجْلُهُ ... عَلَى القَاذِفَاتِ فِي رُؤُوسِ المَنَاقِبِ(٨)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي العَرْشِ رَدَّهُمْ ... جُنُودُ المَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ(٩) وَحَاصِبِ(١٠)
فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ ... إِلَى أَهْلِهِ مِلْحُبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ

---

(١) الحتوف: المنيات.
(٢) هريق: هرق الماء: صبه.
(٣) الثواقب: النجوم.
(٤) الذوائب: المتقدمون في القوم.
(٥) عوازب: بعيدة المنال.
(٦) في ابن هشام: تصونون أجساداً.
(٧) عصائب: جماعات.
(٨) المناقب: الطرقات في الجبل.
(٩) ساف: الذي يسفي الرياح في وجوههم.
(١٠) حاصب: الذي يرميهم بالحصباء.

فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمٌ يُعَاشُ بِهَا قَوْلَ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى وغيره: أن فَرَساً يقال له داحس كانت لقَيْس بن زهير بن جذيمة بن رواحة الغطفاني، أجراه مع فَرَسٍ لحُذَيْفة بن بدر بن عمرو بن جؤية الغطفاني أيضاً، يقال لها الغبراء، فجاءت داحس سابقاً، فأمر حذيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً، ثم إن أبا جنيدب العبسي لقي عوف بن حُذَيْفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله، فشبّت الحرب بين بني عبس وفزارة، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها.

قال ابن هشام: وأرسل قيساً داحساً والغبراء وأرسل حذيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح. قال وأما حرب حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان قتل يهودياً جاراً للخزرج، فخرج إليه زيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن مالك بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وهو الذي يقال له: ابن فسحم في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الظفر للخزرج، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسي قتله المجذر بن زياد حليف بني عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً. والمقصود أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أي محلة - من دور المدينة إلاّ وفيها مسلم ومسلمات غير دار بني واقف، قبيلة أبي قيس، ثبطهم[1] عن الإسلام وهو القائل أيضاً: [الوافر]

أَرَبَّ النَّاسِ أَشْيَاءُ أَلَمَّتْ يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ
أَرَبَّ النَّاسِ إِمَّا أَنْ ضَلَلْنَا فَيَسِّرْنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلاَ رَبُّنَا كُنَّا يَهُوداً وَمَا دِينُ اليَهُودِ بِذِي شُكُولِ[2]
وَلَوْلاَ رَبُّنَا كُنَّا نَصَارَى مَعَ الرُّهْبَانِ فِي جَبَلِ الجَلِيلِ
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفاً دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الهَدْيَ تَرْسُفُ[3] مُذْعِنَاتٍ[4] مُكَشَّفَةَ المَنَاكِبِ فِي الجُلُولِ[5]

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ،

(١) ثبط: عوّق.
(٢) شكول: التباس.
(٣) ترسف: تمشي وكأنها مقيدة.
(٤) مذعنات: طائعات.
(٥) الجلول: الصعاب.

فتوقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته. وكان الذي ثبطه عن الإسلام أولاً عبد الله بن أُبيّ ابن سلول بعدما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر به يهود فمنعه عن الإسلام.

قال ابن إسحاق: ولم يُسْلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج، وأنكر الزُبَيْر بن بكّار أن يكون أَبو قيس أسلم. وكذا الواقدي. قال: كان عَزَم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ، فلامه عبد الله بن أُبيّ فحلف لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة. وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة؛ أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فسمع يقول: لا إله إلا الله. وقال الإمام أحمد حدّثنا حسن بن موسى، حدّثنا حمّاد بن سلمة عن ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: «يَا خَالُ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» فقال: أخال أم عم؟ قال: «بَلْ خَالٌ»، قال: فخير لي أن أقول لا إله إلا الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ!»[1] تفرّد به أحمد رحمه الله، وذكر عكرمة وغيره: أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوّج امرأته كبيشة بنت معن بن عاصم، فسألت رسول الله ﷺ في ذلك فأنزل الله ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] الآية.

وقال ابن إسحاق وسعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: كان أبو قيس هذا قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض من النساء، وهمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب. وقال: أعبد إله إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها، حتى قدم رسول الله ﷺ فأسلم فحسن إسلامه، وكان شيخاً كبيراً وكان قوّالاً بالحق معظّماً لله في جاهليته، يقول في ذلك أشعاراً حساناً وهو الذي يقول: [الطويل]

يَقُولُ أَبُو قَيْسٍ وَأَصْبَحَ غَادِياً ... أَلاَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِيَ فَافْعَلُوا
فَأُوصِيكُمْ بِاللَّهِ وَالبِرِّ وَالتُّقَى ... وَأَعْرَاضِكُمْ وَالبِرَّ بِاللَّهِ أَوَّلُ
وَإِنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلاَ تَحْسُدُنَّهُمْ ... وَإِنْ كُنْتُمُ أَهْلَ الرِّئَاسَةِ فَاعْدِلُوا
وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُمْ ... فَأَنْفُسَكُمْ دُونَ العَشِيرَةِ فَاجْعَلُوا
وَإِنْ نَابَ[2] غُرْمٌ[3] فَادِحٌ فَارْفُقُوهُمُ ... وَمَا حَمَّلُوكُمْ فِي المُلِمَّاتِ فَاحْمِلُوا
وَإِنْ أَنْتُمُ أَمْعَزْتُمُ[4] فَتَعَفَّفُوا ... وَإِنْ كَانَ فَضْلُ الخَيْرِ فِيكُمْ فَأَفْضِلُوا

وقال أبو قيس أيضاً: [الخفيف]

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ ... طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلِّ هِلاَلِ
عَالِمُ السِّرِّ وَالبَيَانِ جَمِيعاً ... لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بِضَلاَلِ

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٥٤.
(٢) ناب: حل.
(٣) غرم: ما يلزم أداؤه، أو ضرر ومشقة.
(٤) أمعزتم: وتروى بالراء: أي افتقرتم وأصابتكم شدة.

وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْتَزِيدُ وَتَأْوِي ... فِي وُكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الجِبَالِ
وَلَهُ الوَحْشُ بِالفَلاَةِ تَرَاهَا ... فِي حِقَافٍ[1] وَفِي ظِلاَلِ الرِّمَالِ
وَلَهُ هَوَّدَتْ يَهُودُ وَدَانَتْ ... كُلَّ دِينٍ مَخَافَةً مِنْ عُضَالِ[2]
وَلَهُ شَمَّسَ النَّصَارَى وَقَامُوا ... كُلَّ عِيدٍ لِرَبِّهِمْ وَاحْتِفَالِ
وَلَهُ الرَّاهِبُ الحَبِيسُ تَرَاهُ ... رَهْنَ بُؤْسٍ وَكَانَ أَنْعَمَ بَالِ
يَا بَنِيَّ الأَرْحَامَ لاَ تَقْطَعُوهَا ... وَصِلُوهَا قَصِيرَةً مِنْ طِوَالِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ اليَتَامَى ... وَبِمَا يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الحَلاَلِ
وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيّاً ... عَالِماً يَهْتَدِي بِغَيْرِ سُؤَالِ
ثُمَّ مَالَ اليَتِيمِ لاَ تَأْكُلُوهُ ... إِنَّ مَالَ اليَتِيمِ يَرْعَاهُ وَالِي
يَا بَنِيَّ التُّخُومَ[3] لاَ تُجْزِلُوهَا[4] ... إِنَّ جَزْلَ التُّخُومِ ذُو عُقَّالِ
يَا بَنِيَّ الأَيَّامَ لاَ تَأْمَنُوهَا ... وَاحْذَرُوا مَكْرَهَا وَمَرَّ اللَّيَالِي
وَاعْلَمُوا أَنَّ أَمْرَهَا لِنَفَادِ ... الخَلْقِ مَا كَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَبَالِي
وَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْـ ... ـوَى وَتَرْكِ الخَنَا[5] وَأَخْذِ الحَلاَلِ

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصّهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم: [الطويل]

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَاً

وسيأتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة.

قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مُصْعَب بن عُمَيْر رَجع إلى مكّة، وخرج مَنْ خرج مِن الأنصار من المسلمين مع حُجّاج قومهم من أهل الشّرك حتى قَدِموا مكّة، فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط[6] أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنبيّه وإعزاز الإسلام وأهله. فحدّثني مَعْبد بن كَعْب بن مالك أن أخاه عبد اللّه بن كعب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدّثه أن أباه كعباً حدّثه ـ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها ـ. قال: خرجنا في حجّاج قومنا من المشركين، وقد صلّينا وَفَقِهنا ومعنا البرَاء بن مَعْرور سيّدنا وكبيرنا، فلما وجهنا[7] لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدري

---

(١) الحقاف: ج حقف، وهو الكدس المستدير من الرمل.
(٢) عضال: أمر عظيم.
(٣) التخوم: الجوار.
(٤) تجزلوها: تعظموها.
(٥) الخنا: الأعمال المعية.
(٦) في ط: أواسط.
(٧) وجهنا: اتجهنا.

أتوافقونني عليه أم لا؟ قلنا وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيّة مني بظَهْر - يعني الكعبة - وأن أصلّي إليها. قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبيّنا ﷺ يصلي إلاّ إلى الشام[١]، وما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاةُ صلّينا إلى الشام وصلّى هو إلى الكعبة، حتى قَدِمْنا مكّة. قال: قال لي: يا ابن أخي انطلقْ بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سَفري هذا فإنه قد وقع في نفسي منه شيء. لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكّة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، فقال: هل تعرفان العبّاس بن عبد المطلب عمّه؟ قال: قلنا: نعم! وقد كنا نعرف العبّاس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العبّاس. قال: فدخلنا المسجد وإذا العبّاس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلّمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الفَضْلِ؟» قال: نعم، هذا البراء بن مَعْرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ: «الشَّاعِرُ؟» قال: نعم! فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، قد هداني الله تعالى للإسلام، فرأيت أن لا أَجعل هذه البنية مني بظهر فصلّيت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى؟ قال: «قَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبِرْتَ عَلَيْهَا» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلّى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم.

قال كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحجّ وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحجّ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ فيها ومعنا عبد اللّه بن عمرو بن حرام أَبو جابر سيّد من سادتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيّد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً.

وقد روى البخاري: حدَّثني إبراهيم، حدّثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء قال جابر: أنا وأَبي وخالي من أصحاب العقبة. قال عبد اللّه بن محمّد: قال ابن عيينة: أحدهم البراء بن معرور. حدّثنا علي بن المديني، حدّثنا سفيان قال: كان عمرو يقول: سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: شهد بي خالاي العقبة[٢].

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، أَخبرنا معمر عن ابن خثيم، عن أَبي الزبير،

---

(١) يعني بيت المقدس.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٣.

عن جابر. قال: مكث رسول الله ﷺ بمكّة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم، عكاظ ومجنة، وفي المواسم يقول: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الجَنَّةُ» فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال فيه ـ فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لاَ تَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الجَنَّةُ» فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد ابن زرارة ـ وهو من أصغرهم ـ وفي رواية البيهقي ـ وهو أصغر السبعين ـ إلاّ أنا، فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلاّ ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضّكم السيوف. فأما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبداً. قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة[1]. وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبيهقي من طريق داود بن عبد الرَّحمٰن العطّار ـ زاد البيهقي عن الحاكم ـ بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم عن أبي إدريس به نحوه[2]. وهذا إسناد جيّد على شرط مسلم ولم يخرجوه. وقال البزار وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروي عن جابر إلاّ من هذا الوجه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان بن داود، حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد اللّه، عن أبي الزبير عن جابر. قال: كان العبّاس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ: «أَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ»[3] وقال البزار: حدّثنا محمّد بن معمر، حدّثنا قبيصة، حدّثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن جابر ـ يعني الجعفي ـ عن داود ـ وهو ابن أبي هند ـ عن الشعبي، عن جابر ـ يعني ابن عبد اللّه ـ قال: قال رسول الله ﷺ للنقباء من الأنصار: «تُؤْوُونِي وَتَمْنَعُونِي؟» قالوا: نعم، قالوا: فما لنا؟ قال: «الجَنَّةُ» ثم قال: لا نعلمه يروى إلاّ بهذا الإسناد عن جابر، ثم قال ابن إسحاق عن

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٩٦.

معبد، عن عبد اللّه، عن أبيه كعب بن مالك. قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجّار، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع. وقد صرح ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنسابهم، وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين، والعرب كثيراً ما تحذف الكسر، وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة: كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة، قال: منهم أربعون من ذوي أسنانهم، وثلاثون من شبابهم قال: وأصغرهم أبو مسعود وجابر بن عبد اللّه. قال كعب بن مالك: فلما اجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العبّاس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلاّ أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثّق له، فلما جلس كان أول متكلّم العبّاس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج ـ. قال: وكانت العرب إنما يسمّون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ـ إن محمّداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّة من قومه، ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبى إلاّ الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذِلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزّة ومَنَعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربّك ما أحببت، قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام. قال: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قال فأخذ البَراء بن معرور بيده ثم قال: نعم! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أزرنا[١] فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القول والبراء يكلّم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالهَدْمَ الهَدْمَ. أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ» قال كعب وقد قال رسول الله ﷺ: «أَخرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ» فاخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

قال ابن إسحاق: وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم، وسَعد بن الربيع بن عمرو بن أَبي زُهَير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد اللّه بن رواحة بن امرىء القيس [ابن عمرو بن امرىء القيس][٢] بن مالك بن

(١) أزرنا: أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من ابن هشام.

ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم، والبراء بن معرور بن صخر بن خَنْسَاء بن سِنان بن عُبَيْد بن عدي بن غَنْم بن كعب ابن سَلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج، وعبد اللّه بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حَرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلَمة، وعبادة بن الصامت المتقدّم، وسعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج. فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الأوس ثلاثة وهم، أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كَعْب بن النحّاط بن كَعْب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوْس، ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التّيهان بدل رِفاعة هذا، وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق. واختاره السهيلي وابن الأثير في الغابة. ثم استشهد ابن هشام على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة ـ ليلة العقبة الثانية ـ حين قال: [الطويل]

أَبْلِغْ أُبَيّاً أَنَّهُ فَالَ[1] رَأْيُهُ ... وَحَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ وَالحَيْنُ وَاقِعُ
أَبَى اللَّهُ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ ... بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعِ
وَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا ... بِأَحْمَدَ نُورٌ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعُ
فَلاَ تَرْغَبَنْ فِي حَشْدِ أَمْرٍ تُرِيدُهُ ... وَأَلِّبْ[2] وَجَمِّعْ كُلَّ مَا أَنْتَ جَامِعُ
وَدُونَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا ... أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ[3] حِينَ تَبَايَعُوا
أَبَاهُ البَرَاءُ وَابْنُ عَمْرٍو وكِلاَهُمَا ... وَأَسْعَدُ يَأْبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعُ
وَسَعْدٌ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُنْذِرٌ ... لأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعُ[4]
وَمَا ابْنُ رَبِيعٍ إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ ... بِمُسْلِمِهِ لاَ يَطْمَعَنْ ثَمَّ طَامِعُ
وَأَيْضاً فَلاَ يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةٍ ... وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السُّمُّ نَاقِعُ[5]
وَفَاءً بِهِ وَالقَوْقَلِيُّ بْنُ صَامِتٍ ... بِمَنْدُوحَةٍ[6] عَمَّا تُحَاوِلُ يَافِعُ[7]

(١) فال: بطل.
(٢) ألّب: حرّض.
(٣) الرهط: قوم الرجل وقبيلته.
(٤) جادع: قاطع.
(٥) ناقع: قاتل.
(٦) مندوحة: السعة والفسحة.
(٧) اليافع: الموضع المرتفع. ويروى أيضاً «باقع» أي بعيد.

أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضاً وَفِيٌّ بِمِثْلِهَا وَفَاءً بِمَا أَعْطَى مِنَ العَهْدِ خَانِعُ[١]
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الغَيِّ نَازِعُ
وَسَعْدٌ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ ضَرُوحٌ[٢] لِمَا حَاوَلْتَ مِلأَمْرِ مَانِعُ
أُولاَكَ نُجُومٌ لاَ يُغِبُّكَ مِنْهُمُ عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ

قال ابن هشام: فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة.

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الأنصار ليلة العقبة سبعون رجلاً، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وحدّثني شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة، وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة. رواه البيهقي. وقال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «أَنْتُمْ عَلى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلاَءُ كَكَفَالَةِ الحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي» قالوا: نعم! وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لمّا اجتمعوا لبَيْعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجلَ؟ قالوا: نعم! قال: إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا أنهكت أموالُكم مُصيبة وأشرافُكم قتلاً أَسْلَمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خِزْي الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة[٣] الأموال، وقتل الأشراف؛ فخذوه، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسولَ الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجَنَّةُ» قالوا: ابسُط يَدَك؛ فبسط يده فبايعوه. قال عاصم بن عمر بن قتادة: وإنما قال العبّاس بن عبادة ذلك ليَشُد العقد في أعناقهم. وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخّر البَيْعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبيّ ابن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم، فالله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق: فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

قال ابن إسحاق: وحدّثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال: فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البَرَاءُ بنُ مَعْرور، ثم بايع القوم. وقال ابن الأثير في [أسد] الغابة: وبنو سَلَمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتئذ كَعْبُ بن مالك. وقد

---

(١) الخانع: المقر المتذلل.
(٢) ضروح: أي مانع ودافع عن نفسه.
(٣) نهكة الأموال: نقصها.

ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري عن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن كعب، عن أبيه، عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلّف عن غزوة تبوك. قال: ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدراً كثير في الناس منها[(١)]. وقال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا عمرو بن السّمّاك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا زكريا ابن أبي زائدة عن عامر الشعبي، قال: انطلق رسول الله ﷺ مع العبّاس عمّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «لِيتكلّمْ متكلّمُكم ولا يُطِل الخُطْبَة، فإنَّ عَلَيكم مِنَ المُشْرِكِينَ عَيناً، وإنْ يَعْلَمُوا بكُمْ يَفضحُوكُمْ» فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - سل يا محمّد لربّك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك. قال: «أسألُكمْ لِربّي أنْ تعبُدوهُ ولا تُشركوا بِهِ شيئاً، وأسألُكمْ لِنفسي وأصحابي أنْ تُؤوُونا وتنصُرونا وتمنعُونا ممّا تمنعُون منهُ أنفُسكُمْ» قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «لكُمُ الجنّةُ» قالوا: فلك ذلك[(٢)]. ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، عن أبي مسعود الأنصاري، فذكره قال: وكان أبو مسعود أصغرهم. وقال أحمد عن يحيى، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها. وقال البيهقي أخبرنا أبو طاهر محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمش أخبرنا محمّد بن إبراهيم بن الفضل الفحّام، أخبرنا محمّد بن يحيى الذهلي، أخبرنا عمرو بن عثمان الرقّي، حدّثنا زهير، حدّثنا عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عُبَيد اللّه بن رفاعة عن أبيه قال: قدمت روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنّة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها، وهذا إسناد جيّد قوي ولم يخرجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق حدّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت. قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقّ أينما كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم.

قال ابن إسحاق في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد اللّه بن كعب بن مالك. قال: فلمّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب - والجباجب المنازل - هل لكم في مذمّم والصبّاء معه قد اجتمعوا على

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٣، ومسلم في التوبة حديث ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١١٩/٤، ١٢٠.

حربكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا أَزَبُّ العَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ»[(١)]. قال ابن هشام: ويقال ابن أزيب. «أَتَسْمَعُ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ؟ أَمَا وَاللَّهِ لأَتَفَرَغَنَّ لَكَ». ثم قال رسول الله ﷺ: «ارْفَضُوا[(٢)] إِلَى رِحَالِكُمْ» قال فقال العبّاس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنّ على أهل منى غداً بأسيافنا، قال فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ». قال: فَرَجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا فيها حتى أصْبَحنا، فلما أصبحنا غَدَت علينا جِلّة قُرَيش، حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخَزْرَج، إنه قد بَلَغنا أنّكم قد جِئتم إلى صاحبنا هذا تَسْتَخْرِجونه من بين أظهرنا، وتُبايعونه على حَرْبنا. وإنه والله ما مِنْ حيّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينكم[(٣)] منكم. قال فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يَحْلفون ما كان من هذا شيء، وما علمناه قال: وصدقوا، لم يعلموا، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قال[(٤)] القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ، وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلت له: كلمة ـ كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ـ يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيّد من سادتنا مثل نعليّ هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إليّ، قال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه أحْفَظت[(٥)] والله الفتى، فاردد إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردّهما، فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنّه.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد اللّه بن أبي بكر أنهم أتوا عبد اللّه بن أُبَيّ ابن سلول، فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا على مثل هذا وما علمته كان. قال فانصرفوا عنه، قال: ونفر الناس من منى فتنطس[(٦)] القوم الخبر فوجدوه قد كان، فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة باذاخر[(٧)] والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيباً، فأما المنذر فأعجز القوم؛ وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يَدَيْه إلى عنقه بِنِسْع[(٨)] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة يضربونه ويجذبونه بجُمّته[(٩)] ـ وكان ذا شعر كثير ـ. قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذا طلع عليّ نفر من قريش فيهم رجل وَضيء أبيضُ، شعشاع[(١٠)]، حلو من الرجال، فقلت في نفسي: إنْ يكُ عند أحدٍ من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة

---

(١) أزب العقبة: اسم شيطان، والأزب: القصير الدميم.

(٢) ارفضوا: تفرقوا.

(٣) في ط: بينهم.

(٤) في ط: قام.

(٥) احفظت: أغضبت.

(٦) تنطس: قال السهيلي: التنطس: تدقيق النظر.

(٧) ضبطها ياقوت بالفتح والخاء المعجمة مكسورة، قال ابن إسحاق: لما وصل رسول الله ﷺ إلى مكة عام الفتح دخل من أزاخر حتى نزل بأعلى مكة، وضربت هناك قبته.

(٨) النسع: الشراك الذي يشد به الرحل.

(٩) جمته: مجتمع شعر الرأس.

(١٠) الشعشاع: الطويل الحسن.

شديدة، فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى[١] لي رجل ممن معهم. قال: ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله! لقد كنت أجِير لجبير بن مطعم تُجّاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي. وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فقال: ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما، قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قالا: صدق والله إن كان ليجير لنا تجّارنا ويمنعهم أن يُظلموا ببلده، قال: فجاآ فخلّصا سعداً من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لكم سعداً، سهيل بن عمرو. قال ابن هشام: وكان الذي أوى له أبو البَختري ابن هشام.

وروى البيهقي بسنده عن عيسى بن أبي عيسى بن جُبَير قال: سمعت قريش قائلاً يقول في الليل على أبي قبيس: [الطويل]

فَإِنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ ... بِمَكَّةَ لاَ يَخْشَى خِلاَفَ المُخَالِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: مَنْ السعدان؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلاً يقول: [الطويل]

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً ... وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الخَزْرَجِين الغَطَارِفِ[٢]

أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الهُدَى وَتَمَنَّيَا ... عَلَى اللَّهِ فِي الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الهُدَى ... جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ ذَاتُ رَفَارِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

فصل: قال ابن إسحاق: فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم؛ عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حرام بن كَعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو ممن شَهِدَ العَقَبة، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سَلَمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له: مناة، كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهاً يعظّمه ويظهره، فلما أسلم فتيان بني سَلَمة؛ ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فَيَحْمِلونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلَمة، وفيها عِذَر الناس منكساً على رأسه؛ فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! مَنْ عَدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيّبه وطهّره ثم قال: أما والله لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأُخزينّه. فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوْا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطيّبه ويطهّره، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به

(١) أوى له: رحمه ورق له.

(٢) الغطارف: السادة الكرام.

مثل ذلك، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهّره وطيّبه. ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنِعْ، هذا السيفُ معك. فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فَقَرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سَلَمة، فيها عِذر من عِذَر الناس، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه أبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول: [الرجز]

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلهاً لَمْ تَكُنْ ... أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ(١)

أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إِلهاً مُسْتَدَنْ ... الآنَ فَتَّشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الغَبَنْ(٢)

الحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ ذِي المِنَنْ ... الوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ

هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ ... أَكُونَ فِي ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

وجملتهم على ما ذكره [ابن إسحاق](٣) ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلاً؛ أسيد بن حضير أحد النقباء، وأبو الهيثم بن التيهان بدري أيضاً، وسلمة بن سلامة بن وَقْش بدري، وظُهَير بن رافع، وأبو بُرْدة بن دينار بدري، ونُهَير بن الهيثم بن نابي بن مُجْدعة بن حارثة، وسعدُ بن خَيْثَمة أحد النقباء، بَدْري وقتل بها شهيداً، ورفاعة بن عبد المُنْذر بن زبير نقيب بدري، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان بن أمية بن البُرَك، بَدْري؛ وقتل يوم أُحُد شهيداً أميراً على الرماة، ومعنُ بن عدي بن الجد بن عَجْلان بن الحارث بن ضُبَيْعة البلويّ حليف للأوس شهد بدراً وما بعدها، وقتل باليمامة شهيداً، وعويم بن ساعدة شهد بدراً وما بعدها.

ومن الخزرج اثنان وستون رجلاً: أبو أيوب خالد بن زيد، وشهد بدراً وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً، ومُعاذ بن الحارث. وأخواه عوف ومعوّذ وهم بنو عفراء بدريون؛ وعُمارة بن حزم شهد بدراً وما بعدها وقتل باليمامة، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر، وسهل بن عتيك بدري، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري، وقيس بن أبي صَعْصَعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر، وعمرو بن غزيّة، وسعدُ بن الربيع

(١) القرن: الحبل.
(٢) الغبن: السفه، والخديعة.
(٣) سقط في ط.

أحد النقباء شهد بدراً وقتل يوم أُحد، وخارجة بن زيد شهد بدراً وقتل يوم أُحُد، وعبد الله بن رواحة أحد النقباء شهد بدراً وأُحُد والخندق، وقتل يوم مؤتة أميراً، وبشير بن سعد بدريّ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي أري النداء وهو بدريّ، وخلاَّدُ بن سُوَيْد بدري أُحُدي خندقي، وقتل يوم بني قُرَيظة شهيداً، طرحت عليه رحًى فشدختْه، فيقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنّ لَهُ لأجْرَ شهيدَيْنِ» وأبو مسعود عقبة بن عمرو البدريّ قال ابن إسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً، ولم يشهد بدراً، وزياد بن لَبيد بدري، وفروة بن عمرو بن ودفة، وخالد بن قيس بن مالك بدري، ورافع بن مالك أحد النقباء، وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلَد بن عامر بن زُرَيْق، وهو الذي يقال له مهاجريّ أنصاريّ، لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكّة حتى هاجر منها وهو بدريّ قُتل يوم أُحُد، وعباد بن قَيْس بن عامر بن خالد بن عامر بن زُرَيْق بدري، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدريّ أيضاً، والبَرَاء بن معرور أحد النقباء، وأول من بايع فيما تزعم بنو سَلِمة وقد مات قبل مقدم النبي ﷺ المدينة، وأوصى له بثلث ماله فردّه رسول الله ﷺ على ورثته، وابنه بِشرُ بن البَرَاء وقد شهد بدراً وأُحُداً والخندق ومات بخَيْبَر شهيداً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة رضي الله عنه، وسنان بن صَيْفي بن صَخْر بدري، والطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بدري، قتل يوم الخندق؛ ومَعْقَل بن المُنْذر بن سَرْح بدري، وأخوه يزيد بن المنذر بدريّ، ومسعود بن زيد بن سُبَيْع، والضحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدريّ، ويزيد بن خذام بن سُبَيْع، وجُبَار بن صخر [بن أمية][(١)] بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بدريّ، والطفيل بن مالك بن خنساء بدريّ، وكعب بن مالك، وسليم بن عامر بن حديدة بدريّ، وقُطْبة بن عامر بن حديدة بدريّ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدريّ أيضاً، وأَبو اليَسَر كعب بن عمرو بدريّ، وصَيْفي بن سواد بن عباد، وثعلبة بن غَنَمة بن عدي بن نابي بدريّ، واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غَنَمة بن عديّ، وعَبْس بن عامر بن عدي بدريّ، وخالد بن عمرو بن عديّ بن نابي، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة؛ وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدريّ، واستشهد يوم أُحُد، وابنه جابر بن عبد الله، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَموح بدريّ، وثابت بن الجِذْع بدريّ وقتل شهيداً بالطائف، وعُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة بدريّ، وخَدِيج بن سلامة حليف لهم من بليّ، ومعاذُ بن جَبَل شهد بدراً وما بعدها، بطاعون عَمْواس في خلافة عمر بن الخطاب، وعُبَادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدراً وما بعدها، والعبّاس بن عُبَادة بن نَضْلة وقد أقام بمكّة حتى هاجر منها، فكان يقال له مهاجريّ أنصاريّ أيضاً، وقتل يوم أُحُد شهيداً، وأبو عبد الرَّحمٰن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم حليف لهم من بليّ، وعمرو بن الحارث بن كندة، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدريّ، وعُقبة بن وهب بن كَلَدة حليف لهم بدريّ، وكان ممن خرج إلى مكّة فأقام بها حتى هاجر منها، فهو ممن يقال له: مهاجري أنصاريّ أيضاً، وسَعْدُ بن عُبَادة بن دُلَيم أحد النقباء، والمنذر بن عمرو نقيب بدريّ

---

(١) سقط في أ.

أُحُدي وقتل يوم بئر معونة أميراً، وهو الذي يقال له: أعنق ليموت، وأما المرأتان فأم عمارة نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار، المازنية النجارية. قال ابن إسحاق: وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجُها زيدُ بن عاصم بن كعب، وابناها خبيب وعبد اللّه، وابنها خبيب هذا هو الذي قتله مُسَيْلمة الكذّاب حين جعل يقول له أتشهد أن محمّداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يديه لا يزيده على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مُسَيْلمة ورجعت، وبها اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة رضي الله عنها، والأخرى أم مَنيع أسماء ابنة عمرو بن عديّ بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنها.

باب [بدء][١] الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهري عن عروة عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكّة - للمسلمين: «قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، أُرِيتُ سَبِخَةً[٢] ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ»[٣] فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين[٤]. رواه البخاري. وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ. فَذَهَبَ وَهْلِي إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هجَرُ. فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ»[٥] وهذا الحديث قد أسنده البخاري في مواضع أُخر بطوله. ورواه مسلم كلاهما عن أبي كريب. زاد مسلم وعبد اللّه بن مراد كلاهما عن أبي أسامة، عن يزيد بن عبد اللّه بن أبي بردة، عن جدّه أبي بردة، عن أبي موسى عبد اللّه بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ الحديث بطوله.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو العبّاس القاسم ابن القاسم السياري بمرو، حدّثنا إبراهيم بن هلال، حدّثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدّثنا عيسى بن عبيد الكندي، عن غيلان بن عبد اللّه العامري، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَيَّ هَؤُلاَءِ البِلاَدِ الثَّلاَثِ نَزَلْتَ فَهِيَ دَارُ هِجْرَتِكَ؛ المَدِينَةِ، أَوْ البَحْرَيْنِ، أَوْ قِنَّسْرِينَ» قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها.

---

(١) سقط في ط.

(٢) سبخة: أرض ذات ملح. لم تحرث.

(٣) اللابة: الأرض كثيرة الحر.

(٤) أخرجه البخاري في الكفالة باب ٤.

(٥) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، ومسلم في الرؤيا حديث ٢٠.

هذا حديث غريب جداً، وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه منفرداً به عن أبي عمّار، الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى، عن عيسى بن عبيد، عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمر بن جرير، عن جرير. قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَيَّ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ نَزَلْتَ فَهِيَ دَارُ هِجْرَتِكَ؛ المَدِينَةُ، أَوْ البَحْرَيْنِ، أَوْ قِنَّسْرِينَ»[١] ثم قال: غريب لا نعرفه إلاّ من حديث الفضل، تفرّد به أبو عمّار.

قلت: وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في الثقات إلاّ أنه قال: روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: لمّا أذن الله تعالى في الحرب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠] الآية. فلمّا أذن الله في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له، ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين. أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكّة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا» فخرجوا إليها أرسالاً[٢]، وأقام رسول الله ﷺ بمكّة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكّة، والهجرة إلى المدينة فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزوم: أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة، حين آذته قريشٌ مرجعه من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها.

قال ابن إسحاق: فحدّثني أبي عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدّته أم سَلَمة قالت: لما أجمع أبو سَلَمة الخروج إلى المدينة رحّل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سَلَمة بن أبي سَلَمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سَلَمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سَلَمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سَلَمة إلى المدينة، قالت: ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي ـ سنة أو قريباً منها ـ حتى مرّ بي رجل من بني عمّي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئتِ. قالت: فردّ بنو عبد الأسد إليّ عند

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٨.

(٢) أرسالاً: جماعة أثر جماعة.

ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حِجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أَبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أَبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أوما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلاّ الله وبنيّ هذا، فقال: والله ما لك من مَتْرك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يَهْوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه؛ كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثم قيّده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدّمه فرحّله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقْدَمني المدينة، فلمّا نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أَبو سَلَمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكّة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أَبي سَلَمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، أسلم عثمان بن طلحة بن أَبي طلحة العبدري هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً، وقتل يوم أُحُد أبوه وأخوته؛ الحارث وكلاب ومسافع، وعمه عثمان بن أَبي طلحة. ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والد بني شيبة مفاتيح الكعبة أقرّها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ﴾ [النساء: ٥٨] الآية.

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أَبي سَلَمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عدي، معه امرأته ليلى بنت أَبي حَثْمة العدويّة، ثم عبدُ اللّه بن جحش ابن رئاب بن يَعْمر بن صَبرة بن مرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد أَبي أحمد، اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل ثمامة. قال السهيلي: والأول أصح. وكان أَبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكّة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفارعة بنت أَبي سفيان بن حرب، وكانت أمّه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. فغُلّقت دار بني جحش هجرة، فمرّ بها عتبة بن ربيعة والعبّاس بن عبد المطلب وأَبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكّة، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يباباً، ليس بها ساكن، فلما رآها كذلك تنفّس الصعداء وقال: [البسيط]

وَكُــلُّ دَارٍ وَإِنْ طَــالَــتْ سَــلاَمَــتُــهَــا ... يَـوْماً سَـتُـدْرِكُـهَـا الـنَّـكْـبَـاءُ وَالـحُـوبُ(١)

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصيدة له. قال السهيلي: واسم أَبي دؤاد حنظلة بن شرقي وقيل حارثة. ثم قال عتبة: أصبحت دار بني جحش خلاء من

---

(١) الحوب: الإثم.

أهلها. فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من فل بن فل(١) ثم قال ـ يعني للعباس ـ هذا من عمل ابن أخيك، هذا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.

قال ابن إسحاق: فنزل أبو سَلَمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالاً. قال وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالهم ونساؤهم وهم عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة ابن محصن، وشجاع، وعقبة ابنا وهب، وأربد بن جميرة(٢) ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، ومحرز بن نضلة، وزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك ابن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيدة، وتمام ابن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة، ومحمّد بن عبد الله بن جحش. ومن نسائهم زينب بنت جحش، وحمنة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجدامة بنت جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخبرة بنت تميم. قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة: [الطويل]

وَلَـمَّـا رَأَتْـنِـي أُمُّ أَحْـمَـدَ غَـادِياً بِـذِمَّـةِ مَـنْ أَخْـشَـى بِـغَـيْـبٍ وَأَرْهَـبُ
تَـقُـولُ فَـإِمَّـا كُـنْـتَ لاَ بُـدَّ فَـاعِـلاً فَـيَـمِّـمْ(٣) بِـنَا الـبُـلْـدَانَ وَلْـنَـنْـأَ(٤) يَـثْـرِبُ
فَـقُـلْـتُ لَـهَـا: مَـا يَـثْـرِبٌ بِـمَـظَـنَّـةٍ(٥) وَمَـا يَـشَـإِ الـرَّحْـمَـنُ فَـالْـعَـبْـدُ يَـرْكَـبُ
إِلَـى الـلَّـهِ وَجْـهِـي وَالـرَّسُـولِ وَمَـنْ يُـقِـمْ إِلَـى الـلَّـهِ يَـوْمـاً وَجْـهَـهُ لاَ يُـخَـيَّـبُ
فَـكَـمْ قَـدْ تَـرَكْـنَـا مِـنْ حَـمِـيـمٍ مُـنَـاصِـحٍ(٦) وَنَـاصِـحَـةٍ تَـبْـكِـي بِـدَمْـعٍ وَتَـنْـدُبُ
تَـرَى أَنَّ وِتْـراً نَـائِـيـاً عَـنْ بِـلاَدِنَـا وَنَـحْـنُ نَـرَى أَنَّ الـرَّغَـائِـبَ نَـطْـلُـبُ
دَعَـوْتَ بَـنِـي غَـنْـمٍ لِـحَـقْـنِ دِمَـائِـهِـمْ وَلِـلْـحَـقِّ لَـمَّـا لاَحَ لِـلْـنَـاسِ مَـلْـحَـبُ(٧)
أَجَـابُـوا بِـحَـمْـدِ الـلَّـهِ لَـمَّـا دَعَـاهُـمُ إِلَـى الـحَـقِّ دَاعٍ وَالـنَّـجَـاحِ فَـأَوْعَـبُـوا
وَكُـنَّـا وَأَصْـحَـابـاً لَـنَـا فَـارَقُـوا الـهُـدَى أَعَـانُـوا عَـلَـيْـنَـا بِـالـسِّـلاَحِ وَأَجْـلَـبُـوا
كَـفَـوْجَـيْـنِ إِمَّـا مِـنْـهُـمَـا فَـمُـوَفَّـقٌ عَـلَـى الـحَـقِّ مَـهْـدِيٌّ، وَفَـوْجٌ مُـعَـذَّبُ

(١) الفل: قال ابن هشام: الواحد واستشهد بهذا البيت من الشعر:
كل بني حرة مصيرهم فلّ وإن أكثرت من العدد
(٢) قال ابن هشام: ويقال: ابن حميرة.
(٣) يمم: توجه.
(٤) ننأى: نبعد.
(٥) في ابن هشام: فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا.
(٦) الحميم المناصح: الصديق الوفي.
(٧) ملحب: اللسان الفصيح.

طَغَوْا وَتَمَنَّوْا كِذْبَةً وَأَزَلَّهُمْ عَنِ الحَقِّ إِبْلِيسٌ فَخَابُوا وَخُيِّبُوا
وَرَغْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَطَابَ وُلاَةُ الحَقِّ مِنَّا وَطُيِّبُوا
نَمُتُّ بِأَرْحَامٍ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةٍ وَلاَ قُرْبَ بِالأَرْحَامِ إِذْ لاَ تُقَرَّبُ
فَأَيُّ ابْنِ أُخْتٍ بَعْدَنَا يَأْمَنَنَّكُمْ وَأَيَّةُ صِهْرٍ بَعْدَ صِهْرِيَ يُرْقَبُ
سَتَعْلَمُ يَوْماً أَيُّنَا إِذْ تَزَايَلُوا[1] وَزُيِّلَ أَمْرُ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصْوَبُ

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعيّاش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة. فحدّثني نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال: اتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص؛ التَّنَاضِب[2] من أضاة بني غفار فوق سَرِف، وقلنا: أيّنا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس، فليمضِ صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعيّاش عند التناضب، وحبس هشام وفتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ـ وكان ابن عمّهما وأخاهما لأمهما ـ حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكّة، فكلّماه وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمسّ رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلاّ ليفتنوك عن دينك فاحذرهم؛ فوالله لو قد آذى أمك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتدّ عليها حرّ مكّة لاستظلّت. قال: فقال: أبرّ قسم أمي، ولي هنالك مالٌ فآخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهبْ معهما. قال: فأبى علي إلاّ أن يخرج معهما، فلما أبى إلاّ ذلك قلت: أما إذ فعلت ما فعلت، فخذْ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذَلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريبٌ فانج عليها. فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحوّل عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكّة وفتناه فافتتن. قال عمر: فكنا نقول لا يقبل الله ممن افتتن توبة. وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٥] قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا؛ قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. وذكر ابن هشام أن الذي

---

(١) تزايلوا: تصارعوا.
(٢) التناضب: الابتعاد.

قدم بهشام بن العاص، وعياش بن أبي ربيعة إلى المدينة؛ الوليد بن المغيرة سرقهما من مكّة، وقدم بها يحملهما على بعيره وهو ماش معهما، فعثر فدميت أصبعه فقال: [الرجز]

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ أُصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال البخاري: حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمّار وبلال[1]. وحدّثني محمّد بن بشّار، حدّثنا غندر، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب، قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمّار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفراً من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ في سور من المفصل[2]. ورواه مسلم في صحيحه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه، وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقّاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه إنما هاجر بعد رسول الله ﷺ والصواب ما تقدم.

قال ابن إسحاق: ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد اللّه ابنا سراقة بن المعتمر، وخُنَيس بن حذافة السهمي زوج ابنته حفصة، وابن عمّه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وواقد بن عبد اللّه التميمي، حليف لهم، وخَوْليّ بن أبي خَوْلي، ومالك بن أبي خَوْلي، حليفان لهم من بني عجل وبنو البُكير إياس وخالد وعاقل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زنير في بني عمرو بن عوف بقباء.

قال ابن إسحاق: ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم، فنزل طلحة بن عُبَيد اللّه، وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخي بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنح. ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النهديّ، أنه قال: بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفّار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم! قال: فإني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ» وقد قال البيهقي: حدّثنا الحافظ أبو عبد اللّه ـ إملاء ـ أخبرنا أبو العبّاس إسماعيل بن عبد اللّه بن محمّد بن ميكال، أخبرنا عبدان

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٦.
(٢) انظر الحاشية السابقة.

الأهوازي، حدّثنا زيد بن الجريش، حدّثنا يعقوب بن محمّد الزهري، حدّثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن صهيب، حدَّثني أبي وعمومتي عن سعيد بن المسيّب، عن صهيب. قال: قال رسول الله ﷺ: «أريتُ دار هجرتكُمْ سبخةً بين ظهراني حرّتين، فإمّا أنْ تكونَ هجرَ أوْ تكُونَ يثْرب» قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدّني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرت يريدوا ليردّوني فقلت لهم إن أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي ففعلوا، فتبعتهم إلى مكّة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فإن بها أواقي، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحوّل منها، فلما رآني قال: «يا أبا يحيى رَبحَ البَيْعُ» فقلت: يا رسول الله ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلاّ جبرائيل عليه السلام.

قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء، وقيل على سعد بن خَيْثمة، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم. قال: ونزل عبيدة بن الحارث وأخواه الطّفيل وحُصين ومِسْطَح بن أثاثة وسُوَيبط بن سعد بن حُريملة أخو بني عبد الدار، وطُلَيب بن عُمَير أخو بني عبد بن قصي، وخبّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد اللّه بن سلمة أخي بَلْعجلان بقباء(١) ونزل عبد الرّحمٰن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع، ونزل الزبير بن العوّام وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم على منذر بن محمّد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجلاّح بالعُصْبة دار بني جَحْجَبي، ونزل مُصعب بن عُمَير على سعد بن مُعاذ، ونزل أبو حُذَيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة. قال ابن إسحاق وقال الأموي على خُبَيْب بن أساف أخي بني حارثة، ونزل عُتْبَة بن غزوان على عبّاد بن بشر بن وَقْش في بني عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفّان على أوس بن ثابت بن المُنْذر أخي حسّان بن ثابت في دار بني النجّار. قال ابن إسحاق: ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة وذلك أنه كان عَزَباً والله أعلم أي ذلك كان.

وقال يعقوب بن سفيان: حدَّثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرّحمٰن بن عوف، حدّثنا عبد العزيز بن محمّد عن عُبَيد اللّه عن نافع، عن ابن عمر أنه قال: قدمنا مكة فنزلنا العصبة، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حُذَيفة. فكان يؤمّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً.

---

(١) كذا بالأصلين، وفي ابن هشام: على عبد الله أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث بن الخزرج.

فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء وأن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبويّة حيث الأنصار والأحباب، فصارت له داراً وقراراً، وأهلها له أنصاراً.

قال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان[1] عن أبيه عن ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأمر بالهجرة وأنزل عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[2] وقال قتادة ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ المدينة ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الهجرة من مكة ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده.

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكّة إلاّ من حبس أو فتن، إلاّ علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له: «لاَ تَعْجَلْ لعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لكَ صَاحِباً» فيطمع أبو بكر أن يكونه. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة، وهي دار قصيّ بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلاّ فيها، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. قال ابن إسحاق: فحدَّثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد اللّه بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر، عن عبد اللّه بن عبّاس، وغيره ممن لا أتهم عن عبد اللّه بن عبّاس. قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه تبلة فوقف على باب الدار فلمّا رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش: عتبة وشيبة وأبو سفيان وطُعَيمة بن عدي وجُبَيْر بن مطعم بن عدي، والحارث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحَكيم بن حزام، وأبو جهل بن هشام، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجّاج وأُميّة بن خلف، ومن كان فهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم

---

(١) كذا في المصرية وفي الحلبية: جبير عن قابوس بن أبي طهمان.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٢٣/١.

لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم - قيل إنه أبو البختري بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحلّ على حي من العرب؛ فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحَكَم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً[1] فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم، قال: يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي، ولا رأي غيره فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ[2] بِبُرْدِي هَذَا الحَضْرَمِيّ الأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ» وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نام.

وهذه القصّة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عبّاس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن أَبي زياد عن محمّد بن كعب القرظي: قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على بابه - إن محمّداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان

(١) الوسيط: الشريف في قومه.

(٢) تسجّى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

الأردن، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ» وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ١ - ٩] ولم يبق منهم رجل إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمّدًا، فقال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمّد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته! أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببُرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمّد نائماً عليه بُرده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليّ عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدّثنا.

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١﴾ [الطور: ٣٠ - ٣١] قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيّه ﷺ عند ذلك بالهجرة.

باب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكّة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه

وذلك أول التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العُمَريّة كما بيّناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

قال البخاري: حدّثنا مطر بن الفضل، حدّثنا روح، حدّثنا هشام، حدّثنا عكرمة عن ابن عبّاس. قال: بُعِث النبي ﷺ لأربعين سنة، فمكث فيها ثلاث عشرة يُوحَى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام، وذلك في يوم الاثنين[١].

كما رواه الإمام أحمد عن ابن عبّاس أنه قال: ولد نبيّكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ونبىء يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين[٢].

قال محمّد بن إسحاق: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له:

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٧١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٧.

«لاَ تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِباً» ؛ قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك. قال الواقدي: اشتراهما بثمانمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطىء رسولُ الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية. حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه رسوله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلاّ لأمر حَدَث! قالت: فلما دخل تأخّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ أحداً إلاّ أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أَخرِجْ عَنّي مَنْ عِندَكَ» قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ وَالهِجْرَةِ» قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصُحْبَةُ» قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي. ثم قال: يا نبيّ الله إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا عبد اللّه بن أرقد قال ابن هشام: ويقال عبد اللّه بن أريقط. رجلاً من بني الدئل بن بكر، وكانت أمّه من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً يدلّهما على الطريق، ودفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما قال ابن إسحاق: ولم يَعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلاّ علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق وآل أبي بكر، وأما عليّ فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلّف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكّة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خَوْخة لأبي بكر في ظهر بيته. وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمّد بن إسحاق. قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكّة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَلَمْ أَكُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى هَوْلِ الدُّنْيا، وَبَوَائِقِ الدَّهرِ، وَمَصَائِبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ. اللَّهُمَّ اصْحَبْنِي فِي سَفَرِي. وَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي وَلَكَ فَذَلِّلْنِي. وَعَلَى صَالِحِ خُلُقِي فَقَوِّمْنِي، وَإِلَيكَ رَبِّ فَحَبِّبنِي، وَإِلَى النَّاسِ فَلاَ تَكِلْنِي، رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَكُشِفَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ، وَتُنْزِلَ بِي سَخَطَكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَفَجْأَةِ نَقْمَتِكَ، وَتَحوُّلِ عَافِيَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ. لَكَ العُقْبَى عِنْدِي خَيْرَ مَا اسْتَطَعْتُ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ».

قال ابن إسحاق: ثم عمدا إلى غار بِثَوْرٍ - جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر أبو بكر

الصدِّيق ابنه عبد اللّه أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار. فكان عبد اللّه بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد اللّه بن أبي بكر من عندهما إلى مكّة أتبع عامر ابن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه. وسيأتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا. وقد حكى ابن جرير عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصدِّيق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر علياً أن يدله على مسيره ليلحقه، فلحقه في أثناء الطريق. وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً.

قال ابن إسحاق: وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما، قالت أسماء: ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة طرح منها قُرطي، ثم انصرفوا. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير أن أباه حدّثه عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كلّه معه خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدّي أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت قلت: كلا يا أبة إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبة ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وقال ابن هشام: وحدَّثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية، يَقي رسول الله ﷺ بنفسه. وهذا فيه انقطاع من طرفيه. وقد قال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن عمرو الضبّي، حدّثنا نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة: أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثَوْر، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرّة، وخلفه مرّة. فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك؛ وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثَوْر قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك. قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه

دابة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ، وهذا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصدّيق رضي الله عنه.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أخبرنا موسى بن الحسن، حدّثنا عبّاد، حدّثنا عفّان بن مسلم، حدّثنا السري بن يحيى، حدّثنا محمّد بن سيرين. قال: ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر. فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر. لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً خَلْفِي وَسَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ؟» فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَوْ كَانَ شَيْءٌ لأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قال: نعم! والذي بعثك بالحق. فلما انتهينا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء[1] لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجحرة فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء. فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. وقد رواه البيهقي من وجه آخر عن عمر وفيه: أن أبا بكر جعل يمشي بين يديّ رسول الله ﷺ تارة، وخلفة أخرى، وعن يمينه وعن شماله. وفيه أنه لمّا حفيت رجلا رسول الله ﷺ حمله الصدّيق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سدّد تلك الأجحرة كلّها وبقي منها جحر واحد، فألقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل. فقال له رسول الله ﷺ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» وفي هذا السياق غرابة ونكارة.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالا: حدّثنا أبو العبّاس الأصمّ، حدّثنا عباس الدوري، حدّثنا أسود بن عامر شاذان، حدّثنا إسرائيل عن الأسود عن جندب بن عبد الله. قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار، فأصاب يده حجر فقال: [الرجز]

إِنْ أَنْتِ إِلاَّ أُصْبَعٌ دَمِيتِ ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك، فبات عليٌ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ. فلما أصبحوا ثاروا عليه، فلمّا رأوا علياً ردّ الله عليهم مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري. فاقتفوا

---

(١) استبرأ: اكتشف براءته أي خلوة من الأذى.

أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمرّوا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال[١]. وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصّة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ.

[وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر: حدّثنا بشّار الخفّاف، حدّثنا جعفر بن سليمان[٢]، حدّثنا أبو عمران الجوني، حدّثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي ﷺ قائماً يصلّي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أئل، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ تَخَفْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمرصلّى. وروى هذا الرجل - أعني أبو بكر أحمد بن علي القاضي - عن عمرو الناقد عن خلف بن تميم عن موسى بن مطر عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشياً][٣].

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول: [الخفيف]

نَسْجُ دَاوُدَ مَا حَمَى صَاحِبَ الغَا ... رِ وَكَانَ الفَخَارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

وقد ورد أن حمامتين عششتا على بابه أيضاً، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول: [الطويل]

فَغَمَّى عَلَيْهِ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ ... وَظَلَّ عَلَى البَابِ الحَمَامُ يَبِيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمّد بن صاعد، حدّثنا عمرو بن علي، حدّثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب «عوين» - حدثني أبو مصعب المكي. قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك، يذكرون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة، وأقبلت فتيان قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيّهم وقسيّهم وهراواتهم، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قدر مائتي ذراع قال الدليل - وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي - هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٤٨.

(٢) كذا في الأصل ولعله جعفر بن سليمان الضبعي من رجال الخلاصة.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة في النسخة الحلبية، ولم نره في النسخة المصرية وسقط من أ.

رجله. فقال الفتيان: أنت لم تخطىء منذ الليلة. حتى إذا أصبحن قال: انظروا في الغار، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر خمسين ذراعاً، فإذا الحمامتان، ترجع[1] فقالوا ما ردّك أن تنظر في الغار، قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما، فسمت عليهما - أي برّك عليهما - وأحدرهما الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى. وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. قد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعوين - بإسناده مثله. وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين، وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سراقة بن مالك المدلجي، وقد روى الواقدي عن موسى بن محمّد بن إبراهيم عن أبيه أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة.

قلت: ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكّة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أي وقد لجآ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام، ليسكن الطلب عنهما، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردّهما - أو أحدهما - مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما كما قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا همّام، أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدّثه. قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه؟ فقال: «يَا أَبَا بَكرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَينِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[2] وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام به. وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي ﷺ: «لَوْ جَاؤُونا مِنْ هَهُنَا لَذَهَبْنَا مِنْ هُنَا» فنظر الصدّيق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه. وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يَرِد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صحّ أو حسن سنده قلنا به والله أعلم.

(١) يظهر أن هنا نقصاً: فرجع الدليل.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٢، ومناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١، وأحمد في المسند ١/ ٤.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا الفضل بن سهل، حدّثنا خلف بن تميم، حدّثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه، عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية. ثم قال البزّار: لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم.

قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، وكذّبه يحيى بن معين، فلا يُقْبَل حديثه. وقد ذكر يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق أن الصدّيق قال في دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصّة سراقة كما سيأتي شعراً. فمنه قوله: [البسيط]

قَالَ النَّبِيُّ. وَلَمْ أَجْزَعْ. يُوَقِّرُنِي ... وَنَحْنُ فِي سُدُفٍ[1] مِنْ ظُلْمَةِ الغَارِ
لاَ تَخْشَ شَيْئاً فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا ... وَقَدْ تَوَكَّلَ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمّد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة ابن الزبير، قال: فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج ـ يعني الذي بايع فيه الأنصار ـ بقية ذي الحجّة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، أو يحبسوه، أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك فأنزل عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية. فأمر علياً فنام على فراشه، وذهب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً. وقد تقدّم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل؛ قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبويّ قطّ إلاّ وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فذكرت ما كان من ردّه لأبي بكر إلى مكّة، وجواره له، كما قدمناه عند هجرة الحبشة، إلى قوله فقال أبو بكر: فإني أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله. قالت: والنبي ﷺ يومئذ بمكة. فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة، وتجهّز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط[2] ـ أربعة أشهر[3]، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر. قال ابن

---

(١) سُدُف: حجب.

(٢) كذا في الأصلين، والذي في النهاية: السمر، بضم الميم، وضرب من شجر الطلح.

(٣) أخرجه البخاري في الكفالة باب ٤، وأحمد في المسند ٦/١٩٨.

شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ: «أخرِجْ مَنْ عندَكَ» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: فإنه قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصُحبة بأبي أنت وأمي، قال النبي ﷺ: «نعَمْ!» قال أبو بكر: فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. فقال رسول الله ﷺ بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها[(١)] فربطت به على فم الجراب، فلذلك سمّيت ذات النطاقين. قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثَوْر، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد اللّه بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج[(٢)] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، لا يسمع أمراً يكادان به إلاّ وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة[(٣)] من غنم، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيعهما - حتى ينعق بها[(٤)] عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث[(٥)]. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدئل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفّار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثَوْر بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[(٦)]. قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرَّحمٰن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفّار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر ديّة كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل، أراها محمّداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تُخرِج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه

---

(١) النطاق: قطعة من ثوب أو جلد أو نحوهما يشدّ به الوسط.

(٢) يدلج: يسير ليلاً.

(٣) أي غنم فيها لبن، وقد تقع المنحة على الهبة مطلقاً لا قرضاً ولا عارية. من النهاية.

(٤) في الأصلين: حتى ينعق بهما. وفي النهاية نعق الراعي بالغنم ينعق إذا دعاها لتعود إليه وهي في أ.

(٥) أخرجه البخاري في اللباس باب ١٦، وأحمد في المسند ٦/١٩٨.

(٦) أخرجه البخاري في الإجارة باب ٣.

الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي، فركبتها فدفعتها ففرت بي حتى دنوت منهم، فعثرت[١] بي فرسي، فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي[٢] فاستخرجت منها الأزلام[٣] فاستقسمت بها أضرّهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام فجعل فرسي يقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت[٤] يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزلام فخرج الذي أكره؛ فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديّة، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. لم يردّاني ولم يسألاني إلاّ أن قالا اخفِ عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم. ثم مضى رسول الله ﷺ.

وقد روى محمّد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرَّحمٰن بن مالك بن جعشم عن أبيه، عن عمّه سراقة فذكر هذه القصّة، إلاّ أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره [لا يضرّه][٥]، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالأزلام، ويخرج الذي يكره لا يضرّه. حتى ناداهم بالأمان. وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمارة ما بينه وبين رسول الله ﷺ، قال فكتب لي كتاباً في عَظْم ـ أو رقعة أو خرقة ـ وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعْرانة مرجعه من الطائف، فقال له: «يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ أُدْنُهْ» فدنوت منه وأسلمت. قال ابن هشام: هو عبد الرَّحمٰن بن الحارث بن مالك بن جعشم وهذا الذي قاله جيّد.

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلاّ ردّه وقال: كفيتم هذا الوجه، فلمّا ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة. جعل سراقة يقصّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ، وما كان من قضيّة جواده، واشتهر هذا عنه. فخاف رؤساء قريش معرته، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم، وكان سراقة أمير بني مدلج ورئيسهم، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم: [الطويل]

بَنِي مُدْلِجٍ إِنِّي أَخَافُ سَفِيهَكُمْ ... سُرَاقَةُ مُسْتَغْوٍ لِنَصْرِ مُحَمَّدِ

عَلَيْكُمْ بِهِ أَلاَّ يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ ... فَيُصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عِزٍّ وَسُؤْدُدِ[٦]

قال: فقال سراقة بن مالك يجيب أبا جهل في قوله هذا: [الطويل]

---

(١) عثرت: وقعت.
(٢) الكنانة: جعبة الهام.
(٣) الأزلام: السهام التي يستقسم بها.
(٤) ساخت: غاصت.
(٥) سقط في أ والمثبت في ط.
(٦) سؤدد: كمال ورفعة ومجد.

أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِداً ... لِأَمْرِ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ(١) قَوَائِمُهْ

عَجِبْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولٌ وَبُرْهَانٌ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ(٢)

عَلَيْكَ فَكُفَّ الْقَوْمَ عَنْهُ فَإِنَّنِي ... أَخَالُ لَنَا يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ

بِأَمْرٍ تَوَدُّ النَّصْرَ فِيهِ فَإِنَّهُمْ ... وَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرّاً(٣) مُسَالِمُهْ

[وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق وقد رواه أبو نعيم بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً](٤).

وقال البخاري بسنده إلى ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم(٥) من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلا صوته: يا معشر العرب هذا جَدّكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ، يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسّس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما. ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول حين ينقل اللبن: [الرجز]

هَذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

---

(١) تسوخ: تغوص.

(٢) في المصرية: نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه.

(٣) طرّاً: كلها.

(٤) ما بين المعكوفين سقط من الحلبية.

(٥) أطم: بيت مرتفع ومحاط بسور من الحديد والأحجار.

ويقول: [الرجز]

لاَ هُـمَّ إنَّ الأَجْـرَ أَجْـرُ الآخِـرَهْ فَـارْحَـمِ الأَنْـصَـارَ وَالـمُـهَـاجِـرَه[١]

فتمثّل بشعر رجل من المسلمين لم يسمّ لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثّل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[٢]. هذا لفظ البخاري وقد تفرّد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه أخر وليس فيه قصّة أم معبد الخزاعية، ولنذكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فأولاً.

قال الإمام أحمد: حدّثنا عمرو بن محمّد أبو سعيد العنقزي، حدّثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: اشترى أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلي. فقال: لا حتى تحدّثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا، فأحثثنا[٣] يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلّها، فسوّيته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة، وقلت: فاضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش ـ فسمّاه فعرفته ـ فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم! قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم! فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفّيه من الغبار، ومعي إداوة[٤] على فمها خرقة فحلب لي كثبة[٥] من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحدٌ منهم إلاّ سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ قال: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح ـ أو رمحين أو قال: رمحين أو ثلاثة ـ قلت؛ يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا؟ وبكيت، قال: «لم تبكي؟» [قلت:] أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمّد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله

(١) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: أن المسلمين كانوا يقولون:

لاَ عَـيْـشَ إلاَّ عَـيْـشُ الآخِـرَهْ الـلَّـهُـمَّ ارْحَـمِ الأَنْـصَـارَ وَالـمُـهَـاجِـرَهْ

وأن رسول الله ﷺ يقول: لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ اللَّهُمَّ فَارْحَمِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥.

(٣) أحثثنا: جدينا في المسير.

(٤) إداوة: وعاء.

(٥) الكثبة من اللبن القليل منه، وكل قليل جمعته من طعام وغيره (عن النهاية).

أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لاَ حَاجَةَ لِي فِيهَا» ودعا له رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقّاه الناس فخرجوا في الطرق على الأناجير[١] واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ، جاء محمّد، قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أَنْزِلُ اللَّيلَةَ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ المُطَّلِبِ لأُكْرِمَهُمْ بِذلِكَ» . فلمّا أصبح غدا حيث أمر. قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عُمَيْر أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله؟ قال: هو على أثري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصل[٢] أخرجاه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء أول من قدم علينا الخ. فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به.

وقال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن ردّه عليهم، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاماً[٣] ، فلمّا ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة، فإذا ليس فيها عصام، فتحلّ نطاقها فتجعله عصاماً ثم علقتها به. فكان يقال لها: ذات النطاقين لذلك.

قال ابن إسحاق: فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال: اركب فداك أبي وأمي، فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لاَ أَرْكَبُ بَعِيراً لَيسَ لِي» قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: «لاَ وَلَكِنْ مَا الثَّمَنُ الَّذِي ابْتَعْتَها بِهِ» قال: كذا وكذا، قال: «أَخَذْتُهَا بِذَلِكَ» قال: هي لك يا رسول الله.

وروى الواقدي بأسانيده أنه عليه السلام أخذ القصواء[٤] ، قال: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم. وروى ابن عساكر من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: وهي الجدعاء[٥] وهكذا حكى السهيلي عن ابن إسحاق أنها الجدعاء والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق، فحدثت عن أسماء أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من

(١) في النهاية: تلقته الناس على الأجاجير والأناجير، يعني السطوح.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، ومسلم في الزهد حديث ٧٥، وأحمد في المسند ١/٣.

(٣) العصام: حبل يشد به.

(٤) القصواء: اسم الراحلة.

(٥) الجدعاء: اسم الراحلة أيضاً.

قريش منهم أبو جهل فذكر ضربه لها على خدّها لطمة طرح منها قرطها من أذنها كما تقدم. قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجنّ من أسفل مكة يتغنّى بأبيات من شعر غناء العرب، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلاَ بِالبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعة؛ رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد اللّه بن أرقد [١] كذا يقول ابن إسحاق، والمشهور عبد اللّه بن أريقط الدئلي. وكان إذ ذاك مشركاً.

قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد اللّه بن أرقد سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار [٢] ثم أجاز بهما ثنية المرّة، ثم سلك بهما لقفا، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين، ثم بطن ذي كشد، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تِعْهن، ثم على العبابيد، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له: ابن الرداء إلى المدينة، وبعث معه غلاماً يقال له مسعود بن هنيدة، ثم خرج بهما [دليلهما من العرج فسلك بها ثنية العائر عن يمين ركوبة - ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قدم بهما] [٣] قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحوا من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها

---

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام عن ابن إسحاق في جميع المواضع: عبد الله بن أرقط، واستدرك على ابن إسحاق بقوله: ويقال: عبد الله بن أريقط.

(٢) في الأصلين الحرار. وهي جمع الحرة، والذي في ابن هشام: الخرار بالخاء المعجمة وتشديد الراء موضع بالحجاز وقيل واد أو ماء بالمدينة كما في المعجم لياقوت.

(٣) سقط في أ.

والله أعلم قال أبو نعيم: حدّثنا أبو حامد بن جبلة، حدّثنا محمّد بن إسحاق عن السراج، حدّثنا محمّد بن عبادة بن موسى العجلي، حدّثني أخي موسى بن عبادة، حدّثني عبد الله ابن سيّار، حدّثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه. قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مرّوا بإبل لنا بالجحفة، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَنْ هَذِهِ الإِبِلُ؟» فقالوا: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فقال: «مَا اسْمُكَ؟» قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قال فأتاه أبي فحمله على جمل يقال له ابن الرداء.

قلت: وقد تقدّم عن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين. والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكّة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بغار ثَوْر ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة، واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة، قال ابن هشام: وقال يونس عن ابن إسحاق: اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم. وقال الأموي: هي عاتكة بنت تبيع حليف بني منقذ بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس[1] بن حرام بن خيسة بن كعب بن عمرو، ولهذه المرأة من الولد مَعْبَد ونضرة وحنيدة بنو أبي معبد، واسمه أكثم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن صنبيس، وقصّتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

وهذه قصّة أم معبد الخزاعية، قال يونس عن ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد، واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم، فأرادوا القرى[2] فقالت: والله ما عندنا طعام، ولا لنا منحة، ولا لنا شاة إلاّ حائل[3]، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العسّ[4] حتى أرغى، وقال: «اشْرَبِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ» فقالت: اشرب فأنت أحق به فردّه عليها فشربت، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً، ثم تروح. وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد، فسألوا عنه فقالوا: أرأيت محمّداً من حليته كذا كذا؟ فوصفوه لها. فقالت: ما أدري ما تقولون، قدمنا فتى حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذي نريد.

---

(١) كذا في الأصلين في المكانين وفي الإصابة خُبَيْس مصغراً ذكر ذلك في ترجمة أخيها خُبَيْش الأشعري والذي في السهيلي: عاتكة بنت خلد إحدى بني كعب من خزاعة، وهي أخت حبيش بن خلد، وخلد الأشعر أبوهما هو ابن خنيف بن منقد بالدال المهملة بن ربيعة بن أصرم بن ضميبس بن عرم بن حبشية بن كعب بن عمرو.

(٢) القرى: ما يقدم للضيف من الطعام.

(٣) الحائل: غير الحافل.

(٤) العس: القدح أو الإناء الكبير.

وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدّثنا محمّد بن معمر، حدّثنا يعقوب بن محمّد، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن عقبة بن عبد الرّحمٰن بن جابر بن عبد اللّه، حدّثنا أبي عن أبيه عن جابر. قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلا الغار، إذا في الغار جحر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء. فأقاما في الغار ثلاث ليال ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أم معبد، فأرسلت إليه أم معبد إني أرى وجوهاً حساناً، وإن الحي أقوى على كرامتكم مني، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة، فقال رسول الله ﷺ: «أُرْدُدِ الشَّفرَةَ وهاتِ لَنا فَرْقاً» يعني القدح، فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد. قال: «هات لنا فرقاً»، فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرت، فحلب فملأ القدح، فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب فبعث فيه إلى أم معبد. ثم قال البزار: لا نعلمه يُرْوَى إلاّ بهذا الإسناد. وعبد الرّحمٰن بن عقبة لا نعلم أحداً حدّث عنه إلاّ يعقوب بن محمّد، وإن كان معروفاً في النسب.

وروى الحافظ البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدّثنا محمّد بن عبد الرّحمٰن بن أَبي ليلى، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن الأصبهاني سمعت عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى عن أَبي بكر الصدّيق. قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكّة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلاّ امرأة فقالت: يا عبد اللّه إنما أنا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى، قال: فلم يجبها وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز يسوقها فقالت: يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين، فقل لهما تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطَلِقْ بِالشَّفرَةِ وَجِئْنِي بِالْقَدَحِ» قال: إنها قد عزبت وليس بها لبن، قال: انطلق، فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى. ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ فبتنا ليلتنا، ثم انطلقنا. فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمرّ أبو بكر فرأى ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد اللّه من الرجل الذي كان معك؟ قال: أوما تدرين من هو؟ قالت: لا، قال: هو نبي الله. قالت: فأدخلني عليه.. قال: فأدخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها ـ زاد ابن عبدان في روايته: ـ قالت: فدلني عليه، فانطلقت معي، وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط[1] ومتاع الأعراب. قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلاّ قال: وأسلمت. إسناد حسن.

وقال البيهقي: هذه القصّة شبيهة بقصة أم معبد، والظاهر أنها هي والله أعلم. وقال

(١) الأقط: شيء من مخيض الغنم.

البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي. قالا: حدّثنا أبو العباس الأصمّ، حدّثنا الحسن بن مكرم، حدّثني أبو أحمد بشر بن محمّد السكري، حدّثنا عبد الملك بن وهب المذحجي، حدّثنا أبجر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكّة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فمرّوا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد امرأة برزة[١] جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوذكم القرى، وإذا القوم مرملون[٢] مسنتون[٣]. فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «فَهَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يربض الرهط[٤] فتفاجت[٥] واجترت فحلب فيه ثجاً حتى ملأه [وأرسله إليها] فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل، حتى إذا رووا شرب آخرهم وقال: «سَاقِي القَوْمِ آخِرُهُمْ» ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها. ثم ارتحلوا قال: فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن[٦] هزلى لا نقي بهن[٧] مخهن قليل، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاء عازب؟ فقالت: لا والله إنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. فقال: صفيه لي فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة[٨] ولم تزر به صعلة[٩] قسيم وسيم في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف[١٠]، وفي صوته صحل[١١]. أحول أكحل أزج أقرن في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلّم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب. ربعة لا تنساه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره. محفود[١٢] محشود لا عابس ولا معتد[١٣] فقال ـ يعني بعلها ـ: هذا والله صاحب

---

(١) من البروز أي العظمة.

(٢) أي من الرمل ويقصد أنه نفذ زادهم.

(٣) مسنتون: أي مصابون بالجدب والقحط.

(٤) أي يشبع الجماعة حتى يربضوا. عن السهيلي.

(٥) أي فرجت بين رجليها.

(٦) يتساوكن: يسرن سيراً خفيفاً.

(٧) النقي المخ.

(٨) ثجلة: أي ضخم بطن، ويروى بالنون والحاء، أي نحول ودقة.

(٩) والصعلة صغر الرأس عن النهاية.

(١٠) وطف: قليل من الشعر.

(١١) صحل: بحه وخشونة.

(١٢) محفود: منصور.

(١٣) في أصل المصرية: ولا مفند، وفي الحلبية مهمل من النقط والتصحيح من الخشني في غريب الحديث.

قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه، ولأجهدنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، قال وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول وهو يقول: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلاَ بِالبِرِّ وَارْتَحَلاَ بِهِ[1] ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَ قُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فَعَالٍ لاَ تُجَارَى وَسُؤْدَدِ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُمُ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ[2]
فَغَادَرَهُ رَهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يَدُرُّ لَهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

قال وأصبح الناس ـ يعني بمكة ـ وقد فقدوا نبيّهم، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال وأجابه حسّان بن ثابت: [الطويل]

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ[3] ... وَقَدْ سُرَّ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَزَالَتْ عُقُولُهُمْ ... وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ
[هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ رَبُّهُمْ ... وَأَرْشَدَهُمْ مَنْ يَتْبَعِ الحَقَّ يَرْشُدِ][4]
وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلاَّلُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ... عَمًى وَهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ ... فَتَصْدِيقُهَا فِي اليَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ ... بِصُحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ
وَيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَدِ

قال ـ يعني عبد الملك بن وهب ـ فبلغني أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ. وهكذا روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء، وزاد في آخره قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ، ثم رواه أبو نعيم من طرق عن بكر بن محرز الكلبي الخزاعي، عن أبيه محرز بن مهدي، عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه، عن جدّه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكّة خرج منها مهاجراً، هو وأبو بكر

---

(١) كذا بالأصلين وفي ابن هشام: هما نزلا بالبر ثم تروحا.
(٢) كذا في الأصل: والضرة أصل الضرع. وفي «ب» ثرّة. والثرّة: كثرة اللبن وفيها: الضرّة أصل الضرع.
(٣) الذي في السهيلي: غاب بدل زال، وضلّت عقولهم بدل زالت.
(٤) هذا البيت زدناه من السهيلي ولم يرد في الأصل.

وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي، فمروا بخيمة أم معبد وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبّة، وذكر مثل ما تقدّم سواء. قال وحدثناه ـ فيما أظن ـ محمّد بن أحمد بن علي بن مخلد، حدّثنا محمّد بن يونس بن موسى ـ يعني الكديمي ـ حدّثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العبّاس بن عبد المطلب، حدّثنا محمّد بن سليمان بن سليط الأنصاري، حدّثني أبي عن أبيه سليط البدري. قال: لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يدلّهم على الطريق، مرّ بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها: «يَا أُمَّ مَعْبَدٍ هَلْ عِنْدَكِ مِنْ لَبَنٍ؟» قالت: لا والله إن الغنم لعازبة[1]، قال: «فما هذه الشاة؟» قالت: خلفها الجهد عن الغنم، ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم.

ثم قال البيهقي: يحتمل أن هذه القصص كلّها واحدة، ثم ذكر قصّة شبيهة بقصّة شاة أم معبد الخزاعية، فقال: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ـ إملاء ـ حدّثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمّد بن غالب، حدثّنا أبو الوليد، حدّثنا عبد الله بن إياد بن لقيط، حدثّنا إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان. قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين، مروا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخدجت[2] وما بقي لها من لبن، فقال: ادع بها، فدعا بها فاعتقلها النبيّ ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب. فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك؟ قال: نعم! قال: «فإنّي مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ». فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابىء؟ قال: «إنَّهُمْ لَيَقُولُونَ ذَلِكَ». قال: فإني أشهد أنك نبيّ، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلاّ نبي وأنا متبعك. قال: «إنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، فَإذَا بَلَغَكَ إنّي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنَا». ورواه أبو يعلى الموصلي عن جعفر بن حميد الكوفي، عن عبد الله بن إياد بن لقيط به. وقد ذكر أبو نعيم ههنا قصّة عبد الله بن مسعود فقال: حدّثنا عبد الله بن جعفر، حدثّنا يونس بن حبيب، حدثّنا أبو داود، حدثّنا حمّاد بن سلمة عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود. قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعتبة بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ وقد فرا من المشركين ـ فقال: «يَا غُلاَمُ عِنْدَكَ لَبَنٌ تَسْقِينَا؟» فقلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما، فقالا: هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟ قلت: نعم! فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع، وجاء أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها، ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني، ثم قال للضرع: أقلص فقلص. فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب ـ يعني القرآن ـ فقال رسول الله ﷺ:

(١) الشاة العازبة أي البعيدة عن المرعى لا تأوي المنزل في الليل.

(٢) خدجت ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق، وأخدجت ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل.

«إنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد[١]. فقوله في هذا السياق وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة. فإن ابن مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدّم، وقصّته هذه صحيحة ثابتة في الصّحاح وغيرها والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد اللّه بن مصعب بن عبد اللّه ـ هو الزبيري ـ حدّثني أبي عن فائد مولى عبادل قال: خرجت مع إبراهيم بن عبد الرَّحمْن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد ـ وسعد هو الذي دلّ رسول الله ﷺ على طريق ركوبة[٢] ـ فقال إبراهيم [أخبرني] ما حدّثك أبوك؟ قال ابن سعد: حدَّثني أبي أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر ـ وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة ـ وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الغامر من ركوبة وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان. فإن شئت أخذنا عليهما، فقال النبي ﷺ: «خذ بنا عليهما» قال سعد فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني. فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان. فقال: «بَلْ أَنْتُمَا المُكْرَمَانِ» وأمرهما أن يَقْدِما عليه المدينة فخرج[نا] حتى إذا أتينا ظاهر قباء، فتلقّاه بنو عمرو بن عوف، فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ؟» فقال سعد بن خيثمة. إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ هٰذَا المَنْزِلُ. رَأَيْتنِي أَنْزِلُ إِلَى حِيَاضٍ كَحِيَاضِ بَنِي مُدْلِجٍ»[٣] انفرد به أحمد][٤].

فصل في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله [بها وما يتعلق به][٥]

قد تقدم فيما رواه البخاري عن الزهري، عن عروة، أن النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهيرة.

قلت: ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في الصحيحين من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، عن أبي بكر في حديث الهجرة قال: فقدمنا ليلاً فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْزِلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ المُطَّلِبِ أُكْرِمُهُمْ بِذٰلِكَ»[٦] وهذا والله أعلم إمّا أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩.
(٢) في الأصل ركونه بالنون وهو خطأ، وركوبة ثنية بين مكة والمدينة عند العرج قرب جبل ورقان.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٧٤.
(٤) ما بين المعقوفين سقط من أ والمثبت من ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٢، ومسلم في الزهد حديث ٧٥.

قرب المدينة، كان في حرّ الظهيرة، وأقام تحت تلك النخلة، ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً، فإن العشي من الزوال، وإنما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء كما سيأتي، فسار فما انتهى إلى بني النجّار إلاّ عشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم.

وذكر البخاري عن الزهري، عن عروة، أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، وأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس، حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مربداً لغلامين يتيمين، وهما سَهْل وسُهَيْل، فابتاعه منهما واتخذه مسجداً. وذلك في دار بني النجّار رضي الله عنهم[١].

وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير [عن عروة بن الزبير][٢] عن عبد الرَّحمٰن بن عُوَيْم بن ساعدة قال: حدَّثني رجال من قومي من أصحاب النبيّ ﷺ قالوا: لمّا بلغنا مخرج النبيّ ﷺ من مكّة وتوكّفنا قدومه[٣] كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر النبيّ ﷺ فوالله، ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ـ وذلك في أيام حارة ـ حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلا صوته: يا بني قَيْلَة[٤] هذا جدّكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سنّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك. ورَكِبه الناس[٥] وما يعرفونه من أَبي بكر حتى زال الظلّ عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك. وقد تقدّم مثل ذلك في سياق البخاري، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم، حدثنا سليمان عن ثابت، عن أنس بن مالك. قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئاً، ثم يقولون جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق[٦] لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيّهم هو، أيّهم هو؟ فما رأينا منظراً

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥.

(٢) سقط من أ.

(٣) توكفنا قدومه: استشعرناه وانتظرناه.

(٤) بنو قيلة: هم الأنصار، وقيلة: اسم جدة كانت لهم.

(٥) ركبه الناس: أي ازدحموا عليه.

(٦) العواتق: ج عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك، وقيل هي التي لم تبنْ من والدتها، ولم تزوج بعد وقد أدركت وشبت.

شبيهاً به. قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أرَ يومين شبيهاً بهما[١]. ورواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن محمّد بن إسحاق الصَّنعاني، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس بنحوه ـ أو مثله ـ وفي الصحيحين من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر في حديث الهجرة. قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمّد، الله أكبر جاء محمّد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر[٢]. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عمرو الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن: [مجزوء الكامل]

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

قال محمّد بن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون يعني حين نزل ـ بقباء على كُلْثوم بن الهِدْم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثمة، ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن الهِدْم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم، جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزَباً لا أهل له، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم. ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خُبَيْب بن إِساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح، وقيل على خارجة بن زَيْد بن أبي زُهَير، أخي بني الحارث بن الخزرج.

قال ابن إسحاق: وأقام عليّ بن أبي طالب بمكّة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهِدْم، فكان عليّ بن أبي طالب إنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين. يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه، فاستربتُ بشأنه فقلت لها: يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سَهْل بن حُنَيف، وقد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا، فكان عليّ رضي الله عنه يأثر ذلك[٣] من شأن سهل بن حُنَيف حين هلك عنده بالعراق.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ١٢، ومسلم في الزهد حديث ٧٥.

(٣) يأثر ذلك: أي يحدث به.

الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسّس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك.

وقال عبد اللّه بن إدريس عن محمّد بن إسحاق قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثماني عشر ليلة.

قلت: وقد تقدم فيما رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة، أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة، وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن حارثة أنه قال: أقام رسول الله ﷺ فينا ـ يعني في بني عمرو بن عوف بقُبَاء ـ اثنتين وعشرين ليلة. وقال الواقدي: ويقال أقام فيهم أربع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاّها في المسجد الذي في بطن الوادي ـ وادي رانوناء ـ فكان أول جمعة صلاها بالمدينة. فأتاه عِتْبان بن مالك وعبّاس بن عُبَادة بن نَضلة في رجال من بني سالم، فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدّة والمنعة، قال: «خلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ» لناقته؛ فخلّوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا وازت[١] دار بني بَيَاضة، تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بَيَاضة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمَنَعة؟ قال: «خلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فخلّوا سبيلها. فانطلقت حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سَعْدُ بن عُبَادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا في العدد والمَنَعة. قال«خلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فخلّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبد اللّه بن رواحة، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدّة والمَنَعة. قال«خلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فخلّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا مرّت بدار عدي بن النجّار ـ وهم أخواله ـ دِنياً أم عبد المطلب، سَلْمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سَلِيط بن قَيس، وأبو سَليط أُسيرة بن خارجة[٢] في رجال من بني عديّ بن النجّار، فقالوا: يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدّة والمنعة، قال«خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فخلّوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجّار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكان يومئذ مِرْبداً[٣] لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجّار، وهما سَهْل وسُهَيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ ابن عفراء.

قلت: وقد تقدم في رواية البخاري من طريق الزهريّ عن عروة، أنهما كانا في حِجْر أسعد بن زرارة والله أعلم.

---

(١) في المصرية: دارت، وفي الحلبية: وازت، وفي ابن هشام: وازنت.

(٢) كذا في الأصلين، وفي الإصابة اسير بن عمرو بن قيس أبو سليط البدري، وفي ابن هشام: أبو سليط أسيرة بن أبي خارجة.

(٣) المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مرّ في طريقه بعبد اللّه بن أُبيّ ابن سلول، وهو في بيت، فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل ـ وهو يومئذ سيّد الخزرج في أنفسهم ـ فقال عبد اللّه: أنظر الذين دعوك فانزل عليهم، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منَّ الله علينا بك يا رسول الله، وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملّكه علينا.

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف، فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحًّا[1] على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له، وكلّما مرّ بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل، فيقول ﷺ: «دَعُوها فإنّها مأمُورَةٌ فإنّما [أنا][2] أنزِلُ حيثُ أنزلني اللّهُ» فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب، فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه.

قال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرّة فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت[3] ووضعتْ جِرانها[4] فنزل عنها رسول الله ﷺ. فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المِربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسَهْل وسُهَيْل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبْنى، ونزل رسول الله ﷺ في دار أَبي أيوب حتى بُنِيَ مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار.

وستأتي قصّة بناء المسجد قريباً إن شاء الله. وقال البيهقي في الدلائل وقال أبو عبد اللّه أَخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ، حدثّنا أَبو عبد اللّه محمّد بن مخلد الدوري، حدثّنا محمّد بن سليمان بن إسماعيل بن أَبي الورد، حدثّنا إبراهيم بن صرمة، حدثّنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد اللّه بن أَبي طلحة، عن أنس. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله. فقال: «دَعُوا النّاقَةَ فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ» فبركت على باب أَبي أيوب، فخرجت جوار من بني النجّار يضربن بالدفوف وهنّ يقلن: [الرجز]

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ   يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أَتُحِبُونَنِي؟» فقالوا: أي والله يا رسول الله. فقال:

---

(١) شحاً: نقصاً.

(٢) سقط من أ.

(٣) رزمت الناقة رزوماً، وذلك إذا قامت من الكلال.

(٤) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها.

«وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكُمْ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكُمْ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكُمْ» هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرّجه الحاكم في مستدركه كما يروى. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرَّحمٰن السلمي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرَّحمٰن بن سليمان النخاس المقرىء ببغداد، حدّثنا عمر بن الحسن الحلبي، حدّثنا أبو خيثمة المصيصي، حدّثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي، عن ثمامة، عن أنس. قال: مرّ النبيّ ﷺ بحيّ من بني النجّار، وإذا جوار يضربْنَ بالدفوف يقلن: [الرجز]

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ... يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فقال رسول الله ﷺ: «يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ»[(١)] ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمّار، عن عيسى بن يونس به. وفي صحيح البخاري عن معمر، عن عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس قال: رأى النبيّ ﷺ النساء والصبيان مقبلين ـ حسبت أنه قال من عرس ـ فقام النبيّ ﷺ ممثلاً فقال: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ» قالها ثلاث مرات[(٢)]. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدَّثني أبي، حدَّثني عبد العزيز بن صهيب، حدّثنا أنس بن مالك. قال: أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيَلْقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ» فصرعته فرسه، ثم قامت تحمحم، ثم قال: مرني يا نبيّ الله بما شئت. فقال: «قِفْ مَكَانَكَ وَلَا تَتْرُكَنَّ أَحَداً يَلْحَقُ بِنَا». قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له. قال: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا فسلّموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبيّ الله. قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال: فإنه ليحدّث أهله إذ سمع به عبد اللّه بن سلام، وهو في نخل لأهله يخترف[(٣)] لهم، فعجّل أن يضع الذي يحترف فيها، فجاء وهي معه، وسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله وقال نبي الله: «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي، قال: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّىءْ لَنَا مَقِيلاً»، فذهب فهيأ ثم جاء فقال: يا رسول الله قد هيأت مقيلاً، قوما على بركة الله فقيلا، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد اللّه بن سلام فقال: أشهد أنك نبيّ الله حقاً، وأنك جئت بحق ولقد علمت يهود أني سيّدهم وابن سيّدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم،

(١) أخرجه ابن ماجة في النكاح باب ٢١.
(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٥.
(٣) يخترف: أي يجني الثمار.

فادعهم فسلهم، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَأَنِّي جِئْتُ بِحَقٍّ أَسْلِمُوا». فقالوا: ما نعلمه، ثلاثاً[(١)]. وكذا رواه البخاري منفرداً به عن محمّد غير منسوب عن عبد الصمد به.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد اللّه اليزني عن أبي رهم السماعي حدَّثني أبو أيوب. قال: لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أكره وأعظّم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فأظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: «يَا أَبَا أَيُّوبَ إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ أَكُونَ فِي سِفْلِ الْبَيْتِ» فكان رسول الله ﷺ في سفله، وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حبّ[(٢)] لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة[(٣)] لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه، قال: وكنا نصنع له العشاء، ثم نبعث إليه، فإذا ردّ علينا فضلة تيمّمت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بَصَلاً ـ أو ثوماً ـ فردّه رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً، قال: فجئته فزعاً فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: «إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ» قال: فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد. وكذلك رواه البيهقي من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الحسن ـ أو أبي الخير ـ مرثد بن عبد اللّه اليزني، عن أبي رهم، عن أبي أيوب فذكره. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمّد المؤدّب، عن الليث. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أخبرنا أبو عمرو الحيري، حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، حدّثنا أحمد بن سعيد الدارمي، حدّثنا أبو النعمان، حدّثنا ثابت بن يزيد، حدّثنا عاصم الأحول، عن عبد اللّه بن الحارث، عن أفلح مولى أبي أيوب، عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفل، وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ! فتنحّوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ ـ يعني في ذلك ـ فقال: «السِّفْلُ أَرْفَقُ بِنَا» فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحوّل رسول الله ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفل، فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلما ردّ إليه، سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام؟ فقال النبيّ ﷺ: «لاَ وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ» قال: فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهت ـ قال: وكان النبيّ ﷺ

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، وأحمد في المسند ٣/ ٢١١.

(٢) الحب: الجرة الضخمة.

(٣) قطيفة: دثار.

يأتيه الملك[١]. رواه مسلم عن أحمد بن سعيد به، وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك. قال: جيء رسول الله ﷺ ببدر[٢]، وفي رواية بقدر فيه خضروات من بقول، قال: فسأل أخبر بما فيها، فلما رآها كره أكلها، قال: «كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لاَ تُنَاجِي»[٣] وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب، أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده، وروي عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن، فقلت: أرسلتْ بهذه القصعة أمي، فقال: «بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ» ودعا أصحابه فأكلوا، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلاّ وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناوبون، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر. قال: وبعث رسول الله ﷺ ـ وهو نازل في دار أبي أيوب ـ مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع، ومعهما بعيران وخمسمائة درهم ليجئا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزينب عند زوجها بمكّة أبي العاص بن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة، وخرج معهم عبد اللّه بن أبي بكر بعيال أبي بكر، وفيهم عائشة أم المؤمنين، ولم يدخل بها رسول الله ﷺ.

وقال البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفّار، حدّثنا خلف بن عمرو العكبري، حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا عطاف بن خالد، حدّثنا صديق بن موسى عن عبد اللّه بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمّد بن علي، وبين دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فانبعثت به راحلته فقال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحلّلت، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبرّدون فيه، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فآوى إلى الظل، فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فانقل رحلك إليّ؟ قال: «نَعَمْ!» فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل فقال: يا رسول الله أين تحل؟ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ» وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد، وهذه منقبة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ. وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمّد بن علي بن عبد اللّه بن عبّاس رضي الله عنه أنه لما قدم أبو أيوب البصرة ـ وكان ابن عبّاس نائباً عليها من جهة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فخرج له ابن عبّاس عن داره حتى أنزله فيها، كما أنزل رسول الله ﷺ في داره، وملّكه كل ما أغلق عليها بابها. ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عبّاس عشرين ألفاً، وأربعين عبداً. وقد صارت دار أبي أيوب

---

(١) أخرجه مسلم في الأشربة حديث ١٧١.

(٢) بدر: أي طبق.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٦٠، ومسلم في المساجد حديث ٧٣.

بعده إلى مولاه أفلح. فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرّحمٰن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وَهِي من بنيانها ووهبها لأهل بيت فقراء من أهل المدينة. وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجّار واختيار الله له ذلك منقبة عظيمة، وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً كل دار محلة مستقلّة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلّتهم وهي كالقرى المتلاصقة، فاختار الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجّار.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك. قال قال رسول الله ﷺ: «خيرُ دُورِ الأنصار بَنو النجّار، ثُمّ بَنو عَبْدِ الأشهَل، ثُمّ بَنُو الحارثِ بن الخزرج، ثُمّ بَنو ساعدة، وفي كُلّ دُورِ الأنصار خيرٌ» فقال سعد بن عبادة: ما أرى النبيّ ﷺ إلاّ قد فضّل علينا، فقيل قد فضّلكم على كثير[1]: هذا لفظ البخاري. وكذلك رواه البخاري ومسلم من حديث أنس وأبي سَلَمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، ومن حديث عبادة بن سهل عن أبي حميد عن النبيّ ﷺ بمثله سواء. زاد في حديث أبي حميد؛ فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة: ألم تر أن النبيّ ﷺ خيّر الأنصار فجعلنا آخراً، فأدرك سعد النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله خيّرت دور الأنصار فجعلتنا آخراً؟ قال: «أوليس بِحَسْبِكُم أن تَكونُوا مِنَ الأخيار» قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] وقال رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لَكُنتُ امْرءاً مِنَ الأنصار، ولو سلك النّاسُ وادياً وشعباً لسلكتُ وادي الأنصار وشعبَهُم، الأنصارُ شِعارٌ والنّاسُ دثارٌ»[2] وقال: «الأنصارُ كرشي وعَيبَتِي» وقال: «أنا سلْمٌ لِمن سالَمَهُم، وحَرْبٌ لِمن حاربهُم»[3] وقال البخاري: حدّثنا حجّاج بن منهال، حدّثنا شعبة، حدّثني عدي بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب يقول: سمعت رسول الله ﷺ ـ أو قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «الأنصارُ لا يُحبّهُمْ إلاّ مُؤمِنٌ، ولا يُبغِضُهُمْ إلاّ مُنافِقٌ، فمَنْ أحبَّهُمْ أحبّهُ اللّهُ ومَنْ أبغَضَهُمْ أبغَضَهُ اللّهُ»[4]. وقد أخرجه بقية الجماعة إلاّ أبا داود من حديث شعبة به. وقال البخاري أيضاً: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا شعبة عن عبد الرّحمٰن بن عبد اللّه بن

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٧، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٧٧.

(٢) دثار: غطاء.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٧، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٧٩.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤، ومسلم في الإيمان حديث ١٢٩، والترمذي في المناقب باب ٦٦.

جبير، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»[١] ورواه البخاري أيضاً عن أبي الوليد الطيالسي ومسلم من حديث خالد بن الحارث وعبد الرَّحمٰن بن مهدي أربعتهم عن شعبة به[٢]. الآيات والأحاديث في فضائل الأنصار كثيرة جداً. وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس المتقدّم ذكره أحد شعراء الأنصار في قدوم رسول الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصّهم به من رسوله عليه السلام: [الطويل]

ثَوَى[٣] فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا[٤]
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى[٥] ... وَأَصْبَحَ مَسْرُوراً بِطِيبَةَ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيقاً وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى ... وَكَانَ لَهُ عَوْناً مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقُصُّ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
فَأَصْبَحَ لاَ يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ... قَرِيباً وَلاَ يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا[٦]
بَذَلْنَا لَهُ الأَمْوَالَ مِنْ جُلِّ[٧] مَالِنَا ... وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى[٨] وَالتَّآسِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُوَاسِيَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ ... وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا
أَقُولُ إِذَا صَلَّيْتُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ ... حَنَانَيْكَ لاَ تُظْهِرْ عَلَيْنَا الأَعَادِيَا
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضاً مُخِيفَةً ... تَبَارَكْتَ اسْمَ اللَّهِ أَنْتَ الْمَوَالِيَا
فَطأْ[٩] مُعْرِضاً إِنَّ الْحُتُوفَ[١٠] كَثِيرَةٌ ... وَإِنَّكَ لاَ تُبْقِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤، ومسلم في الإيمان حديث ١٢٨.
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب ١٠، ومسلم في الإيمان حديث ١٢٨.
(٣) ثوى: أخام.
(٤) مواتياً: موافقاً.
(٥) الذي في ابن هشام: فلما أتانا أظهر الله دينه.
(٦) كذا في المصرية وفي ابن هشام والذي في الحلبية: باغياً.
(٧) كذا في المصرية بالجيم: ومعناهك العظام الكبار من الإبل أو معظم كل شيء. وفي الحلبية وابن هشام بالحاء المهملة.
(٨) الوغى: الحرب الشديدة.
(٩) طأ: دس.
(١٠) الحتوف: المنايا.

فَوَاللَّهِ مَا يَدْرِي الفَتَى كَيْفَ سَعْيُهُ ... إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا
وَلاَ تُحْفِلُ النَّخْلُ المُعِيمَةُ[1] رَبَّهَا ... إِذَا أَصْبَحَتْ رَيًّا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا

ذكرها ابن إسحاق وغيره، ورواها عبد اللّه بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عجوز من الأنصار قالت: رأيت عبد اللّه بن عبّاس يختلف إلى صرمة بن قيس يروي هذه الأبيات. رواه البيهقي.

فصل: وقد شرّفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها، وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين، ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين، ودار هدى للعالمين. والأحاديث في فضلها كثيرة جداً لها موضع آخر نوردها فيه إن شاء الله. وقد ثبت في الصحيحين من طريق حبيب بن يساف عن جعفر بن عاصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيأْرِزُ[2] إِلى المَدِينَةِ كَمَا تأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»[3] ورواه مسلم أيضاً عن محمّد ابن رافع عن شبابة عن عاصم بن محمّد بن زيد بن عبد اللّه بن عمر، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ نحوه. وفي الصحيحين أيضاً من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يقُولُونَ يثْرِبُ وَهِيَ المَدِينَةُ تُنفِي النَّاسَ كَمَا يُنفِي الكِيرُ[4] خَبَثَ الحَدِيدِ»[5] وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة. وقد قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد اللّه قالا: حدّثنا الحسن بن سفيان، حدّثنا أبو موسى الأنصاري، حدّثنا سعيد بن سعيد، حدّثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ البِلادِ إِلَيَّ، فَاسْكِنِّي أَحَبَّ البِلادِ إِلَيْكَ» فأسكنه الله المدينة. وهذا حديث غريب جداً والمشهور عن الجمهور أن مكّة أفضل من المدينة، إلاّ المكان الذي ضمّ جسد رسول الله ﷺ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها ههنا، ومحلّها ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى.

وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيب عن الزهري، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرّحمٰن، أن عبد اللّه بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبيّ ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ

---

(١) في الأصل (مقيمة) بالقاف والتصحيح عن الخشني.

(٢) أرز: لجأ وتثبت.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ٦، ومسلم في الإيمان حديث ٢٣٣، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٦.

(٤) الكير: زق ينفخ فيه الحداد.

(٥) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ٢، ومسلم في الحج حديث ٤٨٨، ومالك في الجامع حديث ٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٧، وجاء في النهاية: تنفي بالفاء: تخرجه عنها من النفي، وتنقي بالقاف من إخراج النقي وهو المخ أو من التنقية وهي إفراد الجيد من الرديء.

أَرْض اللَّهِ إلَيّ، وَلوْلاَ أنّي أُخْرِجتُ مِنْكِ ما خرَجتُ»(١) وكذا رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن الزهري به. وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الليث عن عقيل، عن الزهري به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه يونس عن الزهري به. ورواه محمّد بن عمرو عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن عن أبي هريرة، وحديث الزهري عندي أصح. قال الإمام أحمد، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن عن أبي هريرة. قال: وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال: «عَلِمْتُ أنّك خيرُ أرضِ اللّهِ وَأحبُّ الأرْض إلى اللّه، ولوْلاَ أنَّ أهلَك أخرَجُوني منكِ مَا خرَجْتُ»(٢) وكذا رواه النسائي من حديث معمر به. قال الحافظ البيهقي وهذا وهم من معمر، وقد رواه بعضهم عن محمّد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وهو أيضاً وهم والصحيح رواية الجماعة. وقال أحمد أيضاً: حدّثنا إبراهيم بن خالد، حدّثنا رباح عن معمر، عن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن أبي سلمة، عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو في سوق الحزورة: «وَاللّه إنّكِ لخيرُ أرْضِ اللّه، وأحبُّ الأرْض إلَى اللّهِ وَلوْلاَ أنّي أُخرِجتُ مِنكِ ما خرجتُ»(٣) ورواه الطبراني عن أحمد بن خليد الحلبي عن الحميدي، عن الدراوردي، عن ابن أخي الزهري، عن محمّد بن جبير بن مطعم، عن عبد اللّه بن عدي بن الحمراء به. فهذه طرق هذا الحديث، وأصحها ما تقدم والله أعلم.

وقائع السنة الأولى من الهجرة

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة ـ وقيل سنة سبع عشرة، أو ثماني عشرة ـ في الدولة العُمَرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رُفِع إليه صك ـ أي حجة ـ لرجل على آخر وفيه؛ إنه يحلّ عليه في شعبان، فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرّفون به حلول الديون وغير ذلك، فقال قائل: أرّخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد. وقال قائل: أرّخوا بتاريخ الروم، وكانوا يؤرخون بملك اسكندر بن فلبّس المقدوني فكره ذلك. وقال آخرون أرّخوا بمولد رسول الله ﷺ وقال آخرون بل بمبعثه، وقال آخرون بل بهجرته، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام. فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره، واتفقوا معه على ذلك(٤).

وقال البخاري في صحيحه: **التاريخ ومتى أرّخوا التاريخ**:

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٩، وابن ماجة في المناسك باب ١٠٣، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٥.

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٨.

حدّثنا عبد الله بن مسلم، حدّثنا عبد العزيز عن أبيه، عن سهل بن سعد. قال: ما عدوا من مبعث النبيّ ﷺ ولا من وفاته، ما عدوا إلاّ من مقدمه المدينة.

وقال الواقدي: حدّثنا ابن أَبي الزناد عن أبيه. قال: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة.

وقال أَبو داود الطيالسي عن قُرّة[1] بن خالد السدوسي عن محمّد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال أرخوا. فقال: ما أرّخوا؟ فقال: شيء تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حسن فأرّخوا، فقالوا: من أي السنين نبدأ؟ فقالوا: من مبعثه، وقالوا من وفاته، ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا وأي الشهور نبدأ؟ قالوا رمضان، ثم قالوا المحرم فهو مصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على المحرم.

وقال ابن جرير: حدّثنا قتيبة، حدّثنا نوح بن قيس الطائي، عن عثمان بن محصن أن ابن عبّاس كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ هو المحرم فجر السنة، وروي عن عبيد بن عمير. قال: إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى البيت، ويؤرّخ به الناس، ويضرب فيه الورق.

وقال أحمد: حدّثنا روح بن عبادة، حدّثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار قال: إن أول من ورخ الكتب يعلى بن أمية باليمن، وأن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول، وأن الناس أرخوا لأول السنة.

وروى محمّد بن إسحاق عن الزهري، وعن محمّد بن صالح، عن الشعبي أنهما قالا: أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أرّخوا من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت، ثم أرخوا من موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا من الفيل، ثم أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة ـ أو ثماني عشرة ـ وقد ذكرنا هذا الفصل محرّراً بأسانيده وطرقه في السيرة العُمَرية ولله الحمد، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرّم فيما اشتهر عنهم، وهذا هو قول جمهور الأئمة.

وحكى السُهَيْلي وغيره عن الإمام مالك أنه قال: أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ.

[وقد استدل السهيلي على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] أي من أول يوم حلول النبيّ ﷺ المدينة، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سني التاريخ عام الهجرة][2] ولا شك أن هذا الذي قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لأن أول شهور العرب المحرّم، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة، وجعلوا أوّلها المحرم، كما هو المعروف، لئلا

---

(١) في المصرية: عن فروة بن خالد السدوسي. وفي الحلبية: فروة بن خالد عن السدي وصححناه من أنساب السمعاني.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من النسخة الحلبية.

يختلط النظام والله أعلم.

فنقول وبالله المستعان: استهلت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية، كما قدّمنا في أوسط أيام التشريق، وهي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة قبل سنة الهجرة، ثم رجع الأنصار وأذِنَ رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة، فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة، حتى لم يبق بمكّة من يمكّنه الخروج إلاّ رسول الله ﷺ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قدمنا، ثم خرجا على الوجه الذي تقدّم بسطه، وتأخر علي بن أبي طالب بعد النبيّ ﷺ بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع، ثم لحقهم بقُبَاء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاء[1].

قال الواقدي وغيره: وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. وحكاه ابن إسحاق، إلاّ أنه لم يعرج عليه، ورجح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور. وقد كانت مدّة إقامته عليه السلام بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال، وهو رواية حمّاد بن سلمة عن أبي حمزة الضبي عن ابن عبّاس. قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة[2]. وهكذا روى ابن جرير عن محمّد بن معمر، عن روح بن عبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبّاس أنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة[3] وتقدّم أن ابن عبّاس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس: [الطويل]

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا

وقال الواقدي، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس أنه استشهد بقول صرمة: [الطويل]

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا

وهكذا رواه ابن جرير عن الحارث عن محمّد بن سعد، عن الواقدي خمس عشرة حجّة، وهو قول غريب جداً، وأغرب منه ما قال ابن جرير: حدّثت عن روح بن عبادة، حدّثنا سعيد عن قتادة قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثماني سنين بمكة، وعشراً بالمدينة. وكان الحسن يقول: عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة، وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك، وعائشة وسعيد بن المسيّب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم، وهو رواية عن ابن عبّاس

(١) الضحاء قريباً من نصف النهار، والضحوة ارتفاع أول النهار، والضحى ما بين ذلك.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل حديث ١١٨.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، ومسلم في فضائل حديث ١١٧، والترمذي في المناقب باب ١٣، وأحمد في المسند ١/ ٣٧٢.

رواها أحمد بن حنبل عن يحيى بن سعيد، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشراً[١] وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال: قرن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين يلقي إليه الكلمة والشيء، وفي رواية يسمع حسّه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبريل. وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشراً، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم.

فصل: ولما حلّ الركاب النبويّ بالمدينة، وكان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف، وهي قُبَاء كما تقدّم فأقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة، وقيل ثماني عشرة ليلة، وقيل بضع عشرة ليلة وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليال. والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقُبَاء من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، وقد أسّس في هذه المدّة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قُبَاء، وقد ادّعى السهيلي أن رسول الله ﷺ أسّسه في أول يوم قدم إلى قُبَاء وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ ورد قول من أعربها من تأسيس أول يوم، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨] كما تكلّمنا على تقرير ذلك في التفسير، وذكرنا الحديث الذي في صحيح مسلم أنه مسجد المدينة والجواب عنه. وذكرنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدّثنا حسن بن محمّد، حدّثنا أبو إدريس، حدّثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدّثه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد قُبَاء فقال: «إنَّ اللَّه قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطَهَّرُونَ بِهِ؟» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلاّ أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا[٢]. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه وله شواهد أخر. وروي عن خزيمة بن ثابت، ومحمّد بن عبد اللّه بن سلام، وابن عبّاس. وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ. قال: نزلت هذه الآية في أهل قُبَاء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾. قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية[٣]. ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه.

قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم. وممن قال بأنه المسجد الذي أُسّس على التقوى، ما رواه عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير. ورواه

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٢٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٢٢.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة باب ٢٣، والترمذي في تفسير القرآن باب ١٠، من سورة التوبة، وابن ماجة في الطهارة باب ٢٨.

علي بن أَبي طلحة عن ابن عباس، وحكى عن الشعبيّ والحَسَن البصريّ، وقتادة وسعيد بن جبير وعطيّة العوفي وعبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم وغيرهم. وقد كان النبيّ ﷺ يزوره فيما بعد ويصلّي فيه، وكان يأتي قُبَاء كل سبت تارة راكباً وتارة ماشياً، وفي الحديث: «صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ قِبَاءَ كَعُمْرَةٍ»[1] وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة. واحترزنا بهذا عن المسجد الذي بناه الصدّيق بمكة عند باب داره يتعبّد فيه، ويصلّي لأن ذاك كان لخاصة نفسه، لم يكن للناس عامة والله أعلم. وقد تقدّم إسلام سلمان في البشارات، أن سلمان الفارسيّ لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ [إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه، وهو بقباء قال هذا صدقة، فكفّ رسول الله ﷺ فلم يأكله، وأمر أصحابه فأكلوا منه، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال: هذه هدية، فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا. تقدّم الحديث بطوله][2].

فصل في إسلام عبد اللّه بن سلام رضي الله عنه

قال الإمام أَحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا عوف عن زرارة عن عبد اللّه بن سلام. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل[3] الناس، فكنت فيمن انجفل، فلما تبيّنت وجهه، عرفت أنه ليس بوجه كذّاب. فكان أول شيء سمعته يقول: «أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»[4] ورواه الترمذي وابن ماجه من طرق عن عوف الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى به عنه. وقال الترمذي: صحيح. ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدومه حين أناخ بقباء في بني عمرو بن عوف. وتقدّم في رواية عبد العزيز بن صُهَيب عن أنس أنه اجتمع به حين أناخ عند دار أبي أيوب عند ارتحاله من قباء، إلى دار بني النجّار كما تقدم؛ فلعله رآه أول ما رآه بقباء، واجتمع به بعدما صار إلى دار بني النجّار، والله أعلم. وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس. قال: فلما جاء النبيّ ﷺ جاء عبد اللّه بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيّدهم وابن سيّدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت، قالوا فيّ ما ليس فيّ. فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم: «يا

(١) أخرجه ابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها باب ١٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين لم يرد في النسخة الحلبية.

(٣) انجفل: تراجع وهرب مسرعاً.

(٤) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٤٢، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها باب ١٧٤، وأحمد في المسند ٥/ ٤٥١.

مغشر اليهود وَيلكُمْ اتقوا اللَهَ فواللّهِ الّذِي لاَ إله إلاّ هو إنّكُمْ لتَعْلَمُونَ أنّي رَسُولُ اللّهِ حَقًّا وأنّي جئتُكُمْ بحقّ فأسلموا» قالوا: ما نعلمه. قالوا [ذلك] للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار. قال: «فأيّ رجُلٍ فيكُمْ عبْدُ اللّه بن سلام؟»[١] قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: «أفرأيْتم إنْ أسلم؟» قالوا: حَاش لله ما كان ليسلم. قال: «يا ابنَ سَلاَمٍ اخرُجْ عَلَيْهِمْ» فخرج فقال: يا معشر يهود اتّقوا الله فوالله الذي لا إله إلاّ هو، إنكم لتعلمونَ أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ[٢]. هذا لفظه. وفي رواية فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا: شرّنا وابن شرّنا، وتنقّصوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ أخبرنا الأصمّ، حدّثنا محمّد بن إسحاق الصنعاني، حدّثنا عبد اللّه بن أبي بكر، حدّثنا حميد عن أنس، قال: سمع عبد اللّه بن سلام بقدوم النبيّ ﷺ - وهو في أرض له - فأتى النبيّ ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلاّ نبي؛ ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنّة؟ وما بال الولد إلى أبيه أو إلى أمّه؟ قال: «أخبرني بهنّ جبْريلُ آنفاً» قال: جبريل؟ قال: «نعَمْ!» قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] قال: «أمّا أوّلُ أشْراط السّاعة فنارٌ تخرُجُ على النّاس من المشْرقِ تسُوقُهُمْ إلَى المغْرِب، وأمّا أوّلُ طعَام يأكُلهُ أهل الجنّة فزيادة كبد حوتٍ. وأمّا الوَلَدُ فإذَا سبقَ ماءُ الرّجُلِ ماءَ المَرْأة نَزَعَ الوَلَدَ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرّجُل نزعت الوَلَد» فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت[٣] وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني. فجاءت اليهود، فقال: «أيّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا. قال: «أرأيْتمْ إنْ أسْلَمْ؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد اللّه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله. قالوا: شرّنا وابن شرّنا وانتقصوه. قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[٤]. ورواه البخاري عن عبد بن منير[٥] عن عبد اللّه بن أبي بكر به؛ ورواه عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به.

قال محمّد بن إسحاق: حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر عن يحيى بن عبد اللّه، عن رجل من آل عبد اللّه بن سلام. قال: كان من حديث عبد اللّه بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالماً -. قال: لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته و[زمانه] الذي كنا نتوكف له[٦]،

---

(١) كذا في الأصلين وفي ابن هشام الحصين بن سلام، وفي الإصابة كان اسمه: الحصين وغيّره النبيّ ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥، وأحمد في المسند ٣/ ٢١١.
(٣) بهت: مفترون.
(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٥١.
(٥) كذا في الأصلين: عبد بن منير، ولعله تصحيف عبد بن حميد.
(٦) توكف الخبر إذا انتظره، وفي الأصل نتوقف وهو خطأ.

فكنت بقُباء مسراً بذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدةُ بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبّرتُ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري: لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران ما زدتَ، قال: قلت لها: أي عمه، والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به. قال: فقالت له: يا ابن أخي أهو الذي كُنّا نُخبَر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم! قالت: فذاك إذاً. قال: فخرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي من اليهود وقلت: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني، وذكر نحو ما تقدم. قال: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمّتي خالدة بنت الحارث.

وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر، حدّثني محدث عن صفية بنت حيي قالت: لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحبَّ إليهما مني، لم ألقهما في ولد لهما قط أهشُّ إليهما إلاّ أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قُبَاء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين[1]، فوالله ما جاآنا إلاّ مع مغيب الشمس. فجاآنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: تعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت وذكر موسى بن عقبة عن الزهريّ أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيّد اليهود، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعاً - فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه.

قلت: أما أَبو ياسر واسمه حيي بن أخطب[2] فلا أدري ما آل إليه أمره، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبيّ ﷺ وأصحابه، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبراً بين يدي رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بني قريظة، كما سيأتي إن شاء الله.

فصل: ولما ارتحل عليه السلام من قُبَاء وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة

---

(١) مغلسين: سائرين في الليل.

(٢) كذا في الأصلين وفي كتب السيرة أنهم كانوا ثلاثة: حيي بن أخطب وأَبو ياسر بن أخطب والثالث هو جدي بن أخطب.

أدركه وقت الزوال، وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلّى بالمسلمين الجمعة هنالك، في واد يقال له وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاّها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكّة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة، وما ذاك إلاّ لشدّة مخالفة المشركين له، وأذيّتهم إياه.

ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير: حدّثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرَّحمٰن الجُمَحي، أنه بلغه عن خطبة النبيّ ﷺ في أول جمعة صلاّها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم: «الحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيه، وأُومِنُ به وَلاَ أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، وَالنُّورِ وَالمَوْعِظَةِ، عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِن العِلْمِ، وَضَلاَلَةٍ مِن النَّاسِ، وَانقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِن الأَجلِ. مَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوى وَفَرطَ، وَضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً، وأُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللَّهِ، فَإِنَّهُ خَيْرُ مَا أَوْصَى بِهِ المُسْلِمُ المُسْلِمَ، أَنْ يَحُضَّهُ عَلَى الآخرةِ، وأَنْ يأْمُرَهُ بتَقْوى اللَّهِ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيحَةً، وَلاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْراً. وَإِنَّهُ تَقْوَى لِمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ، وَعَوْنِ صِدْقٍ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنْ أَمْرِ الآخرة، وَمَنْ يُصْلِحْ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِ السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ لاَ يَنْوِي بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْراً فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْراً فِيمَا بَعْدَ المَوْتِ، حِينَ يَفْتَقِرُ المَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوى ذَلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَينه وَبَيْنَهُ أَمداً بَعِيداً. وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ. وَالَّذِي صَدَقَ قَوْلَهُ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لاَ خُلْفَ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: ٢٩] وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهُ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَوَقِّي مَقْتَهُ، وَتَوَقِّي عُقُوبَتَهُ، وَتَوَقِّي سَخَطَهُ. وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الوَجْهَ، وَتُرْضِي الرَّبَّ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ، خُذُوا بِحَظِّكُمْ وَلاَ تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ. قَدْ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَ الكَاذِبِينَ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلاَ يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ» هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال.

وقال البيهقي: باب ـ أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة ـ.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العبّاس الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدّثني المغيرة بن عثمان بن محمّد بن عثمان، والأخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرّحمٰن بن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أمّا بَعْدُ أيُّها النَّاسُ، فقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ تَعْلَمُنَّ وَاللَّهِ ليُصْعَقَنَّ[١] أحَدُكُمْ، ثُمَّ ليَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لها رَاعٍ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ ـ لَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلاَ حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ ـ ألَمْ يَأتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ، وَآتَيْتُكَ مَالاً وَأفْضَلْتُ عَلَيْكَ؟ فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنْظُرُ يَميناً وشِمالاً فلاَ يَرَى شَيْئاً، ثُمَّ يَنْظُرُ قُدَّامَهُ فلاَ يَرَى غَيْرَ جَهَنَّم، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أنْ يقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، فإنَّ بهَا تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أمْثالِهَا، إلَى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ، والسَّلامُ على رَسُولِ اللَّهِ[٢] وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: «إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، أحْمَدُهُ وَأسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أنْفسنا، وَسَيِّئَاتِ أعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ، وَأشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللَّهُ [وحْدَهُ لا شريكَ لهُ]، إنَّ أحْسَنَ الحديثِ كِتابُ اللَّهِ، قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِه، وَأدْخَلَهُ فِي الإسْلامِ بَعْدَ الكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أحادِيثِ النَّاسِ، إنَّهُ أحْسَنُ الحديثِ وَأبْلَغُهُ. أحِبّوا مَنْ أحبَّ اللَّهَ، أحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، [ولاَ تَمَلُّوا كَلامَ اللَّهِ وذِكْرَهُ، ولا تَقْسُ عنه قُلُوبُكُمْ] فإنَّهُ مِنْ يَخْتارُ اللَّهُ[٣] وَيَصْطَفِي، فقدْ سمّاه خيرته مِنَ الأعْمالِ، وخيرته من العِبادِ، والصَّالِح مِنَ الحديثِ. وَمِنْ كُلِّ ما أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الحلالِ والحرامِ فاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بهِ شيئاً، واتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأفْواهِكُمْ، وتحابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، إنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أنْ يُنْكَثَ[٤] عهْدُهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُهُ».

وهذه الطريق أيضاً مرسلة، إلاّ أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

فصل في بناء مسجده الشريف [وفي مدّة][٥] مقامه عليه السلام بدار أبي أيوب رضي الله عنه

وقد اختلف في مدّة مقامه بها، فقال الواقدي: سبعة أشهر، وقال غيره: أقل من شهر والله أعلم. قال البخاري: حدّثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الصّمد، قال سمعت أبي يحدّث فقال: حدّثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبّي، حدّثنا أنس بن مالك. قال: لما قدم

(١) صعق: وقع مغشياً عليه.

(٢) وفي ابن هشام: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(٣) كذا في المصرية وفي الحلبية: فإنه من كل مختار الله. وفي ابن هشام: فإنه من كل ما يخلق الله يختار وما بين معقوفين من ابن هشام.

(٤) يُنكث: يخان ويغدر به.

(٥) سقط في ط.

رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجّار فجاؤوا متقلّدي سيوفهم، قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه[١]، وملأ بني النجّار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بني النجّار فجاؤوا فقال: «يَا بَنِي النَّجَّار ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا» فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلاّ إلى الله عزّ وجلّ، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسوّيت، وبالنخل فقطع. قال: فصفّوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه حجارة، قال: فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم يقول[٢]: «اللَّهُمَّ إنَّهُ لاَ خَيرَ إلاَّ خَيرُ الآخِرَةِ، فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَةِ»[٣] وقد رواه البخاري في مواضع أُخر، ومسلم من حديث أبي عبد الصَّمد وعبد الوارث بن سعيد. وقد تقدّم في صحيح البخاري عن الزهري، عن عروة أن المسجد الذي كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتيمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سَهْل وسُهَيْل، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما، وبناه مسجداً. قال وجعل رسول الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب: [الرجز]

هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرّ رَبُّنَا وَأَطْهَرْ

ويقول: [الرجز]

لاَ هُمَّ إنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ[٤]

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عوضهما منه نخلاً له في بياضة، قال: وقيل: ابتاعه منهما رسول الله ﷺ.

قلت: وذكر محمّد بن إسحاق أن المربد كان لغلامين يتيمين في حجر مُعاذ بن عفراء وهما سَهْل وسُهَيْل ابنا عمرو فالله أعلم.

وروى البيهقي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا، حدّثنا الحسن بن حمّاد الضبّي، حدّثنا عبد الرحيم بن سليمان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن[٥] حتى اغبرّ صدره، فقال: «ابْنُوهُ عَرِيشاً كَعَرِيشِ مُوسَى» فقلت للحسن: ما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يديه بلغ

(١) ردفه: الراكب خلفه.
(٢) وفي البخاري: ورسول الله ﷺ معهم يقولون.
(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٦، والوصايا باب ٣٠، ومسلم في المساجد حديث ٩، وأحمد في المسند ٣/ ٢١١، ٢١٢.
(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥.
(٥) اللبن: الحجارة.

العريش - يعني السقف - وهذا مرسل. وروى من حديث حمّاد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالاً فأتوا به النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابنِ هذا المسجد وزيّنه، إلى متى نصلّي تحت هذا الجريد؟ فقال: «مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ أَخِي مُوسَى، عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى» وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال أبو داود: حدّثنا محمّد بن حاتم، حدّثنا عبد اللّه بن موسى، عن سنان عن فراس، عن عطية العوفي، عن ابن عمر أن مسجد النبيّ ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مظلّل بجريد النخل، ثم إنها تخرّبت في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع وبجريد النخل، ثم أنها تخرّبت في خلافة عثمان فبناها بالآجر، فما زالت ثابتة حتى الآن[١]. وهذا غريب. وقد قال أبو داود أيضاً: حدّثنا مجاهد بن موسى، حدّثني يعقوب بن إبراهيم، حدّثني أبي عن أبي صالح، حدّثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر، وبناه على بنائه في عهد النبيّ ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً. وغيّره عثمان رضي الله عنه وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج[٢] وهكذا[٣] رواه البخاري عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به.

قلت: زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ: «مَنْ بَنَى لِلّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمِفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»[٤] ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك، ولم يغيروه بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قول العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه، وشدّ الرحال إليه، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق، زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة، وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم.

قال ابن إسحاق: ونزل رسول الله على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه. فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين:

لَئِنْ قَعَدْنَا والنَّبِيُّ يَعْمَلُ … لَذاكَ مِنّا العَمَلُ المُضَلَّلُ

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٢.

(٢) في المصرية: بالسلاح، وفي الحلبية: بالساح. والساج ألواح من الشجر.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٦٢، وأبو داود في الصلاة باب ١٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤١.

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عـــيـــشَ إلا عـــيـــشُ الآخـــرة   الـلـهـم ارحـم الأنـصـارَ والـمُـهـاجـره

فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيْشَ إلاّ عَيْشُ الآخِرَة، اللّهُمّ ارْحَم المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ» قال فدخل عمّار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله قتلوني، يَحْملون عليّ ما لا يحملون. قالت أم سلمة فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته[١] بيده ـ وكان رجلاً جعداً ـ وهو يقول: «وَيْحَ ابْنَ سُمَيَّة لَيْسُوا بالّذين يقْتُلُونك إنّما يقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» وهذا منقطع من هذا الوجه، بل هو معضل بين محمّد بن إسحاق وبين أم سلمة، وقد وصله مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن خالد الحذّاء، عن سعيد والحسن ـ يعني ابني أبي الحسن البصريّ ـ عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تَقْتُلُ عمّاراً الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[٢] ورواه من حديث ابن علية عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمّار وهو ينقل الحجارة: «وَيْحٌ لكَ يا ابنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[٣] وقال عبد الرزّاق: أخبرنا معمر عن الحسن يحدّث عن أمّه، عن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب النبيّ ﷺ يحمل كل واحد لبنة لبنة، وعمّار يحمل لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبيّ ﷺ فمسح ظهره. وقال: «ابْنَ سُمَيَّة، لِلنَّاس أجْرٌ ولَكَ أجْرَانِ، وآخِرُ زادِكَ شَرْبَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وتقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» وهذا إسناد على شرط الصحيحين. وقد أورد البيهقي وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن أبي سعيد الخدري. قال: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة، وعمّار يحمل لبنتين لبنتين. فرآه النبيّ ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «وَيْحَ عمّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إلَى الجنَّة وَيَدْعُونَهُ إلى النَّارِ» قال يقول عمّار: أعوذ بالله من الفتن[٤]. لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري عن مسدد، عن عبد العزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، وعن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهّاب الثقفي، عن خالد الحذاء به، إلاّ أنه لم يذكر قوله تقتلك الفئة الباغية.

قال البيهقي: وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم من طريق عن أبي نضرة، عن أبي سعيد [قال أخبرني من هو خير مني، أن رسول الله ﷺ قال لعمّار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: «بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّةَ تَقْتُلُهُ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ»[٥] وقد رواه مسلم أيضاً من حديث شعبة عن أبي مسلم، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد][٦] قال: حدّثني من هو خير مني ـ أبو

(١) الوفرة: ما سال من الشعر على الأذنين.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٧٢، وأحمد في المسند ٦/ ٣٠٠.

(٣) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٧٣، وأحمد في المسند ٦/ ٣١٥.

(٤) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٦٣، والجهاد والسير باب ١٧، وأحمد في المسند ٣/ ٩٠، ٩١.

(٥) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٧٠.

(٦) ما بين المعقوفين سقط من أ. وهو عن الحلبية فقط.

قتادة ـ أن رسول الله ﷺ قال لعمّار بن ياسر: «بُؤساً لك يا ابن سُمَيَّة تقتُلُك الفِئةُ البَاغِيةُ» وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا وهيب عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لبنة لبنة، وعمّار ـ ناقه من وجع كان به ـ فجعل يحمل لبنتين لبنتين، قال أبو سعيد: فحدّثني بعض أصحابي أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول: «وَيْحَك ابن سُمَيَّة تَقْتُلُك الفِئةُ البَاغِيَةُ»[1]. قال البيهقي: فقد فرق بين ما سمعه بنفسه، وما سمعه من أصحابه. قال: ويشبه أن يكون قوله: الخندق وهماً، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد، وفي حفر الخندق والله أعلم.

قلت: حمل اللبن في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم. وهذا الحديث من دلائل النبوّة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمّار أنه تقتله الفئة الباغية، وقد قتله أهل الشام في وقعة صفّين، وعمّار مع عليّ، وأهل العراق، كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه.

وقد كان عليّ أحق بالأمر من معاوية، ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم، لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر، فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال، وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطىء له أجر، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية ـ لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة ـ فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ، فإنه لم يقلها، إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم. أما قوله يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار، فإن عمّاراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الإلفة واجتماع الكلمة، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر أمام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة، واختلاف الأمة، فهو لازم مذهبهم وناشىء عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم. وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفّين من كتابنا هذا، بحول الله وقوته، وحسن تأييده وتوفيقه، والمقصود ههنا إنما هو قصّة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم.

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاء، حدّثنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا عبيد بن شريك، حدّثنا نعيم بن حماد، حدّثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ. قال جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ: «هٰؤُلاَءِ وُلاَةُ الأَمْرِ بَعْدِي»، ثم رواه من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشرج، عن سعيد عن سفينة. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً. ثم قال: «لِيَضَعْ أَبُو بَكْرٍ حَجَراً إِلَى جَنْبِ حَجَرِي، ثُمَّ لِيَضَعْ عُمَرُ حَجَرَهُ إِلَى جَنْبِ حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥.

ثُمّ لِيَضَعْ عُثْمَانُ حَجَرَهُ إِلَى جَنْبِ حَجَرِ عُمَرَ» فقال رسول الله ﷺ: «هٰؤُلَاءِ الخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِي» وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً، والمعروف ما رواه الإمام أحمد عن أبي النضر عن حشرج بن نباتة العبسي[١] وعن بهز وزيد بن الحباب، وعبد الصمد، وحماد بن سلمة، كلاهما عن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَاماً، ثُمّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ المُلْكُ» ثم قال سفينة: أمسك؛ خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين[٢]، هذا لفظ أحمد. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن جمهان، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلاّ من حديثه، ولفظه: «الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوضاً»[٣] وذكر بقيته.

قلت: ولم يكن في مسجد النبيّ ﷺ أول ما بني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبيّ ﷺ يخطب الناس وهو مستنداً إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي، فلّما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحنّ حنين النوق العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبيّ ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي، وجابر وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأم سلمة رضي الله عنهم، وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روي هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أوليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!.

تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف [والمحل الحنيف][٤]

قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن أنيس بن أبي يحيى، حدّثني أَبي قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان، رجل من بني خدرة، ورجل من بني عمرو بن عوف، في المسجد الذي أُسّس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال العمري: هو مسجد قُبَاء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: «هُوَ هَذَا المَسْجِدُ» لمسجد رسول الله ﷺ وقال: «فِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ» يعني مسجد قُبَاء[٥]. ورواه الترمذي عن قتيبة عن حاتم بن إسماعيل عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به، وقال حسن صحيح. وروى الإمام أحمد عن إسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذي والنسائي جميعاً عن

(١) كذا في الأصل: وهو حشرج بن نباتة الأشجعي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٢١.

(٣) أخرجه أبو داود في السنة باب ٩، والترمذي في الفتن باب ٤٨، وأحمد في المسند ٥/٢٢٠.

(٤) سقط في ط.

(٥) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ١٠، سورة التوبة، وأحمد في المسند ٣/٩١.

قتيبة، عن الليث، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي سعيد، عن أبيه. قال: تمارى[١] رجلان في المسجد الذي أسّس على التقوى[٢]، وذكر نحو ما تقدم. وفي صحيح مسلم من حديث حميد الخرّاط عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن أنه سأل عبد الرَّحمٰن بن أبي سعيد: كيف سمعت أباك في المسجد الذي أُسّس على التقوى؟ قال أبي: أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسّس على التقوى، فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الأرض. ثم قال: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا»[٣].

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا ربيعة بن عثمان التميمي عن عمران بن أَبي أنس، عن سهل بن سعد. قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد في الذي أسس على التقوى. فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر: هو مسجد قُبَاء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه فقال: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»[٤] وقال الإمام أحمد: حدّثنا أَبو نعيم، حدّثنا عبد اللّه بن عامر الأسلمي عن عمران بن أَبي أنس، عن سهل بن سعد، عن أُبيّ بن كعب أن النبيّ ﷺ قال: «الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِي هَذَا»[٥] فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ، وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد اللّه، وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيّب، واختاره ابن جرير. وقال آخرون: لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قُبَاء كما تقدّم بيانه، وبين هذه الأحاديث. لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة؛ من ذلك لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ الرحال إليها، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدي هَذَا وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[٦] وفي صحيح مسلم عن أَبي سعيد عن النبيّ ﷺ قال: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ»[٧] وذكرها. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلاَّ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»[٨] وفي مسند أَحمد بإسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله: «فَإِنَّ ذٰلِكَ أَفْضَلُ» وفي الصحيحين من حديث يحيى القطّان عن حبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[٩] والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف

(١) تماري: تجادل.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٨.
(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٥١٤.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٣١.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٥/١١٦.
(٦) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب ١، ومسلم في الحج حديث ٥١١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٤.
(٧) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤١٥، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣.
(٨) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب ١، ومسلم في الحج حديث ٥٠٦، وأحمد في المسند ٢/٢٥٦.
(٩) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ١٢، ومسلم في الحج حديث ٥٠٢، وأحمد في المسند ٢/٤٣٨.

كثيرة جداً، وسنوردها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير، إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناه إبراهيم، وهذا بناه محمّد ﷺ، ومعلوم أن محمّداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام. وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك، وقرّروا أن المسجد الحرام أفضل لأنّه في بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، وحرّمه إبراهيم الخليل عليه السلام، ومحمّد خاتم المرسلين: فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان.

فصل: وبني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له ولأهله، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء، قال الحسن بن أبي الحسن البصري ـ وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة ـ: لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبيّ ﷺ بيدي. قلت: إلاّ أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضخماً طوالاً رحمه الله.

وقال السهيلي في الروض: كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرصوفة[١] وسقوفها كلها من جريد. وقد حكي عن الحسن البصري ما تقدّم. قال وكانت حجره من شعر مربوطة بخشب من عرعر. قال وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافير، فدلّ على أنه لم يكن لأبوابه حلق. قال: وقد أضيفت الحجر كلّها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد. قال الواقدي وابن جرير وغيرهما: ولمّا رجع عبد اللّه بن أريقط الدؤلي إلى مكّة، بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة، وأبا رافع مولياً رسول الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة وبعثا معهم بحملين وخمسمائة درهم ليشتروا بها إبلاً من قديد، فذهبوا فجاؤوا ببنتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم، وزوجتيه سودة وعائشة، وأمها أم رومان، وأهل النبيّ ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد اللّه بن أبي بكر، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل، في أثناء الطريق، فجعلت أم رومان تقول: واعروساه، وابنتاه قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول أرسلي خطامه، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله، وسلّمنا الله عزّ وجلّ. فتقدّموا فنزلوا بالسنح[٢]، ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوّام وهي حامل متم بعبد اللّه بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة.

---

(١) في ط: مرضومة: أي مصفوفة بعضها فوق بعض، والرضام من الجبل دون الهضاب.

(٢) السنح: موضع بالمدينة كان به منزل أبي بكر الصديق.

فصل فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة [رضي الله عنهم أجمعين وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوّته، ودعا ربّه فأزاحها الله عن مدينته](١)

قال البخاري: حدّثنا عبد الله بن وهب بن يوسف، حدّثنا مالك بن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وعكَ(٢) أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبه كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول: [الرجز]

كُـلُّ امْـرِىءٍ مُـصَـبَّـحٌ فِـي أَهْـلِـهِ وَالْـمَـوْتُ أَدْنَـى مِـنْ شِـرَاكِ نَـعْـلِـهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته(٣) ويقول: [الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي هَـلْ أَبِـيـتَـنَّ لَـيْـلَـةً بِـوَادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخَـرٌ وَجَـلِـيـلُ(٤)

وَهَـلْ أَرِدَنْ يَـوْمـاً مِـيَـاهَ مِـجَـنَّـةٍ وَهَـلْ يَـبْـدُوَنْ لِـي شَـامَـةٌ وَطَـفِـيـلُ(٥)

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللّهمّ حبّبْ إلينا المَدينَة كحُبّنا مكّة أوْ أشدَّ وصَحّحْها، وبَارِكْ لَنا في صَاعها ومُدّها، وانْقُلْ حُمّاها فاجْعلْها بالْجحْفة»(٦) ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً. وفي رواية البخاري له عن أبي أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، فذكره وزاد بعد شعر بلال ثم يقول: «اللّهمّ العَنْ عُتْبَةَ بْنَ رَبيعَةَ، وشَيْبَةَ بْنَ رَبيعَةَ، وأُميّةَ بْنَ خَلفٍ، كَمَا أخْرجُونَا إلى أرْض الوَبَاءِ». فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ حبّبْ إلَينا المدينة كَحُبّنا مكّةَ أوْ أشدَّ، اللّهمّ بَارِكْ لَنا في صَاعِهَا وَفي مُدّهَا وَصَحّحْها لَنا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إلى الجحْفَة»(٧) قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان بطحان يجري نجلاً(٨) - يعني ماء آجناً - وقال زياد عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيّه قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مَوْليا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمّى، فدخلت عليهم أدعوهم وذلك قبل أن يُضرب علينا

---

(١) سقط في ط.

(٢) عك: أصابته حمى.

(٣) عقيرته: كناية عن رفع الصوت بكاءً أو غناء.

(٤) الجليل: الثمام إذا عظم وجلّ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول.

(٥) مجنة: على بريد من مكة. شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

(٦) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٦، ومسلم في الحج حديث ٤٨٠، وأحمد في المسند ٦/ ٢٦٠.

(٧) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ١٢.

(٨) نجلاً، أي نزاً وهو الماء القليل. كذا في النهاية.

الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلاّ الله من شدّة الوعك[١] فدنوت من أبي بكر فقلت كيف تجدك يا أبه؟ فقال: [الرجز]

كُــلُّ امْــرِىءٍ مُــصَــبَّــحٌ فِــي أَهْــلِــهِ وَالــمَــوْتُ أَدْنَــى مِــنْ شِــرَاكِ نَــعْــلِــهِ

قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول، قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فُهَيْرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ قال: [الرجز]

لَــقَــدْ وَجَــدْتُ الــمَــوْتَ قَــبْــلَ ذَوْقِــهِ إِنَّ الــجَــبَــانَ حَــتْــفُــهُ مِــنْ فَــوْقِــهِ
كُــلُّ امْــرِىءٍ مُــجَــاهِــدٍ بِــطَــوْقِــهِ كَــالــثَّــوْرِ يَــحْــمِــي جِــلْــدَهُ بِــرَوْقِــهِ[٢]

قال: فقلت: والله ما يدري ما يقول، قالت: وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عقيرته فقال: [الطويل]

أَلاَ لَــيْــتَ شِــعْــرِي هَــلْ أَبِــيــتَــنَّ لَــيْــلَــةً بِــفَــخٍّ وَحَــوْلِــي إِذْخِــرٌ وَجَــلِــيــلُ[٣]
وَهَــلْ أَرِدَنْ يَــوْمــاً مِــيَــاهَ مَــجَــنَّــةٍ[٤] وَهَــلْ يَــبْــدُوَنْ لِــي شَــامَــةٌ وَطَــفِــيــلُ

قالت عائشة: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعتُ منهم، وقلت: إنهم ليَهْذُون وما يَعْقِلون من شدّة الحمّى فقال: «اللّهمّ حبّبْ إلينا المدينة، كما حبّبْتَ إلينا مَكّةَ، أو أشدّ، وبارِكْ لنا في مُدّها وصاعها[٥]، وانْقُلْ وباءها إلى مهيعة»[٦] ومهيعة هي الجحفة. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يونس، حدّثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار، عن عبد اللّه بن عروة، عن عروة، عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أبو بكر وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذِنَ لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال: [الرجز]

كُــلُّ امْــرِىءٍ مُــصَــبَّــحٌ فِــي أَهْــلِــهِ وَالــمَــوْتُ أَدْنَــى مِــنْ شِــرَاكِ نَــعْــلِــهِ

وسألت عامراً فقال: [الرجز]

إِنِّــي وَجَــدْتُ الــمَــوْتَ قَــبْــلَ ذَوْقِــهِ إِنَّ الــجَــبَــانَ حَــتْــفُــهُ مِــنْ فَــوْقِــهِ

وسألت بلالاً فقال: [الطويل]

يَــا لَــيْــتَ شِــعْــرِي هَــلْ أَبِــيــتَــنَّ لَــيْــلَــةً بِــفَــخٍّ وَحَــوْلِــي إِذْخِــرٌ وَجَــلِــيــلُ

فأتت رسول الله ﷺ ـ فأخبرته، فنظر إلى السماء وقال: «اللّهُمّ حَبِّبْ إلَينا المَدِينَةَ كما

(١) الوعك: شدة ألم المرض.

(٢) الروق: القرن.

(٣) فخ: موضع خارج مكة. والاذخر: نبات طيب الرائحة، والجليل: التمام.

(٤) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية، وهي بأسفل مكة، على قدر بريد منها (معجم البلدان).

(٥) يعني الطعام الذي يكال بالمد والصاع. والمدّ: رطلان عند أهل العراق، ورطل وثلث عند أهل الحجاز. والصاع: أربعة أمداد عند الحجازيين.

(٦) قيل مهيعة: بوزن مَشْرعة: الجحفة، وهي ميقات أهل الشام.

حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدُّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وفِي مُدِّهَا، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهيعَةَ»[١] وهي الجحفة فيما زعموا. وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به، ورواه الإمام أحمد من طريق عبد الرَّحمٰن بن الحارث عنها مثله. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو؛ قالا: حدّثنا أبو العباس الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله، وواديها بطحان نجل. قال هشام: وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيئاً، فأشرف عليها الإنسان، قيل له أن ينهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضرّه وباء ذلك الوادي. وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ عَبَّرْتَ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى ... نَهِيقَ الحِمَارِ إِنَّنِي لَجَزُوعُ

وروى البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم، عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قال: «رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ حتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ ـ وَهِيَ الجُحْفَةُ، فَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ المَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهيعَةَ ـ وهي الجُحْفَةُ ـ»[٢] هذا لفظ البخاري، ولم يخرجه مسلم، ورواه الترمذي وصحّحه، والنسائي، وابن ماجه من حديث موسى بن عقبة. وقد روى حمّاد بن زيد عن هشام بن عروة، عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة[٣]، فذكر الحديث بطوله إلى قوله وانقل حماها إلى الجحفة. قال هشام: فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمّى. ورواه البيهقي في دلائل النبوة. وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة، فأصاب أصحابه بها بلاء وسقم، حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيّه ﷺ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عبّاس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني مكة ـ عام عمرة القضاء، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنهم حمّى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلّها إلاّ الإبقاء عليهم[٤].

قلت: وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فإما أن يكون تأخّر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل، أو أنهم بقوا في خمار وما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدّة والله أعلم. وقال زياد عن ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٦٥، ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في التعبير باب ٤٢، ٤٣، والترمذي في الرؤيا باب ١٠، وابن ماجة في تعبير الرؤيا باب ١٠، وأحمد في المسند ٢/ ١٠٨.

(٣) وبيئة: كثيرة الوباء.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٣، والحج باب ٥٥، ومسلم في الحج حديث ٢٤٠، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٠.

هو وأصحابه أصابتهم حمّى المدينة حتى جهدوا مرضاً، وصرف الله ذلك عن نبيّه ﷺ حتى كانوا وما يصلّون إلاّ وهم قعود، قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلّون كذلك، فقال لهم: «اعْلَمُوا أنّ صلاةَ القَاعِد على النّصْفِ مِنْ صلاةِ القَائِم» فتجشّم[١] المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل.

فصل في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرّرهم عليها، وموادعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بخت نصر حين دوّخ بلاد المقدس فيما ذكره الطبري. ثم لما كان سيل العرم وتفرّقت شذر مذر، نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفوهم، وصاروا يتشبّهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء، لكن مَنّ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام، وخُذِل أولئك لحسدهم وبغيهم واستكبارهم عن اتباع الحق.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا عاصم الأحول عن أنس بن مالك؛ قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك[٢]. وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الأحول، عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري[٣]. وقال الإمام أحمد: حدّثنا نصر بن باب عن حجاج ـ هو ابن أرطأة ـ قال وحدّثنا سريج، حدّثنا عبّاد عن حجّاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه: أن النبيّ ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين[٤]. قال أحمد: وحدّثنا سريج، حدّثنا عبّاد عن حجّاج، عن الحكم، عن قاسم، عن ابن عبّاس مثله. تفرّد به الإمام أحمد، وفي صحيح مسلم عن جابر. كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة[٥]. وقال محمّد بن إسحاق: كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم:

---

(١) تجشم: تكلف على مشقة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٨١.

(٣) أخرجه البخاري في الكفالة باب ٢، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٢٠٤، وأبو داود في الفرائض باب ١٧ وأحمد في المسند ٣/ ٢٨١.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧١، ٢/ ٢٠٤.

(٥) أخرجه مسلم في العتق حديث ١٧، وأحمد في المسند ٣/ ٣٢١.

بسم الله الرحمن الرحيم «هذا كتاب من محمّد النبي الأمّي بين المؤمنين والمسلمين من قريش، ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمّة واحدة من دون الناس.

المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون [بينهم، وهم يفدون عانيهم[١] بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون][٢] معاقلهم[٣] الأولى. وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار، بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجّار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، إلى أن قال: وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[٤] بينهم أن يُعطُوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتّقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعهم، ولو كان ولد أحدهم؛ ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض، دون الناس، وإنه من تَبِعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم، وإن سِلْم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال، في سبيل الله إلاّ على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزتْ معنا يُعقب بعضها بعضاً، وإن المؤمنين يبيء[٥] بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإن المؤمنين المتّقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة، فإنه قَوَدٌ به إلى أن يرضى وليّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلاّ قيامٌ عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحْدِثاً ولا يُؤْويه، وأنه مَن نَصَره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمّد ﷺ، وإن اليهود يتّفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلاّ من ظَلَم وأَثِم فإنه لا يُوتغ[٦] إلاّ نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجّار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطنة مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة[٧] يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلاّ بإذن محمد ﷺ، ولا ينحجر[٨] على ثارِ جُرْح، وإنه من قَتَل فبنفسه إلاّ من ظلم؛ وإن الله على أثر هذا، وإن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم، وإنه لم

(١) العاني: الأسير.
(٢) سقط من أو المثبت من ط.
(٣) المعاقل: الديات.
(٤) المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال.
(٥) يبيء: من البواء أي المساواة.
(٦) يوتغ: يوبق، يهلك.
(٧) بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.
(٨) أي اجتمع والتأم.

يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جرفها[1] لأهل هذه الصحيفة؛ وإن الجار كالنفس غير مَضار ولا آثم، وإنه لا تُجَار حُرمة إلاّ بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فَسادهُ فإن مردّه إلى الله وإلى محمّد رسول الله ﷺ، وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجَار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلاّ مَنْ حارب في الدين على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمِنٌ، ومن قعد آمن بالمدينة، إلاّ من ظلم أو أثِم، وإن الله جار لمن برّ واتّقى كذا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلّم عليه أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره بما يطول.

فصل في مؤاخاة النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار [ليرتفق المهاجري بالأنصاري][2]

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣].

قال البخاري: حدّثنا الصلت بن محمّد، حدّثنا أبو أسامة عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمة للأخوّة التي آخى النبيّ ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له[3]. وقال الإمام أحمد: قرىء على سفيان سمعت عاصماً عن أنس. قال: حالف النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا؛ قال سفيان: كأنه يقول آخى[4].

وقال محمّد بن إسحاق: وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: ـ فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ: «تَآخُوا فِي اللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ» ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: «هَذَا أَخِي» فكان رسول الله ﷺ سيّد المرسلين، وإمام

---

(١) كذا في المصرية، وفي الحلبية خوفها، وفي ابن هشام: جوفها، وفي النهاية: الجرف موضع قريب من المدينة وله الأصح.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في الكفالة باب ٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/١١١.

المتّقين، ورسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير[١] ولا نظير من العباد، وعلي ابن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وعمّ رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أُحُد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، ومُعاذ بن جبل أخوين. قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة. قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطّاب وعِتْبان بن مالك أخوين، وأبو عُبَيْدة وسعد بن مُعَاذ أخوين، وعبد الرَّحمٰن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوّام وسلمة بن سلامة بن وَقْش أخوين، ويقال بل كان الزبير وعبد اللّه بن مسعود أخوين، وعثمان بن عفّان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين، وطلحة [بن عُبَيد اللّه][٢] وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد وأُبَيّ بن كعب أخوين، ومُصْعَب بن عُمَيْر وأبو أيوب أخوين، وأبو حُذَيْفة بن عُتْبة وعبّاد بن بشر أخوين، وعمّار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين، ويقال بل كان عمّار وثابت بن قيس بن شماس أخوين.

قلت: وهذا أنسب[٣] من وجهين. قال: وأبو ذر برير بن جنادة[٤] والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعُوَيْم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو رُوَيْحة عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن الخثعمي، ثم أحد الفرع[٥] أخوين. قال فهؤلاء ممن سمّي لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم.

قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، أما مؤاخاة النبيّ ﷺ وعلي، فإن من العلماء من ينكر ذلك ويمنع صحّته، ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرّعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض، وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبيّ ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر، كما ذكره من مؤاخاة حَمْزَة وزَيْد بن حارثة، اللهمّ إلاّ أن يكون النبيّ ﷺ لم يجعل مصلحة عليّ إلى غيره، فإنه كان ممن ينفق عليه رسول الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب، كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فآخاه بهذا الاعتبار والله أعلم.

وهكذا ذِكْره لمؤاخاة جعفر ومُعاذ بن جبل فيه نظر، كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر بن أبي طالب إنّما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه،

---

(١) خطير: مثيل، نظير.

(٢) سقط في أ.

(٣) في ط: السند.

(٤) وقال ابن هشام: يقال أبو ذر جندب بن جنادة، وفي الإصابة. قال: جندب بن جنادة، وقيل برير بالتصغير.

(٥) قال السهيلي: الفرع بالفتح عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس، وبالسكون ابن عبد اللّه بن ربيعة.

فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة، اللهمّ إلاّ أن يقال إنه أرصد لاخوته إذا قدم حين يقدم، وقوله وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصَّمد، حدّثنا حمّاد، حدّثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجرّاح، وبين أبي طلحة[1]. وكذا رواه مسلم منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصَّمد بن عبد الوارث به، وهذا أصحّ مما ذكره ابن إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة، وسعد بن مُعاذ والله أعلم.

وقال البخاري: **باب كيف آخى النبيّ ﷺ بين أصحابه.**

وقال عبد الرَّحمٰن بن عوف: آخى النبيّ ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة. وقال أبو جحيفة: آخى النبيّ ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما. حدّثنا محمّد بن يوسف، حدّثنا سفيان عن حميد، عن أنس قال: قدم عبد الرَّحمٰن بن عوف فآخى النبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرَّحمٰن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّني على السوق. فربح شيئاً من أقط وسمن، فرآه النبيّ ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبيّ ﷺ: «مَهْيَمْ يا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ؟» قال: يا رسول الله تزوّجت امرأة من الأنصار. قال: «فَمَا سُقْتَ فِيها؟» قال: وزن نواة من ذهب، قال النبيّ ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[2] تفرّد به من هذا الوجه. وقد رواه أيضاً في مواضع أُخر، ومسلم من طرق عن حميد به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد، حدّثنا ثابت وحميد عن أنس، أن عبد الرَّحمٰن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلّقها. فقال عبد الرَّحمٰن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّوني على السوق. فدلّوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن. ثم لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه ودع زعفران[3] فقال رسول الله ﷺ: «مَهْيَمْ؟» فقال: يا رسول الله تزوّجت امرأة، قال: «مَا أَصْدَقْتَهَا؟» قال: وزن نواة من ذهب، قال: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ». قال عبد الرَّحمٰن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة[4]. وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرَّحمٰن بن عوف غريب، فإنه لا يعرف مسنداً[5] إلاّ عن أنس، اللهمَّ إلاّ أن يكون أنس تلقّاه عنه، فالله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس.

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في المناقب باب ٥٠.

(٣) كذا في الأصل ولعله ودك زعفران.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٧١.

(٥) في هامش الحلبية ما يأتي: قوله مسنداً هذا غريب، بل رواه البخاري موصولاً في أول كتاب البيوع فراجعه تجده عن عبد الرَّحمٰن.

قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم، قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلّه. قال: «لا! ما أثْنَيتُم علَيهِمْ ودعوْتُم اللّه لهُمْ»[١] هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستّة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح من[٢].

وقال البخاري: أخبرنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدّثنا أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. قالوا: أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا[٣]. تفرّد به. وقال عبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ للأنصار: «إنّ إخوانكُمْ قدْ تركوا الأموال والأوْلادَ، وخرجُوا إليكُمْ» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هُمْ قوْمٌ لا يعْرِفُون العَمل، فتكْفُونهُمْ وتُقاسِمُونهُمْ الثَّمرَ». قالوا: نعم! وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية.

فصل في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار أحد النقباء الاثني عشر، ليلة العقبة على قومه بني النجّار، وقد شهد العقبات الثلاث، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول، وكان شاباً، وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضمات في هزم النبيت كما تقدم

قال محمّد بن إسحاق: وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى، أخذته الذبحة - أو الشهقة -. وقال ابن جرير في التاريخ: أخبرنا محمّد بن عبد الأعلى، حدّثنا يزيد بن زريع، عن معمر، عن الزهري عن أنس، أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة في الشوكة. رجاله ثقات.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن أسعد بن زرارة. قال: قال رسول الله ﷺ: «بِئْسَ المَيْتُ أبُو أُمَامَةَ، لَيهُودَ وَمُنَافِقِي العَرَبِ، يقُولُونَ لَوْ كَانَ نَبيًّا لَمْ يَمُتْ صَاحِبُهُ، وَلاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي وَلاَ لِصَاحِبِي مِنَ اللّه شَيئاً» وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبيّ ﷺ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في الغابة، أنه مات في شوّال بعد مقدم النبيّ ﷺ بسبعة أشهر،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) هنا بياض في الأصلين، وهو في البخاري في كتاب الوكالة.

(٣) أخرجه البخاري في الحرث والمزارعة باب ٥.

فالله أعلم. وذكر محمّد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن بني النجّار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أُمامة أسعد بن زرارة فقال: «أَنْتُمْ أَخْوَالِي وَأَنَا بِمَا فِيكُمْ وَأَنَا نَقِيبُكُمْ» وكره أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجّار الذي يعتدّون به على قومهم، أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم. قال ابن الأثير: وهذا يردّ قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زرارة كان نقيباً على بني ساعدة، إنما كان على بني النجّار، وصدق ابن الأثير فيما قال. وقد قال أبو جعفر بن جرير في التاريخ: كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلاّ يسيراً حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة، وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذبحة أو الشهقة.

قلت: وكلثوم بن الهدم بن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، وهو من بني عمرو بن عوف، وكان شيخاً كبيراً، أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ولمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقُبَاء، نزل في منزل هذا في الليل، وكان يتحدّث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما، إلى أن ارتحل إلى دار بني النجّار كما تقدّم. قال ابن الأثير: وقد قيل إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ، ثم بعده أسعد بن زرارة. ذكره الطبري.

فصل في ميلاد عبد اللّه بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين، كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما. وقد زعم بعضهم أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود. ورواه الواقدي عن محمّد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، عن أبيه، عن جده، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، والصحيح ما قدّمنا. فقال البخاري: حدّثنا زكريا بن يحيى، حدّثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء أنها حملت بعبد اللّه بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم[1]، فأتيت المدينة فنزلت بقُبَاء فولدته بقُبَاء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حِجْره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنّكه بتمرة، ثم دعا له وبرّك عليه. فكان أول مولود ولد في الإسلام. تابعه خالد بن مخلد عن علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن أسماء أنها هاجرت إلى النبيّ ﷺ وهي حبلى[2]. حدّثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام عبد اللّه بن الزبير، أتوا به النبيّ ﷺ، فأخذ

(١) متم: قريبة الولادة.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥.

النبيّ ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريق النبيّ ﷺ[١]، فهذا حجّة على الواقدي وغيره، لأنه ذكر أن النبي ﷺ بعث مع عبد اللّه بن أُرَيْقِط لمّا رجع إلى مكّة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر، فقدموا بهم أثر هجرة النبيّ ﷺ، وأسماء حامل متم أي مقرب قد دنا وضعها لولدها، فلمّا ولدته كبّر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.

فصل وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الإمام أَحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبد اللّه بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال[٢]. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به. وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلاّ من حديث سفيان الثوري فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر ـ أو ثمانية أشهر ـ وقد حكى القولين ابن جرير، وقد تقدّم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة، بعدما قدموا المدينة، وأن دخوله بها كان بالسنح نهاراً، وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهّمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين، خشية المفارقة بين الزوجين، وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادّة على من توهّمه من الناس في ذلك الوقت: تزوّجني في شوال، وبنى بي في شوال ـ أي دخل بي ـ في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني؟ فدلّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحبّ نسائه إليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دلّ على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلاّ الحديث الثابت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص: قلت يا رسول الله أي الناس أحبّ إليك؟ قال: «عَائِشَةُ» قلت من الرجال قال: «أَبُوهَا»[٣].

فصل: قال ابن جرير: وفي هذه السنة ـ يعني السنة الأولى من الهجرة ـ زيد في صلاة الحضر ـ فيما قيل ـ ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النبيّ ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت، وقال: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

قلت: قد تقدّم الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر عن الزهريّ، عن عروة،

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي في النكاح باب ٩، والنسائي في النكاح باب ٨، وابن ماجة في النكاح باب ٥٣، وأحمد في المسند ٦/٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٣، وفضائل الصحابة باب ٥.

عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر[١]. وروي من طريق الشعبيّ عن مسروق عنها. وقد حكى البيهقي، عن الحسن البصري، أن صلاة الحضر أول ما رضت، فرضت أربعا والله أعلم. وقد تكلّمنا على ذلك تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١] الآية.

فصل في الأذان ومشروعيته [عند مقدم النبيّ ﷺ إلى المدينة النبوية][٢]

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّ رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمرُ الأنصار، استحكم أمرُ الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فهمّ رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذي يدّعون به لصلاتهم ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة، فبينا هم على ذلك رأى عبد اللّه بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه، أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائفٌ، مرّ بي رجل عليه ثَوْبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد اللّه أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: ألا أدلّك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمّداً رسول الله، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «إنَها لَرُؤْيَا حَقٌ إنْ شَاءَ اللّهُ، فقُمْ مَعَ بِلالٍ فَألْقِهَا عَلَيهِ فَلْيُؤَذْنْ بِهَا فَإنَّهُ أَنْدَى[٣] صوتاً مِنكَ» فلمّا أذن بها بلال، سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبيّ الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: «فللّه الحمد»[٤]. قال ابن إسحاق: فحدّثني بهذا الحديث محمّد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمّد بن عبد اللّه بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه، عن أبيه. وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذيّ وابن ماجه وابن خُزَيْمة من طرق عن محمّد بن إسحاق به، وصحّحه الترمذي وابن خُزَيْمة وغيرهما. وعند أبي داود أنه علّمه

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٤٨.

(٢) سقط في ط.

(٣) أندى: انفذ وأبعد.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٢٨، والترمذي في الصلاة باب ١٣٩، وأحمد في المسند ٤/ ٤٣.

الإقامة، قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمّداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. وقد روى ابن ماجه هذا الحديث عن أَبي عُبَيْد محمّد بن عُبَيْد بن ميمون، عن محمّد بن سلمة الحراني، عن ابن إسحاق كما تقدم. ثم قال: قال أبو عبيد وأَخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد اللّه بن زيد الأنصاري قال في ذلك: [الخفيف]

الحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الجَلاَلِ وَذِي الإِ ... كْرَامِ حَمْداً عَلَى الأَذَانِ كَبِيرَا

إِذْ أَتَانِي بِهِ البَشِيرُ مِنَ اللَّهِ ... فَأَكْرِمْ بِهِ لَدَيَّ بَشِيرَا

فِي لَيَالٍ وَالَى بِهِنَّ ثَلاَثٍ ... كُلَّمَا جَاءَ زَادَنِي تَوْقِيرَا(١)

قلت: وهذا الشعر غريب، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله ﷺ فالله أعلم. ورواه الإمام أَحمد من حديث محمّد بن إسحاق، قال: وذكر الزهري عن سعيد بن المسيّب، عن عبد اللّه بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق عن محمّد بن إبراهيم التيمي، ولم يذكر الشعر [وقال ابن ماجه: حدّثنا محمّد بن خالد بن عبد اللّه الواسطي، حدّثنا أبي عن عبد الرَّحمٰن بن إسحاق عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهمهم من الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى. فأري النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له: عبد اللّه بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله ﷺ ليلاً، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذّن به. قال الزهري: وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرّتين، فأقرّها رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى، ولكنه سبقني(٢)، وسيأتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

فأما الحديث الذي أورده السُهَيْلي بسنده من طريق البزّار: حدّثنا محمّد بن عثمان بن مخلد، حدّثنا أبي، عن زياد بن المنذر، عن محمّد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أَبي طالب فذكر حديث الإسراء وفيه: فخرج ملك من وراء الحجاب فأذّن بهذا الأذان، وكلما قال كلمة صدّقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمّد ﷺ فقدّمه فأمّ بأهل السماء وفيهم آدم ونوح. ثم قال السهيلي؛ وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء. فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح، بل هو منكر تفرّد به زياد بن المنذر أَبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية، وهو من المتّهمين، ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد

(١) أخرجه ابن ماجة في الأذان باب ١، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢، ٤٣.

(٢) أخرجه ابن ماجة في الأذان والسنة فيها باب ١.

الهجرة في الدعوة إلى الصلاة والله أعلم[١].

قال ابن هشام: وذكر ابن جريج. قال: قال لي عطاء: سمعت عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: ائتمر النبيّ ﷺ وأصحابه [بالناقوس] للاجتماع للصلاة، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خَشَبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذّنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبيّ ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبيّ ﷺ الوحي بذلك، فما راع عمر إلاّ بلال يؤذّن، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: «قَدْ سَبَقَكَ بِذَلِكَ الوَحْيُ» وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد اللّه بن زيد بن عبد ربّه كما صرّح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير، عن امرأة من بني النجّار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كل غداة، فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطّى ثم قال: اللَّهُمَّ أَحْمَدُكَ وَأَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ يُقِيمُوا دِينَكَ، قالت: ثم يؤذّن، قالت: والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة[٢] ـ يعني هذه الكلمات ـ ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به.

فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعِيرات قريش وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي ابن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي.

فصل في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير: وزعم الواقدي أيضاً أن النبيّ ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواءَ أبيض، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ، وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة، فبلغ ثنية المرّة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء، وكان بينهم الرمي دون المسابقة. قال الواقدي: وكان المشركون مائتين، عليهم أبو سفيان صخر بن حرب، وهو المثبت عندنا، وقيل كان عليهم مكرز بن حفص.

---

(١) هذا الحديث مقدم في النسخة المصرية ومؤخر في الحلبية.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٣.

فصل

قال الواقدي: وفيها، ـ يعني في السنة الأولى في ذي القعدة ـ عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أَبي وقاص إلى الخَرَّار لواء أبيض يحمله المقداد بن الأسود، فحدَّثني أَبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد [عن أبيه]. قال: خرجت في عشرين رجلاً على أقدامنا، أو قال أحد وعشرين رجلاً، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبّحنا الخرّار صُبْحَ خامسة، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إليّ أن لا أجاوز الخَرّار، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم. قال الواقدي: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلّهم من المهاجرين. قال أبو جعفر بن جرير (رحمه الله) وعند ابن إسحاق (رحمه الله) أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.

قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر (رحمه الله) لمن تأمله، كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة، وذلك تلوماً نحن فيه إن شاء الله، ويحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى، وسنزيدها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى. والواقدي (رحمه الله) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرّر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار، كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ولله الحمد والمنة.

فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة ـ وهي الأولى من الهجرة ـ عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصدّيق رضي الله عنهما، ومن الناس من يقول ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة، والظاهر الأول كما قدّمنا بيانه ولله الحمد والمنة؛ وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير وقد قيل إن المختار ابن أَبي عبيد وزياد بن سمية ولدا في هذه السنة الأولى فالله أعلم. وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة: كلثوم بن الهدم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقُبَاء، إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجّار كما تقدم، وبعده ـ فيها ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجّار، توفي ورسول الله ﷺ يبني المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وأرضاهما.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة ـ يعني الأولى من الهجرة ـ مات أَبو أحيحة بماله بالطائف ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة.

قلت: وهؤلاء ماتوا على شِرْكِهِم لم يُسْلِموا لله عزّ وجلّ.

كتاب المغازي

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الحوادث وقع فيها كثير من المغازي والسرايا، ومن أعظمها وأجلّها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرّق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والغي. وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث فنقول وبالله المستعان

قال الإمام محمّد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة بعد ذكر أحبار اليهود ونصبهم العداوة للإسلام وأهله، وما نزل فيهم من الآيات؛ فمنهم حُيَيّ بن أَخْطب وأخواه أبو ياسر وجُدَي، وسلاّم بن مِشْكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وسلام بن أبي الحُقَيق، وهو أبو رافع الأعور، تاجر أهل الحجاز، وهو الذي قتله الصحابة بأرض خَيْبر كما سيأتي، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وعمرو بن جَحّاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيىء، ثم أحد بني نَبْهان وأمّه من بني النضير، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي، وحليفاه الحجّاج بن عمرو، وكردم بن قيس لعنهم الله، فهؤلاء من بني النضير، ومن بني ثعلبة بن الفسطيون[(١)] عبد الله بن صوريا، ولم يكن بالحجاز ـ بعد ـ أعلم بالتوراة منه.

قلت: وقد قيل إنه أسلم، وابن صلوبا ومخيريق، وقد أسلما يوم أُحُد كما سيأتي وكان حَبْر قومه.

ومن بني قَيْنُقاع زيد بن اللّصِيت، وسعد بن حُنيف، ومحمود بن شيخان وعُزَيز[(٢)] بن أبي عُزَيز[(٣)] وعبد الله بن ضَيْف، وسُوَيد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنْحاص وأشيع ونُعمان بن أضا، وبَحْريّ بن عمرو، وشاش بن عديّ، وشاش بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمير[(٤)] وسُكين بن أبي سُكَين، وعديّ بن زيد، ونعمان بن أبي أَوْفى أبو أنس، ومحمود بن دَحْية، ومالك بن صيف[(٥)] وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أَبي أزار. قال ابن هشام: ويقال آزر بن أبي آزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حُرَيْملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام.

---

(١) الفسطيون: يقول السهيلي إنها كلمة عبرانية، وهي تطلق على كل من ولي أمر اليهود وملكهم.

(٢) كذا في الأصلين، شيخان، وفي ابن هشام: محمود بن سجان.

(٣) كذا في الحلبية وابن هشام والسهيلي، وفي المصرية: عزير بن أبي عزير بالراء.

(٤) كذا في المصرية، وفي الحلبية: عمر. وفي ابن هشام: عمرو.

(٥) قال ابن هشام: يقال ابن الضيف بالمعجمة.

قلت: وقد تقدم إسلامه رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وكان حَبْرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحُصَيْن، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد اللّه. قال ابن إسحاق: ومن بني قريظة الزُّبَيْر بن باطا بن وَهْب، وعزّال بن شموال[1] وكعب بن أسد وهو صاحب عَقْدهم الذي نقضوه عام الأحزاب، وشمويل بن زيد، وجَبَل بن عمرو بن سُكَينة، والنَّحّام بن زيد، وكردم بن كعب[2] ووهب بن زيد ونافع بن أبي نافع، وعديّ بن زَيْد، والحارث بن عَوْف، وكَرْدَم بن زيد، وأسامة بن حَبيب، ورافع بن زُميلة[3]، وجَبَل بن أبي قُشَير، ووهب بن يَهوذا. قال: ومن بني زُرَيق، لَبِيد بن أعْصم، وهو الذي سحر رسول الله ﷺ، ومن يهود بني حارثة، كِنانة بن صُوريا، ومن يهود بني عمرو بن عوف قَرْدم بن عمرو، ومن يهود بني النجّار، سِلْسِلة بن بَرْهام.

قال ابن إسحاق: فهؤلاء أحبار يهود وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنّت والعناد والكفر. قال: وأصحاب النصْب لأمر الإسلام ليطفئوه، إلاّ ما كان من عبد اللّه بن سَلاّم ومُخَيْريق، ثم ذكر إسلام عبد اللّه بن سلاّم وإسلام عمّته خالدة كما قدمناه، وذكر إسلام مُخَيْريق يوم أحد كما سيأتي، وأنه قال لقومه ـ وكان يوم السبت ـ: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمّد عليكم لحق، قالوا إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه وخرج، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمّد، يرى فيها ما أراه الله ـ وكان كثير الأموال ـ ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، قال: فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني: «مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُود».

فصل: ثم ذكر ابن إسحاق من مال إلى هؤلاء الأضداد من اليهود من المنافقين من الأوس والخَزْرَج فمن الأوس زوَيّ[4] بن الحارث، وجُلاَس بن سُوَيد بن الصامت الأنصاري، وفيه نزل ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] وذلك أنه قال حين تخلّف عن غزوة تبوك، لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرّ من الحُمُر، فنمّاها[5] ابن امرأته عُمَيْر بن سعد إلى رسول الله ﷺ فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك. قال: وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير، قال: وأخوه الحارث بن سُوَيد، وهو الذي قتل المُجَذّر بن ذِيَاد البلويّ وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أُحُد، خرج مع المسلمين وكان منافقاً، فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش.

---

(١) في الحلبية: شمويل، وفي ابن هشام: سموال بالسين.

(٢) وفي ابن هشام: قردم بالقاف.

(٣) في ابن هشام ج ٢/١٦٢: رميلة.

(٤) وفي ابن هشام: زري بالراء بدل الواو.

(٥) نماها: أوصلها.

قال ابن هشام: وكان المجذّر قد قَتِل أباه سُوَيْد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أُحُد، كذا قال ابن هشام. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل سُوَيد بن الصامت إنما هو معاذ ابن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بُعَاث رماه بسهم فقتله. وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد، قال لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أُحُد.

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطّاب بقتله إن هو ظفر به، فبعث الحارث إلى أخيه الجُلاس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله ـ فيما بلغني عن ابن عبّاس ـ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصّة. قال: وبَجَاد بن عثمان بن عامر، ونَبْتَل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أن يَنْظُرَ إلى شيطانٍ فلْينظُرْ إلى هَذَا» وكان جسيماً أدلم ثائر شعر الرأس(١) أحمر العينين أسفع(٢) الخدّين، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنّما محمّد أُذُن، من حدّثه بشيء صدّقه. فأنزل الله فيه: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] الآية.

قال: وأبو حَبِيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرّار، وثعلبة بن حاطب ومُعَتّب ابن قُشَير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ، ثم نكثا، فنزل فيهما ذلك، ومُعَتّب هو الذي قال يوم أُحُد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ههنا، فنزل فيه الآية. وهو الذي قال يوم الأحزاب كان محمّد يعدنا أنّا نأكل كنوز كِسْرَى وقَيْصر، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٢].

قال ابن إسحاق: والحارث بن حاطب. قال ابن هشام: ومعتّب بن قُشَير وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهما من بني أميّة بن زَيْد من أهل بَدْر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم. قال: وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية ابن زيد في أسماء أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وعَبّاد بن حُنَيف أخو سهل بن حُنَيف، وبَخْرَج وكان ممن بنى مسجد الضرّار وعمرو بن حزام(٣) وعبد الله بن نَبْتل، وجارية بن عامر بن العَطّاف، وابناه يزيد(٤) ومُجمّع ابنا جارية، وهم ممن اتخذ مسجد الضّرار، وكان مُجمّع غلاماً حَدَثاً قد

(١) أدلم: أسود طويل، ويقال هو المسترخي الشفتين، والثائر الشعر: أي المرتفع والمنتشر.

(٢) أسفع الخدين: أي أحمر الخدّين مع الميل إلى السواد.

(٣) كذا في الأصل: عمرو بن حزام وفي ابن هشام عمرو بن خذام.

(٤) في ابن هشام: زيد.

جمع أكثر القرآن و[كان] يصلي بهم فيه، فلما خرب مسجد الضرّار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك، وكان في أيام عمر، سأل أهل قُبَاء عمرَ أن يصلّي بهم مجمعَ فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرّار؟ فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم، فزعموا أن عمر تركه فصلّى بهم. قال: ووَدِيعة بن ثابت وكان ممّن بنى مسجد الضرّار وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزل فيه ذلك. قال: وخِذَام بن خالد، وهو الذي أُخرِج مسجد الضرّار من داره. قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس وبشر ورافع ابنا زيد. قال ابن إسحاق: ومِرْبَع بن قَيْظي ـ وكان أعمى ـ وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين جاز[1] في حائطه[2] وهو ذاهب إلى أُحُد: لا أُحلّ لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى القَلْبِ أَعْمَى البَصَرِ» وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجه. قال: وأخوه أوس بن قَيْظي وهو الذي قال: إن بيوتنا عَوْرة. قال الله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] قال: وحاطب بن أمية بن رافع، وكان شيخاً جسيماً قد عسا[3] في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين، يقال له: يزيد بن حاطب، أصيب يوم أُحُد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر. فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم، وهو يموت فجعلوا يقولون: أبشر بالجنّة يا ابن حاطب. قال: فَنَجَم[4] نفاق أبيه فجعل يقول: أجل جنّةٌ من حَرْمل، غررتم والله هذا المسكين من نفسه.

قال: وبُشَير بن أُبَيْرِق أبو طُعِمَة سارق الدّرعين الذي أنزل الله فيه ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] الآيات. قال: وقُزْمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أُحُد سبعة نفر، ثم لما آلمته الجراحة قتل نفسه وقال: والله ما قاتلت إلاّ حمية على قومي، ثم مات لعنه الله. قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم، إلاّ أن الضحّاك بن ثابت كان يتّهم بالنفاق وحب يهود. فهؤلاء كلّهم من الأوس. قال ابن إسحاق: ومن الخزرج رافع بن وَدِيعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قَيْس، وقيس بن عمرو ابن سَهل، والجدّ بن قيس وهو الذي قال: ائذن لي ولا تفتني، وعبد اللّه بن أبي ابن سَلُول، وكان رأس المنافقين ورئيس الخزرج والأوس أيضاً، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغاظه ذلك جداً، وهو الذي قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً، وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أَبي قَوْقل وسُوَيْد

(١) في ط: أجاز.

(٢) حائطه: بستانه.

(٣) عسا أي كبر وأسن من عسا القضيب إذا يبس، وعشا بالشين ضعف بصره. عن النهاية.

(٤) نجم: ظهر.

وداعس وهم من رهطه نزل قوله تعالى ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] الآيات حين مالوا في الباطن إلى بني النضير.

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفاراً في الباطن فاتبعهم بصنف المنافقين وهم من شرّهم، سعد بن حنيف، وزيد بن اللُّصَيت، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمّد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: «واللّه لا أعْلَمُ إلاّ ما عَلَّمني اللّهُ، وَقدْ دلّني اللّهُ عَليْها فَهي في هذا الشّعْبِ، قدْ حبسْتها شجرةٌ بزمامها» فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك. قال: ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيْملة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ: «قدْ ماتَ اليَوْم عَظيمٌ منْ عُظَماء المُنافقينَ» ورفاعة ابن زيد بن التابوت، وهو الذي هبّت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال: «إنّها هَبّتْ لمَوْت عَظيم منْ عُظَماء الكُفّار» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم، وسِلْسلة بن بَرْهام وكِنانة بن صُوريا. فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود قال: فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد، ويسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس فرآهم رسول الله ﷺ يتحدّثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأُخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجّار ـ وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ـ فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه وهو يقول ـ لعنه الله ـ أَتُخْرِجني يا أبا أيوب من مِرْبَد بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وَدِيعة النجّاري فلبّبه[1] بردائه، ثم نَتَره نتراً شديداً[2] ولطم وجهه، فأخرجه من المسجد وهو يقول: أُفٍّ لك منافقاً خبيثاً. وقام عمارة بن حَزْم إلى زيد بن عَمْرو ـ وكان طويل اللحية ـ فأخذ بلحيته وقاده بها قَوْداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فكدمه بها كدمة[3] في صدره خرّ منها قال: يقول: خَدَشْتَني يا عمارة، فقال عمارة: أَبْعَدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله ﷺ وقام أبو محمّد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار ـ وكان بدرياً ـ إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شاباً ـ وليس في المنافقين شاب سواه ـ فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه. وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له: الحارث ابن عمرو ـ وكان ذا جمّة[4] ـ

(١) لببه: أخذ بتلابيبه، أي ما يجتمع من ثيابه عند صدره وسحْره وجرّه.

(٢) النتر: جذب فيه قوة وجفوة عن النهاية.

(٣) في ط: لدم، ولدم: ضرب ودفع، واللدم الضرب ببطن الكف.

(٤) جمة: مجتمع شعر الرأس. والشعر الكثيف.

فأخذ بجمّته فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا الحارث، فقال: إنك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيّ بن الحارث، فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفف[1] منه وقال: غلب عليك الشيطان وأمره ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة، ومن سورة التوبة، وتكلّم على تفسير ذلك فأجاد وأفاد رحمه الله.

[ذكر][2] أول المغازي وهي غزوة الأبواء [ويقال لها][3] غزوة ودَّان [وأول البعوث هو بعث حمزة بن عبد المطلب وأبي عبيدة بن الجراح كما سيأتي في كتاب المغازي][4]

وهو بعث حمزة بن عبد المطلب أو عبيدة بن الحارث كما سيأتي في المغازي. قال البخاري كتاب المغازي. قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء. ثم بواط، ثم العشيرة. ثم رُوِي عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ؟ قال: تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولهنّ العُسَيْرة ـ أو العشيرة ـ. وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة إن شاء الله وبه الثقة. وفي صحيح البخاري عن بريدة قال: غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، ولمسلم عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثماني منهنّ. وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة، وقاتل في ثمان؛ يوم بدر، وأُحُد، والأحزاب، والمُرَيْسِيع، وقديد، وخَيْبر، ومكة، وحُنَيْن. وبعث أربعاً وعشرين سرية[5]، وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا محمّد بن عثمان الدمشقي التنوخي، حدّثنا الهيثم بن حميد، أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثمانية عشر غزوة، قاتل في ثمان غزوات، أولهن بدر، ثم أُحُد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكّة، ثم حنين والطائف[6] قوله بئر معونة بعد قُريظة فيه نظر، والصحيح أنها بعد أُحُد كما سيأتي. قال يعقوب: حدّثنا سلمة بن شبيب، حدّثنا عبد الرزّاق، أخبرنا معمر عن الزهري، سمعت سعيد بن المسيّب يقول: غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة، وسمعته مرّة أخرى يقول

(١) أي ألقى طرف ثوبه على أنفه وقال: أف أف استقذاراً.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه مسلم في الجهاد والسير حديث ١٤٦.
(٦) الغزوات المذكورة تسع لا ثمانية كما ورد في النص.

أربعاً وعشرين. فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك. وقد روى الطبراني عن الدبري[١] عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري. قال: غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة. وقال عبد الرَّحمٰن بن حميد في مسنده: حدّثنا سعيد بن سلام، حدّثنا زكريا بن إسحاق، حدّثنا أبو الزبير عن جابر. قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة. وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة، أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين. ثم قال الحاكم: لعله أراد السرايا دون الغزوات، فقد ذكرت في الإكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة. قال: وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى، أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمّد بن نصر؛ السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين. وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحمله كلام قتادة على ما قال فيه نظر. وقد روى الإمام أحمد عن أزهر بن القاسم الراسبي، عن هشام الدستوائي، عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون، أربع وعشرون بعثاً، وتسع عشرة غزوة. خرج في ثمان منها بنفسه؛ بدر، وأُحد، والأحزاب، والمريسيع، وخيبر، وفتح مكة، وحنين. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أُحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان، ثم حجّ أبو بكر سنة تسع، ثم حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع سنة عشر، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزاة غزاها الأبواء. وقال حنبل بن هلال، عن إسحاق بن العلاء، عن عبد الله بن جعفر الرقي، عن مطرف بن مازن اليماني، عن معمر، عن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] الآية بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان، إلى أن قال: ثم غزا بني النضير، ثم غزا أُحداً في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان. وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها، فكانت أول غزوة غزا رسول الله ﷺ الأبواء، ثم العشيرة، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة الأبواء[٢]، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة الحُدَيْبِيَة، ثم غزوة الصفراء، ثم غزوة تبوك آخر غزوة. ثم ذكر البعوث، هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر وهو غريب جداً، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتباً. وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهيؤ له كما

(١) في الأصلين الديري، وإنما هو إسحاق بن إبراهيم الدبري بالباء.

(٢) بالأصل تكررت غزوة الأبواء مرتين، وفي ابن هشام: الأبواء، بواط، العشيرة... الخ.

رواه محمّد بن عمر الواقدي عن عبد اللّه بن عمر بن علي، عن أبيه، سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلّم مغازي النبيّ ﷺ كما نعلّم السورة من القرآن. قال الواقدي: وسمعت محمّد بن عبد اللّه يقول: سمعت عمي الزهري يقول في علم المغازي علم الآخرة والدنيا، وقال محمّد بن إسحاق (رحمه الله) في المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين، وجمعهم في أسفل سافلين. ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه، وقتال من أمره به ممن يليه من المشركين، قال: وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة، فأقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة وولّى تلك الحجّة المشركون، والمحرّم، ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعد بن عبادة. قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودّان وهي غزوة الأبواء، قال ابن جرير: ويقال لها غزوة ودان أيضاً، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذي وادعه منهم مَخْشِيّ بن عمرو الضَّمْري، وكان سيّدهم في زمانه ذلك. ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول. قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها عليه السلام. قال الواقدي، وكان لواؤه مع عمّه حمزة، وكان أبيض.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين - أو ثمانين - راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل ثنية المُرّة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلاّ أن سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الإسلام ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفّار. قال ابن إسحاق: وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل، وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء[1] عن أبي عمرو المدني أنه قال: كان عليهم مكرز ابن حفص.

قلت: وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان، أحدهما أنه مكرز، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب، وأنه رجح أنه أبو سفيان فالله أعلم. ثم ذكر ابن إسحاق القصيدة المنسوبة إلى أبي [بكر] الصدّيق في هذه السرية التي أوّلها: [الطويل]

(١) في ابن هشام: حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء.

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَى بِالبِطاحِ الدَّمَائِثِ[1] أَرِقْتَ وَأَمْرٍ فِي العَشِيرَةِ حَادِثِ
تَرَى مِن لُؤَيٍّ فِرْقَةً لاَ يَصُدُّهَا عَنِ الكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلاَ بَعْثُ بَاعِثِ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الحَقِّ أَدْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ المُحْجَراتِ اللَّوَاهِثِ[2]

القصيدة إلى آخرها، وذكر جواب عبد الله بن الزبعرى في مناقضتها التي أولها: [الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالعَثَاعِثِ بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لاَبِثِ[3]
وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّام - وَالدَّهْرُ كُلُّهُ لَهُ عَجَبٌ - مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثِ
لِجَيْشٍ أَتَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي الهِيَاجِ ابْنَ حَارِثِ[4]
لِنَتْرُكَ أَصْنَاماً بِمَكَّةَ عُكَّفاً مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لِوَارِثِ

وذكر تمام القصيدة وما منعنا من إيرادها بتمامها إلاّ أن الإمام عبد المَلِك بن هشام (رحمه الله) وكان إماماً في اللغة ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين. قال ابن إسحاق، وقال سعد بن أبي وقّاص في رميته تلك فيما يذكرون: [الوافر]

أَلاَ هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أَذُودُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَاداً بِكُلِّ حُزُونَةٍ[5] وَبِكُلِّ سَهْلِ
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَفَضْلِ
يُنَجَّى المُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيُخْزَى بِهِ الكُفَّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلِ[6]
فَمَهْلاً قَدْ غَوِيتَ فَلاَ تَعِبْنِي غَوِيُّ الحَيِّ وَيْحَكَ يَا ابْنَ جَهْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد. قال ابن إسحاق: فكانت راية عُبَيْدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين. وقد خالفه الزهريّ وموسى بن عقبة والواقدي فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقّاص أن أوّل أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدي.

---

(١) الدمائث: الرمال اللينة.

(٢) هروا: وثبوا كما تثب الكلاب. والمحجرات في ابن هشام: المجحرات: الكلام التي اجحرت أي ألجئت إلى مواضعها.

(٣) العثاعث: أكداس الرمل التي لا تنبت شيئاً، واحدها عثعث، وغير لابث: غير متوف.

(٤) العرام: الكثرة والشدة. والهياج: الحرب. (٥) الحزونة: الوعر من الأرض.

(٦) مهل: إمهال وتثبّت.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة؛ وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري.

فصل

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مَجْديّ بن عمرو الجَهْنيّ وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال.

قال ابن إسحاق: وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أولَ راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين، وذلك أن بعثه وبعث عُبَيْدة، كانا معاً فشبه ذلك على الناس.

قلت: وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بَعْث حمزة قبل عُبَيْدة بن الحارث، ونصّ على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء. فلما قفل عليه السلام من الأبواء بعث عُبَيْدة بن الحارث في ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم. وقد تقدم عن الواقدي أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى، وبعدها سريّة عبيدة في شوال منها والله أعلم. وقد أورد ابن إسحاق عن حمزة رضي الله عنه شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام، لكن قال ابن إسحاق: فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلاّ حقاً، والله أعلم أي ذلك كان. فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعُبَيْدة أول، والقصيدة هي قوله: [الطويل]

أَلاَ يَا لِقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ وَالجَهْلِ ... وَلِلنَّقْضِ مِنْ رَأْيِ الرِّجَالِ وَلِلعَقْلِ
وِلِلرَّاكِبِينَا بِالمَظَالِمِ لَمْ نَطَأْ ... لَهُمْ حُرُماتٍ مِنْ سَوَامٍ[1] وَلاَ أَهْلِ
كَأَنَّا بتلناهم[2] وَلاَ بَتْلَ عِنْدَنَا ... لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالعَفَافِ وَبِالعَدْلِ
وَأَمْرٍ بِإِسْلاَمٍ فَلاَ يَقْبَلُونَهُ ... وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الهَزْلِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى انْتُدِبتِ لِغَارَةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِي رَاحَةَ الفَضْلِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَوَّلَ خَافِقٍ ... عَلَيْهِ لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لاَحَ مِنْ قَبْلِ
لِوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ ... إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الفِعْلِ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ وَكُلُّنَا ... مَرَاجِلُهُ[3] مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي

---

(١) السوام: الإبل المرسلة في المرعى.

(٢) كذا في المصرية، والبتل هو القطع، وفي الحلبية وابن هشام نبلناهم ومعناها رميناهم بالنبل.

(٣) مراجل: جمع مرجل وهو زق يغلى الماء به.

فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ (١)
وَقُلْنَا لَهُمْ: حَبْلُ الإِلَهِ نَصِيرُنَا وَمَا لَكُمْ إِلاَّ الضَّلاَلَةُ مِنْ حَبْلِ
فَثَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِياً فَخَابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلِ
وَمَا نَحْنُ إِلاَّ فِي ثَلاَثِينَ رَاكِباً وَهُمْ مَائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلِ
فَيَالَ لُؤَيٍّ لاَ تُطِيعُوا غُوَاتَكُمْ وَفِيئُوا إِلَى الإِسْلاَمِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ (٢)
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمُ عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالثُّكْلِ (٣)

قال فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال: [الطويل]

عجِبْتُ لِأَسْبَابِ الحَفِيظَةِ (٤) وَالجَهْلِ وَلِلشَّاغِبِينَ بِالخِلاَفِ وَبِالبُطْلِ
وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا عَلَيْهِ ذَوِي الأَحْسَابِ وَالسُّؤْدُدِ الجَزْلِ (٥)

ثم ذكر تمامها. قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله عنه ولأبي جهل لعنه الله.

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول - يعني من السنة الثانية - يريد قريشاً. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون. وقال الواقدي: استخلف عليها سعد بن معاذ. وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش، وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى [الأولى].

[ثم غزا قريشاً يعني بذلك الغزوة التي يقال لها](٦):
غزوة العُشَيْرة [وبالمهملة والعُشَيْر وبالمهملة والعُشَيْراء وبالمهملة](٧)

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد. قال الواقدي: وكان

(١) مدى غرض النبل: أي انهم أناخوا قريبين بعضهم من بعض، فكانت المسافة بينهم مرمى النبل.
(٢) فيئوا: ارجعوا، والمنهج: الطريق الواضح.
(٣) الثكل: الفقد والحزن.
(٤) الحفيظة: الغضب.
(٥) الجزل: العظيم.
(٦) سقط في ط.
(٧) سقط في ط.

لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب. قال: وخرج عليه السلام يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على نَقْب بني دينار، ثم على فَيْفَاء الخَيَار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق فصلّى عندها فثمَّ مسجده، فصُنع له عندها طعام فأكل منه، وأكل الناس معه، فرسوم أثافي البُرْمة معلوم هناك، واستسقى له من ماء يقال له: المشيرب ثم ارتحل فترك الخلائق[١] بيسار وسلك شُعْبة عبد الله، ثم صبّ للشاد[٢] حتى هبط ملل، فنزل بمُجتمعه ومُجتمع الضَبوعة، ثم سلك فَرْش ملل حتى لقي الطريق بصُخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشَيرَة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. وقد قال البخاري: حدّثنا عبد الله، حدّثنا وهب، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق. قال: كنت إلى جنب زَيْد بن أرْقم فقيل له: كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة. قلت: كم غزوة أنت معه؟ قال: سبع عشرة غزوة، قلت: فأيهنّ كان أول؟ قال العشير ـ أو العسير ـ فذكرت لقتادة فقال: العشير[٣]. وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العُشَيْرة، ويقال: بالسين، وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد اللهمّ إلاّ أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبيّ ﷺ زيد بن أرقم العشيرة وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمّد بن إسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم.

قال محمّد بن إسحاق: ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ما قال فحدّثني يزيد بن محمّد بن خثيم عن محمّد بن كعب القرظي، حدّثني أبو يزيد محمّد بن خثيم عن عمّار بن ياسر. قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشَيْرة من بطن ينبع، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً، فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة فوادعهم، فقال لي علي بن أبي طالب: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر ـ من بني مدلج يعملون في عين لهم ـ ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغَشِينَا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل[٤] في دقعاء[٥] من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما أهَبّنا[٦] إلاّ ورسول الله ﷺ يحرّكنا بقدمه، فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي:

---

(١) الخلائق بالخاء المعجمة: البئر التي لا ماء فيها، وقال السهيلي في الروض الأنف الحلائق بالحاء المهملة آبار معلومة، ورجح الرواية الأولى.

(٢) صب للشاد. كذا في المصرية وابن هشام. وقال الخشني: صب للساد. بالسين المهملة. ثم قال: والصواب لليسار وصحفه في الحلبية قال: صب المسار.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ١.

(٤) صور النخل: صغاره.

(٥) دقعاء: التراب اللين.

(٦) أهبنا: أيقظنا.

«يا أبا تُرابٍ» لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألاَ أُخبِرُكُمْ بِأَشْقَى النَاس رَجُلَيْنِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله فقال: «أُحيمِرُ ثَمودَ الَّذِي عَقَرَ النَاقةَ وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يا عَليُّ عَلى هذِهِ ـ وَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ـ حَتَّى تَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ ـ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ـ» وهذا حديث غريب من هذا الوجه، له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب كما في صحيح البخاري، أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت: خرج مغاضباً، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قُمْ أبا تُرابٍ قُمْ أَبَا تُرابٍ»[1].

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق: ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العُشَيْرة إلاّ ليال قلائل، لا تبلغ العشرة، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح[2] المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له: سَفْوان، من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه. وقال الواقدي: وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب. قال ابن هشام والواقدي: وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق: فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجباً وشعبان، وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز. قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة، ثم رجع ولم يلق كيداً. هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً، وقد تقدّم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة، أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عُبَيْدة في شوال، وبعث سعد في ذي القَعدة كلّها في السنة الأولى.

وقد قال الإمام أحمد: حدَّثني عبد المتعال بن عبد الوهاب، حدَّثني يحيى بن سعيد. وقال عبد الله ابن الإمام أحمد، وحدَّثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، حدّثنا أبي، حدّثنا المجالد عن زياد بن علاقة، عن سعد بن أَبي وقّاص. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جُهَيْنة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا، فأوثق لهم، فأسلموا، قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة، وأمرنا أن نغير على حيّ من بني كنانة، إلى جنب جُهَيْنة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جُهَيْنة فمنعونا، وقالوا: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبيّ الله فنخبره، وقال قوم: لا بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها. وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له، فانطلقنا إلى العير، وانطلق أصحابنا إلى النبيّ ﷺ فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمّر الوجه. فقال: «أَذَهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي

(١) أخرجه البخاري في الاستئذان باب ٤٠.

(٢) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح بالغداة للرعي.

جَميعاً، وَرَجَعْتُمْ مُتَفَرِّقِين، إنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الفُرْقَةُ، لأَبْعَثَنَّ عَلَيكُم رَجُلاً لَيسَ بِخَيْرِكُمْ، أَصْبَرَكُمْ عَلَى الجُوعِ وَالعَطَشِ» فبعث علينا عبد اللّه بن جحش الأسديّ فكان أول أمير في الإسلام[١] . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه، وزاد بعد قولهم لأصحابه: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقالوا: نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام. ثم رواه من حديث أبي أسامة عن مجالد، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك، عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه، فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك وهذا أنسب والله أعلم. وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد اللّه بن جحش الأسدي، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعُبَيْدة بن الحارث بن المطلب، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب والله أعلم.

باب سرية عبد اللّه بن جحش التي كان سببها لغزوة بدر العظمى[٢] وذلك يوم الفرقان ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ عبد اللّه بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم أبو حُذَيفة بن عُتبة، وعُكّاشة بن مِحصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمة، وعُتبة بن غَزْوان حليف بني نَوْفل، وسعد بن أبي وقّاص الزهري، وعامر بن رَبيعة الوائلي حليف بني عديّ، وواقد بن عبد اللّه بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التّميمي حليف بني عديّ أيضاً، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضاً، وسَهْل بن بيضاء الفهري فهؤلاء سبعة[٣] ثامنهم أميرهم عبد اللّه بن جحش رضي الله عنه. وقال يونس عن ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فالله أعلم. [وسيأتي تسميتهم على خلاف ما][٤] .

قال ابن إسحاق: وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً. فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصّد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن استكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٧٨/١.
(٢) كذا بالأصلين، ولعلها التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى..
(٣) الصواب هم ثمانية.
(٤) سقط في ط.

أصحابه، لم يتخلّف منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمَعْدن فوق الفُرُع يقال له: بَحْران، أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلّفا في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نَخْلة، فمرت عير لقريش [تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش][(1)] فيها عمرو بن الحَضْرمي. قال ابن هشام: واسم الحَضْرمي عبد الله بن عبّاد الصدفي ـ [قال السهيلي: وقيل غير ذلك في نسبه][(2)] ـ [أحد]، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، وأخوه نَوْفل، والحكم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عُكاشة بن مِحْصَن، وكان قد حلق رأسه. فلما رأوه أَمِنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم، وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب، فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام، فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمانَ بن عبد الله، والحَكَم بن كَيْسان، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابُه بالعِير والأسيرين، حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ. وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فعزله، وقسّم الباقي بين أصحابه، وذلك قبل أن ينزل الخمس. قال ولما نزل الخمس نزل كما قسّمه عبد الله بن جحش، كما قاله ابن إسحاق، فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ قال: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ» فوقف العِير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقطَ في أيدي القوم، وظنّوا أنهم قد هلكوا، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحلّ محمّد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، فقال من يردّ عليهم من المسلمين، ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود: تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم؛ فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله، أكبر عند الله من قَتْل من قتلتم منهم، والفتنة أكبر من القتل، أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ الآية.

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق[1]، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم ابن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ نفدِيكُمُوهُمَا حَتَّى يَقْدُمَ صَاحِبَانَا» - يعني سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما. فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم. فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله ﷺ. فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكّة فمات بها كافراً. قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] فوصفهم الله[2] من ذلك على أعظم الرجاء. قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. وهكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزّهري، وكذا روى شُعَيْب عن الزّهري، عن عروة نحواً من هذا وفيه؛ وكان ابن الحضرمي أوّل قتيل قتل بين المسلمين والمشركين. وقال عبد الملك بن هشام: هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون، وعثمان والحَكَم بن كيسان أول من أسره المسلمون.

قلت: وقد تقدم فيما رواه الإمام أَحمد عن سعد بن أَبي وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جَحْش أول أمير في الإسلام. وقد ذكرنا في التفسير لما وراه الإمام[3] ابن إسحاق شواهد مسندة، فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمّد بن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدّثنا محمّد بن أبي بكر المقدمي، حدّثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه، حدّثني الحضرمي عن أَبي السوار، عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً، وبعث عليهم أبا عُبَيْدة بن الجراح أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس، فبعث عليهم مكانه عبدُ الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا. وقال: «لاَ تُكْرِهَنَّ أَحداً عَلَى المَسِيرِ مَعَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ» فلما قرأ الكتاب استرجع وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، فخبّرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب، فرجع منهم رجلان وبقي بقيّتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جُمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ

(١) الشفق: الخوف.

(٢) كذا بالأصلين. وفي ابن هشام فوضعهم الله من ذلك ولعله الصواب.

(٣) في ط: أورده.

ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ﴾ الآية. وقال إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدّي الكبير في تفسيره عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، عن جماعة من الصحابة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش، وفيهم عمّار بن ياسر، وأبو حذيفة بن عتبة، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وسهل ابن بيضاء، وعامر بن فهيرة، وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن مَلل، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه: أن سر حتى تنزل بطن نَخلة، فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص، فإنني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فسار وتخلّف عنه سعد وعتبة أضلا راحلة لهما، فأقاما يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نَخْلة فإذا هو بالحَكَم بن كَيْسان والمُغِيرة بن عثمان، وعبد الله بن المغيرة. فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرمي، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون. وقال المشركون إن محمّداً يزعم أنه يتبع طاعة الله، وهو أول من استحل الشهر الحرام، وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون إنما قتلناه في جمادى. قال السدي: وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب، وآخر ليلة من جمادى الآخرة.

قلت: لعل جمادى كان ناقصاً، فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين، وقد كان الهلال رؤي تلك الليلة فالله أعلم. وهكذا روى العوفي عن ابن عبّاس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب، ولم يشعروا، وكذا تقدّم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم. وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة، وينتهزوا هذه الفرصة، دخل أولئك في الحرم، فيتعذّر عليهم ذلك، فأقدموا عليهم عالمين بذلك، وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي فالله أعلم أي ذلك كان. قال الزهري عن عروة: فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمي، وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرّمه حتى أنزل الله براءة؛ رواه البيهقي.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصدّيق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام. قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش: [الطويل]

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الحَرَامِ عَظِيمَةً ... وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمُ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وَكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ رَاءٍ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ ... لِئَلاَّ يُرَى لِلَّهِ فِي البَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَفَ[1] بِالإِسْلاَمِ بَاغٍ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِنِ ابْنِ الحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الحَرْبَ وَاقِدُ

---

(١) أرجف: خاض بالأخبار السيئة والفتن.

دَماً وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ القَيْدِ عَانِدُ

فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

وقال بعضهم كان ذلك في رجب من سنة ثنتين، وبه قال قتادة وزيد بن أسلم، وهو رواية عن محمّد بن إسحاق. وقد روى أحمد عن ابن عبّاس ما يدل على ذلك، وهو ظاهر حديث البرّاء بن عازب كما سيأتي والله أعلم. وقيل في شعبان منها. قال ابن إسحاق: بعد غزوة عبد اللّه بن جحش؛ ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وحكى هذا القول ابن جرير من طريق السدّي، فسنده عن ابن عبّاس وابن مسعود وناس من الصحابة. قال الجمهور الأعظم: إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمّد بن سعد عن الواقدي أنها حوّلت يوم الثلاثاء، النصف من شعبان، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤]. وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الإسلام، هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [البقرة: ١٠٦] وقد قال البخاري حدّثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق، عن البراء أن النبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلّى أول صلاة صلاّها إلى الكعبة العصر، وصلّى معه قوم، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صلّيت مع النبيّ ﷺ قِبَل مكّة، فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا لم ندرِ ما نقول فيهم فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١) [البقرة: ١٤٣] رواه مسلم من وجه آخر. وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا الحسن بن عطية، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء. قال: كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً، وكان يحب أن يوجّه نحو الكعبة، فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾. قال: فوجّه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾. فأنزل الله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ١٢، سورة البقرة، ومسلم في المساجد حديث ١٢، وأحمد في المسند ٤/٢٨٣.

مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] [البقرة: ١٤١] وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، كما رواه الإمام أحمد عن ابن عبّاس رضي الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما، فصلّى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة، واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم. وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم، وكان يكثر الدعاء والتضرّع والابتهال إلى الله عزّ وجل، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾[٢] الآية.

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين، وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي عن أَبي سعيد بن المعلى، وأن ذلك كان وقت الظهر. وقال بعض الناس: نزل تحويلها بين الصلاتين، قاله مجاهد وغيره ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاّها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر، والعجب أن أهل قُبَاء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقُبَاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[٣]، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك نحو ذلك[٤]. والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة، ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء قالوا: ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، هذا والكَفَرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجدونه من صفة محمّد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجره، وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال ﴿ وَإِنَّ الَّذِين أُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كلّه عن سؤالهم، ونعتهم فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢] أي هو المالك المتصرّف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، الذي يفعل ما يشاء في خلقه، ويحكم ما يريد في شرعه، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويضلّ من يشاء عن الطريق القويم، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم. ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء، بعد

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٣١، والترمذي في تفسير القرآن باب ٣، سورة البقرة.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٢٥.
(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٣٢، ومسلم في المساجد حديث ١٣، وأحمد في المسند ٢/ ١٥، ١٦.
(٤) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٥.

التي كان يصلّي بها موسى فمن قبله من المرسلين، كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التالد والطارف، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم، وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهاد نوح بهذه الأمة يوم القيامة، وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه، فمن بعده بطريق الأولى والأحرى. ثم قال تعالى مبيناً حكمته في حلول نقمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة، وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة. فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]. قال ابن عبّاس: إلا لنرى من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل، شديدة الأمر، إلاّ على الذي هدى الله، أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكّون ولا يرتابون، بل يرضون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيداً للحاكم العظيم، القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها، وذلك مبسوط في التفسير، وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا الأحكام الكبير. وقد روى الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عاصم، حدّثنا حصين بن عبد الرّحمٰن عن عمرو بن قيس، عن محمّد بن الأشعث، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ - يعني في أهل الكتاب -: «إِنَّهُمْ لَمْ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَنَا عَلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ إِلَيْهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى القِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينْ»(١).

فصل في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر

قال ابن جرير: وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل إنه فرض في شعبان منها، ثم حكي أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عنه فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى. فقال: «نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»(٢) فصامه وأمر الناس بصيامه، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن ابن عبّاس، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب ٥٢، ومسلم في الصيام حديث ١٢٨.

﴿أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥] الآية وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلّقة بذلك، والآثار المروية في ذلك، والأحكام المستفادة منه ولله الحمد.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النضر، حدّثنا المسعودي، حدّثنا عمرو بن مرة عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل. قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال، فذكر أحوال الصلاة. قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً، فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ إلى قوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حولان. قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة، كان يعمل صائماً حتى أمسى، فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب، حتى أصبح فأصبح صائماً، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال: «ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً» فأخبره، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[1]. ورواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث المسعودي نحوه، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[2]. وللبخاري عن ابن عمر وابن مسعود مثله. ولتحرير هذا، موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير وبالله المستعان.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر، وقد قيل إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم ـ أو يومين ـ وأمرهم بذلك. قال وفيها صلى النبيّ ﷺ صلاة العيد، وخرج بالناس إلى المصلى، فكان أول صلاة عيد صلاّها، وخرجوا بين يديه بالحربة، وكانت للزبير وهبها له النجاشي، فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد.

قلت: وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب، كما سيأتي تفصيل ذلك كلّه بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود في الصوم باب ١، وأحمد في المسند ٥/٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٢٤، سورة البقرة، ومسلم في الصيام حديث ١١٥.

غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨] وما بعدها إلى تمام القصّة من سورة الأنفال، وقد تكلمنا عليها هنالك، وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه.

قال ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره سرية عبد اللّه بن جحش: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال وتجارة، وفيها ثلاثون رجلاً ـ أو أربعون ـ منهم مَخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص. قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان ذلك بعد مقتل ابن الحَضْرميّ بشهرين، قال: وكان في العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلاّ حُوَيْطب بن عبد العُزّى فلهذا تخلّف عن بدر.

قال ابن إسحاق: **فحدَّثني** محمّد بن مسلم بن شهاب، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد اللّه بن أبي بكر، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن ابن عبّاس كل قد حدَّثني بعض الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوالُهُمْ، فَاخرُجُوا إِلَيهَا لَعَلَّ اللّه يُنفِلُكُمُوهَا»، فانتدب الناس، فخفف بعضهم وثقل بعض، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس[1] من لقي من الركبان تخوفاً على أموال[2] الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمّداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكّة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمّداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

قال ابن إسحاق: **فحدَّثني** من لا أتّهم عن عكرمة، عن ابن عبّاس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكّة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطّلب فقالت له: يا أخي والله لقد

---

(١) في الأصلين يتجسس بالجيم. وفي ابن هشام: يتحسس. بالحاء المهملة وشرحهما السهيلي فقال: يتسمع.

(٢) كذا في الحلبية وفي المصرية: على أمر الناس وفي ابن هشام: عن أمر الناس.

رأيت الليلة رؤيا أفظعتني[١] وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتم عليّ ما أُحدّثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به[٢] بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها. ألا انفروا يا آل غُدُر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أَبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[٣] فما بقي بيت من بيوت مكّة، ولا دار إلاّ دخلتها منها فِلقة. قال العبّاس: والله إن هذه لرُؤيا، وأنتِ فاكتُميها لا تذكريها لأحد ثم خرج العبّاس فلقي الوليد بن عُتْبة ـ وكان له صديقاً ـ فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لابنه عُتْبة ففشا الحديث، حتى تحدّثت به قريش.

قال العبّاس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأَبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فاقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدّثت فيكم هذه النّبية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة! قال: قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم!! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العبّاس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلاّ أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً، قال: ثم تفرقنا، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلاّ أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، وايم الله لأتعرضنّ له فإذا عاد لأكفيكنه، قال: فغدوت في اليوم الثالث من رُؤيا عاتكة، وأنا حَديد مُغْضب، أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أُحِب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرأيته، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرّضه ليعودَ لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوجه، حديدَ اللسان حديدَ النظر، قال: إذا خرج نحو باب المسجد يشتَد، قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكلّ هذا فَرَقٌ مني أن أُشاتمه؟! وإذا هو قد سَمِع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جَدّع بعيره[٤] وحوّل رحله، وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللّطيمة

(١) أفظعتني: اشتدت علي.

(٢) مثل به: قام به.

(٣) ارفضت: تفتقت.

(٤) جدع بعيره: قطع أنفه.

اللّطيمة(١)، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمّد في أصحابه، لا أرى أن تُدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهّز الناس سراعاً، وقالوا: أيظن محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرمي؟ والله ليعلمنّ غير ذلك. وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق. قال: فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة، فخرجوا على الصعب والذلول.

قال ابن إسحاق: فكانوا بين رجلين إما خارج، وإما باعثٍ مكانه رجلاً، وأوعبت(٢) قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحد، إلاّ أن أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصي ابن هشام بن المُغيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها. قال ابن إسحاق: وحدَّثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخاً جليلا جسيماً ثقيلاً، فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء، قال: قبّحك الله وقبّح ما جئت به، قال: ثم تجهّز وخرج مع الناس. هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة. وقد رواها البخاري على نحو آخر، فقال: حدَّثني أحمد بن عثمان، حدّثنا شُرَيح بن مسلمة، حدّثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه، عن أبي إسحاق، حدَّثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدَّث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد بن مُعاذ، وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً، فنزل على أمية بمكة، قال سعد لأمية: انظر لي ساعة خلوه لعلّي أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل، فقال: يا [أبا] صفوان من هذا معك؟ قال: هذا سعد. قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكّة آمناً وقد أويتم الصُّباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم، فإنه سيّد أهل الوادي، قال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ» قال: بمكّة؟ قال: لا أدري؟ ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع إلى أهله قال: يا أم صفوان ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمّداً أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلمّا كان يوم بدر. استنفر أبو جهل الناس، فقال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي تخلّفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال أما إذا عبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني،

(١) اللطيمة: الإبل التي تحمل البر والطيب.

(٢) أوعبت: يقال أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيتَ ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا وما أريد أن أجوز معهم إلاّ قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلاّ عقل بعيره، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر[١]. وقد رواه البخاري في موضع آخر عن محمّد بن إسحاق عن عُبَيد اللّه بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق به نحوه، تفرّد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد عن خلف بن الوليد، وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل، وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب[٢].

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كِنانة من الحرب. فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا، وكانت الحربُ التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابنٍ لحَفص بن الأَخْيَف من بني عامر بن لؤيّ، قتله رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح، ثم أخذ بثأره أخوه مِكرز بن حَفص فقتل عامراً، وخاض بسيفه في بطنه، ثم جاء من الليل فعلّقه بأستار الكعبة، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن رومان عن عُروة بن الزبير قال: لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك أن يَثْنيهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي، وكان من أشراف بني كنانة. فقال: أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كِنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. قلت: وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٧ ـ ٤٨] غرّهم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده، وراياته، كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم. فلمّا رأى الجدّ والملائكة تنزل للنصر وعاين جبريل نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله. وهذا كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر ١٦] وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء ٨١] فإبليس لعنه الله لما عاين الملائكة يومئذ تنزل للنصر، فرّ ذاهباً، فكان أول من هرب يومئذ بعد أن كان هو المشجّع لهم، المجير لهم، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم، وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً. وقال يونس عن ابن إسحاق: خرجت قريش على الصّعب والذلول في تسعمائة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢، والمناقب باب ٢٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٠٠.

بهجاء المسلمين. وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً، وذكر الأموي أن أوّل من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشراً، ثم نحر لهم أمية بن خلف بعَسْفان تسعاً، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً، ومالوا من قديد إلى مياه نحو البحر، فظلّوا فيها، وأقاموا بها يوماً، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم يومئذ عتبة ابن ربيعة عشراً، ثم أصبحوا بالأبواء، فنحر لهم نبيه ومنبّه ابنا الحجّاج عشراً، ونحر لهم العبّاس بن عبد المطلب عشراً، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختري عشراً، ثم أكلوا من أزوادهم. قال الأموي: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو بكر الهذلي قال: كان مع المشركين ستون فرساً وستمائة درع، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعاً.

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكّة ومسيرهم إلى بدر. وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الرّوحاء، واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمَير، وكان أبيضَ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العُقاب، والأخرى مع بعض الأنصار. قال ابن هشام: كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ، وقال الأموي: كانت مع الحُبَاب بن المُنذر.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قَيْس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار. وقال الأموي: وكان معهم فَرَسان على إحداهما مُصْعَب بن عُمَير، وعلى الأخرى الزبير بن العوّام ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الأسود[١]. وقد روى الإمام أحمد من حديث أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب، عن عليّ قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد[٢].

وروى البيهقي من طريق ابن وهب عن أبي صخر، عن أبي معاوية البلخي، عن سعيد ابن جُبَير، عن ابن عبّاس أن علياً قال له: ما كان معنا إلاّ فرسان: فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود ـ يعني يوم بدر ـ وقال الأموي: حدّثنا أبي، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد عن التيمي قال: كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان، الزبير بن العوّام على الميمنة، والمقداد بن الأسود على الميسرة.

قال ابن إسحاق: وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها، فكان رسول الله ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً، وكان حمزةُ وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأَنَسة يعتقبون بعيراً. كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان عن حمّاد بن سلمة، حدّثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش، عن عبد اللّه بن مسعود. قال:

---

(١) قوله: ومن سعد بن خيثمة ومن المقداد بن الأسود. كذا في الأصلين ولم نقف على صحتها فيما بين أيدينا من كتب السير ولعله: ويتعقبانهما مرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الأسود.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٢٥.

كنّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي زميليّ رسول الله ﷺ. قال: فكانت عقبة رسول الله ﷺ، فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا»[١] وقد رواه النسائي عن الفلاس عن ابن مهدي عن حمّاد بن سلمة به. قلت: ولعلّ هذا كان قبل أن يُرَدّ أبا لبابة من الرَّوْحاء ثم كان زميلاه علي ومرثد بدل أبي لبابة والله أعلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا سعيد عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر[٢]، وهذا على شرط الصحيحين. وإنما رواه النسائي عن أبي الأشعث، عن خالد بن الحارث، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به. قال شيخنا الحافظ المزّي في الأطراف وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة. وقد رواه هشام عن قتادة، عن زرارة، عن أبي هريرة فالله أعلم. وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن كعب بن مالك أن عبد اللّه بن كعب؛ قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلاّ في غزوة تبوك، غير أني تخلّفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد تفرّد به[٣].

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ طريقَه من المدينة إلى مكّة، على نَقْب المدينة، ثم على العَقيق، ثم على ذي الحُلَيفة، ثم على أُوْلات الجيش؛ ثم مرّ على تُرْبان ثم على مَلَل، ثم على غَمِيس الحَمَام، ثم على صُخَيرات اليمامة، ثم على السَّيالة ثم على فَجّ الرّوحاء، ثم على شَنُوكة، وهي الطريق المُعْتدلة، حتى إذا كان بعِرق الظَّبية لقي رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلّم على رسول الله ﷺ، قال: أَوَفِيكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم! فسلّم عليه، ثم قال: لئن كنت رسول الله فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه، قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها ففي بطنها منك سَخْلة. فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، أَفْحَشْتَ عَلَى الرَّجُلِ»، ثم أعرض عن سَلَمة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجْسج[٤] وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمُنْصَرف ترك طريق مكة بيَسار، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدراً؛ فسلك في ناحية منها حتى إذا جَزَع[٥] وادياً يقال له وَحْقان بين النازية وبين مضيق الصَّفراء، ثم على المضيق، ثم انصبّ منه، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بَسْبَس بن عمرو الجهني،

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤١١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٥٠.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب٣.

(٤) سجسج: الأرض الطرية.

(٥) جزعه: أي قطعه ولا يكون إلا عرضاً، وجزع الوادي منقطعه. كذا في النهاية.

حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجّار إلى بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعيره، وقال موسى بن عقبة بعثهما قبل أن يخرج من المدينة، فلمّا رجعا فأخبراه بخبر العير، استنفر الناس إليها، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً، فقد بعثهما مرّتين والله أعلم.

قال ابن إسحاق رحمه الله: ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمهما، فلما استقبل الصّفراء وهي قرية بين جَبَلين، سأل عن جَبَلَيْها ما أسماؤهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما مُسْلِح وللآخر مُخْرِىء، وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار، وبنو حُراق، بطنان من غفار، فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما والصّفراء بِيَسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذِفران، فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومَسيرهم لِيَمنعوا عِيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصدِّيق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطّاب فقال وأحسن؛ ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امضِ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِماد لجاهدنا[1] معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. ثم قال رسول الله ﷺ: «أشِيروا عَلَيَّ أيُّهَا النَّاسُ» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا؛ يا رسول الله إنا برآء من دمائك[2] حتى تَصِل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمّتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلاّ ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجَلْ» قال: قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخُضناه معَك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدُق عند اللقاء، لعلّ الله يُريك منا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة الله، قال: فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه ثم قال: «سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إلَى مَصَارِعِ القَوْمِ». هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا إسرائيل عن مخارق، عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما عدل به، أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول

(١) في ط: لجالدنا.

(٢) في ط: ذمامك.

كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبيّ ﷺ أشرق وجهه وسرّه[1]، انفرد به البخاري دون مسلم فرواه في مواضع من صحيحه من حديث مخارق به ورواه النسائي من حديثه وعنده: وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فذكره. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عُبَيْدة ـ هو ابن حميد ـ عن حميد الطويل، عن أنس قال: استشار النبيّ ﷺ مخرجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار. فقال بعض الأنصار: يا رسول الله إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك[2]. وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. وقال أحمد أيضاً: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد عن ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه، فقال سعد بن عبادة: إيانا يريد رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، فندب رسول الله ﷺ الناس.

قال: فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجّاج، فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعُتْبة بن ربيعة، وأميّة بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فإذا ضربوه قال: نعم! أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه قال ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلّي، فلما رأى ذلك انصرف، فقال: «وَالَّذِي نفسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إذَا صَدَقَ وَتَتْرُكُونه إذا كَذَبَكُمْ». قال: وقال رسول الله ﷺ: «هذَا مَصْرَعُ فُلانٍ يَضَعُ يدَهُ عَلَى الأَرْضِ هٰهُنا وَهٰهُنا»، فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[3]. ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفّان به نحوه. وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه ـ واللفظ له ـ من طريق عبد اللّه بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إِنِّي أُخْبِرْتُ عَنْ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهَا مُقْبِلَةٌ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ نَخْرُجَ قِبَلَ هَذِهِ العِيرِ لَعَلَ اللَّهَ يُغْنِمُنَاهَا؟» فقلنا: نعم! فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «مَا تَرَوْنَ فِي القَوْمِ فَإِنَّهُم قَدْ أُخْبِرُوا بِمَخْرَجِكُمْ؟» فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم، ولكنا أردنا العير، ثم قال: «مَا تَرَوْنَ فِي قِتَالِ القَوْمِ؟» فقلنا: مثل ذلك، فقام المقداد بن عمرو [فقال]: إذاً لا نقول لك يا رسول

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد والسير حديث ٨٣، وأحمد في المسند ٣/٢٥٧، ٢٥٨.

الله كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال: ٥] وذكر تمام الحديث.

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمّد بن عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي عن أبيه، عن جدّه. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالرَّوْحاء خطب الناس فقال: «كَيفَ تَرَوْنَ؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال: ثم خطب الناس فقال: «كَيفَ تَرَوْنَ؟» فقال عمر مثل قول أَبي بكر، ثم خطب الناس فقال: «كَيف تَرَوْنَ؟» فقال سعد بن مُعَاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرنّ معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى: «اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون»، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا، إنّا معكم متّبعون، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضِ، فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال: ٥] الآيات. وذكره الأموي في مغازيه وزاد بعد قوله وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت؛ وما أخذت منّا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك.

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفران فسلك على ثَنايا يقال لها: الأَصَافِر، ثم انحط منها إلى بلد يقال له: الدية[1] وترك الحنَّان بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه. قال ابن هشام: هو أَبو بكر. قال ابن إسحاق ـ كما حدَّثني محمّد بن يحيى بن حبان ـ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إِذَا أَخبَرْتَنَا أَخبَرْنَاكَ»، فقال أوذاك بذاك؟ قال: «نعَمْ!» قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمّداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ» ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء أمن ماء العراق؟ قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري.

---

(١) كذا في الأصلين وابن هشام. وفي معجم البلدان وفي تاريخ ابن جرير في هذا الخبر: الدبة بالباء الموحدة مشدّدة وهو الصحيح.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاص في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له، كما حدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية[١] لقريش فيها أسْلم، غلام بني الحجّاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالوا نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلمّا أذلقوهما[٢] قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه وسلّم. وقال: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُما، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُموهُمَا، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ، أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟» قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب العقنقل. فقال لهما رسول الله ﷺ: «كَمِ القَوْمُ؟» قالا: كثير. قال: «ما عِدَّتُهُمْ»، قالا: لا ندري، قال: «كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: «القَوْمُ ما بَيْنَ التِسْعِمَائَةَ إِلَى الأَلْفِ» ثم قال لهما: «فمن من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطُعَيْمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عَبِدْ وُدّ. قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِها».

قال ابن إسحاق: وكان بَسْبَس بن عمرو، وعدي بن أبي الزَّغْباء قد مضيا حتى نزلا بدراً، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً[٣] لهما يَسْتقيان فيه. ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر[٤]، وهما يتلازمان[٥] على الماء، والملزومة[٦] تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد، فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك. قال مَجْديّ: صدقتِ، ثم خلّص بينهما. وسمع ذلك عديّ وبَسْبَس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء. فقال لمجديّ بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلاّ أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شنّ لهما، ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما[٧]، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتّه فإذا فيه

(١) الراوية: الإبل التي يستقى عليها الماء.
(٢) أزلقوهما: بالغوا في ضربهما وآذوهما؛ وفي القاموس المحيط: أذلقوهم: أضعفوهم.
(٣) الشن: الزق البالي.
(٤) الحاضر: القوم النازلون على الماء.
(٥) التلازم: تعلق الغريم غريمه.
(٦) الملزومة: المدينة.
(٧) مناخهما: مكان قعود بعيريهما.

النّوى. فقال: هذه والله علائف يَثْرِب، فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وجه عيره عن الطريق، فساحَل بها[١]، وترك بدراً بيسار، وانطلق حتى أسرع، وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفة رأى جُهَيْم بن الصّلت بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤياً. فقال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان وفلان فعدّ رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش، ثم رأيته ضرب في لبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، ما بقي خِباء من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْح[٢] من دمه، قال: فبلغت أبا جهل لعنه الله، فقال: هذا أيضاً نبيّ آخر من بني المطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نَرِدُ بدراً، وكان بدر موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوق كل عام، فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزُور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا.

وقال الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفيّ ـ وكان حليفاً لبني زُهْرة ـ وهم بالجُحْفة؛ يا بني زهرة، قد نجّى الله لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مَخْرمة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جُبْنها وارجعوا، فإنه لاحاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعة، لا ما يقول هذا. قال: فرجعوا فلم يشهدها زهريّ واحد، أطاعوه، وكان فيهم مطاعاً، ولم يكن بقي بطن من قريش إلاّ وقد نفر منهم ناس، إلاّ بني عديّ، لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد. قال: ومضى القوم، وكان بين طالب بن أبي طالب ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريش محاورة. فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم ـ وإن خرجتم معنا ـ أن هواكم مع محمّد، فرجع طالب إلى مكّة مع من رجع. وقال في ذلك: [الرجز]

لا هُمَّ إمّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ ... فِي عُصْبَةٍ مُحَالِفٌ مُحَارِبْ
فِي مِقْنَبٍ[٣] مِنْ هَذِهِ المَقَانِبْ ... فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ
وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغَالِبْ

قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدوة القصوى من الوادي، خَلْف العَقَنْقَل وبطن الوادي وهو يَلْيَل، بين بدر وبين العقنقل، الكثيب الذي خلفه قريش،

(١) ساحل بها: أي أخذ بها جهة الساحل.

(٢) نضح، أي لطخ.

(٣) المقنب: الجماعة من الخيل، مقدار ثلاث مائة أو نحوها.

والقليب[1] ببدر في العدوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة.

قلت: وفي هذا قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] أي من ناحية الساحل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] الآيات. وبعث الله السماء وكان الوادي دَهْساً[2]، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبّدلَهُم الأرض، ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

قلت: وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً، وأنه ثبّت أقدامهم، وشجّع قلوبهم، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر، وهذا تثبيت الباطن والظاهر، وأنزل النصر عليهم من فوقهم في قوله ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] أي على الرؤوس ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] أي لئلا يستمسك منهم السلاح ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٣ ـ ١٤].

قال ابن جرير: حدَّثني هارون بن إسحاق، ثنا مصعب بن المقدام، ثنا إسرائيل، ثنا أبو إسحاق عن حارثة، عن علي بن أبي طالب. قال: أصابنا من الليل طش[3] من المطر ـ يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والجحف[4] نستظلّ تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ ـ يعني قائماً يصلّي ـ وحرّض على القتال. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرّحمٰن بن مهدي عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي، قال: ما كان فينا فارس يوم بدر إلاّ المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلّي ويبكي حتى أصبح[5]، وسيأتي هذا الحديث مطولاً. ورواه النسائي عن بندار، عن غندر، عن شعبة به. وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر فأطفأ به الغبار، وتلبّدت به الأرض، وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم.

قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان، سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلّي إلى جذم[6] شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» يكرّر ذلك ويلظ به عليه السلام.

---

(١) القليب: البئر.

(٢) الدهس: كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً.

(٣) طش: مطر خفيف.

(٤) الجحف: التروس من جلد بلا خشب.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٢٥.

(٦) جذم: قطعة من شجرة.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به، قال ابن إسحاق: فحُدِّثت عن رجال من بني سَلِمة أنهم ذكروا أن الحُبَاب بن مُنْذر بن الجَموح. قال: يا رسول الله أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نُغَوّر ماء وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القَوم، فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله ﷺ: «لقدْ أشرْتَ بِالرَّأي». قال الأموي: حدّثنا أبي قال: وزعم الكلبي عن أَبي صالح، عن ابن عبّاس. قال: بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقماص[1] وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال: يا محمّد إن الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ السَّلاَمُ وَمِنْهُ السَّلاَمُ وَإِلَيْهِ السَّلاَمُ» فقال الملك: إن الله يقول لك إن الأمر [هو] الذي أمرك به الحُبَاب بن المنذر. فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل هل تعرف هذا؟» فقال: ما كل أهل السماء أعرف، وإنه لصادق ، وما هو بشيطان، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغوّرت، وبنى حوضاً على القَلِيب الذي نزل عليه، فمُلىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية. وذكر بعضهم أن الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ، نزل ملك من السماء، وجبريل عند النبيّ ﷺ فقال الملك: يا محمّد ربّك يقرأ عليك السلام، ويقول لك إنّ الرأي ما أشار به الحُبَاب، فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل، فقال: «لَيْسَ كُلُّ المَلاَئِكَة أعْرِفُهُمْ وَأنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيطانٍ». وذكر الأموي أنهم نزلوا على القَلِيب الذي يلي المُشركين نصف الليل، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤا الحياض، حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء.

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد اللّه بن أَبي بكر أنه حُدِّث: أن سعد بن معاذ. قال: يا نبيّ الله ألا نَبْني لك عريشاً[2] تكون فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش كان فيه.

قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصوّب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي. قال: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلاَئِهَا[3] وَفَخرِهَا، تُحَادُكَ[4] وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ

---

(١) الأقماص: كذا في الأصلين ولم نعثر على هذا النص في غيرهما، وفي أ: الأقباص.

(٢) العريش: شبه الخيمة يستظل به.

(٣) الخيلاء: التكبّر والإعجاب.

(٤) تحادك: تعاديك.

أحنهم[١] الغداة». وقد قال رسول الله ﷺ - وقد رأى عُتْبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له أحمر: «إنْ يكُنْ فِي أحَدٍ مِنَ القَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْد صَاحِبِ الجَمل الأحْمرِ» إن يطيعوه يرشدوا قال: وقد كان خُفَاف بن أَيماء بن رَحَضة أو أبوه إيماء بن رحضة الغفاريّ، بعث إلى قريش ابناً له بجزائر[٢] أهداها لهم. وقال: «إنْ أحْبَبْتُمْ أنْ نُمِدّكُمْ بِسلاحٍ ورِجَالٍ فَعلْنا». قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وَصَلْتك رحم، وقد قضيتَ الذي عليك، فلَعَمْري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضَعْف عنهم، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمّد، فما لأحد بالله من طاقة. قال: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ فَما شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إلاّ قُتل، إلاّ مَا كَانَ مِنْ حَكيم بْن حُزام، فإنَّهُ لَمْ يُقتل»، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني يوم بدر.

قلت: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كما سيأتي بيان ذلك في فصل نعقده بعد الوقعة، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله.

ففي صحيح البخاري عن البراء. قال: كنا نتحدّث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزه معه إلاّ مؤمن[٣]. وللبخاري أيضاً عنه. قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعون ومائتان[٤]. وروى الإمام أحمد عن نصر بن رئاب عن حجّاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس أنه قال: كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون ستة وسبعين، وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة[٥]. وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣] الآية. وكان ذلك في منامه تلك الليلة، وقيل إنه نام في العريش، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فدنا القوم منهم فجعل الصدّيق يوقظه ويقول: يا رسول الله دنوا منّا فاستيقظ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً. ذكره الأموي وهو غريب جداً. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]. فعندما تقابل الفريقان قلّل الله كلاً منهما في أعين الآخرين ليجترىء هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء، لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ

---

(١) أحنهم: أي أهلكهم من الحين وهو الهلاك، ذكره الخشني في غريب السيرة.

(٢) الجزائر: يريد: الجُزُر وهي جمع واحدها جزور، والجزور من الابل يقع على الذّكر والأنثى.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦، وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٠.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦.

(٥) أحمد في المسند ١/ ٢٤٨.

رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣] إن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة على الصحيح أيضاً، وذلك عند التحام الحرب والمسابقة، أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيّد المؤمنين بنصره، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا. ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣]. قال إسرائيل عن أبي إسحاق، عن أبي عبيد وعبد الله: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أني لأقول لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم بعثوا عُمَير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا القوم أصحاب محمّد، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً، أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا[١] تحمل المنايا، نواضح[٢] يثرب تحمل الموت الناقع[٣]، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فرُوا رأيكم؟ فلما سمع حَكِيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيّدها والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجع بالناس وتحمل أمرَ حليفك عمرو بن الحضرمي، قال: قد فعلتُ، أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفي، فعليّ عقله وما أصيبَ من ماله. فأتِ ابن الحنظليّة - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يسجر[٤] أمر الناس غيره، ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمّداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمّه - أو ابن خاله - أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمّد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل[٥]

---

(١) البلايا: ج بلية، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت. وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحصر عليها.

(٢) النواضح: الإبل التي يستقى عليها الماء.

(٣) الناقع: الثابت البالغ في الإفناء.

(٤) في ابن هشام يشجر: يشجر بين الناس أي يحالف بينهم؛ من المشاجرة، وهي المخالفة والمخاصمة.

(٥) نثل: أخرج.

درعاً فهو يهنئها[١] فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، فقال: انتفخ والله سحره[٢] حين رأى محمّداً وأصحابه، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعتبة ما قال، ولكنه رأى محمّداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي. فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك[٣] ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف، ثم صرخ واعمراه واعمراه. قال: فحميت الحرب، وحقب أمر الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة. فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: انتفخ والله سحره قال: سيعلم مُصَفِّر استه من انتفخ سحره، أنا أم هو، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه، فلما رأى ذلك اعتجر[٤] على رأسه ببرد له.

وقد روى ابن جرير من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب، قال: بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال: حَكيم بن حزام يستأذن، قال: ائذن له، فلما دخل قال: مرحباً يا أبا خالد ادن، فحال عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة، ثم استقبله فقال: حدثنا حديث بدر. فقال: خرجنا حتى إذا كنا بالجحفة، رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مشركيهم بدراً، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله تعالى، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت: يا أبا الوليد هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمّد إلاّ دم ابن الحضرميّ، وهو حليفك، فتحمل بديّته ويرجع الناس. فقال: أنت عليّ بذلك، واذهب إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فقل له هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمّك؟ فجئته، فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم، فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة هل لك أن ترجع اليوم بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا! ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخبر شيء، وعتبة متكىء على إيماء بن رحضة الغفاريّ، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر، فطلع أبو جهل الشرّ في وجهه فقال لعتبة: انتفخ سحرك؟ فقال له عتبة: ستعلم! فسلّ أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رحضة: بئس الفأل هذا! فعند ذلك قامت الحرب. وقد صفّ رسول الله ﷺ أصحابه

(١) يهنئها: في الحلبية مهملة من النقط، ومعناها يطلبها بعكر الزيت، وقال أبو ذر: يهنئها: يتفقدها.

(٢) انتفخ سحره: كناية عن جبنه.

(٣) خفرتك: أنشد خفرتك، أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، أي عهدهم، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً.

(٤) اعتجر: تعمم بغير تلح، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً.

وعبّاهم أحسن تعبية، فروى الترمذي عن عبد الرَّحمٰن بن عوف. قال: صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً[١]. وروى الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة حدَّثني يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدَّثه أنه سمع أبا أيوب يقول: صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدر، فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر إليهم النبيّ ﷺ فقال: «معي معي»[٢] تفرّد به أحمد وهذا إسناد حسن.

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني حَبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْح[٣] يعدّل به القوم، فمر بسَواد بن غَزِيّة حليف بني عديّ بن النجّار، وهو مستنتل[٤] من الصف، فطعن في بطنه بالقِدْح، وقال: «اسْتَوِ يَا سَوَادُ» فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقِدْني[٥]، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، فقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبّل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سَواد؟» قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله: قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال: يا رسول الله ما يضحك الربّ من عبده؟[٦] قال: «غَمْسَهُ يَدَهُ فِي العَدُوّ حَاسِراً» فنزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: ثم عدّل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العَرِيش فدخله، ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره. وقال ابن إسحاق وغيره: وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفاً على باب العَرِيش، متقلّداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ. وقد روى البزار في مسنده من حديث محمّد بن عقيل عن عليّ أنه خطبهم فقال: يا أيّها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلاّ انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلاّ أهوى إليه، فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يحاده، وهذا يتلتله[٧] ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا منا أحد إلاّ أبو بكر يضرب ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع عليّ بردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت لحيته، ثم قال: أنشدكم

(١) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ٧.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٢٠.
(٣) القدح: السهم.
(٤) مستنتل: متقدم.
(٥) أي اقتص لي من نفسك.
(٦) يضحك الرب: أي يرضيه غاية الرضا.
(٧) يتلتل: يدفع.

الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال عليّ: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه. ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى إلاّ من هذا الوجه. فهذه خصوصية للصدِّيق حيث هو مع الرسول في العريش كما كان معه في الغار رضي الله عنه وأرضاه. ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرّع والدعاء ويقول فيما يدعو به: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ لاَ تُعْبَدُ بَعْدَهَا فِي الأَرْضِ» وجعل يهتف بربّه عزّ وجلّ ويقول: «اللَّهمَّ أَنجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ نَصْرَكَ» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه، ويسوّي عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله بعض مناشدتك ربّك فإنه سينجز لك ما وعدك[1].

هكذا حكى السهيلي عن قاسم بن ثابت: أن الصدِّيق إنما قال بعض مناشدتك ربّك من باب الإشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرّع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله أي لِمَ تتعب نفسك هذا التعب، والله قد وعدك بالنصر، وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ. وحكى السهيليّ عن شيخه أبي بكر بن العربي بأنه قال: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف، والصدِّيق في مقام الرجاء، وكان مقام الخوف في هذا الوقت ـ يعني أكمل ـ قال لأن لله أن يفعل ما يشاء، فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة. قلت: وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار، فهو قول مردود على قائله إذ لم يتذكر هذا القائل عور ما قال ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم.

هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربّه سيّد الأنبياء، وضجّ الصحابة بصنوف الدعاء إلى ربّ الأرض والسماء، سامع الدعاء وكاشف البلاء. فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي. قال ابن إسحاق: وكان رجلاً شرساً سيىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ[2] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب[3] رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد زعم أن تبرّ يمينه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. قال الأموي: فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة، وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم فتية من الأنصار، ثلاثة وهم: عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمّهما عفراء، والثالث عبد

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٠، ٣١.

(٢) أطنّ: أطار.

(٣) تشخب: تسيل.

الله بن رواحة ـ فيما قيل ـ فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية فقالوا أكفّاء كرام، ولكن أخرجوا إلينا من بني عمّنا، ونادى مناديهم: يا محمّد اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبيّ ﷺ: «قُمْ يا عُبَيْدَةُ بن الحَارِث، وقُمْ يا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيّ» وعند الأموي أن النفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه، فأحبّ أن يكون أولئك من عشيرته، فأمرهم بالرجوع، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج(١).

قال ابن إسحاق: فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ ـ وفي هذا دليل أنهم كانوا ملبّسين لا يُعرفون من السلاح ـ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ. قالوا: نعم! أكفاء كرام. فبارز عُبَيْدة وكان أسنّ القوم عتبة، وبارزة حمزة شيبة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة. فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عُبَيْدة وعُتْبَة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتْبَة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رضي الله عنه.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عُباد عن أبي ذر: أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبه، وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر(٢). هذا لفظ البخاري في تفسيرها. وقال البخاري: حدّثنا حجاج بن منهال، حدّثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي ثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد، عن عليّ بن أبي طالب. أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عزّ وجلّ في الخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر عليّ وحمزة وعُبَيْدة وشَيْبة بن ربيعة وعُتْبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(٣)، تفرّد به البخاري. وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنّة.

وقال الأموي: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهيّ. قال: برز عتبة وشيبة والوليد، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعليّ. فقالوا: تكلّموا نعرفكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله، أنا حمزة بن عبد المطلب. فقال: كفؤ كريم. وقال علي: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وقال عُبَيْدة: أنا الذي في الحلفاء، فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله. فقالت هند في ذلك: [المتقارب]

أَعَيْنَيَّ جُودِي بِدَمْعٍ سَرِبْ عَلَى خَيْرِ خِنْدَفَ لَمْ يَنْقَلِبْ

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/١١٧.
(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب ٢٢، سورة الحج.
(٣) انظر الحاشية السابقة.

تَـدَاعَــى لَــهُ رَهْــطُــهُ(١) غَــدْوَةً(٢) بَـنُــو هَــاشِــمٍ وَبَـنُــو الـمُــطَّـلِـبْ
يُـذِيـقُــونَــهُ حَــدَّ أَسْـيَــافِـهِــمْ يُـعِـلُّـونَـهُ بَـعْـدَمَـا قَـدْ عُـطِـبْ(٣)

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة.

قلت: وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه(٤) رسول الله ﷺ قدمه، فوضع خده على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله: [الطويل]

وَنُـسْـلِـمُـهُ حَـتَّـى نُـصَـرَّعَ دُونَـهُ وَنَـذْهَـلُ عَـنْ أَبْـنَـائِـنَـا وَالـحَـلَائِـلِ

ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: **«أَشْهدُ أنَّكَ شَهِيدٌ»** رواه الشافعي رحمه الله، وكان أول قتيل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رمي بسهم فقتله. قال ابن إسحاق: فكان أول من قتل، ثم رمى بعده حارثة بن سراقة أحد بني عديّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض بسهم، فأصاب نحره فمات. وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظارة أصابه سهم غرب فقتله، فجاءت أمّه فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإلاّ فليرين الله ما أصنع ـ يعني من النياح ـ وكانت لم تحرم بعد. فقال لها رسول الله ﷺ: **«ويحك أهبلت، إنها جنان ثمان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»**(٥).

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض. وقال: أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال إن اكتنفكم القوم(٦) فانضحوهم(٧) عنكم بالنبل. وفي صحيح البخاري عن أبي أسيد قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: **«إذَا أَكْثَبُوكُمْ ـ يعني المشركين ـ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ»**(٨). وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبَّار عن يونس بن بكير، عن أبي إسحاق، حدّثني عبد اللّه بن الزبير. قال: جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر يا بني عبد الرَّحمٰن، وشعار الخزرج يا بني عبد اللّه، وشعار الأوس يا بني عُبَيد اللّه، وسمّى خيله خيل الله. قال ابن هشام: كان شعار الصحابة يوم بدر أحد أحد.

قال ابن إسحاق: ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر رضي الله عنه ـ يعني وهو

---

(١) رهط: جماعة. (٢) غدوة: باكراً.
(٣) عطب: هلك. (٤) في السيرة الحلبية: فأفرشه.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٩، والرقاق باب ٥١، والترمذي في تفسير القرآن باب ١٤، من سورة المؤمنين وأحمد في المسند ٣/ ١٢٤.
(٦) اكتنفكم القوم: أحاطوا بكم. (٧) نضح: فرق النبل.
(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩٨.

يستغيث الله عزّ وجلّ ـ كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٠].

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نوح قراد، ثنا عكرمة بن عمّار، ثنا سماك الحنفي أبو زميل، حدَّثني ابن عبّاس، حدَّثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبيّ ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللَّهُمَّ أَنجز لي ما وَعَدْتني. اللَّهُمَ إن تُهلكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أهل الإسْلَامِ فَلاَ تُعْبَدْ بعْدُ في الأرْض أبداً» فما زال يستغيث بربّه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردّه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا رسول الله كفاك[(١)] مناشدتك ربّك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[(٢)] [الأنفال: ٩] وذكر تمام الحديث كما سيأتي. وقد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وغيرهم من حديث عكرمة بن عمّار اليماني، وصحّحه علي بن المديني والترمذي، وهكذا قال غير واحد عن ابن عبّاس والسدّي وابن جرير وغيرهم، إن هذه الآية نزلت في دعاء النبيّ ﷺ يوم بدر، وقد ذكر الأموي وغيره أن المسلمين عجوا إلى الله عزّ وجلّ في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به، وقوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي ردفاً لكم ومدداً لفئتكم، رواه العوفي عن ابن عبّاس. وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرَّحمٰن بن زيد وغيرهم. وقال أبو كُدينة عن قابوس عن ابن عبّاس: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ وراء كل ملك ملك. وفي رواية عنه بهذا الإسناد ﴿مُرْدِفِينَ﴾ بعضهم على أثر بعض، وكذا قال أبو ظبيان والضحّاك وقتادة. وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عبّاس قال: وأمدّ الله نبيّه والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة، وهذا هو المشهور. ولكن قال ابن جرير: حدَّثني المثنى حدّثنا إسحاق ثنا يعقوب بن محمّد الزهري، حدَّثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي، عن أبي الحويرث، عن محمّد بن جُبَيْر، عن عليّ. قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة على ميمنة النبيّ ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة على مَيْسرة النبيّ ﷺ وأنا في الميسرة. ورواه البيهقي في الدلائل من حديث محمّد بن جبير عن عليّ فزاد: ونزل إسرافيل في ألف من الملائكة، وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة، وهذا غريب، وفي إسناده ضعف، ولو صحّ لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال، ويؤيدها قراءة من قرأ ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾ بفتح الدال والله أعلم.

---

(١) في الحلبية: كذلك، وفي المصرية: كفاك، والتصحيح من إنسان العيون.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٥٨، وأبو داود في الجهاد باب ١٣١، والترمذي في تفسير القرآن باب ٩، من سورة الأنفال، وأحمد في المسند ١/ ٣٠، ٣١.

وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، ثنا محمّد بن سنان القزاز، ثنا عُبَيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي، حدّثنا عُبَيد الله بن عبد الرَّحمٰن بن موهب، أخبرني إسماعيل بن عوف بن عبد الله بن أبي رافع، عن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» لا يزيد عليها، فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، فذهبت إلى القتال ثم جئت، وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، حتى فتح الله على يده. وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن بندار، عن عُبَيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي. وقال الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود. قال: ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمّد ﷺ يوم بدر، جعل يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذه العصَابَةُ لاَ تُعْبَدْ» ثم التفت وكأن شق وجهه القمر. وقال: «كَأنِّي أَنْظُرُ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ عَشِيَّةً» رواه النسائي من حديث الأعمش به، وقال: لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له، أشدّ مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره. وقد ثبت إخباره عليه السلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر في صحيح مسلم، عن أنس بن مالك كما تقدّم، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطّاب. ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الوقعة، وهو مناسب، وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدلّ على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم، ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يخبر به قبل بيوم وأكثر، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الوقعة، والله أعلم. وقد روى البخاري من طرق عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، أن النبيّ ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ. اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ أَبَداً» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربّك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[1] [القمر: ٤٥ ـ ٤٦] وهذه الآية مكيّة، وقد جاء تصديقها يوم بدر، كما رواه ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حمّاد عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال عمر: أي جمع يهزم وأي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [فعرفت تأويلها يومئذ، وروى البخاري من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول: نزل على محمّد بمكّة ـ وإني لجارية ألعب ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾][عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه][2][3].

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٥، سورة القمر؛ والجهاد باب ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب ٥٤، سورة اقتربت الساعة.

(٣) سقط في أ والمثبت من ط.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلَكْ هَذِهِ العِصَابَةُ اليَوْمَ لاَ تُعْبَدْ» وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربّك فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خفق[١] النبيّ ﷺ [خفقة] وهو في العريش ثم انتبه، فقال: «أَبْشِرْ يا أَبَا بَكرٍ أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ عَلى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ» يعني الغبار. قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم. وقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يُقَاتِلُهُمْ اليَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ» قال عُمَير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء؟ قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم بن سليمان عن ثابت، عن أنس. قال: بعث رسول الله ﷺ بسبساً عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري، وغير النبيّ ﷺ قال: لا أدري ما استثنى من بعض نسائه، قال: فحدّثه الحديث. قال: فخرج رسول الله فتكلّم فقال: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة قال: «لاَ إلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً» وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم!» قال: بخ بخ؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِ بَخٍ بَخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلاّ رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل رحمه الله[٢].

ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة به، وقد ذكر ابن جرير أن عميراً قاتل وهو يقول رضي الله عنه: [الرجز]

رَكْضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ ... إلاَّ التُّقَى وَعَمَلَ المَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الجِهَادِ ... وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى والبِرِ والرَّشَادِ

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حجّاج، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن عليّ. قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها[٣]، وأصابنا بها

(١) خفق: نام نوماً سريعاً.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة حديث ١٤٥، وأحمد في المسند ١/١٣٦، ١٣٧.

(٣) اجتوينا: أصابنا الجوى، وهو المرض والتعب والإرهاق، وقد أصاب بعض الصحابة مرض من جو المدينة بعد الهجرة، وأن الرسول ﷺ دعا للمدينة وأهلها.

وعك، وكان رسول الله ﷺ يتحيز عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين، رجلاً من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشيّ فانفلت، وأما المولى فوجدناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «كم القوْمُ؟» قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم. فجهد النبيّ ﷺ أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبيّ ﷺ سأله: «كم ينحرون من الجزر؟» فقال: عشراً كل يوم. فقال النبيّ ﷺ: «القوْمُ ألفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لمائةٍ وَتبعَهَا»[1] ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويقول: «اللَّهُمَّ إنَك إنْ تُهلكْ هذِهِ الفئة لاَ تُعبدْ» فلما طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلّى بنا رسول الله ﷺ وحرّض على القتال ثم قال: «إنَ جمْع قُريْشٍ تَحْتَ هذه الضِّلْعِ الحمْراءِ من الجبل» فلما دنا القوم منّا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا عَلي نَاد حمْزة» وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر، فجاء حمزة فقال: هو عُتْبة بن ربيعة، وهو ينهي عن القتال ويقول لهم: يا قوم أعصبوها برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك، والله لو غيرك يقوله لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعباً. فقال: إياي تعيّر يا مصفرّ استه؟ سيعلم اليوم أينا الجبان، فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار مشببة فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمّنا من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا حمْزةُ. وقُمْ يا عليّ، وقُمْ يا عُبيْدةُ بْنُ الحارث بْن المُطَّلب» فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عُبَيْدة فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، وجاء رجل من الأنصار بالعبّاس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العبّاس: يا رسول الله، والله إن هذا ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن [الناس][2] وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسْكُتْ، فقدْ أيدكَ اللهُ بِملكٍ كرِيم» قال: فأسرنا من بني عبد المطلب العبّاس وعقيلاً ونوفل بن الحارث، هذا سياق حَسَن، وفيه شواهد لما تقدّم ولما سيأتي. وقد تفرّد بطوله الإمام أحمد[3]. وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به، ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرّض الناس على القتال، والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً، كما قال الله تعالى آمراً لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]الآية.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٧.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٧.

وقال الأموي: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق قال: قال الأوزاعي: كان يقال قلّما ثبت قوم قياماً، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو يغضّ طرفه ويذكر الله، رجوت أن يسلم من الرياء. وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعني أصحاب النبيّ ﷺ - جثياً على الركب كأنهم حرس يتلمّظون[١] كما تتلمّظ الحيات - أو قال الأفاعي -. قال الأموي في مغازيه: وقد كان النبيّ ﷺ حين حرّض المسلمين على القتال قد نفل كل امرىء ما أصاب. وقال: «وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا يُقاتِلُهُمُ اليَوْمَ رَجُلٌ [فَيُقْتَل] صابراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إلاّ أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنَّةَ» وذكر قصّة عمير بن الحمام كما تقدم، وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه، وكذلك أبو بكر الصدّيق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرّع، ثم نزلا فحرّضا وحثّا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين. قال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن عليّ قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً[٢]. ورواه النسائي من حديث أبي إسحاق عن حارثة عن علي قال: كنا إذا حمي البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا مسعر عن أبي عون، عن أبي صالح الحنفي، عن علي. قال: قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال: يشهد الصف[٣] - وهذا يشبه ما تقدّم من الحديث، أن أبا بكر كان في الميمنة، ولمّا تنزل الملائكة يوم بدر تنزيلاً كان جبريل على أحد المجنّبتين في خمسمائة من الملائكة، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكر الصدّيق، وكان ميكائيل على المجنبة الأخرى في خمسمائة من الملائكة، فوقفوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها [وفي حديث رواه أبو يعلى من طريق محمّد بن جُبَيْر بن مطعم عن عليّ. قال: كنت أسبح على القليب يوم بدر فجاءت ريح شديدة، ثم أخرى، ثم أخرى، فنزل ميكائيل في ألف من الملائكة، فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر، وإسرافيل في ألف في الميسرة وأنا فيها، وجبريل في ألف قال: ولقد طفت يومئذ حتى بلغ إبطي][٤] وقد ذكر صاحب العقد وغيره أن أفخر بيت قالته العرب قول حسّان بن ثابت: [الكامل]

وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَكُفُّ مَطِيَّهُمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

وقد قال البخاريّ: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا جرير عن يحيى بن سعيد، عن

---

(١) تلمظ: حرك لسانه فمسح شفتيه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٨٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/١٤٧.

(٤) ما بين المعقوفين سقط في أ والمثبت من ط.

معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[١]. انفرد به البخاري. وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢] وفي صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمّار عن أبي زميل: حدَّثني ابن عبّاس. قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو خُطِم[٢] وشق وجهه بضربة السوط وحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث ذاك رسول الله ﷺ فقال: «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين[٣].

قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر بن حزم عمّن حدَّثه عن ابن عبّاس، عن رجل من بني غفار. قال: حضرت أنا وابن عم لي بدراً، ونحن على شِرْكنا، وإنا لفي جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل، سمعنا منها حَمْحَمَة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا لكدت أن أهلك، ثم انتعشت بعد ذلك. وقال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ـ وكان شهد بدراً ـ قال ـ بعد أن ذهب بصره ـ لو كنت اليوم ببدر ومعي بَصَري لأريتكم الشِّعْب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى. فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢]، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه، فيقول له: أبشروا فإنهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم.

وقال الواقدي: حدَّثني ابن أَبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عبّاس. قال: كان الملك يتصوّر في صورة من يعرفون، فيقول: إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء إلى غير ذلك من القول، فذلك قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢] الآية. ولما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون، وهو في صورة سراقة، وأقبل أبو جهل يحرّض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على موعد من محمّد واصحابه، ثم قال: واللات والعزّى لا نرجع حتى نفرّق محمّداً وأصحابه في الجبال، فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً وروى البيهقي من طريق سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال أبو أسيد ـ بعدما ذهب

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١١.
(٢) خطم: ضرب أنفه.
(٣) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٥٨.

بصره - يا ابن أخي والله لو كنت أنا وأنت ببدر، ثم أطلق الله بصري، لأريتك الشِّعَب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شكّ، ولا تمار وروى البخاري عن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهّاب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «هٰذا جِبْرِيلُ آخذٌ بِرَأسِ فَرَسه وَعَلَيْه أَدَاةُ الحَرْب»[١].

وقال الواقدي: حدّثنا ابن أَبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، وأَخبرني موسى بن محمّد بن إبراهيم التيمي عن أبيه، وحدّثني عابد بن يحيى عن أبي الحويرث، عن عُمارة بن أكيمة الليثي، عن عكرمة، عن حكيم بن حزام، قالوا: لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول: «اللّٰهمّ إنْ ظَهرُوا عَلَى هٰذه العصابة ظهر الشِّرْكُ ولا يقومُ لكَ دينٌ» وأبو بكر يقول: والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك، فأنزل الله ألفاً من الملائكة مردفين عند اكتناف العدو. قال رسول الله ﷺ: «أبْشرْ يا أبا بكْرٍ هذا جبْريلُ مُعتجرٌ[٢] بعمامةٍ صفراء، آخذٌ بعنانِ فَرَسه بيْنَ السّماء وَالأرْض، فلمّا نزلَ إلى الأرْض تغيّب عنّي ساعةً ثُمّ طلع، وعلى ثناياهُ النَّقْعُ[٣] يقولُ أتاكَ نصْرُ اللّه إذْ دعوْتَهُ». وروى البيهقي عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه. قال: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وأن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال ابن إسحاق: حدّثني والدي حدّثني رجال من بني مازن عن أَبي واقد الليثي قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله[٤].

وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد اللّه التيمي، عن الربيع بن أنس. قال: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار وقد أحرق به.

وقال ابن إسحاق: حدّثني من لا أتهم، عن مِقسم عن ابن عبّاس. قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض، قد أرخوها على ظهورهم، إلاّ جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء. وقد قال ابن عبّاس لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون. وقال الواقدي: حدّثني عبد اللّه بن موسى بن أَبي أمية، عن مصعب بن عبد اللّه، عن مولى لسهيل بن عمرو: سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١١، ١٧.

(٢) اعتجر: لف عمامته.

(٣) النقع: ما اجتمع فيها من الماء.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٥٠.

معلّمين يقتلون ويأسرون. وكان أبو أُسَيد يحدِّث بعد أن ذهب بصره. قال: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري، لأريتكم الشّعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري.

قال: وحدّثني خارجة بن إبراهيم عن أبيه. قال قال رسول الله ﷺ لجبريل: «مَنِ القَائِلُ يَوْم بَدْرٍ مِنَ المَلائِكَةِ أَقْدِمْ حَيْزُومُ؟» فقال جبريل: يا محمّد ما كل أهل السماء أعرف.

قلت: وهذا الأثر مرسل، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل، كما قاله السهيلي وغيره والله أعلم. وقال الواقدي: حدّثني إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب، عن أبيه قال: فما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها قد رأيتها يوم بدر. وحدّثني محمّد بن يحيى عن أبي عقيل، عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة أرؤوس فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً [قتله] فأخذت رأسه. فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ فُلانٌ مِنَ المَلائِكَةِ» وحدّثني موسى بن محمّد بن إبراهيم عن أبيه. قال: كان السائب بن أبي حُبَيش يحدّث في زمن عمر يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ يقول لما انهزمت قريش انهزمت معها، فأدركني رجل أشعر طويل على فرس أبيض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرّحمٰن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر: مَنْ أسر هذا؟ حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال: من أسرك؟ قلت: لا أعرفه! وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: «أسرك مَلَكٌ مِن المَلائِكَة» اذهب يا ابن عوف بأسيرك. وقال الواقدي: حدّثني عابد بن يحيى، حدّثنا أبو الحويرث عن عمارة بن أكيمة، عن حكيم بن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بجاد(١) من السماء قد سد الأفق، فإذا الوادي يسيل نهلاً، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء، أيّد به محمّد، فما كانت إلاّ الهزيمة ولقيّ الملائكة [وقال إسحاق بن راهويه: حدّثنا وهب بن جرير بن حازم، حدّثني أبي عن محمّد بن إسحاق، حدّثني أبي عن جبير بن مطعم. قال: رأيت قبل هزيمة القوم ـ والناس يقتتلون ـ مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم](٢) ولما تنزلت الملائكة للنصر، ورآهم رسول الله ﷺ حين أغفى إغفاءة ثم استيقظ، وبشّر بذلك أبا بكر وقال: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ يَقُودُ فَرَسَهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ» يعني من المعركة، ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع فجعل يحرّض على القتال، ويبشّر الناس بالجنّة، ويشجعهم بنزول الملائكة، والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم، حصل لهم السكينة والطمأنينة، وقد حصل النعاس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والإيمان، كما قال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١] وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس في

(١) البجاد: الكساء.

(٢) ما بين المعقوفين لم يرد في المصرية.

المصاف من الإيمان، والنعاس في الصلاة من النفاق. وقال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن هارون، ثنا محمّد بن إسحاق، حدّثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال ـ حين التقى القوم ـ اللهم أقطعنا للرّحم، وآتانا بما لا نعرف فأحنه[(١)] الغداة. فكان هو المستفتح[(٢)]، وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة، ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضاً، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الأموي: حدّثنا أسباط بن محمّد القرشي عن عطية، عن مطرف في قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ قال قال أبو جهل: اللهمّ [أعن] أعز الفئتين، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين. فنزلت: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] قال أقبلت عير أهل مكة تريد الشام، فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا، ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكّة فأسرعوا إليها لكيلا يغلب عليها النبيّ ﷺ وأصحابه، فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا العير، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم. فنزل النبيّ ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء رملة دعصة[(٣)] فأصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوسهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذا! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان، فصار الرمل لبداً، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأيّد الله نبيّه والمؤمنين بألف من الملائكة. فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وجاء إبليس في جند من الشياطين ومعه ذريته، وهم في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، وقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم فلما اصطف الناس قال أبو جهل: اللهمّ أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «يَا رَبِّ إِنْ تَهْلَكْ هَذِهِ العِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الأَرْضِ أَبَداً» . فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلاّ وأصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولّوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه ـ وكانت يده في يد رجل من المشركين ـ انتزع إبليس يده، ثم ولّى مدبراً وشيعته،

---

(١) أحنه: أهلكه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٣١، وفيه فأحنه الفداء، بدل: فأحنه الغداة.

(٣) دعصة: حافة وشديدة الحر.

فقال الرجل: يا سراقة أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب، وذلك حين رأى الملائكة، رواه البيهقي في الدلائل.

[وقال الطبراني: حدّثنا مسعدة بن سعد العطّار، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا عبد العزيز بن عمران، ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري، عن رفاعة بن رافع. قال: لما رأى إبليس ما فعل الملائكة بالمشركين يوم بدر، أشفق أن يخلص إليه، فتشبث به الحارث بن هشام، وهو يظن أنه سراقة بن مالك، فوكز في صدر الحارث، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر، ورفع يديه فقال: اللّهمّ إني أسألك نظرتك إياي، وخاف أن يخلص القتل إليه. وأقبل أبو جهل فقال: يا معشر الناس لا يهولنّكم خذلان سراقة بن مالك، فإنه كان على ميعاد من محمّد، ولا يهولنّكم قتل شيبة وعتبة والوليد، فإنهم قد عجّلوا، فوللات والعزى لا نرجع حتى نفرّقهم بالجبال، فلا ألفينّ رجلاً منكم قتل رجلاً، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللاّت والعزى. ثم قال أبو جهل متمثلاً: [الرجز]

مَا تَنْقَمُ الحَرْبُ الشَّمُوسُ مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّي

لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي][1]

وروى الواقدي عن موسى بن يعقوب الزمعي عن أَبي بكر بن أَبي سليمان، عن أَبي حثمة: سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر، فجعل الشيخ يكره ذلك، فألحّ عليه فقال حكيم: التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست، وقبض النبيّ ﷺ القبضة من التراب فرمى بها فانهزمنا، قال الواقدي: وحدّثنا إسحاق بن محمّد بن عبد الرّحمٰن بن محمّد بن عبد اللّه عن عبد اللّه بن ثعلبة بن صُعير سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطاس في أفئدتنا ومن خلفنا، وكان ذلك من أشد الرعب علينا.

وقال الأموي: حدّثنا أبي، ثنا ابن أَبي إسحاق، حدّثني الزهري، عن عبد اللّه بن ثعلبة بن صُعَير، أن أبا جهل حين التقى القوم قال: اللهم اقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة. فكان هو المستفتح. فبينما هم على تلك الحال، وقد شجّع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقلّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش، ثم انتبه فقال: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعَمَامَتِهِ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ، أَتَاكَ نَصْرُ اللّهِ وَعُدَّتُهُ» وأمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى بيده، ثم خرج فاستقبل القوم فقال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ» ثم نفحهم بها، ثم قال لأصحابه: «احْمِلُوا فَلَمْ تَكُنْ إلاّ الهَزِيمَةُ» فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم. وقال زياد عن ابن إسحاق، ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها

(١) ما بين المعقوفين سقط من المصرية.

قريشاً، ثم قال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ» ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: «شُدُّوا» فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم. وقال السدّي الكبير: قال رسول الله ﷺ لعلي يوم بدر: «أَعْطِني حَصْباءَ مِنَ الأَرْضِ» فناوله حصباء عليها تراب، فرمى به في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلاّ دخل في عينيه من ذلك التراب شيء، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وأنزل الله في ذلك ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمّد بن كعب ومحمّد بن قيس وقتادة وابن زيد وغيرهم: إن هذه الآية نزلت في ذلك، يوم بدر، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه، إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما حرّض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش، ومعهم السيوف خيفة أن تكر راجعة من المشركين إلى النبيّ ﷺ. قال ابن إسحاق: ولما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: «كَأَنّي بِكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ ما يَصْنَعُ القَوْمُ؟» قال: أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الاثخان[1] في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال.

قال ابن إسحاق: وحدّثني العبّاس بن عبد اللّه بن مَعْبَد عن بعض أهله عن عبد اللّه ابن عبّاس: أن النبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إِنّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجالاً مِنْ بَنِي هَاشِم وَغيرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كَرْهاً، لاَ حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحداً مِنْ بَنِي هَاشِم فَلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا البَخْتَري بْن هِشَام بْنِ الحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلاَ يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بْن عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَلاَ يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّما خَرَجَ مُسْتَكْرَهاً»، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتُل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العبّاس، والله لئن لقيتُه لألْحِمَنَّه[2] بالسيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر: «يَا أَبَا حَفْصٍ» قال عمر: والله إنه لأوّل يوم كنّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حَفْص، «أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمّ رَسُولِ اللّهِ بِالسَّيفِ؟» فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عُنُقَه بالسيف، فوالله لقد نَافَق. فقال أبو حذيفة: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفّرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه.

مقتل أَبي البختري بن هشام

قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أَبي البَخْتري لأنه كان أكفّ القوم

---

(١) الإثخان: المبالغة في قتل الأعداء.

(٢) لألحمنه: أي لأطعنن لحمه بالسيف، ولأخالطنه به.

عن رسول الله ﷺ وهو بمكّة. كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة، فلقيه المجذّر بن ذِياد البلويّ حليف الأنصار، فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك، ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة، وهو جُنَادة بن مُلَيْحة وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلاّ بك وحدك، قال: لا والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعاً، لا يتحدث عني نساء قريش بمكّة، أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. وقال أبو البَخْتَرِيّ وهو ينازل المجذّر: [الرجز]

لَنْ يَتْرُكَ[1] ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهْ ... حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهْ

قال فاقتتلا فقتله المجذّر بن ذياد وقال في ذلك: [الرجز]

إِمَّا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي ... فَأَثْبِتِ النِّسْبَةَ إِنِّي مِنْ بَلِي
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزَنِي[2] ... وَالطَّاعِنِينَ[3] الكَبْشَ حَتَّى يَنْحَنِي
بَشِّرْ بِيُتْمٍ مَنْ أَبُوهُ الْبَخْتَرِي ... أَوْ بَشِّرَنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَلِي ... أَطْعَنُ بِالصَّعْدَةِ[4] حَتَّى تَنْثَنِي
وَأَعْبِطُ الْقِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرَفِيّ ... أَرْزِمُ لِلْمَوْتِ كَإِرْزَامِ الْمَرِي[5]
فَلاَ يُرَى مُجَذَّراً يَفْرِي فَرِي[6]

ثم أتى المجذّر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى ألاّ أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته.

فصل في مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرّحمٰن بن عوف. قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكّة، وكان اسمي عبد عمرو فتسمّيت حين أسلمت عبد الرّحمٰن، فكان يلقاني ونحن بمكّة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سمّاكه أبوك؟ قال: فأقول: نعم! قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا

(١) وفي ابن هشام: لن يسلم ابن حرة زميله.
(٢) اليزني: صفة للرماح.
(٣) وفي ابن هشام: والضاربين.
(٤) الصعدة: عصا الرمح؛ ثم سمي الرمح: صعدة.
(٥) اعبط: اقتل، والقرن: المقاوم في الحرب، والعضب: السيف القاطع، والمشرفي منسوبة إلى المشارف وهي قرى بالشام، وأرزم أحنّ. والمري: قيل: الناقة الغزيرة اللبن.
(٦) يقال فرى يفري فرياً، إذا أتى بأمر عجيب.

فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله، قال: قلت: نعم! قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فأتحدّث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ، وهو آخذ بيده، قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها فلما رآني. قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله فقلت: نعم! قال: هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك، قال: قلت: نعم ها الله، قال: فطرحت الأدراع من يدي، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أمشي بهما. قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه عن عبد الرّحمٰن بن عوف. قال: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما: يا عبد الإله مَنْ الرجل منكم المعلّم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: حمزة، قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرّحمٰن: فوالله لأني لأقودهما إذ رآه بلال معي ـ وكان هو الذي يعذّب بلالاً بمكّة على الإسلام ـ فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: قلت: أي بلال أسيريّ، قال: لا نجوت إن نجا، قال: ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة[1] فأنا أذبّ عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قال: قلت: انج بنفسك ولا نجّاء، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرّحمٰن يقول: يرحم الله بلالاً فجعني بأدراعي وبأسيريّ. وهكذا رواه البخاري في صحيحه قريباً من هذا السياق، فقال في الوكالة حدّثنا عبد العزيز ـ هو ابن عبد اللّه ـ حدّثنا يوسف ـ هو ابن الماجشون ـ عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرّحمٰن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرّحمٰن بن عوف، قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[2] بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بَدْر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس [من] الأنصار فقال: أمية بن خلف؟! لا نجوت إن نجا أمية بن خلف، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلّفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخلّلوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، فكان عبد الرّحمٰن بن عوف يرينا ذلك في ظهر قدمه[3]. سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه. تفرّد به البخاري من بينهم كلّهم. وفي مسند رفاعة بن رافع أنه هو الذي قتل أمية بن خلف.

---

(١) المسكة بالتحريك السوار: أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا (عن النهاية).
(٢) الصاغية: خاصة الإنسان والمائلون إليه.
(٣) أخرجه البخاري في الوكالة باب ٢.

مقتل أَبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام: وأقبل أَبو جهل يومئذ يَرْتجز ويقول: [الرجز]

مَا تَنْقِمُ الحَرْبُ العَوَانُ[١] مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّي
لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوّه، أمر بأَبي جهل أن يُلتمس في القتلى، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدَّثني ثور بن زيد عن عكرمة، عن ابن عبّاس، وعبد اللّه بن أَبي بكر أيضاً قد حدَّثني ذلك قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح، أخو بني سلمة، سمعت القوم وأَبو جهل في مثل الحَرَجة[٢] وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخلص إليه، فلما سمعتها جعلتُه من شأني، فصَمَدت[٣] نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه[٤] بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت[٥] إلاّ بالنواة تطيح من تحت مِرْضخة[٦] النوى حين يضرب بها، قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلّقت بجلدة من جَنْبي، واجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها. قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان. ثم مرّ بأَبي جهل ـ وهو عقير ـ مُعَوّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته، وتركه وبه رمق. وقاتل مُعَوّذ حتى قتل، فمر عبد اللّه بن مسعود بأَبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ: «أنْظُروا إنْ خَفِي عليْكُمْ فِي القَتْلَى إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ فِي رُكْبَتِهِ، فَإِنِّي ازْدَحَمْتُ أَنَا وَهُوَ يَوْماً على مأْدُبَةٍ لِعَبْد الله بْنِ جدْعَان، وَنَحْنُ غُلامَانِ، وَكُنْتُ أَشَفَّ مِنْهُ بِيَسِيرٍ، فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجُحِشَ فِي أَحدِهِمَا جَحْشاً لَمْ يَزَلْ أَثَرُهُ بِهِ». قال ابن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، قال وقد كان ضبث بي[٧] مرّة بمكّة فآذاني ولكزني ثم قلت له: هل أَخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ قال: أَعْمَدُ من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول قال لي: لقد ارتقيتَ مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، قال: ثم احتزت رأسه، ثم جئت به رسول الله ﷺ

---

(١) العوان: الحرب الطامنة.

(٢) الحرجة الشجر الملتف، وفي الحديث عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أنه سأل أعرابياً عن الحرجة فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها.

(٣) أي قصدت.

(٤) أطنت قدمه: أطارتها.

(٥) طاحت: تاهت في الهواء.

(٦) المرضخة: التي يدق بها النوى للعلف.

(٧) ضبث: قبض عليه ولزمه. عن ابن هشام.

فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله. فقال: «آللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ؟» وكانت يمين رسول الله ﷺ فقلت: نعم! والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله. هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله. وقد ثبت في الصحيحين من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرَّحمٰن بن عوف، عن أبيه، عن عبد الرَّحمٰن بن عوف. قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت، الأعجل منّا فتعجبّت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي أيضاً مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبيّ ﷺ فأخبراه فقال: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ». قال: كلّ منهما أنا قتلته. قال: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قالا: لا. قال: فنظر النبيّ ﷺ في السيفين فقال: «كِلاَهُمَا قَتَلَهُ» وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح - والآخر معاذ ابن عفراء[(١)]. وقال البخاري: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن جده. قال: قال عبد الرَّحمٰن: إني لفي الصفّ يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيت أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرّني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه فشدّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء[(٢)]. وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَنْظُرْ مَاذَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ» قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: فأخذ بلحيته قال: فقلت: أنت أبو جهل؟ فقال: وهو فوق رجل قتلتموه - أو قال قتله قومه[(٣)] - وعند البخاري عن أبي أسامة عن إسماعيل بن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزاك الله؟ فقال: هل أعمد من رجل قتلتموه؟ وقال الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد اللّه قال: انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة، ومعه سيف جيد، ومعي سيف رديء فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفاً كان ينقف رأسي بمكة حتى ضعفت يده[(٤)] فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألست

---

(١) أخرجه البخاري في الخمس باب ١٨، ومسلم في الجهاد والسير حديث ٤٢، وأحمد في المسند ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨، ومسلم في الجهاد حديث ١١٨، وأحمد في المسند ٣/ ١١٥.

(٤) في المصرية: صفقت يده.

رويعينا بمكة؟ قال: فقتلته، ثم أتيت النبيّ ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل، فقال: «آللّه الذي لا إله إلاّ هو؟» فاستحلفني ثلاث مرات، ثم قام معي إليهم فدعا عليهم.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال عبد اللّه: انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر، وقد ضربت رجله، وهو يذبّ الناس عنه بسيف له، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك الله يا عدوّ الله. قال: هل هو إلاّ رجل قتله قومه، فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل، فأصبت يده فندر[1] سيفه، فأخذته فضربته حتى قتلته، قال: ثم خرجت حتى أتيت النبيّ ﷺ كأنما أقل من الأرض[2] فأخبرته فقال: «آللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ أَلاَّ هُوَ؟» فردّدها ثلاثاً، قال: قلت: آللّه الذي لا إله إلا هو، قال: فخرج يمشي معي حتى قام عليه، فقال: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، هَذَا كَانَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ[3]» وفي رواية أخرى قال ابن مسعود: فنفلني[4] سيفه. وقال أبو إسحاق الفزاري عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت: قد قتلت أبا جهل فقال: «آللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ؟» فقلت: آللّه الذي لا إله إلاّ هو مرتين ـ أو ثلاثاً ـ قال: فقال النبيّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثم قال: «انْطَلِقْ فَأَرِنِيهِ» فانطلقت فأريته فقال: «هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[5]. ورواه أبو داود والنسائي من حديث أبي إسحاق السبيعي به.

وقال الواقدي: وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال: «رَحِمَ اللَّهُ ابْنَيْ عفراءَ فَهُمَا شُرَكَاءُ فِي قَتْلِ فِرْعَوْنِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ» فقيل: يا رسول الله، ومن قتله معهما؟ قال: «المَلاَئِكَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ شَرَكَ فِي قَتْلِهِ» رواه البيهقي.

[وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر، عن أبي إسحاق قال: لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل، استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلاّ هو، لقد رأيته قتيلاً؟ فحلف له فخرّ رسول الله ﷺ ساجداً][6].

ثم روى البيهقي من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء ـ امرأة من بني أسد ـ عن عبد اللّه بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ صلّى ركعتين حين بشّر بالفتح، وحين جيء برأس أبي جهل.

وقال ابن ماجه: حدّثنا أبو بشر بكر بن خلف، حدّثنا سلمة بن رجاء قال: حدثتني

---

(١) ندر أي سقط.
(٢) أي أحمل من شدة الفرح.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٤٤.
(٤) نفلني: أعطاني.
(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٥٠، وأحمد في المسند ١/ ٤٤٤.
(٦) ما بين المعقوفين سقط في أ والمثبت من ط.

شعثاء عن عبد اللّه بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ صلّى يوم بشر برأس أبي جهل ركعتين[١].

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثنا أبي، حدّثنا هشام، أخبرنا مجالد عن الشعبي: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني مررت ببدر، فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ يُعَذَّبُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». وقال الأموي في مغازيه: سمعت أبي ثنا المجالد بن سعيد عن عامر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت رجلاً جالساً في بدر، ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «ذاكَ أَبو جَهْلٍ، وُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يَفْعَلُ بِهِ كُلَّمَا خَرَجَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» وقال البخاري: حدّثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عُبَيْدة بن سعيد بن العاص وهو مدجّج لا يرى منه إلاّ عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بعنزة[٢] فطعنته في عينه، فمات. قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطّيت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها، قال عروة: فسأله إيّاها رسول الله ﷺ فأعطاه إيّاها، فلمّا قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر، فأعطاه إيّاها، فما قبض أبو بكر سألها إيّاه عمر بن الخطاب، فأعطاه إيّاها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إيّاها، فلما قتل عثمان، وقعت عند آل عليّ فطلبها عبد اللّه بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل[٣]. وقال ابن هشام: حدّثني أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم بالمغازي، أن عمر بن الخطّاب قال لسعيد بن العاص ـ ومرّ به ـ: إني أراك كأن في نفسك شيئاً، أراك تظنّ أني قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأمّا أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقة[٤]، فحدت عنه[٥]، وقصد له ابن عمّه علي فقتله.

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن مِحْصَن بن حُرثان الأسديّ، حليف بني عبد شَمْس يوم بدر بسيفه، حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً[٦] من حطب، فقال: «قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَاشَةُ» فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف

---

(١) أخرجه ابن ماجة في الإقامة باب ١٩٢.

(٢) عنزة: عصا لها زج في أسفلها.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢.

(٤) الروق: القرن.

(٥) حدت: عدلت عنه.

(٦) الجذل: أصل الشجرة.

يسمّى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طُلَيْحة الأسدي أيام الردّة، وأنشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله: [الطويل]

عَشِيَّةَ غَادَرْتُ ابْنَ أَقْرَمَ ثَاوِيَا وَعُكَّاشَةَ الغَنْمِيّ عِنْدَ مَجَالِ[1]

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه. قال ابن إسحاق: وعكاشة هو الذي قال حين بشّر رسول الله ﷺ أمته بسبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب، ادع الله أن يجعلني منهم قال: «اللّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»[2] وهذا الحديث مخرج في الصحاح والحسان وغيرهما. قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني -: «مِنَّا خَيْرُ فَارِسٍ فِي العَرَبِ» قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ» فقال ضرار بن الأزور: وذاك رجل منا يا رسول الله؟، قال: «ليس منكم، ولكنه منا للحلف». وقد روى البيهقي عن الحاكم من طريق محمّد بن عمر الواقدي، حدّثني عمر بن عثمان الخشني عن أبيه، عن عمّته قالت: قال عُكاشة بن محصن: انقطع سيفي يوم بدر، فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً، فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك. وقال الواقدي وحدّثني أسامة بن زيد عن داود بن الحُصَين عن رجال من بني عبد الأشْهَل عِدَّة قالوا: انكسر سيف سَلَمَة بن حريش يوم بدر، فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عَرَاجين ابن طاب[3] فقال: اضرب به! فإذا سيف جيّد، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جِسر أَبي عُبَيْدة.

رَدّه عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو سعد الماليني، أَخبرنا أَبو أحمد بن عدي، حدّثنا أَبو يعلى، حدّثنا يحيى الحماني، ثنا عبد العزيز بن سليمان بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جدّه قتادة بن النعمان، أنه أُصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لاَ» فدعاه فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيب. وفي رواية فكانت أحسن عينيه. وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك: [الطويل]

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَيُّمَا رَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن، فأنشده عمر في موضعه حقاً: [البسيط]

---

(١) ابن أقرم: هو ثابت بن أقرم الأنصاري كما في ابن هشام. وثاوياً: مقيماً.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٥٠، ومسلم في الإيمان حديث ٣٦٧، وأحمد في المسند ٢/٤٥٦.

(٣) العراجين: ج عرجون وهو العذق إذا يبس واعوج. وابن طاب: ضرب من الرطب وعذق ابن طاب: نخل بالمدينة.

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لاَ قُعْبَانُ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

[فصل في][(١)] قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمّد بن صالح، أخبرنا الفضل ابن محمّد الشعراني، حدّثنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا عبد العزيز بن عمران، حدّثني رفاعة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه رافع ابن مالك. قال: لما كان يوم بدر تجمّع الناس على أُبَيّ بن خلف، فأقبلت إليه، فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فطعنته بالسيف فيها طعنة، ورُميت بسهم يوم بدر، ففُقِئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما أذاني منها شيء. وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيّد ولم يخرجوه. ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر. قال ابن هشام، ونادى أبو بكر ابنه عبد الرّحمٰن، وهو يومئذ مع المشركين لم يسلم بعد، فقال: أين مالي يا خبيث، فقال عبد الرّحمٰن: [الرجز]

لَمْ يَبْقَ إِلاَّ شِكَّةٌ[(٢)] وَيَعْبُوبٌ[(٣)] ... وَصَارِمٌ يَقْتُلُ ضُلاَّلَ الشِّيبِ

يعني لم يبق إلاّ عدّة الحرب، وحصان وهو اليعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره. وقد روينا في مغازي الأموي أن رسول الله ﷺ جعل يمشي هو وأبو بكر الصدّيق بين القتلى، ورسول الله ﷺ يقول: «نُفَلِّقُ هَاماً» فيقول الصدّيق: [الطويل]

مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطْرحوا في القَليب، طرحوا فيه إلاّ ما كان من أميّة بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليخرجوه فتزايل [لحمه][(٤)] فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القَليب وقف عليهم فقال: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقاً، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقاً» قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلّم قوماً موتى؟ فقال: «لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ» قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال رسول الله ﷺ لقد علموا. قال ابن إسحاق: وحدّثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبيّ ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا أُمَيَّةَ بْنَ

---

(١) سقط من أ.

(٢) شكة: ما يحمل من السلاح.

(٣) يعبوب: الفرس السريع.

(٤) سقط في أ.

خلف، ويا أبا جهل بن هشام - فعدّد من كان منهم في القليب - هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فإنّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَني رَبِّي حقاً» فقال المسلمون: يا رسول الله ﷺ أتنادي قوماً قد جيّفوا[١]؟ فقال: «مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي»[٢] وقد رواه الإمام أحمد عن ابن أبي عدي، عن حميد عن أنس فذكر نحوه. وهذا على شرط الصحيحين[٣]. قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَهْلَ القليب بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيّ كُنتُمْ لِنَبِيِّكُمْ! كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النَّاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي ونصرني النَّاسُ؛ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حقاً، فَإنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حقاً».

قلت: وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوّله من الأحاديث، كما قد جمع ما كانت تتأوله من الأحاديث في جزء، وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالّة نصاً على خلاف ما ذهبت إليه رضي الله عنها وأرضاها. وقال البخاري: حدّثنا عبيد بن إسماعيل، حدّثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ذُكِر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبيّ ﷺ «أَنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ في قَبْرِه بِبُكَاءِ أَهْلِهِ»، فقالت: رحمه الله، إنما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِه، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الآنَ» قالت: وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال، قال: إنهم ليسمعون ما أقول، وإنما قال: إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢] تقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار[٤]. وقد رواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي أسامة به، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سنقرر ذلك في كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله. ثم قال البخاري: حدّثني عثمان، ثنا عبدة عن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر قال: وقف النبيّ ﷺ على قَلِيب بدر فقال: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً» ثم قال: «إِنَّهُمْ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ لَهُمْ» وذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبيّ ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ حتى قرأت الآية[٥]. وقد رواه مسلم عن أبي كريب، عن أبي أسامة. وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع، كلاهما عن هشام بن عروة. وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد سمع روح بن عبادة، ثنا سعيد بن

---

(١) جيفوا: أي صاروا جيفاً.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢١٩، ٢٢٠.

(٣) في ط: الشيخين.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨، ومسلم في الجنائز حديث ٢٦.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨، ومسلم في الجنائز حديث ٢٦.

أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة، أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذِفوا في طوى من أطواء بدر، خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة[(١)] ثلاث ليال، فلمّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشدّ عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلاّ لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي[(٢)] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يَا فُلاَنُ ابن فلان، ويا فلان بن فلان، يَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً»؟ فقال عمر: يا رسول الله ما تكلّم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال النبيّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»[(٣)].
قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً، وقد أخرجه بقيّة الجماعة إلاّ ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبي عروبة. ورواه الإمام أحمد[(٤)] عن يونس بن محمّد المؤدّب عن شيبان بن عبد الرَّحمٰن، عن قتادة قال: حدّث أنس بن مالك فذكر مثله. فلم يذكر أبا طلحة، وهذا إسناد صحيح، ولكن الأول أصحّ وأظهر والله أعلم.
وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، ثنا حماد عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جُيِّفوا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يا أَبَا جَهْلِ بْن هِشَام، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقاً» قال: فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث، وهل يسمعون؟ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ! وَلَكِنْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا»[(٥)]. ورواه مسلم عن هدبة بن خالد، عن حمّاد بن سلمة به. وقال ابن إسحاق، وقال حسّان بن ثابت: [الوافر]

عَرَفْتَ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ[(٦)] كَخَطِّ الوَحْيِ فِي الوَرَقِ القَشِيبِ[(٧)]
تَدَاوَلَهَا الرِّيَاحُ وَكُلُّ جَوْنٍ[(٨)] مِنَ الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقاً وَأَمْسَتْ يَبَاباً[(٩)] بَعْدَ سَاكِنِهَا الحَبِيبِ

---

(١) العرصة: كل بقعة ليس فيها بناء.
(٢) شفة الركي: أي طرف البئر.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨، ومسلم في الجنة حديث ٧٨، وأبو داود في الجهاد باب ١٣٢، والترمذي في السير باب ٣، وأحمد في المسند ٤/٢٩.
(٤) المسند ٤/٢٩.
(٥) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٧٧، وأحمد في المسند ٣/٢٨٧.
(٦) الكثيب: التل من الرمل.
(٧) القشيب: الجديد الأبيض.
(٨) جون: الأسود الذي تخالطه حمرة.
(٩) اليباب: الخراب.

فَـدَعْ عَـنْـكَ الـتَّـذَكُّـرَ كُـلَّ يَـوْمٍ وَرُدَّ حَـرَارَةَ الـقَـلْـبِ الـكَـئِـيـبِ[1]
وَخَـبِّـرْ بِـالَّـذِي لاَ عَـيْـبَ فِـيـهِ بِـصِـدْقٍ غَـيْـرِ إِخْـبَـارِ الـكَـذُوبِ
بِـمَـا صَـنَـعَ الـمَـلِـيـكُ غَـدَاةَ بَـدْرٍ لَـنَـا فِـي الـمُـشْـرِكِـينَ مِـنَ الـنَّـصِـيـبِ
غَـدَاةَ كَـأَنَّ جَـمْـعَـهُـمُ حِـرَاءٌ بَـدَتْ أَرْكَـانُـهُ جُـنْـحَ الـغُـرُوبِ
فَـلاَقَـيْـنَـاهُـمُ مِـنَّـا بِـجَـمْـعٍ كَـأُسْـدِ الـغَـابِ مُـرْدَانٍ[2] وَشِـيـبِ
أَمَـامَ مُـحَـمَّـدٍ قَـدْ وَازَرُوهُ عَـلَـى الأَعْـدَاءِ فِـي لَـفْـحِ الـحُـرُوبِ[3]
بِـأَيْـدِيـهِـمْ صَـوَارِمُ[4] مُـرْهَـفَـاتٌ وَكُـلُّ مُـجَـرَّبٍ خَـاطِـي الـكُـعُـوبِ
بَـنُـو الأَوْسِ الـغَـطَـارِفُ[5] وَازَرَتْـهَـا بَـنُـو الـنَّـجَّـارِ فِـي الـدِّيـنِ الـصَّـلِـيـبِ
فَـغَـادَرْنَـا أَبَـا جَـهْـلٍ صَـرِيـعـاً وَعُـتْـبَـةَ قَـدْ تَـرَكْـنَـا بِـالـجَـبُـوبِ[6]
وَشَـيْـبَـةَ قَـدْ تَـرَكْـنَـا فِـي رِجَـالٍ ذَوِي حَـسَـبٍ إِذَا نُـسِـبُـوا حَـسِـيـبِ
يُـنَـادِيـهِـمْ رَسُـولُ الـلّـهِ لَـمَّـا قَـذَفْـنَـاهُـمْ كَـبَـاكِـبَ[7] فِـي الـقَـلِـيـبِ
أَلَـمْ تَـجِـدُوا كَـلاَمِـي كَـانَ حَـقّـاً وَأَمْـرُ الـلّـهِ يَـأْخُـذُ بِـالـقُـلُـوبِ؟
فَـمَـا نَـطَـقُـوا وَلَـوْ نَـطَـقُـوا لَـقَـالُـوا صَـدَقْـتَ وَكُـنْـتَ ذَا رَأْيٍ مُـصِـيـبِ!

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القَليب أُخِذَ عُتْبة بن ربيعة، فسُحِب في القَليب، فنظر رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ في وجه أبي حُذَيْفَة بن عُتْبة، فإذا هو كئيب، قد تغيّر لونه فقال: «يَا حُذَيْفَةُ لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ» ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً. وقال البخاري: حدّثنا الحميدي، حدّثنا سفيان، ثنا عمرو عن عطاء، عن ابن عبّاس ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: هم والله كفّار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمّد نعمة الله ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ قال: النار يوم بدر[8].

---

(١) في ابن هشام: الصدر الكئيب.
(٢) مردان: شبان.
(٣) وازروه: أعانوه. ولفح الحروب: نارها وحرّها. ويروى: «لقح» ان معناه التزيد والنمو، يقال: لقحت الحرب إذا تزيدت.
(٤) صوارم: سيوف ماضية.
(٥) الغطارف: الشبان الحسان الشجعان.
(٦) الجبوب: اسم للأرض لأنها تجب أي تحفر. ويقال وجه الأرض، وقيل: هو المدر، الواحدة: جبوبة.
(٧) كباكب: جماعات.
(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨.

قال ابن إسحاق وقال حسان بن ثابت: [البسيط]

قَـوْمِـي الَّـذِيـنَ هُـمُ آوَوا نَـبِـيَّـهُـمُ وَصَـدَّقُـوهُ وَأَهْـلُ الأَرْضِ كُـفَّـارُ
إلاَّ خَـصَـائِـصَ أَقْـوَام هُـمُ سَـلَـفٌ لِـلـصَّـالِـحِـيـنَ مِنَ الأَنْـصَارِ أَنْـصَارُ
مُسْتَبْشِرِينَ بِقِسْمِ(١) اللَّهِ قَوْلُهُمُ لَـمَّـا أَتَـاهُـمْ كَـرِيـمُ الأَصْـلِ مُـخْـتَـارُ
أَهْـلاً وَسَـهْـلاً فَـفِـي أَمْـنٍ وَفِـي سَـعَـةٍ نِـعْـمَ الـنَّـبِـيُّ وَنِـعْـمَ الـقِـسْـمُ وَالـجَـارُ
[فَـأَنْـزِلُـوهُ بِـدَارٍ لاَ يَـخَـافُ بِـهَـا مَـنْ كَـانَ جَـارُهُـمُ دَاراً هِـيَ الـدَّارُ(٢)]
وَقَـاسَـمُـوهُـمْ بِـهَـا الأَمْـوَالَ إِذْ قَـدِمُـوا مُـهَـاجِـرِيـنَ وَقِـسْـمُ الـجَـاحِـدِ الـنَّـارُ
سِـرْنَـا وَسَـارُوا إِلَـى بَـدْرٍ لِـحَـيْـنِـهِـمُ لَـوْ يَـعْـلَـمُـونَ يَـقِـيـنَ الـعِـلْـمِ مَـا سَـارُوا
دَلاَّهُـمُ(٣) بِـغُـرُورٍ ثُـمَّ أَسْـلَـمَـهُـمُ إِنَّ الـخَـبِـيـثَ لِـمَـنْ وَالاَهُ غَـرَّارُ
وَقَـالَ: إِنِّـي لَـكُـمْ جَـارٌ فَـأَوْرَدَهُـمْ شَـرَّ الـمَـوَارِدِ فِـيـهِ الـخِـزْيُ وَالـعَـارُ
ثُـمَّ الْـتَـقَـيْـنَـا فَـوَلَّـوْا عَـنْ سَـرَاتِـهِـمُ مِـنْ مُـنْـجِـدِيـنَ وَمِـنْـهُـمْ فِـرْقَـةٌ غَـارُوا

وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن أبي بكر وعبد الرزّاق. قالا: حدّثنا إسرائيل عن عكرمة، عن ابن عبّاس. قال: لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى، قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العبّاس وهو في الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال: «لِمَ؟» قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك(٤). وقد كانت جُمْلة من قُتِل من سراة الكفّار يوم بدر سبعين، هذا مع حضور ألف من الملائكة، وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم أن سَيُسْلِم منهم بشر كثير، ولو شاء الله لسلّط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط، وكنّ سبعاً، فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات، وما لا يعلمه إلاّ الله، فرفعهن حتى بلغ بهنّ عنان السماء، على طرف جناحه، ثم قلبهنّ منكّسات، واتبعهنّ بالحجارة التي سوّمت لهم، كما ذكرنا ذلك في قصّة قوم لوط كما تقدم.

وقد شرّع الله جهاد المؤمنين للكافرين، وبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] الآية. وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ

(١) القسم: بالكسر، الحظ والنصيب.

(٢) البيت عن ابن هشام. وقوله في الذي يليه (الجاحد) في الأصل الجاهل. وكذا قوله (دلاهم) في الأصل وإلا هموا والتصحيح عن ابن هشام.

(٣) دلاهم: أرشدهم.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/٣١٤.

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥] الآية. فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الأنصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله ابن مسعود، ومسك بلحيته وصعد على صدره حتى قال له: لقد رقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، ثم بعد هذا حزّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله، فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة، أو أن يسقط عليه سقف منزله، أو يموت حتف أنفه والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين، ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقية منهم لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم؛ الحارث بن زمعة ابن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة] وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبّه بن الحجّاج. قال: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧] وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً، كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله، منهم من آل رسول الله ﷺ عمّه العباس بن عبد المطلب، وابن عمّه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد استدلّ الشافعي والبخاري وغيرهما بذلك، على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرّم يعتق عليه، وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمرة في ذلك فالله أعلم. وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبيّ ﷺ.

فصل: وقد اختلف الصحابة في الأسارى أيقتلون أو يفادون على قولين، كما قال الإمام أحمد: **حدّثنا علي بن عاصم، عن حميد، عن أنس ـ وذكر رجل ـ عن الحسن. قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْكَنَكُمْ مِنْهُمْ» قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله أضرب أعناقهم، قال: فأعرض عنه النبيّ ﷺ، ثم عاد النبي فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصدّيق فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغمّ، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله تعالى ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾[1]** [الأنفال: ٦٨] **الآية، انفرد به أحمد. وقد روى الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ ومسلم وأبو داود والترمذي وصحّحه وكذا علي بن المديني، وصحّحه من حديث عكرمة بن عمّار، حدّثنا سماك الحنفي أبو زميل، حدّثني ابن عبّاس، حدّثني عمر بن الخطاب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فذكر الحديث كما تقدّم إلى قوله فقتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العمّ والعشيرة**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٤٣.

والأخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوّة لنا على الكفّار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الخطَّابِ؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبيّ ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الفِدَاءَ، قَدْ عرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» ـ لشجرة قريبة ـ وأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨] من الفداء، ثم أحلّ لهم الغنائم[١]، وذكر تمام الحديث.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش عن عمرو بن مرّة، عن [أبي] عبيدة، عن عبد اللّه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «مَا تقُولُونَ فِي هٰؤلاءِ الأَسْرَى؟» قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم، واستأن بهم لعلّ الله أن يتوب عليهم، قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذّبوك، قرّبهم فأضرب أعناقهم. قال: وقال عبد اللّه بن رواحة: يا رسول الله أنظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً. قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد اللّه بن رواحة. فخرج عليهم فقال: «إنَّ اللّهَ لَيلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللّبنِ، وَإنَّ اللّه لَيشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الحِجَارَةِ، وَإنَّ مَثَلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨] وَإنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى قَالَ ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس ٨٨] أنتم عالة فلا يبقين أحد إلاّ بفداء أو ضربة عنق» قال عبد اللّه: فقلت: يا رسول الله إلاّ سُهَيل ابن بيضاء، فإني قد سمعته يذكر الإسلام، قال: فسكت، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء من ذلك اليوم، حين[٢]

(١) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٥٨، وأبو داود في الجهاد باب ١٣١، والترمذي في تفسير القرآن باب ٩، من سورة الأنفال، وأحمد في المسند ١/ ٣٠، ٣١.

(٢) في ط: حتى.

قال: «إلاّ سُهَيلَ ابْنَ بَيضَاء» قال: فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾ إلى آخر الآيتين[١]. وهكذا رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي معاوية. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك. وقد روي عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه. وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرك من حديث عُبَيد الله بن موسى، حدّثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العبّاس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار قال: وقد أوعدته الأنصار أنهم قاتلوه[٢]. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «إنّي لَمْ أنَم اللّيلَة منْ أجْلِ عمّي العَبّاسِ، وَقَدْ زَعَمَتِ الأنْصَارُ أنَّهُمْ قاتِلُوهُ» قال عمر: أفآتيهم؟ قال: «نعم» فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العبّاس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن كان له رضى فخذه، فأخذه عمر، فلما صار في يده قال له عمر: يا عبّاس أسلم فوالله لئن تسلم أحبّ إليّ من أن يسلم الخطّاب، وما ذاك إلاّ لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. قال: واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم، واستشار عمر فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

ثم قال الحاكم في صحيحه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وروى الترمذي والنسائي [وابن حبان في صحيحه][٣] من حديث سفيان الثوري، عن هشام بن حسّان عن محمّد بن سيرين، عن عُبَيْدة عن عليّ قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: خير أصحابك في الأسارى، إن شاؤوا الفداء، وإن شاؤوا القتل على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم، قالوا: الفداء أو يقتل منا[٤]. وهذا حديث غريب جداً، ومنهم من رواه مرسلاً عن عُبَيْدة والله أعلم. وقد قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عبّاس في قوله ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول لولا أني لا أعذّب من عصاني، حتى أتقدم إليه لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم. وهكذا روي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أيضاً، واختاره ابن إسحاق وغيره، وقال الأعمش: سبق منه أن لا يعذّب أحداً شهد بدراً. وهكذا روي عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وقال مجاهد والثوري ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي لهم بالمغفرة. وقال الوالبي عن ابن عبّاس سبق في أم الكتاب الأول أن المغانم وفداء الأسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن مسعود،

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ٩، من سورة الأنفال وأحمد في المسند ١/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) في ط: أن يقتلوه.

(٣) في ط: وابن ماجة.

(٤) أخرجه الترمذي في السير باب ١٨.

وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة، والأعمش، واختاره ابن جرير وقد ترجّح هذا القول بما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَحَلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1] وروى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: «لَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لِسُودِ الرُّؤُوسِ غَيْرَنَا» ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فأذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الأسارى[2]، وقد قال أبو داود: حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن المبارك العبسي، ثنا سفيان بن حبيب، ثنا شعبة عن أبي العنبس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة[3]، وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم. وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عمّا أخذ منه في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] الآية. وقال الوالبي عن ابن عبّاس: نزلت في العبّاس فأفدى[4] نفسه بالأربعين أوقية من ذهب، قال العبّاس: فآتاني الله أربعين عبداً ـ يعني كلّهم يتجر له ـ قال: وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جلّ ثناؤه.

وقال ابن إسحاق: حدَّثني العبّاس بن عبد الله بن مغفل[5] عن بعض أهله، عن ابن عبّاس قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق، بات النبيّ ﷺ ساهراً أوّل الليل، فقال له أصحابه: ما لك لا تنام يا رسول الله؟ فقال: «سَمِعْتُ أَنِينَ عَمِّي العَبَّاسِ فِي وثَاقِهِ» فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وكان رجلاً موسراً، ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب، قلت: وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «أَمَّا ظَاهِرُكَ فَكَانَ عَلَيْنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلامِكَ وَسَيَجْزِيكَ» فادعى أنه لا مال عنده قال: «فَأَيْنَ المَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ أَنْتَ وَأُمّ الفَضْلِ، وَقُلْتَ لَهَا: إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي فَهَذَا لِبَنِيَّ الفَضْلِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَقُثَمٍ؟» فقال: والله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه إلاّ أنا وأم الفضل. رواه ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عبّاس. وثبت في صحيح البخاري من طريق موسى بن عقبة قال الزهري: حدَّثني أنس بن مالك قال: إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٥٦، ومسلم في المساجد حديث ٣، وأحمد في المسند ٣/ ٣٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب ٩، من سورة الأنفال، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٣١.

(٤) في ط: ففادى.

(٥) كذا في الحلبية، وفي المصرية: معقل، وفي الخلاصة العباس بن عبد الله بن معبد.

العبّاس فداءه. فقال: «لاَ وَاللّهِ لاَ تَذَرُونَ مِنهُ دِرهَماً»(١) قال البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس: أن النبيّ ﷺ أُتي بمال من البحرين فقال: «انثُرُوهُ فِي المَسْجِدِ» فكان أكثر مال أُتي به رسول الله ﷺ، إذا جاءه العبّاس فقال: يا رسول الله أعطني، إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً فقال: «خُذْ» فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إليّ. قال: «لاَ» قال: فأرفعه أنت عليّ، قال: «لاَ» فنثر منه، ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: مر بعضهم يرفعه إليّ قال: «لاَ» قال: فارفعه أنت عليّ، قال: «لاَ» فنثر منه، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم(٢). وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس، عن أسباط بن نصر، عن إسماعيل بن عبد الرَّحمٰن السدّي. قال: كان فداء العبّاس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب كلّ رجل أربعمائة دينار، ثم توعّد تعالى الآخرين فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧١].

فصل

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، والقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حديث مما تقدّم، وسيأتي إن شاء الله، وكما في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين. وقال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية، وقتل من المشركين تسعة وأربعين، وأسر منهم تسعة وثلاثين. هكذا رواه البيهقي عنه. قال وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة، في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين. ثم قال: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، أخبرنا أحمد بن عبد الجبّار عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، قال: واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً، أربعة من قريش وسبعة من الأنصار وقتل من المشركين بضعة وعشرون رجلاً. وقال في موضع آخر: وكان مع رسول الله ﷺ أربعون أسيراً، وكانت القتلى مثل ذلك. ثم روى البيهقي من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث، عن عقيل، عن الزهري قال: وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر، ورجل من الأنصار، وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين، وأسر منهم مثل ذلك، قال: ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، قال: قال البيهقي ـ وهو الأصح ـ فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم، ثم استدّل على ذلك بما ساقه هو والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: أمر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد اللّه بن جبير، فأصابوا منا سبعين.

(١) أخرجه البخاري في العتق باب ١١.

(٢) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة باب ١٤.

وكان النبيّ ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً[١]. قلت: والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وقد صرّح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله أعلم. وفي حديث عمر المتقدم أنهم كانوا زيادة على الألف، والصحيح الأول لقوله عليه السلام: «القَوْمُ مَا بَيْنَ التِسْعِمَائَةِ إلَى الألْفِ» وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كما سيأتي التنصيص على ذلك، وعلى أسمائهم إن شاء الله؛ وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقتادة وإسماعيل والسدّي الكبير وأبو جعفر الباقر. وروى البيهقي من طريق قتيبة عن جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال: «تَحرَّوْهَا لإحْدَى عَشْرَةَ بَقِينَ فَإنَّ صَبِيحَتَهَا يَوْمَ بَدْرٍ». قال البيهقي وروى عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال: ليلة تسع عشرة ما شك، وقال: يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

قال البيهقي: والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، حدّثنا أبو عمرو بن السمّاك، حدّثنا حنبل بن إسحاق، ثنا أبو نعيم، ثنا عمرو بن عثمان: سمعت موسى بن طلحة يقول: سُئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال: إما لسبع عشرة خلت، أو ثلاث عشرة خلت، أو لإحدى عشرة بقيت. وإما لسبع عشرة بقيت، وهذا غريب جداً.

[وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قباث بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه، أنه شهد يوم بدر مع المشركين، فذكر هزيمتهم مع قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال: وجعلت أقول في نفسي ما رأيت مثل هذا الأمر، فرّ منه إلاّ النساء، والله لو خرجت نساء قريش بإلها[٢] ردّت محمّداً وأصحابه. فلما كان بعد الخندق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمّد، وقد وقع في نفسي الإسلام، قال: فقدمتها فسألت عنه، فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد في ملأ من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه، فسلّمت فقال: «يَا قُبَاثُ بْنُ أَشْيَمَ أَنْتَ القَائِلُ يَوْمَ بَدْرٍ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الأَمْرِ، فَرَّ مِنْهُ إلاّ النِّسَاءُ؟» فقلت: أشهد أنك رسول الله، فإنك هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط، ولا تَزمزمت[٣] به إلاّ شيئاً حدّثت به نفسي، فلولا أنك نبي ما أطلعك عليه، هلم أبايعك على الإسلام فأسلمت][٤].

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠.

(٢) كذا في الأصلين، ولعلها بإلها والإل: القرابة والعهد ولعلها تحريف لكلمة سلاحها أي بسلاحها، وفي سيرة ابن كثير بالسّهاء وهي جمع سهوة، وهي القوس المواتية.

(٣) تزمزمت: حركت شفتي.

(٤) ما بين المعقوفين من الحلبية فقط، وسقط في أ.

فصل

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذ، لمن تكون منهم، وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون. ففرقة أحدقت برسول الله ﷺ تحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه. وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن. فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم. قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الرّحمٰن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى، عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة ابن الصامت عن الأنفال فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسّمه بين المسلمين عن بواء، يقول عن سواء[١]. وهكذا رواه أحمد عن محمّد بن سلمة، عن محمّد بن إسحاق به، ومعنى قوله على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات، لم يخصّص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها، ولا ينفي هذا تخميسها، وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهّمه بعض العلماء، منهم أبو عبيدة وغيره والله أعلم. بل قد تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذو الفقار من مغانم بدر. قال ابن جرير: وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضّة، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا معاوية بن عمرو، ثنا ابن إسحاق عن عبد الرّحمٰن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى، عن أبي سلام، عن أبي أمامة، عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبيّ ﷺ فشهدت معه بدراً، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرّة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحقّ به منّا، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: خفنا أن يصيب العدو منه غرّة فاشتغلنا به، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال ١] فقسّمها رسول الله بين المسلمين. وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفل الربع، فإذا أقبل راجعاً نفل الثلث، وكان يكره الأنفال[٢]. وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث الثوري عن عبد الرّحمٰن بن الحارث آخره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي في السير باب ١٢، وابن ماجة في الجهاد باب ٣٥، وأحمد في المسند ٥/٣٢٣، ٣٢٤.

مستدركه من حديث عبد الرَّحمٰن، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

وقد روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صنعَ كذا وَكذا فلهُ كَذا وكَذا»، فسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا رداءً لكم، لو انكشفتم لفئتم إلينا، فتنازعوا، فأنزل الله تعالى ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾[1] [الأنفال: ١]. وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أُخر يطول بسطها ههنا، ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله، يحكما فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [الأنفال: ١] ثم ذكر ما وقع في قصّة بدر، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة الأنفال: ٤١] الآية، فالظاهر أن هذه الآية مبيّنة لحكم الله في الأنفال الذي جعل مردّه إليه وإلى رسوله ﷺ، فبيّنه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى، وهو قول أبي زيد، وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلاّم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قسّم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخمّسها. ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدّم، وهكذا روى الوالبي عن ابن عبّاس، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدّي، وفي هذا نظر والله أعلم. فإن في سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها كلها في غزوة بدر، فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً، ثم في الصحيحين عن عليّ رضي الله عنه أنه قال في قصة شار فيه اللذين اجتبّ أسنمتهما حمزة، إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد، أن غنائم بدر لم تخمّس والله أعلم. بل خمّست كما هو قول البخاري وابن جرير وغيرهما، وهو الصحيح الراجح والله أعلم.

فصل: في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيّداً منصوراً عليه من ربّه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدّم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، وثبت في الصحيحين أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدّم وكان رحيله منها ليلة الاثنين، فركب ناقته ووقف على قَلِيب بدر، فقرع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدّم ذكره، ثم سار عليه السلام

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٥٦.

ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة، وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحده وبه كفر؛ أحدهما عبد اللّه بن رواحة إلى أعالي المدينة، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوّينا [التراب] على رقيّة بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدر. قال أسامة: فلما قدم أبي زيد بن حارثة جئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزمعة بن الأسود، وأبو البختري العاص بن هشام، وأميّة بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج. قال: قلت: يا أبة أحق هذا؟ قال: إي والله يا بني. وروى البيهقي من طريق حمّاد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد أن النبيّ ﷺ خلّف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العَضْباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيعة[1]، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدّقت حتى رأينا الأسارى. وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه. وقال الواقدي: صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل[2] فلما صلّى ركعة تبسّم، فسئل عن تبسّمه فقال: «يُرى ميكائيلُ وعلى جناحه النقْع، فتبسّم إليّ وقال: إنّي كنتُ في طلب القوم». وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنييه الغبار فقال: يا محمّد إن ربّي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضيت؟ قال: «نعم». قال الواقدي: قالوا: وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد اللّه بن رواحة من الأثيل، فجاءا يوم الأحد حين اشتدّ الضحى، وفارق عبد اللّه بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق، فجعل عبد اللّه بن رواحة ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ، وقتل المشركين وأسرهم، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج، وأبو جهل، وقتل زمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو.

قال عاصم بن عدي: فقمت إليه فنحّوته، فقلت: أحقاً يا ابن رواحة؟ فقال: إي والله وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرّنين. ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشّرهم داراً داراً، والصبيان ينشدون معه يقولون: قتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمية وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القَصْواء يبشّر أهل المدينة، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته: قُتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج، وقتل أميّة بن خلف وأبو جهل وأبو البختري وزمعة بن الأسود، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير، فجعل بعض الناس لا يُصَدّقون زيداً ويقولون ما جاء زيد بن حارثة إلاّ فلاّ[3] حتى غاظ المسلمين ذلك

---

(١) الهيعة: كل ما أفزع من صوت، قال أبو عبيد: هي صيحة الفزع.

(٢) الأثيل: موضع بالصفراء.

(٣) الفل: القوم المنهزمون ويقع على الواحد والاثنين والجمع.

وخافوا. وقدم زيد حين سوّينا على رقية بنت رسول الله ﷺ بالبقيع، وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرّق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً، وقد قتل عِلْيَةُ أصحابه وقتل محمّد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب، وجاء فَلاًّ، فقال أبو لبابة: يكذّب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلاّ فلاً. قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إي والله حق ما أقول يا بني، فقوّيت نفسي، ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المُرجف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمنّك إلى رسول الله إذا قدم، فليضربنّ عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه. قال: فجيء بالأسرى وعليهم شقران مولى رسول الله ﷺ، وكان قد شهد معهم بدراً وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا. قال الواقدي: وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه. قال: ولقي رسول الله ﷺ إلى الرّوحاء رؤوس الناس يُهنّئونه بما فتح الله عليه. فقال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقرّ عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظنّ أنك تلقى عدواً، ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلّفت. فقال له رسول الله: «صَدَقْتَ». قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عُقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وقد جعل على النّفل عبد اللّه بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غُنْم بن مازن ابن النّجّار. فقال راجز من المسلمين ـ قال ابن هشام [يقال إنه] هو عَديّ بن أبي الزَّغباء ـ: [الرجز]

أَقِـمْ لَـهَـا صُـدُورَهَـا يَـا بَـسْـبَـسُ ... لَـيْـسَ بِـذِي الـطَّـلْـحِ لَـهَـا مُـعَـرَّسُ
وَلاَ بِـصَـحْـرَاءَ عُـمَـيْـرٍ مَـحْـبَـسُ ... إِنَّ مَـطَـايَـا الـقَـوْمِ لاَ تُـخَـيَّـسُ
فَـحَـمْـلُـهَـا عَـلَـى الـطَّـرِيـقِ أَكْـيَـسُ ... قَـدْ نَـصَـرَ الـلَّـهُ وَفَـرَّ الأَخْـنَـسُ

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء، نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية، يقال له سَيَر إلى سَرْحة به، فقسّم هنالك النّفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالرّوحاء، لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سَلَمة بن سلامة بن وقش كما حدَّثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان: ما الذي تهنئوننا به؟ والله إن لقينا إلاّ عجائز صلعاً كالبدن المعقلة فنحرناها، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «أَيْ ابْنَ أَخِي أُولَئِكَ المَلأُ» قال ابن هشام: يعني الأشراف والرؤساء.

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أَبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله عليّ بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكّة، ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط. قال ابن إسحاق: فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله:

فمن للصبية يا محمّد؟ قال: «النَّارُ» وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، كما حدّثني أبو عُبَيْدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر. وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه، وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره. قال: ولمّا أقبل إليه عاصم بن ثابت. قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين مَنْ ههنا؟ قال علي: عداوتك الله ورسوله. وقال حمّاد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبيّ ﷺ بقتل عُقبة قال: أتقتلني يا محمّد من بين قريش؟ قال: «نَعَمْ! أَتَدْرُونَ مَا صَنَعَ هٰذَا بِي؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلْفَ المَقَامِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلى عُنُقِي، وَغَمَزَهَا فَمَا رَفَعَهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَيَّ سَتَنْدُرَانِ، وَجَاءَ مَرَّةً أُخْرَى بِسَلاَ شَاةٍ فَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِي وَأَنَا سَاجِدٌ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عَنْ رَأْسِي» قال ابن هشام ـ ويقال بل قتل عُقْبَة عليُّ بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم.

قلت: كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله، وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله، لعنهما الله وقد فعل. قال ابن هشام: فقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها: [الكامل]

يَا رَاكِباً إِنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بِأَنَّ تَحِيَّةً ... مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جَادَتْ بِوَابِلِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لاَ يَنْطِقُ
أَمُحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضِنْءِ كَرِيمَةٍ ... مِنْ قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الفَتَى وَهُوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنْ ... بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ [(١)] ... لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَالِكَ تُشْقَقُ
صَبْراً يُقَادُ إِلَى المَنِيَّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ [(٢)] المُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ [(٣)] مُوثَقُ

قال ابن هشام: ويقال والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لَوْ بَلَغَنِي هٰذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ»

قال ابن إسحاق: وقد تلقّى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فَرْوة بن عمرو البياضي حجامه عليه السلام ومعه زق خمر [(٤)] مملوء حيساً ـ وهو التمر والسويق بالسمن ـ

(١) تنوشه: تناله.
(٢) الرسف: مشية المقيد.
(٣) العاني: الأسير.
(٤) كذا في الأصلين وفي ابن هشام: ولقي رسول الله ﷺ إلخ ـ بحميت مملوء حيساً والحميت الزق.

هديّة لرسول الله ﷺ فقبله منه، ووصى به الأنصار. قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار: أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال: «اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً» قال: وكان أبو عزيز بن عُمَير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عُمَيْر ورجل من الأنصار يأسرني فقال شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلاّ نفحني بها، فأستحي فأردّها، فيردّها عليّ ما يمسّها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشيّ فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. قلت: وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة، وعدّه خليفة بن خياط في أسماء الصحابة. وكان أخا مصعب بن عُمَيْر لأبيه، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير، وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً، ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم. قال ابن إسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أن يحيى بن عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن سعد بن زرارة. قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم وسَوْدة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ عند آل عفراء في مَنَاحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، قال: تقول سودة والله إني لعندهم إذ أتينا فقيل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد. كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً؟ فوالله ما أنبهني إلاّ قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سَوْدَةُ أَعَلَى اللّه وَعَلَى رَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ» قال: قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد، مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت. ثم كان من قصّة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم، وكميته إن شاء الله.

ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو القاسم عبد الرَّحمٰن بن عُبَيد اللّه الحرفي ببغداد: حدّثنا أحمد بن سلمان النجاد، حدّثنا عبد اللّه بن أبي الدنيا، حدَّثني حمزة بن العبّاس، ثنا عبدان بن عثمان، ثنا عبد اللّه بن المبارك، أخبرنا عبد الرَّحمٰن بن يزيد، عن جابر عن عبد الرَّحمٰن - رجل من أهل صنعاء -. قال: أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب

وأصحابه فدخلوا عليه، وهو في بيت عليه خلقان ثياب جالس على التراب. قال جعفر فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال: إني أبشّركم بما يسّركم. إنه جاءني من نحو أرضكم عين[1] لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيّه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان، وقتل فلان وفلان. التقوا بوادٍ يقال له بَدْر كثير الأراك، كأني أنظر إليه كنت أرعى لسيّدي، رجل من بني ضَمرة إبله، فقال له جعفر: ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط، وعليك هذه الأخلاط؟ قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقاً على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلمّا أحدث الله لي نصر نبيّه ﷺ أحدثت له هذا التواضع.

[فصل في][2] وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكّة

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد اللّه الخزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبّه، وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله لن يعقل هذا![3] فسلوه عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالساً في الحِجْر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا. قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّقوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل. وذكر السهيلي عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال لما كانت وقعة بدر سمعت أهلُ مكّة هاتفاً من الجن يقول: [الطويل]

أَزَارَ الحَنِيفِيُّونَ بَدْراً وَقِيعَةً ... سَيَنْقَضُ مِنْهَا رُكْنُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا

أَبَادَتْ رِجَالاً مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ ... خَرَائِدَ[4] يَضْرِبْنَ التَّرَائِبَ حُسَّرَا

فَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوَّ مُحَمَّدٍ ... لَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ الهُدَى وَتَحَيَّرَا

قال ابن إسحاق: وحدَّثني حسين بن عبد اللّه بن عُبَيد اللّه بن عبّاس عن عكرمة مولى ابن عبّاس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطّلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العبّاس وأسلمت أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العبّاس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ـ وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلّف منهم رجل إلاّ بعث مكانه رجلاً ـ فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب

---

(١) العين: من يأتي بالأخبار.

(٢) سقط في ط.

(٣) كذا في الحلبية أما في المصرية وابن هشام: والله أن يعقل هذا.

(٤) الخرائد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمس.

بدر من قريش كبته الله[١] وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزاً، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ حتى جلس على طنب[٢] الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ ابن الحارث بن عبد المطّلب قد قدم. قال: فقال أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلاّ أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق بين السماء والأرض، والله ما تليق[٣] شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال وثاورته[٤] فاحتملني وضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني ـ وكنت رجلاً ضعيفاً ـ فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فبلغت في رأسه شجّة منكرة، وقالت: استضعفته إن غاب عنه سيّده، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[٥] فقتلته. زاد يونس عن ابن إسحاق، فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتنّ. وكانت قريش تتقي هذه العَدَسة كما تتقي الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتنّ في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلاّ قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأسندوه إلى جدار، ثم رضموا عليه بالحجارة.

[قال يونس عن ابن إسحاق وحدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين، أنها كانت لا تمرّ على مكان أَبي لهب هذا إلاّ تسترت بثوبها حتى تجوز][٦].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عبّاد قال: ناحت قريش على قَتْلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا، يبلغ محمّداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب[٧] عليكم محمّد وأصحابه في الفداء.

---

(١) كبته الله: أذلّه.

(٢) الطنب: الحبال التي يشد بها سرادق البيت.

(٣) ما تليق: ما تبقى.

(٤) كذا في الحلبية وابن هشام، وفي المصرية: وبادرته. وثاورته: وثبت إليه.

(٥) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون. وقد عدس الرجل: إذا أصابه ذلك.

(٦) سقط في أ والمثبت من ط.

(٧) يأرب، قال في النهاية في تفسير هذا الخبر: أي يتشدّدون عليكم. وتستأنسوا وردت في ابن هشام تستأنوا وهو الصواب ومعناها تؤخروا فداءهم.

قلت: وكان هذا من تمام ما عذّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت، وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبلّ فؤاد الحزين. قال ابن إسحاق: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زَمعة وعَقِيل والحارث، وكان يحب أن يبكي على بنيه قال: فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له ـ وكان قد ذهب بصره ـ انظر هل أحلّ النحب؟ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حَكيمة ـ يعني ولده زَمعة ـ فإن جوفي قد احترق، قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته، قال: فذاك حين يقول الأسود: [الوافر]

أَتَبْكِي أَنْ أُضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ ... وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ
فَلاَ تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ ... عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجُدُودُ
عَلَى بَدْرٍ سُرَاةَ بَنِي هَصِيصٍ ... وَمَخْزومٍ وَرَهْطِ أَبِي الوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ أَبا عَقِيلٍ ... وَبَكِّيَ حَارِثاً أَسَدَ الأُسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلاَ تُسْمِي جَمِيعاً ... وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدِ
أَلاَ قَدْ سَادَ بَعْدَهُمُ رِجَالٌ ... وَلَوْلاَ يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا[1]

فصل في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو وَداعة بن ضُبَيْرة السّهمي. فقال رسول الله ﷺ: «إِنّ له بِمَكّة ابناً كَيِساً تاجراً ذا مالٍ، وَكَأَنَّكُم بِهِ قَدْ جَاءَ فِي طَلَبِ فِدَاءِ أَبِيهِ» فلما قالت قريش لا تعجّلوا بفداء أسراكم، لا يأرَب عليكم محمّدٌ وأصحابه؛ قال المطلّب بن أبي وداعة، وهو الذي كان رسول الله ﷺ عني صدقتم لا تعجّلوا، وانسلّ من الليل وقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به.

قلت: وكان هذا أول أسير فُدِيَ، ثم بعثت قريش في فداء أسراهم، فقدم مِكْرَز بن حَفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدُخْشُم أخو بني سالم بن عوف، فقال في ذلك: [البحر المتقارب]

أَسَرْتُ سُهَيلاً فَلاَ أَبْتَغِي ... أَسِيراً بِهِ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمْ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الفَتَى ... فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظَّلَمْ[2]
ضَرَبْتُ بِذِي الشُّفْرِ حَتَّى انْثَنَى ... وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ذِي العَلَمْ[3]

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٤٧).

(٢) يظلّم: أي يراد ظلمه.

(٣) في الواقدي ج ١/ ١٤٣: ضربت بذي السيف حتى انحنى. قال ابن أبي الحديد: ذي العلم بسكون اللام، ولكنه حرّكه للضرورة، وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا (نهج البلاغة ج ٣/ ٣٥٠).

قال ابن إسحاق: وكان سهيل رجلاً أعلم منَ شفته السفلى[١]. قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي، أن عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ: دعني أنزع ثنية سُهَيْل بن عمرو يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «لاَ أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيّاً»[٢].

قلت: هذا حديث مرسل بل معضل، قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا: «إِنَّه عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَاماً لاَ تَذُمُّهُ»[٣] قلت: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكّة حين مات رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ من العرب، ونجم النفاق بالمدينة وغيرها. فقام بمكّة فخطب الناس وثبّتهم على الدين الحنيف، كما سيأتي في موضعه.

قال ابن إسحاق: فلما قاولهم فيه مِكْرز وانتهى إلى رضائهم قالوا: هات الذي[٤] لنا قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلّوا سبيل سُهَيْل وحبسوا مكرزاً عندهم، وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً، أنكره ابن هشام فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر قال: وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب. قال ابن إسحاق: وكانت أمه بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط[٥]. قال ابن هشام: بل كانت أمّه أخت أبي معيط. قال ابن هشام: وكان الذي أسره عليّ بن أبي طالب[٦]. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر قال: فقيل لأبي سفيان أفدِ عَمْراً ابنك، قال أيجتمع[٧] على دمي ومالي، قتلوا حَنْظَلَة وأفدي عَمْراً؟ دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم. قال: فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة، إذ خرج سَعْدُ بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مرية[٨] له، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبقيع[٩] فخرج من هنالك معتمراً، ولم يظن أنه يحبس بمكّة، إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريش، أن قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلاّ بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكّة فحبسه بابنه عمرو، وقال في ذلك: [البحر الطويل]

أَرَهْطَ ابْنَ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ ... تَعَاقَدْتُمُ لاَ تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الكَهْلاَ

فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لِئَامٌ أَذِلَّةٌ ... لَئِنْ لَمْ يَكُفُّوا[١٠] عَنْ أَسِيرِهِمُ الكَبْلاَ

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/٢٤٧، ٢٤٨).
(٢) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/٢٤٨).
(٣) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» المصدر السابق.
(٤) في مغازي الواقدي ج ١/١٤٣: هات مالنا.
(٥) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/٢٤٩).
(٦) المصدر السابق.
(٧) في ابن هشام: أيجمع.
(٨) مرية: تصغير امرأة.
(٩) كذا في الأصل وهو موضع مقابر داخل المدينة؛ والمقصود البقيع وهو موضع قرب المدينة.
(١٠) في ابن هشام يفكوا.

قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول: [البحر الطويل]

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقاً لأَكْثَرَ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْسَرَ القَتْلاَ
بِعَضْبٍ حُسَامٍ أَوْ بِصَفْراءَ نَبْعَةٍ تَحِنُّ إِذَا مَا أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلاَ(١)

قال: ومشى بنو عَمْرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم، فأعطاهم النبيّ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سَعْد. قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب. قال ابن هشام: وكان الذي أسره خِراش بن الصمّة أحد بني حَرام. قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالاً، وأمانة، وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خُوَيْلد أخت خَدِيجة بنت خُوَيْلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوّجه بابنتها زينب، وكان لا يخالفها، وذلك قبل الوحي، وكان عليه السلام قد زوّج ابنته رقيّة ـ أو أم كلثوم من عُتْبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا محمّداً بنفسه، وأمر ابنه عُتْبة فطلّق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول، فتزوّجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا فارق صاحبتك، ونحن نزوّجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله إذا لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره فيما بلغني. قلت: الحديث بذكل في الثناء عليه في صهره. ثابت في الصحيح كما سيأتي. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لا يحلّ بمكّة ولا يحرم مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما. قلت: إنما حرّم الله المسلمات على المشركين عام الحُدَيْبية سنة ست من الهجرة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. قال ابن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة، وقال: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا». قالوا: نعم! يا رسول الله، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها. [قال ابن إسحاق: فكان ممن سمّي لنا ممن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء من بني أمية أبو العاص بن الربيع، ومن بني مخزوم المطّلب بن حنطب بن الحارث ابن عُبَيْد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله فلحق بقومه](٢) قال ابن إسحاق:

(١) العضب: السيف القاطع؛ والصفراء: القوس؛ والنبع: شجر تصنع منه القسي؛ وتحن: أي بصوت وترها، وانبضت: أي مدّ وترها، والانباض: أن يحرك وتر القوس ويهيأ للرمي؛ وتحفز النبل: أي تقذف به وترميه.

(٢) ما بين المعقوفين سقط في ط.

وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب - يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفّى أبو العاص بذلك كما سيأتي. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ههنا فأخّرناه لأنه أنسب والله أعلم. وقد تقدّم ذكر افتداء العبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبيّ ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب. وقال ابن هشام: كان الذي أسر أبي العاص أبو أيوب خالد بن زيد. قال ابن إسحاق: [وكان ممن سمي لنا ممن من الله عليه وسلم من الأسارى بغير فداء من بني أمية أبو العاص بن الربيع ومن مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمرو بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه وقال ابن هشام كان أبو أيوب بن خالد بن زيد وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليبعثنّ لهم بفدائه، فخلّوا سبيله ولم يفِ لهم: قال حسّان بن ثابت في ذلك: [الطويل].

مَا كَانَ صَيْفِيٌّ لِيُوفِي أَمَانَةً ... قَفَا ثَعْلَبٍ أَعْيَا بِبَعْضِ المَوَارِدِ

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد اللّه بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمع كان محتاجاً ذا بنات، قال: يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة، وذو عيال، فامنن عليّ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّداً ... بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالمَلِيكُ حَمِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الحَقِّ وَالهُدَى ... عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ العَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فِينَا مَبَاءَةً[1] ... لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودُ
فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارِبٌ ... شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بَدْراً وَأَهْلَهُ ... تَأَوَّبَ مَا بِي حَسْرَةٌ وَقُعُودُ

قلت: ثم إن أبا عزّة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله، فرجع إليهم، فلما كان يوم أُحد أسِر أيضاً، فسأل من النبيّ ﷺ أن يمنّ عليه أيضاً، فقال النبيّ ﷺ: «لاَ أَدَعُكَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ، وَتَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ» ثم أمر به فضربت عنقه كما سيأتي في غزوة أُحد. ويقال: إن فيه قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[2] وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلاّ منه عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمَيْر بن وهب الجُمَحِيّ مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكّة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. قال ابن هشام:

---

(١) مباءة: مكانة رفيعة.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ٨٣، وأبو داود في الأدب باب ٣٤، وأحمد في المسند ٢/ ١١٥.

والذي أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُرَيق. قال ابن إسحاق: فحدّثني محمّد بن جعفر، عن عروة فذكر أصحاب القَلِيب ومصابهم فقال صفوان: والله ما إن في العيش بعدهم خير، قال له عُمَيْر: صدقت، أما والله لولا دَيْن علي، ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمّد حتى أقتله، فإن لي فيهم علّة ابني أسير في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عُمَيْر: فاكتم عليّ شأني وشأنك، قال: سأفعل، قال: ثم أمر عُمَيْر بسيفه فشحذ له وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطّاب في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عُمَيْر بن وَهب، وقد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف. فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمَيْر بن وهب ما جاء إلاّ لشر، وهو الذي حرّش[1] بيننا، وحزرنا[2] للقوم يوم بدر، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله هذا عدوّ الله عُمَيْر بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال: «فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمّالة سيفه في عنقه فلببه بها، وقال: لمن كان معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيب، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمّالة سيفه في عنقه قال: «أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، أدْنُ يا عُمَيْرُ» فدنا، ثم قال: أنعم صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله: «قَدْ أَكْرَمَنَا الله بِتَحِيَّةٍ خَيرٍ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ بِالسَّلاَمِ تَحِيَّةِ أَهْلِ الجَنَّةِ» قال: أما والله يا محمّد إن كنت بها لحديث عهد، قال: «فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ» قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: «أَصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟» قال: ما جئت إلاّ لذلك، قال: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وصَفْوَانُ بْن أُمَيَّةَ فِي الحِجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلاَ دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ» فقال عُمَيْر: أشهد أنك رسول الله، قد كنّا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوَحْي، وهذا أمر لم يحضره إلاّ أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلاّ الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَعَلِّمُوهُ القُرْآنَ وَأَطْلِقُوا أَسِيرَهُ» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحبّ أن تأذن لي فأقدم مكّة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام لعلّ الله يهديهم، وإلاّ آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكّة،

(١) حرّش: أفسد.

(٢) الحزر: تقدير العدد، التخمين.

وكان صفوان حين خرج عُمَيْر بن وهب يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم يوم[١] بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب، فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلّمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً. قال ابن إسحاق: فلما قدم عُمَيْر مكّة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير. قال ابن إسحاق: وعُمَيْر بن وهب ـ أو الحارث بن هشام ـ هو الذي رأى عدوّ الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر، وفرّ هارباً، وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون، وكان إبليس يومئذ في صورة سراقة بن مالك بن جعشم أمير مدلج.

فصل

ثم إن الإمام محمّد بن إسحاق رحمه الله تكلّم على ما نزل من القرآن في قصّة بدر، وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها، فأجاد وأفاد، وقد تقصّينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، فمن أراد الاطلاع على ذلك لينظره ثَمّ ولله الحمد والمنّة.

فصل: ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدراً من المسلمين، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً، ثم أسماء من شهدها من الأنصار: أوسها وخزرجها إلى أن قال: فجميع من شهد بدراً من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلاً. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وقد سردهم البخاري في صحيحه مرتّبين على حروف المعجم بعد البداءة برسول الله ﷺ، ثم بأبي بكر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتّبين على حروف المعجم، وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمّد بن عبد الواحد المقدسي، وغيره بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيّد ولد آدم محمّد رسول الله ﷺ.

أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم

حرف الألف: أُبي بن كعب النجاري سيّد القراء، الأرقم بن أَبي الأرقم وأَبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان، أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبَيْد بن غَنْم، كذا قال موسى بن عُقْبة. وقال الأموي: سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شكّ فيه، وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق: سواد بن زريق بن ثعلبة، وقال ابن عائذ: سواد بن زيد، أسير بن عمرو الأنصاري أَبو سليط، وقيل: أسير بن عمرو بن أمية بن لوزان بن سالم بن ثابت الخزرجي، ولم يذكره موسى بن عقبة، أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي، كذا سمّاه موسى بن عُقْبة، والأموي وفي السيرة أنيس.

---

(١) في ط: وقعة.

قلت: وأنس بن مالك خادم النبيّ ﷺ لمّا روى عمر بن شبة النميري، **حدّثنا محمّد** بن عبد الله الأنصاري عن أبيه، عن ثمامة بن أنس قال: قيل لأنس بن مالك: أشهدت بدراً؟ قال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟! وقال محمّد بن سعد: **أخبرنا محمّد** بن عبد الله الأنصاري، ثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك، أنه قال لأنس: شَهِدتَ بدراً؟ قال: لا أم لك وأين أغيب عن بدر؟ قال محمّد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، قال شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزّيّ في تهذيبه: تخريج عن تهذيب الكمال هكذا قال الأنصاري، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي.

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عُبَيْد بن زيد بن معاوية بن عمرو ابن مالك بن النجّار.

أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ.

أوس بن ثابت بن المنذر النجاري، أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عُبَيْد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الخزرجي. وقال موسى بن عقبة:

أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولي، أوس بن الصامت الخزرجي، أخو عبادة بن الصامت .

إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب.

حرف الباء: بجير بن أبي بجير حليف بني النجّار.

بحاث بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي، حليف الأنصار.

بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جُهَيْنة الجهني، حليف بني ساعدة، وهو أحد العينين هو وعدي بن أَبي الزّغباء كما تقدم.

بِشر بن البراء بن معرور الخزرجيّ، الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة.

بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، والد النعمان بن بشير، ويقال: إنه أول من بايع الصدّيق.

بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسي ردّه عليه السلام من الرّوحاء، واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره.

حرف التاء: تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج.

تميم مولى خراش بن الصمّة.

تميم مولى بني غنم بن السلم. وقال ابن هشام: هو مولى سعد بن خيثمة.

حرف الثاء: ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان.

ثابت بن ثعلبة، ويقال لثعلبة هذا: الجدع بن زيد بن الحارث بن حرام بن غنم بن

كعب بن سَلِمة.

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجّار النجّاري.

ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار النجاري.

ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد بن مالك بن غنم بن عدي بن النجّار النجاري.

ثابت بن هزّال الخزرجي، ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عُبَيْد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس.

ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري.

ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي.

ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابىء السَلَميّ.

ثقف بن عمرو من بني حجر آل بني سليم، وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد.

حرف الجيم: جابر بن خالد بن [مسعود بن] عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجّار النجاري، جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبَيْد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سَلِمة السلميّ، أحد الذين شهدوا العقبة.

قلت: فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضاً فذكره البخاري فيهم في مسند عن سعيد بن منصور، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وقال: كنت أمتح[1] لأصحابي الماء يوم بدر[2]. وهذا الإسناد على شرط مسلم، لكن قال محمّد بن سعد: ذكرت لمحمّد بن عمر ـ يعني الواقدي ـ هذا الحديث فقال: هذا وَهْم من أهل العراق، وأنكر أن يكون جابر شهد بدراً. وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدّثنا روح بن عباد، ثنا زكريا بن إسحاق، ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أُحُداً، منعني أبي، فلما قتل أَبي يوم أُحُد، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ عن غزاة[3]. ورواه مسلم عن أبي خيثمة عن روح. جبّار بن صخر السلمي، جبر بن عتيك الأنصاري، جُبَيْر بن إياس الخزرجيّ.

حرف الحاء: الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي، الحارث بن أوس بن معاذ ابن أخي سعد بن معاذ الأوسي، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عُبَيْد بن أميّة بن زيد بن مالك بن الأوس ردّه عليه السلام من الطريق، وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن خزمة بن

---

(١) أمتح: استخرج.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ١٤٥، وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٩.

عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، حليف لبني زعور ابن عبد الأشهل، الحارث بن الصمّة الخزرجي، ردّه عليه السلام لأنه كسر من الطريق، وضرب له بسهمه وأجره، الحارث بن عرفجة الأوسي، الحارث بن قيس بن خلدة أبو خالد الخزرجي، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري، حارثة بن سراقة النجّاري أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرُفع إلى الفردوس، حارثة بن النعمان بن رافع الأنصاري، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزّى بن قصي، حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي من بني دهمان، هكذا ذكره ابن هشام عن غير ابن إسحاق. وقال الواقدي: حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ، كذا ذكره ابن عائذ في مغازيه. وقال ابن أبي حاتم: حاطب بن عمرو بن عبد شمس، سمعته من أبي، وقال: هو رجل مجهول، الحُبَاب ابن المُنْذر الخزرجيّ، ويقال: كان لواء الخَزْرَج معه يومئذ، حَبِيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة، وقال موسى بن عقبة: حبيب بن سعد بدل أسود، وقال ابن أبي حاتم: حَبِيب بن أَسْلم مولى آل جشم بن الخزرج، أنصاري بدري، حُرَيث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه الأنصاري، أخو عبد الله بن زيد الذي أرى النداء، الحصين بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف، حمزة بن عبد المطّلب بن هاشم عمّ رسول الله ﷺ.

حرف الخاء: خالد بن البكير أخو إياس المتقدم، خالد بن زيد أبو أيوب النجاري، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري، خارجة بن الحمير حليف بني خَنْساء من الخَزْرج، وقيل اسمه حارثة بن الحِمْير، وسمّاه ابن عائذ خارجة فالله أعلم. خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصدّيق، خباب بن الأرت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال: من خزاعة، خبّاب مولى عُتْبة بن غزوان من المهاجرين الأولين، خراش بن الصِمّة السلمي، خبيب بن أساف بن عنبة الخزرجي، خريم بن فاتك ذكره البخاري فيهم، خليفة بن عدي الخزرجي، خُلَيْد بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السّهمي، قتل يومئذ، فتأيمت منه حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب، خوات بن جُبَيْر الأنصاري، ضرب له بسهمه وأجره، لم يشهدها بنفسه، خولي بن أبي خولي العِجْلي حليف بني عدي من المهاجرين الأولين، خلاد بن رافع، وخلاّد بن سويد، وخلاّد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون.

حرف الذال: ذكوان بن عبد قيس الخزرجي، ذو الشمالين ابن عبد بن عمرو بن نضلة من غَبْشان بن سليم بن مَلكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من بني خزاعة، حليف لبني زُهْرَة، قتل يومئذ شهيداً. قال ابن هشام: واسمه عُمَير وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسراً.

حرف الراء: رافع بن الحارث الأوسي، رافع بن عنجدة قال ابن هشام: هي أمه، رافع بن المعلى بن لوذان الخزرجي قتل يومئذ، ربعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن

حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة، وقال موسى بن عقبة: ربعي بن أَبي رافع، ربيع بن إياس الخزرجي، ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف، وهو من المهاجرين الأولين، رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي، رفاعة بن رافع الزرقي، أخو خلاد بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر بن زنير الأوسي أخو أبي لبابة، رفاعة بن عمرو بن زيد الخزرجي.

حرف الزاي: الزبير بن العوّام بن خَوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، زياد بن عمرو، وقال موسى بن عقبة: زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني. وقال الواقدي: زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن رفاعة بن كليب بن برذعة بن عدي بن عمرو بن الزبعري بن رشدان بن قيس بن جهينة، زياد بن لبيد الزرقي، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة، زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه، زيد بن الخطّاب بن نفيل، أخو عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري أبو طلحة رضي الله عنه.

حرف السين: سالم بن عُمَيْر الأوسي، سالم بن [غنم بن] عوف الخزرجي، سالم بن معقل مولى أَبي حُذَيْفة، السّائب بن عثمان بن مظعُون الجُمَحيّ شهد مع أبيه، سبيع بن قيس بن عائذ[١] الخزرجي، سبرة بن فاتك ذكره البخاري، سراقة بن عمرو النجاري، سراقة بن كعب النجاري أيضاً، سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي، من المهاجرين الأوّلين، سعد بن خيثمة الأوسي قتل يومئذ شهيداً، سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أُحُد شهيداً، سعد بن زيد بن مالك الأوسي، وقال الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجاري، سعد بن عبيد الأنصاري، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي، أبو عبادة، وقال ابن عائذ: أَبو عبيدة، سعد بن معاذ الأوسي وكان لواء الأوس معه، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي، ذكره غير واحد منهم عروة والبخاري وابن أَبي حاتم والطبراني فيمن شهد بدراً، ووقع في صحيح مسلم ما يشهد بذلك حين شاور النبيّ ﷺ في ملتقى النفير من قريش، فقال سعد بن عبادة: كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث، والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ، والمشهور أن سعد بن عبادة ردّه من الطريق، قيل لاستنابته على المدينة، وقيل لذعته حيّة، فلم يتمكن من الخروج إلى بدر، حكاه السهيلي عن ابن قتيبة فالله أعلم، سعد بن أَبي وقاص، مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة، سعد بن مالك أبو سهل، قال الواقدي: تجهّز ليخرج فمرض، فمات قبل الخروج، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، ابن عم عمر بن الخطّاب، يقال: قدم من الشام

(١) كذا في الإصابة، وفي المصرية: ابن عيشة، وفي الروض: عبسة بالمهملة. وكذا في أ.

بعد مرجعهم من بدر، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي، سَلَمة بن أسلم بن حريش الأوسي، سَلَمة بن ثابت بن وَقْش بن زغبة، سَلَمة بن سلامة بن وقش بن زغبة، سليم بن الحارث النجاري، سليم بن عمرو السلمي، سليم بن قيس بن فهد الخزرجي، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري، سمّاك بن أوس بن خرشة أبو دجانة، ويقال سمّاك بن خرشة، سمّاك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، وهو أخو بشير بن سعد المتقدم، سهل بن حنيف الأوسي، سهل بن عتيك النجاري، سهل بن قيس السلمي، سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم، سهيل بن وهب الفِهْري، وهو ابن بيضاء وهي أمّه، سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، سنان بن صيفي السلمي، سواد بن زريق بن زيد الأنصاري، وقال الأموي: سواد بن رزام، سواد بن غزية بن أهيب البلوي، سويبط بن سعد بن حرملة العبدري، سويد بن مخشي أو مخشي الطائي، حليف بني عبد شمس، وقيل اسمه أزيد بن حمير.

حرف الشين: شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس، من المهاجرين الأولين، شماس بن عثمان المخزومي، قال ابن هشام: واسمه عثمان بن عثمان، وإنما سمي شماساً لحسنه، وشبهه شماساً كان في الجاهلية، شقران مولى رسول الله ﷺ، قال الواقدي: لم يسهم له، وكان على الأسرى، فأعطاه كل رجل ممن له في الأسرى شيئاً، فحصل له أكثر من سهم.

حرف الصاد: صُهَيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين، صفوان بن وهب بن ربيعة الفِهْري أخو سُهَيْل ابن بيضاء، قُتِل شهيداً يومئذ، صخر بن أمية بن خنساء السلمي.

حرف الضاد: ضحّاك بن حارثة بن زيد السلمي، ضحّاك بن عبد عمرو النجاري، ضُمْرة بن عمرو الجهني، وقال موسى بن عقبة: ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار وهو أخو زياد بن عمرو.

حرف الطاء: طلحة بن عُبَيد اللّه التيمي أحد العشرة، قدم من الشام بعد مرجعهم من بَدْر، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، طُفَيْلُ بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف من المهاجرين، وهو أخو حُصَيْن وعُبَيْدة، طُفَيْل بن مالك بن خنساء السلمي، طُفَيْل بن النعمان بن خنساء السلمي، ابن عمّ الذي قبله، طُلَيْب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كبير ابن عبد بن قصي ذكره الواقدي.

حرف الظاء: ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري.

حرف العين: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، الذي حمته الدبر حين قُتِل بالرّجيع، عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان ردّه عليه السلام من الرّوحاء وضرب له بسهمه وأجره، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي عاقل بن البكير أخو إياس وخالد وعامر، عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري، عامر بن الحارث الفهري، كذا ذكره سَلَمة عن ابن

إسحاق، وابن عائذ وقال موسى بن عقبة، وزياد عن ابن إسحاق: عمرو بن الحارث، عامر بن ربيعة بن مالك العنزي، حليف بني عدي من المهاجرين، عامر بن سَلَمة بن عامر بن عبد الله البلويّ القضاعي، حليف بني سالم بن مالك بن سالم بن غَنْم. قال ابن هشام: ويقال عمر بن سلمة، عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهر، أبو عُبَيْدة بن الجرّاح أحد العشرة من المهاجرين الأولين، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، عامر بن مُخْلد النجاري، عائذ بن ماعض بن قَيْس الخزرجي، عبّاد بن بشر بن وقش الأوسي، عباد بن قيس بن عامر الخزرجي، عباد بن قيس بن عبشة الخزرجي، أخو سبيع المتقدم، عبّاد بن الخشخاش القضاعي، عبادة بن الصامت الخزرجي، عبادة بن قيس بن كعب بن قيس، عبد الله بن أمية بن عرفطة، عبد الله بن ثعلبة بن خزمة أخو بحاث المتقدم، عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، عبد الله بن جُبَيْر بن النعمان الأوسي، عبد الله بن الجد بن قيس السلمي، عبد الله بن حق بن أوس الساعدي. وقال موسى بن عقبة والواقدي وابن عائذ: عبد رب بن حق، وقال ابن هشام: عبد ربه بن حق، عبد الله بن الحمير حليف لبني حرام، وهو أخو خارجة بن الحمير من أشجع، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أري النداء[١]، عبد الله بن سراقة العدوي، لم يذكره موسى بن عقبة، ولا الواقدي، ولا ابن عائذ، وذكره ابن إسحاق وغيره، عبد الله بن سلمة بن مالك العجلان حليف الأنصار، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا، عبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركين، ثم فرّ من المشركين إلى المسلمين، فشهدها معهم، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس[٢]، عبد الله بن عامر من بلى ذكره ابن إسحاق، عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول الخزرجي، وكان أبوه رأس المنافقين، عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سَلَمة زوج أم سَلَمة قتل يومئذ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تَيْم بن مرّة بن كعب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي، عبد الله بن عمر بن حرام السلمي أبو جابر، عبد الله بن عُمَيْر بن عدي الخزرجي، عبد الله بن قيس بن خالد النجاري، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمي، عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار، جعله النبيّ ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر، عبد الله بن مخرمة بن عبد العُزّى من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مسعود الهَذْلي حليف بني زهرة من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مظعون الجُمَحي من المهاجرين الأولين، عبد الله بن

(١) في الإصابة: عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله.

(٢) وفي الإصابة: عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البلوي حليف بني ظفر.

النعمان بن بلدمة السلمي، عبد اللّه بن أنيسة بن النعمان السلمي، عبد الرَّحمٰن بن جبر بن عمرو أبو عبيس الخزرجي، عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن ثعلبة أبو عقيل القضاعيّ البلويّ، عبد الرَّحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري، أحد العشرة رضي الله عنهم، عبس بن عامر بن عدي السلمي، عُبَيْد بن التّيهان أخو أبو الهيثم بن التيهان، ويقال عتيك بدل عبيد، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك، عبيد بن زيد بن عامر بن عمرو بن العجلان بن عامر، عبيد بن أبي عبيد، عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل، وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر، فقطعت يده، ثم مات بعد المعركة رضي الله عنه، عتبان بن مالك بن عمرو الخزرجي، عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهراني، حليف بني أمية بن لوذان، عتبة بن عبد اللّه بن صخر السلمي، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين، عثمان بن عفّان بن أَبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد العشرة، تخلّف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت، فضرب له بسهمه وأجره، عثمان بن مظعون الجُمَحيّ أبو السائب، أخو عبد اللّه وقدامة من المهاجرين الأولين، عديّ بن أَبي الزّغباء الجهني، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمرو بين يديه عيناً، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، عصيمة حليف لبني الحارث بن سوار من أشجع، وقيل: من بني أسد بن خزيمة، عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجي، عقبة بن عامر بن نابي السلمي، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجي أخو سعد بن عثمان، عقبة بن عمرو أَبو مسعود البَدْري، وقع في صحيح البخاري أنه شهد بدراً، وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي، ولهذا لم يذكروه، عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي، أسد خزيمة، حليف لبني عبد شمس، وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين عقبة بن كلدة حليف بني غطفان، وعكاشة بن محصن الغنمي من المهاجرين الأولين، وممن لا حساب عليه، علي بن أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ رضي الله عنه، عمّار بن ياسر العنسي المذحجي من المهاجرين الأولين، عمارة بن حزم بن زيد النجاري، عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد الشيخين المقتدى بهم رضي الله عنهما، عمر بن عمرو بن إياس، من أهل اليمن، حليف لبني لوذان بن عمرو بن سالم، وقيل هو أخو ربيع وورقة، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر أبو حكيم، عمرو بن الحارث بن زهير بن أَبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبشة بن الحارث بن فهر الفهري، عمرو بن سراقة العدوي من المهاجرين، عمرو بن أَبي سَرْح الفِهْريّ من المهاجرين. وقال الواقدي وابن عائذ: معمر بدل عمرو، عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام، عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم، ذكره الواقدي والأموي، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن خنساء بن

عمرو بن مالك بن عدي ابن عامر أَبو خارجة ولـم يذكره موسى بن عقبة[١]، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسي، عمرو بن معاذ الأوسي، أخو سعد بن معاذ، عُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة، ويقال: عمرو بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي، عمير بن حرام بن الجموح السلمي ذكره ابن عائذ والواقدي، عُمَيْر بن الحمام بن الجموح ابن عمّ الذي قبله، قتل يومئذ شهيداً، عُمَيْر بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني، عُمَيْر بن عوف، مولى سهيل بن عمرو، وسمّاه الأموي وغيره عمرو بن عوف، وكذا وقع في الصحيحين في حديث بعث أَبي عبيدة إلى البحرين، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أَبي وقّاص قتل يومئذ شهيداً، عنترة مولى بني سليم وقيل إنه منهم فالله أعلم، عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية، قتل يومئذ شهيداً، عُوَيْم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد، عيّاض بن غَنْم الفِهْرِيّ من المهاجرين الأولين، رضي الله عنهم أجمعين.

حرف الغين: غنام بن أوس الخزرجي، ذكره الواقدي وليس بمجمع عليه.

حرف الفاء: الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي، فروة بن عمرو بن ودفة[٢] الخزرجي.

حرف القاف: قتادة بن النعمان الأوسي، قدامة بن مظعون الجُمَحِي من المهاجرين، أخو عثمان وعبد اللّه، قطبة بن عامر بن حديدة السلمي، قيس بن السكن النجاري، قيس بن أَبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر، قيس بن محصن بن خالد الخزرجي، قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري.

حرف الكاف: كعب بن حمان، ويقال جمار، ويقال جماز، وقال ابن هشام: كعب بن عبشان، ويقال كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز، وقال الأموي: كعب بن ثعلبة ابن جبالة بن غنم الغساني، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة، كعب بن زيد بن قيس النجاري، كعب بن عمرو أَبو اليسر السلمي، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين، ذكره موسى بن عقبة، كناز بن حصين بن يربوع أَبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين.

حرف الميم: مالك بن الدّخشم، ويقال ابن الدخشن الخزرجي، مالك بن أَبي خولي الجعفي حليف بني عدي، مالك بن ربيعة أَبو أسيد الساعدي، مالك بن قدامة الأوسي، مالك بن عمرو أخو ثَقَف بن عمرو، وكلاهما مهاجريّ، وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد، مالك بن قدامة الأوسي، مالك بن مسعود الخزرجي، مالك بن ثابت بن

---

(١) في الإصابة: عمرو بن قيس بن حزن بن عدي بن مالك بن سالم بن عوف بن مالك الأنصاري الخزرجي.

(٢) وقال السهيلي ويقال: وذفة بالذال المعجمة.

نميلة المزني، حليف لبني عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر بن زنير الأوسي أخو أَبي لبابة ورفاعة، قُتل يومئذ شهيداً، المجذَّر بن زياد البلوي مهاجري، محرز بن عامر النجاري، محرز بن نضلة الأسدي، حليف بني عبد شمس مهاجريّ، محمّد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل، مدلج ويقال مدلاج بن عمرو أخو ثَقَف بن عمرو مهاجري، مرثد بن أبي مرثد الغنوي، مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين، وقيل اسمه عوف، مسعود بن أوس الأنصاري النجاري، مسعود بن خلدة الخزرجي، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري، مسعود بن سعد، ويقال: ابن عبد سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي، مصعب بن عُمَير العَبْدَرِيّ مهاجريّ، كان معه اللواء يومئذ، مُعَاذ بن جبل الخزرجي، مُعاذ بن الحارث النجاري، وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي، معاذ بن ماعض الخزرجي أخو عائذ، معبد بن عباد بن قشير بن الفِدم بن سالم بن غنم، ويقال: معبد بن عَبَادة بن قيس، وقال الواقدي: قشعر بدل قشير، وقال ابن هشام: قشعر أَبو خميصة، معبد بن قيس بن صخر السلمي، أخو عبد الله بن قيس، معتب بن عبيد بن إياس البلويّ القضاعيّ، معتب بن عوف الخزاعي، حليف بني مخزوم من المهاجرين، معتب بن قشير الأوسي، معقل بن المنذر السلمي، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين، معن بن عدي الأوسي، معوذ ابن الحارث الجُمَحِيّ وهو ابن عفراء، أخو معاذ بن عوف، معوذ بن عمرو بن الجموح السلميُّ، لعله أخو معاذ بن عمرو، المقداد بن عمرو البهراني وهو المقداد بن الأسود، من المهاجرين الأولين، وهو ذو المقال المحمود ابن المتقدم ذكره، وكان أحد الفرسان يومئذ، مليل بن وبرة الخزرجي، المنذر بن عمرو بن خنَيْس الساعدي، المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي، المنذر بن محمّد بن عقبة الأنصاري من بني جحجبى، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن، وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ.

حرف النون: نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر بن كعب، نعمان بن عبد عمرو النجاري، وهو أخو الضحّاك، نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري، نعمان بن عصر بن الحارث حليف لبني الأوس، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي، ويقال له: قوقل، نعمان ابن يسار مولى لبني نعمان بن سنان بن عُبَيْد، ويقال: نعمان بن سنان، نوفل بن عُبَيد الله بن نضلة الخزرجي.

حرف الهاء: هانىء بن نيار أبو بردة البلوي، خال البراء بن عازب، هلال بن أمية الواقفي، وقع ذكره في أهل بَدْر في الصحيحين، في قصة كعب بن مالك، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي، هلال بن المعلى الخزرجي أخو رافع بن المعلى.

حرف الواو: واقد بن عبد الله التميمي، حليف بني عدي من المهاجرين، وديعة بن عمرو بن جراد الجهني، ذكره الواقدي وابن عائذ، ورقة بن إياس بن عمرو الخزرجي، أخو

ربيع بن إياس، وهب بن سعد بن أَبي سرح، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي، ولم يذكره ابن إسحاق.

حرف الياء: يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرّة السلمي، قال السهيلي: شهد هو وأبوه وابنه، يعني بدراً، ولا يعرف لهم نظير في الصحابة، ولم يذكرهم ابن إسحاق، والأكثرون، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي، وهو الذي يقال له ابن قَسْحم، وهي أمّه، قتل يومئذ شهيداً ببدر، يزيد بن عامر بن حديدة أَبو المنذر السلمي، يزيد بن المنذر بن سرح السلميّ وهو أخو معقل بن المنذر.

باب الكنى

أَبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم، أَبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري، وقال ابن هشام أَبو الأعور الحارث بن ظالم، وقال الواقدي: أَبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب ابن ظالم، أَبو بكر الصدِّيق عبد الله بن عثمان تقدم، أَبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة ابن عمرو بن عوف الأنصاري، أَبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين، وقيل اسمه مهشم، أَبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة ابن عفراء، أَبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري، أَبو سُبَرْة مولى أَبي رهم بن عبد العُزّى من المهاجرين، أَبو سنان بن محصن بن حرثان أخو عكاشة، ومعه ابنه سنان من المهاجرين، أَبو الصياح بن النعمان، وقيل عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة، رجع من الطريق، وقتل يوم خَيْبر، رجع لجرح أصابه من حجر، فضرب له بسهمه، أَبو عَزفَجة من حلفاء بني جحجبي، أَبو كَبْشة مولى رسول الله ﷺ، أَبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم، أَبو مرثد الغنوي كناز بن حصين تقدم، أَبو مسعود البدري عقبة بن عمرو تقدم، أَبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي.

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، منهم رسول الله ﷺ كما قال البخاري: حدّثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا أَبو إسحاق، سمعت البراء بن عازب يقول: حدّثني أصحاب محمّد ﷺ ورضي عنهم ممن شهد بدراً، أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلاّ مؤمن[1]. ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل وسفيان الثوري عن أَبي إسحاق، عن البراء نحوه. قال ابن جرير: وهذا قول عامة السلف إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً؛ وقال أيضاً: حدّثنا محمود، ثنا وهب عن شعبة، عن أَبي إسحاق، عن البراء. قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين[2].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦، وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦، وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٨.

هكذا وقع في هذه الرواية وقال ابن جرير: حدّثني محمّد بن عبيد المحاربي، ثنا أبو مالك الجبني، عن الحجّاج ـ وهو ابن أرطأة ـ عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس، قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً. وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً. وكان حامل راية النبيّ ﷺ علي بن أبي طالب. وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة. وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال. قال ابن جرير: وقيل كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال.

قلت: وقد يكون هذا عدّ معهم النبيّ ﷺ، والأول عدّهم بدونه فالله أعلم. وقد تقدّم عن ابن إسحاق أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وأن الأوس أحد وستون رجلاً. والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردهم. وهذا مخالف لما ذكره البخاري، ولما رُوي عن ابن عبّاس فالله أعلم. وفي الصحيح عن أنس أنه قيل له شهدت بدراً. فقال: وأين أغيب؟ وفي سنن أبي داود عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد اللّه بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أميح[1] لأصحابي الماء يوم بدر[2] وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم.

قلت: وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضُرِب له بسهم في مغنمها، وأنه لم يحضرها تخلّف عنها لعذر أذن له في التخلّف بسببها، وكانوا ثمانية أو تسعة وهم، عثمان بن عفّان تخلّف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره، وطلحة بن عُبَيد اللّه كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ردّه رسول الله ﷺ من الرّوحاء حين بلغه خروج النفير من مكة، فاستعمله على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن حاطب بن عُبَيْد بن أمية، ردّه رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق، وضرب له بسهمه وأجره، والحارث بن الصمّة كسر بالرّوحاء، فرجع فضرب له بسهمه، زاد الواقدي: وأجره، وخوات بن جُبَيْر لم يحضر الوقعة، وضرب له بسهمه وأجره، وأبو الصيّاح بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حِجْر، فرجع وضرب له بسهمه وأجره، قال الواقدي: وسعد أبو مالك تجهّز ليخرج فمات، وقيل إنه مات بالرّوحاء فضرب له بسهمه وأجره. وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً[3]، من المهاجرين ستة وهم؛ عُبَيْدة بن الحارث بن المطّلب، قطعت رجله فمات بالصّفراء رحمه الله، وعُمَيْر بن أبي وقّاص أخو سعد بن أبي وقّاص الزهري، قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره

---

(١) الميح: النزول إلى البئر وملء الدلو منها، وذلك إذا قلّ ماؤها ومنه قولهم:

أيها المائح دلوي دونكا ... إني رأيت الناس يقصدونكا

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٥٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٤٧.

فبكى، فأذن له في الذهاب فقتل رضي الله عنه، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي، وصفوان ابن بيضاء، وعاقل بن البكير الليثي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب، وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ، ومن الأنصار ثمانية وهم: حارثة بن سراقة، رماه حِبَان بن العرقة بسهم، فأصاب حنجرته فمات، ومعوذ وعوف ابنا عفراء، ويزيد بن الحارث ـ ويقال ابن قسحم ـ وعُمَير بن الحمام، ورافع بن المعلى بن لوذان، وسعد بن خَيْثمة، ومُبَشّر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم، وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدم. قال ابن إسحاق: وكان معهم فَرَسان على أحدهما المقداد بن الأسود واسمها بغرجة ـ ويقال ستجة ـ وعلى الأخرى الزبير بن العوّام واسمها اليعسوب. وكان معهم لواء يحمله مُصْعب بن عُمَير، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين علي بن أبي طالب، والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادة، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصدّيق، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ.

وأما جميع المشركين فأحسن ما يقال فيهم إنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وقد نصّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً. وقال الواقدي: كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً، وهذا التحديد يحتاج إلى دليل، وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف، فلعله عدد أتباعهم معهم، والله أعلم. وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنه قتل منهم سبعون، وأسر سبعون وهذا قول الجمهور، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له: [البحر الكامل]

فَأَقَامَ بِالعَطَنِ[1] المُعَطَّنِ مِنهُمُ سَبْعُونَ، عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ

وقد حكى الواقدي الإجماع على ذلك، وفيما قاله نظر، فإن موسى بن عقبة وعروة ابن الزبير قالا خلاف ذلك، وهما من أئمة هذا الشأن، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم. وقد سَرَدَ أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره، وحرّر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً، وقد تقدّم في غضون سياقات القصّة ذكر أول من قتل منهم، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعي ـ أو العقيلي ـ حليف بني مخزوم، وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القائل في شعره: [الطويل]

وَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدمَى كُلُومُنَا[2] وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ

فما صدق في ذلك، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه السلام أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء، منهم: أبو العاص بن الربيع

(١) العطن: في الأصل مبرك الإبل حول الماء، فاستعاره هنا لقتلى يوم بدر.

(٢) كلومنا: جروحنا.

الأموي، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة كما تقدّم، وأبو عزّة الشاعر، ووهب بن عمير بن وهب الجُمَحي كما تقدّم، وفادى بقيتهم حتى عمّه العباس، أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى، لئلا يحابيه لكونه عمّه، مع أنه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه، فأبى عليهم ذلك، وقال لا تتركوا منه درهماً، وقد كان فداؤهم متفاوتاً، فأقلّ ما أخذ أربعمائة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب. قال موسى بن عقبة: وأخذ من العبّاس مائة أوقية من ذهب، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه، كما قال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عاصم. قال: قال داود: ثنا عكرمة عن ابن عبّاس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام يوماً يبكي إلى أمّه فقالت: ما شأنك؟ فقال: ضربني معلّمي، فقالت: الخبيث يطلب بدخل بدر، والله لا تأتيه أبداً. انفرد به أحمد، وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله ولله الحمد والمنة.

فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاري في هذا الباب: **حدّثنا** عبد اللّه بن محمّد، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول: أصيب حارثة يوم بدر، فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يك في الجنّة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى فترى ما أصنع فقال: «وَيْحَكِ أَوَهُبِلْتِ أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإِنَّهُ في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[1] تفردّ به البخاري من هذا الوجه. وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابت، وقتادة عن أنس، وأن حارثة كان في النظارة وفيه: «أَنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[2] وفي هذا تنبيه عظيم على فضل أهل بدر، فإن هذا الذي لم يكن في بحيحة القتال[3]، ولا في حومة الوغى، بل كان من النظارة من بعيد، وإنما أصابه سهم غَرب، وهو يشرب من الحوض، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان، وأوسط الجنّة، ومنه تفجّر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمّته إذا سألوا الله الجنّة، أن يسألوه إياها، فإذا كان هذا حال هذا، فما ظنّك بمن كان واقفاً في نحر العدو، وعدوهم على ثلاثة أضعافهم عَدداً وعُدداً.

ثم روى البخاري ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويه، عن عبد اللّه بن إدريس، عن حصين بن عبد الرَّحمٰن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرَّحمٰن السُّلَمِيّ، عن علي ابن أبي طالب، قصّة حاطب بن أبي بلتعة، وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال رسول

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٩، والرقاق باب ٥١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٢٤، ٢١٥.

(٣) بحيحة القتال خضم القتال.

الله ﷺ: «قَدْ شَهِدَ بَدراً وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ولفظ البخاري: «أَلَيسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَلَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ ـ أَوْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ـ» فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم[(١)]. وروى مسلم عن قتيبة، عن الليث، عن أبي الزبير، عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً قال: يا رسول الله ليدخلنّ حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَبْتَ! لاَ يَدْخُلُهَا إِنَّهُ شَهِدَ بَدْراً وَالحُدَيْبِيَةَ»[(٢)] وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان بن داود، حدّثنا أبو بكر بن عياش، حدّثني الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْراً أَوِ الحُدَيْبِيَةَ»[(٣)] تفرّد به أحمد وهو على شرط مسلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، أنبأنا حمّاد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(٤)]. ورواه أبو داود عن أحمد بن سنان وموسى بن إسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به. وروى البزّار في مسنده ثنا محمّد بن مرزوق، ثنا أبو حذيفة، ثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ يَدْخُلَ النَّارَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ثم قال: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلاّ من هذا الوجه. قلت: وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث، ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم.

وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدراً، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا جرير عن يحيى بن سعيد، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فقال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: «مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ» ـ أو كلمة نحوها ـ قال: «وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»[(٥)] انفرد به البخاري.

[فصل في][(٦)] قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة بعد وقعة بدر بشهر، بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبي ﷺ [كما تقدم][(٧)]

قال ابن إسحاق: ولما رجع أبو العاص إلى مكّة وقد خلّي سبيله ـ يعني كما تقدم ـ

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٩، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦١.
(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٢.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٩٦.
(٤) أخرجه أبو داود في السنة باب ٩، وأحمد في المسند ٢/٢٩٥، ٢٩٦.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ١١.
(٦) سقط في أ والمثبت في ط.
(٧) سقط في ط.

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا ببطن يأجج[١] حتى تمر بكما زينب، فتصحباها فتأتياني بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر ـ أو شيعه[٢] ـ فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهز. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عُتْبَة فقالت: يا ابنة محمّد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عم، لا تفعلي إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلّغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطبني[٣] مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلاّ لتفعل، قالت: ولكني خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قال ابن إسحاق: فتجهّزت، فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً، فركبته وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى الفهري فروعها هبّار بالرمح، وهي في الهودج، وكانت حاملاً فيما يزعمون فطرحت، وبرك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلاّ وضعت فيه سهماً، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في جلّة من قريش، فقال: يا أيها الرجل كفّ عنا نبلك حتى نكلمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمّد، فيظنّ الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، إن ذلك عن ذلّ أصابنا، وإن ذلك ضعف منا ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها من أبيها من حاجة، وما لنا من ثورة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتُحدّث الناس أن قد رددناها، فسلها سراً والحقها بأبيها، قال: ففعل. وقد ذكر ابن إسحاق أن أولئك النفر الذين ردّوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تذمّهم على ذلك: [الطويل]

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَاراً جِفَاءً وَغِلْظَةً   وَفِي الحَرْبِ أَشْبَاهُ النِّسَاءِ العَوَارِكِ[٤]

وقد قيل: إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر، بعدما قتل منهم الذين قتلوا. قال ابن إسحاق: فأقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ. وقد روى البيهقي في الدلائل من طريق

(١) يأجج: اسم لمكانين: أحدهما: على ثمانية أميال من مكة، والثاني أبعد منه، وفيه بني مسجد الشجرة، وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان.
(٢) قوله أو شيعه أي أو نحواً من شهر حكاه في النهاية.
(٣) في ابن هشام: لا تضطني، وفي رواية لا تظطني: أي لا تستحي، وبالظاء: من ظنت أي لا تتهميني ولا تستريبي بي.
(٤) العوارك: المغنجات.

عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن عروة، عن عائشة، فذكر قصّة خروجها، وردّهم لها، ووضعها ما في بطنها، وإن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجيء معه، فتلطّف زيد فأعطاه راعياً من مكة، فأعطى الخاتم لزينب، فلما رأته عرفته، فقالت: من دفع إليك هذا؟ قال: رجل في ظاهر مكة، فخرجت زينب ليلاً، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة. قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ أَفْضَلُ بَنَاتِي أُصِيبَتْ فِيَّ» قال فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين، فأتى عروة فقال: ما حديث بلغني أنك تحدّثته؟ فقال عروة: والله ما أحبّ أن لي ما بين المشرق والمغرب، وإني انتقص فاطمة حقاً هو لها، وأما بعد ذلك أن لا أحدّث به أبداً. قال ابن إسحاق: فقال في ذلك عبد الله بن رواحة، أو أبو خَيْثَمة، أخو بني سالم بن عوف. قال ابن هشام هي لأبي خَيْثمة: [الطويل]

أَتَـانِـي الَّـذِي لاَ يَـقْـدِرُ الـنَّـاسُ قَـدْرَهُ ... لِـزَيْـنَـبَ فِـيـهِـمْ مِـنْ عُـقُـوقٍ وَمَـأْثَـمِ
وَإِخْـرَاجُـهَـا لَـمْ يُـخْـزَ فِـيـهَـا مُـحَـمَّـدٌ ... عَـلَـى مَـأْقَـطٍ وَبَـيْـنَـنَـا عِـطْـرُ مَـنْـشِـمِ[1]
وَأَمْسَى أَبُو سُفْيَانُ مِنْ حِلْفِ ضَمْضَمٍ ... وَمِـنْ حَـرْبِـنَـا فِـي رَغْـمِ أَنْـفٍ وَمَـنْـدَمِ
قَـرَنَّـا ابْـنَـهُ عَـمْـراً وَمَـوْلَـى يَـمِـيـنِـهِ ... بِذِي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاَصِلِ مُحْكَمِ[2]
فَـأَقْـسَـمْـتُ لاَ تَـنْـفَـكُّ مِـنَّـا كَـتَـائِـبٌ ... سَـرَاةُ خَـمِـيـسٍ مِـنْ لُـهَـامٍ مُـسَـوَّمِ
نَـزُوعُ قُـرَيْـشَ الـكُـفْـرِ حَـتَّـى نـعـلّـهـا ... بِـخَـاطِـمَـةٍ فَـوْقَ الأُنُـوفِ بِـمَـيْـسَـمِ[3]
نُـنَـزِّلُـهُـمْ أَكْـنَـافَ نَـجْـدٍ وَنَـخْـلَـةٍ ... وَإِنْ يُتْهِمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ نُتْهِمِ[4]
يَـدَ الـدَّهْـرِ حَـتَّـى لاَ يُـعَـوَّجَ سِـرْبُـنَـا[5] ... وَنُـلْـحِـقُـهُـمْ آثَـارَ عَـادٍ وَجُـرْهُـمِ
وَيَـنْـدَمُ قَـوْمٌ لَـمْ يُـطِـيـعُـوا مُـحَـمَّـداً ... عَـلَـى أَمْـرِهِـمْ وَأَيَّ حِـيـنَ تَـنَـدُّمِ
فَـأَبْـلِـغْ أَبَـا سُـفْـيَـانَ إِمَّـا لَـقِـيـتَـهُ ... لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِص سُجُوداً وَتُسْلِمِ
فَـأَبْـشِـرْ بِـخِـزْيٍ فِـي الـحَـيَـاةِ مُـعَـجَّـلٍ ... وَسِـرْبَـالِ قَـارٍ خَـالِـداً فِـي جَـهَـنَّـمِ

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر، هو عامر بن الحضرمي. وقال ابن هشام: إنما هو عُقْبة بن عبد الحارث بن الحضرمي، فأما عامر بن الحضرمي فإنه قُتل يوم بدر. قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن

---

(١) عطر منشم: مثل، يكنى به عن شدة الحرب، قيل في أصله أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشر منها للموتى، حتى تشاءموا بها لذلك. والمأقط: معترك الحرب.

(٢) بذي حلق: يعني الغل. والصلاصل: ج صلصلة، وهي صوت الحديد.

(٣) نزوع: أي نسوقهم كما تُساق الإبل، وفي الأصل نروع وهو تحريف. ونعلّها: أي نستذلهم ونيد عليهم الكرة.

(٤) الأكناف: النواحي، نخلة: موضع قريب من مكة. واتهم: أي أتى تهامة.

(٥) السرب: بالكسر: الطريق، وبالفتح: المال الذي يرعى.

الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدّوسي، عن أبي هريرة. قال: بعث النبيّ ﷺ سرية أنا فيها فقال: «إنْ ظَفَرْتُمْ بِهبّارِ بْنِ الأسْودِ والرَّجُلِ الّذِي سبَقَ مَعَهُ إِلَى زَيْنَبَ فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ» فلما كان الغد بعث إلينا فقال: «إنّي قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ بِتَحْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمُوهَا، ثُمَّ رَأَيْتُ أنّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُحرِّق بِالنَّارِ إلاَّ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ بِهِمَا فَاقْتُلُوهُمَا» تفرّد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن(١) ولم يخرجوه.

وقال البخاري: حدّثنا قتيبة، ثنا الليث عن بكير، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة، أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إنْ وَجدْتُمْ فُلاناً وَفُلاناً فأحرقُوهُمَا بالنَّارِ» ثم قال حين أردنا الخروج: «إنّي أمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلاناً وَفُلاناً، وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إلاَّ اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُموهما فَاقْتُلوهُمَا»(٢) وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا العاص أقام بمكة على كفره، واستمرّت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قُبَيْل الفتح، خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية فأخذوا ما معه، وأعجزهم هرباً، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبّر وكبّر الناس، صرخت من صُفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلّم رسول الله ﷺ أقبل على الناس فقال: «أيُّهَا النَّاسُ هَلْ سَمِعْتُمْ الذِي سَمِعْتُ؟» قالوا: نعم! قال: «أمَا وَالّذِي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيَدِهِ ما عَلِمْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ، وَإنّه يجير عَلَى المُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ» ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال: «أيْ بُنيّةُ أكْرِمِي مَثْواهُ، وَلاَ يَخْلُصَنَّ إِلَيْكِ فَإنَّكِ لا تَحِلِّينَ لَهُ» قال: وبعث رسول الله ﷺ فحثّهم على ردّ ما كان معه، فردّوه بأسره لا يفقد منه شيئاً، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكّة فأعطى كل إنسان ما كان له، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلاّ تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدَّثني داود بن الحصين عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: ردّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأوّل ولم يحدث شيئاً(٣)، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث محمّد بن إسحاق، وقال الترمذي: ليس بإسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين .

وقال السهيلي: لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت وفي لفظ ردّها عليه رسول

---

(١) كذا في المصرية. وفي الحلبية على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٤٩.

(٣) أخرجه أبو داود في الطلاق باب ٢٤، والترمذي في النكاح باب ٤٢، وابن ماجة في النكاح باب ٦٠، واحمد في المسند ١/٢١٧.

الله ﷺ بعد ست سنين، وفي رواية بعد سنتين بالنكاح الأول رواه ابن جرير. وفي رواية لم يحدث نكاحاً، وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء، فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر، فإن كان قبل الدخول تعجّلت الفرقة، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدّة، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها، وزينب رضي الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ، وهاجرت بعد بدر بشهر، وحرّم المسلمات على المشركين عام الحُدَيْبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان، فمن قال: ردّها عليه بعد ست سنين، أي من حين هجرتها فهو صحيح، ومن قال بعد سنتين أي حين حرّمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضاً، وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدّتها في هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم، أو قريب منها، فكيف ردّها عليه بالنكاح الأول؟ فقال قائلون: يحتمل أن عدّتها لم تنقض، وهذه قصّة يمين يتطرّق إليها الاحتمال، وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، من حديث الحجّاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه أن رسول الله ﷺ ردّ بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد، ونكاح جديد[1].

قال الإمام أحمد: هذا حديث ضعيف واه، ولم يسمعه الحجّاج من عمرو بن شعيب، إنما سمعه من محمّد بن عُبَيد الله العرزمي، والعرزمي لا يساوي حديثه شيئاً، والحديث الصحيح الذي روي أن النبيّ ﷺ أقرّها على النكاح الأول. وهكذا قال الدارقطني، لا يثبت هذا الحديث، والصواب حديث ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأول. وقال الترمذي هذا حديث في إسناده مقال، والعمل عليه عند أهل العلم، أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها، ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدّة، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال آخرون بل الظاهر انقضاء عدّتها، ومن روى أنه جدّد لها نكاحاً فضعيف، ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدّتها، فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك، بل يبقى بالخيار، إن شاءت تزوّجت غيره، وإن شاءت تربّصت وانتظرت إسلام زوجها، أي وقت كان، وهي امرأته ما لم تتزوج، وهذا القول فيه قوّة وله حظّ من جهة الفقه والله أعلم. ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري حيث قال نكاح من أسلم من المشركات وعدّتهن: حدّثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عبّاس كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، كانوا مشركي أهل الحرب يقاتلونهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه، فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر، فإذا طهّرت حلّ لها النكاح، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه، وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهما حرّان، ولهما ما للمهاجرين[2]، ثم ذكر من أهل العَهْد مثل حديث

---

(١) أخرجه الترمذي في النكاح باب ٢٤، وابن ماجة في النكاح باب ٦٠، وأحمد في المسند ٢/٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق باب ١٩.

مجاهد هذا لفظه بحروفه، فقوله فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر، يقتضي أنها كانت تستبرىء بحيضة، لا تعتد بثلاثة قروء، وقد ذهب قوم إلى هذا، وقوله فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه، يقتضي أنه وإن هاجر بعد انقضاء مدّة الاستبراء والعدّة، أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجاً غيره، كما هو الظاهر من قصّة زينب بنت النبي ﷺ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم.

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق عن حمزة بن عبد المطّلب وأنكرها ابن هشام: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَمْراً كَانَ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ ... وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابٌ مُبَيِّنَةُ الأَمْرِ
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَوْماً أَفَادَهُمْ ... فَخَافُوا تَوَاصٍ بِالعُقُوقِ[1] وَبِالكُفْرِ
عَشِيَّةَ رَاحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمْعِهِمْ ... وَكَانُوا رُهُوناً لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ[2]
وَكُنَّا طَلَبْنَا العِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا ... فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ
فَلَمَّا الْتَقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةٌ ... لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ[3]
وَضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتَلِي الهَامَ حَدُّهَا ... مُشَهَّرَةِ الأَلْوَانِ بَيِّنَةِ الأُثْرِ[4]
وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُتْبَةَ الغَيِّ ثَاوِياً ... وَشَيْبَةَ فِي قَتْلَى تَجَرْجَم فِي الجَفْرِ[5]
وَعَمْرٍ وَثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِنْ حُمَاتِهِمْ ... فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرِو
جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... كِرَام تَفَرَّعْنَ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ[6]
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِّلُوا فِي ضَلاَلِهِمْ ... وَخَلَّوا لِوَاءً غَيْرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ
لِوَاءَ ضَلاَلٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ ... فَخَاسَ بِهِمْ، إِنَّ الخَبِيثَ إِلَى غَدْرِ
وَقَالَ لَهُمْ، إِذْ عَايَنَ الأَمْرَ وَاضِحاً ... بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بِيَ اليَوْمَ مِنْ صَبْرِ
فَإِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَإِنَّنِي ... أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسْرِ[7]
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا ... وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبُرِ القَوْمُ ذَا خُبْرِ

---

(١) العقوق: المخالفة في الأمر.
(٢) الركية: البئر غير المطوية.
(٣) مثنوية: أي رجوع وانصراف. والمثقفة: الرماح المقومة.
(٤) الأثر: بضم الهمزة: وشي السيف وفرنده.
(٥) تجرجم: تسقط. والجفر: البئر المتسعة.
(٦) تفرعن: علون. الذوائب: الأعالي.
(٧) القسر: القهر والغلبة.

فَكَانُوا غَدَاةَ البِئْرِ أَلفاً وَجَمْعُنَا ... ثَلاثُ مِئِينٍ كَالمُسدَّمَةِ الزُّهْرِ[(١)]
وَفِينَا جُنُودُ اللَّهُ حِينَ يُمِدُّنا ... بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضِحَ الذِّكْرِ
فَشَدَّ بِهِمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا ... لَدى مَأْزَقٍ فِيهِ مَنَايَاهُمُ تَجْرِي

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام تركناها عمداً. وقال علي بن أبي طالب وأنكرها ابن هشام: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبلَى[(٢)] رَسُولَهُ ... بَلاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
بِمَا أَنْزَلَ الكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ ... فَلاقَوْا هَوَاناً مِنْ أَسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ ... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أُرسِلَ بِالعَدْلِ
فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَةٌ آيَاتُهُ لِذَوِي العَقْلِ
فَآمَنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيْقَنُوا ... فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ ... فَزَادَهُم ذُو العَرْشِ خَبْلاً عَلَى خَبْلِ[(٣)]
وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ ... وَقَوْماً غِضَاباً فِعْلُهُمْ أَحْسَنَ الفِعْلِ
بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ خِفَافٌ عَصَوا بِهَا ... وَقَدْ حَادَثُوهَا بِالجَلاءِ وَبِالصَّقْلِ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِىءٍ ذُو حَمِيَّةٍ ... صَرِيعاً وَمِنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمْ كَهْلِ
تَبِيتُ عُيُونُ النَّائِحَاتِ عَلَيْهِمُ ... تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرَّشَاشِ وَبِالوَبْلِ[(٤)]
نَوَائِحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَيِّ وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ تَنْعَاهُ وَتَنْعَى أَبَا جَهْلِ
وَذَا الرِّجْلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدْعَانَ فِيهِمُ ... مُسَلَّبَةً حَرَّىٰ مُبَيَّنَةَ الثُّكْلِ[(٥)]
ثَوَى مِنْهُمُ فِي بِئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ ... ذَوُو نَجدَاتٍ فِي الحُرُوبِ وَفِي المَحْلِ
دَعَا الغَيُّ مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ ... وَلِلْغَيِّ أَسْبَابٌ مُرَمَّقَةُ الوَصْلِ[(٦)]
فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الجَحِيمِ بِمَعْزَلٍ ... عَنِ الشَّغْبِ وَالعُدْوَانِ فِي أَسْفَلِ السُّفْلِ[(٧)]

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضها من الحارث أيضاً تركناها قصداً، وقال كعب بن مالك: [الطويل]

---

(١) المسدّمة: الفحول من الإبل، والزهر: البيض.
(٢) أبلى: أي منّ عليه وأنعم، وصنع له صنعاً حسناً.
(٣) زاغت: مالت عن الحق. الخبل: الفساد.
(٤) الإسبال: الإرسال، يقال: أسبل دمعه، وذلك إذا أرسله، والرشاش: المطر الضعيف والوبل: الكثير.
(٥) ذي الرجل أي الأسود الذي قطع حمزة رجله عند الحوض. والمسلبة: التي لبست السلاب، وهي خرقة سوداء تلبسها الثكلى. وحرّي: محرقة الجوف من الحزن. والثكل: الفقد.
(٦) مرمقة: ضعيفة، من الرمق، وهو الشيء اليسير الضعيف.
(٧) كذا في المصرية وفي ابن هشام والحلبية: في أشغل الشغل.

عَجِبْتُ لأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ، لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلاَقِيَ مَعْشَراً بَغَوْا وَسَبِيلُ البَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمْعُهُمْ مُتَكَاثِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لاَ تُحَاوِلُ غَيْرَنَا بِأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيعاً وَعَامِرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالأَوْسُ حَوْلَهُ لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لِوَائِهِ يُمَشُّونَ فِي المَاذِيِّ وَالنَّقْعُ ثَائِرُ(١)
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلٌّ مُجَاهِدٌ لأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لاَ رَبَّ غَيْرَهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالحَقِّ ظَاهِرُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا مَقَابِيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرُ(٢)
بِهِنَّ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا وَكَانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً لِوَجْهِهِ وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْتُهُ وَهُوَ عَاثِرُ
وَشَيْبَةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْتُ فِي الوَغَى وَمَا مِنْهُمْ إِلاَّ بِذِي العَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وُقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
تَلَظَّى عَلَيْهِمْ وَهْيَ قَدْ شَبَّ حَمْيُهَا بِزُبْرِ الحَدِيدِ وَالحِجَارَةِ سَاجِرُ(٣)
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَوَلَّوْا وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لأَمْرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللَّهُ زَاجِرُ

وقال كعب في يوم بدر: [البحر الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِي نَأْيِ دَارِهَا وَأَخْبَرُ شَيْءٍ بِالأُمُورِ عَلِيمُهَا
بِأَنْ قَدْ رَمَتْنَا عَنْ قِسِيٍّ عَدَاوَةً مَعَدٌّ مَعاً جُهَّالُهَا وَحَلِيمُهَا
لأَنَّا عَبَدْنَا اللَّهَ لَمْ نَرْجُ غَيْرَهُ رَجَاءَ الجِنَانِ إِذْ أَتَانَا زَعِيمُهَا
نَبِيٌّ لَهُ فِي قَوْمِهِ إِرْثُ عِزَّةٍ وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ هَذَّبَتْهَا أُرُومُهَا(٤)
فَسَارُوا وَسِرْنَا فَالْتَقَيْنَا كَأَنَّنَا أُسُودُ لِقَاءٍ لاَ يُرَجَّى كَلِيمُهَا(٥)
ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى هَوَى فِي مَكَرِّنَا لَمَنْخَرِ سُوءٍ مِنْ لُؤَيٍّ عَظِيمُهَا

---

(١) الماذي: الدروع البيض اللينة، والنقع: الغبار.
(٢) يزهيها: يستخفها ويحركها.
(٣) تلظى: تلتهب. وشب: أوقد. زُبْرُ الحديد: قطعه. ساجر: موقد؛ يقال: سجرت التنور: إذا وقدته ناراً.
(٤) أرومها: أصولها.
(٥) كليمها: جريحها.

فَوَلَّوا وَدُسْنَاهُمْ بِبِيضٍ صَوَارِمٍ ... سَوَاءٌ عَلَيْنَا حِلْفُهَا وَصَمِيمُهَا

وقال كعب أيضاً: [الوافر]

لَعَمْرُو أَبِيكُمَا يَا ابْنَي لُؤَيٍّ ... عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَانْتِخَاءِ (١)
لَمَا حَامَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ ... وَلاَ صَبَرُوا بِهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ
وَرَدْنَاهُ وَنُورُ اللَّهِ يَجْلُو ... دُجَى الظَّلْمَاءِ عَنَّا وَالغِطَاءِ
رَسُولُ اللَّهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرٍ ... مِنَ أَمْرِ اللَّهِ أُحْكِمَ بِالقَضَاءِ
فَمَا ظَفِرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ ... وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
فَلاَ تَعْجَلْ أَبَا سُفْيَانَ وَارْقُبْ ... جِيَادَ الخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كِدَاءِ (٢)
بِنَصْرِ اللَّهِ رُوحُ القُدْسِ فِيهَا ... وَمِيكَالٌ، فَيَا طِيبَ المَلاَءِ (٣)

وقال حسّان بن ثابت: قال ابن هشام، ويقال: هي لعبد اللّه بن الحارث السّهمي: [البسيط]

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ المَاذِيِّ يَقْدُمُهُمْ ... جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ (٤)
أَعْنِي رَسُولَ إِلَهِ الخَلْقِ فَضَّلَهُ ... عَلَى البَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
وَقَدْ زَعَمْتُمْ بِأَنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُمْ ... وَمَاءُ بَدْرٍ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْرُودِ (٥)
مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ ... مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الحَقُّ نَتْبَعُهُ ... حَتَّى المَمَاتِ وَنَصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ
وَافٍ وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الأَمَاجِيدِ (٦)

وقال حسّان بن ثابت أيضاً: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةٍ ... إِبَادَتُنَا الكُفَّارَ فِي سَاعَةِ العُسْرِ
قَتَلْنَا سَرَاةَ القَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا ... فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلاَّ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ ... وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ
قَتَلْنَا سُوَيْداً، ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ ... وَطُعْمَةَ أَيْضاً عِنْدَ ثَائِرَةِ القَتْرِ

---

(١) الانتخاء: الإعجاب والتكبر.
(٢) كداء: موضع بمكة.
(٣) الملاء: أراد الملأ، وهم أشراف القوم وساداتهم.
(٤) النجيزة: الطبيعة، الرعديد: الجبان.
(٥) وبعده في ابن هشام:

ثم وردناه لم نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواه غير تصريد

(٦) الأماجيد: الأشراف.

فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُسَوَّداً ... لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهُ الذِّكْرِ
تَرَكْنَاهُمُوا لِلْعَاوِيَاتِ يَنُبْنَهُمْ(١) ... وَيَصْلَوْنَ نَاراً بَعْدُ حَامِيَةَ القَعْرِ
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ ... وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر في قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعلي، مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأنكرها ابن هشام: [الطويل]

سَتَبْلُغ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقْعَةٌ ... يَهُبُّ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَاكَ نَائِيَا
بِعُتْبَةَ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةَ بَعْدَهُ ... وَمَا كَانَ فِيهَا بِكْرُ عُتْبَةَ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فَإِنِّيَ مُسْلِمٌ ... أُرَجِّي بِهَا عَيْشاً مِنَ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الحُورِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيلِ أُخْلِصَتْ ... مِنَ الجَنَّةِ العَلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبِعْتُ بِهَا عَيْشاً تَعَرَّقْتُ صَفْوَهُ ... وَعَاجَلْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنِّهِ ... بِثَوْبٍ مِنَ الإِسْلَامِ غَطَّى المَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهاً إِلَيَّ قِتَالُهُمْ ... غَدَاةَ دَعَا الأَكْفَاءُ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سَوَاءَنَا ... ثَلَاثَتَنَا حَتَّى حَضَرْنَا المُنَادِيَا
لَقِينَاهُمُ كَالأُسْدِ تَخْطِرُ بِالقَنَا ... نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ... ثَلَاثَتَنَا حَتَّى أُزِيرُوا(٢) المَنَائِيَا(٣)

وقال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت أيضاً يذمّ الحارث بن هشام على فراره يوم بدر، وتركه قومه لا يقاتل دونهم: [الكامل]

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِي المَنَامِ خَرِيدَةٌ(٤) ... تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ
كَالمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ ... أَوْ عَاتِقٍ(٥) كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ
نُفُجُ الحَقِيبَةِ(٦) بُوصُهَا(٧) مُتَنَضِّدٌ ... بَلْهَاءُ غَيْرُ وَشِيكَةِ الأَقْسَامِ
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنٍ أَجَمَّ كَأَنَّهُ ... فُضُلاً إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ(٨) رُخَامِ

---

(١) ينبنهم: معناه يأتونهم مرة بعد مرة، وفي رواية ينشنهم أي يتناولهم.
(٢) أزيروا: أحاطت بهم.
(٣) المنائيا: قال الخشني في غريب السيرة: المنئيا: أراد المنايا فزاد الهمزة وقد تكون منقلبة عن ياء زائدة في منية.
(٤) خريدة: حسناء بكر.
(٥) العاتق: الخمرة القديمة الجيدة.
(٦) نفج الحقيبة: ضخمة العجز.
(٧) البوص: الحرير الأبيض والكتان.
(٨) مداك: حجر فيه رائحة الطيب.

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا ... فِي جِسْمِ خَرْعَبَةٍ(١) وَحُسْنِ قَوَامِ
أَمَّا النَّهَارُ فَلاَ أُفَتِّرُ أَذْكُرُهَا ... وَاللَّيْلُ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلاَمِي
أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا ... حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
بَلْ مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً ... وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الهَوَى لُوَّامِي
بَكَرَتْ إِلَيَّ بِسُحْرَةٍ(٢) بَعْدَ الكَرَى(٣) ... وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الأَيَّامِ
زَعَمَتْ بِأَنَّ المَرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَهُ ... عَدَمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الأَصْرَامِ
إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ(٤) وَلِجَامِ
يَذَرُ العَنَاجِيجَ(٥) الجِيَادَ بِقَفْرَةٍ ... مَرَّ الذَّمُولِ(٦) بِمُحْصَدٍ وَرِجَامِ(٧)
مَلأَتْ بِهِ الفَرْجَيْنِ فَارْمَدَّتْ بِهِ ... وَثَوَى أَحِبَّتُهُ بِشَرِّ مَقَامِ
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ... نَصَرَ الإِلَهُ بِهِ ذَوِي الإِسْلاَمِ
طَحَنَتْهُمُ وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ ... حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ
لَوْلاَ الإِلَهُ وَجَرْيُهَا لَتَرَكْنَهُ ... جَزَرَ السِّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِ(٨)
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يَشُدُّ وِثَاقُهُ ... صَقْرٍ إِذَا لاَقَى الأَسِنَّةَ حَامِ
وَمُجَدَّلٍ لاَ يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ ... حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الأَعْلاَمِ
بِالعَارِ وَالذُّلِّ المُبِينِ إِذَا رَأَى ... بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمَامِ
بِيَدَيْ أَغَرَّ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ... نَسَبُ القِصَارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدَامِ
بِيضٌ إِذَا لاَقَتْ حَدِيداً صَمَّمَتْ ... كَالبَرْقِ تَحْتَ ظِلاَلِ كُلِّ غَمَامِ

قال ابن هشام: تركنا في آخرها ثلاث أبيات أقذع فيها. قال ابن هشام: فأجابه لحارث بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال: [الكامل]

القَوْمُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ ... حَتَّى ارموا فرسي(٩) بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِداً ... أُقْتَلْ وَلاَ يَنْكَى عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالأَحِبَّةُ فِيهِمُ ... طَمَعاً لَهُمْ بِعَقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

---

(١) خرعبة: فتاة حسناء.
(٢) السحرة: آخر الليل.
(٣) الكرى: النوم.
(٤) طمرة: الجواد الطويل القوائم.
(٥) العناجيج: صفة للجياد.
(٦) الذموم: التي تسير سيراً ليناً.
(٧) رجام: الإبل الشديدة.
(٨) حوام: موضع شديد القتال.
(٩) كذا في الحلبية، وفي ابن هشام: حتى حبوا مهري، وفي السهيلي: علوا مهري وقوله في البيت الثالث: يوم مفسد. الذي في الشواهد: يوم مرصد.

وقال حسّان أيضاً: [الكامل]

يَـا حَـارِ قَـدْ عَـوَّلْـتَ غَـيْـرَ مُـعَـوَّلِ — عِـنْـدَ الـهِـيَـاجِ وَسَـاعَـةِ الأَحْـسَـابِ
إذْ تَـمْـتَـطِـي سُـرُحَ الـيَـدَيْـنِ نَـجِـيـبَـةً — مَـرْطَـى (١) الـجِـرَاءِ طَـوِيـلَـةِ الأَقْـرَابِ
وَالـقَـوْمُ خَـلْـفَـكَ قَـدْ تَـرَكْـتَ قِـتَـالَـهُـمْ — تَـرْجُـو الـنَّـجَـاءَ وَلَـيْـسَ حِـيـنُ ذَهَـابِ
أَلاَّ عَـطَـفْـتَ عَـلَـى ابْـنِ أُمِّـكَ إِذْ ثَـوَى — قَـعْـصَ الأَسِـنَّـةِ (٢) ضَـائِـعَ الأَسْـلاَبِ
عَـجَـلَ الـمَـلِـيـكُ لَـهُ فَـأَهْـلَـكَ جَـمْـعَـهُ — بِـشَـنَـارِ (٣) مُـخْـزِيَـةٍ وَسُـوءِ عَـذَابِ

وقال حسّان أيضاً: [الوافر]

لَـقَـدْ عَـلِـمَـتْ قُـرَيْـشٌ يَـوْمَ بَـدْرٍ — غَـدَاةَ الأَسْـرِ وَالـقَـتْـلِ الـشَّـدِيـدِ
بِـأَنَّـا حِـيـنَ تَـشْـتَـجِـرُ الـعَـوَالِـي — حُـمَـاةُ الـحَـرْبِ يَـوْمَ أَبِـي الـوَلِـيـدِ (٤)
قَـتَـلْـنَـا ابْـنَـيْ رَبِـيـعَـةَ يَـوْمَ سَـارَا — إِلَـيْـنَـا فِـي مُـضَـاعَـفَـةِ الـحَـدِيـدِ
وَفَـرَّ بِـهَـا حَـكِـيـمٌ يَـوْمَ جَـالَـتْ — بَـنُـو الـنَّـجَّـارِ تَـخْـطِـرُ كَـالأُسُـودِ
وَوَلَّـتْ عِـنْـدَ ذَاكَ جُـمُـوعُ فِـهْـرٍ — وَأَسْـلَـمَـهَـا الـحُـوَيْـرِثُ مِـنْ بَـعِـيـدِ
لَـقَـدْ لاَقَـيْـتُـمُـوا ذُلاًّ وَقَـتْـلاً — جَـهِـيـزاً نَـافِـذاً تَـحْـتَ الـوَرِيـدِ
وَكُـلُّ الـقَـوْمِ قَـدْ وَلَّـوا جَـمِـيـعـاً — وَلَـمْ يَـلْـوُوا عَـلَـى الـحَـسَـبِ الـتَّـلِـيـدِ

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطّلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطّلب: [الطويل]

لَـقَـدْ ضَـمَّـنَ الـصَّـفْـرَاءَ مَـجْـداً وَسُـؤْدَداً — وَحِـلْـمـاً أَصِـيـلاً وَافِـرَ الـلُّـبِّ وَالـعَـقْـلِ
عُـبَـيْـدَةُ فَـابْـكِـيـهِ لأَضْـيَـافِ غُـرْبَـةٍ — وَأَرْمَـلَـةٍ تَـهْـوِي لأَشْـعَـثَ كَـالـجِـذْلِ
وَبَـكِّـيـهِ لِـلأَقْـوَامِ فِـي كُـلِّ شَـتْـوَةٍ — إِذَا احْـمَـرَّ آفَـاقُ الـسَّـمَـاءِ مِـنَ الـمَـحْـلِ
وَبَـكِّـيـهِ لِـلأَيْـتَـامِ وَالـرِّيـحُ زَفْـزَفٌ (٥) — وَتَـشْـبِـيـبِ قِـدْرٍ طَـالَـمَـا أَزْبَـدَتْ تَـغْـلِـي
فَـإِنْ تُـصْـبِـحِ الـنِّـيـرَانُ قَـدْ مَـاتَ ضَـوْؤُهَـا — فَـقَـدْ كَـانَ يُـذْكِـيـهِـنَّ بِـالـحَـطَـبِ الـجَـزْلِ (٦)
لِـطَـارِقِ لَـيْـلٍ أَوْ لِـمُـلْـتَـمِـسِ الـقِـرَى — وَمُـسْـتَـنْـبِـحٍ أَضْـحَـى لَـدَيْـهِ عَـلَـى رَسْـلِ

وقال الأموي في مغازيه: حدّثني سعيد بن قطن قال: قالت عاتكة بنت عبد المطّلب

---

(١) مرطى: سريعة.

(٢) قعص الأسنة: قتيل الأسنة.

(٣) شنار: أقبح العيب.

(٤) تشتجر: تختلط وتشتبك. العوالي: أعالي الرماح.

(٥) زفزف: شديدة الهبوب.

(٦) الجزل: الغليظ.

في رؤياها التي رأت وتذكّر بدراً: [الطويل]

أَلَمَّا تَكُنْ رُؤيَايَ حَقّاً وَيَأْتِكُمْ ... بِتَأوِيلِهَا فَلٌّ(١) مِنَ القَوْمِ هَارِبُ
رَأى فَأَتَاكُمْ بِاليَقِينِ الَّذِي رَأى ... بِعَيْنَيْهِ مَا تَفْرِي السُّيُوفُ القَوَاضِبُ(٢)
فَقُلْتُمْ وَلَمْ أَكْذِبْ عَلَيْكُمْ وَإِنَّمَا ... يُكَذِّبُنِي بِالصِّدْقِ مَنْ هُوَ كَاذِبُ
وَمَا جَاءَ إلاَّ رَهْبَةَ المَوْتِ هَارِباً ... حَكِيمٌ وَقَدْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ المَذَاهِبُ
أَقَامَتْ سُيُوفُ الهِنْدِ دُونَ رُؤُوسِكُمْ ... وَخَطِّيَّةٌ فِيهَا الشَّبَا وَالتَّغَالُبُ
كَأَنَّ حَرِيقَ النَّارِ لَمْعُ ظُبَاتِهَا(٣) ... إذَا مَا تَعَاطَتْهَا اللُّيُوثُ(٤) المَشَاغِبُ
أَلاَ بِأَبِي يَوْمَ اللِّقَاءِ مُحَمَّداً ... إذَا عَضَّ مِنْ عُونِ الحُرُوبِ الغَوَارِبُ
مَرَى بِالسُّيُوفِ المُرْهَفَاتِ نُفُوسَكُمْ ... كِفَاحاً كَمَا تَمْرِي السَّحَابَ الجَنَائِبُ
فَكَمْ بَرَدَتْ أَسْيَافُهُ مِنْ مَلِيكَةٍ ... وَزُعْزِعَ وِرْدٌ بَعْدَ ذَلِكَ صَالِبُ
فَمَا بَالُ قَتْلَى فِي القَلِيبِ وَمِثْلَهُمْ ... لَدَى ابْنِ أَخِي أَسْرَى لَهُ مَا يُضَارِبُ
فَكَانُوا نِسَاءً أَمْ أَتَى لِنُفُوسِهِم ... مِنَ اللَّهِ حَيْنٌ سَاقَ وَالحَيْنُ حَالِبُ(٥)
فَكَيْفَ رَأى عِنْدَ اللِّقَاءِ مُحَمَّداً ... بَنُو عَمِّهِ وَالحَرْبُ فِيهَا التَّجَارِبُ
أَلَمْ يَغْشَكُمْ ضَرْباً يَحَارُ لِوَقْعِهِ الـ ... ـجَبَانُ وَتَبْدُو بِالنَّهَارِ الكَوَاكِبُ
حَلَفْتُ لَئِنْ عَادُوا لَنَصْطَلِيَنَّهُمْ ... بِحَاراً تَرَدَّى تَجرِبَتها المَقَانِبُ(٦)
كَأَنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لَمْعُ ظُبَاتِهَا ... لَهَا مِنْ شُعَاعِ النُّورِ قَرْنٌ وَحَاجِبُ

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموي: [الطويل]

هَلاَّ صَبَرْتُمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... بِبَدْرٍ وَمَنْ يَغْشَى الوَغَى حقُّ صَابِرِ
وَلَمْ تَرْجِعُوا عَنْ مُرْهَفَاتٍ كَأَنَّهَا ... حَرِيقٌ بِأَيْدِي المُؤْمِنِينَ بَوَاتِرِ(٧)
وَلَمْ تَصْبِرُوا لِلْبِيضِ حَتَّى أَخَذْتُمُوا ... قَلِيلاً بِأَيْدِي المُؤْمِنِينَ المَشَاعِرِ
وَوَلَّيْتُمُوا نَفْراً وَمَا البَطَلُ الَّذِي ... يُقَاتِلُ مِنْ وَقْعِ السِّلاَحِ بِنَافِرِ
أَتَاكُمْ بِمَا جَاءَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ ... وَمَا ابْنُ أَخِي البَرّ الصَّدُوقِ بِشَاعِرِ

(١) فل: جمع.
(٢) القواضب: السيوف القاطعة.
(٣) ظباتها: حد السيف.
(٤) الليوث: الأسود.
(٥) حالب: معين.
(٦) المقانب: جماعة الخيل تجتمع للغارة.
(٧) بواتر: قواطع.

سَيَكْفِي الَّذِي ضَيَّعْتُمُوا مِنْ نَبِيِّكُمْ وَيَنْصُرُهُ الحَيَّانِ عَمْرٍو وَعَامِرِ

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القَلِيب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْباً تَبكي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبَا
أَلاَ إِنَّ كَعْباً فِي الحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَرداهُمُو إِذَا الدَّهرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبَا
وَعَامِرُ تَبْكِي لِلْمُلِمَّاتِ غُدْوَةً فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهُمْ قُرْبَا[1]
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْد شَمْسٍ وَنَوْفَلٍ فِداً لَكُمَا لاَ تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبَا
وَلاَ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَإِلْفَةٍ أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ وَحَرْبِ أَبِي يَكْسُومَ إِذْ مَلَئُوا الشِّعْبَا[2]
فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللَّهِ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ لأَصْبَحْتُمُوا لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيمَةً سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مِنْ وَطِىءِ التُّرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَزَّءاً كَرِيماً ثَنَاهُ لاَ بَخِيلاً وَلاَ ذَرِبَا
يُطِيفُ بِهِ العَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ يَؤُمُّونَ نَهْراً لاَ نَزُوراً وَلاَ صَرْبَا
فَوَاللَّهِ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً تَمَلْمَلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الخَزْرَجَ الضَّرْبَا

فصل: وقد ذكر ابن إسحاق أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة، يرثون بها قتلاهم يوم بدر، فمن ذلك قول ضرار بن الخطّاب بن مرداس، أخي بني محارب بن فهر، وقد أسلم بعد ذلك، والسّهيلي في روضه يتكلّم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك: [الطويل]

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأَوْسِ وَالحَيْنِ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ غَداً وَالدَّهرُ فِيهِ بَصَائِرُ
وَفَخْرِ بَنِي النَّجَّارِ إِنْ كَانَ مَعْشَرٌ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ كُلُّهُمْ ثَمَّ صَائِرُ
فَإِنْ تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ مِنْ رِجَالِنَا فَإِنَّا رِجَال بَعْدَهُمْ سَنُغَادِرُ
وَتَرْدَى بِنَا الجُرْدَ العَنَاجِيجُ[3] وَسْطَكُمْ بَنِي الأَوْسِ حَتَّى يَشْفِي النَّفْسَ ثَائِرُ
وَوَسْط بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَكُرّهَا لَهَا بِالقَنَا وَالدَّارِعِينَ زَوَافِرُ[4]
فَنَتْرُكُ صَرْعى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ الأَمَانِيّ نَاصِرُ
وَتَبْكِيهِمُ مِنْ أَرْضِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ لَهُنَّ بِهَا لَيْلٌ عَنِ النَّوْمِ سَاهِرُ

---

(١) وأورد ابن هشام بعد هذا البيت:

همـا أخـواي لـم يُعَـدا لـغـيّـة تعد ولن يستام جارهما غضبا

(٢) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: وجيش أبي يكسوم إذ ملأ الشعبا.

(٣) العناجيج: ج عنجوج: الطويل السريع.

(٤) الزوافر: ج زافرة: الحاملات للنقل.

وَذَلِكَ أَنَّا لاَ تَزَالُ سُيُوفُنَا ... بِهِنَّ دَمٌ مِمَّنْ يُحَارِبْنَ مَائِرُ[1]
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ فَإِنَّمَا ... بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهْوَ ظَاهِرُ
وَبِالنَّفَرِ الأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ ... يُحَامُونَ فِي اللأْوَاءِ[2] وَالمَوْتُ حَاضِرُ
يُعَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ... وَيُدْعَى عَلِيٌّ وَسْطَ مَنْ أَنْتَ ذَاكِرُ
أُولَئِكَ لاَ مَنْ نَتَّجَتْ مِنْ دِيَارِهَا ... بَنُو الأَوْسِ وَالنَّجَّارِ حِينَ تُفَاخِرُ
وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا عُدَّتِ الأَنْسَابُ كَعْبٌ وَعَامِرُ
هُمُ الطَّاعِنُونَ الخَيْلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ... غَدَاةَ الهِيَاجِ الأَطْيَبُونَ الأَكَابِرُ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله: [الطويل]

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرُ

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر واسمه شداد بن الأسود بن شعوب.

قلت: وقد ذكر البخاري أنه خلف على امرأة أبي بكر الصدّيق حين طلّقها الصدّيق، وذلك لما حرّم الله المشركات على المسلمين، واسمها أم بكر: [البحر الوافر]

تُحَيِّيْ بِالسَّلاَمَةِ أُمُّ بَكْرٍ ... وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلاَمِ
فَمَاذَا بِالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِنَ القَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الكِرَامِ[3]
وَمَاذَا بِالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِنَ الشِّيزَى[4] تُكَلَّلُ بِالسَّنَامِ
وَكَمْ لَكِ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ ... مِنَ الحَوْمَاتِ وَالنَّعَمِ المُسَامِ
وَكَمْ لَكِ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ ... مِنَ الغَايَاتِ وَالدُّسُعِ[5] العِظَامِ
وَأَصْحَابِ الكَرِيمِ أَبِي عَلِيٍّ ... أَخِي الكَأْسِ الكَرِيمَةِ وَالنِّدَامِ
وَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ أَبَا عَقِيلٍ ... وَأَصْحَابَ الثَّنِيَّةِ مِنْ نَعَامِ
إِذاً لَظَلَلْتِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِمْ ... كَأُمِّ السَّقْبِ[6] جَائِلَةِ المَرَامِ
يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا ... وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ؟

قلت وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه ليعرف به حال قائلها. قال ابن إسحاق وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر: [مجزوء الكامل]

---

(١) مائر: متحرك.
(٢) اللأواء: الشدة أو المصيبة.
(٣) الشرب: جماعة القوم الذين يشربون.
(٤) الشيزى: القصاع المملوءة بالطعام.
(٥) الدسع: العطايا.
(٦) السقب: ولد الناقة ساعة يولد.

أَلاَ بَكَيْتِ عَلَى الكِرَا م بَنِي الكِرَامِ أُولِي المَمَادِحْ
كَبُكَا الحَمَامِ عَلَى فُرُو عِ الأَيْكِ فِي الغُصُنِ الجَوَانِحْ [1]
يَبْكِينَ حَرّاً مُسْتَكِيـ نَـاتٍ يَرُحْنَ مَعَ الرَّوَائِحْ
أَمْثَالُهُنَّ البَاكِيَا تِ المُعْوِلاَت مِنَ النَّوَائِحْ
مَنْ يَبْكِيهِمْ يَبْكِي عَلَى حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحْ
مَاذَا بِبَدْرٍ وَالعَقَنْـ قَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ [2]
فَمَدَافِعُ البَرْقَيْنِ فَالْـ حَنَّانِ مِنْ طَرَفِ الأَوَاشِحْ [3]
شُمْطٍ وَشُبَّانٍ بِهَا لِيلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحْ [4]
أَلاَ تَرَوْنَ لِمَا أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لاَمِحْ
أَنْ قَدْ تَغَيَّرُ بَطْنُ مَكَّـ ـةَ فَهْيَ مُوحِشَةُ الأَبَاطِحْ
مِنْ كُلِّ بَطْرِيقٍ لِبَطْـ ـرِيقٍ نَقِيِّ الوُدِّ وَاضِحْ
دُعْمُوصِ [5] أَبْوَابِ المُلُو كِ وَجَائِبٍ لِلْخَرْقِ فَاتِحْ
وَمِنَ السَّرَاطِمَةِ [6] الخَلاَ جِمَةِ [7] المَلاَوِثَةِ [8] المَنَاجِحْ [9]
القَائِلِينَ الفَاعِلِـ ـينَ الآمِرِينَ بِكُلِّ صَالِحْ
المُطْعِمِينَ الشَّحْمَ فَوْ قَ الخُبْزِ شَحْماً كَالأَنَافِحْ [10]
نُقِلَ الجِفَانِ مَعَ الجِفَا نِ إِلَى جِفَانٍ كَالمَنَاضِحْ
لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَعْفُو وَلاَ رَحٌّ رَحَارِحْ [11]
لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْـ ـدَ الضَّيْفِ وَالبُسْطِ السَّلاَطِحْ [12]

(١) الأيك: الشجر الملتف. الجوانح: الموائل.
(٢) العقنقل: الكثيب من الرمل المنعقد، والمرازبة: الرؤساء (أصلها فارسي) الجماجح: ج جمجاح: وهو السيد.
(٣) مدافع البرقين: حيث يندفع السيل، والبرقين: موضع. الحنّان: الكثيب من الرمل. الأواشح: موضع.
(٤) البهاليل: السادة. الوحواح: هو الحديد النفس أي القوي النفس.
(٥) دعموص: دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشت.
(٦) السراطمة: مفردها سرطم وهو الأكول، ويقصد القوي.
(٧) الخلاجمة: مفردها خلجم، صاحب الجسم الطويل الممشوق.
(٨) الملاوثة: الأقوياء.
(٩) المناجح: الناجحون فيما يعملون.
(١٠) الأنافح: اللبن الصافي.
(١١) أصفار: ج صفر: الخالي من الآنية وغيرها. والرحارح: الواسعة من غير عمق.
(١٢) السلاطح: الطوال العراض.

وَهْبَ الـمِـئِـيـنَ مِـنَ الـمِـئِـيـنِ إلَى الـمِـئِـيـنِ مِـنَ الـلَّـوَاقِـحْ[١]
سَـوْقَ الـمُـؤَبَّـلِ لِـلْـمُـؤَبَّـلِ صَـادِرَاتٍ عَـنْ بَـلاَدِحْ[٢]
لِـكِـرَامِـهِـمْ فَـوْقَ الـكِـرَا مِ مِـزِيَّـةٌ وَزْنَ الـرَّوَاجِـحْ
كَـمَـثَـاقِـلِ الأرْطَـالِ بِـالـقِـسْـطَـاسِ[٣] بِـالأيْـدي الـمَـوَائِـحْ[٤]
خَـذَلَـتْـهُـمُـوا فِـئَـةٌ وَهُـمْ يَـحْـمُـونَ عَـوْرَاتِ الـفَـضَـائِـحْ
الـضَّـارِبِـيـنَ الـتَّـقَـدُّمِـيَّـةَ بِـالـمُـهَـنَّـدَةِ الـصَّـفَـائِـحْ
وَلَـقَـدص عَـنَـانِـي صَـوْتُـهُـمْ مِـنْ بَـيْـنِ مُـسْـتَـسْـقٍ وَصَـائِـحْ
لِـلَّـهِ دَرُّ بَـنِـي عَـلِـيٍّ أَيِّـمٍ[٥] مِـنْـهُـمْ وَنَـاكِـحْ
إنْ لَـمْ يُـغِـيـرُوا غَـارَةً شَـعْـوَاءَ تَـجْـحَـرُ كُـلَّ نَـابِـحْ
بِـالـمُـقْـرَبَـاتِ الـمُـبْـعَـدا تِ الـطَّـامِـحَـاتِ مَـعَ الـطَّـوَامِـحْ
مُـرْداً عَـلَـى جُـرْدٍ إلَـى أُسْـدٍ مُـكَـالِـبَـةٍ كَـوَالِـحْ[٦]
وَيُـلاَقِ قِـرْنٌ قِـرْنَـهُ مَـشْـيَ الـمُـصَـافِـحِ لِـلْـمُـصَـافِـحْ
بِـزُهَـاءِ أَلْـفٍ ثُـمَّ أَلْـفٍ بَـيْـنَ ذِي بَـدَنٍ وَرَامِـحْ[٧]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ[٨].

قلت: هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلّة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين، واستوحش بمكّة من أبي جهل بن هشام، وأضرابه من الكَفَرة اللئام، والجهلة الطغام، ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله، فخر البشر، ومنْ وجهه أنور من القمر، ذي العلم الأكمل، والعقل الأشمل، ومَنْ صاحبه الصّدّيق المبادر إلى التصديق، والسابق إلى الخيرات، وفعل المكرمات، وبذل الألوف والمئات، في طاعة ربّ الأرض والسموات، وكذلك بقية أصحابه الغرّ الكرام، الذين هاجروا من دار الكُفْر والجَهْل إلى دار العلم والإسلام، رضي الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام، وما تعاقبت الليالي والأيام. وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردها ابن إسحاق

---

(١) اللواقح: يريد الإبل الحوامل.
(٢) المؤبل: الإبل الكثيرة. صادرات: راجعات. بلادح: موضع.
(٣) القسطاس: الميزان الكبير.
(٤) الموائح: التي تغترف الماء اغترافاً.
(٥) الأيم: الذي لم يتزوج.
(٦) الجرد: الخيل العتاق. المكالبة: هم الذين بهم شبه الكلب، وهو السعار، يعني حدّتهم في الحرب، والكوالح: العوابس.
(٧) البدن: الدرع.
(٨) يوجد في بعض القصائد اختلاف وتحريف اعتمدنا في تصحيحه على ابن هشام والخشني.

رحمه الله خوف الإطالة، وخشية الملالة، وفيما أوردنا كفاية ولله الحمد والمنة. وقد قال الأموي في مغازيه: سمعت أَبي حدّثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين، عن أَبي هريرة، أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية. قال سليمان: فذكر ذلك الزهري فقال: عفا عنه إلاّ قصيدتين؛ كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأخوص. وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم.

فصل في غزوة بني سُلَيم في سنة ثنتين من الهجرة [النبوية](١)

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان ـ أو في شوال ـ ولما قدمَ المدينة لم يقم بها إلاّ سبعَ ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيم، قال ابن هشام: واستعملَ على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغِفَاري ـ أو ابن أمّ مكتوم الأعمى ـ قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مِياههم يقال له الكُدْر، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يَلْق كيداً، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في إقامته تلك جلّ الأسارى من قريش.

فصل [غزوة السويق في ذي الحجّة منها وهي غزوة قرقرة الكدر](٢)

[غزوة بني سليم سنة اثنتين من البحيرة](٣)

قال السّهيلي: والقرقرة الأرض الملساء، والكدر طير في ألوانها كدرة. قال ابن إسحاق: وكان أَبو سفيان كما حدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد اللّه بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حين رجع إلى مكة ورجع فلّ قريش من بدر، نذر أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمّداً، فخرج في مائتي راكب من قريش لتبرّ يمينه، فسلك النّجدية حتى نزل بصدر قناة، إلى جبل يقال له نيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النّضير تحت الليل، فأتى جيَي بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم(٤)، فاستأذن عليه فأذن له، فقراه وسقاه وبَطَن له(٥) من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها: العُرَيْض فحرقوا في أصْوار(٦) من نحل بها،

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في.
(٣) سقط في أ.
(٤) يريد بالكنز، المال الذي كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم.
(٥) بطن له: أي أعلمه من سرّهم.
(٦) أصوار: ج صور، وهو جماعة النخل.

ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما، وانصرفوا راجعين، فنَذِرَ بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا لُبابة بشير بن عبد المنذر، قال ابن إسحاق: فبلغ قَرْقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة، قد ألقاها المشركون يتخففون منها، وعامتها سويق[1]، فسمّيت غزوة السويق. قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال: نعم. قال ابن إسحاق، وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويمدح سلاّم بن مِشْكم اليهودي: [الطويل]

وَإِنِّـي تَـخَـيَّـرْتُ الـمَـدِيـنَـةَ وَاحِـداً ... لِـحِـلْـفٍ فَـلَـمْ أَنْـدَمْ وَلَـمْ أَتَـلَـوَّمِ

سَـقَـانِـي فَـرَوَّانِـي كُـمَـيْـتـاً[2] مُـدَامَـةً ... عَـلَـى عَـجَـلٍ مِـنِّـي سَـلاَمُ بْـنُ مِـشْـكَـمِ

وَلَـمَّـا تَـوَلَّـى الـجَـيْـشُ قُـلْـتُ وَلَـمْ أَكُـنْ ... لأُفْـرِحَـه أَبْـشِـرْ بِـعَـزٍّ وَمَـغْـنَـمِ

تَـأَمَّـلْ فَـإِنَّ الـقَـوْمَ سِـرٌّ وَإِنَّـهُـمْ ... صَـرِيـحُ لُـؤَيٍّ لاَ شَـمَـاطِـيـطُ[3] جُـرْهُـمِ

وَمَـا كَـانَ إِلاَّ بَـعْـضُ لَـيْـلَـةِ رَاكِـبٍ ... أَتَـى سَـاعِـيـاً مِـنْ غَـيْـرِ خَـلَّـةِ مُـعْـدِمِ

فصل: في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر، لما رواه البخاري ومسلم من طريق الزّهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبيّ ﷺ أعطاني شارفاً مما أفاء الله من الخمس يومئذ، فلما أردت ابتني فاطمة بنت النبيّ ﷺ، وأعدت رجلاً صوّاغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي، فنأتي بإذخر فأردت أن أبيعه من الصواغين، فأستعين به في وليمة عرسي، فبينا أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأت المنظر، فقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطّلب، وهو في هذا البيت وهو في شرب من الأنصار، وعنده قينته وأصحابه، فقالت في غنائها: [الوافر]

أَلاَ يَـا حَـمْـزَ لِـلـشُّـرُفِ الـنِّـوَاءِ[4]

في موضع آخر من البخاري فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتهما، وبقر خواصرهما، وأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبيّ ﷺ وعنده

(١) السويق: هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك، ثم تطحن، ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت، وربما تمزج بالماء إذا لم يتوفر ذلك.

(٢) الكميت: الخمر.

(٣) لا شماطيط: غير متفرقين.

(٤) أخرجه البخاري في البيوع باب ٢٧، ومسلم في الأشربة حديث ١، وأحمد في المسند ١/ ١٤٢.

زَيْد بن حارثة، فعرف النبيّ ﷺ الذي لقيت، فقال: مَا لَكَ؟ فقلت: يا رسول الله ما رأيت كاليوم، عدا حمزة على ناقتي فأجب أسنمتهما، وبقر خواصرهما، وها هو ذا في البيت معه شرب، فدعا النبيّ ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشي، واتبعته أنا وزيد بن حارثة، حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن عليه، فأذن له فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثمل محمّرة عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صعد النظر، فنظر إلى ركبتيه، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، ثم قال حمزة: وهل أنتم إلاّ عبيداً لأبي، فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى، فخرج وخرجنا معه[1]. هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي، وقد رواه في أماكن أُخر من صحيحه بألفاظ كثيرة، وفي هذا دليل على ما قدّمناه من أن غنائم بدر قد خمّست، لا كما زعمه أبو عُبَيْد القاسم بن سلاّم في كتاب الأموال، من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها، وقد خالفه في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير، وبيّنا غلطه في ذلك في التفسير، وفيما تقدّم والله أعلم. وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم، قبل أن تُحرّم الخمر، بل قد قتل حمزة يوم أُحُد كما سيأتي، وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم. وقد يستدلّ بهذا الحديث من يرى أن عبادة السكران مسلوبة لا تأثير لها، لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرّر في كتاب الأحكام. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل، سمع علياً يقول: أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت: ما لي من شيء، ثم ذكرت عائدته وصلته، فخطبتها إليه فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» قلت: لا، قال: «فَأَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟» قال: هي عندي، قال: «فَأَعْطِنِيهَا» قال: فأعطيتها إياه[2]. هكذا رواه أحمد في مسنده، وفيه رجل مبهم، وقد قال أبو داود: حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني، ثنا عبدة، ثنا سعيد عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لما تزوج عليّ فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ: «أَعْطِهَا شَيْئاً» قال: ما عندي شيء. قال: «أين درع الحطمية؟» ورواه النسائي عن هارون بن إسحاق، عن عبدة بن سليمان، عن سعيد بن أبي عروبة، عن أيوب السختياني به. وقال أبو داود: حدّثنا كثير بن عبيد الحمصي، ثنا أبو حيوة، عن شعيب بن أَبي حمزة، حدَّثني غيلان بن أَنس من أهل حمص، حدَّثني محمّد بن عبد الرّحمٰن بن ثوبان عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ أن عليًّا لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها، فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً، فقال: يا رسول الله ليس لي شيء، فقال له النبيّ ﷺ: «أَعْطِهَا دِرْعَكَ» فأعطاها درعه، ثم دخل بها[3]. وقال البيهقي في الدلائل: أَخبرنا أَبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أَبو العبّاس محمّد بن يعقوب الأصم، ثنا

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢، والمساقاة باب ١٣، وفرض الخمس باب ١.

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح باب ٣٦، وأحمد في المسند ١/ ٨٠، والنسائي في النكاح باب ٧٦.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح باب ٣٦.

أَحمد بن عبد الجبَّار، ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدَّثني عبد اللّه بن أبي نجيح عن مجاهد، عن عليّ قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت: مولاة لي هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت: لا، قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوّجك، فقلت: وعندي شيء أتزوّج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك، قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلّم جلالة وهيبة، فقال رسول الله ﷺ: «ما جاءَ بِكَ أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فسكت فقال: «لعلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ؟» فقلت: نعم! فقال: «وَهلْ عِنْدَكَ مِنْ شيْءٍ تَسْتَحِلُّها به؟» فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: «ما فعلَتْ دِرْعٌ سَلَّحْتُكَهَا» فوالذي نفس عليّ بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندي. فقال: «قدْ زَوَّجْتُكَهَا، فابْعَثْ إلَيْهَا بها فاسْتحِلَّهَا بها»، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً ـ مات صغيراً ـ وأم كلثوم وزينب، ثم روى البيهقي من طريق عطاء بن السّائب عن أبيه، عن علي قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة أدم حشوها اذخر. ونقل البيهقي عن كتاب المعرفة لأبي عبد اللّه بن منده أن علياً تزوّج فاطمة بعد سنة من الهجرة، وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى.

قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة، فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم.

فصل [في ذكر][(١)] جمل من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه السلام بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة، وقد تضمّن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين، فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر، وهم أربعة عشر ما بين مهاجري وأنصاري تقدّم تسميتهم، والرؤساء من مشركي قريش، وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور، وتوفي بعد الوقعة بيسير أَبو لهب عبد العُزّى بن عبد المطّلب لعنه الله كما تقدم، ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد اللّه بن رواحة بما أحلّ الله بالمشركين، وبما فتح على المؤمنين، وجدوا رقيّة بنت رسول الله ﷺ قد توفّيت، وساووا عليها التراب. وكان زوجها عثمان بن عفّان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبيّ ﷺ له بذلك. ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بَدْر وأجره عند الله يوم القيامة، ثم زوّجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفّان ذو النورين، ويقال: إنه لم يغلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره رضي الله عنه وأرضاه. وفيها

(١) سقط في ط.

حوّلت القبلة كما تقدّم، وزيد في صلاة الحضر على ما سلف، وفيها فرض الصيام، صيام رمضان كما تقدم، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر، وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قُريظة ويهود بني حارثة، وصانعوا المسلمين، وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود، وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه، ومنهم من انحلّ بالكلية، فبقي مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما وصفهم الله في كتابه.

قال ابن جرير: وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلّقة بسيفه قال ابن جرير: وقيل إن الحسن بن علي ولد فيها، قال: وأما الواقدي فإنه زعم أن ابن أَبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد اللّه، عن أَبي جعفر، أن علي بن أَبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجّة منها، قال: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل.

فهرس المحتويات

باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، وذكر أول شيء نزل من القرآن العظيم عليه ٣

ذكر عمره عليه الصلاة والسلام وقت بعثته وتاريخها ٥

فصل في منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن ١٩

فصل في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢٢

فصل في ذكر أول من أسلم، ثم ذكر متقدمي الإسلام من الصحابة وغيرهم ٢٦

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ ٣٥

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه ٣٦

ذكر إسلام ضماد ٣٩

باب الأمر بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام . ٤١

قصة الإراشي ٤٨

فصل في تأليب الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ٥٠

فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين ٥٣

باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجّة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق ٦٦

باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ، من مكة إلى أرض الحبشة، فراراً بدينهم من الفتنة ٧١

فصل في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ . ٩٠

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة ١٠٠

ذكر نقض الصحيفة ١٠٢

قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة ١٠٩

قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها ﷺ فأقبلت ١١١

في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السموات وما رأى هنالك من الآيات ١١٦

انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ ١٢٦

في وفاة أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ ١٣٠

موت خديجة بنت خُويلد ١٣٥

فصل في تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصدّيق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما ١٣٩

فصل في ذهابه عليه السلام إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله تعالى وإلى نصرة دينه ١٤٤

فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ١٤٧

فصل قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعة بعد بيعة ١٥٦

حديث سويد بن صامت الأنصاري ١٥٦

إسلام إياس بن مُعاذ ١٥٧

باب بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم ١٥٧

قصة بيعة العقبة الثانية ١٦٧

فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ١٧٦

باب بدء الهجرة من مكة إلى المدينة ١٧٨

فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ١٨٥

باب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكّة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه ١٨٧

فصل في دخوله عليه السلام المدينة وأين استقر منزله بها وما يتعلق به ٢٠٥

وقائع السنة الأولى من الهجرة

فصل في إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه ٢٢٠
ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ ٢٢٣
فصل في بناء مسجده الشريف وفي مدّة مقامه عليه السلام بدار أبي أيوب رضي الله عنه ٢٢٤
تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل الحنيف ٢٢٩
فصل فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة ٢٣٢
فصل في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين والأنصار ٢٣٥
فصل في مؤاخاة النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليرتفق المهاجري بالأنصاري ٢٣٦
فصل في موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ٢٤٠
فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة ٢٤١
فصل وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة ٢٤٢
فصل في الأذان ومشروعيته عند مقدم النبيّ ﷺ إلى المدينة النبوية ٢٤٣
فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ٢٤٥
فصل في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٢٤٥
كتاب المغازي ٢٤٧

ذكر ما وقع في السنة الثانية من الحوادث

فصل ٢٥١
ذكر أول المغازي وأول البعوث ٢٥٢
غزوة بواط من ناحية رضوى ٢٥٧
غزوة العُشَيْرة ٢٥٧
غزوة بدر الأولى ٢٥٩
باب سرية عبد الله بن جحش ٢٦٠
فصل في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر ٢٦٤
فصل في فريضة شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر ٢٦٦
غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ٢٦٨
مقتل أبي البختري بن هشام ٢٩٨
فصل في مقتل أمية بن خلف ٢٩٩
مقتل أبي جهل لعنه الله ٣٠١
رَدّه عليه السلام عين قتادة ٣٠٥
فصل في قصّة أخرى شبيهة بها ٣٠٦
ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر ٣٠٦
فصل: في رجوعه عليه السلام من بدر إلى المدينة ٣١٨
مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله ٣٢٠
ذكر فرح النجاشي بوقعة بدر رضي الله عنه ٣٢٢
فصل في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكّة ٣٢٣
فصل في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم ٣٢٥
فصل ٣٣٠
أسماء أهل بدر مرتبة على حروف المعجم ٣٣٠
باب الكنى ٣٤٠
فصل في فضل من شهد بدراً من المسلمين ٣٤٣
فصل في قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة ٣٤٤
فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى ٣٤٩
فصل في غزوة بني سُلَيم في سنة ثنتين من الهجرة النبوية ٣٦١
فصل غزوة السويق في ذي الحجّة منها وهي غزوة قرقرة الكدر ٣٦١
غزوة بني سليم سنة اثنتين من البحيرة ٣٦١
فصل في ذكر جمل من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة ٣٦٤

البداية والنهاية

تأليف

أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

ونقحه وقابل مخطوطاته

الشيخ علي محمد معوض   الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وضع حواشيه

دكتور أحمد أبو ملحم   دكتور علي نجيب عطوي

الأستاذ فؤاد السيد   الأستاذ مهدي ناصر الدين

الأستاذ علي عبد الساتر

الجزء الرابع

المحتوى :

السنوات ٣ ـ ٨ من الهجرة النبوية

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نَجْد ويقال لها: غزوة ذي أَمَر[1].

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً يريد غطفان، وهي غزوة ذي أَمَر. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان. قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك، ثم رجع ولم يلق كيداً. وقال الواقدي: بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمّعوا بذي أَمَر يريدون حربه، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان، فغاب أحد عشر يوماً، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر، فعسكر به، وأصابهم مطر كثير فابتلّت ثياب رسول الله ﷺ، فنزل تحت شجرة هناك، ونشر ثيابه لتجفّ، وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المشركون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له: غورث بن الحارث، أو دعثور بن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمّد، فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمّد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «اللَّهُ». ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، ما لك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمّداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام. قال: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [سورة المائدة ١١] الآية.

قال البيهقي: وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصّة[2] تشبه هذه، فلعلّهما قصّتان، قلت: إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً، لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً، لم يسلم بل استمرّ على دينه، ولم يكن عاهد النبيّ ﷺ أن لا يقاتله، والله أعلم.

---

(١) أَمَر: بلفظ الفعل: موضع بنجد من ديار غطفان. (٢) في ط: قصبة.

غزوة الفرع من بُحران

قال ابن إسحاق: فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كلّه أو إلاّ قليلاً منه ثم غدا يريد قريشاً، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرُع. وقال الواقدي: إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام. فالله أعلم.

خبر يهود بني قَيْنُقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة، فالله أعلم، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحشر ١٥] قال ابن إسحاق: وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع. قال: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال: «يا مَعْشر يَهُودَ احْذَرُوا منَ اللّه مِثْلَ ما نزلَ بقُرَيْشٍ منَ النّقمَة، وأَسْلِمُوا فإنّكُمْ قدْ عَرَفْتُمْ أنّي نبيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذلكَ في كتابِكُمْ وعَهْدِ اللّه إلَيْكُمْ». فقالوا: يا محمّد إنك ترى أنّا قومك، لا يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس. قال ابن إسحاق: فحدَّثني مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جُبَير، وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلاّ فيهم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [سورة آل عمران ١٢، ١٣] يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران ١٣] قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهود[١]، وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد. قال ابن هشام فذكر عبد الله بن جعفر [ابن عبد الرّحمٰن] بن المسوّر بن مخرمة عن أَبي عون قال: كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بحلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أُبيّ ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمّد أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه

(١) في ط: العهد.

رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد أحسن في مواليّ، فأعرض عنه، قال: فأدخل يده في جيب درع النبيّ ﷺ قال ابن هشام: وكان يقال لها ذات الفضول، فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه طللاً[١]، ثم قال: «ويحك أرسلني» قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ: أربعمائة حاسر[٢] وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة! إني والله امرؤ أخشى الدوائر. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «هُمْ لَكَ». قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ في محاصرته إيّاهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إيّاهم خمس عشرة ليلة. قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبي عن عبادة بن الوليد، عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبّث بأمرهم عبد اللّه بن أُبيّ، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان من بني عوف، له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد اللّه بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفّار وولايتهم، قال: وفيه وفي عبد اللّه بن أبيّ نزلت الآيات من المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة المائدة ٥١] الآيات حتى قوله ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [سورة المائدة ٥٢] يعني عبد اللّه بن أُبيّ إلى قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾ [سورة المائدة ٥٦] يعني عبادة بن الصامت. وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير.

سرية زيد بن حارثة

إلى عِير قريش صحبة أَبي سفيان أيضاً، وقيل صحبة صفوان. قال يونس عن بكير، عن ابن إسحاق: وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر. قال ابن إسحاق: وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهي عُظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيّان يعني العجلي، حليف بني سهم ليدلّهم على تلك الطريق. قال ابن إسحاق: فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فلقيهم على ماء يقال له القَرْدة [من مياه نجد][٣]، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ فقال في ذلك حسّان بن ثابت: [الطويل]

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلادٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ[٤]

---

(١) الطلل: الندى.
(٢) الحاسر: الذي لا درع له.
(٣) سقط في ط.
(٤) الفلجات: ج فلجة، وهي العين الجارية. والمخاض: الإبل الحوامل. والأوارك: التي ترعى الأراك، وهو شجر.

بِـأَيْـدِي رِجَـالٍ هَـاجَـرُوا نَـحْـوَ رَبِّـهِـمْ ... وَأَنْـصَـارِهِ حَـقّـاً وَأَيْـدِي الـمَـلاَئِـكِ

إِذَا سَـلَـكَـتْ لِـلـغَـوْرِ مِـنْ بَـطْـنِ عَـالِـجٍ[١] ... فَـقُـولاَ لَـهَـا لَـيْـسَ الـطَّـرِيـقُ هُـنَـالِـكِ

قال ابن هشام وهذه القصيدة في أبيات لحسّان، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث. وقال الواقدي كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أميّة، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير، وهو على دين قومه، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير، ومعهم سليط بن النعمان من أسلم، فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر، فتحدّث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها، وما معه من الأموال، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم، فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين، وقدموا بالعير فخمّسها رسول الله ﷺ، فبلغ خمسها عشرين ألفاً، وقسّم أربعة أخماسها على السريّة، وكان فيمن أسر الدّليل فرات بن حيان فأسلم رضي الله عنه. قال ابن جرير: وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفّان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها.

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيىء، ثم أحد بني نبهان، ولكن أمه من بني النضير. هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النّضير، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصّة بني النضير، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق فيما[٢] سيأتي، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أُحُد، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر، كما سنبيّنه بطريقه إن شاء الله.

قال البخاري في صحيحه: قتل كعب بن الأشرف، حدّثنا علي بن عبد اللّه، حدّثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللّهَ وَرَسُولَهُ؟» فقام محمّد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «نَعَمْ». قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: «قُلْ». فأتاه محمّد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عَنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً والله لتملُّنّه. قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحبُّ أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا قال: نعم، ارهنوني، قلت: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم فقالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسبّ أحدهم فيقال رهن بوسق[٣] أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة. قال سفيان

---

(١) عالج: موضع به رمل كثير.

(٢) في ط: لما.

(٣) وسق: حمل بعير.

يعني السلاح. فواعده أن يأتيه ليلاً فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمّد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة. إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمّد بن مسلمة برجلين[١]، [وقال عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر وقال عمرو جاء معه برجلين][٢] فقال: إذا ما جاء فإني مائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرّة ثم أشمّكم فنزل إليه متوشحاً، وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب، فسأل[٣] عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشمّ رأسك؟ قال: نعم. فشمّه ثم أشمّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبيّ ﷺ فأخبروه[٤].

وقال محمّد بن إسحاق: كان من حديث كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيىء ثم أحد بني نبهان، وأمّه من بني النضير أنه لمّا بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد اللّه بن رَوَاحة قال: والله لئن كان محمّد أصاب هؤلاء القوم لَبطن الأرض خير من ظهرها. فلما تيقّن عدو الله الخبر، خرج إلى مكة فنزل على المطّلب بن أبي وداعة بن صبيرة السّهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرّض على قتال رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر، فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أوّلها: [الكامل]

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره. ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبب بنساء المسلمين ويهجو النبيّ ﷺ وأصحابه. وقال موسى بن عقبة: وكان كعب بن الأشرف أحد بني النّضير أو فيهم قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء، وركب إلى قريش فاستغواهم، وقال له أبو سفيان وهو بمكة: أناشدك أديننا أحبّ إلى الله أم دين محمّد وأصحابه، وأيّنا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطعم الجَزور الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبّت الشمال. فقال له كعب بن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلاً. قال: فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن

(١) في ط: فقال.

(٢) ما بين المعكوفين سقط في ط.

(٣) في ط: قال.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٥، ومسلم في الجهاد حديث ١١٩، وأبو داود في الجهاد باب ١٧٥.

﴿يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النساء ٥١ و ٥٢] وما بعدها. قال موسى ومحمّد بن إسحاق: وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، وجعل يشبّب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين. قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ كما حدَّثني عبد اللّه بن المغيث بن أبي بردة: «مَنْ لابن الأشرف؟» فقال له محمّد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، قال: «فافعلْ إنْ قدرتَ على ذلك»، قال: فرجع محمّد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلاّ ما يعلق نفسه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: «لم تركْتَ الطّعام والشّراب؟» فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: «إنما عليكَ الجَهْد». قال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا أن نقول، قال: «فقُولوا ما بدا لكُم، فأنْتُم في حِلٍّ منْ ذلك». قال: فاجتمع في قتله محمّد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وَقْش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل. وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعبّاد بن بشر بن وَقْش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن مُعاذ أحد بني عبد الأشهل، وأبو عبس بن جبر أخو بني حارثة، قال: فقدموا بين أيديهم إلى عدو الله كعبٍ سلكانَ بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدّث معه ساعة فتناشدا شعراً. وكان أبو نائلة يقول الشعر. ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني، قال: أفعل. قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال وجُهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجُهد عيالنا. فقال كعب: أنا ابن الأشرف! أما والله لقد كنت أخبرتك[1] يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول؛ فقال له سلكان: إني قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك، وتحسن في ذلك، قال: ترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تفضحنا، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحَلْقة[2] ما فيه وفاء، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها. فقال: إن في الحلقة لوفاء. قال: فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدَّثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: مشي معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقَد، ثم وجّههم وقال: «انطلِقُوا علَى اسْم اللّهِ. اللّهُمَّ أعِنْهُمْ» ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مقمرة، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُرْس فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: أنت امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني. فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشرّ. قال: يقول لها كعب لو دُعي الفتى لطعنة أجاب، فنزل فتحدّث معه ساعة وتحدّثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه؟

---

(١) في ط: خبرك.

(٢) الحلقة: السلاح، وأصلها الدروع.

قال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة. ثم إن أبا نائلة شام[١] يده في فود رأسه ثم شمّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفودي رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً. قال محمّد بن مسلمة فذكرت مِغْوَلاً[٢] في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلاّ أوقدت عليه نار، قال: فوضعته في ثُنتِهِ[٣] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدوّ الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه، أصابه بعض سيوفنا، قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قُرَيظة، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا[٤] في حَرَّة[٥] العريض[٦] وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزّفه[٧] الدم فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه، فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلّمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلاّ وهو خائف على نفسه. قال ابن جرير: وزعم الواقدي أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وفي ذلك يقول كعب بن مالك: [الوافر]

فَغُودِر منهُمُ كَعْبٌ صَرِيعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الكَفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ... إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَاكَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النَّضير ستأتي. قلت: كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحُقَيق بعد وقعة أُحُد كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة. وقد أورد ابن إسحاق شعر حسّان بن ثابت: [الكامل]

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ لاَقَيْتَهُمْ ... يَا ابْنَ الحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالبِيضِ الخِفَافِ إِلَيْكُمْ ... مَرَحاً كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ[٨]
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلاَدِكُمْ ... فَسَقَوْكُمُ حَتْفاً بِبِيضٍ ذُفَّفِ[٩]

---

(١) شام يده: أدخلها.
(٢) المغول: حديدة دقيقة لها حد ماض.
(٣) الثنة: ما بين السرة والعانة.
(٤) أسندنا: ارتفعنا.
(٥) الحرة: أرض فيها حجارة سود.
(٦) العريض: وادي المدينة.
(٧) نزفه: أي أضعفه بكثرة سيلانه.
(٨) مغرف: ملتف الشجر.
(٩) البيض: عناها السيوف، وذفف: سريعة القتل.

مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ[١]

قال محمّد بن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ» فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سنينة. رجل من تجّار يهود كان يلابسهم ويبايعهم. فقتله، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسنّ منه ولم يسلم بعد، فلمّا قتله جعل حُوَيصة يضربه ويقول: أي عدوّ الله أقتلته؟ أما والله لربّ شحم في بطنك من ماله. قال محيصة: فقلت والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال: فوالله إن كان لأول إسلام حويصة وقال: والله لو أمرك محمّد بقتلي لتقتلني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها. قال: فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة. قال ابن إسحاق: حدَّثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها. وقال في ذلك محيصة: [الطويل]

يَلُومُ ابنُ أُمٍّ لَوْ أُمِرْتُ بِقَتْلِهِ ... لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضَ قَارِبِ[٢]

حُسَامٍ كَلَوْنِ المِلْحِ أُخْلِصَ صَقْلُهُ ... مَتَى مَا أُصَوِّبْهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبِ

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي قَتَلْتُكَ طَائِعاً ... وَأَنَّ لَنَا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَمَارِبِ[٣]

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة عن أبي عَمرو المدني، أن هذه القصّة كانت بعد مقتل بني قُرَيْظة، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا، فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله ﷺ يوم بني قريظة، قال له أخوه حويصة ما قال، فردّ عليه محيصة بما تقدّم، فأسلم حويصة يومئذ. فالله أعلم.

تنبيه: ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أُحُد، والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمّد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي، وبرهانه أن الخمر حرّمت ليالي حصار بني النضير، وثبت في الصحيح أنه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أُحُد شهيداً، فدلّ على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً، وإنّما حرّمت بعد ذلك، فتبيّن ما قلناه من أن قصّة بني النضير بعد وقعة أُحُد. والله أعلم.

تنبيه آخر: خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهودي على يدي الأوس، وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي، وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج، وخبر يهود بني قُرَيْظة بعد يوم الأحزاب، وقصّة الخندق كما سيأتي.

(١) مجحف: مهلك.

(٢) طبق: قطع وأصاب المفصل. والذفرى: عظم ناتىء خلف الأذن، والأبيض القاضب: السيف القاطع.

(٣) مارب: تخفيف مأرب.

غزوة أُحد في شوال سنة ثلاث

[فائدة](١) ذكرها المؤلف في تسمية أُحد، قال: سمي أُحد أُحداً لتوحّده من بين تلك الجبال، وفي الصحيح: «أُحُدٌ جبلٌ يحبُّنَا ونُحِبُّهُ»(٢) قيل معناه أهله، وقيل لأنه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره، كما يفعل المحبّ، وقيل على ظاهره كقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وفي الحديث عن أبي عَبْس بن جبر: «أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ وهُوَ على بَابِ الجنّة، وعيرٌ يُبْغِضُنا ونُبْغِضُهُ وهو على باب منْ أبوابِ النار» قال السُّهيلي مقوياً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه السلام قال: «المرءُ مع منْ أحبّ» وهذا من غريب صنع السهيلي، فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس، ولا يسمى الجبل امرأً. وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث، قاله الزهري وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمّد بن إسحاق، ومالك. قال ابن إسحاق: للنصف من شوال، وقال قتادة: يوم السبت الحادي عشر منه، قال مالك: وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة آل عمران ١٢١ ١٢٥] الآيات وما بعدها إلى قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [سورة آل عمران ١٧٩] وقد تكلّمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنّة. ولنذكر ههنا ملخص الوقعة مما ساقه محمّد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن [قال ابن إسحاق رحمه الله](٣): وكان من حديث أُحد كما حدّثني محمّد بن مسلم الزهري، ومحمّد بن يحيى بن حبّان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرَّحمٰن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ، وغيرهم من علمائنا، كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحد، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت. قالوا أو من قال منهم: لما أصيب يوم بدر من كفّار قريش أصحاب القليب ورجع فلّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد اللّه بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم

(١) سقط في ط.

(٢) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الاعتصام باب ١٦، والجهاد باب ٧١، ٧٤، والأطعمة باب ٢٨، والزكاة باب ٥٤، وأحاديث الأنبياء باب ١٠، والدعوات باب ٣٥، والمغازي باب ٢٧، ٨١، ومسلم في الحج حديث ٤٦٢، ٥٠٣، ٥٠٤، والفضائل حديث ١٠، وابن ماجه في المناسك باب ١٠٤، ومالك في المدينة حديث ١٠، ٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٧، ٣٨٧، ٣/ ١٤٠، ١٤٩، ١٥٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٤٤٣، ٥/ ٤٢٥.

(٣) سقط في: ط.

وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش، إن محمّداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأراً، ففعلوا. قال ابن إسحاق: ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأنفال ٣٦] قالوا: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها[١] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وكان أبو عزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، وكان في الأسارى، فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزّة، إنك امرؤ شاعر فأعنّا بلسانك واخرج معنا فقال: إن محمّداً قد منّ عليّ، فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى، فأعنّا بنفسك، فلك الله إن رجعت أن أغنيك، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول: [الرجز]

أَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةِ الرُّزَّامْ[٢] أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامْ

لاَ تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ العَامْ لاَ تُسْلِمُونِي لاَ يَحِلُّ إِسْلاَمْ

قال: وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويقول: [الرجز]

يَا مَالِ، مَالِ الحَسَبِ المُقَدَّمِ أَنْشُدُ ذَا القُرْبَى وَذَا التَّذَمُّمِ

مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمِ الحِلْفَ وَسْطَ البَلَدِ المُحَرَّمِ

عِنْدَ حَطِيمِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمِ

قال: ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي يقذف بحربة له قَذْف الحبشة، قلّما يخطىء بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإنْ أنتَ قتلت حمزة عمّ محمّد بعمّي طُعَيْمة بن عدي فأنت عتيق. قال: فخرجت قريش بحدّها وحديدها وجدّها وأحابيشها، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظُّعْن[٣] التماس الحفيظة وأن لا يفروا، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب، وهو قائد الناس، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج عمّه الحارث بن هشام بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية ببَرْزَة بنت مسعود بن عمرو بن عُمَير الثَّقفيَّة، وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت منبّه بن الحجّاج، وهي أم ابنه عبد الله بن عمرو، وذكر غيرهم ممن

---

(١) أحابيشها: يريد من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم.

(٢) الرزام: جمع رازم، وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه، أي أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون.

(٣) أي النساء في الهوادج.

خرج بامرأته قال: وكان وحشي كلما مرّ بهند بنت عتبة أو مرّت به تقول: ويهاً أبا دسمة اشفِ واشتَفِ. يعني تحرّضه على قتل حمزة بن عبد المطلب. قال: فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين بجبل ببطن السّبخة، من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، فلّما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال لهم: «قدْ رَأيتُ وَاللّه خيراً، رأيتُ بقراً تُذبحُ ورَأيتُ في ذُبابِ سَيفِي ثلْماً، ورأيتُ أنّي أدخلتُ يدي في درْعٍ حَصِينةٍ، فأوّلْتُها المدينةَ». وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي كريب، عن أبي أسامة، عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري، عن النبيّ ﷺ قال: «رأيتُ في المنام أنّي أهاجرُ مِنْ مكّة إلى أرض بها نخلٌ. فذهب وهلي إلى أنّها اليمامةُ أوْ هجرُ، فإذا هي المدينةُ يثربُ ورأيتُ في رُؤْياي هذه أنّي هززتُ سيفاً فانقطع صدْرُهُ، فإذا هُو ما أصيب مِن المؤمنين يوْم أُحُدٍ، ثمّ هززْتهُ أُخرى فعاد أحسنَ ما كان، فإذا هُو ما جاء اللّهُ بِهِ من الفتْح واجتماع المُؤمنين. ورأيتُ فيها أيضاً بقراً، واللّهُ خيرٌ، فإذا هُمُ النّفرُ من المُؤمنين يوْم أُحُدٍ، وإذا الخيرُ ما جاء اللّهُ به مِنَ الخيْرِ وثوابِ الصّدْقِ الّذي أتانا بعْد يوْم بدْرٍ»(١) وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا الأصم، أخبرنا محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عبّاس قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، قال ابن عبّاس: وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحُد، وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أُحُد كان رأيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدراً، نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأُحُد، ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندموا، وقالوا: يا رسول الله أقم فالرأي رأيك، فقال لهم: «ما ينبغي لنبيٍّ أنْ يضع أداته بعدما لبسها حتّى يحْكُم اللّهُ بينهُ وبيْنَ عدُوّه». قال: وكان قال لهم يومئذٍ قبل أن يلبس الأداة: «إنّي رأيتُ أنّي فِي دِرْعٍ حَصِينةٍ فأوّلْتُها المدِينةَ، وأنّي مُردِفٌ كبْشاً وأوّلْتهُ كبْشَ الكتيبةِ، ورأيتُ أنّ سيفِي ذا الفقارِ فُلَّ، فأوّلْتُهُ فلاً فِيكُمْ، ورأيتُ بقراً يذْبحُ فبقرٌ واللّهُ خيرٌ» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرّحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه به، وروى البيهقي من طريق حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال: «رأيتُ فِيمَا يرى النائِمُ كأنّي مُرْدِفٌ كبْشاً، وكأنّ ضَبّةَ سيفِي انْكسرتْ، فأوّلْتُ أنّي أقْتُلُ كبْشَ القوْمِ، وأوّلْتُ كسْرَ ضبّةِ سيْفِي قتْلَ رَجُلٍ مِنْ عِتْرتِي». فقتل حمزة وقتل رسول الله ﷺ طلحة، وكان صاحب اللواء(٢). وقال موسى بن عقبة رحمه الله ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب، وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش، وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر، حتى نزلوا ببطن الوادي الذي قبليّ

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، والمغازي باب ٢٦، والتعبير باب ٤٤، ومسلم في الرؤيا حديث ٢٠، وابن ماجه في الرؤيا باب ١٠، والدارمي في الرؤيا باب ١٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٦٧.

أُحُد، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدراً قد ندموا على ما فاتهم من السابقة، وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر، فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أُحُد، فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدو عليهم، وقالوا: قد ساق الله علينا أمنيتنا، ثم إن رسول الله ﷺ أري ليلة الجمعة رؤيا فأصبح، فجاءه نفر من أصحابه، فقال لهم: «رَأَيتُ البَارِحَةَ في مَنَامي بَقراً تُذبحُ واللهُ خيرٌ، وَرَأَيتُ سَيفِي ذا الفقَار انقَصَمَ مِنْ عند ضَبّته». أو قال: «به فُلُولٌ فكرهتُهُ، وهُمَا مُصيبتَانِ، وَرَأَيتُ أنّي في دِرْعٍ حصينةٍ، وأنّي مُرْدِفٌ كَبْشاً». فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه، قالوا: يا رسول الله، ماذا أوّلت رؤياك؟ قال: «أوّلْتُ البقَر الّذي رَأيتُ بقراً فينا وفي القوْمِ، وكرِهتُ ما رأيتُ بسيْفي». ويقول رجال كان الذي رأى بسيفه الذي أصاب وجهه، فإن العدو أصاب وجهه يومئذ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته، يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص، وكان البقر مَن قتل من المسلمين يومئذ. وقال: «أوّلْتُ الكبْشَ أنّهُ كَبْشُ كَتيبةِ العدُوّ يقتُلهُ اللهُ، وأوّلْتُ الدِّرْعَ الحصينة المدينة فامكثوا وَاجْعَلوا الذَّرَاري في الآطام، فَإِنْ دخلَ علينا القَوْمُ في الأزقّة قاتلناهم، وَرَمُوا مِنْ فوْق البُيُوت»، وكانوا قد سكّوا أزقة المدينة بالبنيان حتى [صارت] كالحصن. فقال الذين لم يشهدوا بدراً: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه الله إلينا، وقرّب المسير، وقال رجل من الأنصار: متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبنا؟ وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم تمنع الحرب بروع؟ وقال رجال قولاً صدقوا به ومضوا عليه، منهم حمزة بن عبد المطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلنهم. وقال نعيم بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا تحرمنا الجنّة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له رسول الله ﷺ: «بِمَ؟» قال: بأني أحبّ الله ورسوله ولا أفرّ يوم الزحف. فقال له رسول الله ﷺ: «صَدَقْتَ». واستشهد يومئذ. وأبى كثير من الناس إلاّ الخروج إلى العدو، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك، ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدراً قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة، فلمّا صلى رسول الله ﷺ الجمعة وَعَظ الناس وذكرهم، وأمرهم بالجدّ والجهاد، ثم انصرف من خطبته وصلاته، فدعا بلأمته فلبسها، ثم أذن في الناس بالخروج، فلما رأى ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة، وهو أعلم بالله وما يريد، ويأتيه الوحي من السماء، فقالوا: يا رسول الله امكث كما أمرتنا فقال: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا أَخَذَ لأْمَةَ الحرْبِ وأَذِنَ بِالْخُرُوجِ إِلَى العَدُوّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ إِلاَّ الخُرُوجَ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ والصَّبْرِ عِنْدَ البَأْسِ إِذَا لَقِيتُمُ العَدُوَّ، وَانْظُرُوا مَاذَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ فَافْعَلُوا». قال: فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأُحُد، ورجع عنه عبد اللّه بن أُبيّ ابن سلول في ثلاثمائة فبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة. قال البيهقي رحمه الله: هذا هو المشهور عند أهل

المغازي أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل، قال: والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل، كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ، عن ابن وهب، عن يونس عن الزهري، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة فالله أعلم. قال موسى بن عقبة وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة، قال: ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة، ثم ذكر الوقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى. وقال محمّد بن إسحاق لما قصّ رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم: «إنْ رأيتُمْ أنْ تقيموا بالمدينة وتدعوهُم حيثُ نزلوا، فإنْ أقاموا أقاموا بشرّ مقام وإنْ هُم دخلوا علينا قاتلناهُمْ فيها»، وكان رأي عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم، فقال رجال ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُد وغيرهم ممن كان فاته بدر: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنّا جبنّا عنهم وضعفنا. فقال عبد اللّه بن أُبيّ: يا رسول الله لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلاّ أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلاّ أصبنا منه. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجّار يقال له مالك بن عمرو فصلّى عليه، ثم خرج عليهم وقد ندم الناس، وقالوا استكرَهْنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك، فلما خرج عليهم قالوا: يا رسول الله إن شئت فاقعد، فقال: «ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمتهُ أنْ يضعَها حتّى يقاتِلَ». فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق حتى إذا كان بالشَّوْط بين المدينة وأُحُد انخزل[1] عنه عبد اللّه بن أبيّ بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس. فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد اللّه بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد اللّه فقال: يا قوم اذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيّكم عند ما حضر من عدوهم. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلاّ الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغني الله عنكم نبيّه ﷺ. قلت: وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران ١٦٧] يعني أنهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر، بيّن، واضح، لا خفاء ولا شك فيه، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [سورة النساء ٨٨] الآية وذلك أن طائفة قالت: نقاتلهم، وقال آخرون: لا نقاتلهم، كما ثبت، وبين في الصحيح. وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة، فقال: لا حاجة لنا فيهم. وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد اللّه بن أُبيّ وأصحابه همتا أن تفشلا، فثبّتهما

(١) انخزل: انقطع.

الله تعالى، ولهذا قال ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة آل عمران ١٢٢] قال جابر بن عبد اللّه: ما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ كما ثبت في الصحيحين عنه(١). قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة فذبّ فرسٌ بذنبه، فأصاب كُلاّب سيف فاستله، فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف: «شِمْ سيفك أي أغمده. فإني أرى السُيوف ستُسَلُ اليوم». ثم قال النبيّ ﷺ لأصحابه: «مَنْ رَجُلٌ يخرُجُ بنا عَلى القوْمِ مِنْ كَثبٍ (أي من قريب) مِنْ طَرِيقٍ لاَ يَمُرُّ بنا عَلَيْهِمْ؟» فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لمرْبَع بن قَيْظي، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حسّ رسول الله ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب، ويقول: إن كنتَ رسول الله فإني لا أحلّ لك أن تدخل في حائطي. قال ابن إسحاق: وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من التراب في يده، ثم قال والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمّد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر»، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه فشجّه، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أُحُد في عدوة الوادي وفي الجبل، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد، وقال: لا يقاتلنَّ أحد حتى آمره بالقتال، وقد سرّحت قريش الظَّهر والكراع(٢) في زروع كانت بالصمغة(٣) من قناة كانت للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أتُرعى زروع بني قيلة ولما نضارب؟ وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل، وأمر على الرماة يومئذٍ عبد اللّه بن جُبَيْر أخا بني عمرو بن عوف، وهو معلم يومئذٍ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، فقال انضح الخيل(٤) عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتَين من قبلك. وسيأتي شاهد هذا في الصحيحين إن شاء الله تعالى. قال ابن إسحاق: وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يعني لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء إلى مصعب بن عُمَيْر أخي بني عبد الدار، قلت: وقد ردّ رسول الله ﷺ جماعة مَن الغلمان يوم أُحُد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم، منهم: عبد اللّه بن عمر كما ثبت في الصحيحين، قال: عُرضتُ على النبيّ ﷺ يوم أُحُد فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، وكذلك ردّ يومئذ أسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعَرابة بن أوس بن قيظي، وذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي، وهو الذي يقول فيه الشمّاخ: [الوافر]

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٧١.

(٢) الظهر: الإبل. والكراع: الخيل.

(٣) الصمغة: أرض قرب أحد.

(٤) انضح الخيل: أي ادفعهم.

إِذَا مَـا رَايَـةٌ رُفِـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلَـقَّـاهَـا عَـرَابَـةُ بِـالْـيَـمِـيـنِ

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة، ذكره السهيلي أيضاً، وأجازهم كلّهم يوم الخندق، وكان قد ردّ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب ورافع بن خَديج، وهما ابنا خمس عشرة سنة، فقيل يا رسول الله إن رافعاً رام فأجازه، فقيل يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه. قال ابن إسحاق رحمه الله: وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جَنبوها[1] فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عِكرمة بن أبي جهل بن هشام، وقال رسول الله ﷺ: «منْ يَأخُذُ هَذا السَّيفَ بِحَقِّه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي العَدُوّ حَتَّى ينحَني». قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إيّاه. هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً. وقد قال الإمام أحمد حدّثنا يزيد وعفّان قالا: حدّثنا حمّاد، هو ابن سَلَمة أخبرنا ثابت عن النبيّ أن رسول الله[2] ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد، فقال: «مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيفَ»؟ فأخذ قوم فجعلوا ينظرون إليه فقال: «مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ»، فأحجم القوم فقال: أبو دجانة سِمَاك: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين؛ ورواه مسلم عن أبي بكر عن عفّان به. قال ابن إسحاق: وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب، يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل، قال: فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فاعتصب بها، ثم جعل يتبختر بين الصفّين قال: فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطّاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر: «إِنَّهَا لَمَشْيَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ إلاَّ فِي مِثْلِ هٰذا المَوْطِنِ». قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم على القتال: يا بني عبد الدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتَى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإمّا أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهمّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع. وذلك الذي أراد أبو سفيان. قال: فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرّضن على القتال فقالت هند فيما تقول: [رجز]

وَيْـهـاً بَـنِـي عَـبْـدِ الـدَّارْ وَيْـهـاً حُـمَـاةَ الأَدْبَـارْ
ضَـرْبـاً بِـكُـلِّ بَـتَّـارْ[3]

وتقول أيضاً: [الرجز]

(١) جنبوها: قادوها إلى جنوبهم.

(٢) في ط: النبي.

(٣) البتار: السيف القاطع.

إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرِش النَّمَارِقْ[١]
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ[٢]

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة، وكان قد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر، وكان يعد قريشاً أنه[٣] لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. وكان يسمى في الجاهلية الراهب، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق. فلما سمع ردّهم عليه قال لقد أصاب قوميَ بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم أرضخهم[٤] بالحجارة. قال ابن إسحاق: فأقبل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، قال ابن هشام: وحدَّثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوّام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت: أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه وسألته إياه قبله، فأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب فخرج وهو يقول: [الرجز]

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَنْ لاَ أَقُومَ الدَّهْرِ فِي الكَيُّولِ[٥] أَضْرِب بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وقال الأموي: حدَّثني أبو عُبَيْد في حديث النبيّ ﷺ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به، فقال: لعلك إن أعطيتك تقاتل في الكيول؟ قال: لا. فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول: [الرجز]

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي أَنْ لاَ أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الكَيُّولِ

وهذا حديث يروى عن شعبة ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق، عن هنيدة بن خالد، أو غيره يرفعه. الكيول يعني مؤخر الصفوف، سمعته من عدّة من أهل العلم، ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث. قال ابن هشام: فجعل لا يلقى أحداً إلاّ قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلاّ ذفّف[٦] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه،

---

(١) النمارق: وسادات يتكأ عليها.
(٢) وامق: محبب إلينا.
(٣) في ط: أن.
(٤) أرضخهم: رماهم ورجمهم.
(٥) الكيول: آخر الصفوف في الحرب.
(٦) ذفف: أجهز عليه.

فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدَرَقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله. ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عُتبة، ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله ورسوله أعلم. وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوّام بذلك. قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حمساً شديداً، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة، وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه، طلبه منه عمر فأعرض عنه، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه، فوجدا في أنفسهما من ذلك، ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه، فأعطى السيف حقه، قال: فزعموا أن كعب بن مالك قال: كنت فيمن خرج من المسلمين، فلما رأيت مثل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاورت، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول: استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم. قال: وإذا رجل من المشركين ينتظره، وعليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه، ثم قمت أقدّر المسلم والكافر ببصري، فإذا الكافر أفضلهما عدّة وهيئة. قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرّق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجانة.

مقتل حمزة رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول: [الرجز]

إنَّ عَلَى أهْلِ اللِّوَاءِ حَقَّا أنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أوْ تَنْدَقَّا

فحمل عليه حمزة فقتله، ثم مرّ به سِباع بن عبد العزّى الغُبشاني، وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم إليّ يا ابن مقطّعة البظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، وكانت ختّانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

فقال وحشي غلام جبير بن مطعم: والله إني لأنظر لحمزة يهدّ الناس بسيفه ما يليق شيئاً يمرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني إليه سِبَاع، فقال حمزة: هلم يا ابن مقطّعة البظور، فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنّتِهِ[٢] حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغُلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحيتُ إلى العسكر، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد اللّه بن الفضل بن عياش بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن

(١)

(٢) ما بين أسفل البطن إلى العانة.

يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعُبَيد اللّه بن عدي بن الخيار، أحد بني نوفل بن عبد مناف، في زمن معاوية، فأدربنا[١] مع الناس، فلما مررنا بحمص وكان وَحْشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها، فلما قدمناها قال عُبَيد اللّه بن عدي: هل لك في أن نأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه، إنكما ستجدانه بفِناء داره، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً، وتجدا عنده بعض ما تريدان، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما به فانصرفا عنه ودعاه. قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، وإذا شيخ كبير مثل البغاث[٢]، وإذا هو صاح لا بأس به، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عُبَيد اللّه بن عدي فقال: ابنٌ لعدي بن الخيار أنت؟ قال: نعم. قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولْتُك أمَّك السعدية التي أرضعتك بذي طُوى، فإني ناولتكها وهي على بعيرها، فأخذتك بعُرْضَيْك فلمعت لي قدماك حين[٣] رفعتك إليها، فوالله ما هو إلاّ أن وقفتَ عليّ فعرفتهما. قال: فجلسنا إليه فقلنا: جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته؟ فقال: أما إني سأحدثكما كما حدثتُ رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلاماً لجُبَيْر بن مطعم، وكان عمّه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أُحُد، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمّد بعمي فأنت عتيق. قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، قل ما أُخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأوْرَق يهدّ الناس بسيفه هدّاً، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سِبَاع بن عبد العزّى، فلما رآه حمزة قال: هلم إليّ يا ابن مقطّعة البظور، قال: فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه، قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنّته حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغُلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق؛ فلما قدمت مكة عتقت، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكّة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلّموا تعيَّت[٤] عليّ المذاهب، فقلت ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق، قال: فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلاّ بي

(١) أدربنا مع الناس: أي جزنا الدروب.
(٢) البغاث: طائر بطيء الطيران.
(٣) في ط: حتى.
(٤) تعيت: ضاقت.

قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قال لي: «أَوَحْشِيّ أَنتَ؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيفَ قتلْتَ حَمْزةَ؟» قال: فحدّثته كما حدّثتكما، فلما فرغت من حديثي قال: «وَيحكَ غيّبْ عنّي وجْهَكَ فَلا أرَيَنَّكَ»، قال: فكنت أتنكب برسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عزّ وجلّ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً وبيده السيف، وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه، وشدّ عليه الأنصاري بالسيف فربّك أعلم أيّنا قتله، فإن كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس. قلت: الأنصاري هو أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة. وقال الواقدي في الردّة: هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني. وقال سيف بن عمرو: هو عدي بن سهل وهو القائل: [المتقارب]

أَلَــمْ تَــرَ أَنّــي وَوَحْــشِــيُّــهُــمْ قَــتَــلْــتُ مُــسَــيْــلِــمَــةَ الــمُــغْــتَــبَــنْ

وَيَــسْــأَلُــنــي الــنَّــاسُ عَــنْ قَــتْــلِــهِ فَــقُــلْــتُ ضَــرَبْــتُ وَهَــذَا طَــعَــنْ

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة، وذفّف عليه أبو دجانة، لما روى ابن إسحاق عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن ابن عمر قال: سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول: قتله العبد الأسود. وقد روى البخاري[1] قصّة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبد الله بن عدي بن الخيار. فذكر القصّة كما تقدّم. وذكر أن عُبَيد الله بن عدي كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشي إلاّ عينيه ورجليه، فذكر من معرفته له ما تقدم، وهذه قيافة عظيمة كما عرف مجزز المدلجي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما. وقال في سياقته: فلما أن صفّ الناس للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطّلب فقال له: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطّعة البظور، أتحادّ الله ورسوله؟ ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذلك آخر العهد به، إلى أن قال: فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذّاب قلت لأخرج إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافىء به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم في ثلمة[2] جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، قال عبد الله بن الفضل فأخبرني سليمان بن

(١) كتاب المغازي باب ٢٣.

(٢) ثلمة: خلل أو كسر.

يسّار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر البيت: واأمير المؤمناه، قتله العبد الأسود، قال ابن هشام: فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحدُّ في الخمر حتى خُلع من الديوان، فكان عمر بن الخطّاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. قلت: وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بحمص وكان أول من لبس الثياب المدلوكة. قال ابن إسحاق: وقاتل مصعب بن عُمَير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمّداً. قلت: وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المُسَيّب أن الذي قتل مصعباً هو أُبَيّ بن خَلَف فالله أعلم. قال ابن إسحاق: فلما قتل مصعب بن عُمَير أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع عبد الدار قال: نحن أحق بالوفاء منهم، أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه إلى مصعب بن عُمَير، فلما قتل مصعب أعطى اللواء عليّ بن أبي طالب. قال ابن إسحاق: وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين. قال ابن هشام وحدَّثني مسلمة بن علقمة المازني. قال: لما اشتد القتال يوم أُحُد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أن قَدْم الراية، فقدم علي وهو يقول: أنا أبو القصم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين. هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف، ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله. وقد فعل ذلك علي رضي الله عنه يوم صفّين مع بسر بن أبي أرطأة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه. وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفّين، أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً. ففي ذلك يقول الحارث بن النضر: [الطويل]

أَتَـى كُـلَّ يَـوْمٍ فَـارِسٌ غَـيْـرَ مُـنْـتَـهٍ ... وَعَـوْرَتُـهُ وَسْـطَ الـعَـجَـاجَـةِ[1] بَـادِيَـهْ

يَـكُـفُّ لَـهَـا عَـنْـهُ عَـلِـيٌّ سِـنَـانَـهُ ... وَيَـضْـحَـكُ مِـنْـهَـا فِـي الـخَـلاَءِ مُـعَـاوِيَـهْ

وذكر يونس عن ابن إسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس، فبرز إليه الزُّبير بن العوّام فوثب حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه وذبحه بسيفه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِياً وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» وقال: لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه. وقال ابن إسحاق: [من][2] قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقّاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلح فقتل نافع بن أبي طلحة، وأخاه الحُلاس، كلاهما يشعره سهماً[3] فيأتي أمه

(١) العجاجة: الغبار في المعركة.
(٢) سقط في ط.
(٣) يشعره سهماً: أي يصيبه به في جسده، فيصير له مثل الشعار، والشعار ما ولي الجسد من الثياب.

سلافة فيضع رأسه في حجرها فتقول يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً، ولا يمسّه ولهذا حماه الله منه يوم الرجيع كما سيأتي. قال ابن إسحاق: والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو، ويقال عبد عمرو بن صيفي، وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الراهب لكثرة عبادته، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق لما خالف الحق وأهله، وهرب من المدينة هرباً من الإسلام، ومخالفة للرسول عليه السلام، وحنظلة الذي يُعرف بحنظلة الغسيل لأنه غسلته الملائكة كما سيأتي، هو وأبو سفيان صخر بن حرب، فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأوس وهو الذي يقال له ابن شعوب، فضربه شدّاد فقتله فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ صَاحِبَكُمْ لتُغسِّلُهُ المَلاَئِكَةُ، فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ»** فسألت صاحبته قال الواقدي: هي جميلة بنت أُبَيّ ابن سلول، وكانت عروساً عليه تلك الليلة. فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة[1]، فقال رسول الله ﷺ: **«كَذٰلِكَ غَسَّلَتْهُ المَلاَئِكَةُ»**. وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره، وقال: ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا، ولقد والله كنتَ وصولاً للرحم براً بالوالد. قال ابن إسحاق وقال ابن شعوب في ذلك: [الرجز]

لَأَحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي ... بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وقال ابن شعوب: [الطويل]

وَلَوْلاَ دِفَاعِي يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي ... لأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ[2] غَيْرَ مُجِيبِ
وَلَوْلاَ مَكَرِّي المُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ... عَلَيْهِ ضِبَاعٌ أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ[3]

وقال أبو سفيان: [الطويل]

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ[4] ... وَلَمْ أَحْمِلِ النَّعْمَاءَ لابْنِ شَعُوبِ
وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ ... لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ
أُقَاتِلُهُمْ وَأَدَّعِي يَا لَغَالِبٍ ... وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ
فَبَكِّي وَلاَ تَرْعَيْ مَقَالَةَ عَاذِلٍ ... وَلاَ تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ
أَبَاكِ وَإِخْوَاناً لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلِّي الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي ... قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْماً كَرِيماً وَمُصْعَباً ... وَكَانَ لَدَى الهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ[5]

---

(١) الهاتفة: الصيحة. (٢) النعف: أسفل الجبل.
(٣) الضراء: الضارية التي تعودت أكل لحوم البشر والصيد، وكَليب: اسم لجماعة الكلاب.
(٤) الطمرة: الفرس السريعة الوثب.
(٥) القرم: الفحل الكريم من الإبل، ويريد به هنا حمزة رضي الله عنه والهيجاء: الحرب.

فَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمُ لَكَانَتْ شَجَانِي[١] فِي القَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ[٢]
فَآبُوا وَقَدْ أَوْدَى الجَلاَبِيبُ مِنْهُمُ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُغْبِطٍ وَكَئِيبِ[٣]
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كِفَاءً وَلاَ فِي خِطَّةٍ بِضَرِيبِ

فأجابه حسّان بن ثابت: [الطويل]

ذَكَرْتَ القُرُومَ[٤] الصِّيدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمُ نَجِيباً وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْراً وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبِ
غَدَاةَ دَعَا العَاصِي عَلِيّاً فَرَاعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ

فصل: قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وَعْده فحسّوهم[٥] بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها. وحدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه عبّاد عن عبد اللّه بن الزبير عن الزبير قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا أن محمّداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد منهم، فحدَّثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عَمْرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش فلاثوا به[٦]، وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يداه، ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعزرت يعني اللهم هل أعذرت ـ فقال حسّان بن ثابت في ذلك: [الوافر]

فَخَرْتُمْ بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لِوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابِ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ وَأَلأَمِ مَنْ يَطَا عُفْرَ التُّرَابِ[٧]
ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ

---

(١) في ط: شجىً.
(٢) الشجى: الحزن، والندوب: آثار الجروح.
(٣) الجلابيب: ج جلباب، وهنا يعني الإزار الخشن، وكان مشركو مكة يسمّون من أسلم مع النبي ﷺ الجلابيب. أودى: هلك. الخدب: الطعن النافذ إلى الجوف. والمغبط: المسرور وفي ابن هشام: معطب: قال أبو ذر: المعطب: الذي يسيل دمه. الكئيب: الحزين.
(٤) القروم: الأسياد العظماء.
(٥) حسّوهم بالسيوف: قتلوهم واستأصلوهم.
(٦) فلاثوا به: أي اجتمعوا حوله والتفوا.
(٧) عفر التراب: الذي لونه بين الحمرة والغبرة.

بِأَنَّ جِلادَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا بِمَكَّةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ (١)
أَقَرَّ الْعَيْنَ إِنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

وقال حسّان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم: [الطويل]

إِذَا عَضَلٌ سِيقَتْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ (٢)
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْناً مُبِيراً مُنَكِّلاً وَحُزْنَاهُم بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٣)
فَلَوْلاَ لِوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلاَئِبِ (٤)

قال ابن إسحاق فانكشف المسلمون وأصابَ منهم العدو، وكان يوم بلاء وتَمْحيص، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فذب بالحجارة حتى وقع لشقه (٥) فأصيبت رباعيته، وشجّ في وجهه، وكلمت (٦) شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص، فحدَّثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبيّ ﷺ يوم أُحُد، وشجّ في وجهه، فجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيّهم، وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران ١٢٨] قال ابن جرير في تاريخه: حدّثنا محمّد بن الحسين حدّثنا أحمد بن الفضل حدّثنا أسباط عن السدي قال: أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرّق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إِلَيَّ عِبَادَ اللّٰهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللّٰهِ» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحدٌ إلاّ طلحة وسهل بن حنيف، فحماه طلحة فرُمي بسهم في يده فيبست يده وأقبل أُبيّ بن خلف الجُمَحي وقد حلف ليقتلن النبيّ ﷺ فقال: بل أنا أقتله، فقال: يا كذّاب أين تفرّ، فحمل عليه فطعنه النبيّ ﷺ في جيب الدرع، فجرح جرحاً خفيفاً، فوقع يخور خُوار الثور، فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة فما يجزعك؟ قال: أليس قال: لأقتلنك! لو كانت تجتمع ربيعة ومضر لقتلهم. فلم يلبث إلاّ يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح، وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتِل. فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد اللّٰه بن أُبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، يا قوم إن محمّداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فقال أنس بن النضر يا قوم إن كان محمّد قد قتل فإنّ ربّ محمّد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمّد ﷺ، اللّهمّ إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء

(١) العياب: ج عيبة، وهي ما يضع فيها الرجل متاعه.
(٢) عضل: اسم قبيلة من خزيمة، والجداية (بفتح الجيم وكسرها): الصغير من أولاد الظباء، وشرك موضع.
(٣) مبيراً: مهلكاً. منكلاً: قامعاً لهم ولغيرهم.
(٤) الجلائب: ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها.
(٥) شقه: جنبه.
(٦) كلمت: أي جرحت.

به هؤلاء، ثم سل سيفه[(١)] فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلمّا رأوه وضع رجل سهماً في قوسه يرميه، فقال: «أنا رَسُولُ اللّه» ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عزّ وجلّ في الذين قالوا إن محمّداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية، فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمّهم أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ: «لَيسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا، اللّهُمَّ إنْ تُقتلْ هذهِ العصَابَةُ لاَ تُعْبَدْ في الأَرْضِ». ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، فقال أبو سفيان يومئذ: اعلُ هبل حنظلة بحنظلة ويوم أُحُد بيوم بدر. وذكر تمام القصّة. وهذا غريب جداً وفيه نكارة. قال ابن هشام: وزعم ربيح بن عبد الرّحمٰن بن أبي سعيد عن أبيه، عن أبي سعيد أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد اللّه بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن عبد اللّه بن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عُبَيد اللّه حتى استوى قائماً، ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده، فقال: «مَنْ مسّ دَمُهُ دَمِي لَمْ تَمْسَسْهُ النّارُ»، قلت: وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقّه أغمي عليه، فمرّ به سالم مولى أبي حُذَيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: «كَيفَ يُفلِحُ قَوْمٌ فعَلُوا هٰذا بِنَبِيِّهِمْ» وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، رواه ابن جرير وهو مرسل، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكفّار كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [سورة آل عمران ١٥٢، ١٥٣] الآية. قال الإمام أحمد: حدّثنا [عبد اللّه، حدّثني أبي، حدّثني] سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرّحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه، عن عُبَيد اللّه عن ابن عبّاس أنه قال: ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أُحُد، قال: فأنكرنا ذلك فقال: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أُحُد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحِسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس والحسّ القتل ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبيّ ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: «احْمُوا ظُهُورَنَا، فإِنْ

(١) في ط: شد بسيفه.

رَأَيْتُمُونا نُقْتَلُ فلا تنصُرُونا، وإنْ رَأَيْتُمُونا نغْنَمُ فَلاَ تشْرَكُونَا». فلما غنم النبيّ ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم هكذا (وشبك بين أصابع يديه) والتبسوا، فلما أخلَّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبيّ ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس: الغار إنما كان تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمّد! فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفّيه إذا مشى، قال: ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا، قال: فرقي نحونا وهو يقول: «اشتدَ غضبُ اللهِ على قوْمٍ دمَّوْا وجْه رسُول اللّهِ». ويقول مرّة أخرى: «اللَّهُمّ إنَّهُ لَيس لَهُمْ أن يَعْلُونا» حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعلُ هبل اعل هبل، مرتين (يعني آلهته)، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أَبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر بن الخطّاب: ألا أجيبه؟ قال: «بلى»، قال: فلما قال اعل هبل قال: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: يا ابن الخطّاب قد أنعمت عينها، فعاد عنها ـ أو فعال عنها ـ فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أَبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وها أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلاً[١]، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا. قال: ثم أدركته حمية [الجاهلية][١] فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه. وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان بن داود الهاشمي به، وهذا حديث غريب، وهو من مرسلات ابن عبّاس، وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسّر إن شاء الله، وبه الثقة، وعليه التكلان وهو المستعان. قال البخاري: حدّثنا عُبَيد اللّه بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبيّ ﷺ جيشاً من الرماة، وأمّر عليهم عبد اللّه بن جُبَيْر وقال: «لاَ تَبْرَحُوا، إنْ رَأَيْتُمُونا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُموهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنا فَلاَ تُعِينُونَا». فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد اللّه: عهد إليّ النبيّ ﷺ أن لا تبرحوا. فأبوا، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمّد؟ فقال: «لاَ تُجِيبُوهُ». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «لا تجيبوه». فقال: أفي القوم ابن الخطّاب؟ فقال: إنّ هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدوَّ الله، قد[٢] أبقى الله [لك ما

(١) في ط: مثله.

(٢) سقط في ط.

يخزيك][١] . فقال أبو سفيان: اعلُ هُبل. فقال النبيّ ﷺ: «أجيبوهُ»، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: اللّهُ أَعْلَى وَأَجَلّ. فقال أبو سفيان: لنا العُزّى ولا عُزّى لكم. فقال النبيّ ﷺ: «أجيبُوهُ»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: اللّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلى لَكُمْ». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون [في القوم][٢] مُثلة لم آمر بها ولم تسؤني[٣]. وهذا من أفراد البخاري دون مسلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا موسى، حدّثنا زهير، حدّثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أُحد. وكانوا خمسين رجلاً. عبد اللّه بن جُبَيْر، قال: ووضعهم موضعاً وقال: «إنْ رَأَيْتُمُونا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ فلا تبرَحُوا حتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِن رَأَيْتُمُونا ظَهَرنا عَلَى العَدُوّ وأوْطأنَاهُمْ[٤]»

، قال: فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد اللّه بن جُبَيْر: الغنيمة، أي قوم، الغنيمة. ظهر أصحابكم، فما تنظرون؟ قال عبد اللّه بن جُبَيْر: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة! فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أَفي القوم محمّد، أفي القوم محمّد، أفي القوم محمّد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أَبي قحافة، أفي القوم ابن أَبي قحافة؟ أَفي القوم ابن الخطّاب، أَفي القوم ابن الخطّاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدوّ الله، إن الذين عددت لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوءك. فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مَثلة لم آمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز: اعلُ هُبَل اعل هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: «ألاَ تُجيبُونَهُ» قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: «قولوا: اللّهُ أَعْلى وَأَجَلُّ». قال: إن العزّى لنا ولا عزّى لكم؟ قال رسول الله ﷺ: «ألاَ تُجيبُونَهُ؟» قالوا: يا رسول الله [و][٥] ما نقول؟ قال: «قولوا: اللّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ»[٦]. ورواه البخاري من حديث زُهَيْر وهو ابن معاوية مختصراً، وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق. وقال الإمام أَحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد بن سَلَمة، أَخبرنا ثابت وعليّ بن زيد عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهِقوا[٧]

---

(١) في ط: لك ما يحزنك. (٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٧.

(٤) أوطأناهم: أصبحنا بينهم.

(٥) سقط في ط.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠، وأبو داود في الجهاد باب ١١٦.

(٧) رهق: ظلم وسفه.

النبيّ ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش، قال: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وهُوَ رَفِيقِي في الجَنَّةِ؟» فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل. فلما رهقوه أيضاً قال: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عنَّا وهُوَ رَفِيقِي في الجَنَّةِ»، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ: «مَا أنْصَفْنَا أصْحَابَنَا». ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حمّاد بن سلمة به. وقال البيهقي في الدلائل: بإسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عُبَيد الله، وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال: «ألاَ أحَدٌ لِهَؤُلاءِ؟» فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: «كما أنْتَ يَا طَلْحَةُ»، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه، فقال: «ألا رجُلٌ لهؤلاء؟» فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له، فيقاتل مثل من كان قبله، حتى لم يبق معه إلاّ طلحة فغشوهما، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله فقال: حس، فقال: «لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللّهِ لرفعتْكَ الملائكةُ والنَاسُ ينظُرون إلَيكَ حتى تلج بكَ في جَوّ السَّمَاءِ». ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. وروى البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاّء وقى بها النبيّ ﷺ يوم أُحُد[١]. وفي الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهديّ قال: لم يبق مع النبيّ ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة وسعد عن حديثهما[٢]. وقال الحسن بن عرفة: حدّثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم السعدي، سمعت سعيد بن المسيّب يقول: سمعت سعد بن أبي وقّاص يقول: [نَثَلَ[٣]] لي رسول الله ﷺ كنانته[٤] يوم أُحُد وقال: «ارْمِ فِدَاكَ أبي وأُمّي». وأخرجه البخاري[٥] عن عبد اللّه بن محمّد عن مروان به. وفي صحيح البخاري من حديث عبد اللّه بن شداد عن علي بن أبي طالب قال: ما سمعت النبيّ ﷺ جمع أبويه لأحد إلاّ لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحُد: «يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أبي وأُمّي». قال محمّد بن إسحاق: حدّثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبي وقّاص أنه رمى يوم أُحُد دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول: «ارْمِ فِدَاكَ أبي وأُمّي». حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به. وثبت في الصحيحين من حديث

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٨، وأحمد في المسند ١/ ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٤٧.

(٣) نثل: استخرج النبال.

(٤) الكنانة: جعبة السهام.

(٥) كتاب المغازي باب ١٨.

إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت يوم أُحُد عن يمين النبيّ ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان [عنه](١) أشدّ القتال، ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام. وقال أحمد: حدّثنا عفّان، أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبيّ ﷺ يوم أُحُد، والنبيّ ﷺ خلفه يترس به، وكان رامياً وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم. نحري دون نحرك. وكان أبو طلحة يسوّر نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جلد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك، ومرني بما شئت. وقال البخاري: حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا عبد العزيز عن أنس قال: لما كان يوم أُحُد انهزم الناس عن النبيّ ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوّب(٢) عليه بجحفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة. قال: ويُشرف النبيّ ﷺ يَنظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم. ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة [مرّتين أو ثلاثاً](٣). قال البخاري: وقال لي خليفة: حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا سعيد عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: كنت فيمن تغشّاه النعاس يوم أُحُد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه(٤). هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة آل عمران ١٥٤، ١٥٥]. قال البخاري: حدّثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود؟ قال: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال إني سائلك عن شيء أتحدّثني. قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فرّ يوم أُحُد، قال: نعم. قال: فتعلمه تغيّب عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال:

---

(١) سقط في ط.

(٢) مجوّب: مترس.

(٣) في ط: إما مرتين وإما ثلاثاً.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢١.

فتعلم أنه تخلّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فكبّر. قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبيّن لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أُحُد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيّبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبيّ ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجرَ رَجُلٍ ممّنْ شهد بَدراً وسهْمَهُ»، وأما تغيّبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان بن عفّان لبعثه مكانه فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبيّ ﷺ بيده اليمنى: «هذه يَدُ عُثمان» فضرب بها على يده فقال: «هَذهِ لعُثمان. اذْهبْ بها»[1] . وقد رواه البخاري أيضاً في موضع آخر والترمذي من حديث أبي عوانة عن عثمان بن عبد اللّه بن موهب به. وقال الأموي في مغازيه عن ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المُبَقَّى دون الأعوص، وفرَّ عثمان بن عفّان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعَب جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: «لقدْ ذهبْتُمْ فيها عريضةً». والمقصود أن أُحُداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر، منها حصول النعاس حال التحام الحرب، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكّلها على خالقها[2] وبارئها. وقد تقدّم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ الآية وقال ها هنا: ﴿ثُمّ أَنْزَلَ عليْكُمْ مِنْ بعْدِ الغَمّ أَمَنةً نُعَاساً يَغْشى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني المؤمنين الكُمّل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: النعاس في الحرب من الإيمان، والنعاس في الصلاة من النفاق. ولهذا قال بعد هذا: ﴿وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ الآية. ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أُحُد كما استنصر يوم بدر بقوله: «إِنْ تَشأْ لا تُعْبد في الأرْض» كما قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد وعفّان قالا: حدّثنا حمّاد، حدّثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحُد: «اللّهمّ إنّكَ إنْ تشأْ لاَ تُعْبد في الأرْض» ورواه مسلم عن حجّاج بن الشاعر عن عبد الصّمد عن حمّاد بن سلمة به. وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، حدّثنا سفيان عن عمرو، سمع جابر بن عبد اللّه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أرأيت إن قُتلتُ فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل. ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به، وهذا شبيه بقصة عُمَيْر بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما.

فصل فيما لقي النبيّ ﷺ يومئذ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاري[3] : ما أصاب النبيّ ﷺ من الجراح يوم أُحُد، حدّثنا إسحاق بن نصر، حدّثنا عبد الرزّاق عن معمر، عن همّام بن منبّه، سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) في ط: بهذا.
(٢) في ط: خلقها.
(٣) كتاب المغازي باب ٢٤.

«اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ - يشير إلى رباعيته - اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». ورواه مسلم من طريق عبد الرزّاق، حدّثنا مخلد بن مالك، حدّثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدّثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ» ﷺ. وقال أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا حمّاد، أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحُد وهو يسلت[1] الدم عن وجهه وهو يقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران ١٢٨]. ورواه مسلم[2] عن القعنبي عن حمّاد بن سلمة به، ورواه الإمام أحمد عن هشيم ويزيد بن هارون عن حميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشجّ في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ» فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3].

وقال البخاري: حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبيّ ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعليّ يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، وكُسِرت رباعيته يومئذ، وجُرح وجهه، وكُسِرت البيضة على رأسه. وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدّثنا ابن المبارك عن إسحاق بن[4] يحيى بن طلحة بن عُبَيد اللّه أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد قال: ذاك يوم كلّه لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أُحُد فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه وأراه قال: حمية، قال: فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحبّ إليّ، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجرّاح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشجّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمَا صَاحِبَكُمَا» يريد طلحة وقد نزف، فلم نلتفت إلى قوله قال: وذهبت لأنزع ذاك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزمّ عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبتُ لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقّي لما تركتني. قال ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع

(١) يسلت: يمسح.

(٢) كتاب الجهاد حديث ١٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في المسند ٣/١٧٨، ١٧٩.

(٤) في ط: عن.

الحلقة، فكان أبو عُبَيْدة رضي الله عنه من أحسن الناس هتماً[1]. فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه. وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول شهدت أُحُداً فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول: دلّوني على محمّد لا نجوتُ إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد فجاوزه، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية، فقال: والله ما رأيته، أحلف بالله أنه منا ممنوع، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله، فلم نخلص إليه. قال الواقدي: ثبت عندي أن الذي رمي في وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقّاص، وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا وإن الرباعية التي كسرت له عليه السلام هي اليمنى السفلى. قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن كيسان عمن حدّثه عن سعد بن أبي وقّاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقّاص، وإن كان ما علمت لسيىء الخلق مبغضاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِهِ».

وقال عبد الرزاق: حدّثنا معمر عن الزهري، عن عثمان الجزري، عن مِقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقّاص حين كسر رباعيته ودمّى وجهه فقال: «اللَّهُمَّ لاَ يَحُولُ عَلَيْهِ الحَوْلُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار. وقال أبو سليمان الجوزجاني: حدّثنا محمّد بن الحسن، حدّثني إبراهيم بن محمّد، حدّثني ابن عبد الله بن محمّد بن أبي بكر بن حرب عن أبيه، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أُحُد بعظم بالٍ. هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأموي في وقعة أُحُد.

ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول: قتلتُ محمّداً. وصرخ الشيطان أزبُ العقبةِ يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمّداً قد قتل! فحصل بهتة عظيمة في المسلمين، واعتقد كثير من الناس ذلك، وصمّموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ

(١) الهتم: انكسار الثنايا، وهي مقدم الأسنان، وانقلاعها.

قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ [سورة آل عمران ١٤٤. ١٥١]. وقد تكلّمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير ولله الحمد. وقد خطب الصدّيق رضي الله عنه في أول مَقام أقامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية. قال: فكأنّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد إلا يتلوها. وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال: مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحُد على رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه. فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمّداً قد قتل. فقال الأنصاري: إن كان محمّد ﷺ قد قتل فقد بلّغ الرسالة، فقاتلوا عن دينكم، فنزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية. ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رضي الله عنه وهو عم أنس بن مالك. قال الإمام أحمد حدّثنا يزيد، حدّثنا حميد عن أنس، أن عمّه غاب عن قتال بدر، فقال: غِبْتُ عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين، لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرينَّ ما أصنع. فلما كان يوم أُحُد انكشف المسلمون، فقال: اللّهمّ إني أعتذر إليك عما صنع هؤلاء. يعني أصحابه. وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء. يعني المشركين. ثم تقدّم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، قال: فكنا نقول: فيه وفي أصحابه نزلت: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[1]. ورواه الترمذي عن عبد بن حميد والنسائي عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي: حسن، قلت: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه. وقال أحمد: حدّثنا بهز وحدّثنا هاشم قالا: حدّثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قال أنس: عمي (قال هاشم: أنس بن النضر) سمّيتُ به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر. قال فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع. قال: وهاب[2] أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنّة أجده دون أُحُد. قال: فقاتلهم حتى قُتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٢، ومسلم في الإمارة حديث ١٤٨.

(٢) في ط: فهاب.

وطعنة ورمية. قال فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلاّ ببنانه. ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب ٢٣] قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه. ورواه مسلم عن محمّد بن حاتم عن بهز بن أسد. ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك، وزاد النسائي وأبو داود وحمّاد بن سلمة أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال كان أُبيّ بن خلف أخو بني جُمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ. فلما بلغتْ رسولَ الله ﷺ حلفته قال: بل أنا أقتله إن شاء الله. فلما كان يوم أُحُد أقبل أُبيّ في الحديد مقنعاً وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمّد. فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عُمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه فقُتل مصعب بن عُمَيْر وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبيّ بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور فقالوا له: ما أجزعك؟ إنما هو خدش. فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «أنا أقْتُلُ أُبَيّاً». ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير. وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيّب نحوه. وقال ابن إسحاق: لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ. فقال القوم: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوه!» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمّة فقال بعض القوم كما ذُكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطايرنا تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً. ذكر الواقدي عن يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحو ذلك. قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أُبيّ بن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل[1] إذا أنا بنار تأجّجت فهبتها، وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش، فإذا رجل يقول: لا تسقه، فإنه قتيل رسول الله ﷺ، هذا أُبيّ بن خلف. وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم من طريق عبد الرزّاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يقتُلُهُ رسُولُ اللهِ فِي سَبِيلِ الله [بيده][2]» ورواه البخاري من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ بِيَدِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ» وقال البخاري وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابراً قال: لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونني والنبي ﷺ لم ينه، وقال النبي ﷺ: «لا تَبْكِهِ أو مَا تَبْكِيهِ مَا زَالَتِ المَلائِكَةُ

(١) هوِي من الليل: ساعة.

(٢) سقط في ط.

تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها حَتَّى رُفِعَ». هكذا ذكر هذا الحديث ههنا معلقاً، وقد أسنده في الجنائز عن بندار عن غندر عن شعبة. ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به، وقال البخاري: حدّثنا عبدان أخبرنا عبد اللّه بن المبارك عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم أن عبد الرَّحمٰن بن عوف أُتي بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عُمَير وهو خير مني، كفّن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة هو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجّلت لنا. ثم جعل يبكي حتى برد الطعام. انفرد به البخاري، وقال البخاري: حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا زهير، حدّثنا الأعمش عن شقيق، عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنّا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عُمَير قتل يوم أُحُد لم يترك إلاّ نمرة كنا إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي ﷺ: «غطُّوا بِها رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلى رِجْلِهِ الإِذْخَرَ. ومِنّا مَن أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُها»[١]. وأخرجه بقية الجماعة إلاّ ابن ماجه من طرق عن الأعمش به. وقال البخاري: حدّثنا عُبَيد اللّه بن سعيد، حدّثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كان يوم أُحُد هُزِم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم. فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي. قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله ما زال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عزّ وجلّ. قلت: كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الآطام مع النساء لكبرهما وضعفهما، فقالا: إنه لم يبق من آجالنا إلاّ ظمء حمار[٢]، فنزلا ليحضرا الحرب، فجاء طريقهما ناحية المشركين، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ. وتصدّق حذيفة بديّة أبيه على المسلمين، ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر في ذلك.

فصل: قال ابن إسحاق: وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجنته فردّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدّهما. وفي الحديث عن جابر بن عبد اللّه أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أُحُد حتى سالت على خدّه، فردّها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى. وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك، عن محمّد بن عبد اللّه بن أَبي صعصعة، عن أبيه، عن أَبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أُحُد فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. والمشهور

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٧، والجنائز باب ٢٧، ومسلم في الجنائز حديث ٤٤.

(٢) الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين، وأقصر الأظماء ظمء الحمار، لأنه لا يقصر عن الماء، فضرب مثلاً لقرب الأجل.

الأول أنه أُصيبت عينه الواحدة. ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من. أنت؟ فقال له مرتجلاً: [الطويل]

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ   فَرُدَّتْ بِكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ

فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا   فَيَا حُسْنَهَا عَيْناً وَيَا حُسْنَ مَا خَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك: [البسيط]

تِلْكَ المَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

ثم وصله فأحسن جائزته رضي الله عنه.

فصل: قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أُحُد فذكر سعيد بن أَبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سَعْد بن الرّبيع كانت تقول: دخلت على أم عُمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجتُ أوّل النهار أنظر ما يَصْنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح[١] للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ، فقمتُ أباشر القتال وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمي عن القَوْس، حتى خَلَصت الجراحُ إليّ. قالت: فرأيت على عاتقها جُرحاً أجوف له غَوْر، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه[٢] الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمّد لا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومُصعب بن عُمير وأناس ممن ثَبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوّ الله كانت عليه دِرْعان. قال ابن إسحاق: وترّس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها[٣]، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده. قال ابن إسحاق: وحدَّثني القاسم بن عبد الرَّحمٰن بن رافع أخو بني عديّ بن النجّار قال: انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطّاب، وطلحة بن عُبَيد اللّه في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد اتقوا بأيديهم فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل، وبه سمّي أنس بن مالك. فحدَّثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفَه إلاّ أخته، عرفته ببنانه. قال ابن هشام: وحدَّثني بعضُ أهل العلم أن عبد الرَّحمٰن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم[٤]، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضُها في رِجْله فعرج.

فصل: قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس

---

(١) يريد «بالريح» النصر.
(٢) أقمأه الله: أذلّه.
(٣) سيتها: ما عطف من طرفيها.
(٤) هتم: كسرت ثنيته.

قُتل رسول الله ﷺ ـ كما ذكر لي الزهريّ ـ كعبُ بن مالك قال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ. فأشار رسول الله ﷺ أن أنصت(١). قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عُبيد الله، والزُّبَيْر بن العوّام، والحارث بن الصمّة، ورهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أُبيّ بن خلف (فذكر قتله عليه السلام أبياً كما تقدم) قال ابن إسحاق: وكان أُبيّ بن خلف، كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرّحمٰن بن عوف يلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول: يا محمّد إن عندي العَوْذ ـ فرساً ـ أعلفه كل يوم فَرَقاً من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: «بلْ أنا أقْتُلك إنْ شاء اللّه». فلمّا رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم فقال: قتلني والله محمّد. فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إنْ بك بأس. قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكّة. قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت في ذلك: [الوافر]

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلالَةَ عَنْ أبيهِ ... أُبَيٌّ يَوْمَ بارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ(٢) عَظْمٍ ... وَتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلَتْ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ ... أُمَيَّةَ إِذْ يُغَوِّثُ: يا عَقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطاعَا ... أَبا جَهْلٍ لأُمِّهِما الهَبُولُ(٣)
وَأَفْلَتَ حارِثٌ لَمَّا شَغَلْنا ... بِأَسْرِ القَوْمِ أُسْرَتُهُ فَلِيلُ(٤)

وقال حسّان بن ثابت أيضاً: [الوافر]

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أُبَيّاً ... فَقَدْ أُلْقِيتَ فِي سَحُقِ(٥) السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلاَلَةِ مِنْ بَعِيدٍ ... وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تُمَنِّيكَ الأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ ... وَقَوْلُ الكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لاَقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ(٦) ... كَرِيمِ البَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الأَحْيَاءِ طُرّاً ... إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الأُمُورِ

(١) في ط: انصبت.
(٢) الرم: العظم البالي.
(٣) تب: هلك. والهبول: الفقد، يقال هبلته أمه: أي فقدته.
(٤) الفليل: المنهزمون.
(٥) السحق: البعد والعمق.
(٦) الحفاظ: الغضب في الحرب.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشّعب، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس[١]، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً، فعافه[٢] ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصبّ على رأسه وهو يقول: «اشْتَدَّ غضبُ اللّه علَى مَنْ دمَّى وجْهَ نبيِّه» وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية.

قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ في الشّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل، قال ابن هشام: فيهم خالد بن الوليد، قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إنّهُ لا يَنْبغي لهمْ أنْ يَعْلُونا!» فقاتل عمرُ بن الخطّاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض النبي ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن[٣] رسول الله ﷺ وظاهرَ بين دِرْعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عُبَيد اللّه فنهض به حتى استوى عليها، فحدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد اللّه بن الزُّبَيْر عن أبيه، عن عبد اللّه بن الزبير، عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: «أوْجَبَ[٤] طلْحةُ» حين صنع برسول الله ﷺ يومئذ ما صنع. قال ابن هشام: وذكر عمر مولى عُفْرة: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر يوم أُحُد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أَتِيٌّ[٥] لا يُدرى من هو يقال له: قُزْمان، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر: «إنّه لمنْ أهْلِ النّار» قال: فلما كان يوم أُحُد قاتل قتالاً شديداً، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بني ظَفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلاّ عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سَهْماً من كنانته فقتل به نفسه. وقد ورد مثل قصّة هذا في غزوة خَيْبر كما سيأتي إن شاء الله.

قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن الزهري، عن المسيّب، عن أبي هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خَيْبر فقال لرجل ممن يدّعي الإسلام: «هٰذا مِنْ أهلِ النّارِ» فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله الرجل الذي قلت إنه من أهل النار قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات، فقال النبي ﷺ: «إلى النّارِ» فكاد بعض القوم يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل، فإنه لم يمت ولكن به

(١) المهراس: قال أبو ذر: «قال أبو العباس: هو ماء بأُحُد، وقال غيره هو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ويصب فيه الماء لينتفع به الناس».

(٢) عافه: كرهه.

(٣) بدن: أسنّ وضعف.

(٤) أوجب: وجبت له الجنّة.

(٥) أتِيّ: غريب.

جراح شديدة، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاَّ نَفسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهُ يُؤَيِّدُ هٰذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ». وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزّاق به.

قال ابن إسحاق: وكان ممن قتل يوم أُحُد مُخَيريق، وكان أحدَ بني ثَعْلبة بن الفِيطون، فلما كان يوم أُحُد قال: يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمّد عليكم لحقٌّ. قالوا: إنّ اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعدّته وقال: إن أصبت فمالي لمحمّد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل. فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: «مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ» قال السهيلي: فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ـ وكانت سبع حوائط ـ أوقافاً بالمدينة لله قال محمّد بن كعب القرظي: وكانت أول وقف بالمدينة. وقال ابن إسحاق: وحدَّثني الحصين بن عبد الرَّحمٰن بن عمر بن سعد بن معاذ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدّثوني عن رجل دخل الجنّة لم يصلّ قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول أُصَيْرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش، قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الأُصَيْرِم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلمّا كان يوم أُحُد، بدا له فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، قال: فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون[1] قتلاهم في المعركة إذا هُم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه فقالوا [ما جاء بك يا عمرو]؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

قال ابن إسحاق: وحدَّثني أبي عن أشياخ من بني سَلِمة قالوا: كان عمرو بن الجَموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحُد أرادوا حَبْسه، وقالوا: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنّة، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلاَ جِهَادَ عَلَيْكَ» وقال لبنيه: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ» فخرج معه فقتل يوم أُحُد رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عُتبة ـ كما حدَّثني صالح بن كيسان ـ والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدّعن[2] الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خَدَماً[3] وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً. وبقرت[4] عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن

---

(١) في ط: يتمسون.
(٢) يجدعن: يقطعن.
(٣) خدماً: ج خدم، وهي الخلخال.
(٤) بقرت: شقت.

تسيغها[١] فلفظتها. وذكر موسى بن عقبة أن الذي بقر عن كبد حمزة وحشي، فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فالله أعلم. قال ابن إسحاق: ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت: [الرجز]

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ[٢]
مَا كَانَ لِي عَنْ عُتْبَةَ مِنْ صَبْرِ وَلاَ أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفَيْتَ وَحْشِيٌّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْرِي حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي

قال: فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت: [الرجز]

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرِ يَا بِنْتَ وَقَّاعٍ[٣] عَظِيمِ الكُفْرِ
صَبَّحَكِ اللَّهُ غَدَاةَ الفَجْرِ مِ الهَاشِمِيِّينَ الطِّوَالِ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي[٤] حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ[٥]
وَنَذْرُكِ السُّوءَ فَشَرُّ نَذْرِ

قال ابن إسحاق: وكان الحُلَيس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ـ وهو يومئذ سيد الأحابيش ـ مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول: ذق عُقَق. فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً[٦]. فقال: ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلّة. قال ابن إسحاق: ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمْتَ، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعلُ هُبل (أي ظهر دينك). فقال رسول الله ﷺ لعمر: «قُمْ يَا عُمَرُ فَأَجِبْهُ فَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلّ، لاَ سَوَاءَ[٧]، قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ» فقال له أبو سفيان: هلمّ إليّ يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائته فانظر ما شأنه». فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّداً؟ فقال عمر: اللّهمّ لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت عندي أصدق من ابن قمئة وأبرّ. قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مثل، والله ما رضيت وما سخطت، وما نهيت ولا أمرت. قال: ولما انصرف أبو

(١) تسيغها: أي تبتلعها.
(٢) السعر: (بضمتين وسكن للشعر): الالتهاب.
(٣) الوقاع: الكثير الوقوع في الدنايا.
(٤) يفري: يقطع.
(٥) شيب: أي شيبة، فرخمته في غير النداء. وضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.
(٦) لحما: أي ميتاً لا يقدر على الانتصار.
(٧) لا سواء: أي لا تمن سواء.

سفيان: إن موعدكم بَدْر العام المقبل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «**قل: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدٌ**». قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزنّهم. قال علي: فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون، فجنّبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجّهوا إلى مكة.

[ذكر][1] دعاء النبي ﷺ [يوم الوقعة][2] يوم أُحد

قال الإمام أحمد: حدّثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدّثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِي عَلَى رَبِّي عزَّ وَجلَّ**» فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسطْتَ وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ وَلاَ هَادِيَ لِمنْ أَضْلَلْتَ وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلاَ مُبَعِّدَ لِمَا قَرَّبْتَ. اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك النَّعِيمَ يَوْمَ القِيامَة[3] والأَمْن يوم الخوف. اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ ما مَنَعْتَنَا. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَان وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ. اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَك وَعَذَابَك. اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَهَ الحَقِّ**»[4] ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به.

فصل: قال ابن إسحاق: وفرغ الناس لقتلاهم، فحدّثني محمّد بن عبد اللّه بن عبد الرّحمٰن بن أبي صعصعة المازني، أخو بني النجّار أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفِي الأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الأَمْوَاتِ؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا. فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق، قال: فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات. فقال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ سلامي وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمّته. وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) في ط: العيلة.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٢٣، ٤٢٤.

خُلص إلى نبيّكم وفيكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات، وجئت النبي ﷺ فأخبرته خبره.

قلت: كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمّد بن سَلَمة فيما ذكره محمّد بن عمر الواقدي، وذكر أنه ناداه مرّتين فلم يجبه، فلما قال: إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره. وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب كان الرجل الذي التمس سعداً أبيّ ابن كعب فالله أعلم. وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة رضي الله عنه، وهو الذي آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين عبد الرَّحمٰن بن عوف. قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به، فجدع أنفه وأذناه، فحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لوْلاَ أنْ تحزن صَفيَةُ وتكُونَ سُنّةَ مَن بعْدي لتركْتُهُ حتّى يكُونَ فِي بُطُونِ السّباع وحواصل الطَّير، ولئِنْ أظْهرَني اللّهُ على قُرَيْش في مَوْطنِ من المواطن لأمثّلَنّ بثلاثين رَجُلاً منهُمْ» فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب. قال ابن إسحاق: فحدَّثني بُرَيْدة بن سُفيان بن فَرْوَة الأسلميّ عن محمّد بن كعب، وحدَّثني من لا أتهم عن ابن عبّاس أن الله أنزل في ذلك ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة النحل ١٢٦] الآية. قال: فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة. قلت: هذه الآية مكيّة وقصّة أُحد بعد الهجرة بثلاث سنين، فكيف يلتئم هذا فالله أعلم. قال: وحدَّثني حُميد الطويل عن الحسن عن سَمُرة قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة. وقال ابن هشام: ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال: «لَن أصاب بمثْلك أبداً. ما وقفتُ قطُّ موْقفاً أغيظ إليّ من هذا» ثم قال: «جاءَنِي جِبْرِيلُ فأخْبرنِي أنّ حمزة مكْتُوبٌ فِي السّماوات السّبع حمزةُ بْنُ عبْدِ المُطّلب أسَدُ اللهِ وأسدُ رسُولِهِ» قال ابن هشام: وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخَوَيْ رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتهم ثلاثتهم ثويبة مولاة أبي لهب.

[ذكر][1] الصلاة على حمزة وقتلى أُحد

وقال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مقسم عن ابن عبّاس قال: «أَمر رسول الله ﷺ بِحَمْزَةَ فَسُجيَ[2] ببردة، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة» وهذا غريب وسنده ضعيف. قال السهيلي: ولم يقل به أحد من علماء الأمصار. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد حدّثنا عطاء بن السائب عن الشعبي، عن ابن مسعود قال:

---

(١) سقط في ط.

(٢) سجي: غطي.

إن النساء كنّ يوم أُحُد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ أنه ليس أحد منّا يريد الدنيا حتى أنزل الله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢] فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله ﷺ في تسعة. سبعةٍ من الأنصار ورجلين(١) من قريش وهو عاشرهم. فلما رهقوه قال: «رحِمَ اللّهُ رَجُلاً رَدَّهُمْ عنّا»... فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: اعل هُبل! فقال رسول الله ﷺ: «قُولُوا اللّهُ أعْلى وأجلُّ»، فقالوا: الله أعلى وأجلّ. فقال أَبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قُولُوا اللّهُ مَوْلانا ولاَ مَوْلى لَكُمْ». ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، يوم لنا ويوم علينا، ويوم نُساء ويوم نُسر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: «لا سَواءُ، أمّا قتلانا فأحْياءُ يُرزقُونَ، وقتلاكُمْ في النّار يُعذّبُونَ». قال أَبو سفيان: قد كانت في القوم مُثلة وإن كانت لعن غير ملأ منّا، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني ولا سرّني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ: «أأكلتْ شيئاً؟» قالوا: لا، قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار، قال: فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلّى عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلّى عليه ثم رفع، وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة» تفرّد به أحمد، وهذا إسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فالله أعلم. والذي رواه البخاري أثبتُ حيث قال: حدّثنا قتيبة، حدّثنا الليث عن ابن شهاب، عن عبد الرَّحمٰن بن كعب بن مالك، أن جابر بن عبد اللّه أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُد في ثوب واحد ثم يقول: «أيُّهُمْ أكثرُ أخذاً للقرْآنِ»؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد وقال: «أنا شَهيدٌ عَلى هؤلاءِ يوْمَ القِيامَةِ». وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلّ عليهم ولم يغسّلوا(٢)، تفرّد به البخاري دون مسلم. ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به، وقال أحمد: حدّثنا محمّد يعني ابن جعفر، حدّثنا شعبة، سمعت عبد ربّه يحدّث عن الزّهريّ، عن ابن جابر، عن جابر بن عبد اللّه عن النبي ﷺ أنه قال في قتلى أُحُد: «فإنَّ كُلَّ جُرْحٍ أوْ كُلَّ دمٍ يفُوحُ مِسْكاً يَوْمَ القِيامَةِ»، ولم يصلّ عليهم، وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبلَ وفاته بيسير كما قال البخاري: حدّثنا محمّد بن عبد الرحيم، حدّثنا زكريا بن عدي، أخبرنا [ابن] المبارك، عن حيوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد

(١) في ط: واثنين.

(٢) أخرجه البخاري في االمغازي باب ٣٦، والجنائز باب ٧٢، وأبو داود في الجنائز، باب ٢٧، والترمذي في الجنائز باب ٤٦، والنسائي في الجنائز باب ٦٤، وابن ماجه في الجنائز باب ٢٨ .

ثماني سنين كالمودّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإنّ موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدّنيا أن تنافسوها»[١]. قال: فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ. ورواه البخاري في مواضع أخر، ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه. وقال الأموي: حدّثني أبي، حدّثنا الحسن بن عمارة عن حبيب بن أبي ثابت قال: قالت عائشة: خرجنا من السّحر مخرج رسول الله ﷺ إلى أُحد نستطلع الخبر، حتى إذا طلع الفجر، إذا رجل محتجر يشتد ويقول: [الرجز]

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ

قال: فنظرنا فإذا أُسيد بن حضير، ثم مكثنا بعد ذلك فإذا بعير قد أقبل، عليه امرأة بين وسقين قالت: فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجَموح، فقلنا له: ما الخبر؟ قالت: دفع الله عن رسول الله ﷺ، واتخذ من المؤمنين شهداء، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. ثم قالت لبعيرها: حل. ثم نزلت، فقلنا لها: ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي. وقال ابن إسحاق: وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوّام: «القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي. قالت: ولمَ؟ وقد بلغني أنه مثّل بأخي وذلك في الله فما أرضانا ما كان من ذلك لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال: «خلِّ سبيلها»، فأتته فنظرت إليه وصلّت عليه، واسترجعت[٢] واستغفرت. قال ابن إسحاق: ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن، ودفن معه ابن أخته عبد اللّه بن جحش، وأمّه أميمة بنت عبد المطلب، وكان قد مثّل به، غير أنه لم ينقر عن كبده رضي الله عنهما. قال السهيلي: وكان يقال له المجدع في الله، قال: وذكر سعد أنه هو وعبد اللّه بن جحش دَعيا بدعوة فاستجيبت لهما، فدعا سعد أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه، فكان ذلك، ودعا عبد اللّه بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويجدع أنفه في الله، فكان ذلك، وذكر الزبير بن بكّار أن سيفه يومئذ انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً[٣] فصار في يد عبد اللّه بن جحش سيفاً فقاتل[٤] به، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار، وهذا كما تقدم لعكاشة في يوم بدر. وقد تقدم في صحيح البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد، وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد، ويقدّم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن، وكان

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٧.

(٢) استرجعت: أي قالت إنا لله وإنّا إليه راجعون.

(٣) العرجون: القضيب.

(٤) في ط: يقاتل.

يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، وبين عمرو بن الجموح، لأنهما كانا متصاحبين، ولم يغسلوا بل تركهم بجراحهم ودمائهم، كما روى ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير، أن رسول الله ﷺ لما انصرف عن القتلى يوم أُحد قال: «أنا شهيدٌ علَى هؤلاءِ إنّهُ مَا منْ جَرِيحٍ يُجرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إلاّ وَاللّهُ يَبْعثُهُ يَوْمَ القيامةِ يَدْمى جُرْحُهُ اللَّوْنُ لَوْنُ دمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ». قال: وحدَّثني عمّي موسى بن يسّار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما مِنْ جريحٍ يُجرحُ في اللّهِ إلاّ واللّهُ يَبْعثُهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَجُرْحُهُ يدْمى اللَّوْنُ لَوْنُ الدّم، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس قال: أمر رسول الله ﷺ يوم أُحُد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود وقال: «ادْفنُوهُمْ بِدمائِهِمْ وَثِيَابِهِمْ»[1]. رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به. وقال الإمام أبو داود في سننه: حدّثنا القعنبي أن سليمان بن المغيرة حدَّثهم عن حميد بن هلال، عن هشام بن عامر أنه قال: جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أُحُد فقالوا: قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمر؟ فقال: «احْفِرُوا وأَوْسِعُوا واجْعلُوا الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلاثَةَ في القَبْرِ الوَاحِدِ». قيل: يا رسول الله فأيّهم يقدم؟ قال: «أكْثَرُهُمْ قُرآناً». ثم رواه من حديث الثوري عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن هشام بن عامر فذكره وزاد وأعمقوا[2]. قال ابن إسحاق: وقد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادْفنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا».

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا علي بن إسحاق، حدّثنا عبد اللّه وعتاب، أخبرنا[3] عبد اللّه، أخبرنا[4] عمر بن سلمة بن أبي يزيد المديني، حدَّثني أبي، سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: استشهد أبي بأُحُد، فأرسلني اخواتي إليه بناضح[5] لهن فقلن: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل، فادفنه في مقبرة بني سَلِمة. فقال: فجئته وأعوان لي، فبلغ ذلك نبيّ الله وهو جالس بأُحُد فدعاني فقال: «وَالّذِي نفْسِي بيدِهِ لا يُدْفنُ إلاّ معَ إخْوتِهِ»، فدفن مع أصحابه بأُحُد. تفرّد به أحمد. وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن الأسود بن قيس، عن نبيح، عن جابر بن عبد اللّه أن قتلى أُحُد حملوا من مكانهم فنادى منادي النبي ﷺ أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم[6]. وقد رواه أبو داود والنسائي من

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٤٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٦٧، والترمذي في الجهاد باب ٣٣.

(٣) في ط: حدثنا.

(٤) في ط: حدثنا.

(٥) الناضح: الجمل الذي يحمل عليه الماء.

(٦) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ٣٨، والترمذي في الجهاد باب ٣٨، والنسائي في الجنائز باب ٨٥، وأحمد في المسند ٣/٣٠٨.

حديث الثوري، والترمذيُّ من حديث شعبة، والنسائي أيضاً وابن ماجه من حديث سفيان بن عُيَيْنة، كلّهم عن الأسود بن قيس به.

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه من كان له قتيل بأُحُد فليشهد، قال جابر فحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً، ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضي الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. وقد قال البخاري: حدّثنا مسدد، حدّثنا بشر بن المفضل، حدّثنا حسين المعلم عن عطاء، عن جابر قال: لما حضر أُحُد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه[(١)]. وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن الثوب ويبكي، فنهاه الناس، فقال رسول الله: «تبْكِيه أوْ لاَ تبْكِيهِ، لَمْ تزَلِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ [بأجنحتها][(٢)] حتّى رَفَعْتُموهُ». وفي رواية أن عمته هي الباكية[(٣)].

وقال البيهقي: حدّثنا أبو عبد اللّه الحافظ، وأحمد بن الحسن القاضي قالا: حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا محمّد بن إسحاق، حدّثنا فيض بن وثيق البصريّ، حدّثنا أبو عبادة الأنصاري عن الزُهريّ، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «يا جابِرُ ألاَ أُبشِّرُكَ؟» قال: بلى بشّرك الله بالخير، فقال: «أُشْعِرْتُ أنّ اللّه أحْيَا أباكَ فقَالَ: تَمنَّ عَلَيَّ عَبْدِي ما شئت أُعْطِكَهُ. قال: يا ربِّ عَبَدْتُكَ حقَّ عِبادَتِكَ أتمنّى عليكَ أنْ تَرُدَّنِي إلَى الدُّنيا فأُقْتَلَ مع نبيّك، وأُقْتَلَ فيكَ مرّةً أُخرى. قال: إنّهُ سلَفَ مِنِّي أنّهُ إليها لا يَرْجِعُ».

وقال البيهقي: حدّثنا أبو الحسن محمّد بن أبي المعروف الإسفراييني، حدّثنا أبو سهل بشر بن أحمد، حدّثنا أحمد بن الحسين بن نصر، حدّثنا علي بن المديني، حدّثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري قال: سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرّحمٰن بن خراش بن الصّمّة الأنصاري، ثم السلمي قال: سمعت جابر بن عبد اللّه قال: نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال: «مَا لِي أراكَ مُهْتَمّاً؟» قال: قلت: يا رسول الله قُتل أبي وترك ديناً وعيالاً، فقال: «ألاَ أُخبِرُكَ مَا كَلَّمَ اللّهُ أحَداً إلاّ مِنْ وراءِ حِجابٍ، وإنّهُ كَلَّمَ أباكَ كِفَاحاً، وَقَالَ لَهُ: يا عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ. فَقَالَ: أَسْألُكَ أنْ تَرُدَّنِي إلَى الدُّنيا فأُقْتَلَ فِيكَ ثانِيَةً، فَقَالَ: إنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنّي القَوْلُ: «أنَّهُمْ إليهَا لا يَرْجِعُونَ». قالَ: يا رَبِّ: فأَبْلِغْ مَنْ وَرائِي. فأَنْزَلَ

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٧٧.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٦، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٠.

الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية.

وقال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمّد بن عقيل سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ؟» قلت: بلى، قال: «إِنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أُصِيبَ بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا تُحِبُّ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ قَالَ: أَيْ رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»(١) وقد رواه أحمد عن علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن حجر بن علي بن ربيعة السلمي، عن ابن عقيل، عن جابر، وزاد: فَقَالَ اللَّهُ: «إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُونَ». [وقال أحمد: حدّثنا عفّان حدّثنا أبو عوانة حدّثنا الأسود بن قيس عن نبيح العنزي، عن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبد الله: يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما مصير أمرنا، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي. قال: فبينا أنا في النظارين إذ جاءت عمّتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا، إذ لحق رجل ينادي: ألاَ إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قُتلت، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان، إذ جاءني رجل فقال: يا جابر بن عبد الله، والله لقد أثار أباك عمّالُ معاوية، فبدا فخرج طائفة منه. فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغيّر إلاّ ما لم يدع القتل أو القتيل، ثم ساق الإمام قصّة وفاته دين أبيه كما هو ثابت في الصحيحين](٢).

وقال أحمد: حدّثنا يعقوب، حدّثنا أبي عن ابن إسحاق، حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرّحمٰن بن جابر، عن عبد الله، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر أصحاب أُحُد: «أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِهِ بِحِضْنِ الجَبَلِ» يعني سفح الجبل، تفرّد به أحمد.

فصل: في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أُحُد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً، وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً فالله أعلم. وقال قتادة عن أنس: قتل من الأنصار يوم أُحُد سبعون، ويوم بئر مَعُونَة سبعون، ويوم اليمامة سبعون. وقال حمّاد بن سَلَمة عن ثابت، عن أنس: أنه كان يقول: قارب السبعين يوم أُحُد، ويوم بئر معونة، ويوم مؤتة، ويوم اليمامة. وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المُسَيّب: قتل من الأنصار يوم أُحُد ويوم اليمامة سبعون، ويوم جسر أَبي عبيد

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٦١.

(٢) ما بين المعقوفين سقط في ط.

سبعون، وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمّد بن إسحاق في قتلى أُحد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وعن ابن إسحاق قتل من الأنصار ـ لعلّه من المسلمين ـ يوم أُحُد خمسة وستون [وكلامه في السيرة يدل على أنه قتل من المسلمين يومئذ خمسة وستون](١)، أربعة من المهاجرين: حمزة، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عُمَير، وشماس بن عثمان، والباقون من الأنصار وسرد أسماءهم على قبائلهم وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشام. وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين، وهم اثنان وعشرون رجلاً. وعن عروة كان الشهداء يوم أُحُد أربعة، أو قال: سبعة وأربعين، وقال موسى بن عقبة: تسعة وأربعون، قال موسى: وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً، وقال عروة: تسعة عشر، وقال ابن إسحاق: اثنان وعشرون.

وقال الربيع عن الشافعي: ولم يؤسر من المشركين سوى أَبي عزّة الجمحي وقد كان في الأسارى يوم بدر، فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فدية، واشترط عليه ألاّ يقاتله، فلما أُسِرَ يوم أُحُد قال: يا محمّد امنن عليّ لبناتي، وأعاهد أن لا أقاتلك، فقال له رسول الله ﷺ: «لاَ أَدَعُكَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ، وَتَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ»، ثم أمر به فضربت عنقه. وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ».

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أَبي فروة عن قطن بن وهب، عن عُبَيْد بن عُمَيْر، عن أَبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أُحد مرّ على مصعب بن عُمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه فدعا له ثم قرأ ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية قال: «أَشْهَدُ أَنَّ هٰؤُلاَءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللّٰهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ رَدُّوا عَلَيْهِ» وهذا حديث غريب، ورُوِي عن عُبَيْد بن عُمَيْر مرسلاً. وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب عن عباد بن أَبي صالح، عن أبيه، عن أَبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء، فإذا أتى فرضة الشّعب قال: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعله، وكان عمر بعد أَبي بكر يفعله، وكان عثمان بعد عمر يفعله. قال الواقدي: كان النبي ﷺ يزورهم كلّ حول، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول، ثم عمر، ثم عثمان، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم فتبكي عندهم، وتدعو لهم، وكان سعد يسلّم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلّمون على قوم يردّون عليكم. ثم حكي زيارتهم عن أَبي سعيد وأَبي هريرة وعبد الله بن عمر وأم سلمة رضي الله عنهم.

وقال ابن أَبي الدنيا: حدَّثني إبراهيم، حدَّثني الحكم بن نافع، حدّثنا العطاف بن

(١) ما بين المعقوفين سقط في ط.

خالد، حدثتني خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء. وكانت لا تزال تأتيهم. فنزلت عند حمزة فصليت ما شاء الله أن أصلي، وما في الوادي داع ولا مجيب إلاّ غلاماً قائماً، آخذاً برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي: «السلام عليكم» قالت: فسمعت ردّ السلام عليّ يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عزّ وجلّ خلقني، وكما أعرف الليل والنهار، فاقشعرّت كل شعرة مني. وقال محمّد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس قال: قال النبي ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَنْكُلُوا عَنِ الحَرْبِ، وَلاَ يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الكِتَابِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾». وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية عن الأعمش، عن عبد اللّه بن مرّة، عن مسروق قال: سألنا عبد اللّه بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي أَيِّهَا شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالعَرْشِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلاَعَةً. فَقَالَ: اسْأَلُونِي مَا شِئْتُمْ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا وَمَا نَسْأَلُكَ وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَنْ يَتْرُكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا: نَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا إِلَى أَجْسَادِنَا فِي الدُّنْيَا نُقْتَلُ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ إِلاَّ هَذَا تُرِكُوا»[(١)].

فصل: قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيته حَمْنة بنت جحش كما ذكر لي، فلما لقيت الناس نُعِيَ إليها أخوها عبد اللّه بن جحش فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت، ثم نُعِيَ لها زوجها مصعب بن عُمَيْر فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ زَوْجَ المَرْأَةِ فِيهَا[(٢)] لَبِمَكَانٍ» لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها. وقد قال ابن ماجة: حدّثنا محمّد بن يحيى، حدّثنا إسحاق بن محمّد الفروي، حدّثنا عبد اللّه بن عمر، عن إبراهيم بن محمّد بن عبد اللّه بن جحش، عن أبيه، عن حمنة بنت جحش: أنه قيل لها: قتل أخوك. فقالت: رحمه الله وإنّا لله وإنا إليه راجعون. فقالوا: قُتل زوجك قالت: واحزناه. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنَ المَرْأَةِ لَشُعْبَةً مَا هِيَ لِشَيْءٍ».

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن إسماعيل، عن محمّد، عن سعد بن أبي وقّاص قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها

(١) أخرجه مسلم في الإمارة حديث ١٢١.

(٢) في ط: منها.

وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبّين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل. قال ابن هشام: الجلل يكون من القليل والكثير، وهو ههنا القليل. قال امرؤ القيس: [المتقارب]

لِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ ... أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ خَلاهُ جَلَلْ

أي صغير وقليل. قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سَيْفه ابنته فاطمة فقال: «اغسلي عَنْ هذَا دمَهُ يا بُنيةُ، فَوَاللَّه لَقَدْ صدَقَني فِي هذَا اليَوم» وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ كُنت صَدقْتَ القِتالَ لَقدْ صدقَهُ معكَ سهلُ بْنُ حُنيفٍ وأَبُو دُجانَةَ» وقال موسى بن عقبة في موضع آخر: ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليّ مخضباً بالدماء قال: «لَئِنْ كُنت أَحْسَنْتَ القِتالَ فَقَدْ أَحْسَن عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ أَبِي الأَقْلَحِ والحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةَ وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ» وروى البيهقي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أُحُد قد انحنى، فقال لفاطمة: هاكِ السيف حميداً فإنها قد شفتني، فقال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ أَجدْتَ الضَّرْبَ بِسَيفكَ لَقدْ أَجادَهُ سهلُ بْنُ حُنَيفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ وعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ وَالحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةَ». قال ابن هشام: وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار، قال: وحدَّثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أُحُد: لا سيف إلاّ ذو الفقار، قال: وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ [فبكى][1] قال لعلي: «لاَ يُصِيبُ المُشْرِكُونَ مِنَّا مِثْلَهَا حَتَّى يَفْتَح اللَّهُ علينا» قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «لكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بوَاكِيَ لَهُ» فلما رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن[2]، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ. فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال: «ارْجِعْنَ يَرْحَمُكُنَّ اللَّهُ فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ» قال: ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح، فيما قال ابن هشام، وهذا الذي ذكره [ابن إسحاق][3] منقطع ومنه مرسل، وقد أسنده الإمام أحمد فقال: حدّثنا زيد بن الحباب حدَّثني أسامة بن زيد، حدَّثني نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما رجع من أُحُد فجعل نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن قال: فقال رسول الله ﷺ: «وَلكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ» قال: ثم نام فاستنبه وهنّ يبكين قال: «فَهُنَّ اليَوْمَ إذاً يَبْكِينَ يَنْدُبْنَ حَمْزَةَ» وهذا على شرط مسلم. وقد رواه ابن ماجه عن هارون بن سعيد، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد الليثي، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ مرَّ

(١) سقط في ط.

(٢) يتحزمن: يتصرمن بحزم

(٣) سقط في ط.

بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهنّ يوم أُحُد، فقال رسول الله ﷺ: «لٰكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ» فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «وَيْحَهُنَّ مَا انْقَلَبْنَ بَعْدَ مُرُورِهِنَّ، فَلْيَنْقَلِبْنَ وَلاَ يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ اليَوْمِ» وقال موسى بن عقبة: ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور [فقال رسول الله ﷺ][(١)]: «مَا هٰذا؟» قالوا: هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ» واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل[(٢)] وعبد اللّه بن رواحة، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمّ النبي ﷺ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة. وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد اللّه بن رواحة، فلما سمع رسول الله ﷺ قال: «مَا هٰذا» فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم، فاستغفر لهم وقال لهم خيراً وقال: «مَا هٰذَا أَرَدْتُ، وَمَا أُحِبُّ البُكَاءَ» ونهى عنه. وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء. قال موسى بن عقبة: وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين، وظهر غشّ اليهود، وفارت المدينة بالنفاق فور المِرْجل وقالت اليهود: لو كان نبياً ما ظهروا عليه، ولا أصيب منه ما أصيب، ولكنه طالب ملك، تكون له الدولة [مرة][(٣)] وعليه [أخرى][(٤)]، وقال المنافقون مثل قولهم وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذي أصابوا منكم، فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع، ونفاق من نافق، وتعزية المسلمين يعني فيمن قتل منهم، فقال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١] الآيات كلّها كما تكلّمنا على ذلك في التفسير ولله الحمد والمنّة.

[ذكر][(٥)] خروج النبي ﷺ بأصحابه على ما بهم من القرح والجراح في أثر أبي سفيان إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال [من المدينة][(٦)]

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أُحُد وذكره رجوعه عليه السلام إلى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة القوم وحدّهم ثم تركتموهم، ولم تبتروهم، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فأمر رسول الله ﷺ ـ وبهم أشدّ القرح ـ بطلب العدوّ ليسمعوا بذلك، وقال: «لا يَنْطَلِقَنَّ مَعِي إلاَّ مَنْ شَهِدَ القِتَالَ». فقال عبد اللّه بن أبيّ: أنا راكب معك. فقال: «لا»، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا. فقال الله في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ

---

(١) في ط: قال.
(٢) في ط: جبل.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) سقط في ط.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢] قال: وأذن رسول الله ﷺ لجابر [بن عبد الله][١] حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته، قال: وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد. وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير سواء. وقال محمّد بن إسحاق في مغازيه: وكان يوم أُحُد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرة ليلة مضت من شوال، أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ، وأذّن مؤذنه ألاّ يخرجنّ أحد إلاّ من حضر يومنا بالأمس، فكلّمه جابر بن عبد اللّه فأذن له. قال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنّوا به قوّة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم. قال ابن إسحاق رحمه الله: فحدّثني عبد اللّه بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحُداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منّا إلاّ جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غُلب حملته عقبة[٢] ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة. قال ابن هشام: وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر [أن] معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عَيبة[٣] رسول الله ﷺ بتهامة، صفَقْتهم[٤] معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك مرَّ برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد فقال: يا محمّد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرّوحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه قالوا: أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرّن على بقيتهم فلنَفْرغنّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قط، يتحرّقون[٥] عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق[٦] عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما

(١) سقط في ط.
(٢) عقبة: من الاعتقاب في الركوب، نوبة.
(٣) عيبة: أي موضع سر.
(٤) صفقتهم: أي اتفاقهم معه.
(٥) يتحرقون: يلتهبون من الغيظ.
(٦) الحنق: شدة الغيظ.

تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم لنستأصل شأفتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر. قال: وما قلت؟ قال: قلت: [البسيط]

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إذْ سَالَتِ الأرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ(١)
تُرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاَ تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٍ مَعَازِيلِ(٢)
فَظَلْتُ عَدْواً أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
فَقُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إذَا تَغَطْمَطَتِ(٣) البَطْحَاءُ بِالجِيلِ
إنِّي نَذِيرٌ لأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ(٤)
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لاَ وَخْشٍ(٥) قَنَابِلُهُ ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومرَّ به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؟ قال: فهل أنتم مبلّغون عني محمّداً رسالة أرسلكم بها إليه واحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: «حَسْبُنا اللَّهُ ونعْم الوَكِيلُ». وكذا قال الحسن البصري. وقد قال البخاري: **حدّثنا** أحمد بن يونس أراه قال: حدّثنا أبو بكر عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عبّاس: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمّد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ. تفرّد بروايته البخاري. وقد قال البخاري: حدّثنا محمّد بن سلام، حدّثنا أبو معاوية عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال: من يذهب في أثرهم. فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير. هكذا رواه البخاري، وقد رواه مسلم مختصراً من وجه عن هشام، وهكذا رواه

---

(١) تهد: تسقط لهول ما رأت من أصوات الجيش وكثرته. والجرد: الخيل العتاق. والأبابيل: الجماعات.

(٢) تردي: تسرع. والتنابلة: القصار. والميل: ج أميل، وهو الذي لا رمح أو لا ترس معه، وقيل هو الذي لا يثبت على السرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم.

(٣) تغطمطت: اهتزت وارتجت.

(٤) أهل البسل: قريش، لأنهم أهل مكة، ومكة حرام، والضاحية: البارزة للشمس. والإربة: العقل.

(٥) الوخش: رذالة الناس وأخساؤهم.

سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي جميعاً عن سفيان بن عيينة. وأخرجه ابن ماجه من طريقه عن هشام بن عروة به. ورواه الحاكم في مستدركه من طريق أبي سعيد عن هشام بن عروة به، ورواه من حديث السدّي عن عروة، وقال في كل منهما صحيح ولم يخرجاه. كذا قال. وهذا السياق غريب جداً فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كلّ من شهد أُحُداً وكانوا سبعمائة كما تقدم، قتل منهم سبعون وبقي الباقون. وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أُحد بعد الذي كان منه، فرجع إلى مكّة، وكانت وقعة أُحُد في شوال، وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فينزلون ببدرٍ الصغرى في كل سنة مرّة، وإنهم قدموا بعد وقعة أُحُد، وكان أصاب المسلمين القرح واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ واشتدّ عليهم الذي أصابهم، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال لنا: **«تَرْتَحِلُونَ الآنَ فَتَأْتُونَ الحَجَّ وَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِهَا حَتَّى عامٍ قَابِلٍ»**، فجاء الشيطان يخوّف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: **«إنِّي ذَاهِبٌ، وإِنْ لَمْ يَتْبَعْنِي أَحَدٌ»** فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرّحمٰن بن عوف وأبو عُبَيْدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا غريب أيضاً، وقال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أُحُد أراد الرجوع إلى المدينة فقال لهم صفوان بن أمية: لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا فقال النبي ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همّوا بالرجعة: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ لَوْ صُبِّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ»**[١] قال: وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، جدّ عبد الملك بن مروان لأمّه[٢] عائشة بنت معاوية، وأبا عزّة الجُمَحِيّ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدر، ثم منَّ عليه فقال: يا رسول الله أقلني، فقال: **«لاَ وَاللَّهِ لاَ تَمْسَحُ عَارِضَيكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ»**، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه. قال ابن هشام: وبلغني عن ابن المُسَيّب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ المُؤْمِنَ لاَ يُلْدَغُ مِن جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ»** وذكر ابن هشام أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث، فبعث رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر وقال: **«سَتَجِدَانِهِ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَاقْتُلاَهُ»** ففعلا رضي الله عنهما. قال ابن إسحاق: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد اللّه بن أُبَيّ كما حدّثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٥، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٥١، ٥٢.

(٢) في ط: لأن.

لا يُنْكَر له، شرفاً في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزّكم به فانصروه وعزّزوه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحُد ما صنع، ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أي عدوّ الله، والله لست لذلك بأهل وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بُجْراً أنْ قُمت أشدّد أمره. فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره، فوثب إليّ رجال من أصحابه يجبذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بُجراً[١] أن قمت أشدد أمره. قالوا: ويلك ارجع يَسْتغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي. ثم ذكر ابن إسحاق ما نزل من القرآن في قصّة أُحُد من سورة آل عمران عند قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة آل عمران ١٢١] قال إلى تمام ستين آية. وتكلم عليها، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية. ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أُحُد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته، فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عُمَيْر وعبد اللّه بن جَحْش وشمّاس بن عثمان رضي الله عنهم، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلاً، واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين، على قول ابن هشام. ثم سمّى ابن إسحاق من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً على قبائلهم أيضاً. قلت: ولم يؤسر من المشركين سوى أَبي عزّة الجمحي كما ذكره الشافعي وغيره، وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه. أمر الزبير ـ ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ـ فضرب عنقه.

فصل فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أُحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفّار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ليكون أبلغ في وقعها في الأسماع والأفهام، وأقطع لشبهة الكَفَرة الطّغام. قال الإمام محمّد بن إسحاق رحمه الله: وكان مما قيل من الشعر يوم أُحُد قول هُبَيْرة بن أَبي وهب المخزومي وهو على دين قومه من قريش فقال: [البسيط]

مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي ... بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدٍ إذْ تَغْدُو عَوَادِيهَا[٢]

بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدٌ وَتَعْذُلُنِي ... وَالحَرْبُ قَدْ شَغَلَتْ عَنِّي مَوَالِيَهَا

مَهْلاً فَلاَ تَعْذُلِينِي إنَّ مِنْ خُلُقِي ... مَا قَدْ عَلِمْتِ وَمَا إنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا

(١) بجراً: أمراً عظيماً. ويروى «هجراً» وهو الكلام القبيح.

(٢) العميد: المؤلم الموجع. العوادي: الشواغل.

مُسَاعِفٌ لِبَنِي كَعْبٍ بِمَا كَلِفُوا ... حَمَالُ عِبْءٍ وَأَثْقَالٍ أُعَانِيهَا[١]
وَقَدْ حَمَلْتُ سِلاَحِي فَوْقَ مُشْتَرَفٍ ... سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا يَجْرِي يُبَارِيهَا[٢]
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ ... مُكَدَّمُ لاَحِقٌ بِالعُونِ يَحْمِيهَا[٣]
مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّدِيُّ لَهُ ... كَجِذْعِ شَعْرَاءَ مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهَا[٤]
اعْدَدْتُهُ وَرِقَاقُ الحَدِّ مُنْتَخِلاً ... وَمَارِناً لِخُطُوبٍ قَدْ أُلاَقِيهَا[٥]
هَذَا وَبَيْضَاءُ مِثْلُ النَّهْيِ مُحْكَمَةٌ ... لَظَّتْ[٦] عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا
سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ ... عَرْضَ البِلاَدِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةُ أَنَّى تَذْهَبُونَ بِنَا؟ ... قُلْنَا النُّخَيْلَ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا
نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ الجَرِّ[٧] مِنْ أُحُدٍ ... هَابَتْ مَعَدٌّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
هَابُوا ضِرَاباً وَطَعْناً صَادِقاً خَذِماً[٨] ... مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
ثُمَّتَ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ[٩] بَرِدٌ ... وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَارِ يَبْكِيهَا
كَأَنَّ هَامَهُمُ عِنْدَ الوَغَى فِلَقٌ ... مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أَدَاحِيهَا[١٠]
أَوْ حَنْظَلٌ دَعْدَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصُنٍ ... بَالٍ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا[١١]
قَدْ نَبْذُلُ المَالَ سَحّاً لاَ حِسَابَ لَهُ ... وَنَطْعَنُ الخَيْلَ شَزْراً فِي مَآقِيهَا[١٢]
وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ ... جَرْبَا جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسْرِيهَا[١٣]
وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالفَرْثِ جَازِرُهَا ... يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِي المُثْرِينَ دَاعِيهَا[١٤]

---

(١) مساعف: مطيع موات. وبما كلفوا: أي بما أولعوا به وأحبّوه. والعبء: الحمل الثقيل.
(٢) مشترف: (بفتح الراء) أي فرس يستظرفه الناس، أي ينظرون إليه لحسنه. و (بكسر الراء) أي مشرف. والساطي: البعيد الخطو إذا مشى. والسبوح: الذي يسبح في جريه كأنه يعوم.
(٣) العير: الحمار الوحشي. الفدفدة: الفلاة. المكدم: المعضوض. والعون: جماعات حمر الوحش.
(٤) أعوج: اسم فرس مشهور في العرب. والندي: المجلس من القوم. شعراء: نخلة كثيرة الأغصان. ومراقيها: معاليها.
(٥) رقاق الحد: يريد سيفاً. متنخلاً: متخيراً. المارن: الرمح اللين عند الهز.
(٦) لظّت: ألحت علي.
(٧) الجرّ: أصل الجبل.
(٨) الخذم: الذي يقطع اللحم سريعاً.
(٩) العارض: السحاب.
(١٠) الأداحي: ج أدحى وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام.
(١١) السوافي: الرياح التي تقلع التراب والرحل من الأرض.
(١٢) سحاً: صباً، يريد أنه عطاء كثير. والشزر: الطعن عن اليمين والشمال.
(١٣) الأندية: ج ندى (على غير قياس) وقد قيل: إنه جمع الجمع. جرباً: شديدة البرد مؤلمة.
(١٤) يصطلي: يستدفىء من شدة البرد. والنقري: أن تدعو قوماً دون قوم.

لاَ يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ … مِنَ القَرِيسِ[١] وَلاَ تَسْرِي أَفَاعِيهَا
أَوْقَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَّاءِ جَاحِمَةً[٢] … كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةَ الأَرْكَانِ أَحْمِيهَا
أَوْرَثَنِي ذٰلِكُمْ عَمْرٌو وَوَالِدُهُ … مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْتَى يُغَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا … دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ العُلْيَا مَسَاعِيهَا

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت رضي الله عنه فقال (قال ابن هشام: وتروى لكعب بن مالك وغيره. قلت: وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم): [البسيط]

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ … إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللَّهِ مُخْزِيهَا
أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ المَوْتِ ضَاحِيَةً … فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالقَتْلُ لاَقِيهَا
جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشاً بِلاَ حَسَبٍ … أَئِمَّةُ الكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلاَ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلَتْ … أَهْلَ القَلِيبِ[٣] وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ … وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هُبَيْرة بن أبي وهب المخزومي أيضاً: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ … مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ
صَحَارَى وَأَعْلاَمٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا … مِنَ البُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ[٤]
تَظَلُّ بِهِ البُزْلُ العَرَامِيسُ رُزَّحاً … وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينِ فَيُمْرِعُ[٥]
بِهِ جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا … كَمَا لاَحَ كِتَّانُ التِّجَارِ المُوَضَّعُ[٦]
بِهِ العِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً … وَبَيْضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقَلَّعُ[٧]
مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ … مُذَرَّبَةٍ فِيهَا القَوَانِسُ تَلْمَعُ[٨]
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصِّوَانِ كَأَنَّهَا … إِذَا لُبِسَتْ نَهْيٌ مِنَ المَاءِ مُتْرَعُ[٩]
وَلَكِنْ بِبَدْرٍ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ … مِنَ النَّاسِ وَالأَنْبَاءُ بِالغَيْبِ تَنْفَعُ

---

(١) القريس: البرد مع الصقيع.
(٢) لذي الضراء: أي لذي الحاجة والعوز. والجاحمة: الملتهبة.
(٣) يعني بأهل القليب من قتل ببدر من المشركين.
(٤) القتام: ما مال لونه إلى السواد. والنقع: الغبار.
(٥) البزل: الإبل القوية. العراميس: الشديدة. الرزح: المصيبة.
(٦) الصليب: الودك. الموضع: المبسوط المنقوش.
(٧) العين: بقر الوحش. الآرام: البيض. يتقلع: يتشقق.
(٨) الفخمة: الكتيبة العظيمة. المذربة: المحددة. القوانس: رؤوس بيض السلاح.
(٩) الصموت: الدرع الذي أحكم نسجها وتقارب حلقها ولا يسمع لها صوت. النهي: الغدير. مترع: مملوء.

وَإِنَّا بِأَرْضِ الخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا ... سِوَانَا لَقَدْ أَجْلَوا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا (١)

إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ ... أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي (٢) ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

فَمَهْمَا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا ... فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ

فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعاً تَكِيدُهُ ... البَرِيَّةُ قَدْ أَعْطَوْا يَداً وَتَوَزَّعُوا

نُجَالِدُ لاَ تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالعِرْضِ قَالَتْ سَرَاتُنَا ... عَلاَمَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا القَوْلَ لاَ نَتَظَلَّعُ (٣)

تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ

نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا ... إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا ... ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا

وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّباً ... إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ

وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا ... عَلَى اللَّهِ إِنَّ الأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ

فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ... ضُحَيّاً عَلَيْنَا البِيضُ لاَ نَتَخَشَّعُ

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَّرُ وَالقَنَا ... إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لاَ تَوَرَّعُ (٤)

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

ثَلاَثَةُ آلاَفٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاَثُ مِئِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَأَرْبَعُ

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي المَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ المَنَايَا وَنَشْرَعُ

تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمُ ... وَمَا هُوَ إِلاَّ اليَثْرِبِيُّ المُقَطَّعُ

وَمَنْجُوفَةٍ حِرْمِيَّةٍ صَاعِدِيَّةٍ ... يُذَرُّ عَلَيْهَا السُّمُّ سَاعَةَ تُصْنَعُ (٥)

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً ... تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ (٦)

وَخَيْلٍ تَرَاهَا بِالفَضَاءِ كَأَنَّهَا ... جَرَادُ صَباً فِي قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ

فَلَمَّا تَلاَقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى ... وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللَّهُ مَدْفَعُ

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ ... كَأَنَّهُمُ بِالقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

---

(١) أقشعوا: فروا وزالوا.

(٢) يزجي: يسوق.

(٣) نتظلع: لا نميل عنه.

(٤) الململومة: الكتيبة المجتمعة. السنور: السلاح.

(٥) المنجوفة: السهام. الحرمية: نسبة إلى أهل الحرم. والصاعدية نسبة إلى صاعد، صانع معروف.

(٦) تقعقع: تضطرب وتتحرك.

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً كَأَنَّ ذُكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ[١]
وَرَاحُوا سِرَاعاً مُوجِعِينَ كَأَنَّهُمْ جَهَامٌ[٢] هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِيحُ مُقْلَعُ
وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٌ كَأَنَّنَا أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بِبِيشَةَ[٣] ضُلَّعُ
فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ وَقَدْ جُعِلُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمَارَ وَيَمْنَعُ
جِلاَدٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لاَ نَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْناً لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ وَلاَ نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِنَا نَتَوَجَّعُ
وَكُنَّا شِهَاباً يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ[٤]
فَخَرْتَ عَلَيَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى وَقَدْ سَرَى لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبَعُ
فَسَلْ عَنْكَ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَاماً وَأَشْنَعُ
وَمَنْ هُوَ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَراً وَمَنْ خَدُّهُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ أَضْرَعُ
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الأَسِنَّةِ شُرَّعُ
تَكِرُّ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالِي مَزَادٍ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ[٥]
عَمَدْنَا إِلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ وَمَنْ يَطِرْ بِذِكْرِ اللِّوَاءِ فَهْوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَداً وَتَخَاذَلُوا أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَمْرَهُ وَهُوَ أَصْنَعُ

قال ابنُ إسحاق: وقال عبدُ اللّه بنُ الزِّبَعْرَىٰ في يوم أُحُد وهو يومئذ مشرك بعد: [الرمل]

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئاً قَدْ فُعِلْ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى وَكِلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ
وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلّ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلّ
أَبْلِغَا حَسَّانَ عَنِّي آيَةً فَقَرِيضُ الشِّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلْ
كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمْجُمَةٍ وَأَكُفٍّ قَدْ أُتِرَتْ وَرِجَلْ

(١) ذكانا: أي التهابنا في الحرب. تلفع: يشتمل حرها على من دنا منها.
(٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.
(٣) بيشة: موضع تنسب إليه الأسود.
(٤) يسفع: يحرق ويغير.
(٥) الفروع: الطعنات المتسعة. يتهزع: يتقطع.

وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ سُرِّيَتْ عَنْ كُمَاةٍ أُهْلِكُوا فِي الْمُنْتَزَلْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ
صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ[1] لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ[2]
فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ؟ بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلْ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الأَشَلْ[3]
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَّصاً رَقْصَ الْحَفَّانِ يَعْلُو فِي الْجَبَلْ
فَقَتَلْنَا الضِّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ
لاَ أَلُومُ النَّفْسَ إِلاَّ أَنَّنَا لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ
بِسُيُوفِ الْهِنْدِ تَعْلُو هَامَهُمْ عَلَلاً تَعْلُوهُمُ بَعْدَ نَهَلْ

قال ابن إسحاق: فأجابه حسّان بن ثابت رضي الله عنه: [الرمل]

ذَهَبَتْ بِابْنِ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنِلْنَا مِنْكُمُ وَكَذَاكَ الْحَرْبُ أَحْيَاناً دُوَلْ
نَضَعُ الأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهْوَى عَلَلاً بَعْدَ نَهَلْ
نُخْرِجُ الأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسِلاَحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ الْعَصَلْ[4]
إِذْ تُوَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هُرَّباً فِي الشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلْ
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلْ
بِخَنَاطِيلَ[5] كَأَشْدَاقِ الْمَلاَ مَنْ يُلاَقُوهُ مِنَ النَّاسِ يَهَلْ
ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ وَمَلأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرَّجَلْ
بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْراً فَنَزَلْ
وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ الرُّسُلْ
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمُ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلْ[6]

---

(١) ملتاث: مبطىء.
(٢) الأسل: الرماح.
(٣) عبد الأشل: يعني بني عبد الأشهل.
(٤) العصل: نبات تأكله الإبل فيخرج منها سائل أحمر.
(٥) خناطيل: الجماعات من كل شيء.
(٦) الجحجاح: السيد. الرفل: الذي يجرّ ثوبه خيلاء.

وَتَــرَكْـنَــا فِــي قُــرَيْــشٍ عَــوْرَةً يَــوْمَ بَــدْرٍ وَأَحَــادِيــثَ الْـمَـثَـلْ
وَرَسُــولَ الــلَّــهِ حَــقّــاً شَــاهِــداً يَــوْمَ بَــدْرٍ وَالــتَّــنَــابِــيــلَ الــهُــبَــلْ
فِــي قُــرَيْـشٍ مِــنْ جُــمُــوعٍ جَــمَــعُــوا مِثْلَ مَا يَجْمَعُ فِي الخِصْبِ الهَمَلْ(١)
نَــحْــنُ لاَ أَمْــثَــالُــكُــمْ وُلْــدُ اسْــتِــهَــا نَــحْــضُــرُ الــبَــأْسَ إِذَا الــبَــأْسُ نَــزَلْ

قال ابن إسحاق، وقال كعب يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أُحد رضي الله عنهم: [المتقارب]

نَــشَــجْــتَ وَهَــلْ لَــكَ مِــنْ مُــنْــشِــجِ وَكُــنْــتَ مَــتَــى تَــذَّكِــرْ تَــلْــجُــجِ(٢)
تَــذَكُّــرَ قَــوْمٍ أَتَــانِــي لَــهُــمْ أَحَــادِيــثُ فِــي الــزَّمَــنِ الأَعْــوَجِ
فَــقَــلْــبُــكَ مِــنْ ذِكْــرِهِــمْ خَــافِــقٌ مِــنَ الــشَّــوْقِ وَالــحُــزْنِ الــمُــنْــضِــجِ
وَقَــتْــلاَهُــمُ فِــي جِــنَــانِ الــنَّــعِــيــمِ كِــرَامُ الــمَــدَاخِــلِ وَالــمَــخْــرَجِ
بِــمَــا صَــبَــرُوا تَــحْــتَ ظِــلِّ الــلِّــوَاءِ لِــوَاءِ الــرَّسُــولِ بِــذِي الأَضْــوَجِ(٣)
غَــدَاةَ أَجَــابَــتْ بِــأَسْــيَــافِــهَــا جَــمِــيــعــاً بَــنُــو الأَوْسِ وَالــخَــزْرَجِ
وَأَشْــيَــاعُ أَحْــمَــدَ إِذْ شَــايَــعُــوا عَــلَــى الــحَــقِّ ذِي الــنُّــورِ وَالــمَــنْــهَــجِ
فَــمَــا بَــرِحُــوا يَــضْــرِبُــونَ الــكُــمَــاةَ وَيَــمْــضُــونَ فِــي الــقَــسْــطَــلِ الــمُــرْهَــجِ(٤)
كَــذَلِــكَ حَــتَّــى دَعَــاهُــمْ مَــلِــيــكٌ إِلَــى جَــنَّــةٍ دَوْحَــةِ الــمَــوْلِــجِ
وَكُــلُّــهُــمُ مَــاتَ حُــرَّ الــبَــلاَءِ عَــلَــى مِــلَّــةِ الــلَّــهِ لَــمْ يَــحْــرَجِ
كَــحَــمْــزَةَ لَــمَّــا وَفَــى صَــادِقــاً بِــذِي هَــبَّــةٍ صَــارِمٍ سَــلْــجَــجِ(٥)
فَــلاَقَــاهُ عَــبْــدُ بَــنِــي نَــوْفَــلٍ يُــبَــرْبِــرُ كَــالْــجَــمَــلِ الأَدْعَــجِ
فَــأَوْجَــرَهُ حَــرْبَــةً كَــالــشِّــهَــابِ تَــلَــهَّــبُ فِــي الــلَّــهَــبِ الــمُــوهَــجِ
وَنُــعْــمَــانُ أَوْفَــى بِــمِــيــثَــاقِــهِ وَحَــنْــظَــلَــةُ الــخَــيْــرِ لَــمْ يُــحْــنَــجِ(٦)
عَــنِ الــحَــقِّ حَــتَّــى غَــدَتْ رُوحُــهُ إِلَــى مَــنْــزِلٍ فَــاخِــرِ الــزِّبْــرِجِ
أُولَــئِــكَ لاَ مَــنْ ثَــوَى مِــنْــكُــمُ مِــنَ الــنَّــارِ فِــي الــدَّرْكِ الــمُــرْتَــجِ

قال ابن إسحاق، وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم

(١) الهمل: الإبل المهملة، وهي التي ترسل في المرعى دون راع.
(٢) نشجت: بكيت. وتلجج: من اللجج، وهو الإقامة على الشيء والتمادي فيه.
(٣) الأضوج: (بضم الواو) ج ضوج: وهو جانب الوادي. و (بفتح الواو) اسم مكان.
(٤) القسطل المرهج: الغبار الذي علا في الجو.
(٥) سلجج: مرهف.
(٦) يحنج: لم يصرف عن وجهه الذي أراده من الحق.

أُحُد، وهي على روي قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بَدْر. قال ابن هشام: ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسّان والله أعلم: [مجزوء الكامل]

يَا مَيُّ قُومِي فَانْدُبِي بِسُحَيْرَةٍ شَجْوَ النَّوَائِحْ ... كَالْحَامِلاَتِ الوِقْرَ[1] بِالثِّقْلِ المُلِحَّاتِ الدَّوَالِحْ[2]
المُعْوِلاَتِ الخَامِشَاتِ[3] وُجُوهَ حُرَّاتٍ صَحَائِحْ ... وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الأَنْصَابُ تُخْضَبُ بِالذَّبَائِحْ
يَنْقُضْنَ أَشْعَاراً لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةَ المَسَائِحْ ... وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ بِالضُّحَى شُمْسٍ رَوَامِحْ
مِنْ بَيْنِ مَشْرُوزٍ وَمَجْزُورٍ يُذَعْذَعُ[4] بِالبَوَارِحْ ... يَبْكِينَ شُجْوَ مُسَلَّبَاتٍ كَدَّحَتْهُنَّ الكَوَادِحْ
وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا مَجْلٌ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحْ ... إِذْ أَقْصَدَ الحَدَثَانِ مَنْ كُنَّا نُرَجِّي إِذْ نُشَايِحْ[5]
أَصْحَابَ أُحُدٍ غَالَهُمْ[6] دَهْرٌ أَلَمَّ[7] لَهُ جَوَارِحْ ... مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَامِيَنَا إِذَا بُعِثَ المَسَالِحْ[8]
يَا حَمْزَ لاَ وَاللَّهِ لاَ أَنْسَاكَ مَا صُرَّ اللَّقَائِحْ ... لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْيَافٍ وَأَرْمَلَةٍ تُلاَمِحْ
وَلِمَا يَنُوبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهْيَ لاَقِحْ[9] ... يَا فَارِساً يَا مِدْرَهاً يَا حَمْزَ قَدْ كُنْتَ المُصَامِحْ[10]
عَنَّا شَدِيدَاتِ الخُطُوبِ إِذَا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِحْ ... ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُولِ وَذَاكَ مِدْرَهُنَا[11] المُنَافِحْ[12]
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الجَحَاجِحْ ... يَعْلُو القَمَاقِمَ[13] جَهْرَةً سَبْطَ اليَدَيْنِ أَغَرَّ وَاضِحْ
لاَ طَائِشٌ رَعِشٌ وَلاَ ذُو عِلَّةٍ بِالحِمْلِ آنِحْ[14] ... بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَاراً مِنْهُ سَيْبٌ[15] أَوْ مَنَادِحْ
أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الحَفَائِظِ وَالثَّقِيلُونَ المَرَاجِحْ ... المُطْعِمُونَ إِذَا المَشَاتِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحْ
لَحْمَ الجِلاَدِ وَفَوْقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرَائِحْ ... لِيُدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَا رَامَ ذُو الضِّغْنِ المُكَاشِحْ[16]
لَهْفِي لِشُبَّانٍ رُزِئْنَاهُمْ كَأَنَّهُمُ المَصَابِحْ ... شُمٌّ بَطَارِقَةٌ غَطَارِفَةٌ خَضَارِمَةٌ مَسَامِحْ[17]
المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بِالأَمْوَالِ إِنَّ الحَمْدَ رَابِحْ ... وَالجَامِزُونَ[18] بِلُجْمِهِمْ يَوْماً إِذَا مَا صَاحَ صَائِحْ
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَاقِرِ[19] مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحْ ... مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ يَرْسِمْنَ فِي غُبْرٍ صَحَاصِحْ
رَاحَتْ تَبَارَى وَهْوَ فِي رَكْبٍ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحْ ... حَتَّى تَؤُوبَ لَهُ المَعَالِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحْ[20]

---

(١) الوقر: الحمل الثقيل.
(٢) الدوالح: الثقيلات المشي.
(٣) الخامشات: الخادشات الوجوه.
(٤) يذعذع: يبدد ويفرق.
(٥) نشايح: نعادي ونخاصم.
(٦) غالهم: أهلكهم.
(٧) ألمّ: نزل.
(٨) المسالح: حاملوا السلاح.
(٩) لاقح: محرق.
(١٠) المصامح: الشديد الدفاع.
(١١) المدره: زعيم القوم.
(١٢) المنافح: المدافع عن القوم.
(١٣) القماقم: السيد الكريم.
(١٤) آنح: عاجز.
(١٥) سيب: عطاء.
(١٦) المكاشح: المبطن العداوة.
(١٧) شم: أعزاء. بطارقة: رؤساء. غطارفة: سادة. الخضارمة: الذين يكثرون العطاء. المسامح: الأجواد.
(١٨) الجامزون: الواثبون.
(١٩) النواقر: غوائل الدهر.
(٢٠) السفائح: ج سفيح، وهو من قداح الميسر لا نصيب له.

يَا حَمْزَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالعُودِ شَذَّبَهُ الكَوَافِحْ
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ التُّربُ المُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحْ
مِنْ جَنْدَلٍ يُلْقِيهِ فَوْقَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ(١) ضَارِحْ
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّتْهُ المَمَاسِحْ
فَعَزَاؤُنَا أَنَّا نَقُولُ وَقَوْلُنَا بَرْحٌ بَوَارِحْ
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهْوَ عَمَّا أَوْقَعَ الحِدْثَانِ جَانِحْ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنَاهُ لِهَلْكَانَا النَّوَافِحْ(٢)
القَائِلِينَ الفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالمَمَادِحْ
مَنْ لاَ يَزَالُ نَدَى يَدَيهِ لَهُ طِوَالَ الدَّهْرِ مَائِحْ(٣)

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان. قال ابن إسحاق، وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وأصحابه: [الكامل]

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدٌ
وَجَزِعْتَ أَن سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ
فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ
فَدَعِ التَّمَادِيَ فِي الغَوَايَةِ سَادِراً
قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الغَوَايَةِ تُفْنَدُ(٤)
وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعاً
أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ المُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً
ظَلَّتْ بَنَاتُ الجَوْفِ(٥) مِنْهَا تَرْعُدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ
لَرَأَيْتُ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ
وَالعَاقِرُ الكُومَ الجِلاَدَ إِذَا غَدَتْ
رِيحٌ يَكَادُ المَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ(٦)
وَالتَّارِكُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلاً
يَوْمَ الكَرِيهَةِ وَالقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الحَدِيدِ كَأَنَّهُ
ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَرَاثِنِ أَرْبَدُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ
وَرَدَ الحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ المَوْرِدُ
وَأَتَى المَنِيَّةَ مُعْلَماً فِي أُسْرَةٍ
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ المُسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْداً بُشِّرَتْ
لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لاَ تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالعَقَنْقَلِ(٧) قَوْمَهَا
يَوْماً تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الأَسْعَدُ
وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ
جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

---

(١) الضرح: الشق. أي شق القبر.
(٢) النوافح: الذين كانوا ينفحون بالمعروف، ويوسعون به.
(٣) المائح: الذي ينزل في البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلاً.
(٤) تفند: تلام وتكذب.
(٥) بنات الجوف: أحشاؤه.
(٦) الكوم: ج كوماء، وهي العظيمة السنام من الإبل. والجلاد: القوية.
(٧) العقنقل: الكثيب من الرمل.

حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ ... قِسْمَيْنِ نَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَطْرُدُ
فَأَقَامَ بِالعَطَنِ[1] المُعَطَّنِ مِنْهُمُ ... سَبْعُونَ عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ
وَابْنُ المُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً ... فَوْقَ الوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
وَأُمَيَّةُ الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ ... عَضْبٌ بِأَيْدِي المُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ
فَأَتَاكَ فَلُّ المُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ ... وَالخَيْلُ تَثْفِنُهُمْ[2] نَعَامٌ شُرَّدُ
شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِياً ... أَبَداً وَمَنْ هُوَ فِي الجِنَانِ مُخَلَّدُ

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رَوَاحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أُحُد. قال ابن هشام: وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فالله أعلم: [الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي البُكَاءُ وَلاَ العَوِيلُ
عَلَى أَسَدِ الإِلٰهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ القَتِيلُ
أُصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَعْلَى لَكَ الأَرْكَانُ هُدَّتْ ... وَأَنْتَ المَاجِدُ البَرُّ الوَصُولُ[3]
عَلَيْكَ سَلاَمُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لاَ يَزُولُ
أَلاَ يَا هَاشِمَ الأَخْيَارِ صَبْراً ... فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللّٰهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللّٰهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤَيّاً ... فَبَعْدَ اليَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ[4]
وَقَبْلَ اليَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا ... وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الغَلِيلُ
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمُ المَوْتُ العَجِيلُ
غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً ... عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةً تَجُولُ
وَمُتْرَكُنَا أُمَيَّةُ مُجْلَعِبّاً ... وَفِي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ[5]
وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرَّا جَمِيعاً ... وَشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا ... فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ
أَلاَ يَا هِنْدُ لاَ تُبْدِي شِمَاتاً ... بِحَمْزَةَ إِنَّ عِزَّكُمُ ذَلِيلُ
أَلاَ يَا هِنْدُ فَابْكِي لاَ تَمَلِّي ... فَأَنْتِ الوَالِهُ العَبْرَى الهَبُولُ

(١) العطن: مبرك الإبل حول الماء.
(٢) تثفنهم: أي تتطردهم وتتبع آثارهم.
(٣) أبا يعلى: كنية حمزة رضي الله عنه. والماجد: الشريف.
(٤) الدائلة: الحرب.
(٥) مجلعباً: ممتداً مع الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن: الرمح اللين.

قال ابن إسحاق: وقالت صفيّة بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب، وهي أم الزبير عمّة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين: [الطويل]

أَسَائِلَةٌ أَصْحَابَ أُحْدٍ مَخَافَةً بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
فَقَالَ خَبِيرٌ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلٰهُ الحَقِّ ذُو العَرْشِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَرْتَجِي لِحَمْزَةَ يَوْمَ الحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللَّهِ لاَ أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا بُكَاءً وَحُزْناً مَحْضَرِي وَمَسِيرِي
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِدْرَهاً يَذُودُ عَنِ الإِسْلاَمِ كُلَّ كَفُورِ
فَيَا لَيْتَ شِلْوِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِي لَدَى أَضْبُعٍ تَعْتَادُنِي وَنُسُورِ[1]
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيَّ عَشِيرَتِي جَزَى اللَّهُ خَيْراً مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ

قال ابن إسحاق: وقالت نعم امرأة شمّاس بن عثمان تبكي زوجها والله أعلم ولله الحمد والمنة: [البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِبْسَاسِ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الفِتْيَانِ لَبَّاسِ[2]
صَعْبِ البَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ رَكَّابِ أَفْرَاسِ
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعاً أَوْدَى الجَوَادُ وَأَوْدَى المُطْعِمُ الكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ لاَ يُبْعِدُ اللَّهُ مِنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ

قال فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزّيها فقال: [البسيط]

اقْنَى حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ
لاَ تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالبَاسِ
قَدْ كَانَ حَمْزَةُ لَيْثَ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسِ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أُحُد: [الطويل]

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بَلاَبِلُ[3] جَمَّةٌ وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي
مِنَ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
وَلَكِنَّنِي قَدْ نِلْتُ شَيْئاً وَلَمْ يَكُنْ كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكَبِي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرة، تركنا كثيراً منها خشية الإطالة، وخوف

(١) الشّلو: العضو، والجسد من كل شيء. تعتادني: تتعاهدني.

(٢) الإبساس: أن تستدر لبن الناقة بأن تمسح ضرعها، وتقول لها: بس بس.

(٣) البلابل: الأحزان.

الملالة، وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد. وقد أورد الأموي في مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته، ولا سيما هنا، فمن ذلك ما ذكره [عن حسّان][(١)] بن ثابت أنه قال: أنه قال في غزوة أُحد فالله أعلم: [الرمل]

طَاوَعُوا الشَّيْطَانَ إِذْ أَخْزَاهُمُ ... فَاسْتَبَانَ الخِزْيُ فِيهِمْ وَالفَشَلْ
حِينَ صَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً ... مَعْ أَبِي سُفْيَانَ قَالُوا أُعْلُ هُبَلْ
فَأَجَبْنَاهُمْ جَمِيعاً كُلُّنَا ... رَبُّنَا الرَّحْمَنُ أَعْلَى وَأَجَلْ
اثْبُتُوا تَسْتَعْمِلُوهَا مَرَّةً ... مِنْ حِيَاضِ المَوْتِ وَالمَوْتُ نَهَلْ
وَاعْلَمُوا أَنَّا إِذَا مَا نَضَحَتْ ... عَنْ خَيَالِ المَوْتِ قِدْرٌ تَشْتَعِلْ

وكأن هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزِّبعرى والله أعلم.

آخر الكلام على وقعة أُحد

فصل: [قال ابن إسحاق][(٢)] قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحروب[(٣)] والغزوات والسرايا، ومن أشهرها وقعة أُحد كانت في النصف من شوّال منها، وقد تقدّم بسطها ولله الحمد.

وفيها في أُحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عمارة أيضاً حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ الملقب بأسد الله وأسد رسوله، وكان رضيع النبي ﷺ هو وأبو سَلَمة بن عبد الأسد، أرضعتهم ثويبة مولاة أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضي الله عنه، فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصدّيقين الكبار، وقُتل معه يومئذ تمام السبعين رضي الله عنهم أجمعين.

[قال مصعب بن الزبير: ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين كلهم انقرضوا وكان له بنت يقال لها عمارة قلت: وهي التي تناولها عليّ وقال لفاطمة: دونك ابنة عمّك واختصم في حضانتها علي وزيد بن حارثة وجعفر فقضى بها النبي ﷺ لخالتها امرأة جعفر وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»][(٤)].

وفيها عقد عثمان بن عفّان [عقده][(٥)] على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقيّة، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها، وبنى بها في جمادى الآخرة منها، كما تقدّم فيها، ذَكَره الواقدي.

وفيها قال ابن جرير: ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب قال: وفيها علقت بالحسين رضي الله عنهم.

---

(١) في ط: لحسان.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: الحوادث.
(٤) ما بين معقوفين سقط في ط.
(٥) سقط في ط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سريّة أَبي سَلَمة بن عبد الأسد أَبي طليحة الأسدي، فانتهى إلى ما يقال له قَطَن[١]. قال الواقدي: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرَّحمٰن بن سعيد اليربوعي، عن سَلَمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سَلَمة وغيره قالوا: شهد أبو سَلَمة أُحُداً فجرح جرحاً على عضده فأقام شهراً يداوى، فلما كان هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة، دعاه رسول الله ﷺ فقال: «اخْرُجْ في هٰذِه السَّريَّة فقد اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَيْهَا»، وعقد له لواء وقال: «سِرْ حَتَّى تأتِيَ أَرْضَ بَنِي أسدٍ فأَغِرْ عَلَيْهِمْ»، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة، فانتهى إلى أدنى قَطَن وهو ماء لبني أسد، وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سَلَمة ابنا خويلد، وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي ﷺ، فجاء رجل منهم إلى النبي ﷺ فأخبره بما قالوا[٢] عليه، فبعث معه أبا سَلَمة في سريّته هذه. فلما انتهوا إلى أرضهم تفرّقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم، فأخذ ذلك كلّه أَبو سَلَمَة وأسر منهم معه ثلاثة مماليك وأقبل راجعاً إلى المدينة، فأعطى ذلك الرجل الأسديّ الذي دلّهم نصيباً وافراً من المغنم، وأخرج صفي النبي ﷺ عبداً وخُمس الغنيمة، وقسّمها بين أصحابه، ثم قدم المدينة. قال عمر بن عثمان: فحدَّثني عبد الملك بن عُبَيْد، عن عبد الرَّحمٰن بن سعيد بن يربوع، عن عمر بن أَبي سَلَمة قال: كان الذي جرح أَبي أَبو أسامة الجُشَميّ، فمكث شهراً يداويه فبرأ، فلما برأ بعثه رسول الله ﷺ في المحرّم، يعني من سنة أربع إلى قَطَن، فغاب بضع عشرة ليلة، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه، فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى. قال عمر: واعتدَّت أمي حتى خلت أربعة أشهر وعشر، ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليال بقين من شوّال فكانت أمي تقول: ما بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه، قد تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال [وأعرس بي][٣] فيه. قال: وماتت أم سَلَمة في ذي القعدة سنة تسع وخمسين رواه البيهقي. قلت سنذكر في أواخر هذه السنة في شوّالها تزويج النبي ﷺ بأم

(١) قطن: جبل بناحية فيد..

(٢) في ط: تمالؤوا.

(٣) في ط: وبنى.

سَلَمة، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح، ومذاهب العلماء في ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

غزوة الرجيع

قال الواقدي: وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه[١]، قال والرجيع على ثمانية أميال من عسفان. قال البخاري: حدَّثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن معمر، عن الزهريّ، عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي، عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سريّة عيناً، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل، يقال لهم: بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزوّدوه من المدينة، فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد[٢]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألاّ نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمّة كافر، اللهمّ أخبر عنا رسولك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيّهم، فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث [اسمها زينب بنت الحارث وقيل مارية بنت حجين بن إهاب][٣] يستحدُّ بها، فأعارته قالت: فغفلت عن صبيّ لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله. وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خُبَيْب لقد رأيته يأكل من قِطف عنب، وما بمكّة يومئذ من ثمرة، وإنه لموثق في الحديد وما كان إلاّ رزقاً رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلّي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللّهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً. ثم قال: [الطويل]

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللّهِ مَصْرَعِي

(١) في ط: ليجيزوه.

(٢) فدفد: الأرض الواسعة. أو المكان المرتفع.

(٣) ما بين المعقوفين سقط في ط.

وَذَلِـكَ فِـي ذَاتِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَـشَـأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ[١] مُمَزَّعِ

قال: ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بَدْر، فبعث الله عليه مثل الظلّة من الدَّبْر[٢] فحمته من رُسلهم فلم يقدروا منه على شيء. [ثم][٣] قال البخاري: **حدّثنا** عبد الله بن محمّد، حدّثنا سفيان عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله يقول: الذي قتل خبيباً هو أبو سَرْوَعة[٤]، قلت: واسمه عقبة بن الحارث، وقد أسلم بعد ذلك، وله حديث في الرّضاع، وقد قيل إن أبا سروعة وعُقْبة أخوان فالله أعلم.

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصّة الرجيع، ورواه أيضاً في التوحيد، وفي الجهاد من طرق عن الزهري، عن عمرو بن أبي سفيان، وأسد بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان، والمشهور عمرو. وفي لفظ للبخاري بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سريّة عيناً وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وساق بنحوه. وقد خالفه محمّد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك، ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف، على أن ابن إسحاق إمام في هذا الشأن غير مدافع، كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمّد بن إسحاق.

قال محمّد بن إسحاق: **حدّثنا** عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحُد رَهْطٌ من عَضَل والقَارَة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدين، ويُقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه وهم: مَرْثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، قال ابن إسحاق وهو أمير القوم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَبَىٰ بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنة أخو بني بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضي الله عنهم، هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسمّاهم كما قال ابن إسحاق؛ وعند البخاري أنهم كانوا عشرة، وعنده أن أميرهم[٥] عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فالله أعلم.

قال ابن إسحاق: فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية

---

(١) شلو: جسد.

(٢) الدبر: جمع دبور، وهو حشرة معروفة تسلع.

(٣) في ط: و.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠، وأبو داود في الجهاد باب ١٠٥.

(٥) في ط: كبيرهم.

الحجاز من صدور الهدأة غدروا بهم، فاستصرخوا[١] عليهم هُذَيلاً، فلم يَرُع القوم وهم في رِحالهم، إلاّ الرجال بأيديهم السيوف قد غَشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأمّا مرثد وخالد بن البُكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نَقْبل من مُشرك عهداً ولا عقداً أبداً، وقال عاصم بن ثابت والله أعلم ولله الحمد والمنة: [الرجز]

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ[٢]
تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلُ ... المَوْتُ حَقٌّ وَالحَيَاةُ بَاطِلُ[٣]
وَكُلُّ مَا حَمَّ الإِلَهُ نَازِلٌ ... بِالمَرْءِ وَالمَرْءُ إِلَيْهِ آيِلُ
إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ

وقال عاصم أيضاً: [الرجز]

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ المُقْعَدِ ... وَضَالَةٌ مِثْلَ الجَحِيمِ المُوقَدِ[٤]
إِذَا النَّوَاجِي افْتُرِشَتْ لَمْ أُرْعَدِ ... وَمُجْنَأً مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ أَجْرَدِ[٥]
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدِ

وقال أيضاً: [الرجز]

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامَا ... وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَراً كِرَامَا

قال: ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه. فلما قتل عاصم أرادتْ هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أُحُد، لئن قدرتْ على رأس عاصم لتشربَن في قحفه الخمر، فمنعته الدَّبْر[٦] فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشرك، ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدّبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته. قال ابن إسحاق: وأما خُبَيْب وزيد بن الدثنة وعبد اللّه بن طارق، فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد اللّه بن طارق يده من القران. ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه

(١) استصرخوا: استنصروا.
(٢) النابل: صاحب النبل، ويروى «بازل» وهو القوي. وعنابل: غليظ شديد
(٣) المعابل: ج معبلة، وهو نصل عريض طويل.
(٤) المقعد: رجل كان يريش النبل. والضالة: شجر تصنع منه القسي والسهام. وهنا تعني القوس.
(٥) النواجي: الإبل السريعة. افترشت: عمرت. المجنأ: الترس لا حديد فيه. الأجرد: الأملس.
(٦) الدبر: الزنابير والنحل.

بالحجارة حتى قتلوه فقبره بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكّة فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذَيل كانا بمكة. قال ابن إسحاق: فابتاع خبيباً حُجَيْر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمّه ليقتله بأبيه. قال: وأما زيد بن الدّثنة فابتاعه صَفْوان بن أمية ليقتله بأبيه، فبعثه مع مولى له يقال له نِسطاس إلى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك بالله يا زَيْد أتحبّ أن محمّداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحبّ أن محمّداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمّد محمّداً قال: ثم قتله نِسطاس. قال: وأما خُبَيْب بن عدي، فحدَّثني عبد الله بن أبي نجيح، أنه حُدِّث عن ماوية مولاة حُجَيْر بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان عندي خُبَيْب حبس في بيتي، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل! قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا: قالت: قال لي حين حَضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر بها للقتل. قالت فأعطيت غلاماً من الحي الموسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل البَيت، فقالت: فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه فقلت: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأرَه يقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ. ثم خلّى سبيله. قال ابن هشام: ويقال: إن الغلام ابنها. قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخبيب حتى جاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه، وقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خُبَيْب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين[1]. قال: ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا، ثم قال: اللّهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً، ثم قتلوه. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أَبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيْب، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه.

فائدة: قال السهيلي وإنما صارت الركعتان سنّة ـ يعني عند القتل ـ لأنها فُعلت في زمن النبي ﷺ فأقر عليها واستحسنت من صنيعه، قال وقد صلاّها زيد بن حارثة في حياة النبي ﷺ ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أَبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلاً من

(١) في ط: الآن عندنا.

الطائف واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء، فمال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة، فلما همَّ بقتله قال له زيد: دعني حتى أُصلّي ركعتين. فقال: صلِّ ركعتين فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً. قال: فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فإذا صارخ يقول لا تقتله، فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئاً، ثم جاء ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، فسمع أيضاً الصوت يقول لا تقتله، فذهب لينظر ثم جاء، فقلت: يا أرحم الراحمين، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة في رأسه شعلة من نار، فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتاً، ثم قال: لما دعوتَ الله في المرّة الأولى كنتُ في السماء السابعة، ولما دعوته في الثانية كنت في السماء الدنيا، ولما دعوته في الثالثة أتيتك. قال السهيلي: وقد صلاّها حِجْر بن عدي بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه، وفيه أنه خرج عليه وأراد خلعه، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين، فلما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: أوأنا أمير المؤمنين؟ وأمر بقتله. فصلّى ركعتين قبل قتله، ثم قتل رحمه الله. قال وقد عاتبتْ عائشةُ معاوية في قتله فقال: إنما قتله من شهد عليه، ثم قال: دعيني وحجراً فإني سألقاه على الجادة يوم القيامة. قالت: فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: حين غاب مثلك [من قومي [ا.هـ]][(١)].

وفي مغازي موسى بن عقبة: أن خبيباً وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد، وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قُتلا وهو يقول: «وعليكما أو عليكَ السَّلامُ خُبَيبٌ قَتَلَتْهُ قُرَيشٌ». وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاده إلاّ إيماناً وتسليماً. وذكر عروة وموسى بن عقبة: أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحبّ أن محمّداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكُها في قدمه فضحكوا منه. وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة فالله أعلم. قال موسى بن عقبة: زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث قال: سمعته يقول: والله ما أنا قتلت خبيباً كنت أصغر من ذلك، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله. قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أصحابنا قال: كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحِيّ على بعض الشام، فكانت تصيبه غَشْيَة وهو بين ظَهْرَي القوم، فذُكر ذلك لعمر وقيل إن الرجل مصاب، فسأله عمر في قَدْمَةٍ قَدِمها عليه فقال: يا سعيد ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خُبَيْب بن عديّ حين قُتِل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قطّ إلاّ غُشي عليّ. فزادته عند عمر خيراً. وقد قال الأموي: حدَّثني أبي قال: قال ابن إسحاق وبلغنا أن عمر قال: من سرّه أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامر. قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت

(١) سقط في ط.

الأشهر الحرم، ثم قتلوه. وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل، حدثني جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه، عن جده عمرو بن أمية: أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده، قال: جئت إلى خشبة خُبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون، فأطلقته فوقع إلى الأرض، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً، ثم التفت فلم أر شيئاً، فكأنما بلعته الأرض، فلم تُذكر لخبيب رمّة حتى الساعة. ثم روى ابن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد، عن سعيد، أو عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لما قتل أصحاب الرّجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة البقرة ٢٠٤] وما بعدها. وأنزل الله في أصحاب السرية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة ٢٠٧].

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خُبَيْب حين أجمعوا على قتله (قال ابن هشام: ومن الناس من ينكرها له): [الطويل]

لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا[1] ... قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي العَدَاوَةِ جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لأَنِّي فِي وِثَاقٍ بِمَضْيَعِ[2]
وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ... وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وَمَا أَرْصَدَ الأَعْدَاءُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا العَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي ... فَقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي[3]
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الكُفْرَ وَالمَوْتُ دُونَهُ ... وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ
وَمَا بِي حِذَارُ المَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ[4]
فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْجَعِي
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعاً ... وَلاَ جَزَعاً إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

وقد تقدم في صحيح البخاري بيتان من هذه القصيدة وهما قوله: [الطويل]

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقال حسّان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن إسحاق: [البسيط]

(١) ألبوا: جمعوا، يقال: ألبت القوم على فلان: إذا جمعتهم عليه وحضضتهم.
(٢) مضيع: مكان كثير الضباع.
(٣) بضعوا: قطعوا. ياس: لغة في يئس.
(٤) الجحم: الملتهب المتقد، ومنه سميت الجحيم. ملفع: مشتمل عام، يقال: تلفع بالثوب إذا اشتمل به.

مَـا بَـالُ عَـيْـنِـكَ لاَ تَـرْقَـا مَـدَامِـعُـهَـا سَـحّـاً عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الفَلِقِ
عَلَى خُبَيْبٍ فَتَى الفِتْيَانِ قَدْ عَلِمُوا لاَ فَـشِـلٍ حِـيـنَ تَـلْـقَـاهُ وَلاَ نَـزِقِ
فَـاذْهَـبْ خُـبَـيْـبُ جَـزَاكَ الـلَّـهُ طَـيِّـبَـةً وَجَنَّةَ الخُلْدِ عِنْدَ الحُورِ فِي الرُّفُقِ
مَـاذَا تَـقُـولُـونَ إِنْ قَـالَ الـنَّـبِـيُّ لَـكُـمْ حِـيـنَ الـمَـلاَئِـكَـةُ الأَبْـرَارُ فِـي الأُفُـقِ
فِـيـمَ قَـتَـلْـتُـمْ شَـهِـيـدَ الـلَّـهِ فِـي رَجُـلٍ طَاغٍ قَدْ أَوْعَثَ[1] فِي البُلْدَانِ وَالرُّفَقِ

قال ابن هشام: تركنا بعضها لأنه أقذع فيها، وقال حسّان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بني لِحيان فيما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم ولله الحمد والمنّة والتوفيق والعصمة: [البسيط]

إِنْ سَـرَّكَ الـغَـدْرُ صِـرْفـاً لاَ مِـزَاجَ لَـهُ فَـأْتِ الـرَّجِـيـعَ فَـسَـلْ عَـنْ دَارِ لَـحْـيَـانِ
قَـوْمٌ تَـوَاصَـوْا بِـأَكْـلِ الـجَـارِ بَـيْـنَـهُـمُ فَـالـكَـلْـبُ وَالـقِـرْدُ وَالإِنْـسَـانُ مِـثْـلاَنِ
لَـوْ يَـنْـطِـقُ الـتَّـيْـسُ يَـوْمـاً قَـامَ يَـخْـطُـبُـهُـمْ وَكَـانَ ذَا شَـرَفٍ فِـيـهِـمْ وَذَا شَـانِ

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجو هُذيلاً وبني لَحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع رضي الله تعالى عنهم أجمعين: [الطويل]

لَـعَـمْـرِي لَـقَـدْ شَـانَـتْ هُـذَيْـلَ بْـنَ مُـدْرِكٍ أَحَـادِيـثُ كَـانَـتْ فِـي خُـبَـيْـبٍ وَعَـاصِـمِ
أَحَـادِيـثُ لَـحْـيَـانٍ صَـلَـوْا بِـقَـبِـيـحِـهَـا وَلَـحْـيَـانُ جَـرَّامُـونَ[2] شَـرَّ الـجَـرَائِـمِ
أُنَـاسٌ هُـمُ مِـنْ قَـوْمِـهِـمْ فِـي صَـمِـيـمِـهِـمْ بِـمَـنْـزِلَـةِ الـزِّمْـعَـانِ دُبْـرَ الـقَـوَادِمِ[3]
هُـمُ غَـدَرُوا يَـوْمَ الـرَّجِـيـعِ وَأَسْـلَـمَـتْ أَمَـانَـتُـهُـمْ ذَا عِـفَّـةٍ وَمَـكَـارِمِ
رَسُـولَ رَسُـولِ الـلَّـهِ غَـدْراً وَلَـمْ تَـكُـنْ هُـذَيْـلٌ تَـوَقَّـى مُـنْـكَـرَاتِ الـمَـحَـارِمِ
فَـسَـوْفَ يَـرَوْنَ الـنَّـصْـرَ يَـوْمـاً عَـلَـيْـهِـمُ بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الحَرَائِمِ[4]
أَبَـابِـيـلُ دَبْـرٍ شُـمَّـسٍ دُونَ لَـحْـمِـهِ حَمَتْ لَحْمَ شَهَادٍ عَظِيمِ المَلاَحِمِ[5]
لَـعَـلَّ هُـذَيْـلاً أَنْ يَـرَوْا بِـمُـصَـابِـهِ مَـصَـارِعَ قَـتْـلَـى أَوْ مَـقَـامـاً لِـمَـاتَـمِ
وَنُـوقِـعَ فِـيـهَـا وَقْـعَـةً ذَاتَ صَـوْلَـةٍ[6] يُـوَافِـي بِـهَـا الـرُّكْـبَـانُ أَهْـلَ الـمَـوَاسِـمِ
بِـأَمْـرِ رَسُـولِ الـلَّـهِ إِنَّ رَسُـولَـهُ رَأَى رَأْيَ ذِي حَـزْمٍ بِـلَـحْـيَـانَ عَـالِـمِ

---

(١) أوعث: اشتد فساده.
(٢) جرّامون: كاسبون.
(٣) صميم القوم: خالصهم في النسب. الزمعان: ج زمع. وهو الشعر الذي يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها. دبر: خلف. القوادم: الأيدي، لأنها تقدم الأرجل.
(٤) تحميه: يعني عاصم بن ثابت الذي حمته النحل. دون الحرائم: دون أن يحبسه أحد من الكفّار.
(٥) الأبابيل: الجماعات. الشمس: المدافعة.
(٦) الصولة: الشدة.

قُبَيْلَةٌ لَيْسَ الوَفَاءُ يَهُمُّهُمْ ... وَإِنْ ظُلِمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ ... بِمَجْرَى مَسِيلِ المَاءِ بَيْنَ المَخَارِمِ[١]
مَحَلُّهُمُ دَارُ البَوَارِ[٢] وَرَأْيُهُمْ ... إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأْيِ البَهَائِمِ

وقال حسّان رضي الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرّجيع ويسمّيهم بشعره، كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى: [الكامل]

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا
رَأْسُ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَأَمِيرُهُمْ ... وَابْنُ البُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيبُ
وَابْنٌ لِطَارِقَ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ ... وَافَاهُ ثَمَّ حِمَامُهُ المَكْتُوبُ
وَالعَاصِمُ المَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ ... كَسَبَ المَعَالِي إِنَّهُ لَكَسُوبُ
مَنَعَ المَقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان.

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي: حدَّثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد اللّه بن أبي عبيدة عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أميّة الضمري، وعبدُ اللّه بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمّداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا. فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت قويتني[٣] خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خرّيت، [و][٤] معي خنجر مثل خافية النسر. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيراً ونفقة وقال: اطو أمرك، فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمّد. قال: قال العربي: لا يعلمه أحد. فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصبح ظهر الحي يوم سادسه، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلّى فقال له قائل: قد توجّه إلى بني عبد الأشهل، فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدّث في مسجده. فلمّا رآه[٥] رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ غَدْراً، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُهُ» فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»

---

(١) المخارم: مسايل الماء التي يجري فيها السيل.
(٢) البوار: الهلاك.
(٣) في ط: وفيتني.
(٤) سقط في ط.
(٥) في ط: فلما دخل ورآه.

فذهب ينحني على رسول الله ﷺ كأنه يساره فجبذه أُسَيد بن حُضَير وقال: تنح عن رسول الله ﷺ، وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر فقال: يا رسول الله هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي، وقال: دمي دمي يا محمّد. وأخذه أُسَيد بن حُضَير يلببه فقال له النبي ﷺ: «اصْدُقْني مَا أنْت وما أقْدمكَ، فإنْ صَدقْتني نفعَكَ الصِّدْقُ، وإنْ كَذَبْتني فقدِ اطَّلَعْتُ عَلى مَا هَمَمْتَ بِهِ». قال العربي: فأنا آمن؟ قال: «وَأنْتَ آمِنٌ». فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له، فأمر به فحبس عند أُسَيد بن حُضير، ثم دعا به من الغد، فقال: «قدْ أمّنْتُكَ فاذهبْ حيثُ شِئْتَ، أوْ خيرٌ لكَ منْ ذلكَ؟» قال: وما هو؟ قال: «أنْ تشهدَ أنْ لا إله إلاّ اللّهُ وأنّي رَسُولُ اللّهِ»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله والله يا محمّد، ما كنت أفرق من الرجال، فما هو إلاّ أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت، ثم اطلعتَ على ما هممتُ به، فما سبقت به الركبان، ولم يطّلع عليه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وأنك على حقّ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان. فجعل النبي ﷺ يتبسّم، وأقام أياماً، ثم استأذن النبي ﷺ، فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر، وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أميّة الضمري ولسلمة بن أسلم بن حَريش اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرّة فاقتلاه. قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيّدنا بعيرنا، وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن نأتي مكّة فنطوف بالبيت سبعاً ونصلي ركعتين، فقلت أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشّوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و إني أعرف بمكّة من الفرس الأبلق. فأبى عليّ فانطلقنا فأتينا مكّة فطفنا أسبوعاً وصلّينا ركعتين، فلمّا خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أميّة واحزناه. فنذِر بنا أهل مكّة، فقالوا: ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية. فحشد أهل مكّة وتجمعوا، وهرب عمرو وسَلَمة، وخرجوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت في غار فتغيّبت عنهم حتى أصبحت، وباتوا يطلبوننا في الجبل، وَعَمَى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له، فلمّا كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عُبَيد اللّه التيْميّ يختلي لفرسه حشيشاً، فقلت لسَلَمَة بن أسلم: إذا أبصرنا أَشْعَر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنّا، فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال: فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري، فسقط وصاح، فاجتمع أهل مكّة فأقبلوا بعد تفرّقهم ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه وقلت لصاحبي لا تتحرك، فأقبلوا حتى أتوه، وقالوا: مَنْ قتلك؟ قال: عمرو بن أميّة الضمري. فقال أَبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فإنه كان بآخر رَمَق، فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم، فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى سكن عنا الطلب ثم خرجنا [إلى التنعيم فقال صاحبي: يا عمرو بن أميّة: هل لك في خُبَيْب بن عديّ ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال: هو ذاك مصلوب حوله الحرس. فقلت: أمهلني وتنحّ عني، فإن خشيت شيئاً فانحُ إلى بعيرك فاقعد عليه، فأتِ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة. ثم استدرت عليه حتى وجدته، فحملته على ظهري فما

مشيت به إلاّ عشرين ذراعاً حتى استيقظوا، فخرجوا في أثري فطرحت الخَشَبة، فما أنسى [وقعها دب][(١)]، يعني صوتها، ثم أهلت عليه [من][(٢)] التراب برجلي، فأخذت طريق الصّفراء، فأعيوا ورجعوا، وكنت لا أدري مع بقاء نفسي، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبيّ ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغليل، غليل ضجنان[(٣)] فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الدّيل بن بكر، أعور طويل، يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال: مَن الرّجل؟ فقلت: رجل من بني بكر، فقال: وأنا من بني بكر، ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنّى ويقول: [الوافر]

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيّاً ... وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ المُسْلِمِينَا

فقلت في نفسي: والله إني لأرجو أن أقتلك. فلما نام قمت إليه فقتلته شرّ قتلة قتلها أحد قط، ثم خرجت حتى هبطت، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسّسان الأخبار، فقلت: استأسرا فأبى أحدهما فرميته، فقتلته، فلما رأى ذلك الآخر استأسر، فشددته وثاقاً، ثم أقبلت به إلى النبيّ ﷺ، فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون، وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو، فاشتد الصبيان إلى النبيّ ﷺ فأخبروه، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهاميه[(٤)] بوتر قوسي، فلقد رأيت النبيّ ﷺ وهو يضحك، ثم دعا لي بخير. وكان قدوم سَلَمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام، رواه البيهقي. وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خُبَيْباً لم يَرَ له رمّة ولا جسداً، فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم. وهذه السريّة إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لها، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أميّة في هذه السريّة جبّار بن صخر. فالله أعلم ولله الحمد.

سرية بئر معونة

وقد كانت في صفر منها، وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال: إنها كانت بعد الخندق. قال البخاري: حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء، فعرض لهم حيّان من بني سُليم رِعْل وذكوان عند بئر يقال لها: بئر مَعُونة، فقال القوم: والله ما إياكم أردنا، وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبيّ ﷺ فقتلوهم. فدعا النبيّ ﷺ عليهم أشهراً في صلاة الغداة، وذاك بدءُ القنوت وما كنا نقنُت. ورواه مسلم من حديث حمّاد بن سَلَمة عن ثابت، عن أنس [ابن مالك][(٥)] بنحوه. ثم قال البخاري: حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد، حدّثنا يزيد بن زُريع،

(١) في ط: وجيبها.
(٢) سقط في ط.
(٣) الغليل: منابت الطلح، وضجنان: موضع.
(٤) في : إبهامه.
(٥) سقط في ط.

حدّثنا سعيد عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن رِعْلاً وذكوان وعُصيَّة وبني لَحيان، استمدّوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدّهم بسبعين من الأنصار، كنا نسمّيهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلّون بالليل حتى إذا كانوا ببئر مَعُونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبيّ ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رِعْل وذكوان وعصيّة وبني لَحيان. قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رفع «بلّغوا عنّا قومنا بأنا[1] قد لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا»[2] ثم قال البخاري: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، حدَّثني أنس بن مالك: أن النبيّ ﷺ بعث حراماً (أخاً لأم سُليم) في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيّر رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غَطْفان بألف وألف، فطُعن[3] عامر في بيت أم فلان فقال: غدَّة كغدّة البَكْر[4] في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي فمات على ظهر فرسه، فانطلق حَرام أخو أم سُليم، وهو رجل أعرج، ورجل من بني فلان فقال: كونا قريباً حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريباً وإن قتلوني أتيتم أصحابكم، فقال: أتؤمنوني حتى أبلّغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدّثهم، وأومؤوا إلى رجل، فأتاه من خلفه فطعنه، قال همّام أحسبه حتى أنفذه بالرمح. فقال: الله أكبر فزتُ وربّ الكعبة. فلحق الرجل فقتلوا كلّهم غير الأعرج، وكان في رأس جبل، فأنزل الله علينا، ثم كان من المنسوخ «إنا لقد لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا» فدعا النبيّ ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْل وذَكْوان وبني لَحْيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله[5]. وقال البخاري: حدّثنا حِبّان، حدّثنا عبد الله، أخبرني معمّر، حدَّثني ثمامة بن عبد الله بن أنس، أنه سمع أنس بن مالك يقول: لما طعن حَرام بن ملحان. وكان خاله. يوم بئر مَعُونة قال: بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، وقال: فزتُ وربّ الكعبة. وروى البخاري عن عُبَيْد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام بن عروة: أخبرني أبي قال: لما قتل الذين ببئر مَعُونة وأسر عمرو بن أميّة الضمريّ قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، قال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع، فأتى النبيّ ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: «إنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ أُصِيبُوا، وَإِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ فَقَالُوا: رَبَّنا أَخْبِرْ عَنَّا إِخْوَانَنَا بِمَا رَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا». فأخبرهم عنهم، وأصيب يومئذ فيهم عُرْوة بن أسماء بن الصلت، فسُمّي عروة به، ومنذر بن عمرو وسمي به منذر. هكذا وقع في رواية البخاري مرسلاً عن عروة، وقد رواه البيهقي من حديث

(١) في ط: أنّا.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٨.

(٣) طعن: أصابه الطاعون.

(٤) البَكْر: بفتح الباء الموحدة، وسكون الكاف: الفتي من الإبل بمنزلة الغلام من الناس.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٨.

يحيى بن سعيد عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، فساق من حديث الهجرة وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ههنا فالله أعلم. وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت، عن أبي الأسود، وعن عروة، فذكر القصّة وشأن عامر بن فهيرة، وأخبار عامر بن الطّفيل أنه رفع إلى السماء، وذكر أن الذي قتله جَبّار بن سُلْمى الكِلابي، قال: ولما طعنه بالرمح قال: فزتُ ورب الكعبة، ثم سأل جبّار بعد ذلك: ما معنى قوله فزتُ قالوا: يعني بالجنّة، فقال: صدق والله. ثم أسلم جبّار بعد ذلك لذلك. وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة أنه قال: لم يوجد جَسَد عامر بن فهيرة، يرون أنّ الملائكة وارته. وقال يونس عن ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أُحد بقيّة شوّال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم، ثم بعث أصحاب بئر مَعُونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أُحُد، فحدَّثني أبي إسحاق بن يسَار عن المغيرة بن عبد الرّحمٰن بن الحارث بن هشام، وعبد الرّحمٰن بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قَدِم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم، ولم يبعد وقال: يا محمّد لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فَدَعُوهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ: «إنِي أخْشى عَلَيْهِمْ أهْلَ نَجْدٍ». فقال أبو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني سَاعِدَة المُعْنِق ليموت[1] في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، فيهم: الحارث بن الصمة وحرام بن مَلحان أخو بني عدي بن النجّار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة وهي بين أرض بني عامر وحرَّة بني سُلَيْم، فلما نزلوا بعثوا حَرَام بن مَلحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم وقالوا: لن نخفر[2] أبا براء، وقد عَقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم. عُصيَّة ورِعْلاً وذَكْوان والقارة. فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غَشُوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتِلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجّار، فإنهم تركوه به رمق، فارتثّ[3] من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أميّة الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب القوم إلاّ الطير تحوم حول العَسْكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن

---

(١) المعنق ليموت: أي المسرع، وإنما لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة.

(٢) نخفر: ننقض العهد.

(٣) فارتث: أي رفع وبه جراح.

قُتِل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لأخبر عنه الرجال. فقاتل القوم حتى قُتِل وأُخِذ عمرو أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر بن الطّفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمّه فيما زعم. قال: وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صَدْر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظلّ هو فيه، وكان مع العامريين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما قالا: من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره بالخبر، فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لأَدِيَنَّهُمَا» ثم قال رسول الله ﷺ: «هَذا عَمَلُ أبي بَرَاءٍ، قَدْ كُنتُ لِهَذا كَارِهاً مُتَخَوِّفاً» فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره، فقال حسّان بن ثابت في إخفار عامر أبا براء، ويحرّض بني أبي براء على عامر: [الوافر]

بَنِي أُمِّ البَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ ... وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ ... لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ
أَلاَ أَبْلِغْ رَبِيعَةَ ذَا المَسَاعِي ... فَمَا أَحْدَثْتَ فِي الحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ ... وَخَالُكَ مَاجِدٌ حَكَمُ بنُ سَعْدِ

قال ابن هشام: أم البنين أم أبي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه في فخذه فأشواه[1]، ووقع عن فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت فدمي لعمّي فلا يتبعنّ به، وإن أعش فسأرى رأيي وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمّد بن إسحاق، قال موسى: وكان أمير القوم المُنْذِر بن عمرو، ويقال[2] مرثد بن أبي مرثد.

وقال حسّان بن ثابت يبكي قتلى بئر مَعُونة ـ فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ـ والله أعلم: [الوافر]

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهِلِّي ... بِدَمْعِ العَيْنِ سَحّاً غَيْرَ نَزْرِ[3]
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لاَقَوْا ... وَلاَقَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ بِقَدْرِ
أَصَابَهُمُ الفَنَاءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بِغَدْرِ
فَيَا لَهْفِي لِمُنْذِرَ إِذْ تَوَلَّى ... وَأَعْنَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ
وَكَائِنْ قَدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ ... مِنْ أَبْيَضَ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو

---

(١) فأشواه: أخطأ مقتله.

(٢) في ط: وقيل.

(٣) نزر: قليل.

غزوة بني النضير وفيها سورة الحشر

وفي صحيح البخاري عن ابن عبّاس أنه كان يسمّيها سورة بني النّضير. وحكى البخاري عن الزّهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أُحُد، وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد اللّه بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهريّ به، وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء، عن عبد اللّه بن جعفر الرّقي، عن مطرف بن مازن اليماني، عن معمر، عن الزهريّ فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين، قال: ثم غزا بني النضير، ثم غزا أُحُداً في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع. وقال البيهقي: وقد كان الزهري يقول: هي قبل أُحُد، قال: وذهب آخرون إلى أنها بعدها، وبعد بئر معونة أيضاً. قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدّم فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ، ولهذا قال له رسول الله ﷺ: «لقدْ قتلْت رَجُلَيْنِ لأَدِيَنَّهُمَا». قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النَّضير يستعينهم في دِيَة ذينك القَتيلين من بني عامر، اللذين قَتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما، وكان بين بني النَّضير وبين بني عامر عهد وحلف، فلما أتاهم ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه (ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرةً ويُريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصَعِد ليُلقِيَ عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نَفَر من أصحابه فيهم: أبو بكر وعمر وعليّ، فأتى رسولَ الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبيّ ﷺ أصحابُه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغَدْر به. قال الواقدي: فبعث رسول الله ﷺ محمّد بن مَسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهلُ النفاق يثبّتونهم ويحرّضونهم على المقام ويعدِونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم وحمي حييّ بن أخطب، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، قال الواقدي: فحاصروهم خمس عشرة ليلة. وقال ابن إسحاق: وأمر النبيّ ﷺ بالتهيُّؤ لحربهم والمسير إليهم. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول. قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال، ونزل تحريمُ الخمر حينئذ، وتحصّنوا في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمّد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب مَن صَنَعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ قال: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد اللّه بن أبيّ ووديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النَّضير أن اثبتوا وتمنّعوا، فإنّا لن نسلمكم،

إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فتربّصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاّ الحلقة [ففعل][1]، وقال العوفي عن ابن عبّاس: أعطى كل ثلاثة بعيراً يعتقبونه وسقاً، رواه البيهقي وروي من طريق يعقوب بن محمّد عن الزهري، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمّد بن مسلمة، عن أبيه، عن جدّه عن محمّد بن مسلمة: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النّضير، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال.

وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة فقال رسول الله ﷺ: «ضعوا وتعجلوا». وفي صحته نظر والله أعلم. قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف[2] بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خَيْبر ومنهم من سار إلى الشام، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خَيْبَر سلاّم بن أبي الحُقَيْق، وكِنَانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحُيَيّ بن أخْطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها. فحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أنه حُدِّث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقِيَان يعزفن خلفهم بزهاء وفَخْر ما رئي مثله لحي من الناس في زمانهم. قال: وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ يعني النخيل والمزارع، فكانت له خاصّة يضعها حيث شاء، فقسّمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلاّ أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً فأعطاهما (وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمّة حكاه السهيلي). قال ابن إسحاق: ولم يُسْلم من بني النّضير إلاّ رجلان وهما: يامين بن عُمَير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جحّاش، وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهم. قال ابن إسحاق: وقد حدّثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم تر ما لقيتُ من ابن عَمّك وما همّ به من شأني؟» فجعل يامين لرجل جُعْلاً على أن يقتل عمرو بن جحّاش فقتله لعنه الله. قال ابن إسحاق: فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكمالها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلّط عليهم به رسوله، وما عمل به فيهم، وشرع[3] ابن إسحاق يفسّرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطة في كتابنا التفسير ولله الحمد. قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الحشر ١. ٥]. سبّح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة

(١) سقط في ط.

(٢) النجاف: العتبة التي بأعلى الباب. والأسكفة: العتبة التي بأسفله.

(٣) في ط: ثم شرع.

وأخبر أنه سبّح[1] له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، وإنه العزيز وهو منيع الجناب، فلا ترام عظمته وكبرياؤه وإنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدّر وشرّع، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود، الذين شاقّوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه، وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم، حتى حاصرهم المؤيّد بالرعب والرهب مسيرة شهر، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال، فذهب بهم الرعب كل مذهب، حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم، وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلّت به ركابهم، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً، فجعلوا يخرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار. ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة، لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل، مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدّر لهم. ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم وترك ما بقي لهم، وإن ذلك كلّه سائغ، فقال: ما قطعتم من لينة وهو جيد التمر أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله، إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدراً فلا حرج عليكم فيه، ولنعم ما رأيتم من ذلك، وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للفجرة الكفرة. وقد روى البخاري[2] ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النَّضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر: ٥]. وعند البخاري من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النَّضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسّان بن ثابت: [الوافر]

وَهَانَ عَلَى سُرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول: [الوافر]

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِسِتْرٍ ... وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا نَضِيرُ

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النَّضير وقتل كعب بن الأشرف فالله أعلم: [الوافر]

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الحُبُورُ[3] ... كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَظِيمٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعاً فَهْماً وَعِلْماً ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ

---

(١) في ط: يسبح.
(٢) كتاب المغازي باب ١٤.
(٣) الحبور: ج حبر، وهم علماء اليهود. ويقال في جمعه: أحبار.

نَـــذِيـــرٌ صَـــادِقٌ أَدَّى كِـــتَـــابـــاً وَآيَـــاتٍ مُـــبَـــيِّـــنَـــةٍ تُـــنِـــيـــرُ
فَـقَـالُـوا مَـا أَتَـيْـتَ بِـأَمْـرِ صِـدْقٍ وَأَنْـتَ بِـمُـنْـكَـرٍ مِـنَّـا جَـدِيـرُ
فَـقَـالَ بَـلَـى لَـقَـدْ أَدَّيْـتُ حَـقّـاً يُـصَـدِّقُـنِـي بِـهِ الـفَـهِـمُ الـخَـبِـيـرُ
فَـمَـنْ يَـتْـبَـعْـهُ يُـهْـدَ لِـكُـلِّ رُشْـدٍ وَمَـنْ يَـكْـفُـرْ بِـهِ يُـخْـزَ الـكَـفُـورُ
فَـلَـمَّـا أُشْـرِبُـوا غَـدْراً وَكُـفْـراً وَجَـدَّ بِـهِـمْ عَـنِ الـحَـقِّ الـنُّـفُـورُ
أَرَى الـلَّـهُ الـنَّـبِـيَّ بِـرَأْيِ صِـدْقٍ وَكَـانَ الـلَّـهُ يَـحْـكُـمُ لاَ يَـجُـورُ
فَـأَيَّـدَهُ وَسَـلَّـطَـهُ عَـلَـيْـهِـمْ وَكَـانَ نَـصِـيـرَهُ نِـعْـمَ الـنَّـصِـيـرُ
فَـغُـودِرَ مِـنْـهُـمُ كَـعْـبٌ صَـرِيـعـاً فَـذَلَّـتْ بَـعْـدَ مَـصْـرَعِـهِ الـنَّـضِـيـرُ
عَـلَـى الـكَـفَّـيْـنِ ثَـمَّ وَقَـدْ عَـلَـتْـهُ بِـأَيْـدِيـنَـا مُـشَـهَّـرَةٌ ذُكُـورُ(١)
بِـأَمْـرِ مُـحَـمَّـدٍ إِذْ دَسَّ لَـيْـلاً إِلَـى كَـعْـبٍ أَخَـا كَـعْـبٍ يَـسِـيـرُ
فَـمَـا كَـرَهُ فَـأَنْـزَلَـهُ بِـمَـكْـرٍ وَمَـحْـمُـودٌ أَخُـو ثِـقَـةٍ جَـسُـورُ
فَـتِـلْـكَ بَـنُـو الـنَّـضِـيـرِ بِـدَارِ سَـوْءٍ أَبَـارَهُـمُ بِـمَـا اجْـتَـرَمُـوا الـمُـبِـيـرُ(٢)
غَـدَاةَ أَتَـاهُـمُ فِـي الـزَّحْـفِ رَهْـواً(٣) رَسُـولُ الـلَّـهِ وَهْـوَ بِـهِـمْ بَـصِـيـرُ
وَغَـسَّـانُ الـحُـمَـاةِ مُـؤَازِرُوهُ عَـلَـى الأَعْـدَاءِ وَهْـوَ لَـهُـمْ وَزِيـرُ
فَـقَـالَ الـسِّـلْـمُ وَيْـحَـكُـمُ فَـصَـدُّوا وَخَـالَـفَ أَمْـرَهُـمْ كَـذِبٌ وَزُورُ
فَـذَاقُـوا غِـبَّ أَمْـرِهِـمْ وَبَـالاً لِـكُـلِّ ثَـلاَثَـةٍ مِـنْـهُـمْ بَـعِـيـرُ
وَأُجْـلُـوا عَـامِـدِيـنَ لِـقَـيْـنُـقَـاعٍ وَغُـودِرَ مِـنْـهُـمُ نَـخْـلٌ وَدُورُ

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسمال اليهودي، فتركناها قصداً. قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لُقَيْم العَبْسي، ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعي: [الطويل]

أَهْـلِـي فِـدَاءٌ لامْـرِئٍ غَـيْـرِ هَـالِـكٍ أَحَـلَّ الـيَـهُـودَ بِـالـحَـسِـيِّ الـمُـزَنَّـمِ(٤)
يُـقِـيـلُـونَ فِـي خَـمْـرِ الـعَـضَـاةِ وَبُـدِّلُـوا أُهَـيْـضِـبَ عَـوْداً بِـالْـوَدِيِّ الـمُـكَـمَّـمِ(٥)

(١) مشهرة ذكور: سيوف مسلولة من أغمادها، قوية قاطعة.
(٢) ابارهم: من البوار. أي أهلكهم. اجترموا: كسبوا.
(٣) الرهو: مشي في سكون.
(٤) المزنم: المقلل اليسير.
(٥) الأهيضب: المكان المرتفع. وعوداً في ابن هشام: عودي، قال أبو ذر: اسم موضع وعوداً فهو من عاد يعود، والأولى هي الأصح.

فَإنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً بِمُحَمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلا وَيَرَمْرَمِ(١)
يَؤُمُّ بِهَا عَمْرُو بْنُ بُهْثَةَ إنَّهُمْ ... عَدُوٌّ وَمَا حَيٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ
عَلَيْهِنَّ أبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الوَغَى ... يَهُزُّونَ أطْرَافَ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ(٢)
وَكُلُّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٌ ... تُوورِثْنَ مِنْ أزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُمِ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشاً رِسَالَةً ... فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي المَجْدِ مِنْ مُتَكَرَّمِ
بِأنَّ أخَاهُمْ فَاعْلَمُنَّ مُحَمَّداً ... تَلِيدَ النَّدَى بَيْنَ الحَجُونِ وَزَمْزَمِ
فَدِينُوا لَهُ بِالحَقِّ تَجْسُمْ أُمُورُكُمْ ... وَتَسْمُو مِنَ الدُّنْيَا إلَى كُلِّ مُعْظَمِ
نَبِيٌّ تَلاقَتْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ ... وَلا تَسْألُوهُ أمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ(٣)
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لَعَمْرِيَ عِبْرَةٌ ... لَكُمْ يَا قُرَيْشٌ وَالقَلِيبِ المُلَمَّمِ
غَدَاةَ أتَى فِي الخَزْرَجِيَّةِ عَامِداً ... إلَيْكُمْ مُطِيعاً لِلْعَظِيمِ المُكَرَّمِ
مُعَاناً بِرُوحِ القُدْسِ(٤) يُنْكِي عَدُوَّهُ ... رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ حَقّاً بِمَعْلَمِ
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... فَلَمَّا أنَارَ الحَقُّ لَمْ يَتَلَعْثَمِ
أرَى أمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... عُلُوّاً لأمْرٍ حَمَّهُ(٥) اللَّهُ مُحْكَمِ

قال ابن إسحاق، وقال علي بن أبي طالب، وقال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين، ولم أر أحداً يعرفها لعلي: [المتقارب]

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفُ ... وَأيْقَنْتُ حَقّاً وَلَمْ أصْدِفِ(٦)
عَنِ الكَلِمِ المُحْكَمِ اللاءِ مِنْ ... لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأفَةِ الأرْأفِ
رَسَائِلُ تُدْرَسُ فِي المُؤْمِنِينَ ... بِهِنَّ اصْطَفَى أحْمَدَ المُصْطَفَى
فَأصْبَحَ أحْمَدُ فِينَا عَزِيزاً ... عَزِيزَ المُقَامَةِ وَالمَوْقِفِ
فَيَا أيُّهَا المُوعِدُوهُ سَفَاهاً ... وَلَمْ يَأتِ جَوْراً وَلَمْ يَعْنُفِ
ألَسْتُمْ تَخَافُونَ أدْنَى العَذَابِ ... وَمَا آمِنُ اللَّهِ كَالأخْوَفِ
وَإنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أسْيَافِهِ ... كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أبِي الأشْرَفِ
غَدَاةَ رَأى اللَّهُ طُغْيَانَهُ ... وَأعْرَضَ كَالجَمَلِ الأجْنَفِ

(١) الصلا ويرمرم: اسما موضعين.
(٢) مساعير: يسعرون الحرب ويهيجونها. والوشيج: الرماح.
(٣) المرجم: المظنون الذي لا يتيقن.
(٤) روح القدس: أي جبريل عليه السلام.
(٥) حمّه: قدره.
(٦) أصدف: أعرض.

فَـأَنْـزَلَ جِـبْـرِيـلَ فِـي قَـتْـلِـهِ   بِـوَحْـيٍ إِلَـى عَـبْـدِهِ مُـلْـطَـفِ
فَـدَسَّ الـرَّسُـولُ رَسُـولاً لَـهُ   بِـأَبْـيَـضَ ذِي هَـبَّـةٍ مُـرْهَـفِ
فَـبَـاتَـتْ عُـيُـونٌ لَـهُ مُـعْـوِلاَتٌ   مَـتَـى يُـنْـعَ كَـعْـبٌ لَـهَـا تَـذْرِفِ
وَقُـلْـنَ لأَحْـمَـدَ ذَرْنَـا قَـلِـيـلاً   فَـإِنَّـا مِـنَ الـنَّـوحِ لَـمْ نَـشْـتَـفِ
فَـخَـلاَّهُـمُ . . ثُـمَّ قَـالَ: اظْـعَـنُـوا   دُحُـوراً عَـلَـى رَغْـمِ الآنُـفِ (١)
وَأَجْـلَـى الـنَّـضِـيـرَ إِلَـى غُـرْبَـةٍ   وَكَـانُـوا بِـدَارٍ ذَوِي زُخْـرُفِ
إِلَـى أَذْرِعَـاتٍ رُدَافـاً وَهُـمْ   عَـلَـى كُـلِّ ذِي دَبَـرٍ أَعْـجَـفِ (٢)

وتركنا جوابها أيضاً من سَمّال اليهودي قصداً.

ثم ذكر تعالى حكم الفيء وأنه حكم بأموال بني النّضير لرسول الله ﷺ وملّكها له، فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بني النّضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان يعزل نفقة أهله سنة، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدّة في سبيل الله عزّ وجل (٣). ثم بيّن تعالى حكم الفيء، وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [سورة الحشر ٧]. قال الإمام أحمد: حدّثنا عارم وعفّان قالا: حدّثنا معتمر، سمعت أبي يقول: حدّثنا أنس بن مالك، عن نبي الله ﷺ: أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال: فجعل يردّ بعد ذلك. قال: وإن أهلي أمروني أن آتي النبي (٤) ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله. قال: فسألت النبيّ ﷺ فأعطانيهنّ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلاّ هو لا أعطيكهنّ وقد أعطانيهن أو كما قالت. فقال النبيّ ﷺ: «لَكِ كَذَا وَكَذَا»، وتقول: كلاّ، والله قال ويقول: «لكِ كَذَا وَكَذَا» وتقول: كلا والله، قال: ويقول: «لَكِ كَذَا وَكَذَا» حتى أعطاها. حسبتُ أنه قال عشرة أمثاله، أو قال قريباً من عشرة أمثاله، أو كما قال أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به. ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا إلى

---

(١) اظعنوا: ارتحلوا. والدحور: الذل والهوان. على رغم الآنف: على المذلة. والآنف: ج أنف.

(٢) ردافاً: أي مرتدفين يردف بعضهم بعضاً. ذو دبر أعجف: يعني جملاً ذا دبر: ذا جرح الأعجف: الهزيل الضعيف.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب ٣، سورة الحشر، ومسلم في الجهاد حديث ٤٠٩، وأبو داود في الإمارة باب ١٩، والترمذي في الجهاد باب ٣٩، والنسائي في الفيء باب ١، والدارمي في الصلاة باب ١٦٥، وأحمد في المسند ١/ ٢٥، ٤٨.

(٤) في ط: نبي الله.

بني النّضير في الباطن كما تقدم، ووعدوهم النصر فلم يكن من ذلك شيء، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم وغرّوهم من أنفسهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢)﴾ [سورة الحشر ١١، ١٢] ثم ذمّهم تعالى على جُبْنهم وقلّة علمهم وخفّة عقلهم النافع، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين ﴿قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)﴾ [سورة الحشر ١٦، ١٧].

قصة عمرو بن سُعدَى القرظي

[حين مرّ على ديار بني النّضير وقد صارت يباباً ليس بها داع ولا مجيب]، وقد كانت بنو النّضير أشرف بني قريظة حتى حداه ذلك على الإسلام، وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة. قال الواقدي: حدّثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجتْ بنو النّضير من المدينة أقبل عمرو بن سُعدى فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها وفكّر ثم رجع إلى بني قريظة، فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا، فقال الزبير بن باطيا[١]: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل، وكان لا يفارق الكنيسة، وكان يتألّه في اليهودية. قال: رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العزّ والجلد، والشرف الفاضل، والعقل البارع، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذلّ. ولا والتوراة ما سلّط هذا على قوم قطّ لله بهم حاجة، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزّ[٢]، ثم بيّته في بيته آمناً، وأوقع بابن سنينة سيّدهم، وأوقع ببني قَيْنقاع فأجلاهم، وهم أهل جد يهود، وكانوا أهل عدّة وسلاح ونجدة، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم، وكلّم فيهم، فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمّداً والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بُشّرنا به وبأمره ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش، وهما أعلم يهود جاءانا يتوكفان[٣] قدومه، وأمرانا باتباعه، جاءانا من بيت المقدس، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما، ودفناهما بحرّتنا هذه، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوّفهم بالحرب والسباء والجلاء. فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا، قال فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرّحمٰن من اتباعه؟ قال: أنت يا كعب. قال كعب: فلِمَ والتوراة ما حُلت بينك وبينه قط، قال الزبير: بل أنت صاحب

---

(١) في ط: ابن باطا.

(٢) في ط: عزهم.

(٣) توكف تعرض للشخص حتى يلقاه.

عهدنا وعقدنا، فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا. فأقبل عمرو بن سعدى على كَعْب فذكر ما تقاولا في ذلك، إلى أن قال عمرو: ما عندي في أمره إلاّ ما قلت: ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً. رواه البيهقي.

غزوة بني لَحْيان التي صلّى فيها صلاة الخوف [بعسفان][(١)]

[هاهنا][(٢)] ذكرها البيهقي في الدلائل، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد، عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قُريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو العباس الأصمّ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار وغيره قالوا: لما أصيب خُبَيْب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لِحْيان غرّة، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لِحْيان، حتى نزل بأرضهم، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال، فقال رسول الله ﷺ: «لوْ إنّا هبطْنا عسْفان لرأتْ قُريْشٌ أنّا قدْ جئْنا مكّة» فخرج في مائتي راكب حتى نزل عُسْفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كُراع الغُمَيم ثم انصرفا، فذكر أبو عياش الزرقي أن رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عياش قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرّتهم. ثم قالوا تأتي الآن عليهم صلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢] قال: فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً، ثم رفع فرفعنا جميعاً، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا، جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدّم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد الصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف. قال: فصلاّها رسول الله ﷺ مرّتين مرّة بأرض عُسْفان ومرة بأرض بني سُلَيم[(٣)]. ثم رواه أحمد عن غندر، عن شعبة، عن منصور به نحوه. وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائي عن الفلاس، عن عبد العزيز بن عبد الصَّمد، عن محمّد بن المثنى، وبندار عن غندر، عن شعبة ثلاثتهم عن منصور به. وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه واحد منهما، لكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٢.

معاوية، عن أبي الزبير، عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جُهَيْنة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلما أن صلّى الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك، وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالُوا إنَهُ سَتأْتِيهِمْ صلاةٌ هي أَحَبُّ إليْهِمْ مِنَ الأوْلادِ»[1] فذكر الحديث كنحو ما تقدم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدّثنا هشام عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: «صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل، فهمّ به المشركون ثم قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم، قال: فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره، فصلّى بأصحابه صلاة العَصْر، فصفّهم صفّين بين أيديهم رسول الله، والعدو بين يدي رسول الله ﷺ، فكبّر وكبّروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون، ثم تقدم هؤلاء وتأخّر هؤلاء، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون»[2]، وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير، عن جابر.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصَّمد، حدّثنا سعيد بن عبيد الهُنائي، حدّثنا عبد الله بن شقيق، حدّثنا أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان، فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم، وهي العصر، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلة واحدة. وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ وأمره أن يقيم أصحابه شطرين، فيصلي ببعضهم ويقدّم الطائفة الأخرى وراءهم، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ثم تأتي الأخرى فيصلّون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ، ولرسول الله ركعتان. ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الصَّمد به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خَيْبر، وإلاّ فهو من مرسلات الصحابيّ ولا يضرّ ذلك عند الجمهور والله أعلم. ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم، ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عُسْفان، ولا خالد بن الوليد، لكن الظاهر أنها واحدة. بقي الشأن في أن غزوة عُسْفان قبل الخندق أو بعدها، فإن من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرّعت بعد يوم الخندق، فإنهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخّروها، ولهذا قال بعض أهل المغازي: إن غزوة بني لِحْيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعُسْفان كانت بعد بني قُرَيظة. وقد ذكر الواقدي بإسناده عن خالد بن الوليد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبيّة

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، حديث ٣٠٧.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد حديث ٣٠٨.

لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرّضت له، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا، فهممنا أن نغير عليه، ثم لم يعزم لنا فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف. قلت: وعُمْرَة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست بعد الخندق، وبني قُرَيْظة كما سيأتي. وفي سياق حديث أبي عياش الزرقي ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسْفان، فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاّها والله أعلم. وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

غزوة ذات الرِّقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النَّضير شهري ربيع وبعض جمادى، ثم غزا نجداً يريد بني مُحارب وبني ثَعْلبة من غَطَفان، واستعمل على المدينة أبا ذر. قال ابن هشام: ويقال عثمان بن عفّان، قال ابن إسحاق فسار حتى نزل نخلاً، وهي غزوة ذات الرّقاع. قال ابن هشام: لأنهم رقّعوا فيها راياتهم، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرّقاع، وقال الواقدي بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض. وفي حديث أَبي موسى: إنما سمّيت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق من شدّة الحر. قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعاً من غُطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التَنوري، عن يونس بن عُبَيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد اللّه، وعن عبد الوارث، عن أيوب، عن أَبي الزبير، عن جابر، وعن عبد الوارث، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر؛ ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نَجد، ولا ذات الرقاع، ولم يتعرّض لزمان ولا مكان؛ وفي كون غزوة ذات الرّقاع التي كانت بنَجْد لقتال بني مُحَارب وبني ثعلبة بن غطفان قبل الخندق نظر. وقد ذهب البخاري إلى أن ذلك كان بعد خيبر، واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعري شهدها كما سيأتي وقدومه إنما كان ليالي خَيبر صحبة جعفر وأصحابه، وكذلك أبو هريرة، وقد قال صلّيت مع رسول الله ﷺ في غزوة نَجْد صلاة الخوف، ومما يدلّ على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق. وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فذكر صلاة الخوف، وقول الواقدي أنه عليه السلام خرج إلى ذات الرّقاع في أربعمائة ويقال سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرّم سنة خمس فيه نظر، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرّعت بعد الخندق، لأن الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور، وقيل في شوال سنة أربع، فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر، فأما حديث أبي موسى وأَبي هريرة فلا.

قصة غَوْرث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة: حدَّثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد اللَّه: أن رجلاً من بني مُحَارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمّداً؟ قالوا: بلى وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حِجره. فقال: يا محمّد، انظر إلى سيفك هذا؟ قال: «نعَمْ»، فأخذه [فاستله][1] ثم جعل يهزّه ويهم، فكبته الله[2]. ثم قال: يا محمّد، أما تخافني؟ قال: «لاَ، [و][3] مَا أَخَافُ مِنكَ؟» قال: أما تخافني وفي يدي السيف. قال: «لاَ، يَمْنَعُنِي اللَّهُ مِنْكَ». ثم عمد إلى سيف النبيّ ﷺ فردّه عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المائدة ١١]. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جِحَاش أخي بني النّضير وما همَّ به. هكذا ذكر ابن إسحاق قصّة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القدَري، رأس الفُرْقة الضالة، وهو وإن كان لا يتّهم بتعمّد الكذب في الحديث إلاّ أنه ممن لا ينبغي أن يُرْوى عنه لبدعته ودعائه إليها، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد. فقد أورد الحافظ البيهقي ها هنا طرقاً لهذا الحديث من عدّة أماكن، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزّهري عن سنان بن أبي سنان، وأبي سَلَمة عن جابر: أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نَجْد فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه، وإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هٰذَا اخْتَرَطَ[4] سَيفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً[5] فقال: من يمنعك مني؟ قلت: اللَّهُ». فقال: من يمنعك مني؟ قلت: اللَّهُ. فشام السيف وجلس، ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك[6]، وقد رواه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفّان، عن أبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة، عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنّا بذات الرّقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف

(١) سقط في ط.
(٢) كبته الله: أذله.
(٣) سقط في ط.
(٤) اخترط: سل.
(٥) صلتاً: مصوباً.
(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣١، ومسلم في الفضائل حديث ١٣، ١٤.

رسول الله فاخترطه، وقال لرسول الله ﷺ: تخافني؟ قال: «لاَ». قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنكَ» قال: فهدّده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلّقه. قال: ونودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان. وقد علّقه البخاري بصيغة الجزم عن أبان به. قال البخاري، وقال مسدد عن أَبي عوانة، عن أَبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث. وأسند البيهقي من طريق أَبي عوانة عن أَبي بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين غرّة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ قال: «اللَّهُ» فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فقال: كن خير آخذ. قال: «تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟» قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلّى سبيله فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلّى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين. وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير، عن سهل بن أَبي حثمة، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد، وموضع ذلك كتاب الأحكام. والله أعلم.

قصة الذي أصيبت امرأته [في هذه الغزوة][١]

قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني عمي صَدَقَة بن يسار عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد اللّه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمّد دماً، فخرج يتبع إثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «مَنْ الرَّجُلُ[٢] يَكْلَؤُنَا[٣] لَيلَتَنَا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار. فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ مِنَ الوَادِي»، وهما عمّار بن ياسر وعبّاد بن بشر، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال: بلى اكفني أوله، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[٤] القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فانتزعه ووضعه وثبت قائماً قال: ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً، قال: ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه

(١) في ط: يومذاك.

(٢) في ط: رجل.

(٣) يكلؤنا: يحفظنا.

(٤) الربيئة: الطليعة الذي يحرس القوم.

فوضعه ثم ركع وسجد،ثم أهبَّ صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت قال: فوثب الرجل فلما رآهما عرف أنه قد نذرا به، فهرب قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع علي الرمي ركعت فآذنتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها[١]. هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي وقد رواه أبو داود عن أبي توبة، عن عبد الله بن المبارك، عن ابن إسحاق به. وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمري عن أخيه عُبَيد الله عن القاسم بن محمّد عن صالح بن خوات، عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة، وكان في السبي جارية وضيئة، وكان زوجها يحبّها فحلف ليطلبن محمّداً ولا يرجع حتى يصيب دماً، أو يخلّص صاحبته ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمّد بن إسحاق. قال الواقدي وكان جابر بن عبد الله يقول: بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون منْ هذا الطّائر أخذْتمْ فرْخهُ فطرح نفْسهُ رحْمة لفرْخه. فواللّه لربّكمْ أرْحمُ بكمْ منْ هذا الطّائر بفرْخه»

قصة جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرّقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلّف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا جابرُ؟» قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا. قال: «أنخْهُ»، قال: فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: «أعْطني هذه العصا منْ يَدِكَ أو اقْطَعْ عصا منْ شجرةٍ»، ففعلت، فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال: «اركَبْ» فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهق[٢] ناقته مواهقة. قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال: «أتبيعُني جملكَ هذا يا جابرُ؟» قال: قلت: بل أهبه لك، قال: «لا ولكنْ بعنيه»، قال: قلت: «فسُمْنيه»، قال: «قدْ أخذْتهُ بدرْهمٍ»، قال: قلت: لا إذاً تغبنني يا رسول الله، قال: «فبدرْهَميْنِ»، قال: قلت: لا، قال: فلَم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية، قال: فقلت: أفقد رضيتَ؟ قال: «نَعمْ»، قلت: «فهو لكَ»، قال: قد أخذته، ثم قال: «يا جَابرُ هلْ تزوّجْتَ بعْدُ»، قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أثيباً أمْ بكْراً»، قال: قلت: بل ثيباً، قال: «أفلا جاريةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ»، قال: قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أُحُد وترك بنات له سبعاً

(١) في ط: انفذها.

(٢) أي يباريها في السير ويماشيها، ومواهقة الإبل مد أعناقها في السير (النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣٣)).

فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن. قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت. فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها»(١) قال: فقلت: والله يا رسول الله ما لنا نمارق، قال: «إنها ستكون. فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً»، قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليهما ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا. قال: فحدّثتُ المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك فسمع وطاعة، فلما أصبحتُ أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنختُه على باب رسول الله ﷺ، ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: «ما هذا»، قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر»، فدعيت له، قال: فقال: «يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك»، قال: ودعا بلالاً فقال: اذهب بجابر فأعطه أوقية، قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية، وزادني شيئاً يسيراً، قال: فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا. يعني يوم الحرّة. وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عُبَيْد الله بن عمر العُمري عن وهب بن كيسان، عن جابر بنحوه. قال السهيلي: في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله: «أنّ الله أحيا والده وكلمه فقال له: تمنّ عليّ». وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] وزادهم على ذلك في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ثم جمع لهم بين العوض والمعوض فردّ عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران ١٦٩] والروح للإنسان بمنزلة المطيّة كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز. قال: فلذلك اشترى رسول الله ﷺ من جابر جمله وهو مطيّته فأعطاه ثمنه، ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك. قال: ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه. وهذا الذي سلكه السهيلي ها هنا إشارة غريبة وتخيّل بديع، والله سبحانه وتعالى أعلم. وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال: باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وهذا الحديث له طرق عن جابر، وألفاظ كثيرة، وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع. وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم. وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعداد ذلك والله أعلم.

غزوة بدر الأخيرة(٢)

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أُحد كما تقدم.

قال ابن إسحاق: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرّقاع أقام بها

(١) النمارق: الوسائد.

(٢) في ط: الآخرة.

بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً، ثم خرج في شعبان إلى بَدْر لميعاد أَبي سفيان. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبد اللّه بن عبد اللّه بن أُبَيّ ابن سلول. قال ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بَدْراً، وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجنّة من ناحية الظّهران. وبعض الناس يقول قد بلغ عَسْفان، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلاّ عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، فإن عامكم هذا [عام][1] جدْب وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس فسمّاهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق. قال: وأتى مَخْشِيّ بن عمرو الضَّمري، وقد كان وادع النبيّ ﷺ في غزوة ودّان على بني ضَمْرة فقال: يا محمّد أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: «نَعَمْ يا أخا بني ضمْرَة، وإن شِئتَ رَدَدْنا إلَيكَ ما كانَ بَيْننا وبَيْنكَ وَجالَدْناكَ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْننا وبَيْنكَ». قال: لا والله يا محمّد ما لنا بذلك من حاجة. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً. قال ابن إسحاق: وقد قال عبد اللّه بن رواحة يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك، قال ابن هشام وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك: [الطويل]

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْراً فَلَمْ نَجِدْ ... لِمِيعَادِهِ صِدْقاً وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأُقْسِمُ لَوْ لاقَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا ... لأُبْتَ ذَمِيماً وَافْتَقَدْتَ المَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ ... وَعَمْراً أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا[2]
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللّهِ أُفٍّ لِدِينِكُمْ ... وَأَمْرِكُمُ السَّيِّىءِ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإنِّي وَإنْ عَنَّفْتُمُونِي[3] لَقَائِلٌ ... فِدَى لِرَسُولِ اللّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ[4] فِينَا بِغَيْرِهِ ... شِهَاباً لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت في ذلك: [الوافر]

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا ... جِلادٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ[5]
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ... وَأَنْصَارِهِ حَقّاً وَأَيْدِي المَلائِكِ
إذَا سَلَكَتْ لِلغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ[6] ... فَقُولا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ
أَقَمْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمَانِياً ... بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ المَبَارِكِ[7]

---

(١) سقط في ط. (٢) ثاوياً: مقيماً.
(٣) عنفتموني: لمتموني.
(٤) لم نعدله: لم نر معه غيره.
(٥) الفلجات: ج فلج، وهو الماء الجاري. المخاض: الحوامل من الإبل. الأوارك: التي ترعى الأراك، وهو شجر.
(٦) الغور: المنخفض من الأرض. وعالج: مكان فيه رمل كثير.
(٧) الرس: البئر. النزوع: التي يخرج ماؤها بالأيدي. الأرعن: الجيش الكثير الذي له اتباع وفضول.

بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ ... وَقُبٌّ طِوَالٍ مُشْرِفَاتِ الحَوَارِكِ[١]
تَرَى العَرْفَجَ العَامِيَّ تَذْرِي أُصُولُهُ ... مَنَاسِمُ أَخْفَافِ المَطِيِّ الرَّوَاتِكِ[٢]
فَإِنْ تَلْقَ فِي تَطْوَافِنَا وَالْتِمَاسِنَا ... فُرَاتَ بْنَ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنَ هَالِكِ
وَإِنْ تَلْقَ قَيْسَ بْنَ امْرِئِ القَيْسِ بَعْدَهُ ... يُزَدْ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً ... فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

قال: فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك: [الطويل]

أَحَسَّانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الفَغَا ... وَجَدِّكَ نَغْتَالُ الخُرُوقَ كَذَلِكِ[٣]
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو اليَعَافِيرُ بَيْنَنَا ... وَلَوْ وَأَلَتْ مِنَّا بِشَدٍّ مُدَارِكِ[٤]
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَاخٍ حَسِبْتَهُ ... مدَمنَ أَهْلِ المَوْسِمِ المُتَعَارِكِ[٥]
أَقَمْتَ عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعِ تُرِيدُنَا ... وَتَتْرُكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ المَدَارِكِ
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا ... فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقْتَهُ بِالدَّكَادِكِ[٦]
أَقَمْنَا ثَلاثاً بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ ... بِجُرْدِ الجِيَادِ وَالمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ[٧]
حَسِبْتُمْ جِلادَ القَوْمِ عِنْدَ قِبَابِكُمْ ... كَمَأْخَذِكُمْ بِالعَيْنِ أَرْطَالَ آنُكِ[٨]
فَلاَ تَبْعَثِ الخَيْلَ الجِيَادَ وَقُلْ لَهَا ... عَلَى نَحْوِ قَوْلِ المُعْصِمِ المُتَمَاسِكِ
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا ... فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَإِنَّكَ لاَ فِي هِجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا ... وَلاَ حُرُمَاتِ دِينِهَا أَنْتَ نَاسِكِ

قال ابن هشام: تركنا منها أبياتاً لاختلاف قوافيها، وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ استنفر الناس

---

(١) الكميت: الفرس. جوزه: وسطه؛ ويريد بطنه. وقب: جمع أقب وهو الضامر. والحوارك: جمع حارك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

(٢) العرفج: نبات. العاميّ: الذي أتى عليه العام. تذري أصوله: تقلعها وتطرحها. مناسم: ج منسم، وهو طرف خف البعير. الرواتك: المسرعة.

(٣) الفغا: التمر. وقيل هو غبرة تعلو التمر قبل أن يطيب. نغتال: نقطع. الخروق: ج خرق، وهو الفلاة الواسعة.

(٤) اليعافير: ج يعفور، وهو ولد الظبية. وألت: اعتصمت ولجأت. الشد: الجري. المدارك: المتتابع.

(٥) المدمن: الموضع الذي ينزلون فيه فيتركون به الدمن، أي آثار الدواب والإبل وأرواثها وأبعارها.

(٦) الدكادك: ج دكدك وهو الرمل اللين.

(٧) سلع وفارع: جبلان. الرواتك: المسرعة.

(٨) العين: الدر والمال الحاضر كذا قاله أبو ذر. ويروى العير: الرفقة من الإبل. الآنك: القزدير.

لموعد أَبي سُفيان، وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم ، فسلَّم الله أولياءه، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بَدْر، وأخذوا معهم بضائع وقالوا: إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بَدْر، ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه، وفي مقاولة الضّمري، وعرض النبيّ ﷺ المنابذة فأبى ذلك. قال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه، واستخلف على المدينة عبد اللّه بن رَواحة. وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع، والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال: في سنة ثلاث، وهذا وَهْم، فإن هذه تواعدوا إليها من أُحُد، وكانت أُحُد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم. قال الواقدي: فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعْقد فيها ثمانية أيام، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين. وقال غيره: فانقلبوا كما قال الله عزّ وجل: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران ١٧٤].

فصل في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير: وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد اللّه بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، يعني من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين، فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمان بن عفّان رضي الله عنه. قلت: وفيه توفي أبو سلمة [بن][١] عبد اللّه بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، وأمه برّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ وكان رضيع رسول الله ﷺ ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب. وكان إسلام أبي سَلَمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد، وقد هاجر هو وزوجته أم سَلَمة إلى أرض الحبشة، ثم عاد إلى مكّة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم، وشهد بدراً وأُحُداً ومات من آثار جرح جُرحه بأُحُد رضي الله عنه وأرضاه، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سَلَمة قريباً. قال ابن جرير: وفي ليال خلون من شعبان منها ولد الحسن[٢] بن علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم. قال وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خُزَيْمة بن الحارث بن عبد اللّه بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية. [دخل ها في رمضان][٣]. وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم، وبرّها لهم، وإحسانها إليهم. وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشاً[٤] ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطُّفَيْل بن الحارث

(١) سقط في ط.
(٢) في ط: الحسين.
(٣) سقط في ط.
(٤) النش: نصف أوقية، وهو عشرون درهماً.

فطلّقها. قال أَبو عمر بن عبد البر عن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ثم خلف عليها أخوه عُبَيْدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف. قال ابن الأثير في أُسد الغابة: وقيل: كانت تحت عبد اللّه بن جحش فقتل عنها يوم أُحُد. قال أَبو عمر: ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ، وقيل لم تلبث عنده إلاَّ شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها، وقال الواقدي: في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أُمية. قلت: وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سَلَمة بن عبد الأسد، وقد كان شهد أُحُداً كما تقدم، وجُرِح يوم أُحُد فداوى جرحه شهراً حتى برىء، ثم خرج في سرية فغنم منها نعماً ومغنماً جيداً، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً، ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جُمادى الأولى من هذه السنة، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة، وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً فتذكر أنها امرأة غَيْرى أي شديدة الغيرة، وأنها مصبية أي لها صبيان يشغلونها عنه، ويحتاجون إلى مؤنة، تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم، فقال: أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله أي نفقتهم ليس إليك، وأما الغَيْرة فادعو الله فيذهبها، فأذنت في ذلك، وقالت لعمر: آخر ما قالت له: قم فزوّج النبيّ ﷺ تعني قد رضيت وأذنت. فتوهّم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أَبي سَلَمة، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد، وقد جمعتُ في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصواب في ذلك ولله الحمد والمنة. وأنّ الذي ولي عقدها عليه ابنها سَلَمة بن أبي سَلَمة وهو أكبر ولدها، وساغ هذا لأن أباه ابن عمّها فللابن ولاية أمّه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوّة بالإجماع. وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً، فأما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده، وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله. ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه، وهو كتاب النكاح من الأحكام الكبير إن شاء الله.

قال الإمام أحمد: حدّثنا يونس حدّثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد اللّه بن أسامة بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطّلب، عن أم سَلَمة قالت: أتاني أَبو سَلَمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به، قال: «لاَ يُصِيبُ أَحداً مِنَ المُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ[١] عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ آجرني فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْراً مِنْهَا إِلاَّ فَعَلَ بِهِ». قالت أم سَلَمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أَبو سَلَمة استرجعت وقلت: اللّهمّ آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها. ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أَبي سَلَمة؟ فلما انقضت عدّتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً[٢] لي، فغسلت يدي من القرظ[٣] وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون

(١) يسترجع: أي يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ.

(٣) القرظ: ورق يدبغ به.

بك الرغبة، ولكني امرأة بي غَيْرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذّبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال. فقال: «أمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الغَيْرَةِ فَسَيُذْهِبُهَا اللَّهُ عَنْكِ، وَأمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ فَقَدْ أَصابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وأمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ العِيال فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي»، فقالت: فقد سلمتُ لرسول الله ﷺ. فقالت أم سَلَمة: فقد أبدلني الله بأبي سَلَمة خيراً منه رسول الله ﷺ. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن عمر بن أبي سلمة، عن أمه أم سَلَمة، عن أبي سَلَمة به. وقال الترمذي حسن غريب. وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شَيبة، عن يزيد بن هارون، عن عبد الملك بن قدامة الجُمَحي، عن أبيه، عن عمر بن أبي سلمة به.

وقال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ ـ يعني من بدر الموعد ـ راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع. وقال الواقدي: وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلّم كتاب يهود. قلت: فثبت عنه في الصحيح أنه قال تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم.

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل. قال ابن هشام في ربيع الأول، ـ يعني من سنة خمس ـ واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفاري. قال ابن إسحاق: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلقَ كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته. هكذا قال ابن إسحاق. وقد قال محمّد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام، وقيل له إن ذلك مما يُفْزِع قيصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يظلمون من مرّ بهم، وكان لها سوق عظيم وهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عُذْرَة يقال له مذكورٌ، هادٍ خِرّيت. فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم[١] بني تميم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمّد بن سلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة. قال الواقدي: وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر[٢] سنة خمس.

---

(١) السوائم: الماشية والإبل الراعية.

(٢) في تاريخ الطبري عن الواقدي أنه في ربيع الأول (الطبري ج (٣/ ٣١٦).

قال: وفيه توفيت أُم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه: حدّثنا محمّد بن بشار، حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن سعيد بن المُسَيّب أن أم سعد ماتت والنبيّ ﷺ غائب، فلما قدم صلّى عليها وقد مضى لذلك شهر، وهذا مرسل جيد، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله.

غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة الأحزاب فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأحزاب ٩ـ ٢٧] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في التفسير ولله الحمد والمنّة، ولنذكر ها هنا ما يتعلق بالقصّة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق

وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً، وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع. وكذلك قال الإمام مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه. قال البيهقي: ولا اختلاف بينهم في الحقيقة، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس. ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أُحُد واعدوا المسلمين إلى بَدْر العام القابل، فذهب النبيّ ﷺ وأصحابه كما تقدّم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين. فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم. وقد صرّح الزّهري، بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين، ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث إلاّ على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاه البيهقي. وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي، وقد صرّح بأن بدراً في الأولى، وأُحُداً في سنة ثنتين، وبدر المَوْعد في شعبان سنة ثلاث، والخندق في شوال سنة أربع. وهذا مخالف لقول الجمهور، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرّم سنة الهجرة، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم. والصحيح قول الجمهور إن أحداً في شوال سنة ثلاث، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم. فأما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر أنه قال: عُرضتُ على رسول الله ﷺ يوم أُحُد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني[1]، فقد أجاب عنها جماعة من العلماء منهم البيهقي بأنه عُرِض يوم أُحُد في أول الرابعة عشرة، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة. قلت: ويحتمل أنه أراد أنه لما عُرِض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لمثلها الغلمان، فلا يبقى على هذا زيادة عليها. ولهذا لما بلّغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال: إن هذا الفرق بين الصغير والكبير. ثم كتب به إلى الآفاق، واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم. وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره.

قال ابن إسحاق: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس. فحدَّثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا أتّهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، ومحمّد بن كعب القرظيّ، والزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد اللّه بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث بعض. قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلاّم بن أبي الحُقَيق النَّضريّ وحييّ بن أخطب النضري، وكِنَانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمّار الوائلي في نفر من بني النَّضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قَدِموا على قريش بمكّة،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩، والترمذي في الأحكام باب ٢٤.

فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله؛ فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد، أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النساء ٥١ ـ ٥٢] الآيات. فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونَشِطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غَطْفان من قَيس عيلان فدَعوهم إلى حرب النبيّ ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سُفيان، وخرجت غَطْفان وقائدها عُيَيْنة بن حصن بن حُذَيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي، في بني مرّة، ومِسْعر بن رُخَيلة بن نويرة بن طُريف بن سُخمة بن عبد اللّه بن هلال بن خَلاوة بن أَشجع بن رَيْث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع.

فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة قال ابن هشام: يقال إن الذي أشار به سلمان. قال الطبري والسهيلي: أول من حفر الخنادق منوشهر بن أيرج بن أفريدون، وكان في زمن موسى عليه السلام. قال ابن إسحاق: فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، وتخلّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف، ومنهم من ينسلُ خفية بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام. وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النور ٦٢، ٦٤].

قال ابن إسحاق: فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سمّاه رسول الله ﷺ عَمْراً، فقالوا فيما يقولون: [الرجز]

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرا ... وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْماً ظَهْرا

وكانوا إذا قالوا: عمْراً قال معهم رسول الله ﷺ : عمراً، وإذا قالوا: ظهراً قال لهم: ظهراً. وقد قال البخاري[1] : حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، حدّثنا معاوية بن عمرو، حدّثنا أبو

(١) كتاب المغازي باب ٢٩.

إسحاق عن حميد، سمعت أنساً قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردةٍ ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: «اللَّهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ» فقالوا مجيبين له: [الرجز]

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن معاوية بن قرة، عن أنس نحوه. وقد رواه مسلم[١] من حديث حمّاد بن سَلَمة عن ثابت، وحميد عن أنس بنحوه، وقال البخاري: حدّثنا أبو مَعْمَر، حدّثنا عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم ويقولون: [الرجز]

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

قال: يقول النبيّ ﷺ مجيباً لهم: «اللَّهُمَّ إنَّهُ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ، فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ» قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة سنخة[٢] توضع بين يدي القوم والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن. وقال البخاري: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ». ورواه مسلم[٤] عن القعنبي عن عبد العزيز به. وقال البخاري: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرّ بطنه يقول: [الرجز]

وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لاَقَيْنَا

إنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ورفع بها صوته: أبينا، أبينا[٥]. ورواه مسلم من حديث شعبة به، ثم قال البخاري: حدّثنا أحمد بن عثمان، حدّثنا شريح بن مَسلمة، حدّثني إبراهيم بن يوسف، حدّثني أبي، عن أبي إسحاق، عن البراء يحدّث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى [عنا الغبار][٦] جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته

---

(١) كتاب الجهاد حديث ١٣٠.

(٢) الإهالة: الزيت والشحم، والسنخة: المتغيرة الريح والطعم.

(٣) الأكتاد: ج كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٤) كتاب الجهاد حديث ١٢٦.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩، ومسلم في الجهاد حديث ١٢٥.

(٦) في ط: عني التراب.

يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول: [الرجز]

اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إنَّ الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ثم يمدّ صوته بآخرها. وقال البيهقي في الدلائل: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي، حدثنا إبراهيم بن يوسف البَلْخي، حدثنا المسيب بن شريك، عن زياد بن أبي زياد، عن أبي عثمان، عن سلمان: أن رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال: [الرجز]

بسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا وحب دينا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان، حدثنا شعبة عن معاوية بن قرّة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال وهم يحفرون الخندق: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَة، فَأَصْلِحِ الأَنْصَارَ والمُهاجِرَة»[1] وأخرجاه في الصحيحين من حديث غندر عن شعبة.

قال ابن إسحاق: وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون. من[2] ذلك أن جابر بن عبد الله كان يحدّث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كُدْيَة[3]، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق لانهالت[4] حتى عادت كالكثيب[5] ما تردّ فأساً ولا مسحاة. هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وقد قال البخاري رحمه الله: حدثنا خلاّد بن يحيى، حدثنا عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: أتيت جابراً فقال: إنّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنَا نَازِلٌ». ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقاً، فأخذ النبيّ ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهْيَلَ أو أهْيَمَ، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبيّ ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعَناق، فذبحتُ العناق وطحَنَتِ الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبيّ ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة[6] بين

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ١، ومناقب الأنصار باب ٩، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٢، ٢١٠.

(٢) في ط: فمن.
(٣) الكدية: الأرض الصلبة الغليظة.

(٤) انهالت: تفتتت.
(٥) الكثيب: التل من الرمل.
(٦) البرمة: القدر من الحجر.

الأثافي قد كادت أن تنضَج، فقلت: طعيّم لي فقلت[١] أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «كم هُو؟» فذكرت له، فقال: «كثيرٌ طيِّبٌ، قُلْ لَها لا تَنْزع البُرْمَةَ وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي»، فقال: قوموا فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبيّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن مَعَهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادْخلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا»، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمّر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرّب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال: «كُلِي هٰذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ». تفرّد به البخاري. وقد رواه الإمام أحمد عن وكيع، عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم، عن جابر بقصّة الكِدْية، وربط الحجر على بطنه الكريم. ورواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، عن جابر بقصّة الكِدْية والطعام، بطوله[٢] أتم من رواية البخاري قال فيه: لما علم النبيّ ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً: «قُومُوا إلى جابِرٍ» فقاموا، قال: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلاّ الله، وقلت[٣]: جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق. ودخلت على امرأتي أقول: افتضَحْتِ! جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم قال: فكَشَفَتْ عني غماً شديداً، قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال: «خذِي وَدَعِينِي مِنَ اللّحْمِ». وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ويخمّر هذا، ويخمّر هذا، فما زال يقرّب إلى النّاس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا، ثم قال رسول الله ﷺ: «كُلِي وأَهْدِي، فَلَمْ [نزل نأكل ونهدي يومنا اجمع]»[٤].

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أَبي شيبة، عن عبد الرّحمٰن بن محمّد المحاربي، عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، عن جابر به وأبسط أيضاً، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة أو قال ثلاثمائة. وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد، عن أبي الزبير عن جابر. فذكر القصّة بطولها في الطعام فقط، وقال وكانوا ثلاثمائة. ثم قال البخاري: حدّثنا عمرو بن علي، حدّثنا أبو عاصم، حدّثنا حنظلة بن أبي سفيان عن أبي الزبير، حدّثنا ابن ميناء، سمعت جابر بن عبد اللّه قال: لما حفر الخندق رأيت من النبيّ ﷺ خمصاً[٥]، فانكفأتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً؟ فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ولنا بُهَيْمة داجن، فذبحتها وطحنت[٦]، ففرغت إلى

---

(١) في ط: فقم.

(٢) في ط: وطوله.

(٣) في ط: قلت.

(٤) في ط: فلم تزل تأكل وتهدي يومها.

(٥) خمصاً: جوعاً وخموراً في البطن.

(٦) في ط: فطحنت.

فراغي وقطعتها في برمتها، ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحت بُهَيْمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك. فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهلَ الخندق إنَّ جابراً قدْ صنع سُؤراً[1] فحيهلاً[2] بكم»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلنّ بَرمتكم ولا تخبزُنّ عجينكم حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدّم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك. فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجت لنا عجيناً فبسق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك، ثم قال: «ادعُ خبازةً فلتخبز معك، واقدحي مِنْ بُرمتك ولا تُنزلوها»، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه، وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا كما هو. ورواه مسلم عن حجّاج بن الشاعر، عن أبي عاصم به نحوه[3]. وقد روى محمّد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه، فقال: حدَّثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وكانت عندي شُوَيْهة غير جد سمينة قال: فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ قال: وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير، فصنعت لنا منه خبزاً، وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال: وكنا نعمل فيه نهاراً، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، [قال:][4] فقلت: يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي، قال: وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده. قال: فلما أن قلت ذلك قال: «نعم»، ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله. قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال: فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه، فجلس وأخرجناها إليه، قال: فبرّك وسمّى الله تعالى، ثم أكل وتواردها الناس، كلّما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها. والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن ابن إسحاق، عنه عن جابر مثله سواء. قال محمّد بن إسحاق: وحدَّثني سعيد بن ميناء أنه قد حدَّث أن ابنة لبَشِير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعتني أمي عَمْرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما. قالت: فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال: «تعالي يا بُنيّةُ مَا هَذَا مَعَكِ» قالت: قلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه. فقال: «هاتيهِ»، قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما

---

(١) سؤراً: طعاماً.

(٢) حيهلا: من عبارات النداء.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩، ومسلم في الأشربة حديث ١٤١.

(٤) سقط في ط.

ملأتهما، ثم أمر بثوب فبُسِط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصْرُخْ فِي أَهْلِ الخَنْدَقِ أَنْ هَلُمّ إِلَى الغَدَاءِ». فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب. هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد. قال ابن إسحاق: وحدّثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني، فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: «أوقد رأيت ذلكَ يَا سَلْمَانُ؟» قال: قلت: نعم. قال: «أمّا الأولى فإنّ اللّه فتح عَليّ باب اليَمنِ. وأمّا الثانيةُ فإنّ اللّهَ فتحَ عَليّ بَابَ الشام والمَغرب. وأمّا الثالثةُ فإنّ اللّه فتح عليّ بها المَشرق».

قال البيهقي: وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في مغازيه، وذكره أبو الأسود عن عروة، ثم روى البيهقي من طريق محمّد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر.

لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمّد بن بشار وبندار كلاهما عن محمّد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد اللّه بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جدّه، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال: واختصم[1] المهاجرون والأنصار في سلمان، فقال رسول الله ﷺ سلمان منّا أهل البيت، قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرّن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا بلغنا النّدى ظهرت لنا صخرة بيضاء مرْوَة[2] فكسرت حديدنا وشقت علينا، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبّة تركية، فأخبره عنها فجاء فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها[3]. يعني المدينة. حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ثم ضربها الثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك. وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك النور، فقال: «لَقَدْ أَضَاءَ لِي مِنَ الأُولَى قُصُور الحِيرَةِ وَمَدَائِنِ كِسْرَى، كَأَنَّهَا أَنيابُ الكِلاَبِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا. وَمِنَ الثَّانِيَةِ أَضَاءَتْ القُصُورُ الحُمْرُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، كَأَنَّهَا أَنيَابُ الكِلاَبِ، وَأَخبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا. وَمِنَ الثَّالِثَةِ أَضَاءَتْ قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنيَابُ الكِلاَبِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا فَابْشِرُوا»، واستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعود صادق. قال: ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما

---

(١) في ط: واحتقّ.

(٢) المرو: حجارة بيض براقة تكون فيها النار، وتقدح منها. وهي جمع مروة.

(٣) اللابة: الحرة، والمدينة تقع بين لابتين.

زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً. وقال المنافقون: يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وإنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب ١٢] وهذا حديث غريب. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدّثنا هارون بن ملول، حدّثنا أبو عبد الرَّحمٰن، حدّثنا عبد الرَّحمٰن بن زياد، عن عبد اللّه بن يزيد، عن عبد اللّه بن عمرو قال لما أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة قالوا: يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها، فقام النبيّ ﷺ وقمنا معه، فلما أتاها أخذ المعول فضرب به ضربة وكبّر، فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قطّ، فقال: «فُتِحتْ فارِسُ»، ثم ضرب أخرى فكبّر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قطّ، فقال: «فتحت الرُّومُ»، ثم ضرب أخرى فكبّر فسمعت هدّة لم أسمع مثلها قط، فقال: «جاء اللّهُ بحمْيرِ أعْواناً وأنْصاراً». وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه، وعبد الرَّحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف فالله أعلم. وقال الطبراني أيضاً: حدّثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل، حدثني سعيد بن محمّد الجرمي، حدّثنا أبو نميلة، حدّثنا نعيم بن سعيد الغزي، أن عكرمة حدَّث عن ابن عبّاس قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق، وأصحابه قد شدّوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «هلْ دُلِلْتم على رجلٍ يطعمُنا أكْلةً؟» قال رجل: نعم. قال: «أما لا فتقدّمْ فدُلَّنا عليْه». فانطلقوا إلى [بيت] الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلت امرأته أن جيء فإن رسول الله ﷺ قد أتانا، فجاء الرجل يسعى وقال: بأَبي وأمي، وله مِعْزة ومعها جَدْيها، فوثب إليها، فقال النبيّ ﷺ الجدي من ورائها، فذبح الجدي، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت، فأدركت القدر فثردت قصعتها فقرّبتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فوضع رسول الله ﷺ إصبعه فيها وقال: «بِسْمِ اللّه اللّهُمّ باركْ فيها أطْعمُوا»، فأكلوا منها حتى صدروا، ولم يأكلوا منها إلاّ ثلثها وبقي ثلثاها، فسرّح أولئك العشرة الذين كانوا معه، أن اذهبوا وسرّحوا إلينا بعدّتكم، فذهبوا وجاء(١) أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام ودعا لربّة البيت وسمّت عليها، وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: اذهبوا بنا إلى سَلْمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «دَعُوني فَأكُونُ أوّلَ مَنْ ضَربها». فقال: «بِسْمِ اللّه». فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال: «اللّهُ أكْبَرُ قُصُورُ الشّام وربِّ الكعْبة»، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: «اللّهُ أكْبَرُ قُصُورُ فَارِسَ وَربِّ الكَعْبة». فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم، ثم قال الحافظ البيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عُبَيْد الصفّار حدّثنا محمّد بن غالب بن حرب، حدّثنا هوذة، حدّثنا عوف، عن ميمون ابن أستاذ الزهري، حدَّثني البراء بن عازب الأنصاري قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة، لا تأخذ فيها المعاول، فشكوا

(١) في ط: فجاء.

ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها أخذ المعول وقال: «بسم الله» وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: «اللهُ أكبرُ. أُعطيتُ مفاتيح الشام. والله إني لأبصرُ قُصورها الحُمرَ إنْ شاء الله»، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال: «اللهُ أكبرُ أُعطيتُ مفاتيح فارس. واللهِ إني لأبصرُ قصر المَدائن الأبيض»، ثم ضرب الثالثة فقال: «بسم الله» فقطع بَقِيَّةَ الحَجَرِ، فقال: «اللهُ أكبر أُعطيتُ مفاتيح اليمن والله إني لأبصرُ أبواب صنعاء من مكاني الساعة». وهذا حديث غريب أيضاً، تفرّد به ميمون بن أستاذ هذا، وهو بَصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو، وعنه حميد الطويل والجُريري وعوف الأعرابي، قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين كان ثقة، وقال علي بن المديني: كان يحيى بن سعيد القطّان لا يحدّث عنه. وقال النسائي: حدّثنا عيسى بن يونس، حدّثنا ضمرة عن أبي زرعة السيباني، عن أبي سكينة رجل من البحرين، عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ قال: لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام النبيّ ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: «وتمت كلماتُ ربِّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السميعُ العليمُ» فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ثم ضرب الثانية وقال: «وتمتْ كلماتُ ربِّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السميعُ العليمُ»، فندر الثلث الآخر، وبرقت برقة فرآها سلمان، ثم ضرب الثالثة وقال: «وتمتْ كلماتُ ربِّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السميعُ العليمُ»، فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس، فقال سَلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلاّ كانت معها برقة، قال رسول الله ﷺ: «يا سلمانُ رأيتَ ذلك؟» قال: أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله، قال: فإني حين ضربت الضربة الأولى رُفِعَت لي مدائن كسرى وما حولها، ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني، فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا بذلك قال: ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قَيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني، قالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم، ونخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا ثم قال: ثم ضَرَبْتُ الضربة الثالثة فرُفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى، حتى رأيتها بعيني. ثم قال رسول الله ﷺ: «دعُوا الحبَشة ما وَدَعُوكُم واترُكوا التُّركَ ما تَركُوكُم» هكذا رواه النسائي مطوّلاً وإنما رَوَى منه أبو داود: «دعُوا الحَبشةَ ما وَدَعُوكُم وَاترُكوا التُّركَ ما تَركُوكُمْ»، عن عيسى بن محمّد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني به. ثم قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك. وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً، وقد وصل من غير وجه ولله الحمد، فقال الإمام أحمد: حدّثنا حجاج، حدّثنا ليث، حدَّثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب، عن

سعيد بن المُسَيّب: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثْتُ بِجَوامع الكَلِم ونُصِرْتُ بالرُّعب، وبينا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعتْ في يدي». وقد رواه البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير، وسعد بن عفير، كلاهما عن الليث به، وعنده قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها، وقال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، حدّثنا محمّد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصرتُ بالرُّعب، وأوتيتُ جوامع الكلم، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، وبينا أنا نائمٌ أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض، فتُلت في يدي». وفي إسناد جيّد قوي على شرط مسلم، ولم يخرجوه. وفي الصحيحين: «إذا هلك قيصرُ فلا قيصر بعده، وإذا هلك كِسْرى فلا كِسْرى بَعْدَهُ، والَّذِي نفْسي بيده لتُنفقُنّ كنوزهما في سبيل الله». وفي الحديث الصحيح: «إنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ مشارقها ومغاربها، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمّتي ما زُوِيَ لِي مِنها».

فصل: قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجُرُف وزُغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمى إلى جانب أُحُد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام[1]. قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب ١٠].

قال البخاري[2]: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا عبدة[3] عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَقَدْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ قالت: ذلك يوم الخندق. وقال[4] موسى بن عقبة ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قُرَيظة حصنهم دونهم. قال ابن إسحاق: وخرج حُيي بن أخطب النّضري حتى أتى كعب بن أسد القُرَظي صاحب عقدهم وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه ويحك يا كعب افتح لي. قال: ويحك يا حُيي إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمّداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقاً. قال: ويحك افتح لي أكلّمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلاّ تخوفاً[5] على جشيشتك[6] أن آكل معك منها. فأحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر وبحر طام[7]

(١) الآطام: الحصون.
(٢) كتاب المغازي باب ٢٩.
(٣) في ط: عبيد.
(٤) في ط: قال.
(٥) في ط: خوفاً.
(٦) الجشيشة: طعام يصنع من الجشيش، وهو البر يطحن غليظاً، ويسمّونه العامة: دشيش.
(٧) طام: مرتفع؛ ويريد كثرة الرجال.

قال: وما ذاك؟ قال: جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمُجْتمع الأسيال من رُومة، وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمى إلى جانب أُحُد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمّداً ومن معه. فقال كعب: جئتني والله بذلّ الدهر، وبجهام[١] قد هَرَاق ماؤه، يرعد ويبرق وليس فيه سح[٢]، ويحك يا حُيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمّد إلاّ وفاءً وصدقاً. وقد تكلّم عمرو بن سعد القُرَظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة، ذكّرهم[٣] ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه. قال ابن إسحاق: فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذّروة والغارب حتى سمح[٤] له. يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي محاربته مع الأحزاب. على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قُرَيش وغَطْفان ولم يصيبوا محمّداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده[٥] وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ. قال موسى بن عقبة: وأمر كعب بن أسد وبنو قُرَيظة حُيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهان تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هُم رجعوا، ولم يناجزوا محمّداً. قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم. فنازلهم حُيي على ذلك. فعند ذلك نقضوا العهد ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلاّ بني سعنة أسد وأُسَيد وثعلبة، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث سعد بن مُعَاذ وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيّد الخزرج، ومعهما عبد اللّه بن رواحة، وخوات بن جبير قال: «انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا هَؤُلاءِ القَوْمَ فتنظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغنا عَنْهُمْ، فَإِنْ كَانَ حَقّاً فَالْحنوا لِي لَحْناً أَعْرِفُهُ[٦] وَلاَ تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ المُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا عَلى الوفَاءِ فاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاس». قال: فخرجوا حتى أتوهم. قال موسى بن عقبة، فدخلوا معهم حصنهم فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم (يريدون بني النّضير) ونالوا من رسول الله ﷺ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم، فأغضبوه فقال له سعد بن مُعَاذ: إنا والله ما جئنا لهذا، ولما بيننا أكبر من المشاتمة. ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قُرَيظة، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النّضير أو أمرّ منه. فقالوا: أكلت أير أبيك. فقال: غير هذا القول، كان أجمل بكم وأحسن. وقال ابن إسحاق: نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا مَن رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمّدٍ [ولا عقد][٧]. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدّة فقال له سعد بن عبادة دع عنك

(١) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه. (٢) في ط: شيء.
(٣) في ط: فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم.
(٤) في ط: سمع. (٥) في ط: العهد.
(٦) اللحن: اللغز، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه.
(٧) سقط في ط.

مشاتمتهم لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل السّعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه ثم قالوا: عضل والقارَةُ أي كغدرهم بأصحاب الرّجيع خُبَيْب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ». قال موسى بن عقبة: ثم تقنّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قُرَيْظة فاضطجع، ومكث طويلاً فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع، وعرفوا أنه لم يأته عن بني قُرَيْظة خير. ثم إنه رفع رأسه وقال: «أَبْشِرُوا بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ». فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة، قال سعيد بن المُسَيّب: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لاَ تُعْبَدْ». قال ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كلّ ظن، ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمّد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وحتى قال أوس بن قَيْظي: يا رسول الله إن بيوتنا عَوْرة من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قَوْمه، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة. قلت: هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [سورة الأحزاب ١٢].

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ [يعني](١) مرابطاً، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، ولم يكن بينهم حرب إلاّ الرِّمِّيا(٢) بالنبل، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ كما حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن الزهري إلى عُيَيْنة بن حِصْن، والحارث بن عوف المُرّي، وهما قائدا غَطفان، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلاّ المراوضة، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السّعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبّه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: «بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلاَّ لأَنِّي رَأَيْتُ العَرَبَ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ(٣) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَّا». فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قدْ كنّا وهؤلاء على الشّرك بالله، وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلاّ قِرًى(٤) أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله

(١) سقط في ط.

(٢) الرميا: (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء): المراماة.

(٣) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

(٤) القرى: ما يصنع للضيف من الطعام.

بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلاّ السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبيّ ﷺ: «أنْتَ وَذَاكَ». فتناول سَعَد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا. قال: فأقام النبيّ ﷺ وأصحابه محاصرين، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال، إلاّ أن فوارس من قريش - منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس، أحد بني عامر بن لؤيّ، وعكرمة بن أبي جهل، وهُبَيْرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني محارب بن فهر - تلبّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم حتى مرّوا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون مَن الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمّموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْع، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم. وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً[١] ليرى مكانه، فلما خرج هو وخيله قال: مَنْ يُبَارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: يا عمرو إنك كنتَ عاهدتَ الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلتين إلاّ أخذتها منه، قال: أجل. قال له عليّ: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال. قال له: لِمَ يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. قال له عليّ: لكني والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. قال ابن إسحاق وقال عليّ بن أبي طالب في ذلك: [الكامل]

نَصَرَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
فصدرت حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً[٢] ... كَالجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ[٣] وَرَوَابِي
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِي ... كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي
لاَ تَحْسَبُنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ ... وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليّ. قال ابن هشام: وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسّان بن ثابت: [المتقارب]

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمْحَهُ ... لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ

---

(١) المعلم: الذي جعل له علامة يُعرف بها.

(٢) متجدلاً: مرمياً.

(٣) دكادك: أرض صعبة.

وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيـ ـمِ مَا أَنْ يَحُورَ عَنِ المَعْدِلِ
وَلَمْ تَلْوِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنِساً كَأَنَّ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ (١)

قال ابن هشام: الفراعل صغار الضباع. وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال: خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام عليّ بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال: إنه عمرو، اجلس. ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً؟ فقام عليّ فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: اجلس. ثم نادى الثالثة فقال: [مجزوء الكامل]

وَلَقَدْ بُحِحْتُ مِنَ النِّدَاءِ لِجَمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزْ
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ المُشَجِّعُ مَوْقِفَ القِرْنِ المُنَاجِزْ
وَلِذَاكِ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مُتَسَرِّعاً قَبْلَ الهَزَاهِزْ (٢)
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الفَتَى وَالجُودَ مِنْ خَيْرِ الغَرَائِزْ

قال: فقام عليّ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أتى وهو يقول: [مجزوء الكامل]

لاَ تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَاكَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزْ
فِي نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصِّدْقُ مَنْجَى كُلِّ فَائِزْ
إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُقِيـ ـمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الجَنَائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاَءَ يَبْقَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الهَزَاهِزْ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. فقال: يا ابن أخي مِنْ أعمامك من هو أسنّ منك، فإني أكره أن أهريق دمك؟ فقال له عليّ: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو عليّ مغضباً واستقبله عليٌّ بدرقته فضربه عمرو في درقته فقدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط وثار العُجَاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن علياً قد قتله. فثَمَّ يقول علي: [الكامل]

أَعَلَيَّ تَقْتَحِمُ الفَوَارِسُ هَكَذَا عَنِّي وَعَنْهُمْ أَخِّرُوا أَصْحَابِي
اليَوْمَ يَمْنَعُنِي الفِرَارَ حَفِيظَتِي وَمُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي

إلى أن قال: [الكامل]

---

(١) فرعل: صغير الضبع.

(٢) الهزاهز: الحروب والشدائد.

عَبَدَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ

إلى آخرها. قال: ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلاَّ استلبته دِرْعه فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضربته فاتقاني بسَوْءَته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه، قال: وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق.

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات في الخندق؛ وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: «هُوَ لَكُمْ لاَ نَأْكُلُ ثَمَنَ المَوْتَى». وقال الإمام أحمد: حدّثنا نصر بن باب، حدّثنا حجاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس أنه قال: قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «ادفَعُوا إلَيهِمْ جِيفَتَهُ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ الجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ شَيْئاً». وقد رواه البيهقي من حديث حمّاد بن سلمة عن حجّاج، وهو ابن أرطأة عن الحكم عن مقسم عن ابن عبّاس: أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده، ونعطيهم اثني عشر ألفاً، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ خَيرَ فِي جَسَدِهِ وَلاَ فِي ثَمَنِهِ»[1]. وقد رواه الترمذي من حديث سفيان الثوري، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس، وقال: غريب. وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جَسَد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل، وعرضوا عليه الديّة فقال: «إِنَّهُ خَبِيثٌ خَبِيثُ الدِّيَةِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ وَلَعَنَ دِيَتَهُ. فَلاَ أَرَبَ لَنَا فِي دِيَتِهِ وَلَسْنَا نَمْنَعُكُمْ أَنْ تَدْفُنُوهُ» وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي فسأل المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوّام فضربه فشقّه باثنتين حتى فلّ في سيفه فلاّ، وانصرف وهو يقول: [الرجز]

إِنِّي امْرُؤٌ أَحْمِي وَأَحْتَمِي عَنِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى الأُمِّيِّ

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب. فنزل إليه عليٌّ فقتله وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً، ومكّنهم من أخذه إليهم، وهذا غريب من وجهين. وقد روى البيهقي من طريق حمّاد بن يزيد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: جُعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم، ومعي عمر بن أبي سَلَمة، فجعل يطأطىء لي فأصعد على ظهره فأنظر قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرّة ها هنا ومرّة ها هنا، فما يرتفع له شيء إلاّ أتاه، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم قلت: يا أبة رأيتك اليوم وما تصنع، قال: ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: فدى لك أبي وأمي. قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سَهل بن عبد الرّحمٰن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة؛ أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤٨ .

حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن. قالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب. قالت: فمرّ سعد وعليه درع مقلّصة قد خرجت منها ذراعه كلّها، وفي يده حربته يرفل بها ويقول: [الرجز]

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ الهَيْجَا جَمَلْ　　لاَ بَأْسَ بِالمَوْتِ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

فقالت له أمه: الحق بني فقد والله أخّرت. قالت عائشة لها: يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ[١] مما هي. قالت: وخفتُ عليه حيث أصاب السهم منه. فرُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل[٢]. قال ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال رماه حيان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرّق الله وجهك في النار، اللهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه. اللهمّ وإن كنت وضعت الحرب[٣] بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تُمِتْني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيظة. قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن عبد اللّه بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلاّ أبو أسامة الجُشَمي حليف بني مخزوم، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل: [الطويل]

أَعِكْرِمَ هَلاَّ لُمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي　　فِدَاكَ بِآطَامِ[٤] المَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتَ الَّذِي أَلْزَمْتَ سَعْداً مُرِيشَةً　　لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ المَرَافِقِ عَانِدُ[٥]
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلَتْ　　عَلَيْهِ مَعَ الشُّمْطِ[٦] العَذَارَى النَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا　　عُبَيْدَةُ جَمْعاً مِنْهُمُ إِذْ يُكَابِدُ[٧]
عَلَى حِينِ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ　　وَآخَرُ مَرْعُوبٌ عَنِ القَصْدِ قَاصِدُ

قال ابن إسحاق والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن هشام: ويقال إن الذي رمى سعداً خَفاجة بن عاصم بن حِبان، قلت: وقد استجاب الله دعوة وليّه سعد بن معاذ في بني قُرَيظة، أقرّ الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه، فحكم بقتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، حتى قال له رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ فَوْقَ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ». قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عبّاد بن عبد اللّه بن الزبير عنَ أبيه عباد قالَ: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسّان بن ثابت قالت: وكان حسّان معنا فيه[٨] مع النساء والصبيان، فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قُرَيْظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد

(١) أسبغ: أكمل.
(٢) الأكحل: عرق في الذراع.
(٣) في ط: حرب.
(٤) الآطام: الحصون والقصور. ج أطم.
(٥) العاند: العرق الذي لا ينقطع منه الدم.
(٦) الشمط: العجائز الشائبات.
(٧) يكابد: يتحمل المشاق في العمل.
(٨) في ط: فيه.

يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذ أتانا آت، فقلت: يا حسّان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لكِ يا ابنة[1] عبد المطلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً، احتجزتُ ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغتُ منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل. قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب.

قال موسى بن عقبة: وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة، وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدرى أتم أم لا ، قال: ووجّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة، فقاتلوهم يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبيّ ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلّوا الصلاة، على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ العَصْرِ مَلأَ اللَّهُ بُطُونَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ، وَفي رواية وَقُبُورَهُمْ نَاراً». فلما اشتد البلاء نافق ناس كثير، وتكلّموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكَرب جعل يبشّرهم ويقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفْرَجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِدَّةِ، وإِنّي لأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ العَتِيقِ آمِناً، وَأَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ إِلَيَ مَفَاتِيحَ الكَعْبَة وَلَيُهْلِكَنَّ اللَّهُ كِسْرى وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وقد قال البخاري: حدّثنا إسحاق، حدّثنا رَوْح، حدّثنا هشام عن محمّد، عن عُبَيْدة، عن عليّ، عن النبيّ ﷺ أنه قال يوم الخندق: «مَلأَ اللَّهُ عَلَيهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»[2] وهكذا رواه بقية الجماعة، إلاّ ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسّان، عن محمّد بن سيرين، عن عُبَيْدة، عن عليّ به، ورواه مسلم والترمذي من طريق سعيد بن أَبي عروبة عن قتادة، عن أَبي حسّان الأعرج، عن عُبَيْدة، عن علي به وقال الترمذي: حسن صحيح. ثم قال البخاري: حدّثنا المكيُّ بن إبراهيم، حدّثنا هشام عن يحيى، عن أَبي سَلَمة، عن جابر بن عبد اللّه: أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسبّ كفّار قريش وقال: يا رسول الله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب، قال النبيّ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا»، فنزلنا مع رسول الله ﷺ بُطْحان فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلّى العصر بعدما غربت الشمس، ثم

(١) في ط: بنت.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٩٨، والمغازي باب ١٩، ومسلم في المساجد حديث ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، وأحمد في المسند ١/٧٩، ٨١.

صلى بعدها المغرب(١). وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمة به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصَّمد، حدّثنا ثابت، حدّثنا هلال عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قاتل النبيّ ﷺ عدواً فلم يفرغ منهم حتى أخّر العصر عن وقتها، فلما رأى ذلك قال: «اللَّهُمَّ مَنْ حَبَسَنَا عَنِ الصَّلاةِ الوُسْطَى فَامْلأْ بُيُوتَهُمْ نَاراً وَامْلأْ قُبُورَهُمْ نَاراً» ونحو ذلك تفرد به أحمد وهو من رواية هلال بن خُبَاب العبدي الكوفي، وهو ثقة يصحّح له الترمذي وغيره. وقد استدلّ طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث، وألزم القاضي المَاوَرْدي مذهب الشافعي بهذا لصحّة الحديث، وقد حرّرنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [سورة البقرة ٢٣٨]. وقد استدلّ طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي، وقد بوّب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قُرَيْظة ـ كما سيأتي ـ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» وكان من الناس من صلّى العصر في الطريق، ومنهم من لم يصلّ إلاّ في بني قريظة بعد الغروب، ولم يعنّف واحداً من الفريقين، واستدلّ بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر، حيث صلّوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال، واقتراب فتح الحصن. وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي: هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك، فلهذا أخّروها يومئذ، وهو مشكل. قال ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبيّ ﷺ صلّى صلاة الخوف بعُسْفان، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المغازي قبل الخندق، وكذلك ذات الرّقاع، ذكرها قبل الخندق فالله أعلم. وأما الذين قالوا إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً كما حكاه شرّاح مسلم عن بعض الناس، فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدّة حرصهم على محافظة الصلاة، كيف وقد روي أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلّوا الجميع في وقت العشاء من رواية أبي هريرة وأبي سعيد، قال الإمام: حدّثنا يزيد وحجّاج قالا: حدّثنا ابن أبي ذئب عن المقبري، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هويّ من الليل، حتى كفينا وذلك قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأحزاب ٢٥] قال: فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها، ثم أقام العصر فصلاّها كذلك، ثم أقام المغرب فصلاّها كذلك، ثم أقام العشاء فصلاّها كذلك، وذلك قبل أن ينزل. قال حجّاج في صلاة الخوف فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً، وقد رواه النسائي عن الفلاّس عن يحيى القطّان، عن ابن أبي ذئب به، قال: شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره. وقال أحمد: حدّثنا هشيم، حدّثنا أبو الزبير عن نافع بن جُبَيْر، عن أبي

(١) أخرجه البخاري في المواقيت باب ٣٦، ومسلم في المساجد حديث ٢٠٩.

عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه: أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله، قال: فأمر بلالاً فأذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر، ثم أقام فصلّى المغرب، ثم أقام فصلّى العشاء. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا محمّد بن معمر، حدّثنا مؤمل يعني ابن إسماعيل، حدّثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن أبي المخارق، عن مجاهد، عن جابر بن عبد الله أن النبيّ ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فأمر بلالاً فأذن، وأقام فصلّى الظهر، ثم أمره فأذّن وأقام فصلّى العصر، ثم أمره فأذن وأقام فصلّى المغرب، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء، ثم قال: «مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهِ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ غَيْرَكُمْ» تفرّد به البزّار، وقال: لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم، عن مجاهد عن أبي عُبَيْدة عن عبد الله.

فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب [وكيف صرفهم الله بحوله وقوّته استحباباً لرسوله ﷺ وصيانة لحوزته الشريفة فزلزل قلوبهم ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم]

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو عامر، حدّثنا الزبير ـ يعني ابن عبد الله ـ حدّثنا ربيح بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: «نَعَمْ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا» قال: فضرب الله وجوه أعدائه بالريح[١]. وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه، عن أبي عامر ـ وهو العقدي ـ عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفّان، عن ربيح بن عبد الرّحمٰن بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب. وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسين عن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سَلَمة عن جابر بن عبد الله أن النبيّ ﷺ أتى مسجد الأحزاب، فوضع رداءه وقام ورفع يديه مَدّاً يدعو عليهم، ولم يصلّ، قال: ثم جاء ودعا عليهم وصلّى. وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ سَرِيعَ الحِسَابِ اهْزِمِ الأَحْزَابَ. اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[٢]. وفي رواية: «اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». وروى البخاري عن قتيبة، عن الليث، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ»[٣] وقال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم، ومن أسفل منهم. قال:

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩، ومسلم في الجهاد حديث ٢١.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خَلاَوَة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الحَرْبَ خدعَةٌ» فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قُرَيظة وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال لهم: يا بني قُرَيظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشاً وغَطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمّد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهزة[1] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به، إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتى تناجزوه. قالوا: لقد أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمّداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني. قالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غَطَفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي، وأحبُّ الناس إليّ، ولا أراكم تتهموني. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قُرَيظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغَطفان فقال لهم: إنا لسنا بدارِ مُقام، هلك الخف والحافر[2] فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمّداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسَلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضُنا حدثاً فأصابهم ما لم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمّداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمّداً، فإنا نخشى إن ضرستكم[3] الحرب واشتدّ عليكم القتال، أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قَريظة قالت قريش

(١) نهزة: انتهاز الشيء واختلاسه.

(٢) يريد بالخف: الإبل، والحافر: الخيل.

(٣) ضرستكم: طحنتكم بأضراسها.

وغطفان: والله إن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلاّ أن تقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصّة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة. وقد أورده عنه البيهقي في الدلائل فإنه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مرَّ برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء، فأشار إليه أن تعال، فجاء فقال: «مَا وَرَاءَكَ؟» فقال: إنه قد بعثت قُرَيش وغَطْفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك، فقالت قُرَيظة: نعم فأرسلوا إلينا بالرهن. وقد ذكر فيما تقدم: أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حُيَي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «إنِّي مُسِرٌ إلَيْكَ شَيْئاً فَلاَ تَذْكُرْهُ» ، قال: إنهم قد أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصلح، وأردُّ بني النّضير إلى دورهم وأموالهم؛ فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان. وقال رسول الله ﷺ: «الحَرْبُ خدْعَةٌ وَعَسَى أَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ لَنَا» فأتى نعيمُ غطفانَ وقريشاً فأعلمهم، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قُريظة عَكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلّت اليهود بالسبت، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا. قلت: وقد يحتمل أن تكون قُرَيظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يريدون منه الصلح على أن يردّ بني النّضير إلى المدينة والله أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جمعهم دعا حُذَيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن زياد عن محمّد بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد اللّه أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هُوِياً من الليل[1] ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ» . فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة. «أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ» ، فما قام رجل من شدّة الخوف وشدّة الجوع والبرد، فلما لم يقم

---

(١) هوياً من الليل (بفتح الهاء وضمها: قطعة منه).

أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يَا حُذَيْفَة اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي القَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَفْعَلُونَ وَلاَ تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِينَا»، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ مَن جليسه. قال حذيفة: فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان؛ ثم قال: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع[١] والخفّ، وأخلفتنا بنو قُرَيظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو مَعقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ لا تحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم. قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرْط[٢] لبعض نسائه مرحّل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف المِرْط، ثم ركع وسجد وإني لفيه؛ فلما سلّم أخبرته الخبر. وسمعتْ غَطفان بما فعلت قُرَيش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، وهذا منقطع من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه من حديث الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه قال: كنا عند حُذَيفة فقال له رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقَرّ، فقال رسول الله ﷺ: «ألاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَكُونُ مَعِي يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية ثم الثالثة مثله. ثم قال: «يَا حُذَيفَةُ قُمْ فَأْتِنَا بِخَبَرِ القَوْمِ»، فلم أجد بدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: «ائْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلاَ تَذْعرْهُمْ[٣] عَلَيَّ». قال: فمضيت كأنما أمشي في حَمّام[٤] حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يُصْلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: «لاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، ولو رميته لأصبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت، وقررت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلّي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»[٥]!.

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمّار، عن محمّد بن عبد اللّه الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حُذَيْفة قال: ذكر

(١) الكراع: الخيل.

(٢) المرط: الكساء.

(٣) تذعرتم: تخيفهم.

(٤) أمشي في حمام: أي انه لم يجد من البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً، بل عافاه الله ببركة إجابته للنبي ﷺ فيما وجهه إليه.

(٥) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٩٩.

حُذَيْفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: لا تمنَّوا ذلك، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافّون قعود، وأبو سفيان ومن معه فوقنا، وقُرَيظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشدّ ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبيّ ﷺ ويقولون إن بيوتنا عَوْرة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلاّ أذن له، ويأذن لهم ويتسللون، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك، إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عليّ وما عليّ جُنةٌ من العدو، ولا من البرد إلاّ مِرْط لامرأتي ما يجاوز ركبتي قال: فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال: «مَنْ هَذَا؟» فقلت: حُذَيْفة. فقال: «حُذَيْفَةُ!» فتقاصرت للأرض فقلت: بَلَى يا رسول الله، كراهية أن أقوم فقمت فقال: «إِنَّهُ كَائِنٌ فِي القَوْمِ خَبَرٌ فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ». قال: وأنا من أشدّ الناس فزعاً، وأشدّهم قراً قال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ احفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ» قال فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قراً في جوفي إلاّ خرج من جوفي فما أجد فيه شيئاً. قال: فلما وليت قال: «يا حُذَيْفَةُ لاَ تُحْدِثَنَّ فِي القَوْمِ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي». قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم، نظرت ضوءَ نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل! ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش، فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لاَ تُحْدِثَنَّ فِيهِمْ شَيْئاً حَتَّى تَأْتِينِي»، فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ثم إني شجّعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر الرحيل الرحيل، لا مقام لكم. وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله ﷺ فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاه. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر، وجعلت أقرقف[1]، فأومأ إليّ رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي فدنوت منه فأسبل عليّ شملته؛ وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلّى. فأخبرته خبر القوم، أخبرته أني تركتهم يرحلون، قال: وأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩] يعني الآيات كلها إلى قوله ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [سورة الأحزاب ٢٥] أي صرف الله عنهم عدوّهم بالريح التي أرسلها عليهم، والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم، وكفى الله المؤمنين القتال، أي لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم، بل صرفهم القويّ العزيز بحوله وقوّته. لهذا ثبت في

(١) أقرقف: ارتجف.

الصحيحين عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ»(١). وفي قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم، وهكذا وقع، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين، كما قال محمّد بن إسحاق رحمه الله، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: «لَنْ تَغْزُوكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ». قال: فلم تغز قريش بعد ذلك، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى عن سفيان، حدّثني أبو إسحاق سمعت سلمان بن صُرَد رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا»(٢). وهكذا رواه البخاري من حديث إسرائيل وسفيان الثوري، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي، عن سليمان بن صُرَد به، قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بني عبد الأشهل وهم: سعد بن معاذ ـ وستأتي وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد اللّه بن سهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان، وكعب بن زيد النّجاري أصابه سهم غرب(٣) فقتله. قال: وقتل من المشركين ثلاثة وهم: منبه بن عثمان بن عُبَيد بن السبّاق بن عبد الدار، أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد اللّه بن المغيرة، اقتحم الخندق بفرسه فتورّط فيه فقتل هناك، وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم، وعمرو بن عبد ودّ العامري قتله عليّ بن أبي طالب. قال ابن هشام: وحدّثني الثقة أنه حدّث عن الزهري أنه قال: قَتل عليٌ يومئذ عمرو بن عبد ودّ وابنه حِسْل بن عمرو، قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ودّ ويقال عمرو بن عَبْد.

فصل في غزوة بني قريظة

وما أحل الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، وممالأتهم الأحزاب عليه، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً، وباؤوا بغضب من الله ورسوله، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأحزاب ٢٥، ٢٧]. قال البخاري: حدّثنا محمّد بن مقاتل، حدّثنا عبد اللّه، حدّثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٠، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٢، ٦/ ٣٩٤.

(٣) سهم غرب: سهم طائش.

عن عبد اللّه أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيكبّر، ثم يقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

قال محمّد بن إسحاق رحمه الله: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدّثني الزّهري معتجراً[١] بعمامة من إستبرق[٢] على بغلة عليها رحالة[٣] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ»، فقال جبريل: ما وضعتِ الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلاّ من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمّد بالمسير إلى بني قُرَيظة، فإني عامد إليهم، فمزلزل بهم، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذنّ في الناس: «مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً فَلاَ يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

وقال البخاري: حدَّثني عبد اللّه بن أبي شيبة، حدّثنا ابن نُمير عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما رجع النبيّ ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح! والله ما وضعناه! فاخرج إليهم، قال: «فَإِلَى أَيْنَ؟» قال: ها هنا وأشار إلى بَني قُرَيْظة، فخرج النبيّ ﷺ[٤]. وقال أحمد: وحدّثنا حسن، حدّثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، وجاء جبريل فرأيته من خلل البيت قد عصّب رأسه الغبار، فقال: يا محمّد أوضعتم أسلحتكم؟ فقال: «وَضَعْنَا أَسْلِحَتَنَا» فقال: إنا لم نضع أسلحتنا بعد انهَدْ إلى بني قُرَيْظة، ثم قال البخاري: حدّثنا موسى، حدّثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غَنْم موكبَ جِبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة[٥]. ثم قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن أسماء، حدّثنا جويرية بن أسماء عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يُرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنّف واحداً منهم[٦]. وهكذا رواه مسلم عن عبد اللّه بن محمّد بن أسماء به.

---

(١) الاعتجار: أن يتعمم الرجل دون تلح، أي لا يلقي شيئاً تحت لحيته.

(٢) الإستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

(٣) الرحالة: السرج.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٠، ومسلم في الجهاد حديث ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٠، ومسلم في الجهاد حديث ٦٩.

وقال الحافظ البيهقي: حدّثنا أَبو عبد اللّه الحافظ، وأَبو بكر أَحمد بن الحسن القاضي قالا: حدّثنا أَبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا محمّد بن خالد بن علي، حدّثنا بشر بن حرب عن أبيه، حدّثنا الزهري، أَخبرني عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن كعب بن مالك: أن عمّه عُبَيد اللّه أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأَحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحم، فتبدّى له جبريل عليه السلام فقال: عذيرك من مُحَارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد، قال: فوثب النبيّ ﷺ فزعاً، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر إلاّ في بني قُرَيظة. قال: فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قُرَيْظة حتى غربت الشمس، فاختصم الناس عند غروب الشمس، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلّي حتى نأتي بني قُرَيْظة، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ، فليس علينا إثم، وصلّى طائفة من الناس احتساباً، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس، فصلّوها حين جاؤوا بني قُرَيْظة احتساباً، فلم يعنّف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين. ثم روى البيهقي من طريق عبد اللّه العُمَري عن أخيه عُبَيد اللّه، عن القاسم بن محمّد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها، فسلّم علينا رجل ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقمت في أثره، فإذا بدِحْيَة الكلبيّ، فقال: «هٰذا جِبْرِيلُ أَمَرَنِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَة وَقالَ: قَدْ وَضَعْتُمُ السِّلاحَ لٰكِنَّا لَمْ نَضَعْ»، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد، وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق، فقام رسول الله ﷺ فزعاً وقال لأصحابه: «عزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُصَلُّوا صَلاَةَ العَصْرِ حَتَّى تَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ». فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدَعوا الصلاة فصلّوا، وقالت طائفة: والله إنا لفي عزيمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم، فصلّت طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً، ولم يعنّف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين. وخرج رسول الله ﷺ فمرّ بمجالس بينه وبين بني قُرَيظة فقال: «هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ؟» فقالوا: مرّ علينا دِحْية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج، فقال: ذلك جبريل أُرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، فحاصرهم النبيّ ﷺ وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف حتى يسمع كلامهم، فناداهم: «يَا إِخْوَةَ القِرَدَةِ والخَنَازِيرِ». فقالوا: يا أبا القاسم لم تكن فحاشاً، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سَعْد بن مُعَاذ، وكانوا حلفاءه، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم. ولهذا الحديث طرق جيّدة عن عائشة وغيرها. وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو؟ بل الإجماع على أن كلاًّ من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف. فقالت طائفة من العلماء: الذين أخّروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدّر لها حتى صلوها في بني قُرَيظة هم المصيبون، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً. قال أَبو محمّد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة: وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلاّ في بني قُرَيْظة ولو بعد أيام. وهذا القول منه ماش على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر. وقالت طائفة

أخرى من العلماء: بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لمّا أدركتهم وهم في مسيرهم، همُ المصيبون لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قُرَيظة، لا تأخير الصلاة، فعملوا بمقتضى الأدلّة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها، مع فهمهم عن الشارع ما أراد، ولهذا لم يعنّفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حوّلت إليه يومئذ، كما يدعيه أولئك، أما أولئك الذين أخروا فعُذروا بحسب ما فهموا، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه. وأما على قول من يجوّز تأخير الصلاة لعذر القتال، كما فهمه البخاري حيث احتجّ على ذلك بحديث ابن عمر المتقدّم في هذا، فلا إشكال على من أخّر، ولا على من قدّم أيضاً والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق: وقدّم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ومعه رايته وابتدرها الناس. وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري: فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله كما يزعمون قد رجّل أحد شقيه، أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد، عند موضع الجنائز، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل: غفر الله لك أَوَقَدْ وضعت السلاح؟ قال: «نَعَمْ». فقال جبريل: لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدوّ، وما زلتُ في طلبهم حتى هزمهم الله. ويقولون إن على وجه جبريل لأثر الغبار. فقال له جبريل: إن الله قد أمرك بقتال بني قُرَيْظة فأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة نزلزل بهم الحصون فاخرج بالناس، فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل فمرّ على مجلس بني غَنْم، وهم ينتظرون رسول الله ﷺ فسألهم فقال: «مَرَّ عَلَيْكُمْ فَارِسٌ آنِفاً؟» قالوا: مرَّ علينا دِحْية الكلبيّ على فرسٍ أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه اللأمة، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال: «ذَاكَ جِبْرِيلُ». وكان رسول الله ﷺ يشبّه دِحْيَة الكلبيّ بجبريل، فقال: «الْحَقُونِي بِبَنِي قُرَيْظَةَ فَصَلُّوا فِيهِمُ الْعَصْرَ»، فقاموا وما شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بني قُرَيظة، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قُرَيظة. وقال آخرون: هي الصلاة، فصلّى منهم قوم، وأخّرت طائفة الصلاة حتى صلّوها في بني قُرَيظة بعد أن غابت الشمس، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجّل منهم الصلاة ومن أخّرها، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنّف واحداً من الفريقين. قال: فلما رأى عليٌّ بن أبي طالب رسولَ الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال: ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود، وكان عليّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه رضي الله عنهنّ، فكره أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ تَأْمُرُنِي بِالرُّجُوعِ؟» فكتمه ما سمع منهم فقال: «أَظُنُّكَ سَمِعْتَ فِيَّ مِنْهُمْ أَذًى، فَامْضِ فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا شَيْئاً مِمَّا سَمِعْتَ»، فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم، وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم فقال: «أَجِيبُوا يَا مَعْشَرَ يَهُودَ يَا إِخْوَةَ الْقِرَدَةِ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ خِزْيُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة، وردّ الله حُيَي بن أخطب حتى دخل

حصن بني قُرَيْظة وقذف الله في قلوبهم الرعب، واشتد عليهم الحصار، فصرخوا بأَبي لبابة بن عبد المنذر ـ وكانوا حلفاء الأنصار ـ فقال أبو لبابة لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»، فأتاهم أَبو لبابة فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فإنه لا طاقة لنا بالقتال؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمرّ عليه أصابعه، يريهم إنما يراد بهم القتل. فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أُحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي، فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ حين غاب عليه أبو لبابة: «أَمَا فَرَغَ أَبُو لُبَابَةَ مِنْ حلَفَائِهِ»، فذكر له ما فعل؟ فقال: «لَقَدْ أَصَابَتْهُ بَعْدِي فِتْنَةٌ، وَلَوْ جَاءَنِي لاَسْتَغْفَرْتُ لَهُ، وَإِذْ قَدْ فَعَلَ هَذَا فَلَنْ أُحرِّكَهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ». وهكذا رواه ابن لَهِيعة عن أَبي الأسود عن عُرْوة، وكذا ذكره محمّد بن إسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الأسود عن عروة. قال ابن إسحاق ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قُرَيْظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف في قلوبهم الرعب، وقد كان حُيَي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قُرَيش وغَطَفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا بما شئتم منها، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مصلّتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء والأبناء. قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فالليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمّد وأصحابه غِرّة. قالوا أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلاّ من قد علمت، فأصابه ما لم يخفَ عنك من المَسْخ فقال : ما باتَ رجل منكم منذ ولدته أمّه ليلة من الدهر حازماً. ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لُبَابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا. فأرسله رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا: يا أبا لُبابة أترى أن ننزل على حكم محمّد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حَلْقِه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت

رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت. وعاهد الله أن لا أطأ بني قُرَيْظة أبداً، ولا أُرَى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. قال ابن هشام: وأنزل الله فيما قال سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الأنفال ٢٧]. قال ابن هشام: أقام مرتبطاً ست ليال تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحلّه حتى يتوضأ ويصلي، ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة التوبة ١٠٢]. وقول موسى بن عقبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به والله أعلم. وذكر ابن إسحاق: أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل، وهو في بيت أم سَلَمة، فجعل يبتسم، فسألته أم سَلَمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة، فاستأذنته أن تبشّره، فأذِن لها فخرجت فبشّرته، فثار الناس إليه يبشّرونه، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه، فقال: والله لا يحلّني منه إلاّ رسول الله ﷺ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حلّه من رباطه رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سَعْية، وأَسَيد بن سَعْية، وأسد بن عُبَيْد وهم نفر من بني هَدْل ليسوا من بني قُرَيْظة ولا النّضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قُرَيْظة على حُكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدى القُرَظيّ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمّد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعْدَى. وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُرَيْظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمّد أبداً. فقال محمّد بن مسلمة حين عرفه: اللّهمّ لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلّى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب لم يُدرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال: «ذاك رجلٌ نَجّاهُ اللّهُ بوفائه». قال: وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة[1] فيمن أوثق من بني قُرَيْظة، فأصبحت رمته ملقاة، ولم يدر أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن إسحاق: فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت، يعنون عفوه عن بني قَيْنُقَاع حين سأله فيهم عبد اللّه بن أُبيّ كما تقدم. قال ابن إسحاق: فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ الأَوْسِ أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَحْكُمَ فيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى. قال: فذلك إلى سَعْد بن مُعَاذ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أَسْلَم، يقال لها: رفيدة في مسجده، وكانت تداوي الجرحى، فلما حكّمه في بني قُرَيْظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن

(١) الرمة: الحبل البالي.

رسول الله ﷺ إنّما ولاّك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قُرَيْظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فأما المهاجرون من قُرَيْش فيقولون إنما أراد الأنصار، وأما الأنصار فيقولون قد عمّ رسول الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لَمَا حَكَمْتُ، قالوا: نعم، قال: وعَلَى مَنْ ها هنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعَمْ»، قال سعد فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرَّحمٰن بن عمر بن سَعْد بن مُعَاذ، عن عَلْقمة بن وقّاص الليثيّ، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[1]. وقال ابن هشام: حدَّثني من أثق به من أهل العلم: أنّ علي بن أَبي طالب صاح وهم محاصرو بني قُرَيْظة: يا كتيبة الإيمان وتقدّم هو والزبير بن العوّام، وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حَمْزَة أو أقتحم حصنهم، فقالوا: يا محمّد ننزل على حكم سَعْد بن مُعَاذ. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم، سمعت أبا أمامة بن سهل، سمعت أبا سعيد الخدري، قال: نزل أهل قُرَيْظة على حكم سعد بن مُعَاذ، قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ: «قوموا لسيدكم أو خيركم». ثم قال: إنّ هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: نقتل مقاتلتهم ونسبي ذريتهم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ». وربّما قال قضيت بحكم الملك وفي رواية الملك[2]. أخرجاه في الصحيحين من طرَق عن شعبة، وقال الإمام أحمد: حدّثنا حجين ويونس قالا: حدّثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد اللّه أنه قال: رُمِيَ يوم الأحزاب سعْد بن مُعَاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانتفخت يده، فنزفه فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فنزفه فلما رأى ذلك قال: اللّهمّ لا تخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة، فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حُكم سعد، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم، يستعين بهم المسلمون، فقال رسول الله ﷺ: «أَصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ» وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات[3]. وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن الليث به، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال

(١) الأرقعة: السموات. ج رقيع.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٦٨، ومسلم في الجهاد حديث ٦٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٥٠.

الإمام أَحمد: حدّثنا ابن نمير، عن هشام أَخبرني أَبي عن عائشة، قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال: قد وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعتها! أخرج إليهم. قال رسول الله ﷺ: «فَأَيْنَ؟» قال: ها هنا وأشار إلى بني قُرَيْظة، فخرج رسول الله ﷺ إليهم. قال هشام: فأخبرني أبي: أنهم نزلوا على حكم النبيّ ﷺ فرد الحكم فيهم إلى سَعْد قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية وتقسّم أموالهم. قال هشام: قال أبي فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللّهِ»(١).

وقال البخاري: حدّثنا زكريا بن يحيى، حدّثنا عبد اللّه بن نُمير، حدّثنا هشام عن أبيه، عن عائشة، قالت: أصيب سَعْد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حِبّان بن العرقة، رماه في الأكحل، فضرب النبيّ ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح! والله ما وضعته أخرج إليهم. قال النبيّ ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فأشار إلى بني قُرَيْظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حُكْمه، فردّ الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تُقْتل المقاتلة، وأن تُسْبى النساء والذريّة، وأن تقسّم أموالهم، قال هشام: فأَخبرني أَبي عن عائشة: أن سعداً قال: اللّهمّ إنك تعلم أنه ليس أحد أحبّ إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذّبوا رسولك، وأخرجوه، اللّهمّ فإني أظنّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها. فانفجرت من لبّته فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار إلاّ الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها(٢). وهذا رواه مسلم من حديث عبد اللّه بن نمير به. قلت: كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قُرَيْظة، ولهذا قال فيه: ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة، فاستجاب الله له، فلما حكم فيهم وأقرّ الله عينه أيَّ قرار، دعا ثانياً بهذا الدعاء، فجعلها الله له شهادة رضي الله عنه وأرضاه. وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله. وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً، وفيه فوائد فقال: حدّثنا يزيد، أنبأنا محمّد بن عمرو عن أبيه، عن جده علقمة بن وقّاص، قال: أخبرتني عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن مُعَاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنّه، قالت: فجلست إلى الأرض، فمرّ سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوّف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمرّ وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٠، ومسلم في الجهاد حديث ٦٥، ٦٧.

لَبِّثْ قَلِيلاً يُدْرِكِ الهَيْجَا جَمَلْ   مَا أَحْسَنَ المَوْتَ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا نفر من المسلمين، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سَبْغة له تعني المِغْفَر فقال عمر: ما جاءَ بكِ، والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء، أو يكون تحوّز، فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها، فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طَلْحَة بن عُبَيد اللّه فقال: يا عمر ويحك! إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوّز أو الفرار إلاّ إلى الله عزّ وجلّ. قالت: ويرمي سَعْداً رجل من قريش يقال له ابن العِرَقة، وقال: خذها وأنا ابن العِرَقة، فأصاب أكحله فقطعه، فدعا اللَّهَ سعدٌ فقال: اللّهمّ لا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيْظة، قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية، قالت: فرقأ كَلمه[1]، وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عُيَيْنة بن بدر ومن معه بنَجْد، ورجعت بنو قُرَيْظة فتحصّنوا في صياصيهم[2]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقبّة من أدم، فضربت على سَعْد في المسجد، قالت: فجاء جبريل وإن على ثناياه لنقع الغبار فقال: أَقَدْ وضعتَ السلاح! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد! أخرج إلى بني قُرَيْظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأْمَته وأَذّن في الناس بالرحيل، أن يخرجوا، فمرّ على بني غَنْم، وهم جيران المسجد حوله، فقال: «مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟» قالوا: مرّ بنا دِحْية الكلبيّ. وكان دِحْية الكلبي تَشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام. فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتدّ حصرهم، واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذّبح، قالوا: ننزل على حُكْم سَعْد بن مُعَاذ فقال رسول الله ﷺ: «انْزِلُوا عَلَى حُكْم سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»، فأُتي به على حمار عليه أكاف من ليف، قد حمل عليه، وحفّ به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد علمت، قالت: ولا يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دُورِهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت: قال أبو سعيد الخدري: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ»، قال عمر: سيّدنا الله، قال: «أَنْزِلُوهُ»، فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ: «أحْكُمْ فِيهِمْ»، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقْتَل مقاتلتهم، وتُسْبى ذراريهم، وتقسّم أموالهم فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ، وَحُكْمِ رَسُولِهِ»، ثم دعا سعد فقال: اللّهمّ إن كنتَ أبقيت على نبيّك من حرب قُرَيْشَ شيئاً، فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك قالت: فانفجر كلمه وكان قد برىء حتى لا يُرى منه إلاّ مثل الخرص، ورجع إلى قبّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت: فوالذي نفس

(١) كلمه: جُرْحهُ.

(٢) الصياصي: الحصون وكل ما امتنع فيها.

محمّد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حُجْرَتي، وكانوا كما قال الله ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ قال علقمة: فقلت: يا أمّه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وُجِدَ فإنما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيّد وله شواهد من وجوه كثيرة، وفيه التصريح بدعاء سَعْد مرّتين، مرّة قبل حكمه في بني قُرَيْظة، ومرّة بعد ذلك، كما قلناه أولاً، ولله الحمد والمنة.

وسنذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضي الله عنه وأرضاه بعد فراغنا من القصّة.

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، قلت: هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت مسيلمة الكذاب، ثم خلف عليها عبد اللّه بن عامر بن كريز، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، فخرج بهم إليه أرسالاً[١]، وفيهم عدو الله حُيَي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة. والمكثر لهم يقول: كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة. قلت: وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر: أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون، ألا ترون الدّاعي لا ينزع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل. فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم، وأتى بحُيَي بن أخطب وعليه حلة له فقاحية[٢] قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحَبْل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أمّا والله ما لمتُ نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيّها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر وملحمة، كتبها الله على بني إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوّال الثعلبي: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا لاَمَ ابنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وَقَلْقَلَ يَبْغِي العِزَّ كُلَّ مُقَلْقَلِ[٣]

وذكر ابن إسحاق قصّة الزُبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً، قد عمي، وكان قد مَنّ يوم بُعاث على ثابت بن قيس بن شمّاس، وجزّ ناصيته، فلمّا كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال: هل تعرفني يا أبا عبد الرّحمٰن؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك، فقال له ثابت: أريد أن أكافئك فقال: إن الكريم يُجزي الكريم، فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه فأطلقه

(١) ارسالاً: أي طائفة بعد طائفة.
(٢) فقاحية: أي تميل إلى الحمرة.
(٣) قلقل: تحرك.

له، ثم جاءه فأخبره فقال: شيخ كبير لا أهل ولا ولد، فما يصنع بالحياة، فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده، فأطلقهم له، ثم جاءه فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزُّبير بن باطا، فأطلقه له، ثم جاءه فأخبره فقال له: يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى حي كعب بن أسد؟ قال: قتل. قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيَي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا: عَزّال بن شَمَوأل؟ قال: قتل. قال: فما فعل المجلسان؟ . يعني بني كعب بن قُرَيْظة، وبني عمرو بن قُرَيْظة . قال: ذهبوا قتلوا، قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلاّ ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خَيْر، فما أنا بصابر لله قبلة دَلْو ناضح حتى ألقى الأحبّة، فقدّمه ثابت فضربت عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله «ألقى الأحِبّة» قال: « يلقاهم والله في نار جهنّم خالداً فيها مخلّداً» قال ابن إسحاق «فيلة» بالفاء والياء المثنّاة من أسفل، وقال ابن هشام بالقاف والياء الموحدة. وقال ابن هشام: الناضح البعير الذي يستقى عليه الماء لسقي النخل، وقال أبو عبيدة: معناه إفراغة دلو.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم. فحدّثني شعبة بن الحجّاج عن عبد الملك بن عُمَيْر عن عطية القُرَظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قُرَيْظة كل من أنبت منهم، وكنتُ غلاماً فوجدوني لم أنبت، فخلّوا سبيلي. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عُمَيْر عن عطية القرظي نحوه، وقد استدلّ به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخَشِن حول الفرج دليل على البلوغ، بل هو بلوغ في أصحّ قولي الشافعي. ومن العلماء من يفرّق بين صبيان أهل الذمّة، فيكون بلوغاً في حقّهم دون غيرهم، لأن المسلم قد يتأذّى بذلك لمقصد. وقد روى [ابن] إسحاق عن أيوب بن عبد الرّحمٰن: أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن شموأل، وكان قد بَلَغ فلاذَ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فأطلقه لها، وكانت قالت: يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيُصلي، ويأكل لحم الجمل. فأجابها إلى ذلك فأطلقه. قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة قالت: لم يقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تَحَدّث معي، تضحك ظَهْراً وبَطْناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل! قلت: ولِمَ؟ قالت: لِحَدثٍ أحدثته، قالت: فانطلق بها فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عَرَفَتْ أنها تقتل. وهكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق به. قال ابن إسحاق: هي التي طَرَحت الرّحا على خلاّد بن سويد فقتلته، يعني فقتلها رسول الله ﷺ به. قال ابن إسحاق: في موضع آخر وسمّاها نباتة امرأة الحكم القُرَظي. قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ

قسّم أموال بني قُرَيْظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس، وقسّم للفارس ثلاثة أسهم، سهمين للفرس وسهماً لراكبه، وسهماً للراجل، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين. قال: وكان أول فيء وقعت فيه السّهمان وخمّس. قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن زيد بسبايا من بني قُرَيْظة إلى نَجْد، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً. وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قُرَيْظة، وكان عليها حتى تُوفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت، ثم أسلمت بعد ذلك، فسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامها، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوّجها، فاختارت أن تستمرّ على الرقّ ليكون أسهل عليها، فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام، ثم تكلّم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها ولله الحمد والمنّة. وقد قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم بني قُرَيْظة خلّاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي، طُرِحَت عليه رَحا فشدخته شدخاً شديداً، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لَهُ لأَجْرُ شَهِيدَيْنِ». قلت: كان الذي ألقى عليه الرّحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قُرَيْظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم. قال ابن إسحاق: ومات أَبو سِنَان بن محصن بن حرثان من بني أسد بن خزيمة ورسول الله ﷺ محاصر بني قُرَيْظة فدُفن في مقبرتهم اليوم.

وفاة سعد بن مُعَاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حِبّان بن العِرَقة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ كياً بالنار فاستمسك الجرح، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقرّ عينه من بني قُرَيْظة، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذمام، ومالوا عليه مع الأحزاب، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قُرَيْظة بسواد الوجه، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدّم، فلما ضيّق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حُكْم رسول الله ﷺ، فيحكم فيهم بما أراه الله، فردّ الحكم فيها إلى رئيس الأوْس، وكانوا حلفاءهم في الجاهلية، وهو سَعْد بن مُعَاذ فَرَضَوْا بذلك، ويقال بل نزلوا ابتداءً على حُكْم سعد، لما يرجون من حنوّه عليهم، وإحسانه وميله إليهم، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القِرَدة والخنازير، لشدّة إيمانه وصديقيّته رضي الله عنه وأرضاه، فبعث إليه رسول الله ﷺ وكان في خيمة في المسجد النبوي، فجيء به على حمار تحته إكاف قد وطيء تحته لمرضه، ولمّا قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له، قيل لينزل من شدّة مرضه، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم، ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم، فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقرّ الله عينه وشفى صدره منهم، وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله ﷺ، دعا الله عزّ وجلّ أن تكون له شهادة،

واختار الله له ما عنده، فانفجر جرحه من الليل، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضي الله عنه [كما تقدم في الأحاديث الصحيحة والحسان].

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قُرَيْظة انفجر بسعد بن مُعَاذ جرحه فمات منه شهيداً. حدّثني مُعَاذ بن رفاعة الزرقي، قال: حدّثني من شئت من رجال قومي: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قُبِض سعد بن مُعَاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال: يا محمّد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجرّ ثوبه إلى سَعْد فوجده قد مات رضي الله عنه، هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله. وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، حدّثنا محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدّثنا أبي وشعيب بن الليث قالا: حدّثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد، عن مُعَاذ بن رفاعة، عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ، قال: فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن، فبينا هو جالس إذ قال: «سُبْحَانَ اللّهِ» مرّتين، فسبّح القوم، ثم قال: «اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ» فكبّر القوم، ثم قال رسول الله ﷺ: «عَجِبْتُ لِهَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ شُدِّدَ عَلَيهِ فِي قَبْرِهِ حَتَّى كَانَ هَذَا حِينَ فُرِّجَ لَهُ».

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، ويحيى بن سعيد عن مُعَاذ بن رفاعة، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن: «سُبْحَانَ اللّه لِهَذَا الصَّالِحُ الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، شُدِّدَ عَلَيهِ ثُمَّ فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ[1]». وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرَّحمٰن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبد الله قال: لمّا دُفِن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبّح الناس معه، ثم كبّر فكبّر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله مم سبّحت؟ قال: «لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ» وتروى: أكبادنا. وهكذا رواه الإمام أحمد[2] عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن ابن إسحاق به.

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَمَّةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِياً لَكَانَ سَعْد بْن مُعَاذٍ». قلت: وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد: حدّثنا يحيى عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِياً مِنْهَا لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ». وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر عن شعبة، عن سعد بن

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢٧.

(٢) المسند ٣/ ٣٦٠.

إبراهيم، عن إنسان عن عائشة به، ورواه الحافظ البزّار عن نافع، عن ابن عمر قال: حدّثنا عبد الأعلى بن حمّاد، حدّثنا داود عن عبد الرَّحمٰن، حدّثنا عُبَيد اللّه بن عمر عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْد بْنُ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَهْبِطُوا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَقَدْ ضَمَّهُ القَبْرُ ضَمَّةً». ثم بكى نافع. وهذا إسناد جيّد، لكن قال البزّار: رواه غيره عن عُبَيد اللّه، عن نافع مرسلاً، ثم رواه البزار عن سليمان بن سيف، عن أبي عتاب، عن سكين بن عبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن زيد بن الخطاب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَا وَطِئُوا الأَرْضَ قَبْلَهَا»، وقال حين دُفن: «سُبْحَانَ اللَّهِ: لَوِ انفَلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ لاَنْفَلَتَ مِنْهَا سَعْد». وقال البزار: حدّثنا إسماعيل بن حفص عن محمّد بن فضيل، حدّثنا عطاء بن السائب عن مجاهد، عن ابن عمر قال: اهْتَزَّ العَرْشُ لِحُبِّ لِقَاءِ اللّهِ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فقيل إنما يعني السرير ورفع أبويه على العرش، قال: تفتحت أعواده قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس، فلما خرج قيل له يا رسول الله ما حبسك؟ قال: «ضُمَّ سَعْدٌ فِي القَبْرِ ضَمَّةً فَدَعَوْتُ اللّهَ فَكَشَفَ عَنْهُ». قال البزار: تفرّد به عطاء بن السّائب. قلت: وهو متكلّم فيه. وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمّة سعد رضي الله عنه في القبر، أثراً غريباً فقال: حدّثنا أبو عبد اللّه الحافظ، حدّثنا أبو العباس، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار، حدّثنا يونس عن ابن إسحاق حدّثني أمية بن عبد اللّه: أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال: «كَانَ يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ البَوْلِ». وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا الفضل بن مساور، حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ». وعن الأعمش حدّثنا أبو صالح عن جابر، عن النبيّ ﷺ مثله، فقال رجل لجابر فإن البراء بن عازب يقول: اهتز السرير أنه كان بين هذين الحيين ضغائن، سمعت النبيّ ﷺ يقول: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»، ورواه مسلم عن عمرو الناقد، عن عبد اللّه بن إدريس، وابن ماجه عن علي بن محمّد، عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به، وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبي صالح، عن جابر، وقال أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزُّبير: أنه سمع جابر بن عبد اللّه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم: «اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ»، ورواه مسلم عن عبد بن حميد والترمذي عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزّاق به، وقال الإمام أحمد، حدّثنا يحيى بن سعيد، حدّثنا عوف، حدّثنا أبو نضرة، سمعت أبا سعيد عن النبيّ ﷺ: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ». ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى به، وقال أحمد: حدّثنا عبد الوهّاب عن سعيد قال قتادة حدّثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة: «اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ»، ورواه مسلم عن محمّد بن عبد اللّه الأرزي، عن عبد الوهّاب به، وقد

روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال: اهتزّ عرش الرحمن فرحاً بروحه. وقال الحافظ البزار: حدّثنا زهير بن محمّد، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن قتادة، عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قُرَيْظة، فسئل رسول الله ﷺ فقال: «لاَ وَلَكِنَّ المَلاَئِكَةَ [كانت محملة][(١)]» إسناد جيّد.

[فائدة: قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: حديث اهتزاز العرش ثابت متواتر وقال السهيلي: رواه جماعة من الصحابة منهم: جابر وأبو سعيد وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو قال: وهو محمول على الحقيقة لأن العرش لا يمتنع عليه الحركة والاهتزاز. قال: وما روي عن مالك من تضعيفه لهذا الحديث وتوهينه للتحدث به فلعله لم يصح عنه ذلك والله أعلم].

وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن بشار، حدّثنا غندر حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق، سمعت البراء بن عازب يقول: أهديت للنبي ﷺ حلّة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «أتَعْجَبُون مِنْ لِين هٰذِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيرٌ مِنْهَا»، أو ألين. ثم قال: رواه قتادة والزهري: سمعنا أنساً عن النبيّ ﷺ وقال أحمد: حدّثنا عبد الوهّاب عن سعيد هو ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جبّة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير، فلبسها فعجب الناس منها فقال: «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الجَنّةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰذِهِ». وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه، وإنما ذكره البخاري تعليقاً وقال أحمد: حدّثنا يزيد، حدّثنا محمّد بن عمرو، حدّثني واقد بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ قال محمّد: وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم، قال: دخلت على أنس بن مالك فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، فقال: إنك بسعد لشبيه، ثم بكى وأكثر البكاء، وقال: رحمة الله على سَعْد كان من أعظم الناس وأطولهم، ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدر دومة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجبّة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله ﷺ فقام على المنبر وجلس، فلم يتكلّم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبّة وينظرون إليها، فقال رسول الله ﷺ: «أتَعْجَبُونَ مِنْهَا؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنّةِ أَحْسَنُ مِمّا تَرَوْنَ!» وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمّد بن عمرو به، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال ابن إسحاق: بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ وفي ذلك يقول رجل من الأنصار: [الطويل]

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللّٰهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ ... سَمِعْنَا بِهِ إلاّ لِسَعْدِ أَبِي عَمْرِو

قال: وقالت أمه يعني كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبَيْد بن ثعلبة الخدريّة

(١) في ط: تحملته.

الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه: [مجزوء الرجز]

وَيْـلُ أمِّ سَـعْـدٍ سَعْـدا صَـرَامَـةً وَحَـدَّا
وَسُـؤْدَداً وَمَـجْـدا وَفَـارِساً مِـعَـدَّا
سَـدَّ بِـهِ مَـسَـدَّا يَـقُـدُّهَـا مَـا قَـدَّا

قال: يقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» قلت: كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدّم، فأقاموا قريباً من شهر، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قُرَيْظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد، فمات بعد حكمه عليهم بقليل، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجّة من سنة خمس والله أعلم. وهكذا قال محمّد بن إسحاق: إن فتح بني قُرَيْظة كان في ذي القعدة، وصدر ذي الحجّة قال: وولي تلك الحجّة المشركون. قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت يرثي سَعْدَ بن معاذ رضي الله عنه: [الطويل]

لَقَدْ سَجَمَتْ(١) مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عَبْرَةٌ وَحُقَّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدِ
قَتِيلٌ ثَوَى فِي مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ عُيُونٌ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الوَجْدِ(٢)
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوَفْدِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَاعدتنا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءَ مُظْلِمَةِ اللَّحْدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ المَكَارِمِ وَالمَجْدِ
بِحُكْمِكَ فِي حَيَّيْ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكَ فِيهِمُ وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الأُلَى شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الخُلْدِ
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ يَوْماً لِلْوَجَاهَةِ وَالقَصْدِ

فصل فيما قيل [من](٣) الأشعار في الخندق وبني قُرَيْظة

قال البخاري: حدّثنا حجّاج بن منهال، حدّثنا شعبة، حدّثنا عدي بن ثابت: أنه سمع البراء بن عازب قال: قال النبيّ ﷺ لحسّان: «اهْجُهُمْ أو هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ» قال البخاري: وزاد إبراهيم بن طَهمان عن الشيباني عن عديّ بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ يوم قُرَيْظة لحسّان بن ثابت: «اهْجُ المُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ». وقد

(١) سجمت: سالت.
(٢) المعرك: موضع القتال. ذواري الدمع: تسكبه.
(٣) سقط في ط.

رواه البخاري أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قُرَيْظة. قال ابن إسحاق رحمه الله: وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق (قلت: وذلك قبل إسلامه): [الوافر]

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا ... وَقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[1]

كَأَنَّ زُهَاءَهَا أُحُدٌ إِذَا مَا ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاظِرِينَا

تَرَى الأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبَغَاتٍ ... عَلَى الأَبْطَالِ وَالْيَلَبَ الحَصِينَا[2]

وَجُرْداً كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ ... نَؤُمُّ بِهَا الغُوَاةَ الخَاطِئِينَا

كَأَنَّهُمُ إِذَا صَالُوا وَصُلْنَا ... بِبَابِ الخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَا

أُنَاسٌ لاَ نَرَى فِيهِمْ رَشِيداً ... وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا

فَأَحْجَرْنَاهُمُ شَهْراً كَرِيثاً[3] ... وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا

نُرَاوِحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ ... عَلَيْهِمْ فِي السِّلاَحِ مُدَجَّجِينَا

بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ ... نَقُدُّ بِهَا المَفَارِقَ وَالشُّؤُونَا

كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّيَاتٌ ... إِذَا لاَحَتْ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

وَمِيضُ عَقِيقَةٍ[4] لَمَعَتْ بِلَيْلٍ ... تَرَى فِيهَا العَقَائِقَ مُسْتَبِينَا

فَلَوْلاَ خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ ... لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا

وَلَكِنْ حَالَ دُونَهُمُ وَكَانُوا ... بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا

فَإِنْ نَرْحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا ... لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَعْداً رَهِينَا

إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ سَمِعْتَ نَوْحاً ... عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الحَنِينَا

وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ ... كَمَا زُرْنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَا[5]

بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةَ غَيْرِ عُزْلٍ ... كَأُسْدِ الغَابِ إِذْ حَمَتِ العَرِينَا

قال: فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضي الله عنه فقال: [الوافر]

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا ... وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا

صَبَرْنَا لاَ نَرَى لِلَّهِ عِدْلاً ... عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا

وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ ... بِهِ نَعْلُو البَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا

(١) العرندسة: الشديدة القوية، والعرندس: القوي، يريد الكتيبة: الطحون: التي تطحن كل ما مرت به.

(٢) مسبغات: كاملة. اليلب: الترسة أو الدرق.

(٣) كريثاً: شديداً بلغ منهم المشقة.

(٤) العقيقة: السحابة التي تشق عن البرق.

(٥) متوازرينا: متعاونين.

نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وَعَقُّوا ... وَكَانُوا بِالعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا[١]
نُعَالِجُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا ... بِضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعِينَا
تَرَانَا فِي فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ ... كَغُدْرَانِ المَلاَ مُتَسَرْبِلِينَا[٢]
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ ... بِهَا نَشْفِي مِرَاحَ[٣] الشَّاغِبِينَا
بِبَابِ الخَنْدَقَيْنِ كَأَنَّ أُسْداً ... شَوَابِكُهُنَّ[٤] يَحْمِينَ العَرِينَا
فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا ... عَلَى الأَعْدَاءِ شُوساً[٥] مُعْلِمِينَا
لِنَنْصُرَ أَحْمَداً وَاللَّهَ حَتَّى ... نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلَصِينَا
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا ... وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينَا
فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَعْداً سِفَاهاً ... فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ القَادِرِينَا
سَيُدْخِلُهُ جِنَاناً طَيِّبَاتٍ ... تَكُونُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِينَا
كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلاًّ شَرِيداً ... بِغَيْظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَا
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْراً ... وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَا[٦]
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ ... فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَا[٧]

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمّي في يوم الخندق (قلت: وذلك قبل أن يسلم): [الكامل]

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا ... طُولُ البِلَى وَتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ اليَهُودُ رُسُومَهَا ... إِلاَّ الكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الأَطْنَابِ[٨]
قَفْراً كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا ... فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَتْرَابِ
فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ ... وَمَحَلَّةٍ خَلِقِ المَقَامِ يَبَابِ[٩]

---

(١) المرصد: المعد للأمر عدته.
(٢) الفضافض: الدروع المتسعة. الملا: المتسع من الأرض. متسربلون: لابسون الدروع.
(٣) المراح: النشاط.
(٤) الشوابك: التي يتشبث بها فلا يفلت.
(٥) الشوس: ج أشوس، وهو الذي ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه.
(٦) الدامرين: الهالكين.
(٧) المتكمه: الأعمى الذي لا يبصر.
(٨) الكنيف: الحظيرة والزرب الذي يصنع للإبل، ويسمى كنيفاً لأنه يكنفها، أي يسترها. والاطناب: الحبال التي تشد بها الأخبية وبيوت العرب.
(٩) اليباب: القفر.

وَاذْكُرْ بَلاَءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمُ ... سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الأَنْصَابِ
أَنْصَابِ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبٍ ... فِي ذِي غَيَاطِلَ جُحْفُلٍ جَبْجَابِ(١)
يَدَعُ الحُزُونَ مَنَاهِجاً مَعْلُومَةً ... فِي كُلِّ نَشْزٍ ظَاهِرٍ وَشِعَابِ
فِيهَا الجِيَادُ شَوَازِبٌ مَجْنُوبَةٌ ... قُبُّ البُطُونِ لَوَاحِقُ الأَقْرَابِ(٢)
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ(٣) وَأَجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كَالسِّيدِ بَادَرَ غَفْلَةَ الرُّقَابِ
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قَاصِدٌ بِلِوَائِهِ ... فِيهِ وَصَخْرٌ قَائِدُ الأَحْزَابِ
قَرْمَانِ كَالبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا ... غَيْثُ الفَقِيرِ وَمَعْقِلُ الهُرَّابِ(٤)
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا المَدِينَةَ وَارْتَدَوْا ... لِلْمَوْتِ كُلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ(٥)
شَهْراً وَعَشْراً قَاهِرِينَ مُحَمَّداً ... وَصِحَابُهُ فِي الحَرْبِ خَيْرُ صِحَابِ
نَادَوْا بِرِحْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمُ ... كِدْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الخُيَّابِ
لَوْلاَ الخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ ... قَتْلَى لِطَيْرٍ سُغَّبٍ(٦) وَذِئَابِ

قال فأجابه حسّان بن ثابت رضي الله عنه فقال: [الكامل]

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ المَقَامِ يَبَابِ ... مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ
قَفْرٌ عَفَا رِهَمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ ... وَهُبُوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبَابِ(٧)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الحُلُولَ يَزِينُهُمْ ... بِيضُ الوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الأَحْسَابِ(٨)
فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ ... بَيْضَاءَ آنِسَةِ الحَدِيثِ كَعَابِ(٩)
وَاشْكُ الهُمُومَ إِلَى الإِلَهِ وَمَا تَرَى ... مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَأَلَّبُوا ... أَهْلَ القُرَى وَبَوَادِيَ الأَعْرَابِ
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمُ ... مُتَخَمِّطُونَ(١٠) بِحَلْبَةِ الأَحْزَابِ

(١) يريد «بذي غياطل» جيشاً كثير الأصوات. الغياطل: ج غيطلة: وهي الصوت هنا. جحفل: جيش. جبجاب: كثير.
(٢) الشوازب: الضامرة. المجنوبة: المقودة. قب ضامرة. لواحق: ضامرة. الأقراب: ج قرب: وهو الخاصرة وما يليها.
(٣) السلهبة: الطويلة. السِّيد: الذئب.
(٤) قرمان: فحلان سيدان، معقل الهراب: ملجؤهم.
(٥) ارتدوا: تقلدوا. وكل مجرب: أي كل سيف قد جرب القضاب: القاطع.
(٦) سغب: جائعة.
(٧) عفا: تغير ودرس. رهم: ج رهمة: المطر. مطلة: مشرفة؛ مرباب: دائمة ثابتة.
(٨) الحلول: البيوت المجمعة. ثواقب: مشرقة.
(٩) الخريدة: المرأة الناعمة. الكعاب: التي نهد ثدياها.
(١٠) متخمطون: مختلطون.

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الـمَدِينَـةَ وَارْتَجَوْا قَتْلَ الرَّسُولِ وَمَغْنَمَ الأَسْلاَبِ
وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ(١) رُدُّوا بِغَيْظِهِم عَلَى الأَعْقَابِ
بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الأَرْبَابِ
فَكَفَى الإِلَـهُ المُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَثَابَهُمْ فِي الأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِيكِنَا الوَهَّابِ
وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
عَاتِي الفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذِي رِيبَةٍ فِي الكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الأَثْوَابِ(٢)
عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ فَفُؤَادُهُ فِي الكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الأَحْقَابِ

قال: وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه أيضاً فقال: [الكامل]

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الحُرُوبِ بَقِيَّةً مِنْ خَيْرِ نَحْلَةِ(٣) رَبِّنَا الوَهَّابِ
بَيْضَاءَ مُشْرِفَةَ الذُّرَى وَمَعَاطِناً حُمَّ الجُذُوعِ غَزِيرَةَ الأَحْلاَبِ(٤)
كَاللُّوبِ يَبْذُلُ جُمُّهَا وَحَفِيلُهَا لِلْجَارِ وَابْنِ العَمِّ وَالمُنْتَابِ(٥)
وَنَزَائِعاً مِثْلَ السِّرَاجِ نَمَى بِهَا عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجِزَّةُ المِقْضَابِ(٦)
عَرِيَ الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا جُرْدُ المُتُونِ وَسَائِرُ الآرَابِ(٧)
قُوداً تُرَاحُ إِلَى الصِّيَاحِ إِذَا غَدَتْ فِعْلَ الضِّرَاءِ تُرَاحُ لِلْكَلاَّبِ(٨)
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيَارِ وَتَارَةً تُرْدِي العِدَى وَتَؤُوبُ بِالأَسْلاَبِ(٩)
حُوشُ الوُحُوشِ مُطَارَةٌ عِنْدَ الوَغَى عُبْسُ اللِّقَاءِ مُبِينَةُ الإِنْجَابِ(١٠)

---

(١) الأيد: القوة.
(٢) عاتي الفؤاد: قاسيه. موقع: ذو هيب، وأصله من التوقيع في ظهر الدابة، وهو السلاح يكون فيه.
(٣) النحلة: العطاء.
(٤) الذرى: الأعالي. المعاطن: منابت النخل عند الماء. حم: سود.
(٥) اللوب: ج لوبة: الحرة، وهي أرض ذات حجارة سود. جمها: ما اجتمع من لبنها. المنتاب: القاصد الزائر.
(٦) النزائع: الخيل العربية التي حملت من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الذئاب واحدها: سرحان. جزة المقضاب: أي ما يجز لها من النبات فتطعمه. المقضاب: من القضب: القطع.
(٧) الشوى: القوائم. النحض: اللحم. جرد المتون: ملس الظهور. الآراب: ج أربة، وهي القطعة من اللحم.
(٨) قود: طوال. تراح: تنشط. الضراء: الكلاب الضارية في الصيد. الكلاّب: الصائد صاحب الكلاب. الواحد: كالب.
(٩) السائمة: الماشية المرسلة في المرعى. تردي: تهلك. تؤوب: ترجع.
(١٠) الحوش: النافرة. المطارة: المستخفة. الانجاب: الكرم والعتق.

عَـلِـقَـتْ عَـلَـى دَعَـةٍ فَـصَـارَتْ بُـدْنـاً | دُخْـسَ الـبَـضِـيـعِ خَـفِـيـفَـةَ الأَقْـصَـابِ (١)
يَـغْـدُونَ بِـالـزَّغْـفِ (٢) الـمُـضَـاعِـفِ شَـكُّـهُ | وَبِـمُـتْـرَصَـاتٍ فِـي الـثِّـقَـافِ صِـيَـابِ
وَصَـوَارِمٍ نَـزَعَ الـصَّـيَـاقِـلُ (٣) عُـلْـبَـهَـا (٤) | وَبِـكُـلِّ أَرْوَعَ مَـاجِـدِ الأَنْـسَـابِ
يَـصِـلُ الـيَـمِـيـنَ بِـمَـارِنٍ مُـتَـقَـارِبٍ | وُكِـلَـتْ وَقِـيـعَـتُـهُ إِلَـى خَـبَّـابِ (٥)
وَأَغَـرُّ أَزْرَقُ فِـي الـقَـنَـاةِ كَـأَنَّـهُ | فِـي طُـخْـيَـةِ الـظَّـلْـمَـاءِ ضَـوْءُ شِـهَـابِ (٦)
وَكَـتِـيـبَـةٍ يَـنْـفِـي الـقِـرَانَ قَـتِـيـرُهَـا | وَتَـرُدُّ حَـدَّ قَـوَاحِـزِ الـنُّـشَّـابِ (٧)
جَـأْوَى مُـلَـمْـلَـمَـةٍ كَـأَنَّ رِمَـاحَـهَـا (٨) | فِـي كُـلِّ مَـجْـمَـعَـةٍ صَـرِيـمَـةُ غَـابِ
تَـأْوِي إِلَـى ظِـلِّ الـلِّـوَاءِ كَـأَنَّـهُ | فِـي صَـعْـدَةِ الـخَـطِّـي فَـيْءُ عُـقَـابِ
أَعْـيَـتْ أَبَـا كَـرِبٍ وَأَعْـيَـتْ تُـبَّـعـاً | وَأَبَـتْ بَـسَـالَـتُـهَـا عَـلَـى الأَعْـرَابِ
وَمَـوَاعِـظٌ مِـنْ رَبِّـنَـا نُـهْـدَى بِـهَـا | بِـلِـسَـانِ أَزْهَـرَ طَـيِّـبِ الأَثْـوَابِ
عُـرِضَـتْ عَـلَـيْـنَـا فَـاشْـتَـهَـيْـنَـا ذِكْـرَهَـا | مِـنْ بَـعْـدِ مَـا عُـرِضَـتْ عَـلَـى الأَحْـزَابِ
حِـكَـمـاً يَـرَاهَـا الـمُـجْـرِمُـونَ بِـزَعْـمِـهِـمْ | حَـرَجـاً وَيَـفْـهَـمُـهَـا ذَوُو الأَلْـبَـابِ
جَـاءَتْ سَـخِـيـنَـةُ (٩) كَـيْ تُـغَـالِـبَ رَبَّـهَـا | فَـلَـيُـغْـلَـبَـنَّ مُـغَـالِـبُ الـغَـلَّابِ

قال ابن هشام: حدَّثني من أثق به، حدَّثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت: «لَقَدْ شَكَرَكَ اللَّهُ يَا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هَذَا». قلت ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسمّيهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي فالله أعلم. قال ابن إسحاق، وقال كعب بن مالك أيضاً: [الكامل]

مَـنْ سَـرَّهُ ضَـرْبٌ يُـمَـعْـمِـعُ بَـعْـضُـهُ | بَـعْـضـاً كَـمَـعْـمَـعَـةِ الأَبَـاءِ الـمُـحْـرَقِ (١٠)

(١) دخس: كثيرة اللحم. البضيع: اللحم.
(٢) الزغف: الدروع اللينة.
(٣) الصياقل: السيوف.
(٤) علبها: حدها.
(٥) المارن: الرمح اللين. وقيعته: ضعته وتطريقه وتحديده. وخباب: اسم قين.
(٦) الأغر الأزرق: سنان. الطخية: شدة السواد.
(٧) القرن: تقارن النبل واجتماعه. والقتير: مسامير حلق الدرع. قواحز النشاب: النبال التي تصيب الأفخاذ.
(٨) جأوى: يخالط سوادها حمرة. ململمة: مجتمعة.
(٩) سخينة: لقب قريش في الجاهلية.
(١٠) المعمعة: صوت التهاب النار وصريفها. والأباء: القصب، ويقال الأغصان الملتفة.

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً(١) تُسَنُّ سُيُوفُهَا ... بَيْنَ المَذَارِ(٢) وَبَيْنَ جِزْعِ(٣) الخَنْدَقِ
دَرِبُوا بِضَرْبِ المُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا ... مُهُجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ المَشْرِقِ
فِي عُصْبَةٍ نَصَرَ الإِلَهُ نَبِيَّهُ ... بِهِمْ وَكَانَ بِعَبْدِهِ ذَا مَرْفَقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُهَا ... كَالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ المُتَرَقْرِقِ
بَيْضَاءُ مُحْكَمَةٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا ... حَدَقُ الجَنَادِبِ ذَاتُ شَكٍّ مُوثَقِ(٤)
جَدْلاءُ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنَّدٍ ... صَافِي الحَدِيدَةِ صَارِمٌ ذِي رَوْنَقِ(٥)
تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا ... يَوْمَ الهِيَاجِ وَكُلَّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُماً وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
فَتَرَى الجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُهَا ... بَلْهَ(٦) الأَكُفَّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ
نَلْقَى العَدُوَّ بِفَخْمَةٍ(٧) مَلْمُومَةٍ ... تَنْفِي الجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ المَشْرِقِ(٨)
وَنُعِدُّ لِلأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ ... وَرْدٍ وَمَحْجُولِ القَوَائِمِ أَبْلَقِ
تَرْدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ ... عِنْدَ الهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ(٩)
صُدُقٍ يُعَاطُونَ الكُمَاةَ حُتُوفَهُمْ ... تَحْتَ العَمَايَةِ بِالوَشِيجِ المُزْهِقِ(١٠)
أَمَرَ الإِلَهُ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ ... فِي الحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ
لِتَكُونَ غَيْظاً لِلْعَدُوِّ وَحُيَّطاً ... لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُولُ النُّزَّقِ
وَيُعِينُنَا اللَّهُ العَزِيزُ بِقُوَّةٍ ... مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةَ نَلْتَقِي
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ ... وَإِذَا دَعَا لِكَرِيهَةٍ لَمْ نُسْبَقِ
وَمَتَى يُنَادَى لِلشَّدَائِدِ نَأْتِهَا ... وَمَتَى نَرَى الحومَاتِ فِيهَا نُعْنِقِ(١١)
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... فِينَا مُطَاعُ الأَمْرِ حَقُّ مُصَدَّقِ

---

(١) المأسدة: موضع الأسود، ويعني بها هنا موضع الحرب.
(٢) المذار: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة.
(٣) الجزع: الجانب.
(٤) الجنادب: ذكور الجراد. الشك: إحكام السرد.
(٥) يحفزها: يرفعها ويشمرها. النجاد: حمائل السيف.
(٦) بله: اسم فعل بمعنى اترك ودع.
(٧) فخمة: كتيبة.
(٨) المشرق: جبل بين الصريف والعصيم من أرض ضبة (ياقوت).
(٩) تردي: تسرع. الكماة: الشجعان. الطل: الندى. الملثق: ما يكون على الطل من زلق وطين.
(١٠) العماية: سحابة الغبار وظلمته. الوشيج: الرماح.
(١١) الحومات: مواطن القتال؛ وهي جمع حومة. تعنق: تسرع.

فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ بِمِرْفَقِ
إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّداً كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً: [الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ الأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نُوادِعُ
أَضَامِيمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلاَنَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدِفَ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ(١)
يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنُ رَاءٍ وَسَامِعُ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعُ
هَدَانَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. يعني طويلة. قال ابن إسحاق: وقال حسّان بن ثابت في مقتل بني قُرَيْظة: [الوافر]

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاءَهَا وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِيرِ
أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ يَهْوِي إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ(٢)
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمُ عَلَيْهَا كَالْعَبِيرِ
فَهُمْ صَرْعَى تَحُومُ الطَّيْرُ فِيهِمْ كَذَاكَ يُدَانُ ذُو الْعَنَدِ الْفَجُورِ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلَتْ نَذِيرِي

قال: وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قُرَيْظَة: [الوافر]

تَفَاقَدَ(٣) مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ
هُمُ أُوتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ عُمْيٌ مِنَ التَّوْرَاةِ بُورُ(٤)
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ(٥) مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال: [الوافر]

(١) أضاميم: جماعات انضم بعضها إلى بعض. اصفقت: اجتمعت وتوافقت على الأمر.
(٢) الخيل المجنبة: هي التي تقاد ولا تركب. تعادى: تجري وتسرع.
(٣) تفاقد: فقد بعضهم بعضاً، وهو دعاء عليهم.
(٤) بور: ضلال، أو هلكى.
(٥) البويرة: موضع بني قريظة.

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ ... وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ[1] ... وَتَعْلَمُ أَيَّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ
فَلَوْ كَانَ النَّخِيلُ بِهَا رِكَاباً ... لَقَالُوا لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَسِيرُوا

قلت: وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الأبيات. وذكر ابن إسحاق جواب حسّان في ذلك لجبل بن جوّال الثعلبي تركنا قصداً. قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قُرَيظة: [الطويل]

أَلاَ يَا لَقَوْمِي هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ ... وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ العَيْشِ رَاجِعُ
تَذَكَّرْتُ عَصْراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ ... بَنَاتُ الحَشَا وَانْهَلَّ مِنِّي المَدَامِعُ
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِيَ إِخْوَةً ... وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ ... مَنَازِلُهُمْ فَالأَرْضُ مِنْهُمْ بَلاَقِعُ[2]
وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ... ظِلاَلُ المَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ ... مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوْا جَمَاعَةً ... وَلاَ يَقْطَعُ الآجَالَ إِلاَّ المُصَارِعُ
لأَنَّهُمُ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً ... إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ العِبَادِ بَلاَؤُنَا ... إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا ... لأَوَّلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ المُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ... وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لاَ بُدَّ وَاقِعُ

مقتل أبي رافع اليهودي [عبد الله ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله وكان في قصر له في أرض خيبر. وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز]

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قُرَيْظة، وكان سَلاّم بن أَبي الحُقَيق - وهو أبو رافع - فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أُحُدٍ قد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلاّم بن أبي الحُقَيْق، وهو بخيبر فأذن لهم. قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيّين من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يتصاولان[3] مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً فيه

(١) بنزه: ببعد.
(٢) بلاقع: قفار خالية.
(٣) يتصاولان: يتفاخران، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله.

غناء عن رسول الله ﷺ إلاّ وقالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ، فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتذاكروا مَنْ رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحُقَيق، وهو بخَيْبر فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج من الخزرج من بني سَلَمة خمسة نفر: عبد اللّه بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد اللّه بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم، فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبد اللّه بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خَيْبر أتوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله: وكان في عِلّية له إليها عجلة[١] قال: فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه. فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحُجْرة تخوّفاً أن يكون دونه مجاولة[٢] تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته فنوّهت[٣] بنا، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلاّ بياضه، كأنه قُبطيّة[٤] ملقاة. قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد اللّه بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قَطْني قَطْني أي حسبي حسبي. قال: وخرجنا وكان عبد اللّه بن عتيك سيىء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً، وحملناه حتى نأتي به منهراً[٥] من عيونهم فندخل فيه، فأوقدوا النيران واشتدُّوا في كل وجه يطلبونا، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه، فاكتنفوه وهو يقضي قال فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدّثهم وتقول: أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي، وقلت: أنّى ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلتْ عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظ[٦] وإله يهود، فما سمعت كلمة كانت ألذّ على نفسي منها. قال: ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله، واختلفنا عنده في قتله كلّنا يدّعيه. قال فقال: هاتوا

---

(١) العجلة: جذع النخلة ينقر ويجعل كالسلّم فيصعد عليه إلى العلالي.

(٢) مجاولة: حركة تكون بينهم وبينه.

(٣) نوهت بنا: رفعت صوتها تشهر بنا.

(٤) قبطية: ضرب من الثياب البيض تصنع بمصر.

(٥) منهراً: مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله.

(٦) فاظ: مات.

أسيافكم. فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام. قال ابن إسحاق: فقال حسّان بن ثابت في ذلك: [الكامل]

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ لاَقَيْتَهُمْ ... يَا ابْنَ الحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الخِفَافِ إِلَيْكُمُ ... مَرَحاً كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفِ(١)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلاَدِكُمْ ... فَسَقَوْكُمُ حَتْفاً بِبِيضٍ ذُفَّفِ(٢)
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ(٣)

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمّد بن إسحاق رحمه الله. وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري(٤): حدّثنا إسحاق بن نصر، حدّثنا يحيى بن آدم، حدّثنا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: بعث النبيّ ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله. قال البخاري: حدّثنا يوسف بن موسى، حدّثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم قال عبد الله: اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطّف للبواب لعلّي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البوّاب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وَدّ قال: فقمت إلى الأقاليد(٥) وأخذتها، وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمّر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سَمَره، صعدت إليه فجعلت كلّما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل، فقلت إن القوم نذروا بي لم يخصلوا إليّ حتى أقتله. فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مُظْلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة، وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً وصاح، فخرجتُ من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع، فقال: لأمّك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف(٦) في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً

(١) مغرف: ملتف الأغصان.
(٢) ذفف: سريعة القتل.
(٣) مجحف: يذهب بالأموال والأنفس.
(٤) كتاب المغازي باب ١٦.
(٥) الأقاليد: ج إقليد وهو المفتاح.
(٦) ضبيب السيف: حده.

باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة حتى انطلقتُ، حتى جلست على الباب، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلمّا صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع ناصر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قَتَل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبيّ ﷺ فحدّثته، فقال: «ابْسطْ رِجلَكَ فبسطْتُ رِجلي فمسحَهَا فكأنّمَا لمْ أشتَكِهَا قطّ»(١).

قال البخاري: حدّثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، حدّثنا شُرَيح، حدّثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، سمعت البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد اللّه بن عتيك، وعبد اللّه بن عتبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دَنوا من الحصن، فقال لهم عبد اللّه بن عتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر، قال: فتلطّفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا بقبس يطلبونه قال: فخشيت أن أعرف قال: فغطّيت رأسي وجلست كأني أقضي حاجة، فقال البواب: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه. فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن، فتعشّوا عند أبي رافع، وتحدّثوا حتى ذهب ساعة من الليل، ثم رجعوا إلى بيوتهم، فلمّا هدأت الأصوات ولا أسمع حركة، خرجت، قال: ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة، فأخذته ففتحت به باب الحصن، قال: قلت: إن نَذَرَ بي القوم انطلقت على مَهَل، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلّم، فإذا البيت مظلم قد طفىء سراجه، فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه، وصاح فلم تغنِ شيئاً. قال: ثم جئته كأني أغيثه فقلت: ما لك يا أبا رافع؟ وغيرت صوتي، قال: لا أعجبك لأمّك الويل! دخل عليّ رجل فضربني بالسيف، قال: فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى، فلم تغنِ شيئاً فصاح وقام أهله، ثم جئت وغيّرت صوتي كهيئة المغيث، فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه ثم انكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلّم أريد أن أنزل، فأسقط منه، فانخلعت رجلي فعصبتها، ثم أتيت أصحابي أحجل، فقلت انطلقوا فبشّروا رسول الله ﷺ فأني لا أبرح حتى أسمع الناعية، فلمّا كان في وجه الصبح، صعد الناعية فقال: أنعي أبا رافع، قال: فقمت أمشي ما بي قَلَبة(٢) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشرته. تفرّد به البخاري(٣) بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة.

قلت: يحتمل أن عبد اللّه بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكّت قدمه، وانكسرت ساقه، ووثبت رجله، فلما عصبها استكنّ ما به لما هو فيه من الأمر الباهر، ولمّا أراد المشي أُعِين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع، ثم لمّا وصل إلى

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٦.

(٢) قلبة: (بفتح القاف واللام): أي علة انقلب بها.

(٣) كتاب المغازي باب ١٦.

رسول الله ﷺ واستقرّت نفسه، ثاوره[١] الوجع في رجله، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي، ولم يبق بها وجع يتوقّع حصوله في المستقبل، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدّمت والله أعلم. هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمّد بن إسحاق، وسمّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد.

ثم قال: قال الزهري، قال أبيّ بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر، فقال: «أَفْلَحَتِ الوُجُوهُ»، قال: أفلح وجهك يا رسول الله، قال: «أفتكْتُمُوهُ؟» قالوا: نعم قال: «نَاوِلْنِي السَّيفَ» فسله، فقال: أجل هذا طعامه في ذباب السيف.

مقتل خالد بن سفيان الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع. قال الإمام أحمد: حدّثنا يعقوب، حدّثنا أبي عن ابن إسحاق، حدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد اللّه بن أنيس، عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ قَدْ بلغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيانَ بْنَ نُبيْحٍ الهُذَلِي يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ فَائْتِهِ فَاقْتُلْهُ». قال: قلت: يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه. قال: «إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً»، قال: فخرجت متوشّحاً سيفي حتى وقعت عليه، وهو بعرنة مع ظُعُن يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقت العصر، فلمّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أومىء برأسي للركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: مَنْ الرجل؟ قلت: رجل من العرب، سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني، حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبّات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال: «أَفْلَحَ الوَجْهُ» قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: «صَدَقْتَ»، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته، فأعطاني عصا فقال: «أَمسكْ هَذِه عِنْدَكَ يا عَبْدَ اللّه بْنَ أُنيسٍ». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ المُنْخَصِرُونَ يَوْمَئِذٍ». قال: فقرنها عبد اللّه بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمّت في كفنه، ثم دفنا جميعاً[٢]. ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم، عن عبد اللّه بن إدريس، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن جعفر بن الزبير، عن بعض ولد عبد اللّه بن أنيس ـ أو قال: عن عبد اللّه بن

(١) ثاوره: عاوده.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٩٦، وفيه «المتخصرون» بدل «المنحصرون».

عبد الله بن أنيس ـ عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه. وهكذا رواه أبو داود عن أبي معمر، عن عبد الوارث، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن جعفر، عن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، فذكر نحوه. ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمّد بن سَلَمة، عن محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه فذكره. وقد ذكر قصّة عُروة بن الزُّبَيْر وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلة فالله أعلم. قال ابن هشام، وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان: [الطويل]

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُوَارِ[1] وَحَوْلَهُ نَوَائِحُ تَفْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُعَدَّدِ
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ المُهَنَّدِ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ أَنَا ابْنُ أَنِيسٍ فَارِسٌ غَيْرُ قُعْدُدِ[2]
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قِدْرَهُ رَحِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرِ مُزَنَّدِ[3]
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

قلت: عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجهني، صحابي مشهور، كبير القدر، كان فيمن شهد العقبة، وشهد أُحُداً والخندق، وما بعد ذلك، وتأخّر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور، وقيل توفي سنة أربع وخمسين والله أعلم. وقد فرّق علي بن الزّبير وخليفة بن خَيّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري الذي روى عن النبيّ ﷺ أنه دعا يوم أُحُد بإداوة فيها ماء، فحلّ فمها وشرب منها، كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العُمَري، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه، ثم قال الترمذي: وليس إسناده يصحّ، وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه.

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق وإسلامه [على يديه][4]

قال محمّد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع، وحدّثني يزيد بن أبي حَبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس، حدّثني عمرو بن العاص من فِيه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قُرَيش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمّد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه. قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنّجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمّد على قومنا، كنّا عند النجاشي، فإنّا إن نكن تحت يديه أحبّ إلينا من

(١) الحوار: ولد الناقة إذا كان صغيراً قبل أن يفصل عن أمه.
(٢) القعدد: الجبان اللئيم.
(٣) مزنّد: الضيق.
(٤) سقط في ط.

أن نكون تحت يدي محمّد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عُرِفوا، فلن يأتينا منهم إلاّ خير. قالوا: إن هذا لرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحب ما يُهْدى إليه من أرضنا الأدم[١] فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أميّة الضَّمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أميّة، لو قد دخلت على النّجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت [ذلك][٢] رأت قريش أني قد أجزأت عنها[٣] حين قتلت رسول محمّد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي، هل أهديتَ لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديتُ لك أدماً كثيراً. قال: ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لدخلتُ فيها فَرَقاً. ثم قلت: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت على أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأُسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة فقلت: أين أبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقام الميسم[٤]، وإن الرجل لنبيّ أذهب والله أُسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلاّ لأُسلم. قال: فقدمنا المدينة على النبي ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخّر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عَمْرو بايعْ فإنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ[٥] مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا» . قال: فبايعته ثم انصرفت. قال ابن إسحاق: وقد حدّثني من لا أتهم، أن عثمان بن طلحة بن أَبي طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما، فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي: [الطويل]

أَنْشُدَ عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ حَلْفَنَا ... وَمُلْقَى نِعَالِ القَوْمِ عِنْدَ المُقَبَّلِ[٦]

---

(١) الأدم: الجلود.
(٢) سقط في ط.
(٣) اجزأت عنها: كفيتها.
(٤) استقام الميسم: أي تبين الطريق ووضح.
(٥) يجب: يقطع.
(٦) المقبل: يريد موضع تقبيل الحجر الأسود.

وَمَا عَقَدَ الآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلَّلِ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا تَبْتَغِي مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ (١)
فَلاَ تَأْمَنَنَّ خَالِداً بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَا بِالدُّهَيْمِ المُعَضَّلِ (٢)

قلت: كان إسلامهم بعد الحُدَيْبِية، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمّد بن إسحاق رحمه الله تعالى، لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق، الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس. والله أعلم.

فصل في تزويج النبيّ ﷺ بأم حبيبة [رملة][٣] بنت أَبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ قال: هو تزويج النبيّ ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين. ثم قال البيهقي: **أخبرنا** أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن عيسى، ثنا أحمد بن نجدة، حدّثنا يحيى بن عبد الحميد، أنبأنا ابن المبارك عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة: أنها كانت عند عبيد الله بن جحش، وكان رحل إلى النجاشي، فمات، وإن رسول الله ﷺ تزوّج بأمّ حبيبة وهي بأرض الحبشة، وزوّجها إياه النجاشي، ومهرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شرحبيل ابن حَسَنة، وجهّزها من عنده، وما بعث رسول الله ﷺ بشيء. قال: وكان مهور أزواج النبيّ ﷺ أربعمائة. قلت: والصحيح أن مهور أزواج النبيّ ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقية، ونشّاً والوقية أربعون درهماً والنشّ النصف، وذلك يعدل خمسمائة درهم. ثم روى البيهقي من طريق ابن لَهَيْعة عن أَبي الأسود عن عروة أن عُبَيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ، زوّجها منه عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

قلت: أما تنصّر عُبَيد الله بن جحش فقد تقدّم بيانه، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة، استزله الشيطان فزيّن له دين النصارى، فصار إليه حتى مات، عليه لعنة الله، وكان يعيّر المسلمين فيقول لهم: أبصرنا وصأصأتم[٤]، وقد تقدّم شرح ذلك في هجرة الحبشة. وأما قول عروة: إن عثمان زوّجها منه فغريب، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك، ثم هاجر إلى المدينة، وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم. والصحيح ما ذكره يونس عن محمّد بن إسحاق قال: بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمّها

(١) مؤثل: متأصل في الشرف.
(٢) الدهيم: من أسماء الداهية، والمعضل: الشديد.
(٣) سقط في ط.
(٤) صأصأ: كاد يفتح عينيه.

خالد بن سعيد بن العاص. قلت: وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة، كما قال يونس عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمري إلى النجاشي، فزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وساق عنه أربعمائة دينار.

وقال الزبير بن بكار: حدَّثني محمّد بن الحسن عن أبيه، عن عبد اللّه بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو: أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلاّ برسول النجاشي جارية يقال لها: أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فاستأذنتْ عليَّ فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لكِ إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجكهِ، فقلت: بشرك الله بالخير، وقالت: يقول لك الملك وكّلي من يزوّجك. قالت: فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكّلته، وأعطيتُ أبرهة سوارين من فضّة وخذمتين من فضّة كانتا عليَّ، وخواتيم من فضّة في كل أصابع رجلي، سروراً بما بشّرتني به. فلما أن كان من العشي، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدُّوس [السلام][(1)] المؤمن [المهيمن][(2)]، العزيز الجبَّار، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسى ابن مريم. أما بعد، فإن رسول الله ﷺ طلب أن أزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلّم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه، ولو كره المشركون. أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن من سنّة الأنبياء إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا.

قلت: فلعلّ عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق، إنما كان في قضيّة أم حبيبة فالله أعلم. لكن قال الحافظ البيهقي: ذكر أبو عبد اللّه بن مندة أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست، وأن تزويجة بأم سَلَمة كان في سنة أربع. **قلت:** وكذا قال خليفة وأبو عُبَيد اللّه معمر بن المثنّى وابن البرقي، وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست، وقال بعض الناس سنة سبع. [قال البيهقي: وذهب ابن إسحاق إلى أنه عليه السلام تزوج بأم حبيبة قبل أم سَلَمة.][(3)] قال البيهقي: هو أشبه، **قلت:** قد تقدم تزويجه عليه السلام بأمّ سَلَمة في أواخر سنة أربع، وأما أم حبيبة فيحتمل أن

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) ما بين المعقوفين سقط في ط.

يكون قبل ذلك، ويحتمل أن يكون بعده، وكونه بعد الخندق أشبه لما تقدّم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي، فهو في قضيتها والله أعلم. وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة: أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوّجها. وحكي عن بعضهم أنه تزوّجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمّار اليماني، عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عبّاس: أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطنيهن. قال: «نَعَمْ». قال: تؤمّرني على أن أقاتل الكفّار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «نَعَمْ». قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: «نَعَمْ». قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوّجكها. الحديث بتمامه.

قال ابن الأثير: وهذا الحديث مما أنكر على مسلم، لأن أبا سفيان لما جاء يجدّد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبيّ ﷺ، فقال: والله ما أدري أرغبتِ بي عنه، أو به عني؟ قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مُشْرِك. فقال: والله لقد أصابك بعدي يا بنيّة شرّ. وقال ابن حزم: هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمّار، وهذا القول منه لا يتابع عليه. وقال آخرون: أراد أن يجدّد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه. وقال بعضهم: لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه. وهذه كلّها ضعيفة، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوّجه ابنته الأخرى، عَمْرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين، وإنما وَهَم الراوي في تسميته أم حبيبة، وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً. قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم: توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: توفيت قبل معاوية لسنة، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين.

تزويجه عليه [الصلاة و](١) السلام بزينب بنت جحش

ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية أم المؤمنين، وهي بنت أُمَيْمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة: تزوّجها عليه السلام سنة خمس، زاد بعضهم في ذي القعدة؛ قال الحافظ البيهقي: تزوّجها بعد بني قُرَيْظة، وقال خليفة بن خياط وأبو عُبَيْدة معمر بن المثنّى وابن منده: تزوّجها سنة ثلاث، والأول أشهر، وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ، وقد ذكر غير واحد من المفسّرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مُسْنَده تركنا إيراده قصداً، لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

(١) سقط من أ.

وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأحزاب ٣٧]. ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأحزاب ٣٨].

وقد تكلّمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية، فالمراد بالذي أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق، وزوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش. قال مقاتل بن حبان: وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة ودرعاً وخمسين مداً [من طعام](١)، وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله ﷺ فكان ﷺ يقول له: «اتّقِ اللّه وأمسكْ عليكَ زوجَك». قال الله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال علي بن الحسين زين العابدين والسدّي: كان الله قد علم أنها ستكون من أزواجه، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام. وقد تكلّم كثير من السلف ها هنا بآثار غريبة وبعضها فيه نظر تركناها. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾، ذلك أن زيداً طلّقها، فلما انقضت عدّتها بعث إليها رسول الله ﷺ يخطبها إلى نفسها، ثم تزوّجها، وكان الذي زوّجها منه ربّ العالمين تبارك وتعالى، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس بن مالك: أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات(٢). وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال: كانت زينب تفخر على نساء رسول الله وتقول: أنكحني الله من السماء. وفيها أنزلت آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾(٣) [سورة الأحزاب ٥٣] الآية. وروى البيهقي من حديث حمّاد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله ﷺ يقول: «اتّقِ اللّه وأمسكْ عليكَ زوجَك»، قال أنس: فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبيّ ﷺ تقول: زوجكن أهليكن، وزوّجني الله من فوق سبع سماوات، ثم قال: رواه البخاري عن أحمد عن محمّد بن أبي بكر المقدمي، عن حمّاد بن زيد، ثم روى البيهقي من طريق عفّان، عن حمّاد بن زيد، عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبيّ ﷺ: «أمسِكْ عَلَيْكَ أهلَكَ» فنزلت: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ثم قال البخاري عن محمّد بن عبد الرحيم، عن معلى بن منصور، عن محمّد مختصراً، وقال ابن جرير: حدّثنا ابن حميد، حدّثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي قال: كانت زينب

(١) سقط من أ.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٢٢.

تقول للنبي ﷺ إني لأدلّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلّ بهن: إن جدّي وجدّك واحد، تعني عبد المطلب، فإنه أبو أبي النبيّ ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب، وإني أنكحنيك الله عزّ وجلّ من السماء، وإن السفير جبريل عليه السلام. وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم - يعني ابن القاسم - حدّثنا النضر، حدّثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: لما انقضت عدّة زينب قال النبيّ ﷺ لزيد: «اذهبْ فاذْكرْها عليّ»، فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، إن رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي. وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي عزّ وجلّ، ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال أنس: ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدّثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نسائه يسلّم عليهن ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته، والقوم قد خرجوا أو أخبر. قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية؛ وكذا رواه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة.

[ذكر][1] نزول الحجاب صبيحة [عرس][2] زينب رضي الله عنها التي ولى الله عقد نكاحها

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها[3] من أمهات المؤمنين، وذلك وفق الرأي العمري. قال البخاري: حدّثنا محمّد بن عبد الله الرقّاش، حدّثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي حدّثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك قال: لما تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وجلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، وجاء النبيّ ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبيّ ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية، وقد رواه البخاري في مواضع أُخر، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر. ثم رواه البخاري منفرداً به، من حديث أيوب عن أَبي قلابة، عن أنس نحوه. وقال البخاري: حدّثنا أَبو معمر، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بُني على النبيّ ﷺ بزينب بنت جحش بخبز

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) في ط: لأنواتها.

ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت: يا نبيّ الله ما أجد أحداً أدعوه. قال: «ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ»، وبقي ثلاثة رهط يتحدّثون في البيت، فخرج النبيّ ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، قالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟ فتقرّى حجر نسائه كلّهن، ويقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبيّ ﷺ فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدّثون، وكان النبيّ ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا، فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب، وأخرى خارجه، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب؛ تفرّد به البخاري من هذا الوجه. ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق، هو ابن نصر، عن عبد اللّه بن بكير السهمي، عن حميد بن أنس بنحو ذلك، وقال «رجلان» بدل ثلاثة فالله أعلم.

قال البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان، عن أنس فذكر نحوه.
وقد قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو المظفر، حدّثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليَشْكُري، عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه، فصنعت أم سليم حيساً[١]، ثم حطته في ثور، فقالت: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هذا منّا له قليل، قال أنس: والناس يومئذ في جهد، فجئت فقلت: يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك، وهي تقرئك السلام، وتقول إن هذا منا له قليل، فنظر إليه ثم قال: «ضَعْهُ فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ»، ثم قال: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَاناً وَفُلَاناً»، فَسَمَّى رِجَالاً كَثِيراً، قال: «وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ المُسْلِمِينَ»، فدعوت من قال لي، ومن لقيتُ من المسلمين، فجئت والبيت والصفة والحجرة ملاء من الناس. فقلت: يا أبا عثمان كم كانوا؟ قال: كانوا زهاء ثلاثمائة. قال أنس: فقال لي رسول الله ﷺ جىء فجئت به إليه، فوضع يده عليه ودعا، وقال: «مَا شَاءَ اللّهُ»، ثم قال: «لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، وَيُسَمُّوا وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ»، فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلّهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «ارْفَعْهُ» قال: فجئت فأخذت الثور، فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته؛ قال: وتخلّف رجال يتحدّثون في بيت رسول الله ﷺ، وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله ﷺ، وكان أشد الناس حياء، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً، فقام رسول الله ﷺ فسلّم على حجره، وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنّوا أنهم قد ثقلوا عليه، ابتدروا الباب فخرجوا، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل البيت وأنا في الحجرة، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً، وأنزل الله القرآن، فخرج وهو يقرأ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ

(١) الحيس: طعام من تمر وسمن.

فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأحزاب ٥٣، ٥٤] قال أنس فقرأهن عليَّ قبل الناس، وأنا أَحْدَثُ الناس بهنّ عهداً. وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عثمان به. وقال الترمذي حسن صحيح؛ ورواه مسلم أيضاً عن محمّد بن رافع، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الجعد أبي عثمان به، وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بشر الأَحْمَسيّ الكوفي، عن أنس بنحوه. ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نضرة العَبْديّ عن أنس بنحوه، ولم يخرجوه. ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد، ومن حديث الزّهري عن أنس نحو ذلك. قلت: كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأُوَل، وكانت كثيرة الخير والصدقة، وكان اسمها أولاً برة فسمّاها النبيّ ﷺ زينب، وكانت تكنى بأم الحكم، قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة. وثبت في الصحيحين كما سيأتي في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت: وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش وهي التي كانت تساميني من نساء النبيّ ﷺ، فعصمها الله بالوَرَع، فقالت: يا رسول الله أحمي سَمَعي وبصري، ما علمت إلاّ خيراً. وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدّثنا محمود بن غيلان، حدّثنا الفضل بن موسى الشيباني، حدّثنا طلحة بن يحيى بن طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أَسْرَعُكُنَّ لُحوقاً بي أَطْوَلُكُنَّ يَداً»**، قالت: فكنا نتطاول أينا أطول يداً، قالت: فكانت زينب أطولنا يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. انفرد به مسلم. قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ توفيت سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفنت بالبقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش.

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي: كان يقال في المحرم منها سريّة محمّد بن مَسْلَمة قِبل نجد، وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي قلت: لكن في سياق ابن إسحاق عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنه شهد ذلك، وهو إنما هاجر بعد خَيْبر فيؤخذ إلى ما بعدها والله أعلم . وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لِحيان على الصحيح، قال ابن إسحاق: وكان فتح بني قُرَيْظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجّة، وولى تلك الحجّة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع، وخرج في جُمَادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قُرَيْظة إلى بني لِحْيان يطلب بأصحاب الرَّجيع: خُبَيْب وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّة. قال ابن هشام

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه، فتحصّنوا في رؤوس الجبال، فمال إلى عُسفان فلقي بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدّم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع، وهنالك ذكرها البيهقي، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد [الخندق](١)، وقد ثبت أنه صلّى بعُسْفان يوم بني لِحيان، فلتكتب ها هنا وتحول من هناك اتباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده، كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمّد بن إسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لِحيان: [الطويل]

لَوْ أَنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقِ(٢)
لَقُوا سَرَعَاناً يَمْلأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ ... أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجَرَّةِ فَيْلَقِ(٣)
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وِبَاراً تَتَبَّعَتْ ... شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفَّقِ(٤)

غزوة ذي قَرد

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عُيَيْنة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزاري في خيل من غطفان على لقاح النبيّ ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غِفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح. قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدّث في غزوة ذي قَرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر(٥) بهم سَلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عُبَيد الله، معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنيّة الوَداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سَلْع، ثم صرخ: واصباحاه! ثم خرج يشتدّ في آثار القوم، وكان مثل السّبع حتى لحق بالقوم، فجعل يردّهم بالنبل ويقول: [الرجز]

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ(٦)

فإذا وجّهت الخيل نحوه، انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال: [الرجز]

---

(١) سقط في ط.

(٢) تناظروا: انتظروا. العصب: الجماعات.

(٣) السرعان: أول القوم، والسرب (بفتح السين) الطريق. و(بكسر السين): النفس وكلا المعنيين محتمل. والطحون: الكتيبة تطحن كل ما تمر به.

(٤) الوبار: ج وبر، وهي دويبة على قدر الهرة. يشبّه بها الضعيف. غير ذي متنفق: أي ليس له باب يخرج منه.

(٥) نذر: علم.

(٦) الرضع: ج راضع، وهو اللئيم، والمعنى: اليوم يوم هلاك اللئام.

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قال فيقول قائلهم: أويكعنا هو أوّل النهار. قال: وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع. فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود، ثم عبّاد بن بشر، وسعد بن زيد، وأسيد بن ظهير ـ يشكّ فيه ـ، وعكاشة بن محصن، ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، أخو بني سَلِمة، وأبو عياش عُبَيْد بن زيد بن صامت، أخو بني زُرَيْق. قال: فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمّر عليهم سعد بن زيد ثم قال: «اخْرُجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِي النَّاسِ»، وقد قال النبيّ ﷺ لأبي عياش فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق: «يا أبا عياشٍ لو أعطيت هذا الفرس رَجُلاً هُوَ أفرس منك فلحق بالقَوْم»، قال أبو عياش: فقلت يا رسول اللّه: أنا أفرس الناس. ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني، فعجبت من ذلك، فزعم رجال من [بني][1] زُرَيْق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وكان ثامناً. قال: وبعض الناس يعد سَلَمة بن الأكوع ثامناً، ويطرح أسيد بن ظهير فالله أعلم أي ذلك كان. قال: ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً، قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. قال: فخرج الفرسان حتى تلاحقوا، فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضْلة وكان يقال له الأخرم، ويقال له: قُمَير وكانت الفرس التي تحته لمحمود بن مَسْلَمة، وكان يقال للفرس: ذو اللمة، فلما انتهى إلى العدو قال لهم: قفوا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار قال: فحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية[2] من بني عبد الأشهل أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة.

قال ابن إسحاق: ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره، قال ابن هشام: وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقّاص بن مُجَزّز المدلجي. قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض من لا أتهم عن عبد اللّه بن كعب بن مالك أن مُحرزاً كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال لها: الجَنَاح فقتل محرز واستلب جَناح فالله أعلم.

قال: ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عُيَينة وغشّاه برده، ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فإذا حَبيب مسجّى ببرد أَبي قَتَادة فاسترجع الناس، وقالوا: قُتِل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: «لَيسَ بِأَبِي قَتَادَةَ وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لأَبِي قَتَادَةَ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لِتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ» قال: وأدرك عُكاشة بن مِحْصن أوْباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، قال: وسار رسول الله ﷺ حتى

(١) سقط في ط.

(٢) الآري: حبل تشد به الدابة، وقد يسمى موضع وقوفها أيضاً: آرياً.

نزل بالجبل من ذي قَرَد، وتلاحق به الناس، فأقام عليه يوماً وليلة، وقال له سَلَمة بن الأكْوع يا رسول الله لو سرّحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيّة السّرح، وأخذت بأعناق القوم، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «إِنَّهُمُ الآنَ لَيُغْبِقُونَ[١] فِي غَطَفَانَ»، فقسّم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جَزُوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة. قال: وأفلتت[٢] امرأة الغفَاريّ على ناقة من إبل النبيّ ﷺ حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله إني قد نذرت الله أن أنحرها إن نجّاني الله عليها، قال: فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بِئْسَمَا جَزَيْتِيهَا أَنْ حَمَلَكِ اللّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ بِهَا، ثُمَّ تَنْحرِينَهَا! إِنَّهُ لاَ نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هِي نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكِ عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ» قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكّي عن الحسن البَصْريّ. هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصّة بما ذكر من الإسناد والسياق. وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خَيْبر غزوة ذي قَرَد؛ وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبيّ ﷺ قبل خَيْبر بثلاث. حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم عن يزيد بن أبي عُبَيْد، سمعت سَلَمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذّن بالأولى[٣]، وكانت لقاح النبيّ ﷺ ترعى بذي قَرَد، قال: فلقيني غلام لعبد الرّحمٰن بن عوف، فقال: أُخِذَت لقاح النبيّ ﷺ، فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات: واصباحاه قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت رامياً، وأقول أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضّع. وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة، قال: وجاء النبيّ ﷺ والناس، فقلت: يا رسول الله قد حميت القوم الماء[٤] وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال: «يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ» ثم رجعنا وردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة[٥]. وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به، ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي، عن يزيد بن أَبي عُبَيْدة، عن مولاه سلمة بنحوه.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا هاشم بن القاسم، حدّثنا عكرمة بن عمّار، حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: قدمنا المدينة زمن الحُدَيْبِيَة مع رسول الله ﷺ، فخرجت أنا ورباح غلام النبيّ ﷺ بظهر رسول الله ﷺ، وخرجت بفَرَس لطلحة بن عُبَيد اللّه، أريد أن أنديه مع الإبل، فلما كان بغلس أغار عبد الرّحمٰن بن عُيَيْنة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها، وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل، فقلت: يا رباح اقعد على هذا الفرس

(١) يغبقون: يسقون اللبن بالعشي.

(٢) ف ط: وأقبلت.

(٣) أي صلاة الصبح.

(٤) أي منعتهم من الشرب.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٧، والجهاد باب ١٦٦، ومسلم في الجهاد حديث ١٣١.

فألحقه بطلحة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سرحه. قال: وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات: يا صباحاه! قال: ثم اتبعت القوم معي سيفي ونبلي، فجعلت أرميهم وأعقر بهم، وذلك حين يكثر الشجر فإذا رجع إليّ فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يقبل إليّ فارس إلاّ عقرت به، فجعلت أرميهم وأنا أقول: [الرجز]

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قال: فالحق برجل منهم فارميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت: [الرجز]

خُذْهَا وأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فردّيتهم بالحجارة، فما زال ذاك شأني وشأنهم اتبعهم وارتجز، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلاّ خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً، وأكثر من ثلاثين بُرْدة، يستخفون منها، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلاّ جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله ﷺ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عُيَيْنة بن بدر الفزاري مدداً لهم، وهم في ثنيَّةٍ ضيّقة، ثم علوت الجبل، فأنا فوقهم، فقال عُيَيْنة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن، وأخذ كل شيء بأيدينا، وجعله وراء ظهره. فقال عُيَيْنة: لولا أن هذا يُرَى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليقم إليه نفر منكم. فقام إليه نفر منهم أربعة، فصعدوا في الجبل فلما أسمعتهم الصوت قلت: أتعرفونني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع، والذي كرّم وجه محمّد لا يطلبني رجل منكم فيدركني، ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم: إنْ أظن. قال: فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، وإذا أولهم الأخرم الأسدي، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي، فولى المشركون مدبرين، وأنزل من الجبل فآخذ عنان فرسه، فقلت: يا أخرم أنذر القوم - يعني احذرهم - فإني لا آمن أن يقتطعوك، فاتئد[1] حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سَلَمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنّة حق والنار حق، فلا تَحُل بيني وبين الشهادة. قال: فخليت عنان فرسه، فيلحق بعبد الرّحمٰن بن عُيَيْنة ويعطف عليه عبد الرّحمٰن، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم بعبد الرّحمٰن، وطعنه عبد الرّحمٰن فقتله، فتحول عبد الرّحمٰن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرّحمٰن، فاختلفا طعنتين فعقر بأَبي قتادة وقتله أبو قتادة، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم. ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غُبَار صحابة النبيّ ﷺ شيئاً، ويعرضون قبل

(١) اتئد: تمهل.

غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له ذو قَرَد، فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم، فعطفوا عنه وأسندوا في الثنيّة، ثنية ذي بئر وغربت الشمس، وألحق رجلاً فأرميه فقلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضّع. قال: فقال: يا ثكل أم أكوع بكرة. فقلت: نعم أي عدو نفسه. وكان الذي رميته بكرة، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان، ويخلّفون فرسين، فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قَرَد، وإذا بنبي الله ﷺ في خمسمائة، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفتُ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله خلّني فأنتخب من أصحابك مائة فآخذ على الكفّار بالعشوة، فلا يبقى منهم مخبر إلاّ قتلته. فقال: «أَكُنْتَ فَاعِلاً ذٰلِكَ يَا سَلَمَةُ؟» قال: قلت: نعم والذي أكرمك، فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء النار، ثم قال: «إِنَّهُمْ يُقْرَوْنَ الآنَ بِأَرْضِ غَطَفَانَ». فجاء رجل من غَطَفان فقال: مرّوا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً، فلما أخذوا يكشطون جلدها ، رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هراباً، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ فُرْسَانِنَا أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»، فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العَضْباء راجعين إلى المدينة، فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبق جعل ينادي: هل من مسابق، ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً، وأنا وراء رسول الله ﷺ مُرْدفي فقلت له: أما تُكْرِم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلاّ رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلّني فلأسابق الرجل. قال: «إِنْ شِئْتَ». قلت: أذهبْ إليك فطفر عن راحلته، وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين، يعني استبقيت من نفسي، ثم إني عدوت حتى ألحقه فاصك بين كتفيه بيدي، قلت: سبقتك والله أو كلمة نحوها، قال: فضحك وقال: إنْ أظن. حتى قدمنا المدينة. وهكذا رواه مسلم[١] من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه، وعنده فسبقته إلى المدينة، فلم نلبث إلاّ ثلاثاً حتى خرجنا إلى خَيبر. ولأجل[٢] هذا السياق. ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحُدَيْبية وقبل خَيْبر، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم. فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة، فإن خَيْبر كانت في صفر منها.

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبيّ ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها، فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزّبير عن الحسن البصْري مرسلاً. وقد جاء متصلاً من وجوه أُخر.

قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد بن زيد، حدّثنا أيوب عن أبي قلابة عن أَبي المهلّب، عن عمران بن حُصَين قال: كانت العَضْباء لرجل من بني عَقِيل، وكانت من سوابق الحاج، فأخذت العضباء معه، قال: فمرّ به رسول الله ﷺ وهو في وثاق،

(١) كتاب الجهاد حديث ١٣٢.

(٢) في ط: ولأحمد.

ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة[١]، فقال: يا محمّد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج؟ فقال رسول الله ﷺ: «نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف». قال: وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبيّ ﷺ. وقال: وفيما قال إني مسلم، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الفلاح»، قال: ومضى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إني جائع فأطعمني، وإني ظمآن فاسقني، فقال رسول الله ﷺ: «هذه حَاجَتُك»، ثم فدى بالرجلين وحبس رسول الله ﷺ العَضْباء لرحله. قال: ثم إن المشركين أغاروا على سَرْح المدينة، فذهبوا به، وكانت العَضْباء فيه وأسروا امرأة من المسلمين. قال: وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفنيتهم، قال: فقامت المرأة ذات ليلة بعدما نوموا فجعلت كلما أتت على بعير رغا، حتى أتت على العضباء فأتت على ناقة ذلول مجرسة، فركبتها ثم وجّهتها قِبَل المدينة، قال: ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنّها، فلما قدمت المدينة عُرفت الناقة، فقيل: ناقة رسول الله ﷺ، قال: وأُخبر رسول الله ﷺ بنذرها أو أتته فأخبرته، فقال: «بِئْسَ مَا جزيْتِيها، أو بئس ما جزتها أَنْ أنجاها الله عليها لتنحرنَّها». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «لاَ وَفاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيةِ اللَّهِ، ولا فِيما لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدم». ورواه مسلم[٢] عن أبي الربيع الزهراني عن حمّاد بن زيد.

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قَرَد قول حسّان بن ثابت رضي الله عنه: [الكامل]

لَوْلاَ الَّذِي لاَقَتْ وَمَسَّ نُسُورَهَا ... بِجَنُوبِ سَايَةَ أَمْسِ فِي التَّقْوَادِ[٣]
لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِي الحَقِيقَةِ مَاجِدِ الأَجْدَادِ
وَلَسَرَّ أَوْلاَدَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ المِقْدَادِ
كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً ... لَجِباً فَشُكُّوا بِالرِّمَاحِ بَدَادِ[٤]
كُنَّا مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ
كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الأَطْوَادِ[٥]
حَتَّى نُبِيلَ الخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ... وَنَؤُوبَ بِالمَلَكَاتِ وَالأَوْلاَدِ[٦]

---

(١) قطيفة: دثار من فحمل.

(٢) كتاب النذور حديث ٨.

(٣) لاقت: الضمير يعود إلى الخيل وهو مستتر، والنسور: ما يكون في باطن حافة الدابة، مثل الحصى أو النوى. ساية: موضع.

(٤) الجحفل: الجيش الكبير. اللجب: كثير الأصوات، ولا يكون إلا عن كثرة عدده. شكوا: طعنوا. بداد: من التبدد، وهو التفرّق.

(٥) الراقصات: الإبل، والرقص: ضرب من مشيها. والأطواد: الجبال المرتفعة. المخارم: الطرق بين الجبال.

(٦) نبيل: نجعلها تبول. عرصات: وسط الدار، وهي جمع عرصة. الملكات: النساء الحرائر يسبين في الحرب.

رَهْــواً بِـكُــلِّ مُـقَـلِّـصٍ وَطِـمِـرَّةٍ فِـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ عَـطَـفْـنَ وَوَادِ(١)
أَفْـنَـى دَوَابِـرَهَـا وَلاَحَ مُـتُـونَـهَـا يَـوْمٌ تُـقَـادُ بِـهِ وَيَـوْمُ طِـرَادِ(٢)
فَـكَـذَاكَ إِنَّ جِـيَـادَنَـا مَـلْـبُـونَـةٌ(٣) وَالـحَـرْبُ مُـشْـعَـلَـةٌ بِـرِيـحِ غَـوَادِ
وَسُـيُـوفُـنَـا بِـيـضُ الـحَـدَائِـدِ تَـجْـتَـلِـي جُـنَـنَ الـحَـدِيـدِ وَهَـامَـةَ الـمُـرْتَـادِ(٤)
أَخَـذَ الإِلَـهُ عَـلَـيْـهِـمُ لِـحَـرَامِـهِ وَلِـعِـزَّةِ الـرَّحْـمَـنِ بِـالأَسْـدَادِ
كَـانُـوا بِـدَارِ نَـاعِـمِـيـنَ فَـبُـدِّلُـوا أَيَّـامَ ذِي قَـرَدٍ وُجُـوهَ عِـنَـادِ

قال ابن إسحاق: فغضب سعد بن زيد أمير سريّة الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسَّان، وحلف لا يكلّمه أبداً، وقال: انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد. فاعتذر إليه حسَّان بأنه وافق الرويّ اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد: [الرجز]

إِذَا أَرَدْتُـمُ الأَشَـدَّ الـجَـلْـدَا أَوْ ذَا غَـنَـاءٍ فَـعَـلَـيْـكُـمْ سَـعْـدَا
سَـعْـدُ بْـنُ زَيْـدٍ لاَ يُـهَـدُّ هَـدَّا

قال: فلم تقع منه بموقع. وقال حسَّان بن ثابت في يوم ذي قَرَد: [المتقارب]

أَظَـنَّ عُـيَـيْـنَـةُ إِذْ زَارَهَـا بِـأَنْ سَـوْفَ يَـهْـدِمُ فِـيـهَـا قُـصُـورَا
فَـأَكْـذَبْـتُ مَـا كُـنْـتَ صَـدَّقْـتَـهُ وَقُـلْـتُـمْ سَـنَـغْـنَـمُ أَمْـراً كَـبِـيـرَا
فَـعِـفْـتَ الـمَـدِيـنَـةَ إِذْ زُرْتَـهَـا وَآنَـسْـتَ لِـلأُسْـدِ فِـيـهَـا زَئِـيـرَا
وَوَلَّـوْا سِـرَاعـاً كَـشَـدِّ الـنَّـعَـامِ وَلَـمْ يَـكْـشِـفُـوا عَـنْ مُـلِـطٍّ حَـصِـيـرَا(٥)
أَمِـيـرٌ عَـلَـيْـنَـا رَسُـولُ الـمَـلِـيـكِ أَحْـبِـبْ بِـذَاكَ إِلَـيْـنَـا أَمِـيـرَا
رَسُـولٌ يُـصَـدِّقُ مَـا جَـاءَهُ وَيَـتْـلُـو كِـتَـابـاً مُـضِـيـئـاً مُـنِـيـرَا

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قَرَد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين: [الطويل]

أَيَـحْـسَـبُ أَوْلاَدُ الـلَّـقِـيـطَـةِ أَنَّـنَـا عَلَى الخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الفَوَارِسِ
وَإِنَّـا أُنَـاسٌ لاَ نَـرَى الـقَـتْـلَ سُـبَّـةً وَلاَ نَـنْـثَـنِـي عِنْدَ الرِّمَاحِ المَدَاعِسِ(٦)

(١) الرهو: المشي في سكون. مقلص: مشمّر. طمرة: فرس وثابة سريعة.
(٢) دوابرها: أواخرها. لاح: غير وأضعف. الطراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً.
(٣) ملبونة: تسقى اللبن.
(٤) تجتلي: تقطع، والجنن: ج جنة، وهي السلاح. المرتاد: الطالب للحرب.
(٥) الشد: الجري. ولم يكشفوا عن ملط حصيرا: أي لم يصيبوا بعيراً، ولا كشفوا عنه حصيرا. والملط: من قولهم لطت الناقة وألطت بذنبها: إذا أدخلته بين رجليها.
(٦) المداعس: المطاعن، يقال دعسه بالرمح؛ إذا طعنه.

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعَ الذُّرَى ... وَنَضْرِبُ رَأْسَ الأَبْلَجِ المُتَشَاوِسِ[١]
نَرُدُّ كُمَاةَ المُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا ... بِضَرْبٍ يُسَلِّي نَخْوةَ المُتَقَاعِسِ[٢]
بِكُلِّ فَتًى حَامِي الحَقِيقَةِ مَاجِدٍ ... كَرِيمٍ كَسِرْحَانِ الغَضَاةِ مُخَالِسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَبِلاَدِهِمْ ... بِبِيضٍ تَقُدُّ الهَامَ تَحْتَ القَوَانِسِ
فَسَائِلْ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ ... بِمَا فَعَلَ الإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارُسِ[٣]
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمْ ... وَلاَ تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي المَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ ... بِهِ وَحَرٌ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارِسِ[٤]

غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري: وهي غزوة المُرَيْسيع. قال محمّد بن إسحاق وذلك في سنة ست. وقال موسى بن عقبة سنة أربع. وقال النعمان بن راشد عن الزهري: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع، هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة، أنها كانت في سنة أربع. والذي حكاه عنه وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس. وقال الواقدي: كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه. وقال محمّد بن إسحاق بن يسار، بعدما أورد قصّة ذي قَرَد، فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب، ثم غزا بني المُصْطَلِق من خُزاعة في شعبان سنة ست.

قال ابن هشام واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغفاري، ويقال نُميلة بن عبد اللّه الليثي. قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد اللّه بن أبي بكر، ومحمّد بن يحيى بن حَبّان كل قد حدَّثني بعض حديث بني المصطلق قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث، التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هذا، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المُرَيْسيع من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه. وقال الواقدي خرج رسول الله ﷺ لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه إلى بني المصطلق، وكانوا حلفاء بني مدلج، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أَبي بكر الصديق، ويقال إلى عمّار بن ياسر، وراية الأنصار إلى سعد بن

---

(١) القمع: ج قمعة، وهي أعلى سنام البعير، والذرا: الأسنمة. الأبلج: المتكبر. والمتشاوس: الذي ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر.

(٢) انتخوا: تكبروا. المتقاعس: الذي لا يلين ولا ينقاد.

(٣) التمارس: المضاربة في الحرب.

(٤) خادر: أي أسد خادر، وهو الذي يلزم أجمته، والوحر: الحقد.

عبادة، ثم أمر عمر بن الخطاب فنادى في الناس أن قولوا لا إله إلاّ الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين إلاّ رجل واحد. وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال: قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون في أنعامهم تسقي على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى سبيهم، فأصاب يومئذ - أحسبه قال - جُوَيْرية بنت الحارث. وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش. قال ابن إسحاق: وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صُبَابة أصابه رجل من الأنصار، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

وذكر ابن إسحاق أن أخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام، فطلب ديّة أخيه هشام من رسول الله ﷺ لأنه قتل خطأ، فأعطاه ديّته، ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ورجع مرتداً إلى مكة وقال في ذلك: [الطويل]

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالقَاعِ مُسْنَداً ... يُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِمَاءُ الأَخَادِعِ (١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِمّ فَتَحْمِينِي وِطَاءَ المَضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتي (٢) ... وَكُنْتُ إِلَى الأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَأَرْتُ بِهِ فِهْراً وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ ... سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٣)

قلت: ولهذا كان مقيس هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم، وإن وجدوا معلّقين بأستار الكعبة. قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا فصرخ الجَهْني: يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حَدث فقال: أوَقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدُّنا وجلابيب قريش هذه إلاّ كما قال الأول «سمّن كلبك يأكلك» أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: من مرّ به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: **«فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ لاَ**

---

(١) الأخادع: عروق القفا.
(٢) وتري: ثأري، والوتر: طلب الثأر. والثؤرة: الثأر.
(٣) العقل: الدية. فارع: حصن لهم.

وَلَكِنْ آذِنْ بِالرَّحِيلِ» . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس وقد مشى عبد اللّه بن أُبيّ ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلّغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدباً على ابن أُبيّ ودفعاً عنه. فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أُسَيْد بن حُضَير فحيّاه بتحيّة النبوة وسلّم عليه وقال: يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها. فقال له رسول الله ﷺ: «أَوَمَا بلَغَكَ ما قَالَ صَاحِبُكُمْ؟» قال: أي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ» . قال: وما قال؟ قال: «زَعَمَ أنَّهُ إنْ رَجَعَ إلَى المَدِينَةِ أخْرَجَ الأعزُّ مِنْهَا الأذلَّ» ، قال: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إنْ شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد اللّه بن أُبيّ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع، يقال له بقعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ تَخوّفُوهَا فإنَّمَا هَبتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الكُفَّارِ» . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنقاع، وكان عظيماً من عظماء اليهود، وكهفاً للمنافقين، مات ذلك اليوم. وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي. وروى مسلم من طريق الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر نحو هذه القصّة، إلاّ أنه لم يسمّ الذي مات من المنافقين، قال: هبت ريح شديدة والنبيّ ﷺ في بعض أسفاره، فقال: «هٰذِهِ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ» ، فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين. قال ابن إسحاق: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أُبيّ، ومن كان على مثل أمره، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم وقال: هذا الذي أوفى لله بإذنه. قلت: وقد تكلّمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية عن إعادته ها هنا، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ولله الحمد والمنّة، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه ها هنا، فليطلبه من هناك وبالله التوفيق. قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد اللّه بن عبد اللّه بن أُبيّ ابن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد اللّه بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمر لي به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد اللّه بن أُبيّ يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ

مَعَنَا». وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطّاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كَيفَ تَرَى يَا عُمَرُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتَ لي اقتله لأُرْعِدَتْ لَهُ أَنْفٌ لَوْ أَمَرْتَهَا اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ». فقال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد اللّه رضي الله عنه وقف لأبيه عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول عند مضيق المدينة، فقال: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له، فأرسله حتى دخل المدينة. قال ابن إسحاق: وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس، وقَتل علي بن أبي طالب منهم رجلين: مالكاً وابنه. قال ابن هشام وكان شعار المسلمين: يا منصور أمِت أمِت.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً فقسّمهم في المسلمين، وقال البخاري حدّثنا قتيبة بن سعيد، أخبرني إسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن محمّد بن يحيى بن حَبّان، عن ابن مُحَيْريز أنه قال: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري، فجلست إليه فسألته عن العزل، فقال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فأصبنا سبياً من سَبْي العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزوبة، وأحببنا العَزْل، وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله، فسألناه عن ذلك فقال: «مَا عَلَيكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلاَّ كَائِنَةٌ»(١)، وهكذا رواه. قال ابن إسحاق: وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضرار، فحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة قالت: لما قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جُوَيْرِيَة بنت الحارث في السّهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عمّ له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلاّ أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها قالت: فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلتْ عليه فقالت: يا رسول الله أنا جُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عمّ له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ». قالت: نعم يا رسول الله قد فعلتُ. قالت: وخرجَ الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوّج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها(٢). ثم ذكر ابن إسحاق

(١) أخرجه البخاري في البيوع باب ١٠٩، ومسلم في النكاح حديث ١٢٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٧٧.

قصّة الإفك بتمامها في هذه الغزوة، وكذلك البخاري وغير واحد من أهل العلم، وقد حرّرت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليلحق بكماله إلى ها هنا وبالله المستعان.

وقال الواقدي: حدّثنا حرام عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت جُوَيْرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبيّ ﷺ بثلاث ليال، كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس، حتى قدم رسول الله ﷺ، فلمّا سُبينا رجوت الرؤيا قالت: فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوّجني، والله ما كلّمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلاّ بجارية من بنات عمّي تخبرني الخبر، فحمدت الله تعالى. قال الواقدي: ويقال إن رسول الله ﷺ جعل صداقها [عتق][1] أربعين من بني المصطلق. وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباها طلبها وافتداها، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوّجه إيّاها.

حديث[2] الإفك

وهذا سياق محمّد بن إسحاق حديثَ الإفك: قال ابن إسحاق: حدَّثني الزهري عن علقمة بن وقاص، وسعيد بن المُسَيّب، وعروة بن الزبير، وعبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة قال الزهري: وكل قد حدَّثني بهذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت كل الذي حدَّثني القوم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه، عن عائشة وعبد اللّه بن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرَّحمٰن، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً، يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلّهم حدّث عنها بما سمع قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع[3] بين نسائه، فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها معه، فلما كان غزوة بني المصطلق أَقْرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنّ معه، فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلَق لم يَهْيجِهن[4] اللحم فيثقلن، وكنت إذا رُحّل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملونني، ويأخذون بأسفل الهَوْدج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعضَ الليل، ثم أذّن مؤذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي فيه جَزْع[5]

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: قصة.

(٣) أقرع: أجرى القرعة.

(٤) في ط: يهجن.

(٥) الجزع: الخرز، ظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء، وينسب إليها الجزع الظفاري.

ظفار فلما فرغت انسلَّ من عنقي ولا أدري، فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنّون أني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدّوه على البعير، ولم يشكّوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب، قد انطلق الناس. قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو افتُقدت لرجع الناس إليّ. قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ثم الذكواني. قال السهيلي: وكان على السّاقة يلتقط ما يسقط من متاع المشائين حتى يأتيهم به فلهذا تأخر بعد الجيش، قال: وقد قيل إنما كان تأخره بسبب ثقل نومه قال: ويشهد لصحة هذا الحديث الذي رواه أبو داود أن امرأته اشتكته إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إنه ينام عن صلاة الصبح ويضربني إذا صلّيت ويُفطّرني إذا صُمت فذكر أنه ثقيل النوم وأنهم أهل بيت معروف لهم ذلك فقال له رسول الله: «إذا استيقظت فصلِ» وذكر أن امرأته تطيل الصلاة وتقرأ فيها بما يقرأ به في صلاته وأنها تكثر الصيام وهو حاضر فنهى رسول الله أن تصوم المرأة وزوجها شاهد إلاّ بإذنه الحديث. قال السهيلي: وقتل صفوان شهيداً في خلافة معاوية وقد اندقت رجله يوم قتل رضي الله عنه ودفن بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط. و[قد][1] كان تخلف عن العسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ؟ وأنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلّفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلّمته. ثم قرّب إليّ البعير فقال: اركبي واستأخر عنّي. قالت: فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء. وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلاّ أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي، ذلك فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي[2] تمرّضني قال: «كَيفَ تِيكُمْ؟» لا يزيد على ذلك، قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لي: لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرّضتني، قال: «لاَ عَلَيْكِ»، قالت: فانقلبت إلى أمي ولا علم لي

---

(١) في ط: وكان قد.

(٢) قال ابن هشام: هي أم رومان، واسمها زينب بنت عبد دهمان، أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ـ.

بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنّا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف[1] التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطح ابنة أبي رهم بن المطّلب [بن عبد مناف وكانت أمّها ابنة صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم خالة أبي بكر الصّدّيق][2]، قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها[3] فقالت: تَعِس مِسْطح (ومسطح لقب واسمه عوف) قالت: فقلت: بئس لعمر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين، وقد شهد بدراً، قالت: أوما بلغكِ الخبر يا بنت أَبي بكر، قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان، قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدّث الناس بما تحدّثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي بنيّة خفّفي عليك الشأن، فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبّها لها ضرائر إلاّ كثرن، وكثر الناس عليها، قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم، ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيَهَا النّاسُ مَا بالُ رجَالٍ يُؤذُونني في أهْلِي، ويقُولُونَ عَلَيهِمْ غيْرَ الحَقّ، وَاللّهِ مَا علمْتُ عَلَيهِمْ إلاّ خيْراً، ويَقُولُونَ ذلِكَ لرَجُلٍ. واللّهِ مَا عَلِمْتُ مِنهُ إلاّ خيْراً، وَلاَ يَدْخُلُ بَيْتاً منْ بُيُوتي إلاّ وهُوَ معي» قالت: وكان كِبر ذلكَ عند عبد اللّه بن أُبيّ ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مِسْطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلاّ خيراً، وأما حَمْنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها، فشقيت بذلك، فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أُسَيْد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأَوس نكفيكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخَزْرج فمرنا أمرك فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم، قالت فقام سَعْد بن عُبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً فقال: كذبت لعمر الله، ما تضربَ أعناقهم، أمَا والله ما قلت هذه المقالة إلاّ إنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا! فقال: أُسَيْد بن حضير كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: وتثاور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرّ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليّ فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأمّا أسامة فأثنى عليّ خيراً وفاء له[4]: ثم قال: يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلاّ خيراً، وهذا الكذب والباطل. وأما عليّ فإنه قال: يا

---

(١) الكنف: ج كنيف، وهو مكان الغائط.

(٢) سقط في ط.

(٣) المرط: الثوب غير المخيط.

(٤) في ط: وقاله.

رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقَادر على أن تَسْتَخْلف، وَسَل الجارية فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بُرَيْرة يسألها قالت: فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصْدُقي رسول الله ﷺ. قالت فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلاّ أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله. قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكِ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَإِنْ كُنتِ قَدْ قَارَفْتِ سُوءاً[1] مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتُوبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ». قالت: فوالله إن هو إلاّ أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحسّ منه شيئاً، وانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلّما. قالت: وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله فيَّ قرآناً يقرأ به ويُصلى به، ولكني كنت أرجو أن يرى النبيّ ﷺ في نومه شيئاً يكذّب الله به عني، لما يعلم من براءتي ويخبر خبراً، وأما قرآناً ينزل فيَّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك، قالت: فلما لم أرَ أبويَّ يتكلّمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بما نُجيبه. قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما استعجما عليَّ، استعبرتُ فبكيت؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني، قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: ١٨] قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت، وما باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجنّ أنفسهما فَرَقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. قالت: ثم سرّي عن رسول الله ﷺ، فجلس وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمان في يوم شات[2]، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «أَبْشِرِي يا عَائِشَةُ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَرَاءَتَكِ». قالت: قلت: الحمد لله. ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك، ثم أمر بمِسْطح بن أُثاثة وحسّان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضُربوا حَدَّهم[3].

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين عن الزّهري. وهذا السياق فيه فوائد جمة. وذكر حدّ القذف لحسّان ومن معه، ورواه أبو داود في سننه. قال ابن إسحاق: وقال قائل من

---

(١) قارفت سوءاً: دخلت فيه.

(٢) يوم شات: كثير الشتاء.

(٣) أخرجه ابخاري في التوحيد باب ٥٢، والشهادات باب ١٥، ومسلم في التوبة حديث ٥٦.

المسلمين في ضرب حسّان وأصحابه: [الطويل]

لَـقَـدْ ذَاقَ حَـسَّـانُ الَّـذِي كَـانَ أَهْـلَـهُ ... وَحَـمْـنَـةُ إِذْ قَـالُـوا هَـجِـيـراً وَمِـسْـطَـحُ
تَـعَـاطَـوْا بِـرَجْـمِ الـغَـيْـبِ زَوْجَ نَـبِـيِّـهِـمْ ... وَسَخْطَةَ ذِي العَرْشِ الكَرِيمِ فَأُتْرِحُوا[1]
وَآذَوْا رَسُـولَ الـلَّـهِ فِـيـهَـا فَـجُـلِّـلُـوا ... مَـخَـازِيَ تَـبْـقَـى عَـمَّـمُـوهَـا وَفُـضِّـحُـوا
وَصَبَّتْ عَـلَـيْـهِـمْ مُـحْـصَـدَاتٌ[2] كَـأَنَّـهَـا ... شَـآبِـيبُ قَـطْـرٍ فِي ذُرَا الـمَـزْنِ[3] تَـسْـفَـحُ

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسّان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المُعَطّل وجماعة من قريش ممن تخاصم على الماء من أصحاب جَهْجَهاه كما تقدم أوله هي: [البسيط]

أَمْسَى الـجَلاَبِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا ... وَابْنُ الـفُـرَيْـعَـةِ أَمْـسَى بَـيْـضَـةَ الـبَـلَـدِ[4]
قَـدْ ثَـكِّـلَـتْ أُمُّـهُ مَـنْ كُـنْـتَ صَـاحِـبَـهُ ... أَوْ كَـانَ مُـنْـتَـشَـبـاً فِـي بُـرْثُـنِ الأَسَـدِ
مَـا لِـقَـتِـيـلِـي الَّـذِي أَغْـدُو فَـآخُـذُهُ ... مِـنْ دِيَـةٍ فِـيـهِ يُـعْـطَـاهَـا وَلاَ قَـوَدِ
مَـا الـبَـحْـرُ حِـيـنَ تَـهُـبُّ الـرِّيحُ شَـامِـيَـةً ... فَـيَـغْـطَـئِـلُ وَيَـرْمِـي الـعِـبْـرَ بِـالـزَّبَـدِ[5]
يَـوْمَـا بِـأَغْـلَـبَ مِـنِّـي حِـيـنَ تُـبْـصِـرُنِـي ... مِـلْـغَـيْـظِ أَفْـرِي كَـفَـرْيِ الـعَـارِضِ الـبَـرِدِ[6]
أَمَّـا قُـرَيْـشٌ فَـإِنِّـي لاَ أُسَـالِـمُـهَـا ... حَـتَّـى يُـنِـيـبُـوا مِـنَ الـغَـيَّـاتِ لِـلـرُّشُـدِ
وَيَـتْـرُكُـوا الـلاَّتَ وَالـعُـزَّى بِـمَـعْـزِلَـةٍ ... وَيَـسْـجُـدُوا كُـلُّـهُـمْ لِـلْـوَاحِـدِ الـصَّـمَـدِ
وَيَـشْـهَـدُوا أَنَّ مَـا قَـالَ الـرَّسُـولُ لَـهُـمْ ... حَـقـاً[7] فَـيُـوفُـوا بِـحَـقِّ الـلَّـهِ وَالـوُكُـدِ[8]

قال: فاعترضه صفوان بن المعطّل فضربه بالسيف وهو يقول: [الطويل]

تَـلَـقَّ ذُبَـابَ الـسَّـيْـفِ عَـنِّـي فَـإِنَّـنِـي ... غُـلاَمٌ إِذَا هُـوجِـيـتُ لَـسْـتُ بِـشَـاعِـرِ

وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسّان فشد وثاقاً، فلقيه عبد اللّه بن رواحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسّان بالسيف. فقال عبد اللّه: هل علم رسول الله ﷺ بشيء من ذلك؟ قال: لا. فأطلقه، ثم أتوا كلّهم رسول الله ﷺ فقال ابن المعطّل: يا رسول الله آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب فضربته. فقال رسول الله ﷺ: «يا

(١) أترحوا: أصابهم الترح والحزن.
(٢) محصدات: يعني سياطاً محكمة الفتل شديدات.
(٣) المزن: جمع مزنة، وهي السحابة.
(٤) الجلابيب: الغرباء. بيضة البلد: أي منفرداً لا يدانيه أحد. قال السهيلي: تقال للمدح والذم معاً. (الروض الأنف ج ٤٢١).
(٥) يغطئل: يجول ويتحرك. والعبر: جانب النهر أو البحر.
(٦) أفرى: أقطع. العارض: السحاب.
(٧) في ط: حقٌ.
(٨) الوكد: يعني توكيد العهد.

حَسَّانُ أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي إِذْ هَدَاهُمُ اللَّهُ». ثم قال: «أَحْسِنْ يَا حَسَّانُ فِيمَا أَصَابَكَ». فقال: هي لك يا رسول الله. فعوّضه منها بيرحاء التي تصدّق بها أبو طلحة وجاريةً قبطية، يقال لها: سيرين، جاءه منها ابنه عبد الرَّحمٰن. قال: وكانت عائشة تقول سُئِل عن ابن المعطّل فوجد رجلاً حصوراً ما يأتي النساء. ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: ثم قال حسَّان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة: [الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزِنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ[1]
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... كِرَامُ المَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
[مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل][2]
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِطٍ ... بِكَ الدَّهْرُ بَلْ قِيلُ امْرِىءٍ بِي مَاحِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمُ ... فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي
فَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي ... لآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحَافِلِ
وَإِنَّ لَهُمْ عِزًّا تَرَى النَّاسَ دُونَهُ ... قِصَاراً وَطَالَ العِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب ها هنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ [النور: ١١]- إلى [قوله تعالى][3] - ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦] وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف، وبالله التوفيق.

غزوة الحُدَيْبِية

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف. وممن نصّ على ذلك الزّهري ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمّد بن إسحاق بن يسّار وغيرهم. وهو الذي رواه ابن لَهيعة عن أبي الأسود، عن عروة: أنها كانت في ذي القعدة سنة ست. وقال يعقوب بن سفيان: حدّثنا إسماعيل بن الخليل عن[4] علي بن مسهر، أخبرني هشام بن عروة عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبِية في رمضان، وكانت الحُدَيْبِية في شوال. وهذا غريب جداً عن عروة. وقد روى البخاري ومسلم جميعاً عن هُدْبة عن همّام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره: أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر في ذي القعدة، إلاّ العمرة التي مع حجّته؛ عمرة من الحُدَيْبِية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، ومن الجعرانة في ذي القعدة، حيث قسّم غنائم حنين، وعمرة مع حجّته[5]. وهذا

(١) الحصان: العفيفة. الرزان: الملازمة موضعها. ما تزنّ: أي ما تتهم. غرثى: جائعة.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) في بط: على.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الحج حديث ٢١٧.

لفظ البخاري. وقال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوال، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيْلة بن عبد الله الليثي. قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وساق معه الهَدْي وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظّماً له. قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسوّر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم، أنهما حدَّثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهَدْي سبعين بَدَنَة، وكان الناس سبعمائة رجل، وكانت كل بَدَنَة عن عشرة نفر، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول: كنا أصحاب الحُدَيْبِية أربع عشرة مائة. قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكَعْبي، فقال: يا رسول الله هذه قُرَيْش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل[١] قد لبسوا جلود[٢] النمور، وقد نزلوا بذي طُوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كُراع الغميم. قال فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قُرَيْشٍ قَدْ أَكَلَتْهُمُ الحَرْبُ، مَاذا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْني وَبَيْنَ سَائِرِ العرب، فَإِنْ هُمْ أَصابُوني كَانَ ذَلِكَ الَّذي أَرادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَني اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ وَافِرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ فَوَاللَّهِ لاَ أَزَالُ أُجاهِدُ عَلَى هَذَا الَّذِي بَعَثَني اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ»[٣] ثم قال: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنا عَلَى طَرِيقٍ غيرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا». قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر: أنّ رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[٤] بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شقّ ذلك على المسلمين، فأفضوا إلى أرض سَهْلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله: «قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ»، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها لَلْحِطَّة التي عرضت على بني إسرائيل، فلم يقولوها. قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ الناس، فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَي الحَمْض في طريق يخرجه على ثنيّة المُرَار مهبط الحُدَيْبِية من أسفل مكة. قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش عزة[٥] الجيش قد خالفوا عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش. وخرج

(١) العوذ: ج عائذ، وهي من الإبل الحديثة النتاج، والمطافيل: التي معها أولادها؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والأولاد.

(٢) في ط: جنود.

(٣) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنى بانفرادها عن الموت.

(٤) الأجرل: الخشن من الأرض.

(٥) في ط: قترة.

رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المُرَار بركت ناقته، فقال الناس: خلأَتْ[١] فقال: «مَا خلأَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عَنْ مَكَّةَ، لاَ تَدْعُونِي قُرَيْشٌ اليَوْمَ إِلَى خِطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صِلَةَ الرَّحِمِ إلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». ثم قال للناس: «انْزِلُوا». قيل له: يا رسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قليب[٢] من تلك القلب فغرزه في جوفه، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس فيه[٣] بعطن[٤]. قال ابن إسحاق: فحدَّثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب[٥] سائق بدن رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ فالله أعلم أي ذلك كان. ثم استدل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر، وناجية أسفله يميح فقالت: [الرجز]

يَا أَيُّهَا المَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا

فأجابها فقال: [الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ يَمَانِيَهْ أَنِّي أَنَا المَائِحُ وَاسْمِي نَاجِيَهْ
وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ طَعَنْتُهَا عِنْدَ صُدُورِ العَادِيَهْ

قال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيل بن ورقاء في رجال من خُزَاعة، فكلّموه وسألوه ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظِّماً لحُرمته. ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش إنكم تَعْجلون على محمّد، وإن محمّداً لم يأت لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهموهم وجَبَّهوهم[٦] وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة، ولا تحدّث بذلك عنا العرب. قال الزهري: وكانت خُزَاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ[٧] مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكّة. قال: ثم بعثوا إليه مِكْرِز بن حَفْص بن الأخْيَف أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ»، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ، ثم بعثوا بحُلَيْس بن عَلقمة أو ابن

---

(١) خلأت: بركت. (٢) قليب: بئر.
(٣) في ط: عنه. (٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء.
(٥) تمامه عند ابن هشام: ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة وهو سائق بدن النبي ﷺ.
(٦) جبّهوهم: خاطبوهم بما يكرهون.
(٧) عيبة نصح الرسول، أي خاصته وأصحاب سرّه.

زَبّان، وكان يومئذ سيّد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ[١]، فَابْعَثُوا الهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ». فلما رأى الهَدْي يسيل عليه من عرض الوَادي في قلائده، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أن الحُلَيس غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم[٢]، ولا على هذا عاهدناكم، أيصدّ عن بيت الله من جاءه معظّماً له؟ والذي نفس الحُلَيس بيده لتخلّن بين محمّد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. قالوا: مَهْ كفّ عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمّد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس، وقد سمعتُ بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسَيْتكم بنفسي. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمّد أجمعت أوشاب[٣] الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك[٤] لتفضّها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً. قال وأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ فقال: امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمّد؟ قال: هذا ابن أبي قُحَافة. قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بهذه قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، قال: فجعل يَقْرع يده إذا[٥] يتناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، قال: فيقول عروة: ويحك ما أفظّك وأغلظك. قال: فتبسّم رسول الله ﷺ فقال له عروة: من هذا يا محمّد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، قال: أي غُدَر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس.

قال الزهري: فكلّمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلّم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلاّ ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه، فرجع إلى

(١) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

(٢) في ط: حلفناكم.

(٣) الأوشاب: الأخلاط.

(٤) بيضتك: أي أهلك وقبيلتك.

(٥) في ط: إذ.

قريش فقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت مَلِكاً في قومه مثل محمّد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً، فَرَوا رأيَكم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خِراش بن أمية الخُزَاعي، فبعثه إلى قُرَيش بمكّة، وحَمَله على بعير له يقال له: الطيب[١]، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: و[قد][٢] حدَّثني بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عبّاس أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، أمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخذوا [واحداً واحداً][٣]، فأُتِيَ بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وقد كانوا رَموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكّة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكّة من بني عَدِيّ[ابن كعب][٤] أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغِلظتي عليها، ولكني أدلّك على رجل أعزّ بها مني، عثمان بن عفّان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفّان فبعثه إلى أَبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظّماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكّة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين بلّغ رسالة رسول الله ﷺ: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن أَبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: «لاَ نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ». ودعا رسول الله ﷺ إلى البَيْعة، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد اللّه يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ بن قيس أخو بني سلمة، وكان جابر بن عبد اللّه يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بأبط ناقته قد ضَبأَ إليها[٥] يستتر من الناس. ثم أُتِيَ رسولَ الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل. قال ابن هشام: وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

قال ابن هشام: وحدَّثني من أثق به عمّن حدثه بإسناد له عن ابن أَبي مُلَيْكة عن ابن

(١) في أ. الثعلبي.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) ضبأ إليها: لصق بها واستتر.

عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف، لكنه ثابت في الصحيحين.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سُهَيْل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: آت محمّداً وصالحه، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ». فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلّم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمُشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدّنيّة[1] في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غَرْزَه[2]، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: «بَلَى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بَلَى» قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بَلَى» قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي». وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم وأتصدّق وأصلّي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلّمته يومئذٍ، حتى رجوت أن يكون خيراً. قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فكتبها، ثم قال: «اكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّد رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرو». قال: فقال سهيل: لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن أكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّداً مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّه رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشاً مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[3] وَإِنَّهُ لاَ إِسْلاَلَ وَلاَ إِغْلاَلَ[4] وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ». فتواثبت خُزَاعة فقالوا: نحن في عقد محمّد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القُرُب لا تدخلها بغيرها. قال: فبينا رسول الله ﷺ يكتب

---

(١) الدنية: الذل والأمر الخسيس.

(٢) الزم غرزه: أي الزم أمره، والغرز للرحل: بمنزلة الركاب للسرج.

(٣) عيبة مكفوفة: أي صدور منطوية على ما فيها، لا تبدي عداوة.

(٤) الإسلال: السرقة الخفية. الإغلال: الخيانة.

الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد قد انفلتَ إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا، وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سُهَيْل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه وقال: يا محمّد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صَدَقْتَ» فجعل ينتره[١] بتلبيبه ويجرّه يعني يردّه إلى قُرَيْش، وجعل أبو جَنْدل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أُردُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم. فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً. إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحاً، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذٰلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لاَ نَغْدِرُ بِهِمْ**» قال: فوثب عمر بن الخطّاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويُدْني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال: فضنّ الرجل بأبيه، ونفذت القضية. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، أَشْهَدَ[٢] على الصلح رجالاً من المسلمين، ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرَّحمٰن بن عوف، وعبد اللّه بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل[٣]، وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَدْيه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خِرَاش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق، تواثبوا ينحرون ويحلقون. قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد اللّه بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ**» قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «**يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ**» قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: «**يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ**»[٤] قالوا: والمقصّرين يا رسول الله! قال: «**وَالْمُقَصِّرِينَ**» قالوا: يا رسول الله فلِمَ ظاهرت الترحيم للمحلّقين دون المقصّرين؟ قال: لم يشكّوا». وقال عبد اللّه بن أبي نجيح: حدَّثني مجاهد عن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جَهْل في رأسه برّة من فضة، ليغيظ بذلك المشركين.

---

(١) ينتره: أي يجذبه جذباً شديداً.

(٢) في ط: أشد.

(٣) أي ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٦.

هذا سياق محمّد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصّة، وفي سياق البخاري كما سيأتي مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما ستراها إن شاء الله وبه الثقة. ولنوردها بتمامها ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه... إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان.

قال البخاري: **حدّثنا** خالد بن مَخْلد، حدّثنا سليمان بن بلال، حدّثنا صالح بن كيسان عن عُبَيد الله بن عبد الله، عن زيد بن خالد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِية فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلّى بنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**أتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «**قَالَ اللّهُ تَعَالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللّهِ وَبِرِزْقِ اللّهِ وَبِفَضْلِ اللّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي**»[1]. وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه، ومسلم من طرق عن الزّهري، وقد روى عن الزّهري عن عُبَيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة.

وقال البخاري: حدّثنا عُبَيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: تعدُّون الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحُدَيْبِية، كنا مع النبيّ ﷺ أربع عشرة مائة، و الحُدَيْبِية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فأتاها فجلس على شَفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض، ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدَرَتْنا ما شئنا نحن ورِكابُنا. انفرد به البخاري.

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]: صلح الحُدَيْبِية. قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس، كلّم بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على ما قاله الزّهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحُدَيْبِية في ألف وأربع مائة رجل في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

وقال البخاري: حدّثنا يوسف بن عيسى، حدّثنا ابن فُضَيل، حدّثنا حُصين عن سالم، عن جابر قال: عطش الناس يوم الحُدَيْبِية ورسولُ الله ﷺ بين يديه رَكوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناسُ نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «مَا لَكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به، ولا ما نشرب إلاّ ما في ركوتك. فوضع النبيّ ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الإيمان حديث ١٢٥.

بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا وتوضأنا. فقلنا لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[(١)]. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر به.

وقال البخاري: حدّثنا الصّلت بن محمّد، حدّثنا يزيد بن زريع عن سعيد، عن قتادة قلت لسعيد بن المُسَيّب: بلغني أن جابر بن عبد اللّه كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة. فقال لي سعيد: حدَّثني جابر: كانوا خمس عشرة مائة، الذين بايعوا النبيّ ﷺ يوم الحُدَيْبِية[(٢)]. تابعه أبو داود: حدّثنا قُرّة عن قتادة. تفرّد به البخاري.

ثم قال البخاري: حدّثنا علي بن عبد اللّه، حدّثنا سفيان، قال عمر: وسمعت جابراً قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِية: «**أَنْتُمْ خَيرُ أَهْلِ الأَرْضِ**» وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[(٣)]. وقد روى البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن سفيان بن عيينة به. وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن جابر قال: إن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال: يا رسول الله ليدخلنّ حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبْتَ لاَ يَدْخُلُهَا، شَهِدَ بَدْراً وَالحُدَيْبِيَةَ**» رواه مسلم[(٤)]. وعند مسلم أيضاً من طرق ابن جُرَيْج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابراً يقول: أخبرتني أم بشر[(٥)] أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة: «**لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» فقالت حفصة: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال رسول الله ﷺ قد قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[(٦)] [مريم: ٧٢] قال البخاري: وقال عُبَيد اللّه بن مُعَاذ: حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة عن عمرو بن مُرّة، حدَّثني عبد اللّه بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمن المهاجرين[(٧)]. تابعه محمّد بن بشّار، حدّثنا أبو داود، حدّثنا شعبة. هكذا رواه البخاري معلّقاً عن عبد اللّه. وقد رواه مسلم عن عُبَيد اللّه بن مُعَاذ عن أبيه، عن شعبة به. وعن محمّد بن المثنّى عن أبي داود، عن إسحاق بن إبراهيم، عن النضر بن شميل، كلاهما عن شعبة به.

ثم قال البخاري: حدّثنا علي بن عبد اللّه، حدّثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن مروان والمِسْوَر بن مَخْرَمة قالا: خرج النبيّ ﷺ عام الحُدَيْبِية في بضع عشرة مائة من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الإمارة حديث ٦٧.
(٤) كتاب فضائل الصحابة حديث ١٦٢.
(٥) في ط: ميسر.
(٦) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٣.
(٧) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الإمارة حديث ٧٥ .

أصحابه، فلما كان بذي الحُليفة قلّد الهدي وأشعر وأحرم منها [١]. تفرّد به البخاري وسيأتي هذا السياق بتمامه.

والمقصود أن هذه الروايات كلّها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحُدَيْبية كانوا سبع مائة، وهو والله أعلم، إنما قال ذلك تفقّهاً من تلقاء نفسه من حيث إن البُدن كنّ سبعين بدنة، وكل منها عن عشرة على اختياره، فيكون المهلّون سبع مائة، ولا يلزم أن يهدي كلّهم ولا أن يحرم كلّهم أيضاً، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة، ولم يحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، فقال: «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟» قالوا: لا. قال: «فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنَ الحِمَارِ». وقد قال البخاري: حدّثنا شعبة بن الربيع، حدّثنا علي بن المبارك عن يحيى، عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدَّثه قال: انطلقنا مع النبيّ ﷺ عام الحُدَيْبية فأحرم أصحابي ولم أحرم.

وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن رافع، حدّثنا شبابة بن سوَار الفَزاري، حدّثنا شعبة عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها. حدّثنا موسى، حدّثنا أَبو عوانة، حدّثنا طارق عن سعيد بن المُسَيّب، عن أبيه: أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة، فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا. وقال البخاري أيضاً: حدّثنا محمود، حدّثنا عُبَيد الله عن إسرائيل، عن طارق بن عبد الرَّحمٰن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلّون، فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبيّ ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المُسَيّب فأخبرته فقال سعيد: حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. ثم قال سعيد: إن أصحاب محمّد لم يَعْلموها، وعلمتموها أنتم! فأنتم أعلم؟ [٢] ورواه البخاري ومسلم من حديث الثوري وأَبي عوانة وشبابة عن طارق. وقال البخاري: حدّثنا سعيد، حدَّثني أخي عن سليمان، عن عمرو بن يحيى، عن عبّاد بن تميم قال: لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة، فقال ابن زيد: على ما يبايع ابنَ حنظلة الناسُ؟ قيل له: على الموت، فقال: لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ؛ وكان شهد معه الحُدَيْبية. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به. وقال البخاري: حدَّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبية؟ قال: على الموت [٣]. ورواه مسلم من حديث يزيد بن أَبي عبيد. وفي صحيح مسلم [٤] عن سَلَمة أنه بايع ثلاث مرّات في أوائل الناس

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، ومسلم في الإمارة حديث ٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥، والأحكام باب ٤٤، ومسلم في الإمارة حديث ٨٠.

(٤) كتاب الإمارة حديث ٧٦.

ووسطهم وأواخرهم. وفي الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس، وكان أوّل من بايع رسولَ الله ﷺ يومئذ أَبو سنان، وهو وهب بن محصن أخو عكاشة بن محصن، وقيل سنان بن أَبي سنان.

وقال البخاري: حدّثني شُجاع بن الوليد، سمع النَّضر بن محمّد، حدّثنا صخر بن الربيع، عن نافع قال: إن الناس يتحدّثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك، ولكنْ عمرُ يوم الحُدَيْبِية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ، وهي التي تحدَّث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر. وقال هشام بن عمّار: حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثنا عمر بن محمّد العُمَري أخبرني نافع عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبيّ ﷺ يوم الحُدَيْبِية، تفرّقوا في ظلال الشجرة، فإذا الناس محدقون بالنبيّ ﷺ فقال: يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ، فوجدهم يبايعون فبايع، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع. تفرّد به البخاري من هذين الوجهين.

[ذكر][1] سياق البخاري لعمرة الحُدَيْبِية

قال في كتاب المغازي: حدّثنا عبد الله بن محمّد، حدّثنا سفيان، سمعت الزهري حين حدّث هذا الحديث حفظت بعضه، وثبتني معمر عن عروة بن الزبير، عن المسوّر بن مخرمة ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه، قالا: خرج النبيّ ﷺ عام الحُدَيْبِية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحُليفة قلّد الهَدْي وأشعره[2]، وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خُزَاعة، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيهِم[3] الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ قَدْ قَطَعَ عَيْناً مِنَ المُشْرِكِينَ وَإِلاَّ تَرَكْنَا لَهُمْ مَحْرُوبِينَ». قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجّه له فمن صدّنا عنه قاتلناه. قال: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ». هكذا أورده[4] ها هنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا.

وقال في كتاب الشهادات: حدّثني عبد الله بن محمّد، حدّثنا عبد الرزّاق، أنبأنا معمر، أخبرني الزهري، أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم،

---

(١) سقط في ط.

(٢) أشعره: أي وخز سنامها حتى يعرف أنها هدي.

(٣) في ط: وذراري هؤلاء.

(٤) في ط: رواه.

يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبيّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حل[١]، فألحتْ. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال رسول الله ﷺ: «مَا خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»، ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خِطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ، إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُدَيْبية على ثمد[٢] قليل الماء يتبرّضه [الناس] تبرضاً[٣]، فلم يلبّثه الناس حتى نزحوه، وشُكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء[٤] الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عَيْبة نُصْح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحُدَيْبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. فقال النبيّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِيءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وإلاَّ فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ أَمْرُ اللَّهِ». قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أيْ قَوْم، ألست بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولستم بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهلَ عكاظَ، فلما بلّحوا[٥] عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه، فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمّد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً[٦] من

---

(١) حل حل: تقال للناقة إذا توقفت عن السير.

(٢) ثمد: حوض.

(٣) تبرض الماء: قال الخليل في العين: جمعه بالكفين.

(٤) في ط: وقاء.

(٥) بلّحوا: تجاحدوا.

(٦) أشواب: أخلاط الناس وأوباشهم.

الناس خليقاً أن يفرّوا ويدَعوك. فقال له أبو بكر: أمصص بظر اللات، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي، لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلّم النبيّ ﷺ فكلّما تكلم أُخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلّما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غُدُرْ ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبيّ ﷺ: «أَمَّا الإِسْلاَمُ فَأَقْبلُ، وَأَمَّا المَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كف رجل منهم، فدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمّداً، والله إن تنخم نخامة إلاّ وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفّضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة، دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبيّ ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هَذا فُلانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ فَابْعَثُوها لَهُ». فبعثت له واستقبله الناس يلبّون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت. فلمّا رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلّدت وأُشعرت، فما أرى أن يُصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن حفص فقال: دعوني آتيه. قالوا: ائته. فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هَذَا مِكْرزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ، فبينما هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لقد سَهُل لكم من أمركم». قال معمر، قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل فقال: هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبيّ ﷺ الكاتب [هو علي بن أبي طالب كما هو مصرح به في الصحيح][1] فقال النبيّ ﷺ: «اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلاّ ﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾. فقال النبيّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، ثم قال: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبد اللّه. فقال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ إِنّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ

(١) سقط في ط.

كَذَّبْتُمُوني. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». [وقد وقع في الصحيح أن علياً قال: والله لا أمحوك أبداً فأخذ][(١)] الكتاب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد اللّه وقد تكلّم الناس على هذا بكلام طويل وقد ذكرنا طرفاً منه عند قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾. قال الزهري: وذلك لقوله [عليه السلام][(١)]: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ، إلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا» فقال له النبيّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ». قال سهيل: والله لا تتحدث العرب إنّا أُخذنا ضُغطة، ولكن ذلك من العام المقبل؛ فكتب، فقال سهيل: وعلي أنه لا يأتيك منّا رجل، وإن كان على دينك إلاّ رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يُردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً. فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهَيْل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمّد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبيّ ﷺ: «إنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبيّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي». قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: فَافْعَلْ»، قال: ما أنا بفاعل، قال مِكرز: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جَنْدل: أي معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت ـ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله ـ فقال عمر رضي الله عنه: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بَلَى». قلت: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن. قال: «إنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي». قلت: أولست كنت تحدّثنا إنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال: قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام. فقلت: لا. قال: فإنك آتيه ومُطوّف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سَلَمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبيّ الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنة ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿بِعِصَمِ

(١) سقط في ط.

﴿ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشّرك. فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية. [وفي رواية عقيل عن الزّهري وهو عند البخاري تعليقاً أنها[١] قريبة بنت أبي أمية تزوجها معاوية والأخرى بنت جَرْوَك تزوجها أبو جهل وهكذا قال ابن إسحاق قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة تزوجها معاوية والأخرى أم كلثوم بنت جَرْوَك الخزاعية وهي أم عُبَيد الله بن عمر تزوجها بعده أبو جهم بن حذيفة بن غانم]؛ ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير، رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهدَ الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيّداً. فاستلّه الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جرّبت به، ثم جرّبت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْراً» فلما انتهى إلى النبيّ ﷺ قال: قُتل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاءه أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى اللّهُ ذمتك، قد رددتَني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبيّ ﷺ: «وَيْلَ أمّه مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم، فخرج حتى أتى سِيف البحر. قال: وينفلت منهم أبو جَندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلاّ لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة، فوالله ما يسمعون بِعِير خرجت لقريش إلى الشام إلاّ اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلَت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده بالله والرّحم لمّا أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبيّ ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] ـ حتى بلغ ـ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبي الله، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري، فقد رواه عن الزهري، عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومعمر، ومحمّد بن إسحاق، كلّهم عن الزّهري، عن عروة، عن مروان ومسور، فذكر القصّة.

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكير، عن الليث بن سعد، عن عُقيل عن الزهري، عن عروة عن مروان بن الحكم والمِسْور بن مخرمة عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر القصّة[٢]. وهذا هو الأشبه، فإن مروان ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) في ط: أنهما.

(٢) أخرجه البخاري في الشروط باب ١، ١٥.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري لما رجع بأبي بصير الرجلان اللذان بعثا في طلبه وهما: جحش بن جابر المنقري وكان ذا رأي وجَلَد في المشركين والآخر مولى لهم فلما كانوا بذي الحليفة سلّ جحش سيفه ثم هزّه فقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل فقال له أبو بصير أو صارم سيفك هذا فقال له: نعم قال: ناولنيه انظر إليه فناوله فلما قبض عليه ضربه حتى برد ويقال بل تناول أبو بصير سيف المنقري بفيه وهو قائم فقطع إسارة ثم ضربه حتى برد. قال ابن لهيعة: عن أبي الأسود عن عروة قال موسى عن الزهري وطلب الآخر مذعوراً وذكر أن أبا بصير جاء بسلب ذلك المنقري إلى رسول الله فأبى أن يخمسه وقال شأنك به واذهب حيث شئت قال: فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قد جاؤوا معه مسلمين من مكة ولم يكن طلبهم أحد حتى إذا كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جُهينة على طريق عمرات قريش مما يلي سيف البحر لا تمر عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها قال: وكان أبو بصير يكثر أن يقول:

ربي العلي الأكبر من ينصر الله فسوف يُنصر
ويقع الأمر على ما يقدر

قال: وانفلت أبو جندل في سبعين رجلاً من أسلم إلى أبي بصير واجتمع إليهم ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون وكان الذي يؤمهم في الصلاة أبو جندل بن سهيل قال: فبعثت قريش إلى رسول الله أبا سفيان بن حرب يسألونه أن يمسك من خرج إليهم من غير حرج قال: وأخذ أبو جندل وأبو بصير وأصحابهما فيما أخذوا من العيرات غير أبي العاص بن الربيع فلّما كتب إليهم رسول الله ﷺ أن يردوا ما أخذوا منه ردّوه لم يفقد منه عقالاً ولما سألت قريش رسول الله أن يردهم إليه كتب إليهم أن يقدموا عليه فقدم الكتاب وأبو بصير في الموت فأخذ كتاب رسول الله فجعله على صدره ومات وهو كذلك فلما مات دفنه أبو جندل مكانه وبنى عند قبره مسجداً ثم قدم بمن معه إلى رسول الله ﷺ فلم يزل أبو جندل يشهد المشاهد حتى توفي رسول الله ثم خرج هو وأبوه إلى الشام فقتلا في بعض الفتوحات رضي الله عنهما وأرضاهما. [قال البخاري: وكان قد تأول في الخمر قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣] الآية. فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر فأمره فحدّه وحدّ صاحبه ضرار بن الخطاب ثم إنه رجع وأقلع وكاد أن يقنط من التوبة فكتب إليه عمر تأول سورة حم المؤمن فسكنت بذلك نفسه وكان قد شرب معهما أبو الأزور ولكنه قتِل شهيداً قبل أن يحدّ رضي الله عنهم][١].

وقال البخاري: حدّثنا الحسن بن إسحاق، حدّثنا محمّد بن سابق، حدّثنا مالك بن مِغْوَل سمعت أبا حُصين قال: قال أبو وائل: لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفّين أتيناه

(١) ما بين المعقوفين سقط في ط.

نستخبره فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيتُني يوم أَبي جَنْدل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت، واللَّهُ ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيافنا عن عواتقنا لأمر يُقْطِعنا إلاّ أسهلن بنا إلى [أمره][١] نعرفه، قبل هذا الأمر ما نَسُدُّ منهما خُصْماً[٢] إلاّ انفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له[٣].

وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن يوسف، أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وكان عمر بن الخطّاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطّاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عُمر نَزَرْت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نَشِبْتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه، فقال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾[٤] [أول سورة الفتح]. قلت: وقد تكلّمنا على سورة الفتح بكمالها في كتابنا التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل.

فصل في [ذكر][٥] السرايا [والبعوث][٦]
التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك مما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي قال:

في ربيع الأول منها أو الآخر، بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى. . .[٧] فهربوا منه، ونزل على مياههم وبعث في آثارهم، وأخذ منهم مائتي بعير، فاستاقها إلى المدينة.

وفيها كان بعث أَبي عُبَيْدة بن الجرّاح إلى ذي القصّة بأربعين رجلاً أيضاً، فساروا إليهم

---

(١) سقط في ط.

(٢) خصماً: جانباً أو زاوية.

(٣) كانوا جماعة اتهموا سهل بن حنيف بأنه قصّر في القتال يوم صفّين فقال لهم: اتهموا رأيكم ولا تتهموني، فإني لا أقصر وقت الحاجة، كنا زمن النبيّ ﷺ لا نلبس السلاح لأمر يشتد علينا إلا أفضى بنا سلاحنا إلى سهولة، وأما أمر صفّين فنحن لا نسد منه جانباً حتى ينفجر علينا منه جانب آخر فلا يمكننا إصلاحه وتلافيه.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الفتح، باب ١.

(٥) سقط في ط.

(٦) سقط في ط.

(٧) بياض في الأصل.

مشاة حتى أتوها في عماية الصبح، فهربوا منه في رؤوس الجبال فأسر منهم رجلاً، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم وبعثه محمّد بن مسلمة في عشرة نفر، وكمن القوم لهم حتى باتوا، فقُتل أصحاب محمّد بن مسلمة كلّهم وأفلت هو جريحاً.

وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم، فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة، فدلّتهم على محلة من محال بني سُلَيم، فأصابوا منها نعماً وشاءً وأسروا. . . فكان فيهم زوج حليمة هذه، فوهبه رسول الله ﷺ لزوجها وأطلقهما.

وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جُمَادى الأولى إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فهربت منه الأعراب، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً، ثم رجع بعد أربع ليال.

وفيها خرج زيد بن حارثة في جُمادى الأولى إلى العيص.

قال: وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أَبي العاص بن الربيع، فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته. وقد ذكر ابن إسحاق قصّته حين أخذت العير التي كانت معه، وقتل أصحابه وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة، وكانت امرأته زَيْنب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح، فأجاره لها رسول الله ﷺ، وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عيره، فردّوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً، فلما رجع بها إلى مكة وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة، فردَّ عليه رسول الله ﷺ زوجته [زينب][1] بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً، كما تقدّم بيان ذلك. وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ويروى سنتين. وقد بينّا أنه لا منافاة بين الروايتين، وأن إسلامه تأخرّ عن وقت تحريم المؤمنات على الكفّار بسنتين، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح، لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست فالله أعلم.

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دِحْية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر، قد أجازه بأموال وخلع، فلما كان بِحِسْمى لقيه ناس من جُذَام فقطعوا عليه الطريق، فلم يتركوا معه شيئاً، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً رضي الله عنه.

قال الواقدي: حدَّثني عبد اللّه بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال: خرج علي رضي الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حي من بني أسد بن بكر، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهود خَيْبر، فسار إليهم بالليل، وكمن بالنهار، وأصاب عيناً لهم، فأقرّ له أنه بعث إلى خَيْبر يعرض عليهم على أن يجعلوا لهم تَمْر خَيْبر.

قال الواقدي رحمه الله تعالى: وفي سنة ست في شعبان كانت سريّة عبد الرَّحمٰن بن عوف إلى دَوْمة الجندل، وقال له رسول الله ﷺ: «إِنْ هُمْ أطاعُوا فَتَزَوَّجْ بِنْتَ مَلِكِهِمْ»، فأسلم القوم وتزوج عبد الرَّحمٰن بنت ملكهم تماضر بنت الأصبغ الكلبية، وهي أم أبي

(١) سقط في ط.

سَلَمة بن عبد الرَّحمٰن بن عوف.

قال الواقدي: في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفِهريّ إلى العُرَنيين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً، فردّوهم وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رهطاً من عُكْل وعُرَينة - وفي رواية من عكل أو عرينة - أتَوْا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا أناس أهل ضَرْع، ولم نكن أهل ريف، فاستوخمنا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحَرَّة، قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث النبيّ ﷺ في طلبهم، فأمر بهم فقطّع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا، وهم كذلك. قال قتادة: فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حَضَّ على الصَّدَقة، ونهى عن المُثْلة[١].

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة، ورواه جماعة عن أنس بن مالك. وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرّة عن أنس، أن نفراً من عُرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا: هذا الموم، قد وقع يا رسول الله، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل. قال: نعم، فاخرجوا فكونوا فيها. فخرجوا فقتلوا الراعيين وذهبوا بالإبل. وعنده شباب[٢] من الأنصار قريب [من][٣] عشرين، فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم، فأتي بهم، فقطّع أيديهم وأرجلهم وسمّر أعينهم[٤]. وفي صحيح البخاري من طريق أيوب عن أبي قلابة، عن أنس أنه قال: قدم رهط من عُكَل، فأسلموا واجتووا[٥] المدينة، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: «الْحَقُوا بِالإِبِلِ وَاشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا». فذهبوا وكانوا فيها ما شاء الله، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، فجاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ، فلم ترتفع الشمس حتى أُتي بهم، فأمر بمسامير فأحميت فكواهم بها، وقطّع أيديهم وأرجلهم وألقاهم في الحرة يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا ولم يحمهم.

وفي رواية عن أنس قال: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش. قال أبو قلابة: فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله ﷺ. وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شَيبة عن عبد الرَّحمٰن بن سليمان، عن محمّد بن عُبَيد اللّه، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال: «اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ أَضْيَقَ مِنْ مَسْكِ جَمَلٍ»، قال: فعمّى الله عليهم السبيل،

(١) أخرجه البخاري في المحاربين باب ١.

(٢) في ط: سار.

(٣) سقط في ط.

(٤) أخرجه مسلم في القسامة حديث ٩.

(٥) اجتووا: كرهوا المقام.

فأدركوا فأتي بهم، فقطّع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم. وفي صحيح مسلم إنما سملهم لأنهم سملوا أعين الرعاء[(١)].

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كما قرّره الشافعي رحمه الله زمن الحُدَيْبِية في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة ١٩٦] ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور، لأنه ﷺ لم يحج إلاّ في سنة عشر، وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد، فعندهم أن الحجّ يجب على كل من استطاعه على الفور، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير، ولله الحمد والمنة بما فيه كفاية.

وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحُدَيْبِية، على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلاّ رددته علينا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة ١٠].

وفي هذه السنة كانت غزوة المُرَيْسيع التي كان فيها قصة الإفك، ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم.

وفيها كانت عُمْرة الحُدَيْبِية وما كان من صدّ المشركين رسول الله ﷺ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين، فأمن الناس فيهنّ بعضهم بعضاً، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال. وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أماكنه ولله الحمد والمنّة. وولى الحج في هذه السنة المشركون.

قال الواقدي: وفيها في ذي الحجة منها، بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وشجاع بن وهب بن أسد بن جذيمة شهد بدراً إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني، يعني ملك عرب النصارى، ورضية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وهو هرقل ملك الروم، وعبد اللّه بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضّمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة، وهو أصحمة بن الحُرّ.

---

(١) أخرجه مسلم في القسامة حديث ٩، وأبو داود في الحدود باب ٣، والترمذي في الطهارة باب ٥٥، والنسائي في التحريم باب ٨.

سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى في قوله: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح: ١٨] قال: خيبر. وقال موسى بن عقبة: لما رجع رسول الله ﷺ من الحُدَيْبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك، ثم خرج إلى خَيْبر وهي التي وعده الله إياها. وحكى موسى عن الزهري: أن افتتاح خيبر في سنة ست، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدّمنا. قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرَّم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خَيْبر. وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن مروان والمسور قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكّة والمدينة، فقدم المدينة في ذي الحجّة، فأقام بها حتى سار إلى خَيْبَر [في المحرم][1] فنزل بالرجيع واد بين خيبر وغطفان، فتخوّف أن تمدّهم غطفان فبات حتى أصبح فغدا عليهم. قال البيهقي: وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه في خروجه أول سنة سبع من الهجرة.

وقال عبد اللّه بن إدريس عن إسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر قال: لما كان افتتاح خيبر في عقيب المحرم، وقدم النبيّ ﷺ في آخر صفر، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد اللّه الليثي.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا وهيب، حدّثنا خثيم يعني ابن عراك، عن أبيه: أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه، والنبيّ ﷺ في خَيْبر، وقد استخلف سباع بن عرفطة، يعني الغطفانيّ على المدينة، قال: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيعص، وفي الثانية ويل للمطفّفين، فقلت في نفسي، ويل لفلان إذا اكتال اكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص، قال: فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خَيْبر، وقد افتتح النبيّ ﷺ خَيْبر قال: فكلّم المسلمين فأشركونا في سهامهم. وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب عن وهيب، عن خيثم بن عراك، عن أبيه، عن نفر من بني غفار قال: إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خَيْبر سلك على عِصْر وبنى له فيها مسجداً، ثم على الصّهباء ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له: الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً، ظنوا

(١) سقط في ط.

أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أموالهم وأهليهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خَيْبر. وقال البخاري: حدّثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن بُشير: أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر، حتى إذا كانوا بالصّهباء ـ وهي من أدنى خَيْبر ـ صلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلاّ بالسويق، فأمر به فثرّي فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلّى ولم يتوضأ[1].

وقال البخاري: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أَبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلاً شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول: [الرجز]

لاَ هــمّ لَــوْلاَ أَنْـتَ مَـا اهْـتَـدَيْـنَـا وَلاَ تَـصَـدَّقْـنَـا وَلاَ صَـلَّـيْـنَـا
فَـاغْـفِـرْ فِـدَاءً لَـكَ مَـا أَبْـقَـيْـنَـا وَأَلْـقِـيَـنْ سَـكِـيـنَـةً عَـلَـيْـنَـا
وَثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إِنْ لاَقَـيْـنَـا إِنَّـا إِذَا صِـيـحَ بِـنَـا أَبَـيْـنَـا
وَبِـالـصِّـيَـاحِ عَـوَّلُـوا عَـلَـيْـنَـا

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هذَا السَّائِقُ؟» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ». فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به. فأتينا خَيْبر فحاصرناهم[2] حتى أصابتنا مخمصة شديدة. ثم إن الله فتحها عليهم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم، أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «مَا هَذِهِ النِّيرَانُ. عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟» قالوا: على لحم، قال: «عَلَى أَيِّ لَحْمٍ» قالوا: لحم الحمر الإنسية، قال النبيّ ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا واكْسِرُوهَا»، فقال رجل: يا رسول الله أونهريقها ونغسلها، فقال: «أَوْ ذَاكَ». فلما تصافّ الناس، كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، قال: «مَا لَكَ؟» قلت: فداك أَبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبيّ ﷺ: «كَذِبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ لأَجْرَيْنِ ـ وجمع بين أصبعيه ـ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ»[3]. ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله [عن سلمة به نحوه، ويروى فشاء بها. قال السهيلي: ويروى قلّ

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٢) في ط: فناصرناهم.

(٣) أخرجه مسلم في الصيد حديث ٣٣، وأحمد في المسند ٤/ ٥٠.

عربي مشى بها مثله][١]، ويكون منصوباً على الحالية من نكره، وهو سائغ إذا دلّت على تصحيح معنى، كما جاء في الحديث؛ فصلى وراءه رجل قياماً. وقد روى ابن إسحاق قصّة عامر بن الأكوع من وجه آخر، فقال: حدَّثني محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي، أن أباه حدَّثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خَيْبر لعامر بن الأكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: «انزِلْ يَا ابْنَ الأَكْوَعِ فَخُذْ لَنَا مِنْ هِنَاتِكَ»؛ فقال: فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ: [الرجز]

وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُكَ رَبُّكَ». فقال عمر بن الخطاب: وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به. فقتل يوم خيبر شهيداً. ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري. قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: «قِفُوا»، ثم قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ [السبع][٢] وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرضِين وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ». وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه. وقد رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن العطاردي، عن يونس بن بكير، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن صالح بن كيسان، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن جدّه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خَيْبر حتى إذا كنّا قريباً، وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس: «قِفُوا» فوقف الناس فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ القَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

قال ابن إسحاق: وحدَّثني من لا أتهم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار، فنزلنا خَيْبر ليلاً فبات رسول الله ﷺ حتى أصبح، لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم[٣]، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمّد والخميس[٤] معه!

(١) ما بين المعقوفين سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) المساحي: ج مسحاة، وهي المجرفة من الحديد. والمكاتل: ج مكتل، وهي قفة كبيرة.
(٤) الخميس: الجيش.

فأدبروا هراباً، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهُ أكبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ». قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون عن حميد عن أنس بمثله.

قال السهيلي: فيه إباحة التفاؤل لأنه لمّا رأى بأيديهم المساحي والمكاتل وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك. قال والعرب تسمي الجيش الكثيف خميساً لأن له ساقة مقدمة وجناحين وقلباً قال: وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعيّ.

وقال البخاري: حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا مالك عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رسول الله أتى خَيْبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمّد والله، محمّد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: «خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»[١]. تفرّد به دون مسلم][٢].

وقال البخاري: حدّثنا صدقة بن الفضل، حدّثنا أبو عيينة، حدّثنا أيوب عن محمّد بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: صبحنا خيبر بكرة، فخرج أهلها بالمساحي، فلما بصروا بالنبيّ ﷺ قالوا: محمّد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: «اللّهُ أكبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ». قال: فأصبنا من لحوم الحمر، فنادى منادي النبيّ ﷺ: إنّ اللّه ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنّها رِجْس[٣]. تفرّد به البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أَحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا معمر عن قتادة، عن أنس قال: لما أتى النبيّ ﷺ خَيْبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم، فلما رأوه ومعه الجيش، نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبيّ ﷺ: «اللّهُ أكبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ». تفرّد به أحمد، وهو على شرط الصحيحين.

وقال البخاري: حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حمّاد بن زيد عن ثابت، عن أنس بن مالك قال صلى النبي ﷺ الصبحَ قريب من خَيْبر بغلس[٤]، ثم قال: «اللّهُ أكبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ». فخرجوا يسعون بالسكك فقتل النبيُّ ﷺ المقاتلة، وسبىٰ الذرية، وكان في السبي صَفِيّة، فصارت إلى دِحْية الكلبيّ، ثم صارت إلى النبي ﷺ، فجعل عتقها صداقها. قال عبد العزيز بن صهيب لثابت: يا أبا محمّد أأنت قلت لأنس ما أصْدقها، فحرّك ثابت رأسه تصديقاً له[٥]. تفرّد به دون مسلم. وقد أورد

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٢) ما بين المعقوفين سقط في ط.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٤) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

البخاري ومسلم النَّهي عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر في كتاب الأحكام.

وقد قال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو طاهر الفقيه، أنبأنا حطاب بن أحمد الطوسي، حدّثنا محمّد بن حميد الأبيوردي، حدّثنا محمّد بن الفضل عن مسلم الأعور الملائي، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم بني قُرَيْظة والنَّضير على حمار، ويوم خَيْبر على حمار مخطوم برسن ليف، وتحته إكاف من ليف. وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، وابن ماجه عن محمّد بن الصباح، عن سفيان، وعن عمر بن رافع، عن جرير، كلّهم عن مسلم، وهو ابن كيسان الملائي الأعور الكوفي، عن أنس به. وقال الترمذي: لا نعرفه إلاّ من حديثه وهو يضعف. قلت والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الإزار عن فخذه، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار. ولعل هذا الحديث إن كان صحيحاً محمول على أنه ركبه في بعض الأيام، وهو محاصرها والله أعلم.

وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن سعيد الخزاعي، حدّثنا زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني قال: نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالسة[1]، فقال: كأنهم الساعة يهود خَيْبر؛ وقال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن مسلمة، حدّثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: كان عليّ بن أبي طالب تخلّف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان رَمِداً، فقال: أنا أتخلّف عن النبيّ ﷺ؟ فلحق به. فلما بتنا الليلة التي فُتِحَت خيبر قال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً (أَو لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَداً) رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ». فنحن نرجوها. فقيل هذا عليّ، فأعطاه ففتح عليه[2]. وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن حاتم به. ثم قال البخاري: حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب بن عبد الرَّحمٰن عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ»، قال: فبات الناس يدوكون[3] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوْا على النبيّ ﷺ كلّهم يرجو أن يعطاها فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسل إليه، فأتى، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «أَنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[4]. وقد رواه مسلم

---

(١) طيالسة: جمع طيلسان وهو كساء يلبسه الخواص من العلماء.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٣٤.

(٣) يدوكون: يضطربون.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ٣٤.

والنسائي جميعاً عن قتيبة به. وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سهيل بن أَبي صالح عن أبيه، عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَيْهِ»، قال عمر: فما أحببت الإمارة [قط][١] إلاّ يومئذ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: «اذْهَبْ فَقَاتِلْ حَتَّى يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلاَ تَلْتَفِتْ». قال علي: على ما أقاتل الناس؟ قال: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنَّا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[٢] اهـ لفظ البيهقي[٣].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا مصعب بن المقدام وجحش بن المثنى قالا: حدّثنا إسرائيل، حدّثنا عبد اللّه بن عصمة العجلي، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ثم قال: «مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا؟» فجاء فلان فقال: أَنَا، قال: «امْضِ»، ثم جاء رجل آخر فقال: «امْضِ»، ثم قال النبيّ ﷺ: «وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لأُعْطِيَنَّهَا رَجُلاً لا يَفِرُّ»، فقال: «هَاكَ يَا عَلِيُّ». فانطلق حتى فتح الله عليه خَيْبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدها. تفرّد به أحمد، وإسناده لا بأس به، وفيه غرابة؛ وعبد اللّه بن عصمة ويقال ابن أعصم، وهكذا يكنى بأَبي علوان العجلي، وأصله من اليمامة سكن الكوفة، وقد وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة لا بأس به، وقال أَبو حاتم شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطىء كثيراً، وذكره في الضعفاء، وقال: يحدّث عن الأثبات مما لا يشبه حديث الثقات، حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة.

وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه قال: بعث النبيّ ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خَيْبر، فقاتل ثم رجع، ولم يكن فتح وقد جَهُد. ثم بعث عمر رضي الله عنه فقاتل ثم رجع، ولم يكن فتح. فقال رسول الله ﷺ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ وَلَيْسَ بِفَرَّارٍ». قال سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو يومئذ أرمد، فتفل في عينيه ثم قال: «خُذِ الرَّايَةَ وَامْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ»، فخرج بها والله يصول[٤] يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى رَكَز رايته في رضم[٥] من حجارة تحت الحصن، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أَبي طالب، فقال اليهودي: غَلبتم وما أُنزل على موسى، فما[٦] رجع حتى فتح الله على يديه.

وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا العطاردي، عن يونس بن بكير، عن الحسين بن واقد، عن عبد اللّه بن بريدة أخبرني أبي قال: لما كان يوم خَيْبر أخذ اللواء أَبو

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٣٣.

(٣) في ط: البخاري.

(٤) في ط: يأجّ.

(٥) رضم: صخور أو أحجار بعضها فوق بعض.

(٦) في ط: فيما.

بكر فرجع ولم يفتح له، وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «لَأَدْفَعَنَّ لِوَائِي غَداً إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ»، فبتنا طيبة نفوسنا أن الفتح غداً، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائماً فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلاّ وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولتُ أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه قال: فمسحها، ثم دفع إليه اللواء ففتح له، فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدّثني أبي أنه كان صاحب مرحب.

قال يونس، قال ابن إسحاق: كان أول حصون خَيْبر فتحاً حصن ناعم، وعنده قُتِل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحىً منه فقتلته.

ثم روى البيهقي عن يونس بن بكير، عن المسيب بن مسلمة الأزدي، حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة(١) فلبث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خَيْبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأول ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لَأُعْطِيَنَّهَا غداً [رجلاً](٢) يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَأْخُذُهَا عُنْوَةً». وليس ثمّ عليٌّ، فتطاولت لها قريش، ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح، وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: «مَا لَكَ؟» قال: رمدتُ بعدك، قال: «ادْنُ مِنِّي» فتفل في عينه، فما وجعها حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبّة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتى مدينة خَيْبر وخرج مرْحب صاحب الحصن، وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول: [رجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِ سِلاَحِي بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ ... وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَةِ المُغَلَّبُ

فقال عليّ رضي الله عنه: [رجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ شَدِيدِ القَسْوَرَهْ
أَكِيلُكُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ(٣)

قال فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقدّ الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

(١) الشقيقة: نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه.
(٢) سقط في ط.
(٣) السندرة: مكيال واسع. أراد: اقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً.

وقد روى الحافظ البزّار عن عباد بن يعقوب، عن عبد اللّه بن بكر، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قصة بعث أبي بكر، ثم عمر يوم خيبر، ثم بعث عليّ فكان الفتح على يديه. وفي سياقه غرابة ونكارة؛ وفي إسناده من هو متّهم بالتشيّع والله أعلم.

وقد روى مسلم والبيهقي واللفظ له، من طريق عكرمة بن عمّار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة قال: فلم نمكث إلاّ ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. قال: وخرج عامر فجعل يقول: [رجز]

وَاللّهِ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا ... فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

قال فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ هٰذَا القَائِلُ؟**» فقالوا: عامر. فقال: «**غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ**». قال: وما خصَّ رسول الله ﷺ قط أحداً به إلاّ استشهد. فقال عمر: وهو على جمل: لولا متّعتنا بعامر. قال: فقدمنا خَيْبر فخرج مَرْحب وهو يخطر بسيفه ويقول: [رجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قال: فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول: [رجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ ... شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال: فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل[1] له، فرجع على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: «**مَا لَكَ؟**» فقلت: قالوا إن عامراً بطل عمله. فقال: «**مَنْ قَالَ ذٰلِكَ؟**» فقلت: نفر من أصحابك. فقال: «**كَذَبَ أُولَئِكَ بَلْ لَهُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ**». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ رضي الله عنه يدعوه وهو أرمد، وقال: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ اليَوْمَ رَجُلاً يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ**». قال: فجئت به أقوده، قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ، فأعطاه الراية فبرز مرحب وهو يقول: [رجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قال: فبرز له عليّ وهو يقول: [رجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

---

(١) يسعل: ينشط.

قال: فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله. وكان الفتح. هكذا وقع في هذا السياق أن علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي لعنه الله.

وقال أحمد: حدّثنا حسين بن حسن الأشقر، حدَّثني قابوس بن أَبي ظبيان، عن أبيه، عن جدّه، عن علي قال: لما قتلت مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ.

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري: أن الذي قتل مرحباً هو محمّد بن مسلمة. وكذلك قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن سهل أحد بني حارثة عن جابر بن عبد اللّه قال: خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول: [رجز]

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنّـي مَـرْحَـبُ ... شـاكِـي الـسّـلاَحِ بَـطَـلٌ مُـجَـرَّبُ

أَطْـعَـنُ أَحْـيَـانـاً وَحِـيـنـاً أَضْـرِبُ ... إِذَا الـلُّـيُـوثُ أَقْـبَـلَـتْ تَـلَـهَّـبُ

إِنَّ حِـمَـايَ لَـلْـحِـمَـى لاَ يُـقْـرَبُ

قال فأجابه كعب بن مالك: [رجز]

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنّـي كَـعْـبُ ... مُـفَـرِّجُ الـغَـمَّـاء جَـرِيٌّ صَـلْـبُ

إِذْ شَـبَّـتِ الـحَـرْبُ وَثَـارَ الـحَـرْبُ ... مَـعِـي حُـسَـامٌ كَـالْـعَـقِـيـقِ عَـضْـبُ

يَـطَـأُكُـمُـو حَـتَّـى يُـذلَّ الـصَّـعْـبُ ... نـعـطـي أو يـفـي الـنـهـب

بِـكَـفِّ مَـاضٍ لَـيْـسَ فِـيـهِ عَـيْـبُ

قال: وجعل مرحب [وهو][(١)] يرتجز ويقول: هل من مبارز. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِهَذَا؟» فقال محمّد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور والثائر قتلوا أخي بالأمس. فقال: «قُمْ إِلَيهِ اللَّهُمَّ أَعنهُ عَلَيهِ». قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمَرِية[(٢)] من شجر العُشَر[(٣)] المسد، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فَنَن، ثم حمل على محمّد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها فعضّت به فأمسكه فاستلّه وضربه محمّد بن مسلمة حتى قتله.

وقد رواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن إسحاق بنحوه.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن محمّداً ارتجز حين ضربه وقال: [رجز]

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنّـي مَـاضِ ... حُـلْـو إِذَا شِـئْـتَ وَسُـمٌ قَـاضِ

وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف، أن محمّد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً، ثم ذكر الواقدي أن محمّداً قطع رجلي مرحب، فقال له أجهز عليَّ. فقال: لا، ذق

---

(١) سقط في ط.

(٢) هي الشجرة العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل.

(٣) هو شجر له صمغ يقال له: سُكر العُشَر.

الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة. فمرّ به عليّ وقطع رأسه، فاختصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ فأعطى رسول الله ﷺ محمّد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته. قال: وكان مكتوباً على سيفه: [رجز]

هَــــذَا سَــيْــفُ مَــرْحَــبْ مَــنْ يَــذُقْــهُ يُــعْــطَــبْ

ثم ذكر ابن إسحاق: أن أخا مرحب وهو ياسر، خرج بعده وهو يقول: هل من مبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له فقالت أمه صفيّة بنت عبد المطلب يُقتل ابني يا رسول الله؟ فقال: بل ابنك يقتله إنْ شاء الله، فالتقيا فقتله الزبير. قال: فكان الزبير إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ صارماً، يقول: والله ما كان بصارم ولكني أكرهته.

وقال يونس عن ابن إسحاق عن بعض أهله، عن أَبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع عليّ إلى خَيْبر، بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باب الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه؛ ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة، أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه. وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر. ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مطلب بن زياد، عن ليث بن أبي سليم، عن أَبي جعفر الباقر، عن جابر، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وإنه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. وفيه ضعف أيضاً. وفي رواية ضعيفة عن جابر، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب.

وقال البخاري: حدّثنا مكي بن إبراهيم، حدّثنا يزيد بن أَبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتني يوم خَيْبر، فقال الناس: أصيب سَلَمة، فأتيت النبيّ ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة[١].

ثم قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن مسلمة، حدّثنا ابن أَبي حازم عن أبيه، عن سهل قال: التقى النبيّ ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ منا أحد ما أجزأ فلان. قال: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فقالوا: أيّنا من أهل الجنّة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لاتبعنّه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جُرِح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فجاء الرجل إلى النبيّ ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وَمَا ذَاكَ؟» فأخبره فقال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢]. رواه أَيضاً عن قتيبة، عن يعقوب، عن أَبي حازم، عن سهل فذكره مثله أو نحوه.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

ثم قال البخاري: **حدّثنا** أبو اليمان، حدّثنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المُسَيّب: أن أبا هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعي الإسلام: «**هٰذا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**». فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة، حتى كاد بعض الناس يرتاب. فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدَّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: «**قُمْ يا فُلانُ فَأَذِّنْ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُؤيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»(١).

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري قصّة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة. وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة قالا: وجاء عبد حبشيّ أسود من أهل خيبر، كان في غنم لسيّده، فلما رأى أهل خَيْبر قد أخذوا السلاح سألهم قال: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ. فوقع في نفسه ذكر النبيّ، فأقبل بغنمه حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال: إلى ما تدعو؟ قال: «**أدْعُوكَ إلَى الإِسْلاَمِ، إلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وأَنْ لاَ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّه**». قال: فقال العبد: فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله؟ قال رسول الله ﷺ: «**الجَنَّةُ إنْ مِتَّ عَلَى ذَلِكَ**». فأسلم العبد فقال: يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة. فقال رسول الله ﷺ: «**أَخْرِجْهَا مِنْ عَسْكَرِنا وَارْمِهَا بِالْحَصَا فإنَّ اللَّه سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتكَ**»، ففعل فرجعت الغنم إلى سيّدها، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم. فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس، فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ودنوّه من حصن اليهود، وقتله مرحباً، وقتل مع عليّ ذلك العبد الأسود، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فأدخل في الفسطاط فزعموا أن رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط، ثم اطلع على أصحابه فقال: «**لَقَدْ أَكْرَم اللَّهُ هٰذَا العَبْدَ وَسَاقَهُ إِلَى خَيْرٍ قَدْ كَانَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِهِ حقّاً، وَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الحُورِ العِينِ**».

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب عن حيوة بن شريح، عن ابن الهاد، عن شرحبيل بن سعد، عن جابر بن عبد اللّه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خَيْبَر، فخرجت سريّة فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها، فذكر نحو قصّة هذا العبد الأسود وقال فيه: قتل شهيداً وما سجد لله سجدة.

ثم قال البيهقي: **حدّثنا** محمّد بن محمّد بن محمد الفقيه، حدّثنا أبو بكر القطّان، حدّثنا أبو الأزهر، حدّثنا مؤمل بن إسماعيل، حدّثنا حمّاد، حدّثنا ثابت عن أنس: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه، لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنّة؟ قال: «**نَعَمْ**»، فتقدّم فقاتل حتى قُتل، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال: «**لَقَدْ حَسَّنَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَطَيَّبَ رِيحَكَ، وَكَثَّرَ مَالَكَ**»،

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

وقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الحُورِ العِينِ يَتَنَازَعَانِ جُبَّتَهُ عَلَيْهِ، يَدْخُلانِ فِيمَا بَيْنَ جِلْدِهِ وَجُبَّتِهِ». ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد، عن ابن أبي عمّار، عن شداد بن الهاد: أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتبعه، فقال: أهاجر معك فأوصى به النبيّ ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خَيْبر غنم رسول الله ﷺ فقسّمه وقسّم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسْم قسمه لك رسول الله ﷺ، فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمي ها هنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنّة . فقال: «إنْ تُصْدِقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ». ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأُتي به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبيّ ﷺ: «هُوَ هُوَ؟» قالوا: نعم. قال: «صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ». وكفّنه النبيّ ﷺ في جبّة النبيّ ﷺ، ثم قدّمه فصلّى عليه، وكان مما ظهر من صلاته: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِراً فِي سَبِيلِكَ، قُتِلَ شَهِيداً وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ». وقد رواه النسائي عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج به نحوه.

فصل: قال ابن إسحاق: وتدنّى[1] رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتتحها حصناً حصناً، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحًى منه فقتلته، ثم القَموص حصن بني أبي الحُقَيق. وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهنّ صفية بنت حيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وبنتي عمّ لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه، وكان دِحْية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمّها. قال: وفشت السبايا من خيبر في المسلمين، وأكل الناس لحوم الحمر، فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها. وقد اعتنى البخاري بهذا الفصل، فأورد النّهي عنها من طرق جيّدة، وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وهو مذهب الأئمة الأربعة. وقد ذهب بعض السلف منهم ابن عبّاس إلى إباحتها، وتنوّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها، فقيل لأنها كانت ظَهراً يستعينون بها في الحمولة، وقيل لأنها لم تكن خمّست بعد، وقيل لأنها كانت تأكل العذرة يعني جلالة، والصحيح أنه نهى عنها لذاتها، فإن في الأثر الصحيح أنه نادي منادي رسول الله ﷺ إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فإنها رِجْس فاكفئوها والقدور تفور بها. وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام. قال ابن إسحاق: حدَّثني سلام بن كِرْكرة عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله ولم يشهد جابر خيبر، أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أَذِن لهم في لحوم الخيل. وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين من حديث حمّاد بن زيد عن عمرو بن دينار، عن محمّد بن علي، عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خَيْبر عن لحوم الحمر، ورخّص في الخيل. لفظ البخاري.

(١) تدنى: أي أخذ الأدنى فالأدنى.

قال ابن إسحاق: وحدّثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مكحول: أن النبيّ ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الحبالى من النساء، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تُقسَم. وهذا مرسل. وقال ابن إسحاق: وحدَّثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق، مولى تُجيب عن حنش الصنعاني قال: غزونا مع رُوَيفع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب، يقال لها جِربة، فقام فينا خطيباً فقال: أيها الناس إني لا أقول فيكم إلاّ ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «لاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَ زَرْعِ غَيْرِهِ، يعني إِتْيَانِ الْحَبالى مِنَ السَّبْيِ لا يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا، وَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَماً حَتَّى يُقْسَمَ، وَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ، وَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ يَوْماً مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ». وهكذا روى هذا الحديثَ أبو داود من طريق محمّد بن إسحاق. ورواه الترمذي عن حَفْص بن عمرو الشيباني عن ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن ربيعة بن سليم، عن بشر بن عُبَيد الله، عن رويفع بن ثابت، مختصراً. وقال: حسن.

وفي صحيح البخاري عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وعن أكل الثوم. وقد حكى ابن حزم عن عليّ وشريك بن الحنبل، أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النيء. والذي نقله الترمذي عنهما الكراهة فالله أعلم. وقد تكلّم الناس في الحديث الوارد في الصحيحين من طريق الزهري، عن عبد الله والحسن ابني محمّد ابن الحنفية، عن أبيهما، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ «نَهَى عَنْ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ يَوْمَ خَيْبَرٍ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ». هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك، وغيره عن الزهري، وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر، وهو مشكل من وجهين: أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثمّ نساء يتمتعون بهن، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسباء عن نكاح المتعة. الثاني: أنه قد ثبت في صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة، عن معبد، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أذِن لهم في المتعة زمن الفتح، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها، وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فعلى هذا يكون قد نهى عنها، ثم أذِن فيها، ثم حرّمت، فيلزم النسخ مرّتين وهو بعيد. ومع هذا فقد نصّ الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيح، ثم حرّم ثم أبيح، ثم حرّم غير نِكاح المتعة، وما حداه على هذا، رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدّمناه.

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادَّعى أنها أبيحت ثلاث مرّات، وحرّمت ثلاث مرات، وقال آخرون أربع مرّات وهذا بعيد جداً والله أعلم. واختلفوا أي وقت أول ما حرّمت، فقيل في خَيْبر، وقيل في عمرة القضاء، وقيل في عام الفتح، وهذا يظهر، وقيل في أوطاس وهو قريب من الذي قبله، وقيل في تبوك، وقيل في حجّة الوداع رواه أبو داود.

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي رضي الله عنه، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير، وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن الزهري، عن الحسن وعبد اللّه ابني محمّد عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله ﷺ: «نَهى عَنْ نِكاحِ المُتْعَةِ، وَعنْ لحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ زَمَنَ خَيْبَرِ». قالوا: فاعتقدنا الراوي أن قوله خَيْبَر ظرف للمنهي عنهما، وليس كذلك، إنما هو ظرف للنهي عن لحوم الحمر، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً وإنما جمعه معه لأن علياً رضي الله عنه بلغه أن ابن عبّاس أباح نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية، كما هو المشهور عنه، فقال له أمير المؤمنين علي: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خَيْبر، فجمع له النهي ليرجع عمّا كان يعتقده في ذلك من الإباحة. وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجّاج المزّي تغمده الله برحمته آمين. ومع هذا ما رجع ابن عبّاس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحمر والمتعة، أما النهي عن الحمر فتأوّله بأنها كانت حمولتهم، وأمّا المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجدان، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جُرَيج وبعده. وقد حكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عبّاس، وهي ضعيفة، وحاول بعض من صنّف في الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك، ولا يصح أيضاً والله أعلم. وموضع تحرير ذلك في كتاب الأحكام وبالله المستعان.

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال، فحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أنه حدّثه بعض من أسلم، أن بني سَهْم من أسلم، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه فقال: «اللّهمّ إنَّكَ قدْ عرَفْتَ حَالَهُمْ وأنْ لَيسَتْ لَهُمْ قُوَّةٌ وأَنْ ليس بيدي شيْءٌ أعْطِيهُمْ إيَّاهُ، فافْتَحْ عَلَيهِمْ أعْظمَ حُصُونِهَا عَنْهُمْ غِنًى وأكْثرَهَا طعَاماً وَوَدْكاً». فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصّعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه[1].

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسُّلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشر ليلة. قال ابن هشام: وكان شعارهم يوم خيبر يا منصور أمت أمت.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني بُرَيدة بن سفيان الأسدي الأسلمي عن بعض رجال بني سَلَمة، عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال قال: إنّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية، إذ

(١) الودك: دَسَم اللحم ودُهنه الذي يستخرج منه.

أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يُطْعِمُنا مِنْ هَذِهِ الغَنَمِ»، قال أبو اليسر فقلت: أنا يا رسول الله، قال: فافعل. قال: فخرجت أشتدّ مثل الظليم[1]، فلما نظر إليَّ رسول الله ﷺ مولياً قال: «اللَّهُمَّ أمْتِعْنا بِهِ»، قال: فأدركت الغنم، وقد دخلت أوّلها الحصن، فأخذتُ شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي، ثم جئت بهما أشتدّ كأنه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً، وكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ثم قال: أمتعوا بي لعمري حتى كنت من آخرهم. وقال الحافظ البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، حدّثنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدّثنا سعدان بن نصر، حدّثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال: لما قدم النبيّ ﷺ خَيْبر قدم والثمرة خضرة، قال: فأسرع الناس إليها فحمّوا فشكوا ذلك إليه، فأمرهم أن يقرّسوا الماء في الشنان[2] ثم يجرونه عليهم إذا أتى الفجر، ويذكرون اسم الله عليه، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل. قال البيهقي: ورويناه عن عبد الرَّحمٰن بن رافع موصولاً، وعنه بين صلاتي المغرب والعشاء. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى وبهز قالا: حدّثنا سليمان بن المغيرة، حدّثنا حميد بن هلال، حدّثنا عبد الله بن مغفل قال: دلى جراب من شحم يوم خيبر، فالتزمته، فقلت: لا أعطي أحداً منه شيئاً، قال: فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم[3]. وقال أحمد: حدّثنا عفان، حدّثنا شعبة، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفل قال: كنا نحاصر قصر خَيْبر، فألقي إلينا جراب فيه شحم، فذهبت فأخذته، فرأيت النبيّ ﷺ فاستحيت[4]؛ وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة. ورواه مسلم أيضاً عن شيبان بن فروخ، عن عثمان بن المغيرة. وقال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أصبت من فيء خيبر جراب شحم، قال: فاحتملته على عنقي إلى رَحْلي وأصحابي، قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم حتى نُقَسِمه بين المسلمين، قال: وقلت: لا والله لا أعطيكه، قال: وجعل يجاذبني الجراب، قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً، ثم قال لصاحب المغانم: «خلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ» قال: فأرسله فانطلقت به إلى رَحْلي وأصحابي فأكلناه. وقد استدلّ الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود، وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين لأن الله تعالى قال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ قال: لكم، قال: وليس هذا من طعامهم، فاستدلّوا عليه بهذا الحديث، وفيه نظر، وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم

---

(١) الظليم: ذكر النعام.

(٢) الشنان: الأسقية الخلقة، وهي أشدُّ تبريداً للماء من الجُدد.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨، ومسلم في الجهاد حديث ٧٢.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

والله أعلم. وقد استدلّوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يخمّس، ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود: حدّثنا محمّد بن العلاء، حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا إسحاق الشيباني عن محمّد بن أبي مجالد، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قلت كنتم تخمّسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ، فقال: أصبنا طعاماً يوم خيبر، وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه، ثم ينصرف(١). تفرّد به أبو داود وهو حسن.

ذكر قصة صفية بنت حيي [بن أخطب](٢) النضرية رضي الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النَّضير من المدينة كما تقدم، فذهب عامتهم إلى خَيْبر وفيهم حُيَي بن أخطب، وبنو أبي الحُقَيق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم، وكانت صفيّة إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأهّلت للتزويج تزوّجها بعض بني عمّها، فلما زفّت إليه وأدخلت عليه(٣) بنى بها، ومضى على ذلك ليالي رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حِجْرها فقصّت رؤياها على ابن عمّها، فلطم وجهها وقال: أتتمنين مَلِك يثرب أن يصير بعلك. فما كان إلاّ مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيّاهم، فكانت صفيّة في جملة السبي، وكان زوجها في جملة القتلى. ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزه ومُلْكه كما سيأتي، وبنى بها بعد استبرائها وحلّها، وجد أثر تلك اللطمة في خدها، فسألها ما شأنها، فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها. قال البخاري: حدّثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حماد بن زيد عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: صلى النبيّ ﷺ الصبح قريباً من خَيْبر بغَلَس، ثم قال: «اللَّهُ أكبَرُ خربَتْ خَيبَرُ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ». فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة وسبى الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دِحْية الكلبي، ثم صارت إلى رسول الله، فجعل عتقها صداقها. ورواه مسلم أيضاً من حديث حمّاد بن زيد، وله طرق عن أنس. وقال البخاري: حدَّثنا آدم عن شعبة، عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبى النبيّ ﷺ صفيّة، فأعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها(٤)، تفرّد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري: حدّثنا عبد الغفّار بن داود، حدّثنا يعقوب بن عبد الرَّحمٰن ح. وحدَّثنا أحمد بن عيسى، حدّثنا ابن وهب، أخبرني يعقوب بن عبد الرَّحمٰن الزهري عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك قال: قدمنا خَيْبر فلما فتح ﷺ الحصن ذكر له جمال صفيّة بنت حُيَي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروساً فاصطفاها

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٢٨.

(٢) سقط في ط.

(٣) في ط: إليه.

(٤) أخرجه البخاري في الصلاة باب ١٢.

النبيّ ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغ بها أسد[١] الصّهباء حلت فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً[٢] في نِطَعٍ[٣] صغير، ثم قال لي: آذنْ مَنْ حولكَ فكانت تلك الوليمة[٤] على صفيّة. ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبيّ ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[٥]. تفرّد به دون مسلم. وقال البخاري: حدّثنا سعيد بن أبي مريم، حدّثنا محمّد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حُميد أنه سمع أنساً يقول: أقام رسول الله ﷺ بين خَيْبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، وما كان فيها من خبز ولحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمّهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي إحدى أمّهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه، ومدّ الحجاب[٦]. انفرد به البخاري.

وقال أبو داود: حدّثنا مسدد، حدّثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: صارت صفية لدِحْية الكلبي، ثم صارت لرسول الله ﷺ. وقال أبو داود: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دِحْية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي قال: «اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً». فأخذ صفيّة بنت حُيَي، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دِحْية؟ قال يعقوب: صفية بنت حُيَي سيّدة قُرَيظة والنّضير، ما تصلح إلاّ لك؛ قال: «ادْعُوا بِهَا» فلما نظر إليها النبيّ ﷺ قال: «خُذْ جَارِيَةً مِن السّبْيِ غيرها»، وإنّ رسول الله ﷺ أعتقها وتزوّجها، وأخرجاه من حديث ابن علية.

وقال أبو داود: حدّثنا محمّد بن خلاّد الباهلي، حدّثنا بَهز بن أسد، حدّثنا حمّاد بن سلمة، حدّثنا ثابت عن أنس، قال: وقع في سهم دِحْية جارية جميلة، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سَلْمة تصنعها وتهيئها، قال حمّاد: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها صفية بنت حُيَيّ. تفرّد به أبو داود.

قال ابن إسحاق: فلما افتتح رسول الله ﷺ القَموص حصن بني أَبي الحُقَيق، أتى بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وأخرى معها، فمر بهما بلال. وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية، صاحت وصكّت وجهها، وحَثَت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ: «أَعْزِبُوا[٧] عَنّي هَذِهِ الشّيطَانَةَ». وأمر بصفية فحِيزَت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أَنُزِعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا

---

(١) في ط: سد.
(٢) الحيس: الطعام من التمر والسمن.
(٣) النطع: بساط من الجلد توضع عليه الوليمة.
(٤) في ط: وليمته.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.
(٦) انظر الحاشية السابقة.
(٧) اعزبوا: أبعدوا.

بلالُ حَتَّى تَمُرَّ بامْرأتَين عَلَى قَتْلَى رجَالِهما؟» وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، أن قمراً وقع في حِجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلاّ أنك تمنّين ملك الحجاز محمّداً. فلطم وجهها لطمة خضّر عينها منها. فأُتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هذا، فأخبرته الخبر. قال ابن إسحاق: وأُتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النَّضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه. فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ: «إنّي رأيتُ كِنَانَةَ يُطِيفُ بهذِه الخَربَةِ كُلَّ غداةٍ» فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرَأيتَ إنْ وَجدْنَاهُ عِندَكَ أَقْتُلُكَ؟»قال: نعم. فأمر رسول الله ﷺ بالخَرِبة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤدّيه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوّام فقال: «عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ» وكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله إلى محمّد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

فصل: قال ابن إسحاق وحاصر رسول الله ﷺ أهل خَيْبر في حِصْنَيهم: الوَطِيح والسّلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيّرهم [١]وأن يحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد جاز الأموال كلّها: الشّق والنَّطَاة والكتيبة وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذينك الحصنين، فلما سمع أهل فَدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم، ويخلُّوا له الأموال ففعل. وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خَيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وعامل أهل فدك بمثل ذلك.

فصل [في][٢] فتح حصونها [وقسمة][٣] أرضها

قال الواقدي: لما تحوّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصّعب بن معاذ إلى قلعة الزبير، حاصرهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود يقال له: عزال فقال: يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلّك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشقّ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك، قال: فأمّنه رسول الله على أهله وماله، فقال له اليهودي: إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك، إن لهم تحت الأرض دبولاً [٤]يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم، فأمر رسول الله ﷺ بقطع دبولهم، فخرجوا فقاتلوا

(١) يسيرهم: ينفيهم.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: وقسيمة.
(٤) دبولاً: ج دبل وهو الجدول.

أشدّ القتال، وقتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من اليهود عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ وكان آخر حصون النطاة. وتحول إلى الشقّ وكان به حصون ذوات عدد فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشدّ القتال، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحُبَاب بن المُنْذر، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه، ووقع السيف من يده، وفرّ اليهودي راجعاً، فاتبعه الحباب فقطع عرقوبه[1]، وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي، فنهض إليه أبو دُجَانة فقتله وأخذ سلبه، وأحجموا عن البراز، فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أَبو دُجَانة، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجدر كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن البزاز بالشقّ وتمنعوا أشد الامتناع، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا، ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة، حتى أصاب نبلهم بنانه عليه الصلاة والسلام، فأخذ عليه السلام كفاً من الحصا ورمى حصنهم بها، فرجف بهم حتى ساخ في الأرض، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد. قال الواقدي: ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوطيح والسلالم، حصني ابن أَبي الحُقَيْق، وتحصّنوا أشد التحصّن، وجاء إليهم كل من كان انهزم من النّطاة إلى الشقّ، فتحصّنوا معهم في القموص، وفي الكتيبة، وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلالم وجعلوا لا يطلعون من حصونهم حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً، نزل إليه ابن أَبي الحُقَيْق فصالحه على حقن دمائهم ويسيّرهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء[2] والكراع والحلقة، وعلى البز إلاّ ما كان على ظهر إنسان يعني لباسهم، فقال رسول الله ﷺ: **«وَبرِئَتْ مِنكُمْ ذِمَّةُ اللّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمْ شَيئاً»**، فصالحوه على ذلك.

قلت: ولهذا لما كتموا وكذّبوا وأخفوا ذلك المسك[3] الذي كان فيه أموال جزيلة تبيّن أنه لا عهد لهم، فقتل ابن أَبي الحُقَيق، وطائفة من أهله بسبب نقض العهود منهم والمواثيق.

وقال الحافظ البيهقي: **أنبأنا**[4] أَبو الحسن علي بن محمّد المقري الإسفرايني، حدّثنا الحسن بن محمّد بن إسحاق، حدّثنا يوسف بن يعقوب، حدّثنا عبد الواحد بن غياث حدّثنا حمّاد بن سلمة، أنبأنا[5] عُبَيد اللّه بن عمر فيما يحسب أَبو سَلَمة عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع

(١) العرقوب: عصب غليظ فوق العقب.

(٢) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.

(٣) المسك: الجلد.

(٤) في ط: حدثني.

(٥) في ط: حدثنا.

والنخل، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، ويخرجون منها؛ واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يُغَيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمّة لهم ولا عهد، فغيّبوا مسكاً[1] فيه مال وحلي لحُيَي بن أخطب، وكان احتمله معه إلى خَيْبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ حينئذ: **«مَا فَعَلَ مِسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ»** فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال: **«العَهْدُ قَرِيبٌ وَالمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ»**، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسّه بعذاب، وقد كان حُيَي قبل ذلك دخل خَرِبة فقال: قد رأيت حُيَياً يطوف في خَربة ها هنا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخَربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أَبي الحُقَيق وأحدهما زوج صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم، وقسّم أموالهم بالنكث الذي نكثوا، وأراد إجلاءهم منهما، فقالوا: يا محمّد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم خَيْبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل، وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبد اللّه بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدّة حرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال: يا أعداء الله تطعموني السُحت، والله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عدّتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قال: فرأى رسول الله ﷺ بعين صفيّة خضرة فقال: **«يا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الخُضْرَةُ»** فقالت: كان رأسي في حجر ابن أَبي الحُقَيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تتمنين ملك يثرب. قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ، قتل زوجي وأبي، فما زال يعتذر إليّ ويقول إن أباك ألّب عليّ العرب، وفعل ما فعل، حتى ذهب ذلك من نفسي. وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير؛ فلما كان في زمان عمر، غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدعوا[2] يديه فقال عمر: من كان له سهم بخَيْبر فليحضر حتى نُقْسِمها فقَسَمها بينهم. فقال رئيسهم: لا تخرجنا دعنا نكون فيها، كما أقرّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر؛ فقال عمر: أتراني سقط عليّ قول رسول الله ﷺ كيف بك إذا وقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً. وقسمها عمر بين من كان شهد خَيْبر من أهل الحُدَيبية. وقد رواه أبو داود[3] مختصراً من حديث حمّاد بن سلمة. قال البيهقي: وعقله البخاري في كتابه فقال: ورواه حمّاد بن سلمة. قلت: ولم أره في الأطراف فالله أعلم.

---

(١) المسك: الجلد.

(٢) فدع: شق.

(٣) كتاب الخراج باب ٢٤.

وقال أبو داود: حدّثنا سليمان بن داود المهري، حدّثنا ابن وهب، أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع، عن عبد الله بن عمر قال: لما فتحت خيبر سألت يهود رسول الله ﷺ أن نقرّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها، فقال رسول الله ﷺ: «أُقِرّكُمْ فيها عَلى ذَلكَ مَا شئْنَا»[١]، فكانوا على ذلك، وكان التمر يقسم على السهمان من نصف خيبر، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر، وعشرين وسقاً من شعير. فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبيّ ﷺ فقال لهن: من أحبّ منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها، ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير، فعلنا، ومن أحبّ أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا. وقد روى أبو داود من حديث محمّد بن إسحاق: حدّثني نافع عن عبد الله بن عمر: أن عمر قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء، فمن كان له مال فليلحق به، فإني مخرج يهود . فأخرجهم وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المُسَيّب: أن جُبَيْر بن مطعم أخبره قال: مشيت أنا وعثمان بن عفّان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أعطيت بني المطّلب من خمس خيبر، وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك. فقال: «إِنَّمَا بَنو هاشم وبنو المطَّلب شيْءٌ واحدٌ». قال جبير بن مطعم: ولم يُقسم النبيّ ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً. تفرّد به دون مسلم. وفي لفظ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ بني هاشم وبني عبد المطَّلب شيْءٌ واحدٌ. إنَّهُمْ لَمْ يفارقونا في جاهلِيَةٍ وَلاَ إِسْلام»[٢]. قال الشافعي دخلوا معهم في الشعب وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم. قلت وقد ذمّ أبو طالب بني عبد شمس ونوفلاً حيث يقول: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

وقال البخاري: حدّثنا الحسن بن إسحاق، ثنا محمّد بن ثابت، ثنا زائدة عن عُبَيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: قسّم رسول الله ﷺ يوم خَيْبر للفرس سَهْمين، وللراجل سهماً. قال: فسّره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، وإن لم يكن معه فرس فله سهم. وقال البخاري: حدّثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا محمّد بن جعفر، أخبرني زيد عن أبيه، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس ببّاناً[٣] ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلاّ قسمتها كما قسم النبيّ ﷺ خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها. وقد رواه البخاري أيضاً من حديث مالك، وأبو داود، عن أحمد بن حنبل، عن ابن مهدي، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عمر به. وهذا السياق يقتضي أن خَيْبر بكمالها قسّمت بين الغانمين. وقد قال أبو

(١) أخرجه أبو داود في الخراج باب ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٣) بتشديد الباء الثانية كما في النهاية والمصباح، وهي كلمة غير عربية، ومعناها: على وتيرة واحدة.

داود: ثنا ابن السرح، أنبأنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خَيْبر عنوة بعد القتال، وترك من ترك من أهلها [على الجلاء] بعد القتال، وبهذا قال الزهري: خمّس رسول الله ﷺ خَيْبر، ثم قسّم سائرها على من شهدها؛ وفيما قاله الزهري نظر، فإن الصحيح أن خَيْبر جميعها لم تقسم، وإنما قسم نصفها بين الغانمين[1]، كما سيأتي بيانه، وقد احتجّ بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيّر في الأراضي المغنومة، إن شاء قسمها، وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينو به في الحاجات والمصالح.

قال أبو داود[2]: **حدّثنا** الربيع بن سليمان المؤذن، ثنا أسد بن موسى، حدّثنا يحيى بن زكريا، حدّثني سفيان عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار، عن سهل بن أبي حثمة قال: قسّم رسول الله ﷺ خيبر نصفين؛ نصفاً لنوائبه، ونصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً. تفرّد به أبو داود، ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلاً، فعيّن نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسلالم وما حيز معها، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معهما، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما. وقال أيضاً: **حدّثنا** حسين بن علي، ثنا محمّد بن فضيل عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسّار مولى الأنصار، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خَيْبر فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، جمع كل سهم مائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس. تفرّد به أبو داود. قال أبو داود: **حدّثنا** محمّد بن عيسى، ثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرّحمٰن بن يزيد الأنصاري، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القرّاء الذين قرؤوا القرآن - قال: قسمت خيبر على أهل الحديبية، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة، فيهم ثلاثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً. تفرّد به أبو داود. وقال مالك عن الزهري: أن سعيد بن المسيّب أخبره أن النبي ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة. ورواه أبو داود، ثم قال أبو داود: قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب، حدّثني مالك بن أنس عن ابن شهاب، أن خيبر بعضها كان عنوة، وبعضها صلحاً، والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح، قلت لمالك: وما الكتيبة؟ قال: أرض خيبر وهي أربعون ألف عذق[3]. قال أبو داود والعذق النخلة. والعذق العرجون. ولهذا قال البخاري: حدّثنا محمّد بن بشار، ثنا حرمي، ثنا شعبة، ثنا عمارة عن عكرمة، عن عائشة قالت: فلما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من

(١) في ط: الناس.

(٢) كتاب الخراج باب ٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الخراج باب ٢٤.

التمر. حدّثنا الحسن، ثنا قرة بن حبيب، ثنا عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر. وقال محمّد بن إسحاق: كانت الشق والنطاة في سِهْمان المسلمين، الشق ثلاثة عشر سهماً، ونطاة خمسة أسهم، قسّم الجميع على ألف وثمانمائة سهم، ودفع ذلك إلى من شهد الحُدَيْبية من حضر خَيْبر ومن غاب عنها، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلاّ جابر بن عبد اللّه فضرب له بسهمه، قال: وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمائة، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهماً، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم. وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد، عن صالح بن كيسان: أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة معهما مائتا فرس.

قلت: وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم، وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن عدي.

قال ابن إسحاق: وكانت الكَتِيبة خمساً لله تعالى وسهم النبي ﷺ وسهم ذوي القُربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطعمة أزواج النبيّ ﷺ وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك، منهم مُحَيصة بن مسعود أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسْقاً من تمر، وثلاثين وسقاً من شعير، قال: وكان واديا اللذان قسمت عليه يقال لهما: وادي السرير ووادي خاص. ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها، فأجاد وأفاد رحمه الله. قال: وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبّار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بني سلمة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما.

قلت: وكان الأمير على خرص[1] نخيل خيبر عبد اللّه بن رواحة فخرّصها سنتين، ثم لما قتل رضي الله عنه كما سيأتي في يوم مؤتة، ولي بعده جبّار بن صخر رضي الله عنه. وقد قال البخاري: حدّثنا إسماعيل، حدَّثني مالك عن عبد المجيد بن سهيل، عن سعيد بن المُسَيّب، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خَيْبر، فجاء بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟» قال: لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة، فقال: «لاَ تَفْعَلْ بِعِ الجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَغِ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيباً». قال البخاري: وقال الدراوَرْدي عن عبد المجيد، عن سعيد بن المُسَيّب: أن أباَ سعيد وأبا هريرة حدّثاه: أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر، وأمّره عليها، وعن عبد المجيد، عن أَبي صالح السمان، عن أَبي سعيد، وأَبي هريرة مثله.

قلت: كان سهم النبيّ ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها، وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر، نزلوا من شدّة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه

(١) خرص النخل: حزره وقدره.

فصالحوه، وأموال بني النّضير المتقدم ذكرها مما لو يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة، ثم يجعل ما بقي مجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبيّ ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه، ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ: «نَحْنُ مَعْشَرَ الأنْبِياءِ لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ» ولما طلبت فاطمة وأزواج النبيّ ﷺ والعبّاس نصيبهم من ذلك، وسألوا الصدّيق أن يسلّمه إليهم؛ وذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» وقال: أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وصدق رضي الله عنه وأرضاه، فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق، وطلب العبّاس وعليّ على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث أن ينظرا في هذه الصدقة، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبيّ ﷺ يصرفها فيها، فأبى عليهم الصدّيق ذلك، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه، فتغضّبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك، ووجدت في نفسها بعض الموجدة، ولم يكن لها ذلك. والصدّيق من قد عرفت هي والمسلمون محلّه ومنزلته من رسول الله ﷺ، وقيامه في نصرة النبيّ ﷺ في حياته وبعد وفاته، فجزاه الله عن نبيّه وعن الإسلام وأهله خيراً، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر، ثم جدّد عليّ البيعة بعد ذلك، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوّض أمر هذه الصدقة إلى علي والعبّاس وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة، ففعل عمر رضي الله عنه ذلك، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته، فتغلّب على عليّ عمّه العباس فيها، ثم تساوقا يختصمان إلى عُمَر، وقدّما بين أيديهما جماعة من الصحابة، وسألا منه أن يقسّمها بينهما، فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر. فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث، وقال: انظرا فيها وأنتما جميع، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليّ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاءً غير هذا. فاستمرا فيها ومن بعدهما إلى ولدهما إلى أيام بني العبّاس تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها؛ أموال بني النّضير وفدك وسهم رسول الله ﷺ من خيبر.

فصل: وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فرضخ[1] لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة ولم يسهم لهم. قال أبو داود: حدّثنا أحمد بن حنبل، ثنا بشر بن المفضل عن محمّد بن زيد، حدّثني عُمَيْر مولى آبي اللحم قال: شهدت خيبر مع سادتي فكلّموا فيّ رسول الله ﷺ فأمر بي فقلّدت سيفاً، فإذا أنا أجرّه، فأُخبر أني مملوك، فأمر لي بشيء من طريق المتاع. ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن بشر بن المفضل به [وقال

(١) قال السهيلي: أصل الرضخ (بالمعجمة) أن تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيها وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس.

الترمذي حسن صحيح. ورواه ابن ماجه عن علي بن محمّد، عن وكيع، عن هشام بن سعد] عن محمّد بن زيد بن المهاجر، عن منقذ، عن عمير به.

وقال محمّد بن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء فرضخ لهن[1] [من الفيء] ولم يضرب لهنّ بسهم حدَّثني سليمان بن سُحَيم عن أمية بنت أَبي الصلت، عن امرأة من بني غفار، قد سمّاها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غِفار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ» قالت: فخرجنا معه، قالت: وكنت جارية حَدَثة السن، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رَحْله، [قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح، ونزلت عن حقيبة رحله، قالت] وإذا بها دَمٌ مني، وكانت أول حَيْضَة حِضْتها، قالت: فتقبّضت إلى الناقة واستحييت. فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «ما لَكِ؟ لَعَلَّكِ نُفِسْتِ»[2] قالت: قلت: نعم، قال: «فأَصْلِحي مِنْ نَفْسِكِ، ثُمّ خذي إناءً مِنْ مَاءٍ فاطْرَحِي فِيهِ مِلْحاً، ثُمَّ اغسِلِي ما أَصَابَ الحَقيبَةَ من الدَّم، ثُمّ عُودي لمرْكبك» قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة الّتي تَرَين في عنقي فأعطانيها، وعلّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً. قالت فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدفن معها، قالت: وكانت لا تَطهَر من حيضها إلاّ جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غُسْلها حين ماتت. وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمّد بن إسحاق به. قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه ورواه الواقدي عن أبي بكر بن أَبي سبرة، عن سليمان بن سحيم، عن أم علي بنت أبي الحكم، عن أمية بنت[3] أبي الصلت عن النبيّ ﷺ به. وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن بن موسى، ثنا رافع بن سلمة الأشجعي، حدَّثني حشرج بن زياد، عن جدّته أم أبيه قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خَيْبر، وأنا سادسة ست نسوة، قالت: فبلغ النبيّ ﷺ أن معه نساء، قالت: فأرسل إلينا فدعانا. قالت فرأينا في وجهه الغضب فقال: «مَا أَخْرَجَكُنَّ وبِأَمْرِ مَنْ خَرَجْتُنَّ؟» قلنا: خرجنا نناول السهام ونسقي السويق، ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله، قال: «فَمُرْنَ فَانْصَرِفْنَ»، قالت: فلما فتح الله عليه خَيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال، فقلت لها يا جدّة، وما الذي أخرج لكنّ؟ قالت: «تَمْراً».

قلت: إنما أعطاهن من الحاصل، فأما أنه أسهم لهنّ في الأرض كسهام الرجال فلا! والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي وفي كتابي عن أبي عبد اللّه الحافظ: أن عبد اللّه الأصبهاني أخبره: حدّثنا الحسين بن الجهم، ثنا الحسين بن الفرج، ثنا الواقدي، حدَّثني

---

(١) رضخ لهن: أي أعطاهن عطاءً يسيراً، لم يصل إلى نصيب السهم.

(٢) نفست: حضت.

(٣) في الإصابة أن اسمها: أمة أو أمامة أو أمينة، أو أمية وقال في ضبع أميمة بنت قيس بن أَبي الصلت، وفي الواقدي: أمية بنت قيس بن أبي الصلت.

عبد السّلام بن موسى بن جبير عن أبيه، عن جدّه عن عبد اللّه بن أنيس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خَيْبر ومعي زوجتي وهي حبلى، فنفست في الطريق، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي: «انقعْ لها تمراً، فإذا انعمَرَ فأمرْ به لتشربَهُ» ففعلت فما رأت شيئاً تكرهه، فلما فتحنا خَيْبر أجدى النساء ولم يُسْهم لهنّ، فأجدى زوجتي وولدي الذي ولد. قال عبد السلام: لست أدري غلام أو جارية.

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان بقي [بالحبشة](1) ممن هاجر إليها من المسلمين ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم [بخيبر](2)

قال البخاري: حدّثنا محمّد بن العلاء، ثنا أبو أسامة، ثنا يزيد بن عبد اللّه عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبيّ ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بردة والآخر أبو رُهم، إما قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبيّ ﷺ حين افتتح خيبر، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عُمَيس - وهي ممن قدم معنا - على حَفْصة زوج النبيّ ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حَفْصة وأسماء عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء ابنة عُمَيس، قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم! قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قالت: قال: «فما قُلْتِ لهُ؟» قالت: قلت: كذا وكذا، قال: «ليسَ بأحَقَّ بي منكُمْ ولهُ ولأصْحابه هجرةٌ واحدَةٌ، ولكُمْ أنتُمْ أهْلَ السَّفينَةِ هجْرَتانِ» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب(3) السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيّ ﷺ. قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال أبو بردة عن أبي موسى، قال النبيّ ﷺ: «إنّي لأعْرِفُ أصْواتَ رُفْقَةِ

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في أ.
(٣) في ط: وأهل.

الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ ـ أو قال الخيل ـ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ»[١]. وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب، وعبد الله بن براد عن أبي أسامة به. ثم قال البخاري: قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا حفص بن غياث، ثنا يزيد بن [عبد الله بن][٢] أبي بردة عن أبي موسى قال: قدمنا على النبيّ ﷺ بعد أن افتتح خيبر، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا. تفرّد به البخاري دون مسلم. ورواه أبو داود والترمذي وصحّحه من حديث يزيد به. وقد ذكر محمّد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمْري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبيّ ﷺ خيبر. قال: وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسَرُّ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ». وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح، عن الشعبي مرسلاً، وأسنده[٣] البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي عن الأجلح، عن الشعبي، عن جابر قال: لما قدم رسول الله ﷺ من خَيْبر قدم جعفر من الحبشة، فتلقّاه وقبّل جبهته وقال: «وَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ» ثم قال البيهقي: أنبأنا[٤] أبو عبد الله الحافظ، ثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي، ثنا أحمد بن محمّد البيروتي، ثنا محمّد بن أحمد بن أبي طيبة، حدثني مكي بن إبراهيم الرعيني، ثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقّاه رسول الله ﷺ، فلما نظر جعفر إليه حجل ـ قال مكي: يعني مشى على رجل واحدة ـ إعظاماً لرسول الله ﷺ، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه. ثم قال البيهقي: في إسناده من لا يعرف إلى الثوري.

قال ابن إسحاق: وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً، وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم: جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وامرأته أسماء بنت عُمَيس، وابنه عبد الله ولد بالحبشة، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وولداه سعيد، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، ومُعَيقيب[٥] بن أبي فاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص، قال: وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عُتْبة بن ربيعة،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٩.

(٢) سقط في أ.

(٣) في ط وأسند.

(٤) في ط: حدثنا.

(٥) في ط: ومعيعب.

وأسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أسد الأسدي، وجَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل العبدري، وقد ماتت امرأته أم حَرْملة بنت عَبْد الأسود بأرض الحبشة، وابنه[١] عمرو، وابنته خُزَيمة ماتا بها رحمهم الله، وعامر بن أبي وقّاص الزهري، وعُتْبة بن مسعود حليف لهم من هُذَيل، والحارث بن خالد بن صَخْر التيمي، وقد هلكت بها امرأته رَيطة بنت الحارث رحمها الله، وعثمان بن رَبيعة بن أُهْبان الجُمَحي، ومَحْمِيَة بن جزء الزبيدي حليف بني سَهْم، ومَعْمر بن عبد الله بن نضلة العدوي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس العامريان، ومع مالك هذا امرأته عَمْرة بنت السَّعْدي، والحارث بن عبد قيس بن لَقِيط الفهري.

قلت: ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري، وأخويه أبا بردة وأبا رَهم، وعمّه أبا عامر، بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى، ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسنّ منه كما تقدم في صحيح البخاري. وكأن ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم. قال: وقد كان معهم في السفينتين نساءٌ من نساء من هلك من المسلمين هنالك، وقد حرّر ها هنا شيئاً كثيراً حسناً. قال البخاري: **حدّثنا** علي بن عبد الله، ثنا سفيان، سمعت الزهري وسأله إسماعيل بن أمية قال: أخبرني عنبسة بن سعيد، أن أبا هريرة أتى رسول الله ﷺ وسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعضُ بني سعيد بن العاص لا تُعْطِه! فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قَوْقل فقال: واعجباً لوبر تدلّى من قدوم الضّال[٢]. تفرّد به دون مسلم. قال البخاري: ويُذكر عن الزبيدي، عن الزهري، أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال: بعث رسول الله ﷺ أباناً على سرية من المدينة قبل نجد، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبيّ ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها، وأن حزم خيلهم لليف. قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله لا تقسم لهم، فقال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأل. وقال النبي ﷺ: «يَا أَبَانُ اجْلِسْ» ولم يقسم لهم[٣]، وقد أسند أبو داود هذا الحديث عن سعيد بن منصور، عن إسماعيل بن عياش، عن محمّد بن الوليد الزبيدي به نحوه[٤]. ثم قال البخاري: **حدّثنا** موسى بن إسماعيل، ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد، أخبرني جدّي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبيّ ﷺ فسلّم عليه، فقال أبو هريرة: يا رسول الله هذا قاتل ابنِ قوقل، فقال أبان لأبي هريرة: واعجباً لك يا وبر تردى من قدوم ضأل، تنعى عليّ امرأً أكرمه الله بيدي، ومنعه أن يهينني بيده؟ هكذا رواه منفرداً به ها هنا. وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي، عن سفيان، عن الزهري، عن

---

(١) في ط: وابنا.
(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.
(٣) انظر الحاشية السابقة.
(٤) في ط: نحو.

عنبسة بن سعيد، عن أَبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحها، فقلت: يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض آل سعيد بن العاص: لا تقسم له، فقلت: يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل؛ الحديث. قال سفيان: حدثنيه السعيدي - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جدّه عن أبي هريرة بهذا. ففي هذا الحديث التصريح من أَبي هريرة بأنه لم يشهد خَيْبر، وتقدّم في أول هذه الغزوة. رواه الإمام أَحمد من طريق عراك بن مالك، عن أَبي هُرَيرة، وأنه قدم علي رسول الله ﷺ بعدما افتتح خيبر، فكلّم المسلمين فأشركونا في أسهامهم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا روح، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن عمّار بن أَبي عمّار قال: ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قطّ، إلاّ قسم لي، إلاّ خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة.

قلت: وكان أبو هريرة وأَبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر. وقد قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أَبو إسحاق عن مالك بن أنس، حدَّثني ثور، حدَّثني سالم مولى [عبد اللّه] بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول: افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضّة، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القِرى ومعه عبد له يقال له: مدعم، أهداه له بعض بني الضبيب، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد. فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «كَلاَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَاراً» فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: «شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ».

ذكر قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر

قال البخاري(١): رواه عروة عن عائشة، عن النبيّ ﷺ. ثم قال: حدّثنا عبد اللّه بن يوسف، ثنا الليث، حدَّثني سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خَيْبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمّ، هكذا أورده ها هنا مختصراً.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا حجّاج، ثنا ليث عن سعيد بن أَبي سعيد عن أَبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودٍ» فجمعوا له فقال النبيّ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُم صَادِقِيَّ عَنْهُ؟» قالوا: نعم يا أَبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلاَنٌ» قالوا: صدقت وبررت فقال: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِذَا سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» قالوا: نعم يا أَبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ» فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وَاللّه لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً» ثم قال لهم: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِذَا

(١) كتاب المغازي باب ٣٨.

سألتكم؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال: «هلْ جعلتُمْ في هذهِ الشاةِ سُمّاً» فقالوا: نعم! قال: «مَا حملكُمْ على ذلكَ؟» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرّك[١]. وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة، كلاهما عن الليث به. وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العبّاس الأصم حدّثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين، عن الزهري عن سعيد بن المُسَيّب وأبي سلمة بن عبد الرّحمٰن، عن أبي هريرة: أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فقال لأصحابه: «أمسِكوا فإنّها مسمُومةٌ» وقال لها: «مَا حملكِ على ما صنعتِ؟» قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك. قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ. رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله، عن سعيد بن سليمان به. ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك. وقال الإمام أحمد: حدّثنا شريح، ثنا عباد عن هلال ـ هو ابن خباب ـ عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فأرسل إليها فقال: «مَا حملكِ علَى مَا صنعتِ؟» قالت: أحببت ـ أو أردت ـ إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم، قال: فسافر مرّة فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم. تفرّد به أحمد وإسناده حسن. وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ قالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كانَ اللّهُ ليُسلّطكِ عليّ» أو قال: «على ذلكِ» قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لاَ» قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. وقال أبو داود: حدّثنا سليمان بن داود المهري، ثنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدّث أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة مصلية[٢] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارْفعُوا أيْديكُمْ» وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها، فقال لها: «أسَممْتِ هٰذهِ الشّاةَ؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أخبَرَتْنِي هَذِهِ الّتِي فِي يَدِي» وهي الذراع، قالت: [نعم] قال: «فَمَا أرَدْتِ بذَلِكَ؟» قالت: قلت: إن كنت نبياً فلن تضرّك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم النبيّ ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار. ثم قال أبو داود: حدّثنا وهب بن بقية، ثنا خالد عن محمّد بن عمرو، عن أبي سَلَمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخَيْبر شاة مصلية، نحو حديث

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية باب ٧، والطب باب ٥٥.

(٢) صلى اللحم يصليه صلياً شواه في النار كأصلاه وصلاه. عن القاموس.

جابر، قال: فمات بِشر بن البراء بن معرور، فأرسل إلى اليهودية فقال: «ما حَمَلَكِ عَلى الَّذي صَنَعْتِ؟» فذكر نحو حديث جابر، فأمر رسول الله ﷺ فقُتِلت، ولم يذكر أمر الحجامة. قال البيهقي: ورويناه من حديث حمّاد بن سَلَمة عن محمّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيرة. قال: ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها. وروى البيهقي من حديث عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرَّحمٰن بن كعب بن مالك: أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر، فقال: «مَا هَذِهِ؟» قالت: هدية، وحَذِرت أن تقول صَدَقة فلا يأكل، قال: فأكل وأصحابه ثم قال: «أَمسِكوا» ثم قال للمرأة: «هَلْ سَمَمْتِ؟» قالت: من أخبرك هذا؟ قال: «هَذَا العَظْمُ» لساقها وهو في يده، قالت: نعم، قال: «لم؟» قالت: أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. قال: فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل، وأمر أصحابه فاحتجموا. ومات بعضهم. قال الزهري: فأسلمت فتركها النبيّ ﷺ. قال البيهقي: هذا مرسل ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة، وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مِرْحب لصفيّة شاة مصلية وسمّتها، وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفيّة ومعه بِشر بن البراء بن معرور، وهو أحد بني سَلَمة، فقدّمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها، وتناول بشر عظماً فانتهش منه، فلما استرط[1] رسول الله ﷺ لقمته، استرط بشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ارْفَعُوا أَيدِيكُم، فإِنَّ كَتِفَ هذه الشَّاةِ يُخبِرُني أنّي نُعِيتُ[2] فِيهَا» فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمتك أن أبغضك طعامك، فلما أسغت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي؛ فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان[3] وماطله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يحول. قال الزهري: قال جابر: واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال: «مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيبَر عِداداً حَتَّى كَانَ هَذَا أَوَانُ انقِطَاعِ أَبْهَرِي»[4] فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً.

وقال محمّد بن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة

(١) استرط: بلع.

(٢) نعاه له نعياً ونَعيّاً أخبره بموته، والنعي الناعي.

(٣) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص.

(٤) الأبهر: هو الشريان المعلق بالقلب.

سلام بن مِشْكم شاة مَصْلِيّة، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السمّ، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بِشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ. فأما بشر فأساغها، وأمّا رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: «إنَّ هٰذَا العظْمَ يُخْبِرُني أنّهُ مَسْمُومٌ» ثم دعا بها فاعترفت، فقال: «ما حمَلكِ على ذلِك؟» قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذّاباً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر. قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بِشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور -: «يا أمّ بشرٍ إنّ هذا الأوانَ وجدْتُ انقطاعَ أبهري منَ الأُكْلة التي أكلْتُ معَ أخِيكِ بخيبر». قال ابن هشام: الأبهر العرق المعلق بالقلب. قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوّة. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدّثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرّاني قالا: ثنا أبو غياث سهل بن حماد، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سَمِيطاً، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله ﷺ: «أمْسكُوا فإنَّ عُضواً مِنْ أعْضَائها يخبِرُني أنّها مَسْمُومَةٌ» فأرسل إلى صاحبتها: «أسَمَمْتِ طعَامَكِ؟» قالت: نعم؛ قال: «مَا حَملك على ذلكِ؟» قالت: إن كنت كذّاباً أن أريح الناس منك، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه. فبسط يده وقال: «كُلُوا بِسْم اللّهِ» قال: فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضرّ أحداً منا.. ثم قال: لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلاّ من هذا الوجه.

قلت: وفيه نكارة وغرابة شديدة والله أعلم. وذكر الواقدي: أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر، فطمع من رؤياه أن يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها؛ فقال: يا محمّد أعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ: «كَذَبَتْ رُؤْيَاكَ» وأخبره بما رأى، فرجع عيينة فلقيه الحارث بن عوف فقال: ألم أقل إنك توضع في غير شيء، والله ليظهرنّ محمّد على ما بين المشرق والمغرب، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا، أشهد لسمعت أبا رافع سلاّم بن أبي الحُقَيق يقول: إنا لنحسد محمّداً على النبوّة حيث خرجت من بني هارون، إنه لمرسل، ويهود لا تطاوعني على هذا. ولنا منه ذبحان؛ واحد بيثرب وآخر بخيبر. قال الحارث: قلت لسلام يملك الأرض؟ قال: نعم والتوراة التي أُنزلت على موسى، وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه.

فصل: قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القُرى، فحاصر أهلها ليال، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة. ثم ذكر من قصّة مدعم وكيف جاءه سهم

غاربٌ[١] فقتله، وقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «كلاً والّذي نفسِي بيدِهِ إنّ الشمْلةَ الّتي أخَذها يوْمَ خيبرَ لمْ يُصبْها المَقاسِمُ لتشْتَعِلُ علَيهِ نَاراً»[٢]. وقد تقدّم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم. وسيأتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القُرى.

قال الإمام أَحمد: حدّثنا يحيى بن سعيد عن محمّد بن يحيى بن حبان، عن أبي عمرة، عن زيد بن خالد الجهني: أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفي يوم خيبر، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «صَلُّوا على صَاحِبِكُمْ» فتغيّر وجوه الناس من ذلك، فقال: «إنّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ في سَبِيلِ اللّه» ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين[٣] وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطّان. ورواه أبو داود وبشر بن المفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به. وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر، وتجمّعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً، فلما تحقّقوا ذلك هربوا كل مهرب؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب، وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلّت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سدّ الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة؛ وأولم عليها بحيس، وأقام ثلاثة أيام يبني عليه بها، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها، وكانت إحدى أمّهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مدّ عليها الحجاب وهو مردفها، وراءه رضي الله عنها. وذكر محمّد بن إسحاق في السيرة قال: لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جمّلتها إلى رسول الله ﷺ ومشّطتها وأصلحت من أمرها أم سُلَيم بنت مِلحان أم أنس بن مالك، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب متوشّحاً بسيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال: «مَا لَكَ يَا أبَا أيُوبَ؟» قال: خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اللّهُمَّ احْفَظْ أبَا أيُوبَ كَمَا بَاتَ يحْفَظُنِي» ثم قال: حدّثني الزهري عن سعيد بن المُسَيّب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خَيْبر، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً فقال: «مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلاَلُ؟» قال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أَخذ بنفسك، قال: «صَدَقْتَ»، ثم اقتاد ناقته غير كثير، ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك. وهكذا رواه مالك عن الزهري، عن سعيد مرسلاً، وهذا مرسل من هذا الوجه؛ وقد قال أبو داود: حدّثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، أخبرني يونس

---

(١) سهم غارب: سهم لا يدرى راميه.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٧٣، والنسائي في الجنائز باب ٦٦، وابن ماجه في الجهاد باب ٣٤، ومالك في الجهاد حديث ٢٣، وأحمد في المسند ٤/ ١١٤، ٥/ ١٩٢.

عن ابن شهاب، عن سعيد بن المُسَيِّب، عن أَبي هريرة: أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خَيْبر، فسار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرّس[1] وقال لبلال: «اكْلأْ لَنا اللَّيلَ[2]» قال: فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ النبيّ ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله ﷺ وقال: «يا بلال» قال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلّى لهم الصبح، فلما أن قضى الصلاة قال: «مَنْ نَسِيَ صلاةً فَلْيُصلِّها إذا ذكرها، فإنَّ اللّه تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝﴾»[3] [سورة طه ١٤] قال يونس: وكان ابن شهاب يقرأها كذلك. وهكذا رواه مسلم عن حرملة بن يحيى، عن عبد اللّه بن وهب به؛ وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خيبر. وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد، عن عبد الرّحمٰن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود: أن ذلك كان مرجعهم من الحُدَيْبِية، ففي رواية عنه: أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم[4]، وفي رواية عنه: أنه هو الذي كان يكلؤهم. قال الحافظ البيهقي: فيحتمل أن ذلك كان مرّتين. قال: وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة، وفيه حديث الميضأة، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرّتين أو مرّة ثالثة. قال: وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك. قال: وروى زافر بن سليمان عن شعبة، عن جامع بن شداد، عن عبد الرّحمٰن، عن ابن مسعود: أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فالله أعلم. ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابي، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة، وقصة المرأة صاحبة السطيحتين، وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله، ولم ينقص ذلك منهما شيئاً. ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني عن عبد اللّه بن رباح، عن أَبي قتادة، وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضأة. وقد رواه عبد الرزّاق عن معمر، عن قتادة.

وقال البخاري: حدّثنا موسى بن إسماعيل، ثنا عبد الواحد عن عاصم، عن أَبي عثمان، عن أَبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً، وقال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على وادٍ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفسِكُمْ إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ» وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فقال: «يَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ قَيْسٍ» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «أَلاَ أَدُلُّكَ

---

(١) التعريس: نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة.

(٢) أي أرقبه وأحفظه وأحرسه.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد حديث ٣٠٩.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١١.

عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ» قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ». وقد رواه بقية الجماعة من طرق عن عبد الرَّحمٰن بن مل أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر، فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر كما تقدم.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لقيم في فتح خيبر: [الكامل]

رُمِيَتْ نَطَاةُ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَقٍ ... شَهْبَاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارِ[١]
وَاسْتَيْقَنَتْ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ ... وَرِجَالُ أَسْلَمَ وَسْطَهَا وَغِفَارِ
صَبِحَتْ بَنِي عَمْرِو بْنِ زَرْعَةَ غُدْوَةً ... وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارِ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ ... إِلاَّ الدَّجَاجَ تَصِيحُ بِالأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ ... مِنْ عَبْدِ الأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدَ اعْلَمُوا سِيمَاهُمُ ... فَوْقَ المَغَافِرِ لَمْ يَنُوا لِفِرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ ... وَلَيَثْوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ
فَرَّتْ يَهُودُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الوَغَى ... تَحْتَ العَجَاجِ غَمَائِمَ الأَبْصَارِ

فصل من استشهد بخيبر من الصحابة

على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي.

فمن خير المهاجرين: ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة الأسدي مولى بني أمية، وثقيف بن عمرو، ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية، وعبد اللّه بن الهبيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد بن ليث، حليف بني أسد وابن أختهم، ومن الأنصار بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ كما تقدم، وفضيل بن النعمان السلميّان، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زريق الزرقي، ومحمود بن مَسْلمة الأشهلي، وأبو ضياح حارثة بن ثابت بن النعمان العمري، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة بن سراقة، وأوس الفائد[٢] وأنيف بن حبيب، وثابت بن أَثْلة وطلحة، وعُمارة بن عُقْبة

---

(١) سماه في الإصابة لقيم الدجاج وأورده هذا البيت الأول هكذا:

رميت نطاه من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مذاكر وحفار

ونطاة: حصن بخيبر وقيل: عين ماء بقرية منها، وقيل هو اسم لأرض خيبر.

(٢) قال في الإصابة: أوس بن فائد وقيل ابن فاتك، وقيل ابن الفاتك، وفي الأصل الفارض وفي ابن هشام: أوس بن القائد.

رمي بسهم فقتله، وعامر بن الأكوع، ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدّم، والأسود الراعي. وقد أفرد ابن إسحاق ها هنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ولله الحمد والمنّة.

قال ابن إسحاق: وممن استشهد بخيبر فيما ذكره ابن شهاب من بني زهرة: مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قَتادة رضي الله عنهم أجمعين.

خبر الحجّاج بن علاط البهزي رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: ولما فُتِحت خيبر كلّم رسول الله ﷺ الحجّاج بن عِلاط السّلمي ثم البَهْزي فقال: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شَيْبة بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها مُعْرض بن الحجاج - ومالاً متفرقاً في تجّار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله فأَذِنَ له، فقال: إنه لا بدّ لي يا رسول الله من أن أقول، قال: «قُلْ»، قال الحجّاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء[١] رجالاً من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خَيْبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالاً، وهم يتجسّسون الأخبار من الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجّاج بن عِلاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمّد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خَيْبر وهي بلد يهود وريف الحجاز؟ قال: قلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: [فقاموا فصاحوا بمكة][٢] فالتبطوا[٣] بجنب[٤] ناقتي يقولون إيه يا حجاج؟ قال: قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقد قُتِل أصحابُه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ، وأسر محمّد أسراً وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة] وقالوا: قد جاءكم الخبر وهذا محمّد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم، قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خَيْبر فأصيب من فلّ[٥] محمّد وأصحابه قبل أن يسبقني التجّار إلى ما هنالك؛ قال: فقاموا فجمعوا لي ما كان ليْ كأحثّ[٦] جمع سمعت به، قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي وكان لي عندها مال موضوع، فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجّار، قال: فلما سمع

---

(١) ثنية البيضاء: ثنية التنعيم بمكة.

(٢) سقط في ط.

(٣) التبطوا بجنب ناقتي: أي مشوا إلى جنبها ملازمين لها؛ مطيفين بها كمشي العرجان لازدحامهم حولها.

(٤) في ط: بجنبي.

(٥) الفل: القوم المنهزمون.

(٦) كأحث: كأسرع.

العبّاس بن عبد المطلب الخبر وما جاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار، فقال: يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم! قال: قلت فاستأخر حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف حتى أفزغ، قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت الخروج، لقيت العبّاس فقلت: احفظ علي حديثي يا أبا الفضل؛ فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت؛ قال: أفعل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفيّة بنت حُيَي - وقد افتتح خَيْبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه، قال: ما تقول يا حجاج؟! قال: قلت: أي والله فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلاّ لآخذ مالي، فَرَقاً عليه من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث، فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب، قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العبّاس حلّة له، وتخلق[1] وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة! قال: كلا والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمّد خَيْبر ونزل عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، وأصبحت له ولأصحابه! قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ أمواله، فانطلق ليلحق بمحمّد وأصحابه فيكون معه، فقالوا: يا لعباد الله، انفلت عدوّ الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم ينشبوا[2] أن جاءهم الخبر بذلك. هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصّة منقطعة، وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: حدّثنا عبد الرزّاق، ثنا معمر، سمعت ثابتاً يحدّث عن أنس قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خَيْبر قال الحجّاج بن عِلاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم، أفأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء. فأتى امرأته حين قدم فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمّد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم. قال: وفشا ذلك بمكة فاجتمع[3] المسلمون، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً، قال: وبلغ الخبر العبّاس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر: فأخبرني عثمان الخزرجي عن مقسم قال: فأخذ ابناً يقال له: قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول:

حُبّي قُثَمْ ... شِبْهَ ذِي الأَنْفِ الأَشَمْ
بِنِي ذِي النِّعَمْ ... بِرَغْمِ مَنْ رَغَمْ

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى حجّاج بن عِلاط فقال: ويلك ما جئت

---

(١) تخلّق: تطيب بالخلوق، وهو نوع من الطيب.

(٢) لم ينشبوا: أي لم يلبثوا غير قليل.

(٣) في ط: فانقمع.

به، وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، فقال حجاج بن علاط: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسرّه، فجاء غلامه، فلما بلغ الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العبّاس فرحاً حتى قبّل بين عينيه، فأخبره ما قال حجّاج فأعتقه، قال: ثم جاءه الحجّاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حُيَي واتخذها لنفسه، وخيّرها أن يعتقها وتكون زوجه أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، قال: ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فاخفِ عليّ ثلاثاً، ثم اذكر ما بدا لك. قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العبّاس امرأة الحجّاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خَيْبر على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً؟ قال: فإني صادق والأمر على ما أخبرتك، ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مرّ بهم: لا يصيبك إلاّ خير يا أبا الفضل، قال: لم يصبني إلاّ خير بحمد الله، أخبرني الحجّاج بن عِلاط أن خيبر فتحها الله على رسوله، وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ها هنا ثم يذهب، قال: فردّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العبّاس فأخبرهم الخبر، فسرّ المسلمون وردّ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين[1]. وهذا الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزّاق به نحوه. ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزّاق. ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان، عن زيد بن المبارك، عن محمّد بن ثور عن معمر به نحوه. وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع، منهم من يقول يظهر محمّد وأصحابه، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خَيْبر، وكان الحجاج بن عِلاط السلمي ثم البَهْزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر، وكان تحته أم شَيْبة أخت عبد الدار بن قُصي، وكان الحجّاج مكثراً من المال، وكانت له معادن أرض بني سليم، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر استأذن الحجّاجُ رسولَ الله ﷺ في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله، فأذن له نحو ما تقدم والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسّان: [الخفيف]

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٣٨، ١٣٩.

بِئْسَ مَا قَاتَلَتْ خَيَابِرُ(١) عَمَّا جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
كَرِهُوا المَوْتَ فَاسْتُبِيحَ حِمَاهُمْ وَأَقَرُّوا فِعْلَ الذَّمِيمِ الذَّلِيلِ
أَمِنَ المَوْتِ يَهْرُبُونَ فَإِنَّ المَوْ تَ مَوْتُ الهُزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري: [الطويل]

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُرُوضَهُ بِكُلِّ فَتًى عَارِي الأَشَاجِعِ مُزْوَدِ
جَوَادٍ لَدَى الغَايَاتِ لاَ وَاهِنِ القُوَى جَرِيءٍ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمَادِ القِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ المَشْرِفِيِّ المُهَنَّدِ(٢)
يَرَى القَتْلَ مَدْحاً إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنَ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ
يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ(٣) مُحَمَّدٍ وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُرِيبُهُ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُصَدِّقُ بِالأَنْبَاءِ بِالغَيْبِ مُخْلِصاً يُرِيدُ بِذَاكَ العِزَّ وَالفَوْزَ فِي غَدِ

فصل مروره ﷺ بوادي القُرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم

قال الواقدي: حدَّثني عبد الرَّحمٰن بن عبد العزيز عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة [قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من خَيبر إلى وادي القُرى وكان رفاعة بن] زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له: مِدْعم، وكان يرحل لرسول الله ﷺ، فلما نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود، وقدم إليها ناس من العرب، فبينا مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ وقد استقبلتنا يهود بالرّمي حين نزلنا، ولم نكن على تعبية، وهم يصيحون في آطامهم، فيقبل سهم عاثر فأصاب مِدْعماً فقتله، فقال الناس: هنيئاً له بالجنّة. فقال النبيّ ﷺ: «كَلاّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرٍ مِنَ المغانم لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَاراً» فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين. فقال النبيّ ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ». وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه.

قال الواقدي: فعبى رسول الله أصحابه للقتال وصفّهم، ودفع لواءه إلى سَعْد بن عُبَادة، وراية إلى الحُبَاب بن المُنْذر، وراية إلى سَهْل بن حنيف، وراية إلى عبّاد بن بِشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم، وحسابهم على

(١) خيابر: ج خيبر، ويريد أهل خيبر.
(٢) المشرفي: السيف.
(٣) الذمار: ما يجب حمايته.

الله، قال: فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوّام فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه عليّ فقتله، [ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله][١] حتى قُتِل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قتل منهم رجلاً دعا من بقي منهم إلى الإسلام، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام، وإلى الله عزّ وجل ورسوله، وقاتلهم حتى أمسى، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً. وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، فقسّم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله ﷺ خيبر وفَدَك ووادي القُرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجِزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، فلما كان عُمَر أخرج يهود خيبر وفدك، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القُرى لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، ومن وراء ذلك من الشام، قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنّمه الله عزّ وجلّ.

قال الواقدي: حدَّثني يعقوب بن محمّد عن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن أبي صَعصعة، عن الحارث بن عبد اللّه بن كعب، عن أم عمارة قالت: سمعت رسول الله ﷺ بالجَرْف وهو يقول: «لا تَطْرُقُوا النِّساءَ بَعْد صَلاةِ العِشاء» قالت: فذهب رجل من الحيّ فطرق أهله فوجد ما يكره، فخلى سبيلها ولم يهجر، وضنّ بزوجته أن يفارقها، وكان له منها أولاد وكان يحبّها، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره.

فصل: ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع. وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالها، وفي بعضها وقال لهم النبي ﷺ: «نُقِرُّكُمْ مَا شِئْنَا». وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد اللّه بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها، ثم يضمّنهم إياه، فلما قتل عبد اللّه بن رواحة بمؤتة بعث جبّار بن صخر كما تقدم. وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة.

وقال محمّد بن إسحاق: سألت ابن شهاب كف أعطى رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خَيْبر مما أفاء الله عليه، خمسها وقَسّمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: «إنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُ إلَيكُمْ هَذِهِ الأَمْوَالِ عَلَى أَنْ تَعْمَلُوهَا وَتَكُونَ ثِمَارُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَأُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللَّهُ» فقبلوا، وكانوا على ذلك يعملونها، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد اللّه بن رواحة فيَقْسِم ثمرتها[٢] ويعدل عليهم في الخَرْص، فلما توفّى الله نبيّه ﷺ أقرّها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: ثمرها.

توفي، ثم أقرّهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: «لاَ يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ دِينَانِ» ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله أذن لي في إجلائكم، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَجْتَمِعَنَّ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ دِينَانِ» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله ﷺ منهم.

قلت: قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم، وقد اغترّ بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم، من الشافعية: الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر مكذوب مفتعل لا أصل له، وقد بيّنت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد، وقد تعرّض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله، والشيخ أبي حامد في تعليقته، وصنّف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للردّ عليه، وقد تحركوا به بعد السبعمائة، وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب، فإن فيه شهادة سَعْد بن مُعَاذ، وقد كان مات قبل زمن خَيْبر، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ، وفي آخره وكتبه علي بن أبو طالب وهذا لحن وخطأ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرّعت بعد، فإنها إنما شرّعت أوّل ما شرّعت وأخذ من أهل نجران. وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق: وحدَّثني نافع مولى عبد اللّه بن عمر عن ابن عمر قال: خرجت أنا والزُّبَير بن العوّام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرّقنا في أموالنا، قال: فعدي علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت[1] يداي من مرفقي، فلما استصرخت على صاحباي فأتياني فسألاني: مَن صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري فأصلحا من يدي، ثم قدما بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود خيبر. ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد اللّه بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عَدْوتهم على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم كانوا أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود فأخرجهم.

قلت: كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخَيْبر، وقد كان وقفه في سبيل الله، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ كما هو ثابت في الصحيحين، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه.

قال الحافظ البيهقي في الدلائل: جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي.

---

(١) الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيها.

سرية أبي بكر الصدّيق إلى بني فزارة

قال الإمام أَحمد: حدّثنا بهز، ثنا عكرمة بن عمّار، ثنا إياس بن سلمة، حدَّثني أَبي قال: خرجنا مع أبي بكر [بن] أبي قحافة وأمّره رسول الله ﷺ علينا، فغزونا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلّينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة، فقتلنا على الماء من مرّ قبلنا، قال سلمة: ثم نظرت إلى عنق(١) من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل، وأنا أعدو في آثارهم، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال: فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال: فنفلني أبو بكر بنتها، قال: فما كشفتُ لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم بت فلم أكشف لها ثوباً، قال: فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي: «يا سلمةُ هبْ لي المرأة» قال: فقلت: والله يا رسول الله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد، لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: «يا سَلَمَةُ هبْ لي المَرأَةَ» قال: فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: «يا سَلَمَةُ هبْ لِي المَرأَةَ لِلّهِ أبُوكَ» قال: قلت: يا رسول الله والله ما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله، قال: بعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة(٢). وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمّار به.

سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبة وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً ومعه دليل من بني هلال، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم، وكر عمر راجعاً إلى المدينة، فقيل له: هل لك في قتال خثعم؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلاّ بقتال هوازن في أرضهم.

سرية عبد اللّه بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري: أن رسول الله ﷺ بعث عبد اللّه بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد اللّه بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي، حتى أتوه بخَيْبر، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خَيْبر

(١) عنق من الناس: أي جماعة منهم.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٤٦.

فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة نيار وهي من خَيْبر على ستة أميال، ندم يسير بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره، ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير، ضرب رجله فقطعها، واقتحم يسير وفي يده مخراش من شوحط[١]، فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجّه شجّة مأمومة[٢]. وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً، ولم يصب من المسلمين أحد، وبصق رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن رواحة، فلم تقيح ولم تؤذه حتى مات.

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روي من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرّة من أرض فَدَك، فاستاق نعمهم، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً، وقاتل قتالاً شديداً، ثم لجأ إلى فَدَك فبات بها عند رجل من اليهود، ثم كر راجعاً إلى المدينة.

قال الواقدي: ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة، فذكر منهم أسامة بن زيد، وأبا مسعود البدري، وكعب بن عجرة، ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرّة، وقوله حين علاه بالسيف: لا إله إلاّ الله، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل. وقد ذكر هذه القصّة يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن شيخ من بني سلمة، عن رجال من قومه أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرّة، فأصاب مِرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة. قال ابن إسحاق: فحدَّثني محمّد بن أسامة بن محمّد بن أسامة عن أبيه، عن جده أسامة بن زيد قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك -] فلما شهرنا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال: «يَا أُسَامَةُ مَنْ لَكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» فقلت: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل، قال: «فَمَنْ لَكَ يَا أُسَامَةُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» فوالذي بعثه بالحق ما زال يردّدها عليّ حتى تمنيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله. فقلت: إني أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، فقال: «بَعْدِي يَا أُسَامَةُ» فقلت: بعدك.

قال الإمام أحمد: حدّثنا هشيم بن بشير، أنبأنا حصين عن أَبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يحدِّث قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جُهَينة، قال: فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدّهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال:

(١) الشوحط: شجر من النبع.
(٢) أمه: جرحه في رأسه.

فغشيته أنا ورجل من الأنصار، فلما تغشيناه قال: لا إله إلاّ الله فكفّ عنه الأنصاري وقتلته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ؟» قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل، قال: فكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلاّ يومئذ[(١)]. وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه.

وقال ابن إسحاق: حدَّثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد اللّه الجهني، عن جندب بن مكيث الجهني قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد اللّه الكلبي، كلب ليث، إلى بني الملوّح بالكديد، وأمره أن يغير عليهم، وكنت في سريته، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد[(٢)] لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: إني إنما جئت لأسلم، فقال له غالب بن عبد اللّه: إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضيرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك، قال: فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويجلاً أسود كان معنا، وقال: امكث معه حتى نمر عليك، فإن نازعك فاحتز رأسه. ومضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلنا عشية بعد العصر، فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر[(٣)] فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته: إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك؟ فنظرت فقالت: والله ما أفقد منها شيئاً، قال: فناوليني قوسي وسهمين من نبلي، فناولته فرماني بسهم في جنبي، أو قال: في جبيني فنزعته فوضعته ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعته فوضعته ولم أتحرك، فقال لامرأته: أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ريبة لتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما لا تمضغهما علي الكلاب، قال: فأمهلنا حتى إذا راحت روايحهم، وحتى احتلبوا وعطنوا[(٤)] وسكنوا، وذهبت عتمة من الليل؛ شننا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ووجهنا قافلين به، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا، قال: وخرجنا سراعاً حتى نمرّ بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه، فانطلقنا به معنا، وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلاّ بطن الوادي من قديد، بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه، ونحن نجذبها أو نحدوها ـ شك النفيلي ـ فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك، ثم حذرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا. وقد رواه أبو داود من حديث محمّد بن إسحاق في روايته عبد اللّه بن غالب، والصواب غالب بن عبد اللّه كما تقدّم. وذكر الواقدي هذه القصّة بإسناد آخر وقال فيه:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٠٠.

(٢) القديد: موضع قريب من مكة.

(٣) الحاضر: جماعة من الناس النازلون على الماء.

(٤) عطنوا: ارتاحوا بعد الشراب.

وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً. ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خَيْبر، فلقوا جَمْعاً من العرب وغنموا نعماً كثيراً، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل، ودليله حسيل بن نويرة، وهو الذي كان دليل النبيّ ﷺ إلى خَيبر قاله الواقدي.

سرية أَبي حدرد إلى الغابة

قال يونس عن محمّد بن إسحاق: كان من حديث قصة أَبي حدرد وغزوته إلى الغابة، ما حدَّثني جعفر بن عبد اللّه بن أسلم عن أبي حدرد قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم، قال: فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال: «كَمْ أَصْدَقْتَ؟» فقلت: مائتي درهم، فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُمْ تَأْخُذُونَهَا مِنْ وَادٍ مَا زِدْتُمْ. وَاللَّهِ ما عندي مَا أُعِينُكَ بِهِ» فلبثت أياماً، ثم أقبل رجل من جُشَم بن معاوية يقال له: رفاعة بن قيس ـ أو قيس بن رفاعة ـ في بطن[١] عظيم من جُشَم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جشم، قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال: «اخْرُجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ». وقدم لنا شارفاً عجفاء[٢] فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت، وقال: «تَبَلَّغُوا عَلَى هَذِهِ» فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت في ناحية، وأمرت صاحبيّ فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشددت في العسكر فكبّرا وشدّا معي، فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غرّة أو نرى شيئاً، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء[٣]، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم وتخوّفوا عليه، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال: والله لأتيقنن أمر راعينا، ولقد أصابه شر، فقال نفر ممن معه: والله لا تذهب نحن نكفيك، فقال: لا إلاّ أنا، قالوا: نحن معك، فقال: والله لا يتبعني منكم أحد، وخرج حتى مرّ بي، فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده، فوالله ما تكلّم فوثبت إليه فاحتززت رأسه، ثم شددت ناحية العسكر وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا، فوالله ما كان إلاّ النجا ممن كان فيه عندك[٤] بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم؛ واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي فجمعت إليّ أهلي.

---

(١) بطن: أصغر من قبيلة.

(٢) الشارف: الناقة المسنّة. العجفاء: الهزيلة.

(٣) فحمة العشاء: أول ظلام الليل.

(٤) كذا في الأصول. والذي في ابن هشام: فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه عندك الخ.

السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن عبد اللّه بن قُسيط عن ابن عبد اللّه بن أَبي حدرد عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين منهم: أبو قتادة الحارث بن رِبْعيّ ومحلّم بن جَثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود[١] له معه متيع[٢] له ووطب[٣] من لبن، فسلّم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [سورة النساء ٩٤] هكذا رواه الإمام أحمد عن يعقوب، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد اللّه بن قُسَيط، عن القعقاع بن عبد اللّه بن أبي حدرد، عن أبيه فذكره.

قال ابن إسحاق: حدَّثني محمّد بن جعفر: سمعت زياد بن ضُمَيرة بن سعد الضّمري يحدث عن عروة بن الزبير، عن أبيه، وعن جدّه قالا: ـ وكانا شهدا حنيناً ـ قالا: فصلى رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقعد فيه، فقام إليه عُيَينة بن بدر، فطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيّد [قيس، وجاء الأقرع بن حابس يرد محلم ابن جثامة فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر][٤] هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟ فقال عيينة بن بدر: والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي، فقال رجل من بني ليث يقال له ابن مكيتل وهو قصير من الرجال فقال: يا رسول الله ما أجد لهذا القتيل شبهاً في غرّة الإسلام إلاّ كغَنَم وردت فشُرِبَتْ[٥] أولاها فنفرت أخراها استن[٦] اليوم وغيّر[٧] غداً، فقال رسول الله ﷺ: «هلْ لكُمْ أَنْ تأْخُذوا خمْسين بَعيراً الآنَ وَخمْسينَ إذا رَجعْنا إلى المدِينة؟» فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية، فقال قوم محلّم بن جثامة إيتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فجاء رجل طوال ضرب اللحم[٨] في حلّة قد تهيأ فيها للقتل، فقام بين يدي النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ: «اللّهُمّ لاَ تَغفِرْ لِمُحَلِّمٍ» قالها ثلاثاً، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه.

---

(١) القعود: البعير يقعده الراعي في كل حاجة.
(٢) متيع: تصغير متاع.
(٣) الوطب: وعاء للبن.
(٤) سقط في ط.
(٥) في ابن هشام: فرميت.
(٦) استن اليوم: أحكم لنا اليوم بالدم في أمرنا هذا، واحكم غداً بالدية لمن شئت.
(٧) غيّر: من الغِيرة، وهي الدية هنا، وذلك أن قتله عند رسول الله ﷺ كان خطأ لا عمداً، ويُروى: غبر بالباء الموحدة أي أبق حكومة الدية إلى وقت آخر.
(٨) ضرب اللحم: خفيف اللحم.

قال محمّد بن إسحاق: زعم قوم أنه استغفر له بعد ذلك. وهكذا رواه أبو داود من طريق حمّاد بن سَلَمة عن ابن إسحاق، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر، عن ابن إسحاق، عن محمّد بن جعفر، عن زيد بن ضميرة، عن أبيه وعمه فذكر بعضه، والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمّد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة[1] عن أبيه، وعن جدّه، وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرَّحمٰن بن أبي الزناد، وعن عبد الرَّحمٰن بن الحارث، عن محمّد بن جعفر، عن زياد بن سعد بن ضميرة، عن أبيه وجده، بنحوه كما تقدّم.

وقال ابن إسحاق: حدَّثني سالم أبو النضر أنه قال: لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم، وقال: يا معشر قيس سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ ، فيغضب الله لغضبه، ويلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم، لتُسْلِمنّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتينّ بخمسين من بني تميم كلّهم يشهدون أن القتيل كافر، ما صلّى قط، فلا يطلبنّ دمه، فلما قال ذلك لهم: أخذوا الدية. وهذا منقطع معضل، وقد روى ابن إسحاق عمّن لا يتهم عن الحسن البصري: أن محلماً لما جلس بين يديه عليه الصّلاة والسلام قال له: «أمَّنْتَهُ ثُمَّ قَتَلْتَهُ؟» ثم دعا عليه، قال الحسن: فوالله ما مكث محلّم إلاّ سبعاً حتى مات فلفظته الأرض، ثم دفنوه فلفظته الأرض، ثم دفنوه فلفظته الأرض، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «إنّ الأرْضَ لَتطابقُ على مَنْ هوَ شرٌ مِنْهُ، وَلكنَ اللّه أرادَ أنْ يَعِظَكُمْ فِي حُرَم مَا بَيْنَكُمْ لِمَا أرَاكُمْ مِنْهُ» وقال ابن جرير: حدثنا وكيع، ثنا جرير عن ابن إسحاق، عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ محلّم بن جثامة مبعثاً، فلقيهم عامر بن الأضبط فحيّاهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم هنّة في الجاهلية ـ فرماه محلّم بسهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فتكلّم فيه عيينة والأقرع فقال الأقرع: يا رسول الله سنّ اليوم وغيّر غداً، فقال عيينة: لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي، فجاء محلّم في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ غَفَرَ اللّهُ لَكَ» فقام وهو يتلقّى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات، فدفنوه فلفظته الأرض، فجاؤوا النبيّ ﷺ فذكروا ذلك له فقال: «إنَّ الأرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌ مِنْ صَاحِبِكُمْ، وَلَكِنَّ اللّهَ أرَادَ أنْ يَعِظَكُمْ مِنْ حُرَمَتِكُمْ» ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء ٩٤] الآية. وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري، ورواه شعيب عن الزهري عن عبد اللّه بن وهب، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصّة إلاّ أنه لم يسمّ محلّم بن جثامة، ولا عامر بن الأضبط، وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصّة، وقال وفيه نزل قوله

(١) كذا في الأصل والخلاصة، وفي ابن هشام: زياد بن ضميرة بن سعد.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾.

قال: وقد تكلمنا على سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية ولله الحمد والمنة.

سرية عبد الله بن حذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن سعد بن عُبَيْدة، عن أَبي عبد الرَّحمٰن الحبلي، عن علي بن أَبي طالب قال: استعمل النبيّ ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا فقال: أوقدوا ناراً فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال: فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على النبيّ ﷺ ذكروا ذلك له فقال: «لوْ دَخلُوها ما خرَجُوا مِنْهَا، إنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[1] وهذه القصّة ثابتة أيضاً في الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، وقد تكلّمنا على هذه بما فيه كفاية في التفسير ولله الحمد والمنة.

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٠، ومسلم في الإمارة حديث ٤٠.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عمرة القضاء

ويقال القِصاص ورجّحه السهيلي ويقال عمرة القضية فالأَوْلى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا، ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلاّ في جلبان[1] السلاح، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية. وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية، وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له: ألم تكن تحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» قال: لا، قال: «فإنك آتيه ومُطوّفٌ به» وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رواحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكّة يوم عمرة القضاء وهو يقول: [الرجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... اليَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق الصبح.

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه، ثم خرج من ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدّوه عنها.
قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عُوَيف بن الأضبط الدؤلي ويقال لها: عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فاقتص رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه من سنة سبع، بلغنا عن ابن عبّاس أنه قال: فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾. وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في مغازيه: لما رجع رسول الله ﷺ من خَيْبر أقام بالمدينة، وبعث سراياه حتى استهل ذي القعدة فنادى في الناس أن تجهّزوا للعمرة، فتجهزوا وخرجوا إلى مكة.

---

(١) الجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف وقيل القوس والسيف ونحوه.

وقال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدّثت قريش بينها أن محمّداً في عسرة وجهد وشدّة. قال ابن إسحاق: فحدَّثني من لا أتهم عن عبد الله بن عباس قال: صفّوا له عند دار النّدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[١] بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امْرأً أرَاهُمُ اليَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً» ثم استلم الركن، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها فكان ابن عبّاس يقول: كان الناس يظنّون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحيّ من قريش، للذي بلغه عنهم حتى حجّ حجّة الوداع، فلزمها فمضت السنة بها.

وقال البخاري: ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد ـ هو ابن زيد ـ عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم النبيّ ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاث، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلّها إلاّ الإبقاء عليهم[٢]. قال أبو عبد الله ورواه أبو سلمة ـ يعني حمّاد بن سلمة ـ عن أيوب، عن سعيد، عن ابن عبّاس قال: لما قدم النبيّ ﷺ لعامهم الذي استأمن قال: «أرْمِلُوا لِيَرَى المُشْرِكُونَ قُوَّتَكُمْ» والمشركون من قبل قعيقعان. ورواه مسلم[٣] عن أبي الربيع الزهراني عن حمّاد بن زيد، وأسند البيهقي طريق حمّاد بن سَلَمة. وقال البخاري[٤]: ثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان، ثنا إسماعيل بن أبي خالد سمع ابن أبي أوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ، وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العُمْرة، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ ... أعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ... كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ[٥] ... وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام: نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمّار بن ياسر في غير هذا

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عضده الأيمن، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
(٢) أخرجه البخاري في الحج باب ٥٥.
(٣) كتاب الحج حديث ٢٤٠.
(٤) كتاب المغازي باب ٤٥.
(٥) مقيله: مكان راحته.

اليوم - يعني يوم صفّين - قاله السهيلي؛ قال ابن هشام: والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لم يقرّوا بالتنزيل، وإنما يقاتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل، وفيما قاله ابن هشام نظر، فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: لما دخل النبيّ ﷺ مكّة في عمرة القضاء مشى عبد اللّه بن رواحة بين يديه، وفي رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ نَزَّلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ القَتْلِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ اليَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم: إن رسول الله ﷺ دخل عام القضية مكة، فطاف بالبيت على ناقته، واستلم الركن بمحجنه. قال ابن هشام: من غير علّة، والمسلمون يشتدّون حوله، وعبد اللّه بن رواحة يقول: [رجز]

بِسْمِ الَّذِي لاَ دِينَ إِلاَّ دِينُهُ بِسْمِ الَّذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ
خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صدّه المشركون عن المسجد الحرام، حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلّها الحجف[1] والمجان[2] والرماح والنبل، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العبّاس، وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث، فزوّجها العبّاس رسول الله ﷺ، فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه قال: **«اكْشِفُوا عَنِ المَنَاكِبِ وَاسْعَوْا فِي الطَّوَافِ»** ليرى المشركون جَلَدهم وقوّتهم، وكان يكايدهم بكل ما استطاع، فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وعبد اللّه بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشّحاً بالسيف وهو يقول: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ أَنَا الشَّهِيدُ أَنَّهُ رَسُولُهُ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ فِي صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ
فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

---

(١) الحجف: التروس.
(٢) المجان: الدروع الصلبة.

ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال: وتغيب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً، ونفاسة وحسداً، وخرجوا إلى الخندمة، فقام رسول الله ﷺ بمكّة وأقام ثلاث ليال، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية، فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العُزّى ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدّث مع سعد بن عبادة، فصاح حويطب بن عبد العُزّى: نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فقال سعد بن عبادة: كذبت لا أم لك، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك، والله لا يخرج، ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال: «إنّي[1] قَدْ نَكَحْتُ[2] فيكُمْ امْرَأَةً، فَمَا يَضُرُّكُمْ أَنْ أَمْكُثَ حتَّى أَدْخُلَ بِهَا وَنَصْنَعَ الطَّعَامَ فَنَأْكُلَ وَتَأْكُلُونَ مَعَنا» فقالوا: نناشدك الله والعقد إلاّ خرجت عنا، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل ببطن سرف، وأقام المسلمون وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبنى بها، ثم أدلج فسار حتى أتى المدينة، وقدّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ. ثم ذكر قصّة ابنة حمزة إلى أن قال: وأنزل الله عزّ وجل في تلك العمرة ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صدّ فيه. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة، ففي صحيح البخاري من طريق فليح بن سليمان عن نافع، عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً، فحال كفّار قريش بينه وبين البيت، فنحر هَدْيه وحلق رأسه بالحُدَيْبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلاّ سيوفاً، ولا يقيم بها إلاّ ما أحبّوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج. وقال الواقدي: حدّثني عبد اللّه بن نافع عن أبيه، عن ابن عمر قال: لم تكن هذه عمرة قضاء، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدّهم فيه المشركون، وقال أبو داود: ثنا النفيلي، ثنا محمّد بن سلمة عن محمّد بن إسحاق، عن عمرو بن ميمون: سمعت أبا حاضر الحميري يحدّث: أن ميمون بن مهران قال: خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة، وبعث معي رجال من قومي بهَدْي، قال: فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم، قال: فنحرت الهدي مكاني، ثم أحللت، ثم رجعت، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي، فأتيت ابن عبّاس فسألته فقال: أبدل الهَدْي فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدّلوا الهَدْي الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء. تفرّد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميري، عن ابن عباس فذكره. وقال الحافظ البيهقي أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، ثنا

(١) في ط: إن. (٢) في ط: بكت.

أَحمد بن عبد الجبَّار، ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدَّثني عمرو بن ميمون قال: كان أبي يسأل كثيراً: أهل كان رسول الله ﷺ أبدل هدْيه الذي نحر حين صدّه المشركون عن البيت؟ ولا يجد في ذلك شيئاً، حتى سمعته يسأل أبا حاضر الحميري عن ذلك فقال له: على الخبير سقطت، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول، فأهديت هَدْياً فحالوا بيننا وبين البيت، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن، وقلت: لي برسول الله ﷺ أسوة، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عبّاس، فسألته عما نحرت عليّ بدله أم لا؟ قال: نعم فأبدل، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدّهم المشركون، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء، فعزّت الإبل عليهم، فرخّص لهم رسول الله ﷺ في البقر.

وقال الواقدي: حدَّثني غانم بن أَبي غانم عن عبد اللّه بن دينار، عن ابن عمر قال: جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلمي على هَدْيه يسير بالهَدْي أمامه، يطلب الرعي في الشجر معه أربعة فتيان من أُسلم، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضية ستين بدنة، فحدَّثني محمّد بن نعيم المجمر عن أبيه، عن أَبي هريرة قال: كنت مع صاحب البدن أسوقها. قال الواقدي: وسار رسول الله ﷺ يلبي والمسلمون معه يلبّون، ومضى محمّد بن مسلمة بالخيل إلى مرّ الظهران، فيجد بها نفراً من قريش، فسألوا محمّد بن مسلمة؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله، ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل، ففزعت قريش وقالوا: والله ما أحدثنا حدثاً، وإنا على كتابنا وهدنتنا ففيم يغزونا محمّد في أصحابه؟ ونزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش، حتى لقوه ببطن يأجج، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحقوا، فقالوا: يا محمّد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلاّ بسلاح المسافر السيوف في القرب، فقال النبيّ ﷺ: «**إنّي لاَ أُدْخِلُ عَلَيْهِمُ السِّلاَحَ**» فقال مكرز بن حفص: هذا الذي تعرف به البرّ والوفاء، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة. فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي ﷺ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال، وخلّوا مكة، وقالوا: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فأمر رسول الله ﷺ بالهَدْي أمامه حتى حبس بذي طوى، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محدقون به يلبّون[1]، وهم متوشّحون السيوف، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة آخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

إلى آخره.

(١) يلبون: يقولون: لبيك اللهم لبيك. . . .

وفي الصحيحين من حديث ابن عبّاس قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذي القعدة سنة سبع - فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفدٌ قد وهنتهم حمى يثرب، فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلّها إلاّ الإبقاء عليهم. قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن الصبّاح، ثنا إسماعيل بن زكريا عن عبد اللّه بن عثمان، عن أبي الطفيل، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ لما نزل مرّ الظهران من عمرته، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف، فقال أصحابه: لو انتحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومه، وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جمامة، فقال: «لا تفعلوا ولكنْ اجْمَعُوا لِي مِنْ أزْوادكم»، فجمعوا له وبسطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تركوا، وحشى كل واحد منهم في جرابه، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطبع بردائه ثم قال: «لا يرى القَوْمُ فِيكُمْ غمِيزةً»[1] فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليماني، مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما يرضون بالمشي أما إنهم لينفرون نفر الظباء، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنّة. قال أبو الطفيل: وأخبرني ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجّة الوداع. تفرّد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أبو داود: ثنا أبو سلمة موسى، ثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك سنّة؟ فقال: صدقوا وكذبوا، قلت: ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا رمل رسول الله ﷺ، وكذبوا ليس بسنّة، إن قريشاً زمن الحديبية قالت: دعوا محمّداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف[2]، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أرْمِلوا بالبَيْتِ ثلاثاً» قال وليس بسنّة[3]. وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وعبد اللّه بن عبد الرَّحمٰن بن أبي حسين، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر، ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن ابن عباس به نحوه. وكون الرمل في الطواف سنّة مذهب الجمهور، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء، وفي عمرة الجعرانة أيضاً، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن أبي الطفيل، عن ابن عبّاس فذكره. وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجّة الوداع في الطواف، ولهذا قال عمر بن الخطاب فيم الرملان وقد أطال الله الإسلام؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ، وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام.

---

(١) غميزة: نقيصة يشار إليها.

(٢) النغف: ج نغفة: دود يسقط من أنوف الدواب، وتقال إذا ضعف الرجل واستضعف يقال له: ما هو إلا نغفة.

(٣) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٣٧، وأبو داود في المناسك باب ٥٠.

وكان ابن عبّاس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنّة كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس قال: إنما سعى النبيّ ﷺ بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوّته. لفظ البخاري. وقال الواقدي: لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذّن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!! وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا. وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت. وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم. قال الحافظ البيهقي: قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام.

قلت: كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي، أن هذا كان في عمرة القضاء، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم.

قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق: حدّثني أبان بن صالح وعبد اللّه بن أبي نجيح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوّجه إياها العبّاس بن عبد المطلب. قال ابن هشام: كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفَضل، فجعلت أم الفَضل أمرها إلى زوجها العبّاس، فزوّجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة درهم. وذكر السهيلي: أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت: الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ. قال: وفيها نزلت الآية ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [سورة الأحزاب ٥٠]. وقد روى البخاري من طريق أيوب عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة وهو محرم. وبنى بها وهو حلال، وماتت بسَرف[١]. قال البيهقي: وروى الدارقطني من طريق أبي الأسود ثم[٢] عروة، ومن طريق مطر الورّاق عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال. قال: وتأولوا رواية ابن عبّاس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام، كما قال الشاعر: [الكامل]

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الخَلِيفَةَ مَحْرِمَا   فَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولاَ

أي في شهر حرام.

قلت: وفي هذا التأويل نظر، لأن الرواية متظافرة عن ابن عبّاس بخلاف ذلك، ولا سيما قوله تزوّجها وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٣.

(٢) في ط: يتيم.

شهر حرام. وقال محمّد بن يحيى الذهلي: ثنا عبد الرزّاق قال: قال لي الثوري: لا يلتفت إلى قول أهل المدينة. أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم، قال أبو عبد الله: قلت لعبد الرزّاق: روى سفيان الحديثين جميعاً عن عمرو، عن أبي الشعثاء، عن ابن عبّاس وابن خثيم، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبّاس؟ قال: نعم؛ أما حديث ابن خثيم فحدّثنا ها هنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدّثنا ثم - يعني بمكة[1][2] - وأخرجاه في الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به. وفي صحيح البخاري من طريق الأوزاعي: أنبأنا عطاء عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة وهو محرم. فقال سعيد بن المسيب: وهم ابن عبّاس، وإن كانت خالته، ما تزوّجها إلاّ بعدما أحل. وقال يونس عن ابن إسحاق: حدّثني بقية عن سعيد بن المسيب أنه قال: هذا عبد الله بن عبّاس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً، فشبه ذلك على ابن عبّاس. وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت: تزوّجني رسول الله ﷺ ونحن حلال بسَرف. لكن قال الترمذي: روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلاً أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة.
وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حمّاد بن زيد، ثنا مطر الورّاق عن ربيعة بن أبي عبد الرَّحمٰن، عن سليمان بن يسار، عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال، وكنت الرسول بينهما. وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، عن حماد بن زيد به، ثم قال الترمذي: حسن؛ ولا نعلم أحداً أسنده عن حمّاد، عن مطر، ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلاً، ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلاً.

قلت: وكانت وفاتها بسَرف سنة ثلاث وستين، ويقال سنة ستين رضي الله عنها.

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العُزَّى بعد مضي أربعة[3] أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم، وإنما أراد تأليفهم بذلك، فأبوا عليه، وقالوا: بل اخرج عنا، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق. وقال البخاري: حدّثنا عُبَيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: اعتمر النبيّ ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى

---

(١) في ط: باليمن.

(٢) أخرجه البخاري في الصيد باب ١٢، ومسلم في النكاح حديث ٤٦.

(٣) كذا في الأصل، وفي سيرة ابن هشام: ثلاثة وأتاه حويطب في اليوم الثالث.

قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله، قالوا: لا نقرّ بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمّد بن عبد اللّه قال: «أَنَا رَسُولُ اللَّه وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ثم قال لعلي بن أبي طالب: «امح: رَسُولُ اللَّهِ» قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد اللّه، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها، فلما دخلها[1] ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبيّ ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها عليّ فأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فحملتها فاختصم فيها عليّ وزيد وجعفر فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: «الخالةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» وقال لعلي: «أنت منّي وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومَوْلانا» قال علي: ألا تتزوج ابنة حمزة، قال: «إنّها ابنةُ أخِي مِن الرّضاعَة»[2]. تفرد به البخاري من هذا الوجه، وقد روى الواقدي قصّة ابنة حمزة فقال: حدَّثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عُمَيس كانت بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كلّم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال: علام نترك ابنة عمّنا يتيمة بين ظهراني المشركين؟ فلم ينه النبي ﷺ عن إخراجها، فخرج بها، فتكلّم زيد بن حارثة، وكان وصيّ حمزة، وكان النبيّ ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين، فقال: أنا أحق بها ابنة أخي، فلما سمع بذلك جعفر قال: الخالة والدة، وأنا أحقّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عُمَيس؛ وقال علي: ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين. وليس لكم إليها سبب دوني، وأنا أحق بها منكم، فقال النبيّ ﷺ: «أنا أحْكُمُ بَيْنَكُمْ. أمَّا أنتَ يَا زَيْدُ فَمَوْلَى اللَّه وَمَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ، وأَمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَتُشْبِهُ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَنْتَ يَا جَعْفَرُ أَوْلَى بِهَا، تَحْتَكَ خَالَتُهَا وَلاَ تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَى خَالَتِهَا وَلاَ عَلى عَمَّتِهَا»؛ فقضى بها لجعفر. قال الواقدي: فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله ﷺ، فقال: «مَا هَذَا يَا جَعْفَرُ؟» فقال: يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله، فقال للنبي ﷺ: تزوّجها؛ فقال: «ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ» فزوّجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة، فكان النبيّ ﷺ يقول: «هَلْ جَزَيْتَ أَبَا سَلَمَةَ»

قلت: لأنه ذكر الواقدي غيره أنه هو الذي زوّج رسول الله ﷺ بأمه أم سلمة، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجّة، وتولى المشركون

---

(١) في ط: دخل.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٣.

تلك الحجّة. قال ابن هشام: وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدّثني أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح ٢٧] [يعني خيبر][(١)].

فصل: ذكر البيهقي ها هنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سُلَيم، ثم ساق بسنده عن الواقدي: حدّثني محمّد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال: لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيّة، رجع في ذي الحجة من سنة سبع، فبعث ابن أبي العَوْجاء السلمي في خمسين فارساً، فخرج العين إلى قومه فحذّرهم وأخبرهم، فجمعوا جمعاً كثيراً، وجاءهم ابن أبي العَوْجاء والقوم معدّون، فلما أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم؛ وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه، فرموهم ساعة وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل جانب، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان.

فصل: قال الواقدي في الحجّة من هذه السنة ـ يعني سنة سبع ـ ردّ رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع، وقد قدمنا الكلام على ذلك، وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس، ومعه مارية وسيرين، وقد أسلمتا في الطريق، وغلام خصيّ. قال الواقدي: وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده، قال: والثبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثمان من الهجرة النبوية
[رب يسر وأعن بحولك وقوتك][(٢)]

فصل [في][(٣)] إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة رضي الله عنهم وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان [على ما سيأتي][(٤)]

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي[(٥)] وذلك في

(١) سقط في أ.
(٢) سقط في أ.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) واسمه سلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور قتله خمسة من أصحاب رسول الله بخيبر.

سنة خمس من الهجرة، وإنما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء، فروي من طريق الواقدي: أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: عمرو بن العاص: كنت للإسلام مجانباً معانداً، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أُحُداً فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، قال: فقلت في نفسي: كم أوضع[1] والله ليظهرنّ محمّداً على قريش، فلحقت بمالي بالرهط وأقللت من الناس - أي من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله ﷺ في الصلح، ورجعت قريش إلى مكة، جعلت أقول يدخل محمّد قابلاً مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف، ولا شيء خير من الخروج، وأنا بعد ناءٍ عن الإسلام، وأرى لو أسلمت قريش كلّها لم أسلم، فقدمت مكّة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدّمونني فيما نابهم، فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟ قالوا: ذو رأينا ومدرهنا[2] في يمن نفسه وبركة أمر، قال: قلت: تعلمون أني والله لأرى أمر محمّد أمراً يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت رأياً، قالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمّد كنّا عند النجاشي نكون تحت يد النجاشي، أحبّ إلينا من أن نكون تحت يد محمّد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا: هذا الرأي. قال قلت: فاجمعوا ما نهديه له - وكان أحبّ ما يهدى إليه من أرضنا الأدم - فحملنا أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضّمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه يزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان[3]، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك سرّت قريش، وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول محمّد، فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، أهديت لك أدماً كثيراً، ثم قدّمته فأعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقته، وأمر بسائره فأدخل في موضع، وأمر أن يكتب ويحتفظ به، فلما رأيت طيب نفسه قلت: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول عدوّ لنا قد وترنا، وقتل أشرافنا وخيارنا، فأعطنيه فأقتله، فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، فابتدر منخراي فجعلت أتلقى الدم بثيابي، فأصابني من الذلّ ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك، قال: فاستحيا وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، والذي كان يأتي عيسى لتقتله؟ قال عمرو: فغيّر الله قلبي عما كنت عليه، وقلت في نفسي عرف هذا الحق والعرب والعجم، وتخالف أنت! ثم

(١) أوضع البعير راكبه: إذا حمله على سرعة السير (النهاية).

(٢) مدرهنا: المدره: السيد الشريف، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال (قاموس).

(٣) هكذا في الأصل، وفي ابن هشام كان قد جاء في شأن جعفر وأصحابه، وفي السهيلي أنه جاء بكتاب النبيّ ﷺ وكان فيه دعوته إلى الإسلام.

قلت: أَتَشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعني واتبعه، فوالله إنه لعلى الحق وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قلت: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم فبسط يده فبايعني على الإسلام، ثم دعا بطست فغسل عني الدم وكساني ثياباً ـ وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فألقيتها ـ ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سروا بذلك، وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت لهم: كرهت أن أكلّمه في أول مرّة، وقلت أعود إليه، فقالوا: الرأي ما رأيت، قال: ففارقتهم وكأني أعمد إلى حاجة، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع، قال: فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشعبة، وخرجت من السفينة ومعي نفقة، فابتعت بعيراً، وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مرّ الظهران، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير، يريدان منزلاً، وأحدهما داخل في الخيمة، والآخر يمسك الراحلتين، قال: فنظرت فإذا خالدُ بنُ الوليد، قال: قلت: أين تريد؟ قال: محمّداً، دخل الناس في الإسلام، فلم يبق أحد به طعم، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مغارتها، قلت: وأنا والله قد أردت محمّداً وأردت الإسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحّب بي، فنزلنا جميعاً في المنزل. ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة، فما أنس قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح: يا رباح يا رباح يا رباح، فتفاءلنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد، وولى مدبراً إلى المسجد سريعاً، فظننت أنه بشّر رسول الله ﷺ بقدومنا، فكانت كما ظننت، وأنخنا بالحرّة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودي بالعصر، فانطلقنا على أظلعنا عليه، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سرّوا بإسلامنا، فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلاّ أن جلست بين يديه، فما استطعت أن أرفع طرفي حياءً منه. قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم يحضرني ما تأخر، فقال: «إِنَّ الإِسْلاَمَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالهِجْرَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا» قال: فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة، وكان عمر على خالد كالعاتب. قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي: فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب فقال: أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن مولاه حبيب، عن عمرو بن العاص نحو ذلك.

قلت: كذلك رواه محمّد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، عن راشد، عن مولاه حبيب [قال]: حدّثني عمرو بن العاص من فيه، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع، وسياق الواقدي أبسط وأحسن. قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد: فقلت ليزيد بن أبي حبيب وقّت لك متى قدم عمرو وخالد؟ قال: لا، إلاّ أنه قال: قبل الفتح، قلت: فإن أبي أخبرني أن عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة، قدموا الهلال صفر سنة ثمان، وسيأتي عند

وفاة عمرو من صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه، وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته، وكيف مات وهو يتأسّف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام، وصفة موته رضي الله عنه.

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي: حدّثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرّحمٰن بن الحارث بن هشام قال: سمعت أبي يحدّث عن خالد بن الوليد قال: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضرني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلّها على محمّد ﷺ، فليس في موطن أشهده إلاّ انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء، وأن محمّداً سيظهر، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان، فقمت بإزائه وتعرّضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم، ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما في أنفسنا من الهمّ به، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك منا موقعاً وقلت: الرجل ممنوع فاعتزلنا، وعدل عن سير خيلنا، وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح، قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين أذهب إلى النجاشي! فقد اتبع محمّد وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل، فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم في عجم، فأقيم في داري بمن بقي، فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية، فتغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبيّ ﷺ في عمرة القضيّة، فطلبني فلم يجدني، فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال: «أَيْنَ خَالِدٌ؟» فقلت: يأتي الله به، فقال: «مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلاَمَ؟ وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَجِدَّهُ[1] مَعَ المُسْلِمِينَ كَانَ خَيْراً لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك [من] مواطن صالحة. قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرّني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيّقة مجدبة، فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إن هذه لرؤيا، فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر، فقال: مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك، قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟ فلقيت صفوان بن أمية، فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه، إنما نحن كأضراس، وقد ظهر محمّد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمّد واتبعناه فإن شرف محمّد لنا شرف؟ فأبى أشدّ الإباء، فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً. فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن

(١) في ط: وجدّه.

أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت: فاكتم عليّ، قال: لا أذكره، فخرجت إلى منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة، فقلت: إن هذا لي صديق، فلو ذكرت له ما أرجو، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره، ثم قلت: وما علي وأنا راحل من ساعتي، فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر، لو صبّ فيه ذنوب من ماء لخرج، وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي، فأسرع الإجابة، وقلت له: إني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتي بفج مناخة، قال: فاتعدت أنا وهو بيأجج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه، قال: فأدلجنا سحراً، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة فنجد عمرو بن العاص بها، قال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك، فقال: إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمّد ﷺ، قال: وذاك الذي أقدمني، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرّة ركابنا، فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسرّ بنا، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي: فقال: أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك، فسرّ بقدومك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسّم إليّ حتى وقفت عليه، فسلّمت عليه بالنبوّة، فردّ عليّ السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله، فقال: «تَعالَ» ثم قال رسول الله ﷺ: «الحمْدُ للّهِ الّذي هَداكَ. قَدْ كُنتُ أرى لَكَ عَقْلاً رَجوْتُ أنْ لاَ يُسْلِمَكَ إلاّ إلَى خيْر» قلت: يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق، فادعُ الله أن يغفرها لي، فقال رسول الله ﷺ: «الإسْلامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ» قلت: يا رسول الله على ذلك، قال: «اللّهُمّ اغفِرْ لخَالِدِ بْنِ الوَليدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللّه» قال: خالد، وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ، قال: وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، قال: والله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه.

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن

قال الواقدي: حدَّثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد اللّه بن أَبي فروة، عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم، فخرج، وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى جاءهم وهم غارّين، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمعنوا في الطلب، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء، فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل [وزعم غيره أنهم أصابوا سبياً أيضاً وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة] ثم قدم أهلوهم مسلمين، فشاور النبيّ ﷺ أميرهم في ردّهن إليهم، فقال: نعم فردّوهن، وخيّر التي عنده الجارية، فاختارت المقام عنده، وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث سرية قِبَل نجد، فكان فيهم

عبد اللّه بن عمر، قال فأصبنا إبلاً كثيراً، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً، ونفلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً[١]، أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث، ومن حديث عبد اللّه، كلّهم عن نافع، عن ابن عمر بنحوه [وقال أبو داود: حدّثنا هناد، حدّثنا عبدة عن محمّد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر] قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد، فخرجت فيها، فأصبنا نعماً كثيراً، فنفلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله.

سرية كعب بن عمير إلى بني قضاعة

قال الواقدي: حدّثنا محمّد بن عبد اللّه الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً، حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فارتث منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ، فهمّ بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر.

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام.

قال محمّد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجّة، ـ وولي تلك الحجّة المشركون ـ والمحرم وصفراً وشهري ربيع وبعث في جُمَادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة. فحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادي الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «**إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ**» فتجهّز الناس، ثم تهيؤوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

وقال الواقدي: حدَّثني ربيعة بن عثمان عن عمرو بن الحكم، عن أبيه قال: جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَإنْ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلْيَرْتَضِ المُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلاً فَلْيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ**». فقال النعمان: أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سمَّيت من سمّيتِ قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً؛ إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا سمّوا الرجل على القوم، فقالوا: إن أصيب فلان ففلان،

(١) أخرجه البخاري في فرض الخمس باب ١٥، ومسلم في الجهاد حديث ٣٥، ومالك في الجهاد حديث ١٥.

فلو سمّوا مائة أصيبوا جميعاً، ثم جعل [اليهودي][1] يقول لزيد اعهد فإنك لا ترجع أبداً إن كان محمّد نبياً. فقال زيد: أشهد أنه نبي صادق بارّ. رواه البيهقي.

قال ابن إسحاق: فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراءَ رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم، فلمّا ودّع عبد اللّه بن رواحة مع من ودّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبّ الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [سورة مريم ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين، فقال عبد اللّه بن رواحة: [البسيط]

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتِ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[2]
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ وَالكَبِدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي[3] ... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيّؤوا للخروج، فأتى عبد اللّه بن رواحة رسول الله ﷺ فودّعه ثم قال: [البسيط]

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْراً كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ نَافِلَةً ... اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ البَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ ... وَالوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيّعهم حتى إذا ودّعهم وانصرف، قال عبد اللّه بن رواحة: [الطويل]

خَلَفَ السَّلَامَ عَلَى امْرِىءٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلِ

قلت: والحجاج بن أرطأة في روايته نظر والله أعلم، والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم جمعة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا أبو خالد الأحمر عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة فاستعمل زيداً، فإن قتل زيد فجعفر، فإن قتل جعفر فابن رواحة، فتخلّف ابن رواحة فجمع مع النبيّ ﷺ فرآه فقال: «مَا خَلَّفَكَ؟» فقال: أجمع معك، قال: «لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وقال أحمد: ثنا أبو معاوية، ثنا الحجاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس قال: بعث

---

(١) سقط في ط.

(٢) ذات فرع: ذات سعة، والزبد هنا: رغوة الدم.

(٣) جدثي: قبري.

رسول الله ﷺ عبد اللّه بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، قال: فقدّم أصحابه وقال: أتخلّف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة، ثم ألحقهم، قال: فلما صلّى رسول الله ﷺ رآه فقال: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَغْدُو مَعَ أَصْحَابِكَ؟» فقال: أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَتَهُمْ». وهذا الحديث قد رواه الترمذي من حديث أبي معاوية عن الحجاج ـ وهو ابن أرطأة ـ ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة أنه قال: لم يسمع الحكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها.

قال ابن إسحاق: ثم مضوا حتى نزلوا معاناً من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة ألف منهم، عليهم رجل من بلي، ثم أحد أراشة يقال له: مالك بن رافلة؛ وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، قال: فشجّع الناس عبد اللّه بن رواحة وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، قال فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس فقال عبد اللّه بن رواحة في محبسهم ذلك: [الوافر]

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وَفَرْعٍ ... تَغُرُّ مِنَ الحَشِيشِ إِلَى العُكُومِ[1]
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً[2] ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ ... فَأُعْقِبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُمُومُ[3]
فَرُحْنَا وَالجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنَفَّسَ فِي مَنَاخِرِهَا سَمُومُ
فَلاَ وَأَبِي مَآب لَنَأْتِيَنْهَا ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ وَالغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ[4]
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فِيهِ ... إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ

(١) أجأ: أحد جبلي طيىء؛ فرع: موضع، قال ياقوت: أطول جبل بأجأ وأوسطه. وتغر: تطعم شيئاً بعد شيء، والعكوم: ج عكم (بالفتح) وهو الجنب.

(٢) السبت: النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة.

(٣) الفترة: الضعف والسكون، والجموم: اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة.

(٤) بريم: يميل ويتباعد.

فَـرَاضِـيَـةُ الـمَـعِـيَـشَـةِ طَـلِّـقَـتْـهَـا أَسِـنْـتَـنَـا فَـتَـنْـكِـحُ أَوْ تَـئِـيـمُ[١]

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أنه حدَّث عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد اللّه بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه: [الوافر]

إِذَا أَدْنَـيْـتَـنِـي وَحَـمَـلْـتَ رَحْـلِـي مَـسِـيـرَةَ أَرْبَـعٍ بَـعْـدَ الـحِـسَـاءِ
فَـشَـأْنَـكِ أَنْـعُـمٌ وَخَـلاَكِ ذَمٌّ وَلاَ أَرْجِـعْ إِلَـى أَهْـلِـي وَرَائِـي
وَجَـاءَ الـمُـسْـلِـمُـونَ وَغَـادَرُونِـي بِـأَرْضِ الـشَّـامِ مُـشْـتَـنْـهَـى[٢] الـثَّـوَاءِ
وَرَدَّكَ كُـلُّ ذِي نَـسَـبٍ قَـرِيـبٍ إِلَـى الـرَّحْـمَـنِ مُـنْـقَـطِـعَ الإِخَـاءِ
هُـنَـالِـكَ لاَ أُبَـالِـي طَـلْـعَ بَـعْـلٍ وَلاَ نَـخْـلٍ أَسَـافِـلُـهَـا رُوَاءِ

قال فلما سمعتهن منه بكيت، فخفقني بالدرّة وقال: ما عليك يا لكَع، أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل؟ ثم قال عبد اللّه بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز: [رجز]

يَـا زَيْـدُ زَيْـدَ الـيَـعْـمُـلاَتِ الـذُّبَّـلِ تَـطَـاوَلَ الـلَّـيْـلُ هُـدِيـتَ فَـانْـزِلِ

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البَلْقاء، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب، بقرية من قرى البَلْقاء يقال لها مَشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبّى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة يقال له: قطبة بن قَتَادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُبَايَة بن مالك. وقال الواقدي: حدَّثني ربيعة بن عثمان عن المقبري، عن أبي هريرة قال: شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم! قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إنا لم ننصر بالكثرة رواه البيهقي. قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[٣] في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول المسلمين عقر في الإسلام. وقال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه عباد، حدَّثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة، غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول: [رجز]

(١) تئيم: أي تبقى دون زوج.

(٢) قال السهيلي: مستنهى الثواء، مستفعل من النهاية والانتهاء أي حيث انتهى مثواه ومن رواه مشتهي الثواء (كما في الأصل) أي لا أريد رجوعاً.

(٣) شاط الرجل: إذا سال دمه فهلك.

يَا حَبَّذا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِداً شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إنْ لاَقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق، ولم يذكر الشعر، وقد استدل من جواز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السير، ويخشى من لحوق العدو وانتفاعهم بها أنها تذبح وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم. قال السهيلي ولم ينكر أحد على جعفر، فدل على جوازه إلا إذا أمن أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً. قال ابن هشام: وحدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنّة يطير بهما حيث يشاء، ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين. قال ابن إسحاق: وحدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: حدَّثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرّة بن عوف قال: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية . ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول: [رجز]

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ[١]
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ فِي شِنَّهْ

وقال أيضاً: [رجز]

يَا نَفْسُ إنْ لاَ تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً، ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْق[٢] من لحم فقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس[٣] منه نهسة. ثم سمع الحطمة[٤] في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا ثم؟ ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه. قال: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان. فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا

(١) أجلب القوم: من الجلبة، أي الضجة؛ وهنا بمعنى صاحوا واجتمعوا، والرنّة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

(٢) العرق: العظم الذي عليه بعض لحم.

(٣) انتهس: أخذ بمقدم أسنانه.

(٤) الحطمة: ازدحام الناس وحطم بعضهم بعضاً.

بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى[1] بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس. قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني -: **«أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً»**، قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: **«أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً»**، ثم قال: **«لَقَدْ رُفِعُوا إِلَى الجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَاراً عَنْ سَرِيرَيْ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْتُ: عَمَّ هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَعْضَ التَّرَدُّدِ ثُمَّ مَضَى»**. هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً، وقد قال البخاري: ثنا أحمد بن واقد، ثنا حمّاد بن زيد عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر، فقال: **«أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»**[2]. تفرّد به البخاري ورواه في موضع آخر، وقال فيه وهو على المنبر: **«وَمَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا»**. وقال البخاري: ثنا أحمد بن أبي بكير، ثنا مغيرة بن عبد الرحمٰن المخزومي، وليس بالحرامي عن عبد الله بن سعيد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر. قال: أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: **«إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»** قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية، تفرّد به البخاري أيضاً. وقال البخاري أيضاً: **حدّثنا** أحمد، ثنا ابن وهب، عن ابن عمرو، عن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قالا: وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره، وهذا أيضاً من أفراد البخاري. ووجه الجميع بين هذه الرواية والتي قبلها، أن ابن عمر اطلع على هذا العدد، وغيره اطلع على أكثر من ذلك، وأن هذه في قبله أصيبها قبل أن يقتل، فلما صرع إلى الأرض ضربوه أيضاً ضربات في ظهره، فعدّ ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل رضي الله عنه. ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء، ثم شماله ما رواه البخاري: ثنا محمّد بن أبي بكر، ثنا عمر بن علي، عن إسماعيل بن أبي خلاد عن عامر قال: كان ابن عمر إذا حيّ ابن جعفرَ قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. ورواه أيضاً في المناقب والنسائي من حديث يزيد بن هارون عن

---

(١) في السهيلي: المخاشاة المحاجزة وهي مفاعلة من الخشية لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم. ثم قال: ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهي الناحية. وقيل حاشى بهم انحاز بهم.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٤.

إسماعيل بن أبي خالد، وقال البخاري: ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان بن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دقّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما[1] بقي في يدي إلاّ صفحة يمانية. ثم رواه عن محمّد بن المثنّى، عن يحيى بن إسماعيل : حدّثني قيس، سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دقّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفحة يمانية، انفرد به البخاري. قال الحافظ أبو بكر البيهقي: حدثنا أبو نصر بن قتادة، ثنا أبو عمرو مطر، ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال: قدم علينا عبد اللّه بن رباح الأنصاري، وكانت الأنصار تفقهه، فغشيه الناس، فغشيته فيمن غشيه، فقال [حدّثنا] أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: «عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ»، وقال: «إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»، قال: فوثب جعفر وقال: يا رَسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليّ، قال: «امْضِ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ خَيْرٌ»، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال: «أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا، إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا فَلَقُوا العَدُوَّ، فَقُتِلَ زَيْدٌ شَهِيداً - فاستغفر له - ثُمَّ أَخَذَ اللّوَاءَ جَعْفَرُ فَشَدَّ عَلَى القَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، شهد له بالشهادة واستغفر له، ثُمَّ أَخَذَ اللّوَاءَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، فاستغفر له، ثُمَّ أَخَذَ اللّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ هُوَ أَمير[2] نَفْسَهُ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللّهُمَّ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيوفِكَ أَنْتَ تَنْصُرُهُ» فمن يومئذ سمي خالد سيف الله. ورواه النسائي من حديث عبد اللّه بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه، وفيه زيادة حسنة، وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال: باب خير باب خير وذكر الحديث. وقال الواقدي: حدّثني عبد الجبّار بن عمارة بن غزية، عن عبد اللّه بن أبي بكر بن عمرو بن حزم. قال: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام، فهو ينظر إلى معتركهم، فقال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَجَاءَ الشَّيطَانُ فَحَبَّبَ إِلَيهِ الحَيَاةَ وَكَرَّهَ إِلَيهِ المَوْتَ، وَحَبَّبَ إِلَيهِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: الآنَ اسْتَحْكَمَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ تُحَبِّبُ إِلَيَّ الدُّنْيَا، فَمَضَى قُدُماً حَتَّى اسْتُشْهِدَ» فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال: «اسْتَغْفِرُوا لَهُ، فَقَدْ دَخَلَ الجَنَّةَ وَهُوَ شَهِيدٌ». قال الواقدي: وحدّثني محمّد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال لما قتل زيد: «أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَهُ الشَّيطَانُ فَحَبَّبَ إِلَيهِ الحَيَاةَ وَكَرَّهَ إِلَيهِ المَوْتَ، وَمَنَّاهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ: الآنَ حِينَ اسْتَحْكَمَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ يُمَنِّيني الدُّنْيَا، ثُمَّ مَضَى قُدُماً حَتَّى اسْتُشْهِدَ» فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ دَخَلَ الجَنَّةَ وَهُوَ يَطِيرُ فِي الجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ مِنْ يَاقُوتٍ حَيْثُ يَشَاءُ فِي الجَنَّةِ»، قال: «ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ دَخَلَ الجَنَّةَ مُعْتَرِضاً» فشق

(١) في ط: فيما.
(٢) في ط: أمر.

ذلك على الأنصار، فقيل: يا رسول الله ما أعترضُهُ؟ قال: «لَمَّا أَصَابَتْهُ الجِرَاحُ نَكَلَ، فَعَاتَبَ نَفْسَهُ فَتَشَجَّعَ وَاسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ الجَنَّةَ» فسرى عن قومه. قال الواقدي: وحدَّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال: لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ»[1]، قال الواقدي: فحدَّثني العطاف بن خالد قال: لما قتل ابن رواحة مساء، بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدّمته ساقته وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، قال: فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا قد جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين، قال: فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه، فإنه قال بعد عمرة الحديبية: ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فمكث بها ستة أشهر، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُهُمْ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَمِيرُهُمْ»، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة، وبها جموع من نصارى العرب، والروم بها تنوخ وبهراء، فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام، ثم التقوا على زرع أحمر فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل، ثم أخذه جعفر فقتل، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله العدو، وأظهر المسلمين، قال: وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى - يعني سنة ثمان - قال موسى بن عقبة: وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «مرَّ عليَّ جَعْفَرُ فِي المَلائِكَةِ يَطِيرُ كَمَا يَطِيرُونَ وَلَهُ جَنَاحَانِ». قال وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ: «إِنْ شِئْتَ فَأَخْبِرْنِي، وإِنْ شِئْتَ أُخْبِرُكَ»، قال: أخبرني يا رسول الله قال: فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلّه ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي الأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مُعْتَرَكَهُمْ» فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالد إنما حاش بالقوم حتى تخلّصوا من الروم وعرب النصارى فقط. وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم، وهو ظاهر الحديث المتقدّم عن أنس مرفوعاً، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه. ورواه البخاري وهذا هو الذي رجّحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين لما ذكر من الحديث.

قلت: ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين، وهو أن خالد لما أخذ الراية حاش بالقوم المسلمين حتى خلّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توهّم الروم أن ذلك عن

(١) حمي الوطيس: اشتدت الحرب.

مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزموهم بإذن الله والله أعلم. وقد قال ابن إسحاق: حدَّثني محمّد بن جعفر عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه [قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال: «**خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ**» فأُتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه] فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسُوا بِالفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمُ الكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»، وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة، وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأمّا بقيّتهم فلم يفرّوا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ للمسلمين وهو على المنبر في قوله: «**ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، فما كان المسلمون ليسمّونهم فراراً بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاماً، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فرّوا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال الإمام أحمد: **حدّثنا** حسن ثنا زهير، ثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة، وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة قتلنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلاّ ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «**مَنِ القَوْمُ؟**» قال: قلنا: نحن فرارون، فقال: «**لاَ بَلْ أَنْتُمُ الكَرَّارُونَ أَنَا فِئَتُكُمْ وَأَنَا فِئَةُ المُسْلِمِينَ**»، قال: فأتيناه حتى قبّلنا يده. ثم رواه غندر عن شعبة، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن أبي ليلى، عن ابن عمر قال: كنا في سرية، ففررنا فأردنا أن نركب البحر، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله نحن الفرارون، فقال: «**لاَ بَلْ أَنْتُمُ العَكَّارُونَ**». ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلاّ من حديثه. وقال أحمد: حدّثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر قالا: حدّثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلى، عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا، ثم قلنا: لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه، فخرجنا إليه، فلما لقيناه قلنا: نحن الفرّارون يا رسول الله قال: «**بَلْ أَنْتُمُ العَكَّارُونَ وَأَنَا فِئَتُكُمْ**» قال الأسود: «**وَأَنَا فِئَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ**». وقال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير: أن أم سَلَمة زوج النبيّ ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: ما يستطيع أن يخرج كلّما خرج صاح به الناس يا فرّار فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته، ما يخرج، وكان في غزاة مؤتة.

قلت: لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم، وكانوا على أكثر من

أضعاف الأضعاف، فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان[(١)] العدو على ما ذكروه مائتي ألف، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر، فلما فرّ هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلّصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله، ومما يؤيد ذلك ويشاكله بالصحة ما رواه الإمام أحمد: حدّثنا الوليد بن مسلم، حدّثني صفوان بن عمرو عن عبد الرَّحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، ومدويّ من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طائفة من جلده فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرقة، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهّب وسلاح مذهّب، فجعل الرومي يغزي بالمسلمين، وقعد له المدوي خلف صخرة، فمرّ به الرومي فعرقبه فخرّ وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد يأخذ من السلب، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى ولكني استكثرته، فقلت به؟ فقلت لتردنّه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يردّ عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المدوي وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: **«يَا خالِدُ رُدَّ عَلَيهِ ما أخذْت مِنهُ»** قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أفِ لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال: **«يَا خَالِدُ لاَ تَرُدَّ عَلَيهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو أمرائِي لَكُمْ صَفْوَةُ أمرِهِمْ وعلَيهم كَدَرُهُ»** قال الوليد: سألت ثوراً عن هذا الحديث فحدَّثني عن خالد بن معدان، عن جُبَيْر بن نفير عن عوف بنحوه، ورواه مسلم وأبو داود من حديث جُبَير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه، وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم، وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضي الله عنه قال: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وما ثبت في يدي إلاّ صفحة يمانية، وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلّص منهم، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم. وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي، وحكاه ابن هشام عن الزهري. قال البيهقي رحمه الله: إنه اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم، فمنهم من ذهب إلى ذلك، ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين، وأن المشركين انهزموا. قال: وحديث أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ: **«ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ»** يدلّ على ظهورهم عليهم والله أعلم.

قلت: وقد ذكر ابن إسحاق أن قُطبة بن قَتادة العُذريّ ـ وكان رأس ميمنة المسلمين ـ حمل على مالك بن زافلة ويقال رافلة. وهو أمير أعراب النصارى فقتله، وقال يفتخر بذلك: [المتقارب]

---

(١) سقط في ط.

طَعَنْتُ ابْنَ رَافِلَةَ بْنِ الإِرَاشِ ... بِرُمْحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ
وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ

وهذا يؤيّد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفرّ أصحابه، ثم إنه صرّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم، وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم. وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلاّ المخاشاة والتخلّص من أيدي الروم، وسمّى هذا نصراً وفتحاً، أي باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم، فكان مقتضى العادات أن يصطلحوا بالكلية، فلما تخلّصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام ، وهذا محتمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام: «فَفَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِمْ» والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال: وقد قال: فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس، وانصرافه بهم، قيسُ بن المحسر اليعمري يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول: [الطويل]

فَوَاللَّهِ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي تَلُومُنِي ... عَلَى مَوْقِفِي وَالخَيْلُ قَابِعَةٌ قُبُلُ
وَقَفْتُ بِهَا لاَ مُسْتَجِيزاً فَنَافِذاً ... وَلاَ مَانِعاً مَنْ كَانَ حُمَّ لَهُ القَتْلُ
عَلَى أَنَّنِي آسَيْتُ نَفْسِي بِخَالِدٍ ... أَلاَ خَالِدٌ فِي القَوْمِ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ مِنْ نَحْوِ جَعْفَرٍ ... بِمُؤْتَةَ إِذْ لاَ يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ
وَضَمَّ إِلَيْنَا حَجْزَتَيْهِمْ كِلَيْهِمَا ... مُهَاجِرَةٌ لاَ مُشْرِكُونَ وَلاَ عُزْلُ

قال ابن إسحاق: فبيّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أن القوم جاحزوا[1] وكرهوا الموت، وحقّق انحياز خالد بمن معه. قال ابن هشام: وأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه ـ أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة.

فصل: قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية، عن أم جعفر بنت محمّد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناء وعجنت عجيني وغسلت بنيّ ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله ﷺ: **«ائْتِنِي بِبَنِي جَعْفَرٍ»** فأتيته بهم فشمّهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: **«نَعَمْ أُصِيبُوا هٰذَا الْيَوْمَ»** قالت: فقمت أصيح واجتمع إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: **«لاَ تَغْفَلُوا عَنْ آلِ جَعْفَرٍ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَاماً فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»**. وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق، ورواه ابن إسحاق من

(١) جاحزوا: نفروا.

طريق عبد اللّه بن أبي بكر عن أم عيسى، عن أم عون بنت محمّد بن جعفر، عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام، والصواب أنها أم جعفر وأم عون. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان، ثنا جعفر بن خالد عن أبيه، عن عبد اللّه بن جعفر قال: لما جاء نَعْي جعفر حين قتل، قال النبيّ ﷺ: **«اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً فَقَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ، أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ»** وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكّي، عن أبيه، عن عبد اللّه بن جعفر؛ وقال الترمذي: حسن. ثم قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني عبد الرَّحمٰن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: لما أتى نَعْي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن، قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله [إن النساء] عَيَّيْننا وفتننا، قال: **«ارْجِعْ إِلَيْهِنَّ فَأَسْكِتْهُنَّ»** قالت: فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك، قالت [يقول] وربما ضرّ التكلّف ـ يعني أهله ـ [قالت: قال: **«فاذْهَبْ] فَأَسْكِتْهُنَّ فَإِنْ أَبَيْنَ فاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ»** قالت: [وقلت] في نفسي أبعدك الله، فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ، قالت: وعرفت أنه لا يقدر يحثي في أفواههن التراب. انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه، وليس في شيء من الكتب. وقال البخاري: ثنا قتيبة، ثنا عبد الوهّاب، سمعت يحيى بن سعيد قال: أخبرتني عَمْرة قالت: سمعت عائشة تقول: لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد اللّه بن رواحة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن، قالت عائشة وأنا أطلع من صاير الباب ـ شق ـ فأتاه رجل فقال: أي رسول الله إن نساء جعفر وذكر بكاءهن، فأمره أن ينهاهن قالت: فذهب الرجل، ثم أتى فقال: والله لقد غلبننا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: **«فاحْثِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ»** قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت تفعل ذلك، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء[1]. وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة عنها.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وهب بن جرير، ثنا أبي سمعت محمّد بن أبي يعقوب، يحدِّث عن الحسن بن سعد، عن عبد اللّه بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: **«إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ أَوِ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ، فَإِنْ قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»** فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد اللّه بن رواحة فقاتل حتى قتل؛ ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه. وأتى خبرهم النبيّ ﷺ فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: **«إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا العَدُوَّ، وَإِنَّ زَيْداً أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ. ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»** قال: ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم، ثم أتاهم فقال: **«لاَ تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ، ادْعُوا لِي بَنِي**

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٤.

أخِي» قال: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: **«ادْعُوا لِي الحَلاَّقَ»** فجيء بالحلاّق فحلق رؤوسنا، ثم قال: **«أمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أبِي طَالِبٍ، وَأمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَشَبِيهُ خَلْقِي وَخُلُقِي»** ثم أخذ بيدي فأشالها، وقال: **«اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِي أهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ»** قالها ثلاث مرات. قال: فجاءت أمّنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح[1] له فقال: **«العَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟»** ورواه أبو داود ببعضه، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام، ثم نهاهم عنه بعدها، ولعلّه معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله بن شداد، عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر: **«تَسَلَّبِي ثَلاَثاً، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»** تفرّد به أحمد، فيحتمل أنه أذن لها في التسلّب وهو المبالغة في البكاء وشقّ الثياب، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد والله أعلم. ويروى تسلي ثلاثاً ـ أي تصبّري ثلاثاً ـ وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم. فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد، ثنا محمّد بن طلحة، ثنا الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد، عن أسماء بنت عميس قالت: دخل رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال: لا تحدّي بعد يومك هذا. فإنه من أفراد أحمد أيضاً، وإسناده لا بأس به، ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لأنه قد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ يَحِلُّ لامْرَأةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتِهَا أكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ، إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً»** فإن كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدّم والله أعلم.

قلت: ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها: [الطويل]

فَآلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلاَ يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أغْبَرَا
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَهُ فَتًى ... أكَرَّ وَأحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأصْبَرَا

ثم لم تنشب أن انقضت عدّتها فخطبها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فتزوجها، فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم علي بن أبي طالب، فلما ذهب الناس استأذن عليّ أبا بكر رضي الله عنهما في أن يكلّم أسماء من وراء الستر فأذن له، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها عليّ: ـ على وجه البسيط ـ من القائلة في شعرها: [الطويل]

فَآلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلاَ يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أغْبَرَا؟

قالت: دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعابة، فولدت للصدّيق محمّد بن أبي

(١) في النهاية تفسير لهذا الخبر: فهو من أفرحه إذا غمه وأزال عنه الفرح (ثم قال) وإن كان بالجيم فهو من المفرج الذي لا عشيرة له حتى قال لها النبيّ ﷺ أتخافين العيلة وأنا وليهم.

بكر، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة، ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حجّة الوداع، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيأتي في موضعه، ثم لما توفي الصدِّيق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين.

فصل: قال ابن إسحاق: **فحدَّثني** محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: فلما دنوا من المدينة تلقّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، قال ولقيهم الصبيان يشتدّون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: «خُذُوا الصِّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ» فأتي بعبد اللّه بن جعفر فحمله بين يديه، قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله! قال فيقول رسول الله ﷺ: «لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللّهُ» وهذا مرسل. وقال الإمام أحمد: ثنا روح، حدّثنا ابن جريج، ثنا خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد اللّه بن جعفر قال: لو رأيتني وقثماً وعُبَيد اللّه ابني العباس ونحن صبيان نلعب، إذ مرّ النبيّ ﷺ على دابة فقال: «ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ» فحملني أمامه وقال لقثم: «ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ» فجعله وراءه، وكان عُبَيد اللّه أحبّ إلى عباس من قثم، فما استحى من عمّه أن حمل قثماً وتركه قال، ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلّما مسح: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِي وَلَدِهِ» قال قلت لعبد اللّه: ما فعل قثم؟ قال: استشهد؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم بالخير؟ قال أجل. ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به. [وهذا كان بعد الفتح فإن العبّاس إنما قدم المدينة بعد الفتح وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، ثنا عاصم عن مؤرق العجلي، عن عبد اللّه بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه، قال: فحملني بين يديه ثم قال: «جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيِ[1] فَاطِمَةَ» إما حسن وإما حسين، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة. وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مؤرق [عنه][2] به. فأمّا الحديث [الذي][3] رواه الإمام أحمد: ثنا إسماعيل، ثنا حبيب بن الشهيد عن عبد اللّه بن أبي مليكة قال: قال عبد اللّه بن جعفر لابن الزبير: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عبّاس؟ قال: نعم، فحملنا وتركك. [هكذا رأيته في المسند وكأنه غلط في النسخة قال: قال عبد اللّه بن الزبير لعبد اللّه بن جعفر أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عبّاس قال: نعم فحملنا وتركك][4]. وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يُعَدّ من الأجوبة المسكتة، ويروى أن عبد اللّه بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه والله أعلم.

(١) في ط: بني.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

فصل في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد [بن](١) اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغارت عليهم خيل فأخذوه، فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها فوهبته من رسول الله ﷺ قبل النبوّة، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمّد، وكان رسول الله ﷺ يحبّه حباً شديداً، وكان أول من أسلم من الموالي، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب ٤] وقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب ٥] وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب ٤٠] وقوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [سورة الأحزاب ٣٧]الآية أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه، ومعنى أنعم الله عليه أي بالإسلام، وأنعمت عليه أي بالعتق، وقد تكلّمنا عليها في التفسير. والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهداه إلى الإسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوّجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له الحب بن الحب، ثم زوّجه بابنة عمّته زينب بنت جحش وآخى بينه وبين عمّه حمزة بن عبد المطّلب، وقدّمه في الإمرة على ابن عمّه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه. وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه -: ثنا محمّد بن عبيد عن وائل بن داود، سمعت البهي يحدّث: أن عائشة كانت تقول: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلاّ أمّره عليهم، ولو بقي بعده(٢) لاستخلفه. ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان، عن محمّد بن عبيد الطنافسي به. وهذا إسناد جيّد قوي على شرط الصحيح، وهو غريب جداً والله أعلم. وقال الإمام أحمد: ثنا سليمان، ثنا إسماعيل، أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ» وأخرجاه في الصحيحين عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن

---

(١) سقط في ط..

(٢) في ط: بعد.

عبد اللّه بن دينار، عن ابن عمر فذكره، ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم، عن أبيه. ورواه البزّار من حديث عاصم بن عمر، عن عُبَيد اللّه بن عمر العمري، عن نافع عن ابن عمر، ثم استغربه من هذا الوجه، وقال الحافظ أبو بكر البزّار، ثنا عمر بن إسماعيل عن مجالد عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: لما أُصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد، وأوقف بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخر ثم عاد من الغد، فوقف بين يديه فقال: «أُلاقي منك اليوم ما لقيت مِنك أمْسُ» وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم. وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول: «أخذ الرّاية زيدٌ فأُصيب، ثُمّ أخذها جعْفرٌ فأُصيب، ثُمّ أخذها عبْدُ اللّهِ بْنُ رواحة فأُصيب، ثمّ أخذها سيفٌ منْ سُيوف اللّه ففتح اللّهُ عليه» قال: «وإنّ عينيه لتذْرفان، وقال: وما يسرُّهمْ أنّهمْ عندنا». وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم ممن يقطع لهم بالجنة.

وقد قال حسّان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة: [الخفيف]

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكِ المَنْزُورِ ... وَاذْكُرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ القُبُورِ
وَاذْكُرِي مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا ... يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ(١)
حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثَمَّ زَيْداً ... نِعْمَ مَأْوَى الضَّرِيكِ(٢) وَالمَأْسُورِ
حِبَّ خَيْرِ الأَنَامِ طُرّاً جَمِيعاً ... سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصُّدُورِ
ذَاكُمُ أَحْمَدُ الَّذِي لاَ سِوَاهُ ... ذَاكَ حُزْنِي لَهُ مَعاً وَسُرُورِي
إِنَّ زَيْداً قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ ... لَيْسَ أَمْرَ المُكَذِّبِ المَغْرُورِ
ثُمَّ جُودِي لِلْخَزْرَجِيِّ(٣) بِدَمْعٍ ... سَيِّداً كَانَ ثُمَّ غَيْرَ نَزُورِ
قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا ... فَبِحُزْنٍ نَبِيتُ غَيْرِ سُرُورِ

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المُطّلب بن هاشم، فهو ابن عمّ رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه عليّ بعشر سنين، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أسنّ من عقيل بعشر سنين، أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة، وكانت له هناك مواقف مشهورة، ومقامات محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة، وقد قدّمنا ذلك في هجرة الحبشة ولله الحمد. وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أدْرِي أنا بِأيّهِمَا أُسرّ، أبِقُدُوم جعْفرٍ، أمْ بِفَتْح خيْبَرَ» وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية: «أشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي» فيقال: إنه حجل عند ذلك فرحاً، كما تقدم في موضعه ولله الحمد والمنّة. ولما بعثه إلى

(١) التغوير: الإسراع إلى الفرار.

(٢) الضريك: الفقير.

(٣) الخزرجي: يعني عبد اللّه بن رواحة.

مؤتة جعل في الإمرة مصلياً - أي نائباً - لزيد بن حارثة، ولما قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو في ذلك كلّه مقبل غير مدبر، وكانت قد قطعت[(١)] يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء، فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك. فيقال: إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله، وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد، فهو ممن يقطع له بالجنّة. وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين. وروى البخاري عن ابن عمر: أنه كان إذا سلّم على ابنه عبد اللّه بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه، والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر قالوا: لأن الله تعالى عوّضه عن يديه بجناحين في الجنّة، وقد تقدم بعض ما روي في ذلك. قال الحافظ أبو عيسى الترمذي: حدّثنا علي بن حجر، ثنا عبد اللّه بن جعفر عن العلاء بن عبد الرَّحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «رَأَيتُ جعْفراً يَطيرُ في الجنَّةِ مَعَ الملائكةِ» وتقدم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون[(٢)] سنة. وقال ابن الأثير في الغابة: كان عمره يوم قُتل إحدى وأربعين، قال وقيل: غير ذلك.

قلت: وعلى ما قيل إنه كان أسنّ من علي بعشر سنين، يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة، لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر وعمره إحدى وعشرين سنة، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم. وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطيّار لما ذكرنا، وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان لكرمه يقال له: أبو[(٣)] المساكين لإحسانه إليهم. قال الإمام أحمد: وحدّثنا عفان بن وهيب، ثنا خالد عن عكرمة، عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا انتعل، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب، مَنْ رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب؟ وهذا إسناد جيّد إلى أبي هريرة، وكأنه إنما يفضّله في الكرم، فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفّان أفضل منه، وأما أخوه عليّ رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو علي أفضل منه، وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم، بدليل ما رواه البخاري: ثنا أحمد بن أبي بكر، ثنا محمّد بن إبراهيم بن دينار، أبو عبد اللّه الجهني عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة، وأني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني خبز لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لاستقرىء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة[(٤)] التي ليس فيها شيء فنشقّها فنلعق ما فيها. تفرّد به البخاري. وقال حسان بن ثابت يرثي جعفراً: [الكامل]

---

(١) في ط: طعنت.

(٢) في ط: وثلاثين.

(٣) في ط: أبا.

(٤) العكة: وعاء أصغر من القربة.

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مُهْلَكُ جَعْفَرِ ... حِبِّ النَّبِيِّ عَلَى البَرِيَّةِ كُلِّهَ
وَلَقَدْ جَزِعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِي ... مَنْ لِلْجِلَادِ لَدَى العُقَابِ(١) وَظِلِّهَ
بِالْبِيضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا ... ضَرْباً وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وَعَلِّهَا(٢)
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ(٣) المُبَارَكِ جَعْفَرِ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلِّهَ
رُزْءاً وَأَكْرَمِهَا جَمِيعاً مُحْتِداً(٤) ... وَأَعَزِّهَا مُتَظَلِّماً وَأَذَلِّهَ
لِلْحَقِّ حِينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ(٥) ... كَذِباً وَأَنْدَاهَا يَداً وَأَقَلِّهَ
فُحْشاً وَأَكْثَرِهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى ... فَضْلاً وَأَنْدَاهَا يَداً وَأَبَلِّهَا
بِالعُرْفِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ لا مِثْلُهُ ... حَيٌّ مِنْ أَحْيَاءِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمّد ويقال: أبو رواحة، ويقال: أبو عمرو الأنصاري الخزرجي، وهو خال النعمان بن بشير، أخته عَمْرة بنت رواحة، أسلم قديماً وشهد العقبة، وكان أحد النقباء لبني الحارث بن الخزرج، وشهد بدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وخيبر، وكان يبعثه على خرصها كما قدّمنا، وشهد عمرة القضاء، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ وقيل بغرزها - يعني الركاب - وهو يقول: [رجز]

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

الأبيات كما تقدم. وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدّم، وقد شجّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في ذلك، وشجّع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما نتل صاحباه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة، فهو ممن يقطع له بدخول الجنّة. ويروى أنه لما أنشد النبيّ ﷺ شعره حين ودّعه الذي يقول فيه: [البسيط]

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْراً كَالَّذِي نَصَرُوا

قال له رسول الله ﷺ: «وَأَنْتَ فَثَبَّتَكَ اللَّهُ» قال هشام بن عروة: فثبّته الله حتى قُتل شهيداً ودخل الجنّة. وروى حمّاد بن زيد عن ثابت عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى: أن عبد اللّه بن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول: «اجْلِسُوا» فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «زَادَكَ اللَّهُ حِرصاً عَلَى طَوَاعِيَةِ اللَّهِ وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِهِ» وقال البخاري في صحيحه: وقال ابن معاذ: اجلس(٦) بنا

(١) العقاب: اسم راية رسول الله ﷺ.
(٢) الانهال: الشرب الأول، والعلل: الشرب الثاني يريد الطعن بعد الطعن.
(٣) فاطمة هي أم جعفر وعلي واسمها فاطمة بنت أسد بن هاشم. وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي.
(٤) المحتد: الأصل. (٥) التنحل: الكذب.
(٦) في ط: جلس.

نؤمن ساعة. وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد اللّه بن رواحة بنحو ذلك، فقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد عن عمارة، عن زياد النحوي، عن أنس قال: كان عبد اللّه بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن بربّنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل، فجاء فقال يا رسول الله: ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة! فقال النبيّ ﷺ: «رَحِمَ اللّهُ ابنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ المجَالِسَ الّتي تَتَبَاهَى بِهَا المَلائِكَةُ» وهذا حديث غريب جداً.

وقال البيهقي: ثنا الحاكم، ثنا أبو بكر، ثنا محمّد بن أيوب، ثنا أحمد بن يونس، ثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار: أن عبد اللّه بن رواحة قال لصاحب له: تعال حتى نؤمن ساعة، قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى ولكنّا نذكر الله فنزداد إيماناً. وقد روى الحافظ أبو القاسم اللاكائي[1] من حديث أبي اليمان، عن صفوان بن سليم، عن شُرَيح بن عبيد: أن عبد اللّه بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر. وهذا مرسل من هذين الوجهين، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنّة.

وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر في حرّ شديد، وما فينا صائم إلاّ رسول الله ﷺ وعبد اللّه بن رواجة رضي الله عنه، وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين، ومما نقله البخاري من شعره في رسول الله ﷺ: [الطويل]

وَفِينَا رَسُولُ اللّهِ يتْلُو[2] كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكافِرِينَ[3] المَضَاجِعُ
أَتَى بِالهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

وقال البخاري: حدّثنا عمران بن مَيْسرة، ثنا محمّد بن فضيل عن حصين، عن عامر، عن النعمان بن بشير قال: أغمي على عبد اللّه بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي؛ واجيلاه[4] واكذا واكذا تعدّد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلاّ قيل لي أنت كذلك؟ حدّثنا قتيبة، ثنا خيثمة عن حصين، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: أغمي على عبد اللّه بن رواحة، بهذا. فلما مات لم تبك عليه، وقد قدّمنا ما رثاه به حسّان بن ثابت مع غيره. وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم: [الطويل]

كَفَى حَزَناً أَنّي رَجَعْتُ وَجَعْفَرٌ ... وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللّهِ فِي رَمْسِ أَقْبُرِ

---

(١) كذا في الأصل. وفي الحلبية: اللاكاني. والمحفوظ: اللالكائي.

(٢) في ط: نتلوا.

(٣) في ط: بالمشركين.

(٤) في ط: واجبلاه.

قَضَوْا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِّفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَيِّرِ

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاث من شعر حسّان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما وأرضاهما.

[فصل في ذكر][١] من استشهد يوم مؤتة [من المسلمين][٢]

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوي، ووهب بن سعد بن أبي سَرْح، فهؤلاء أربعة نفر. ومن الأنصار عبد اللّه بن رواحة، وعبّاد بن قيس الخزرجيان، والحارث بن النعمان بن أساف بن نَضْلة النجّاري، وسُرَاقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء المازني، أربعة نفر. فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن إسحاق، لكن قال ابن هشام: وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهريّ أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أقصى[٣]؛ فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدّتها ثلاثة آلاف مقاتل[٤]، وأخرى كافرة وعدّتها مائتا ألف مقاتل، من الروم ومائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كلّه لا يقتل من المسلمين إلاّ اثنا عشر رجلاً، وقد قتل من المشركين خلقٌ كثير. هذا خالد وحده يقول لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف، وما صبرت في يدي إلاّ صفحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلّها؟! دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكّموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن، في ذلك الزمان وفي كل أوان. وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد اللّه بن رواحة رضي الله عنهم. قال الإمام العالم الحافظ أبو زرعة عبد اللّه بن عبد الكريم الرازي نضّر الله وجهه في كتابه دلائل النبوة ـ وهو كتاب جليل ـ **حدّثنا** صفوان بن صالح الدمشقي، ثنا الوليد، ثنا ابن جابر، وحدّثنا عبد الرَّحمٰن بن إبراهيم الدمشقي، ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا: ثنا ابن جابر، سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول: أخبرني أبو أمَامَة الباهلي، سمعت

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: أقصى.
(٤) سقط في ط.

رسول الله ﷺ يقول: «بَينا أَنَا نائِمٌ إذا أتاني رَجُلانِ فَأَخذا بِضَبُعي(١)، فَأَتَيا بي جَبلاً وَعْراً، فقالا: اصعَدْ، فَقُلْتُ: لا أُطِيقُهُ، فقالا إنّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، قال: فصعدْتُ حتّى إذا كُنتُ في سَواءِ الجبَلِ، إذا أنا بأصواتٍ شديدةٍ، فقُلْتُ: ما هؤلاءِ الأصواتُ؟ فقالا: عُواءُ أهلِ النار، ثُمّ انطلقا بي فإذا بِقَوْمٍ مُعلَّقينَ بِعَراقيبِهِمْ مُشقّقةٌ أشْداقُهُمْ، تسيلُ أشداقُهُمْ دماً، فقُلْتُ: ما هؤلاءِ؟ فقالا: هؤلاءِ الّذِينَ يُفطِرُون قبل تحِلّة صَوْمِهِمْ، فقال: خابَتِ اليَهودُ والنَّصارى» قال سليم: سمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه؟ «ثُمّ انطلقا بي، فإذا قومٌ أشدُّ شيْءٍ انتفاخاً وأنْتَنَ شيْءٍ ريحاً، كأنَّ ريحَهُمُ المراحيضُ، قُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاء قتلى الكفّار، ثُمّ انطلقا بي فإذا بِقَوْمٍ أشدَّ انتِفاخاً وأنْتَنَ شيْءٍ ريحاً كأنَّ ريحَهُمُ المَراحِيض قُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ؟ قالَ: هؤلاءِ الزّانونَ والزَّواني؛ ثُمّ انطلقا بي فإذا بنساءٍ يَنْهَشُ ثُدِيَهُنَّ الحيّاتُ، فقُلْتُ: ما بالُ هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاءِ اللاتِي يَمْنَعْنَ أوْلادَهُنَّ ألْبانَهُنّ. ثُمّ انطلقا بي فإذا بِغِلْمانٍ يلعبُون بين نَهْرَيْنِ، قُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاءِ ذَرارِي المُؤمِنِينَ، ثُمّ أشْرَفا بِي شَرَفاً، فإذا بِنَفَرٍ ثلاثةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ؟ قالا: هذا جَعْفَرُ بْنُ أبي طالِبٍ وزَيْدُ بْنُ حارثة وعَبْدُ اللهِ بْنُ رَواحَةَ، ثُمّ أشْرَفا بِي شَرَفاً آخر، فإذا أنا بِنَفَرٍ ثلاثَةٍ فقُلْتُ مَنْ هؤلاءِ؟ قالا: هذا إبْراهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ»

[فصل](٢) فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكِيَ به أصحاب مؤتة قول حسّان: [الطويل]

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ ... وَهَمٌّ إذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ
لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً(٣) ... سَفُوحاً وَأَسْبَابُ البُكَاءِ التَّذَكُّرُ
بَلَى إنَّ فُقْدَانَ الحَبِيبِ بَلِيَّةٌ ... وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ المُسْلِمِينَ تَوَارَدُوا ... شَعُوباً وَخَلْفاً بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلاَ يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتابَعُوا(٤) ... بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَبَايَعُوا(٥) ... جَمِيعاً وَأَسْبَابُ المَنِيَّةِ تَخْطُرُ
غَدَاةَ مَضَوْا بِالمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ ... إلَى المَوْتِ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ أزْهَرُ
أَغَرُّ كَضَوْءِ البَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... أَبِيٌّ إذَا سِيمَ الظُّلاَمَةَ مِجْسَرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ القَنَا مُتَكَسِّرُ

(١) ضبعي: إبطي.
(٢) سقط في ط.
(٣) عبرة: دمعة.
(٤) في الأصول في الموضعين: تبايعوا والتصحيح من ابن هشام.
(٥) في ط: تتابعوا.

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ ... جِنَانٌ وَمُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وَفَاءً وَأَمْراً حَازِماً حِينَ يَأْمُرُ
وَمَا زَالَ فِي الإِسْلاَمِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... دَعَائِمُ عِزٌّ لاَ يَزُلْنَ وَمَفْخَرُ
هُمُوا جَبَلُ الإِسْلاَمِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ ... رُضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَبْهَرُ[1]
بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ ... عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمُوا ... عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفَرَّجُ اللأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ ... عِمَاسٌ[2] إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: [الكامل]

نَامَ الْعُيُونُ وَدَمْعُ عَيْنِكَ يَهْمِلُ ... سَحًّا كَمَا وَكَفَ الطِّبَابُ[3] الْمُخْضِلُ
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا ... طَوْراً أَحِنُّ وَتَارَةً أَتَمَهَّلُ[4]
وَاعْتَادَنِي حُزْنٌ فَبِتُّ كَأَنَّنِي ... بِبَنَاتِ نَعْشٍ وَالسِّمَاكِ مُوَكَّلُ
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ... مِمَّا تَأَوَّبَنِي شِهَابٌ مُدْخَلُ
وَجْداً عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا ... يَوْماً بِمُؤْتَةَ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِمُ مِنْ فِتْيَةٍ ... وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلُ
صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلإِلَهِ نُفُوسَهُمْ ... حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا
فَمَضَوْا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ ... فُنُقٌ[5] عَلَيْهِنَّ الْحَدِيدُ الْمُرْفَلُ
إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ ... قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الأَوَّلُ
حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ ... حَيْثُ الْتَقَى وَعْثُ الصُّفُوفِ[6] مُجَدَّلُ
فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ ... وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفُلُ
قَرْمٌ عَلَى بُنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ ... فَرْعاً أَشَمَّ وَسُؤْدَداً مَا يُنْقَلُ
قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الإِلَهُ عِبَادَهُ ... وَعَلَيْهِمُ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
فَضَلُوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَكَرُّماً ... وَتَغَمَّدَتْ أَحْلاَمُهُمْ مَنْ يَجْهَلُ

---

(١) الرضام: ج رضم، وهي الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض، والطود: الجبل.
(٢) العماس: المظلم والأعمس الضعيف البصر.
(٣) في ط: الضياء.
(٤) في ط: أتململ.
(٥) الفنق: الفحول من الإبل.
(٦) وعث الصفوف: التحامها حتى يصعب الخلاص من بينها.

لاَ يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حُبَاهُمُوا ... وَيَرَى[1] خَطِيبَهُمُ بِحَقٍّ يَفْصِلُ
بِيضُ الوُجُوهِ تَرَى بُطُونَ أَكُفِّهِمْ ... تَنْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ المُمْحِلُ
وَبِهَدْيِهِمْ رَضِيَ الإِلَهُ لِخَلْقِهِ ... وَبِجَدِّهِمْ[2] نُصِرَ النَّبِيُّ المُرْسَلُ

---

(١) في ط: فترى.

(٢) كذا في «أ» وفي ابن هشام: بحدهم بالحاء المهملة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم [يدعوهم إلى الله عزّ وجل وإلى الدخول في دين الإسلام][1]

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجّة بعد عمرة الحديبية، وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم. ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة، وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لهرقل حين سأله: هل يغدر؟ فقال: لا؛ ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. وفي لفظ البخاري وذلك في المدّة التي مادّ فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ. وقال محمّد بن إسحاق: كان ذلك ما بين الحُدَيْبِيّة ووفاته عليه السلام. ونحن نذكر ذلك ها هنا وإن كان قول الواقدي محتملاً والله أعلم. وقد روى مسلم عن يوسف بن حمّاد المَعْني، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كتب قبل مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي، وإلى كلّ جبّار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ[2]، وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه. وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني الزهريّ عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، عن عبد اللّه بن عباس، حدَّثني أبو سفيان من فيه إلى فيّ قال: كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت الهدنة ـ هدنة الحديبية ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ لا نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلاّ وقد حمّلني بضاعة، وكان وجه متجرنا من الشام: غزّة من أرض فلسطين، فخرجنا حتى قدمناها، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس، فأخرجهم منها، وردّ عليه صليبه الأعظم، وقد كان استلبوه إياه، فلما أن بلغه ذلك، وقد كان منزله بحمص من [أرض][3] الشام، فخرج منها يمشي متشكّراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تُبْسَط له البُسُط، ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها، فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء، فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموماً؟ فقال: أجل، فقالوا: وما ذاك؟ فقال: أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلاّ اليهود، وهم تحت يديك

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٧٥.

(٣) سقط في ط.

وفي سلطانك، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم فابعث في مملكتك كلّها فلا يبقى يهودي إلاّ ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهمّ. فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم، إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرى برجل من العرب قد وقع إليهم، فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاة والإبل يحدّثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه، فلما انتهى إليه قال لترجمانه: سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قُرَيْش، خرج يزعم أنه نبيّ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن، فخرجت من بلادي وهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال: جرّدوه فإذا هو مختتن، فقال: هذا والله الذي قد أريت لا ما تقولون، أعطه ثوبه، انطلق لشأنك. ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له: قلّب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه، قال أبو سفيان: فوالله إني وأصحابي لبغزّة إذ هجم علينا، فسألنا ممن أنتم؟ فأخبرناه فساقنا إليه جميعاً، فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان: فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف[1] - يريد هرقل - قال: فلما انتهينا إليه قال: أيكم أمس به رحماً؟ فقلت: أنا، قال: ادنوه مني، قال: فأجلسني بين يديه، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال: إن كذب فردّوا عليه، قال أبو سفيان: فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردّوا عليّ ولكني كنت امرءاً سيداً أتكرم وأستحي من الكذب؛ وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني، ثم يتحدّثونه عني بمكة فلم أكذبه، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم، فزهدت له شأنه وصغّرت له أمره [قال: فأخبرني][2] فقلت: سلني عما بدا لك؟ قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت محضاً من أوسطنا نسباً، قال: فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبّه به؟ فقلت: لا، قال: فأخبرني هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه؟ فقلت: لا، قال: فأخبرني عن أتباعه مَنْ هم؟ فقلت: الأحداث والضعفاء والمساكين، فأما أشرافهم وذووا الأنساب منهم فلا، قال: فأخبرني عمن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه؟ قلت: ما صحبه رجل ففارقه، قال: فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه؟ فقلت: سجال يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر فلم أجد شيئاً أغرّه به إلاّ هي. قلت: لا ونحن منه في مدّة ولا نأمن غدره فيها. فوالله ما التفت إليها مني، قال: فأعاد عليّ الحديث، قال: زعمت أنه من أمحضكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبيّ لا يأخذه إلاّ من أوسط قومه، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبّه به فقلت: لا، هل كان له ملك فاسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت لا، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان، وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال علينا وندال عليه، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة، وسألتك

(١) الأغلف: الذي لم يختن.

(٢) سقط في ط.

هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فلئن كنت صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه، ثم قال: الحق بشأنك؛ قال: فقمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر [أمر ابن أبي كبشة، أصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني الزهري قال: حدَّثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال: قدم دِحْية بن خليفة على هرقل] بكتاب رسول الله ﷺ فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى أمَّا بَعْدُ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ الأَكَارِيِينَ[1] عَلَيْكَ». قال: فلما انتهى إليه كتابه وقرأه أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عمّا جاء من رسول الله ﷺ فكتب إليه إنه النبيّ الذي يُنْتظر لا شكّ فيه فاتبعه، فأمر بعظماء الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأشرجت[2] عليهم واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف فقال: يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر، ومجمل ذكره في كتابنا نعرفه بعلاماته وزمانه، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم، فنخروا[3] نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم وقال: ردّوهم عليّ، فردّوهم عليه، فقال لهم: يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ فلقد رأيت منكم ما سرّني فوقعوا له سجّداً، ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا.

وقد روى البخاري قصّة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أُخر أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين، وما فيهما من الفوائد.

قال البخاري: قبل الإيمان من صحيحه: حدّثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب عن الزهري، أخبرني عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود أن عبد اللّه بن عبّاس أخبره، أن أبا سفيان أخبره، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام، في المدّة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان، وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، قال: ادنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذّبني فكذّبوه فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول

(١) في ابن الأثير: الأريسيين نسبة إلى آريوس أحد رجال الكنيسة المسيحية له ثقافة فلسفية اضطهد بسببها، كان بالاسكندرية في القرن الرابع أيام قسطنطين الكبير باني القسطنطينية.

(٢) كذا بالأصل، ولعلها فأسرجت عليه.

(٣) نخروا: مدوا الصوت والنفس.

منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسّى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه [من ملك] فذكرت أن لا فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت[1] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بُصْرى، فدفعه إلى هرقل فإذا فيه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ.

سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾» [سورة آل عمران ٦٤] قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصَّخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا، لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام قال: وكان ابن الناطور صاحب إيلياء، وهرقل

(١) تجشمت: تكلفت على مشقة.

أسقف على نصارى الشام، يحدّث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك؟ قال ابن الناطور: وكان هرقل حَزَّاءَ ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمم؟ قالوا: ليس يختتن إلاّ اليهود، ولا يهمنّك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسّان، فخبّرهم عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب [هرقل][(١)] إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره في العلم ـ وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحب يوافق رأي هرقل على خروج النبيّ ﷺ وأنه[(٢)] نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الصلاح[(٣)] والرشد، وأن يثبت لكم ملككم؟ فتتابعوا لهذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس[(٤)] من الإيمان قال: ردوهم عليّ، وقال: إني إنما قلت مقالتي آنفاً، أختبر بها شدّتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل. قال البخاري: ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري. وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة من[(٥)] صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها. وأخرجه بقية الجماعة، إلاّ ابن ماجه من طرق عن الزهري. وقد تكلّمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية، وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ولله الحمد والمنّة.

وقال ابن لهيعة عن الأسود عن عروة قال: خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن رسول الله ﷺ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه يأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها، فقال هرقل: أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره؟ قالوا: ساحر كذّاب وليس بنبيّ، قال: فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً؟ قالوا: هذا أبو سفيان ابن عمّه وقد قاتله، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره. قال: أخبرني يا أبا سفيان؟ فقال: هو ساحر كذّاب، فقال

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: وهو.

(٣) في ط: الفلاح.

(٤) ايس: يئس.

(٥) في ط: في.

هرقل: إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم؟ قال: هو والله من بيت قريش، قال: كيف عقله ورأيه؟ قال: لم يغب له رأي قط، قال هرقل: هل كان حلافاً كذّاباً مخادعاً في أمره؟ قال: لا والله ما كان كذلك، قال: لعله يطلب ملكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله؟ قال أبو سفيان: لا، ثم قال: من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد؟ قال: لا، قال هرقل: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا، إلاّ أن يغدر مدّته هذه. فقال هرقل: وما تخاف من مدّته هذه؟ قال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة، قال هرقل: إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر، فغضب أبو سفيان وقال: لم يغلبنا إلاّ مرة واحدة، وأنا يومئذ غائب وهو يوم بدر، ثم غزوته مرّتين في بيوتهم بنقر[1] البطون وبخدع[2] الآذان والفروج، فقال هرقل: كذاباً تراه أم صادقاً؟ فقال: بل هو كاذب، فقال: إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه، فإن أفعل الناس لذلك اليهود. ثم رجع أبو سفيان. ففي هذا السياق غرابة وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري. وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريباً مما ذكره عروة بن الزبير والله أعلم. وقال ابن جرير في تاريخه: حدّثنا ابن حميد ثنا سلمة ثنا محمّد بن إسحاق عن بعض أهل العلم قال: إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره، ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى صفاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجود قولاً عندهم مني، فانظر ماذا يقول لك؟ قال: فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل، وبما يدعو إليه، فقال صفاطر والله صاحبك نبي مرسل، نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً، ولبس[3] ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله. قال: فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه؛ قال: فلما رجع دِحْية إلى هرقل فأخبره الخبر، قال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني.

وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه، عن عبد الله بن شداد، عن دحية الكلبي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت: استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ، فأتى قيصر فقيل له إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله ففزعوا لذلك، وقال: أدخله فأدخلني عليه، وعنده بطارقته، فأعطيته الكتاب فإذا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ الرُّومِ»، فنخر[4] ابن

(١) في ط: نبقر.
(٢) في ط: ونجدع.
(٣) في ط: وليس.
(٤) نخر: مد الصوت.

أخ له أحمر أزرق سبط، فقال: لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم، قال: فقرىء الكتاب حتى فرغ منه، ثم أمرهم فخرجوا من عنده، ثم بعث إليّ فدخلت عليه، فسألني فأخبرته، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه ـ وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله ـ فلما قرأ الكتاب قال الأسقف: هو والله الذي بشّرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر. قال قيصر: فما تأمرني؟ قال الأسقف: أما أنا فإني مصدّقه ومتّبعه، فقال قيصر: أعرف أنه كذلك، ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم.

وبه قال محمّد بن إسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبيّ ﷺ جمع الروم فقال: يا معشر الروم إني عارض عليكم أموراً، فانظروا فيما أردت بها؟ قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبيّ مرسل نجده نعرفه بصفته التي وصف لنا، فهلمّ فلنتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا، فقالوا: نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً، وأكثره رجالاً، وأقصاه بلداً؟! قال: فهلم أعطيه الجزية كل سنة، أكسر شوكته، وأستريح من حربه بما أعطيه إياه، قالوا: نحن نعطي العرب الذلّ والصغار، بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمه ملكاً، وأمنعه بلداً، لا والله لا نفعل هذا أبداً، قال: فهلم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام، قال: وكانت أرض سورية؛ فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب سورية، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام. فقالوا: نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها أرض سورية الشام، لا نفعل هذا أبداً.

فلما أبوا عليه قال: أما والله لتودن أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم. قال: ثم جلس على بغل له فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع، ثم ركض حتى دخل قسطنطينية والله أعلم.

[ذكر][1] إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغسَّانيّ صاحب دمشق[2]. قال الواقدي: وكتب معه؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فقدم شجاع بن وهب فقرأه عليه فقال: ومن ينتزع ملكي؟ إني سأسير إليه.

(١) سقط في ط.

(٢) في سيرة ابن هشام روايتان الأولى أنه بعثه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني والثانية إلى جبلة بن الأيهم الغسَّاني.

[ذكر][1] بعثه إلى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري من حديث الليث عن يونس، عن الزهري، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزّقه، قال: فحسبت أن ابن المسيّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزّقوا كلّ ممزق[2]. وقال عبد الله بن وهب عن يونس، عن الزهري، حدَّثني عبد الرحمٰن بن عبد القاري: أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وتشهّد ثم قال: «أمّا بعدُ فإنّي أُريدُ أنْ أبْعثَ بَعْضَكُمْ إلى مُلوكِ الأعاجم فلا تَخْتلفُوا عليَّ كما اختلفتْ بنو إسرائيل على عيسى ابنِ مَرْيمَ» فقال المهاجرون: يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً، فمرنا وابعثنا، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى، فأمر كسرى بإيوانه أن يزيّن ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وهب، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يُقبض منه، فقال شجاع بن وهب: لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ، فقال كسرى: ادنه فدنا فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه:

«منْ مُحمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ورسُولِهِ إلى كِسْرى عَظِيمِ فارِس». قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار، ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أدّيت كتاب رسول الله ﷺ. قال: ولما ذهب عن كسرى ثورة[3] غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه، فالتمس فلم يوجد، فطُلب إلى الحيرة فسبق، فلما قدم شجاع على النبيّ ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَزَّقَ كِسْرَى مُلْكَهُ» وروى محمّد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى؟ فلما قرأه مزّقه، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال: «مَزّقَ مُلْكَهُ» وقال ابن جرير[4]: حدّثنا أحمد بن حميد، ثنا سلمة، ثنا ابن إسحاق عن زيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن [أبي][5] حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه؛ «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّهِ إلَى كِسْرَى عَظِيمِ فارِسَ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى،

---

(١) سقط في ط.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٠١، والمغازي باب ٨٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٤٣، ٣٠٥.

(٣) في ط: سورة.

(٤) في ابن جرير اختلاف في الأسماء فإنه سمي باذام باذان واباذويه بابويه وخرخرة خرخسرة إلى غير ذلك فراجعه في السنة السادسة.

(٥) سقط في ط.

وَآمَن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدُعَاءِ اللَّه فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَياً وَيَحِقُّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ، فَإِنْ تُسْلِمْ تَسْلَمْ وَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ إِثْمَ المَجُوسِ عَلَيْكَ». قال فلما قرأه شقّه وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي؟! قال: ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به، فبعث باذام قهرمانه ـ وكان كاتباً حاسباً ـ بكتاب فارس، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال: لأباذويه إيت بلاد هذا الرجل وكلّمه وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشر أهل الطائف ـ يعني وقريش بهما ـ وفرحوا. وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلّمه أباذويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك. ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: «وَيْلَكُمَا مَنْ أَمَرَكُمَا بِهَذَا؟» قالا: أمرنا ربّنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله ﷺ: «وَلَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي» ثم قال: «ارْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غداً» قال: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل، سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله. قال فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام؟ قال: «نَعَمْ أَخْبِرَاهُ ذَاكَ عَنِّي، وَقُولاَ لَهُ إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلُغُ مَا بَلَغَ كِسْرَى، وَيَنْتَهِي إِلَى الخُفِّ وَالحَافِرِ، وَقُولاَ لَهُ: إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ وَمَلَّكْتُكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الأَبْنَاءِ» ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضّة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقاً فهو نبيّ مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأياً. فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد؛ فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلاّ غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. قال: وقد قال باذويه لباذام: ما كلمت أحداً أهيب عندي منه. فقال له باذام: هل معه شرط؟ قال: لا. قال الواقدي رحمه الله: وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جُمَادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها.

قلت: وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر الحرام وهو قول بعض الشعراء: [الرمل]

قَتَلُوا كِسْرَى بِلَيْلٍ مُحْرِمًا فَتَوَلَّى لَمْ يُمَتَّعْ بِكَفَنْ

وقال بعض شعراء العرب: [الوافر]

وَكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللِّحَامُ
تَمَخَّضَتِ(١) المَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَتَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

وروى الحافظ البيهقي من حديث حمّاد بن سلمة عن حميد عن الحسن، عن أبي بكرة أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ اللَّيْلَةَ رَبَّكَ» قال: وقل له - يعني النبيّ ﷺ - إنه قد استخلف ابنته فقال: «لا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ». قال البيهقي: وروي في حديث دِحْية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل كسرى، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له: ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه، لتكفينّه أو لأفعلن بك، فبعث إليه فقال لرسله: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَل رَبَّهُ اللَّيْلَةَ» فوجدوه كما قال.

قال: وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحو هذا. ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش، عن داود بن أبي هند، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ فِي وَجْهِ سَعْدٍ خَبَراً»، فقال: يا رَسُول الله هَلَكَ كِسْرَى، فقال: «لَعَنَ اللَّهُ كِسْرَى أَوَّلُ النَّاسِ هَلاَكاً فَارِسٌ ثُمَّ العَرَبُ».

قلت: الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين، يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد، وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع، جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره عليه السلام، وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقي رحمه الله. ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري: أخبرني أبو سَلَمة بن عبد الرَّحمٰن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارض يعرض عليه الحقّ، فلم يفجأ(٢) كسرى إلاّ برجل يمشي وفي يده عصاً فقال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ فقال كسرى: نعم لا تكسرها، فولى الرجل فلما ذهب أرسل كسرى إلى حجّابه، فقال: من أذن لهذا الرجل عليّ؟ فقالوا: ما دخل عليك أحد، فقال: كذبتم، قال: فغضب عليهم وتهددهم ثم تركهم. قال: فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ قال: نعم لا تكسرها، فلما انصرف عنه دعا حجّابه قال لهم كالمرة الأولى، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا

---

(١) تمخضت: تكشفت.

(٢) في ط: نفجأ.

فقال له: هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا فقال: لا تكسرها لا تكسرها فكسرها، فأهلك الله كسرى عند ذلك. وقال الإمام الشافعي: أنبأ ابن عيينة عن الزهري، عن سعيد بن المُسَيّب، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أخرجه مسلم[1] من حديث ابن عيينة، وأخرجاه من حديث الزهري به. قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزّقه فقال رسول الله ﷺ: «يُمَزَّقُ مُلْكُهُ» وحفظنا أن قيصراً أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مسك، فقال رسول الله ﷺ: «ثبت مُلْكُهُ» قال الشافعي وغيره من العلماء: ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من مَلِكَيْ العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ» قال: فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظّموا كتابه والله أعلم.

قلت: وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام. وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، وبطليموس لمن ملك الهند ولهم أعلام أجناس غير ذلك، وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم. وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة، عن سمّاك، عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ: «لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كُنُوزَ كِسْرَى فِي الْقَصْرِ الأَبْيَضِ»[2] وروى أسباط عن سمّاك عن جابر بن سمرة مثل ذلك وزاد: وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم.

بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدَّثني الزهري عن عبد الله بن عبد القاري: أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه، فقبّل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله، وسرّحه إلى النبيّ ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمّد بن قيس العبدي. رواه البيهقي ثم روي من طريق عبد الرَّحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، ثنا يحيى بن عبد الرَّحمٰن بن حاطب، عن أبيه، عن جده

(١) كتاب الفتن حديث ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٧٨.

حاطب بن أبي بلتعة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده، ثم بعث إليّ وقد جمع بطارقته وقال: إني سائلك عن كلام فأحبّ أن تفهم عني قال قلت: هلم قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبيّ؟ قلت: بل هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى، قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: أنت حكيم، قد جاء من عند حكيم، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمّد، وأرسل معك ببذرقة[1] يبذرقونك إلى مأمنك، قال فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار منهنّ أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطرف من طرفهم. وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم والأخرى سيرين التي وهبها لحسّان بن ثابت فولدت له عبد الرّحمٰن بن حسّان.

قلت: وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي اسمه مابور، وخفّين ساذجين أسودين، وبغلة بيضاء اسمها الدلدل، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادىء الأمر، فصار يدخل على مارية كما كان من عاداتهم ببلاد مصر، فجعل بعض الناس يتكلّم فيهما بسبب ذلك، ولا يعلمون بحقيقة الحال، وأنه خصيّ حتى قال بعضهم: إنه الذي أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه، والحديث في صحيح مسلم من طريق[2] . . .

[قال ابن إسحاق: وبعث [رسول الله ﷺ][3] سليط بن عمرو بن عبدودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجلندي وعمّار بن الجلندي الأزديين صاحبي عمان][4].

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي ها هنا قبل غزوة الفتح، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بليّ، وعبد اللّه ومن يليهم من قضاعة. قال عروة بن الزبير: وبنو بلي أخوال

---

(١) بذرقة: حراس.

(٢) بياض في الأصول.

(٣) سقط في ط.

(٤) ليست هذه الجملة في التيمورية. وفي ابن هشام: أنه بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وسليط إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي.

العاص بن وائل، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوّه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب أَبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ أبا عُبَيْدة بن الجرّاح. قال موسى بن عقبة: فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمدّه بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددته، فلما رأى ذلك أبو عُبَيْدة ـ وكان رجل حسن الخلق ليّن الشيمة ـ قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمْت على صاحبك فتطاوعا» وإنك إن عصيتني لأطيعنك. فسلّم أبو عُبَيْدة الإمارة لعمرو بن العاص. وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني محمّد بن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن الحصين التميمي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام[1] وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بليّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألّفهم[2] بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل ـ وبه سمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال: فلما كان عليه وخاف، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمدّه فبعث إليه أبا عُبَيْدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عُبَيْدة حين وجّهه: «لا تختلفا» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي، فقال له أبو عبيدة: لا ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا. فقال له عمرو: أنت مَدَدي فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي: «لا تختلفا» وإنك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو: فإني أمير عليك، وإنما أنت مَدَد لي، قال: فدونك، فصلّى عمرو بن العاص بالناس. وقال الواقدي: حدَّثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان، أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة، فساروا الليل والنهار حتى وطىء بلاد بليّ ودوّخها، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع، فلما سمعوا بذلك[3] تفرّقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وعُذْرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وتراموا بالنبل ساعة، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً في البلاد، وتفرّقوا ودوّخ عمرو ما هنالك[4]، أو قام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويذبحون، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن غنائم تقسم. وقال أَبو داود: ثنا ابن المثنّى، ثنا وهب بن جرير، ثنا أَبي، سمعت يحيى بن أيوب يحدِّث عن يزيد بن أَبي حبيب، عن عمران بن أبي

---

(١) في ابن هشام: إلى الشام (أحسبه خطأ).

(٢) في ط: يتألفهم.

(٣) في ط: بك.

(٤) في ط: هناك.

أنس، عن عبد الرَّحمٰن بن جبير، عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، قال: فتيممت ثم صلّيت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يا عَمْرو صَلّيتَ بأصْحابِك وأنتَ جُنبٌ؟» قال: فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة النساء ٢٩] فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً. حدّثنا محمّد بن سلمة ثنا ابن لهيعة وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرَّحمٰن بن جُبَير، عن أبي قيس، مولى عمرو بن العاص ـ وكان على سرية ـ فذكر الحديث بنحوه، قال: فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلّى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمّم. قال أبو داود: وروى هذه القصّة عن الأوزاعي، عن حسّان بن عطية وقال فيه: فتيمم. وقال الواقدي: حدَّثني أفلح بن سعيد عن ابنِ عبد الرَّحمٰن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قفلوا احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ما ترون؟ والله احتلمت فإن اغتسلت مت، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمّم ثم قام فصلّى بهم، فكان أول من بعث عوف بن مالك بريداً، قال عوف: فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلّمت عليه فقال رسول الله ﷺ: «عوفَ بْنُ مَالِكِ؟» فقلت: عوف بن مالك يا رسول الله، قال: «صَاحِب الجَزُورِ؟» قلت: نعم ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً، ثم قال: «أخبِرْني» فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان من أبي عُبَيْدة وعمرو، ومطاوعة أبي عبيدة، فقال رسول الله ﷺ: «يرْحَم اللهُ أبَا عُبَيْدَة بْنَ الجَرّاحِ» قال: ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جُنُب ومعه ماء لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ، فسكت رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته فأخبره فقال: والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لمتّ، لم أجد برداً قط مثله. وقد قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ قال: فضحك رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه قال شيئاً. وقال ابن إسحاق: حدَّثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعضوها، وكنت امرءاً جازراً، فقلت لهم: تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي فأطبخناه وأكلناه، فقال أبو بكر وعمر: أنّى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما في بطونهما منه، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجئته وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «أعوفَ بْنَ مَالِكِ؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي، فقال: «صَاحِبَ الجَزُورِ؟» ولم يزدني على ذلك شيئاً. هكذا رواه محمّد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، عن

عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل. قال الحافظ البيهقي: وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط، عن مالك بن زهدم أظنه عن عوف بن مالك، فذكر نحوه إلاّ أنه قال: فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال: قد تعجلت أجرك ولم يأكله. ثم حكى عن أبي عُبَيْدة مثله، ولم يذكر فيه أبا بكر، وتمامه كنحو ما تقدم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب الأصمّ، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا علي بن عاصم، ثنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدّثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلاّ لمنزلة لي عنده، قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عَائِشَةُ» قلت: إني لست أسألك عن أهلك، قال: «فَأَبُوهَا» قلت: ثم من؟ قال: «عُمَرُ» قلت: ثم من؟ حتى عدد رهطاً قال: قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرَّحمٰن بن مل، حدَّثني عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك؟ قال: «عَائِشَةُ» قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوهَا» قلت: ثم من؟ قال: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فعدّد رجالاً. وهذا لفظ البخاري وفي رواية قال عمرو: فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمَّر عليهم أبا عُبَيْدة بن الجرّاح، وهم ثلاثمائة، قال جابر: وأنا فيهم، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأتوا أبا عُبَيْدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كلّه، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني، ولم يكن يصيبنا إلاّ تمرة تمرة، قال: قلت[1]: وما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت. قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب، قال: فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرّ تحتها فلم يصبهما[2]. أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه، وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط، قال: ونحر رجل ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم

(١) في ط: فقلت.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٥، ومسلم في الصيد والذبائح حديث ٢١، وأحمد في المسند ٣/ ٣٠٦.

ثلاثاً، فنهاه أبو عُبَيْدة، قال: وألقى البحر دابة يقال لها العَنْبر، فأكلنا منها نصف شهر، وادّهنا حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت، ثم ذكر قصّة الضلع(١). فقوله في الحديث نرصد عيراً لقريش، دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحُدَيْبية والله أعلم. والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما. وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو بكر بن إسحاق، ثنا إسماعيل بن قتيبة، ثنا يحيى بن يحيى، ثنا أبو خيثمة، وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقى عيراً لقريش، وزوّدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عُبَيْدة يعطينا تمرة تمرة. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصّها كما يمصّ الصبي، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله، قال فانطلقنا إلى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنّا، ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم في عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها، وتزوّدنا من لحمها وشايق(٢) فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: «هو رِزْقٌ أخرجهُ اللَّهُ لَكُمْ. فهلْ معكُمْ شيْءٌ مِن لحمهِ تُطْعِمُونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه(٣). ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، وأحمد بن يونس، وأبو داود عن النفيلي، ثلاثتهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمّد بن مسلم بن تدرس المكي، عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري به.

قلت: ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية، ولكن أوردناها ها هنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله، فإنه أوردها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح والله أعلم. وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، فقال: حدّثنا عمرو بن محمّد، ثنا هشيم، أنبأنا حصين بن جندب، ثنا أبو ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلاّ الله، فكفّ الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبيّ ﷺ فقال: «يا أُسامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ؟» قلت: كان متعوذاً، فما زال يكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٥، ومسلم في الذبائح حديث ١٨.

(٢) الوشايق: هي من اللحم يؤخذ فيغلى، دون أن ينضج ويحمل في الأسفار.

(٣) أخرجه مسلم في الصيد حديث ١٧.

وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف. ثم روى البخاري من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سَلَمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات، علينا مرّة أبو بكر ومرّة أسامة بن زيد رضي الله عنهما. ثم ذكر الحافظ البيهقي ها هنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الإسلام، ونعي رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه. فروي من طريق مالك عن الزهري، عن سعيد بن المُسَيّب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلّى فصفّ بهم وكبّر أربع تكبيرات[١]، أخرجاه من حديث مالك، وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه. وأخرجاه من حديث ابن جريج عن عطاء، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَاتَ اليَوْم رَجُلٌ صَالِحٌ فصَلُّوا على أَصْحَمَةَ»[٢] وقد تقدّمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ولله الحمد.

قلت: والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير، فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي، وليس هو بالمسلم، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم. وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة، عن أبيه، عن أم كلثوم قالت: لما تزوج النبيّ ﷺ أم سَلَمة قال: «قَدْ أَهْدَيْتُ إلى النَّجاشي أَواقِيَ مِنْ مِسْكٍ وحلَّة، وإنّي لأُراهُ قَدْ ماتَ، ولاَ أَرَى الهَدِيَّةَ إلاّ سَتُرَدُّ عَلَيّ، فإنْ رُدَّتْ عليّ - أظنه قال - قَسَمْتُهَا بينكُنَّ أَوْ فهي لك» قال: فكان كما قال رسول الله ﷺ، مات النجاشي وردّت الهدية، فلما ردّت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية، من ذلك المسك، وأعطى سائره أم سلمة، وأعطاها الحلّة والله أعلم [انتهى ويليه الجزء الخامس وأوله غزوة الفتح][٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

غزوة الفتح وقد كانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الحديد ١٠] الآية. وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٤، ومسلم في الجنائز حديث ٦٢.
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٦٥، ومسلم في الجنائز حديث ٦٣.
(٣) سقط في ط.

وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر].

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمّد بن إسحاق: حدّثني الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه جميعاً قالا: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [دخل][1] [فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمّد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم] فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير، وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمّد وهذا الليل وما يرانا من أحد، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح، وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير، حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشدها إياه: [الرجز]

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِيهِ وَأَبِينَا الأَتْلَدَا[2]
قَدْ كُنْتُمُ وُلْداً وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْراً أَبَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا[3]
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كُدَاءٍ رُصَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... فَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ[4] هُجَّدَا[5] ... وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عَمْرَو بْنَ سَالِم» فما برح حتى مرت بنا عنانة[6] في السماء فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ» وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه، وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم.

قال ابن إسحاق: وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحَضْرمي اسمه

---

(١) سقط في ط.
(٢) الاتلد: القديم.
(٣) تربد: تعبس.
(٤) الوتير: الأرض البيضاء. وفي أ: بالهجير.
(٥) هجدا: جمع هاجد وهو النائم أو المصلي ليلاً.
(٦) عنانة: سحابة.

مالك بن عبّاد من حلفاء الأسود بن رَزْنٍ، خرج تاجراً فلما توسّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلُوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدئلي وهم مفخر بني كنانة وأشرافهم؛ سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعَرَفة عند أنصاب الحرم. قال ابن إسحاق: وحدَّثني رجل من الدئل قال: وكان بنو الأسود بن رزن يُودون في الجاهلية ديّتين. قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حَجَز بينهم الإسلام، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ؛ وكانت الهدنة اغتنمها بنو الدئل من بني بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً من أولئك النفر، فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في قومه، وهو يومئذ سيّدهم وقائدهم، وليس كل بني بكر تابعه، فبيت خزاعة وهم على الوتير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتجاوزوا[1] واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى جازوا[2] خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك فقال: كلمة عظيمة لا إله [له][3] اليوم يا بني بكر، أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم؟ ولجأت خزاعة إلى دار بُديل بن ورداء[4] بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له: رافع، وقد قال الأخزر بن لعط الدئلي في ذلك: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتى قُصْوَى الأَحَابِيشِ[5] أَنَّنَا ... رَدَدْنَا بَنِي كَعْبٍ بِأَفْوَقَ[6] نَاصِلِ
حَبَسْنَاهُمُ فِي دَارَةِ العَبْدِ رَافِعٍ ... وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غَيْرَ طَائِلِ
بِدَارِ الذَّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْمِ[7] بَعْدَمَا ... شَفَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمُ بِالمَنَاصِلِ
حَبَسْنَاهُمُ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ ... نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ بِوَابِلِ[8]
نُذَبِّحُهُمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كَأَنَّنَا ... أُسُودٌ تَبَارَى فِيهِمُ بِالقَوَاصِلِ[9]
هُمُ ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِي مَسِيرِهِمْ ... وَكَانُوا لَدَى الأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ
كَأَنَّهُمُ بِالجِزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ ... قَفَا ثَوْرِ حُفَّانِ النَّعَامِ الجَوَافِلِ

قال فأجابه بُدَيل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب وكان يقالُ له بُدَيل ابن أم أصرم فقال: [الطويل]

تَعَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ ... لَهُمْ سَيِّداً يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَافِلِ
أَمِنْ خِيفَةِ القَوْمِ الأُولَى تَزْدَرِيهِمُ ... تُجِيزُ الوَتِيرَ خَائِفاً غَيْرَ آيِلِ

---

(١) في ط: وتحاوزوا.
(٢) في ط: حاوزوا.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: ورقاء.
(٥) الأحابيش: كل من حالف قريش. ودخل في عهدها من القبائل.
(٦) افوق: عظيم أو متقدم.
(٧) الضيم: الظلم.
(٨) وابل: العدد الكثير.
(٩) القواصل: الأنياب.

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا لِعَقْلٍ وَلاَ يُحْبَى لَنَا فِي المَعَاقِلِ
وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلاَعَةِ[١] دَارَكُمْ بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَوَاذِلِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعِتْوَدٍ إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ مَجَرِّ القَبَائِلِ
وَيَوْمَ الغَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتَ سَاعِياً عُبَيْسٌ فَجعْنَاهُ بِجَلْدٍ حُلاَحِلِ[٢]
أَإِنْ أَجْمَرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ بِجُعْمُوسِهَا[٣] تَنْزُونَ إِنْ لَمْ نُقَاتِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمُوا وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُم فِي بَلاَبِلِ

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد اللّه بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «كَأَنَّكُمْ بِأَبي سُفيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ يَشُدُّ فِي العَقْدِ وَيَزِيدُ فِي المُدَّةِ» قال ابن إسحاق: ثم خرج بُدَيل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم، ومظاهرة[٤] قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعُسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدّ العقد ويزيد في المدّة وقد رهبوا للذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بُدَيلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظنّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ فقال: سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي. قال: فعمد أبو سفيان إلى مبرك ناقته فأخذ من بعرها ففتّه فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمّداً، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت [بل][٥] هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه، فقال: يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلّم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلاّ الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعندها حسن، غلام يدبّ بين يديهما، فقال: يا عليّ إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: «ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمّد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله، ما بلغ بنيّ ذلك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على النبيّ ﷺ، فقال:

---

(١) في الأصول: بالبلاعة دارهم، والتصحيح من ابن هشام ومعجم ياقوت.

(٢) غميم: موضع بين مكة والمدينة. وتكفت: حاد عن طريقه، وعبيس: رجل.

(٣) الجعموس: العذرة.

(٤) مظاهرة: معاونة.

(٥) سقط في ط.

يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني؟ قال: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنك سيّد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم ألحق بأرضك، فقال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيّها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمّداً فكلّمته، فوالله ما ردّ علي شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بأمر صنعته، فوالله ما أدري هل يغني عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: هل أجاز ذلك محمّد؟ قال: لا، قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغني عنا ما قلت، فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

[فائدة:] ذكرها السهيلي فتكلّم على قول فاطمة في هذا الحديث: وما يجير أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء في الحديث: «ويجيرُ على المسلمين أدناهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يجير واحداً ونفراً يسيراً، وقول فاطمة فمن يجير عدداً من غزو الإمام إياهم، فليس له ذلك. [قال:] كان سحنون وابن الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام، لقوله لأم هانىء: «قد أجرنا من أجرت يا أمّ هانىءٍ» قال: ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد، وفي قوله عليه السلام: «ويجير عليهم أدناهم» ما يقتضي دخول العباد والمرأة والله أعلم].

وقد روى البيهقي من طريق حمّاد بن سلمة عن محمّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قالت بنو كعب: [الرجز]

اللَّهُمَّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأتْلَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْراً أعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأتُوا مَدَدا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفاثة من بني الدئل أغاروا على بني كعب وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة، وأعانتهم قريش بالسلاح والرقيق، واعتزلتهم بنو مدلج ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ، وفي بني الدئل رجلان هما سيداهم؛ سلمى بن الأسود وكلثوم بن الأسود، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمرو، فأغارت بنو الدئل على بني عمرو وعامتهم زعموا نساء وصبيان وضعفاء الرجال، فألجؤوهم وقتلوهم

(١) سقط في ط.

(٢) ما بين المعقوفين لم يرد في النسخة الحلبية.

حتى أدخلوهم إلى دار بُدَيل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له الذي أصابهم، وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ارْجِعُوا فَتَفَرَّقُوا فِي البُلْدانِ» وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ وتخوّف الذي كان، فقال: يا محمّد اشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: «وَلِذلِكَ قَدِمْتَ، هَلْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ قِبَلَكُمْ؟» فقال: معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدّل، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى أبا بكر فقال: جدّد العقد وزدنا في المدة؟ فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم، ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفنا جديد فأخلقه الله، وما كان منه مثبتاً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله. فقال له أَبو سفيان: جزيت من ذي رحم شراً، ثم دخل على عثمان فكلّمه فقال عثمان: جواري في جوار رسول الله ﷺ، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم، فكلّهم يقول: عقدنا في عقد رسول الله ﷺ، فلما يئس مما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلّمها فقالت: إنما أنا امرأة وإنما ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: فأمري أحد ابنيك، فقالت: إنهما صبيان ليس مثلهما يجير، قال: فكلّمي علياً، فقالت: أنت فكلّمه، فكلّم علياً فقال له: يا أبا سفيان إنه ليس من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات[1] على رسول الله ﷺ بجوار، وأنت سيّد قريش وأكبرها وأمنعها فأجِرْ بين عشيرتك، قال: صدقت وأنا كذلك، فخرج فصاح ألا إني قد أجرت بين الناس، ولا والله لا[2] أظن أن يخفرني أحد، ثم دخل على النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد إني قد أجرت بين الناس، ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد ولا يرَدّ جواري؟ فقال: **«أَنْتَ تَقُولُ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ»** فخرج أَبو سفيان على ذلك فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أَبو سفيان: **«اللّهُمَّ خُذْ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَلاَ يَرَوْنَا إِلاَّ بَغْتَةً، وَلاَ يَسْمَعُوا بِنَا إِلاَّ فَجْأَةً»** وقدم أَبو سفيان مكة فقالت له قريش: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمّد أو عهد؟ قال لا والله لقد أبى عليّ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي التمس جوار الناس عليك، ولا تجير أنت عليه وعلى قومك، وأنت سيّد قريش وأكبرها وأحقّها، أن لا تخفر جواره، فقمت بالجوار، ثم دخلت على محمّد فذكرت له أني قد أجرت بين الناس، وقلت ما أظن أن تخفرني؟ فقال: أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة، فقالوا ـ مجيبين له ـ رضيت بغير رضى، وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً، وإنما لعب بك علي لعمر الله، ما جوارك جائز[3]، وإن إخفارك عليهم لهيّن، ثم دخل على امرأته فحدّثها الحديث فقالت: قبّحك الله من وافد قوم، فما جئت بخير،

(١) يفتات: يختلق الباطل.
(٢) في ط: ما.
(٣) في ط: بجائز.

قال: ورأى رسول الله ﷺ سحاباً فقال: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَ لَتَبُضُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ» فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز، وأمر عائشة أن تجهّزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها: يا بُنية لِمَ تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت، فقال: يريد بني الأصفر ـ وهم الروم ـ؟ فصمتت، قال: فلعله يريد أهل نجد، فصمتت، قال: فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت، قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال: «نَعَمْ» قال: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال: «لاَ»، قال: أتريد أهل نجد؟ قال: «لاَ»، قال: فلعلك تريد قريشاً؟ قال: «نَعَمْ»، قال أبو بكر: يا رسول الله أليس بينك وبينهم مدّة؟ قال: «أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا صَنَعُوا بِبَنِي كَعْبٍ»! قال: وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي.

وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني محمّد بن جعفر عن عروة، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فتجهّز، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمّى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز، قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالجدّ والتهيؤ وقال: «اللَّهُمَّ خُذِ العُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلاَدِهَا» فتجهّز الناس فقال حسّان [بن ثابت][1] يحرّض الناس ويذكر مصاب خزاعة: [الطويل]

عَنَانِي[2] وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا[3]
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِي ... سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعُقَابُهَا
وَصَفْوَانُ عَوْداً حَزَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ ... فَهَذَا أَوَانُ الحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا
فَلاَ تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا احْتُلِبَتْ صِرْفاً وَأَعْصَلَ[4] نَابُهَا
وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمّد بن إسحاق: حدَّثني محمّد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكّة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قُرَيْش

(١) سقط في ط.
(٢) عناني: أهمني.
(٣) لم تجن ثيابها: أي لم تستر، يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا.
(٤) أعصل: اشتد.

يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة زعم محمّد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبني[1] عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزُبير بن العوّام فقال: «أدركا امرأةً قد كتب معها حاطبُ بنُ أبي بلْتعة بكتابٍ إلى قريشٍ يحذّرهُم ما قد أجمَعْنا لهُ من أمرِهمْ» فخرجا حتى أدركاها بالحُلَيْفة حليفة بني أبي أحمد، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً، فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنك، فلما رأت الجدّ منه، قالت: أعرض فأعرض، فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطِبُ ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيّرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدْريك يا عُمرُ لعلّ اللّه قد اطّلع على أصْحاب بدْرٍ يوْم بدْرٍ، فقال: اعْملُوا ما شِئْتُمْ فقدْ غفرْتُ لكُمْ» وأنزل الله في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [سورة الممتحنة ١] إلى آخر القصة. هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة وقد ذكر السهيلي أنه كان في كتاب حاطب أن رسول الله قد توجّه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده. قال: وفي تفسير ابن سلام أن حاطباً كتب؛ إن محمّداً قد نفر، فإما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر. وقد قال البخاري: ثنا قتيبة، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار، أخبرني الحسن بن محمّد، أنه سمع عُبَيد اللّه بن أبي رافع، سمعت علياً يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انْطلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكّة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال: «يا حاطِبُ ما هذا؟» فقال: يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرءاً ملصقاً[2] في قريش يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنّهُ قدْ صدقكُمْ» فقال عمر: يا

---

(١) في ط: لبعض بني.

(٢) الملصق: الرجل المقيم في الحي والحليف لهم. وقال السهيلي: كنت عريراً، والعرير: الغريب.

رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً. فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1] فأنزل الله سورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وأخرجه بقية الجماعة إلاّ ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجين ويونس قالا: حدّثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله: أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم، فدل رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها، وقال: «يَا حَاطِبُ أَفَعَلْتَ؟» قال: نعم، قال: أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً، قد علمت أن الله يظهر[2] رسوله ومتم له أمره، غير أني كنت غريباً بين ظهرانيهم، وكانت والدتي معهم، فأردت أن أتخذ يداً عندهم، فقال له عمر: ألا أضرب رأس هذا؟ فقال: «أَتَقْتُلُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»[3].

تفرّد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد، وإسناده على شرط مسلم ولله الحمد.

فصل: قال ابن إسحاق: فحدثني محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، عن ابن عبّاس قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رُهم، كلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خلف الغِفاريّ، وخرج لعشر مَضَيْن من شهر رمضان، فصام وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُدَيد بين عُسفان وأمج أفطر، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، وقال عروة بن الزبير: كان معه اثنا عشر ألفاً. وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم، وألفت مزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأرغب[4] مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلّف عنه منهم أحد. وروى البخاري[5] عن محمود، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري نحوه. وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي عن الليث بن سعد، عن عقيل عن الزهري: أخبرني عُبَيد اللّه بن عبد اللّه عن ابن عبّاس، أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان. قال: وسمعت سعيد بن المسيّب يقول مثل

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٩، ٤٦، وتفسير سورة الممتحنة، باب ١، والأدب باب ٧٤، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦١، وأبو داود في الجهاد باب ٩٨، والترمذي في تفسير سورة الممتحنة، باب ١.

(٢) في ط: مظهر.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٥٠.

(٤) في ط: وأوعب.

(٥) كتاب المغازي باب ٤٧.

ذلك، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل؟ غير أن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه أخبرني أن ابن عباس قال: صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكُدَيد - الماء الذي بين قديد وعُسْفان - أفطر، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر. ورواه البخاري عن عبد اللَّه بن يوسف عن الليث، غير أنه لم يذكر الترديد بين شعبان ورمضان. وقال البخاري: ثنا علي بن عبد اللَّه، ثنا جرير عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس عن ابن عباس قال: سافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام حتى بلغ عُسفان، ثم دعا بإناء فشرب نهاراً ليراه الناس، فأفطر حتى قدم مكة. قال: وكان ابن عباس يقول: صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر، فمن شاء صام، ومن شاء أفطر. وقال يونس عن ابن إسحاق، عن الزهري، عن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه، عن ابن عبّاس قال: مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكُدَيد بين عسفان وأمج فأفطر، ودخل مكة مفطراً، فكان الناس يرون أن الأمر[1] من رسول الله ﷺ الفطر، وأنه نسخ ما كان قبله. قال البيهقي: فقوله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث، وكذلك ذكره عبد اللَّه بن إدريس عن ابن إسحاق، ثم روي من طريق يعقوب بن سفيان، عن جابر عن يحيى، عن صدقة، عن ابن إسحاق أنه قال: خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان، ثم روى البيهقي من حديث أبي إسحاق الفزاري، عن محمّد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه عن ابن عباس قال: كان الفتح لثلاث عشر خلت من شهر رمضان، قال البيهقي: وهذا الإدراج وهم إنما هو من كلام الزهري، ثم روى من طريق ابن وهب عن يونس، عن الزهري قال: قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح - فتح - مكة فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة. وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان. وروى البيهقي من طريق عبد الرزّاق عن معمر، عن الزهري، عن عُبَيد اللَّه بن عبد اللَّه، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فصام حتى بلغ الكُدَيد ثم أفطر. فقال الزهري وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث. قال الزهري: فصبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، ثم عزاه في الصحيحين من طريق عبد الرزّاق والله أعلم. وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن عطية بن قيس، عن أبي سعيد الخدري قال: آذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكُدَيد، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر، فأصبح الناس مرحى منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقي العدو، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين .

---

(١) في ط: آخر الأمرين.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٧، ومسلم في الصيام حديث ٨٨.

(٣) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ١٣.

وقد رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبد العزيز، حدثني عطية بن قيس عمن حدثه، عن أبي سعيد الخدري قال: آذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكُدَيد، فأمرنا رسول الله بالفطر، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغ أدنى منزل يلقى العدو، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون.

قلت: فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان، يقتضي أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة. ولكن روى البيهقي عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن سفيان، عن الحسن بن الربيع، عن ابن إدريس، عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري ومحمّد بن علي بن الحسين، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعمرو بن شعيب، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا: كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان. قال أبو داود الطيالسي: ثنا وهيب عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جابر، عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركباناً، وذلك في شهر رمضان، فقيل: يا رسول الله إن الناس قد اشتدّ عليهم الصوم، وإنما ينظرون كيف فعلت؟ فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون، فصام بعض الناس، وأفطر البعض، حتى أخبر النبيّ ﷺ أن بعضهم صائم، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك العُصَاة»[1] وقد رواه مسلم من حديث الثقفي، والدراوردي عن جعفر بن محمّد. وروى الإمام أحمد من حديث محمّد بن إسحاق: حدثني بشير بن يسار عن ابن عبّاس قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكُدَيد دعا بماء في قعب، وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون، يعلمهم أنه قد أفطر، فأفطر المسلمون، تفرّد به أحمد.

فصل في إسلام العبّاس بن عبد المُطّلب عم النبيّ ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المُطّلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق: وقد كان العباس بن عبد المُطّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق، قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض، فيما ذكره ابن شهاب الزهري. قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطّلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقيا

(١) أخرجه مسلم في الصيام حديث ٩٠، والترمذي في الصوم باب ١٨ والنسائي في الصيام باب ٤٩.

رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العُقاب فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه، فكلّمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله إن ابن عمّك وابن عمّتك وصِهْرك قال: «لا حَاجَةَ لي بِهِمَا، أَمَّا ابنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وأَمَّا ابنُ عَمَّتِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لي بِمَكَّةَ ما قَالَ»[١] قال: فلما خرج إليهما الخبر بذلك، ومع أبي سفيان بني له فقال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض، ثم نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك النبيّ ﷺ رقّ لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه: [الطويل]

لَعَمْرُكَ أَنّي يَوْمَ أَحْمِلُ رايَةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاَّتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
إن الْمُدْلِجِ[٢] الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي
هَدَا بِيَ هَادٍ غَيرُ نَفْسِي وَنالَنِي ... مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدُ
أَصُدُّ وَأَنْأَى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ ... وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ
هُمُوا مَا هُمُوا مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمْ وَيُفَنَّدِ
أُرِيدُ لأُرْضِيَهِمْ وَلَسْتُ بِلائِطٍ[٣] ... مَعَ القَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لاَ أُرِيدُ قِتَالَهَا ... وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ عيرِي أَوْعِدِي
فَمَا كُنْتُ فِي الجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً ... وَلاَ[٤] كَانَ عَنْ جَرْيِ لِسَانِي وَلاَ يَدِي
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلاَدٍ بَعِيدَةٍ ... نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسُرْدَدِ

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ ونالني من[٥] الله مَن طردت كل مطرد، ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال: «أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ».

فصل: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مرّ الظهران نزل فيه، فأقام كما روى البخاري عن يحيى بن بكير، عن الليث، ومسلم، عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، كلاهما عن يونس، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمرّ الظهران نجتني الكباث[٦]، وإن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بالأَسْوَدِ مِنْهُ فإنَّهُ أَطْيَبُ» قالوا: يا رسول الله أكنت ترعى الغنم؟ قال: «نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ رَعَاهَا» وقال البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن سنان بن

---

(١) قال السهيلي: يعني حين قال له: والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك. (الروض الأنف ج (٤/ ٨٨).

(٢) في ط لكالمدلج..

(٣) لائط: ملصق، يقال: لاط حبه بقلبي، أي لصق به.

(٤) في ط: وما.

(٥) في ط: مع.

(٦) ثمر الأراك الناضج، وهي أكبر من حب الكزبرة بقليل.

إسماعيل، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال: لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إلى مرّ الظهران نزل بالعقبة، فأرسل الجُناة يجتنون الكباث، فقلت لسعيد: وما هو؟ قال: ثمر الأراك، قال: فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني، قال: فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقيّ ابن مسعود وهو يرقي في الشجرة فيضحكون، فقال رسول الله ﷺ: «تعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فوالّذي نفسي بيده لهما أثقلُ في الميزان من أُحُدٍ» وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به، وخياره [فيه] [1] إلى رسول الله ﷺ فقال في ذلك: [الرجز]

هَـذَا جَـنَـايَ وَخِـيَـارُهُ فِـيـهِ		إِذْ كُـلُّ جَـانٍ يَـدُهُ إِلَـى فِـيـهِ

وفي الصحيحين عن أنس قال: أنفجنا أرنباً ونحن بمرّ الظهران، فسعى القوم فلغبوا[2]، فأدركتها فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها وفخذيها فقبله. وقال ابن إسحاق: ونزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتجسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به. وذكره ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة: أن رسول الله ﷺ بعث بين يديه عيوناً، خيلاً يقتصون العيون، وخزاعة لا تدع أحداً يمضي وراءها، فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين، وقام إليه عمر يجأ في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المُطّلب، وكان صاحباً لأبي سفيان. قال ابن إسحاق: وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران قلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلّي أجد بعض الحطّابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ يخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة، قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَيل بن ورقاء، وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً. قال: يقول بُدَيل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب[3]، قال يقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال: فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: ما لك فدى لك أبي وأمي؟ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، فقال: واصباح قريش والله، فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، قال: فركب خلفي ورجع

(١) سقط في ط.

(٢) لغبوا: تعبوا أشد التعب.

(٣) حمشتها الحرب: أحرقتها.

صاحباه[١] وقال عروة: بل ذهبا إلى النبيّ ﷺ فأسلما، وجعل يستخبرهما عن أهل مكة. وقال الزهري وموسى بن عقبة: بل دخلوا مع العبّاس على رسول الله ﷺ. [قال ابن إسحاق: قال: فجئت به كلّما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا عمّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدوّ الله [الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؟ وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان، وأراد قتله، فمنعه منه العبّاس. وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري، أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جمالهم فقالوا: من أنتم؟ قالوا: وفد رسول الله ﷺ، فلقيهم العبّاس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل، ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله فشهدوا، وأن محمّداً رسول الله فشهد حكيم وبديل، وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك، ثم أسلم بعد الصبح، ثم سألوه أن يؤمن قريشاً فقال: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ـ وكانت بأعلى مكة ـ وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيم بْنِ حُزَام فَهُوَ آمِنٌ ـ وكانت بأسفل مكة ـ وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» قال العبّاس:][٢] ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه؟ قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عبّاس، فوالله لأسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم، وما بي إلاّ أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب [لو أسلم]، فقال رسول الله ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ» قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما [رآه قال]: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟» فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العبّاس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك؟ قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحبّ هذا الفخر، فاجعل له شيئاً؟ قال: «نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»

---

(١) صاحباه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام. والخبر في سيرة ابن هشام ج٤/ ٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين عن المصرية فقط.

[زاد عروة: «وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيم بْنِ حزام فَهُوَ آمِنٌ» وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري][(١)] «ومَنْ أغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دُخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يَا عَبَّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الوَادِي عِنْدَ خطم الجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا» [وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبُدَيلاً وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العبّاس عند خطم الجبل، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة. اليوم تستحل الحرمة، فشكاه[(٢)] أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار، وأعطاها الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزها بالحجون، ودخل خالد من أسفل مكة فلقيه بنو بكر وهذيل، فقتل من بني بكر عشرين، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، وانهزموا فقتلوا بالحزورة، حتى بلغ قتلهم باب المسجد] قال العبّاس: فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه، قال: ومرّت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عبّاس من هؤلاء؟ فأقول سليم، فيقول ما لي ولسليم، ثم تمرّ به القبيلة فيقول: يا عبّاس من هؤلاء؟ فأقول مزينة، فيقول ما لي ولمزينة، حتى نفذت القبائل ما تمرّ به قبيلة إلاّ سألني عنها، فإذا أخبرته قال: ما لي ولبني فلان حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلاّ الحدق من الحديد. فقال: سبحان الله يا عبّاس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً! قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوّة، قال: فنعم إذن، قال: قلت: النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلا صوته، يا معشر قريش هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبّح من طليعة قوم، فقال أبو سفيان: ويلكم لا تغرّنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مرّ بأبي سفيان قال له: إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها، لقد كثرت هذه الوجوه عليّ؟ فقال له رسول الله: «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا وَقَوْمُكَ إِنَّ هَؤُلاءِ صَدَّقُونِي إِذْ كَذَّبْتُمُونِي وَنَصَرُونِي إِذْ أَخْرَجْتُمُونِي» ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مرّ عليه فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة. فقال رسول الله: «كَذَبَ سَعْدٌ بَلْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ» وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العبّاس، ورأى الناس يجنحون للصلاة

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في النسخة الحلبية.

(٢) في ط: فشكى.

وينتشرون في استعمال الطهارة، خاف وقال للعباس: ما بالهم؟ قال: إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة، فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال: يا عبّاس ما يأمرهم بشيء إلاّ فعلوه؟ قال: نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه. وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكففون، فقال: يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر](١).

وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدّثني الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عبّاس فذكر هذه القصّة بتمامها؛ كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة فالله أعلم. على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري، عن زياد البكائي، عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري، عن عُبيد الله، عن ابن عبّاس قال: جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال فذكر القصّة، إلاّ أنه ذكر أنه أسلم [من](٢) ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ: «مَنْ دخل دار أبي سُفيانَ فهو آمنٌ» قال أبو سفيان: وما تسع داري؟ فقال: «ومَنْ دَخلَ الكعْبةَ فهو آمنٌ» قال: وما تسع الكعبة؟ فقال: «وَمنْ دخلَ المَسْجدَ فهو آمنٌ» قال: وما يسع المسجد فقال: «وَمنْ أغلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمنٌ» فقال أبو سفيان: هذه واسعة. وقال البخاري: حدّثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عَرَفة، فقال أبو سفيان: ما هذه كأنها نيران عَرَفة؟ فقال بُدَيل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعبّاس: «احْبِسْ أبا سُفْيانَ عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ» فحبسه العبّاس فجعلت القبائل تمرّ مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرّت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرّت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم يُرَ مثلها فقال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ فقال: «مَا قَالَ؟» قال: كذا وكذا، فقال: «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ الكَعْبَةَ،

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في النسخة الحلبية.

(٢) سقط في ط.

ويَوْمَ تُكْسى فِيهِ الكَعْبَةُ» وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون. قال عروة: أخبرني نافع بن جُبَيْر بن مطعم قال: سمعت العبّاس يقول للزبير بن العوام: ها هنا أمر رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم، قال: وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلا مكة من كُدَاء، ودخل رسول الله ﷺ من كُدَي، فقُتِلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان: حبيش[1] بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري.

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا [ابن] إدريس عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ عام الفتح، جاءه العباس بن عبد المُطَّلب بأَبي سفيان بن حرب، فأسلم بمرّ الظهران، فقال له العبّاس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحبّ هذا الفخر، فلو جعلت له شيئاً؟ قال: «نعمْ منْ دخل دار أَبي سُفْيان فهوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[2].

صفة دخوله عليه السلام مكّة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري، عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلّق بأستار الكعبة فقال: «اقْتُلُوهُ»[3] قال مالك ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى والله أعلم محرماً. وقال أحمد: ثنا عفّان، ثنا حمّاد، أنبأ أبو الزبير عن جابر: أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء. ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حمّاد بن سلمة، وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه مسلم عن قتيبة، ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمّار الدهني، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام[4]. وروى مسلم من حديث أَبي أسامة عن مساور الورّاق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء، قد أرخى طرفيها[5] بين كتفيه[6]. وروى مسلم في صحيحه والترمذي والنسائي من حديث عمّار الدهني عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء. وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم، عن شريك القاضي، عن عمّار الدهني، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض. وقال ابن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر، عن عائشة: كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض، ورايته

(١) في ط: حنيش.
(٢) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة باب ٢٥.
(٣) أخرجه البخاري في الصيد باب ١٨، ومسلم في الحج حديث ٤٥٠.
(٤) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥١.
(٥) في ط: طرفها.
(٦) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٥٣.

سوداء تسمّى العقاب، وكانت قطعة من مرط مرجل. وقال البخاري: ثنا أبو الوليد، ثنا شعبة عن عبد اللّه بن قرّة قال: سمعت عبد اللّه بن مغفل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجّع[1]. وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني عبد اللّه بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حِبَرة حمراء، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن عثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرحل.

وقال الحافظ البيهقي: أنبأ أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأ دعلج بن أحمد، ثنا أحمد بن علي الأبار، ثنا عبد اللّه بن أبي بكر المقدمي، ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشّعاً. وقال: أنبأ أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو بكر بن بالويه، ثنا أحمد بن صاعد، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، ثنا جعفر بن عون، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن ابن مسعود، أن رجلاً كلّم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة، فقال النبيّ ﷺ: «هوِّنْ عَليك فإنّما أنا ابنُ امْرأةٍ منْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ» قال: وهكذا رواه محمّد بن سليمان بن فارس، وأحمد بن يحيى بن زهير، عن إسماعيل بن أبي الحارث موصولاً. ثم رواه عن أبي زكريا المزكي، عن أبي عبد اللّه محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن عبد الوهّاب، عن جعفر بن عون، عن إسماعيل بن قيس مرسلاً، وهو المحفوظ، وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود - أي ركع - يقولون حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون حنطة في شعرة.

وقال البخاري: حدثنا القاسم بن خارجة، ثنا حفصة بن ميسرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلا مكة، تابعه أبو أسامة ووهب في كداء. حدّثنا عبيد بن إسماعيل، ثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلا مكة من كداء، وهو أصح إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم، انتظم الكلام وإلاّ فكداء بالمد هي المذكورة في الروايتين، وهي في أعلا مكة، وكُدَى مقصور في أسفل مكة، وهذا هو المشهور والأنسب، وقد تقدّم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلا مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى، وهو في صحيح البخاري والله أعلم. وقد قال البيهقي: أنبأنا أبو الحسين بن عبدان، أنبأ أحمد بن عبيد الصفّار، حدثنا عبد اللّه بن إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا معن، ثنا عبد اللّه بن

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٨، والتوحيد باب ٥٠، وفضائل القرآن باب ٣٠، ومسلم في المسافرين حديث ٢٣٨، ٢٣٩.

عمر بن حفص، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى[1] النساء يلطمن وجوه الخيل، فتبسّم إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بَكرٍ كَيفَ قَالَ حَسَّانُ؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه: [الوافر]

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَي كَدَاءِ

يُنَازِعْنَ الأَسِنَّةَ[2] مُسْرَجَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ

فقال رسول الله ﷺ: «ادْخُلُوهَا مِنْ حَيْثُ قَالَ حَسَّانُ». وقال محمّد بن إسحاق: حدَّثني يحيى بن عباد عن[3] عبد اللّه بن الزبير عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت[4]: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنيّة، اظهري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كفّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذن دُفِعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به وتلقاه الخيلُ قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق[5] فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هَلاَّ تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟» قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. [قال][6]: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم فأسلم، قالت: ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة[7] بياضاً، فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؟ فلم يُجبه أحد، قال فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل[8]. يعني به الصدِّيق ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربي والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي: **أنبأنا** أبو عبد اللّه الحافظ، أنبا أبو العباس الأصم، أنبا بحر بن نصر، ثنا ابن وهب، أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطّاب أخذ

---

(١) في ط: وأتى.

(٢) في ط: الأعنة.

(٣) في ط: ابن.

(٤) في ط: قال.

(٥) طوق من ورق: قلادة من فضة.

(٦) سقط في ط.

(٧) الثغامة: واحدة الثغام، وهو من نبات الجبال، وأشد ما يكون بياضاً إذا أمحل يشبهون به الشيب.

(٨) في ط: القليل.

بيد أبي قحافة فأتى به النبيّ ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال: «**غَيّرُوهُ وَلاَ تُقرِبُوهُ سَوَاداً**» قال ابن وهب: وأخبرني عمر بن محمّد عن زيد بن أسلم، أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر بإسلام أبيه قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى، قال ابن إسحاق [من المهاجرين]: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً قال: اليوم يوم المَلْحمة، اليوم تُسْتَحلّ الحُرمة، فسمعها رجل. قال ابن هشام: يقال إنه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أتسمع ما يقول سعد بن عبادة؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ: «**أَدْرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بِهَا**».

قلت: وذكر عنه[1] محمّد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مرّ به، وقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحرمة - يعني الكعبة - فقال النبيّ ﷺ: «**بَلْ هَذَا يَوْمٌ تُعَظَّمُ فِيهِ الكَعْبَةُ**» وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من [يد][2] سعد بن عبادة كالتأديب له، ويقال: إنها دفعت إلى ابنه قَيس بن سعد. وقال موسى بن عقبة عن الزهري: دفعها إلى الزُبير بن العوّام فالله أعلم.

[وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار، ثنا عبد الله بن السري الأنطاكي، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد. وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سَعْد بن عُبَادة فجعل يهزّها ويقول: اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة. قال: فشق ذلك على قريش، وكبر في نفوسهم، قال: فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول:

يَا نَبِيَّ الهُدَى إِلَيْكَ لَجَا ... حَيُّ قُرَيْشٍ وَلاَتَ حِينَ لِجَاءِ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الأرْ ... ضِ وَعَادَاهُمُ إِلَهُ السَّمَاءِ
[وَالْتَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ عَلَى القَوْ ... مِ وَنُودوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلْعَاءِ[3]]
إِنَّ سَعْداً يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظَّهْـ ... ـرِ بِأَهْلِ الحُجُونِ وَالبَطْحَاءِ
خَزْرَجِيٌّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الغَيْـ ... ـظِ رَمَانَا بِالنَّسْرِ وَالعَوَّاءِ
[فَانْهَيَنْهُ فَإِنَّهُ الأَسَدُ الأَسْـ ... ـوَدُ وَاللَّيْثُ وَالِغٌ[4] فِي الدِّمَاءِ]
فَلَئِنْ أَقْحَمَ اللّوَاءَ وَنَادَى ... يَا حُمَاةَ اللّوَاءِ أَهْلَ اللّوَاءِ

---

(١) في ط: غير.

(٢) سقط في ط..

(٣) هذا البيت لم يرد في الأصل وإنما أورده السهيلي في الروض الأنف ونسب الشعر إلى ضرار بن الخطاب. ولم يورد البيتين المشار إليهما بعد هذا بمربعين. مع تحوير بعض ألفاظ منها.

(٤) والغ: شارب بطرف لسانه.

لَتَكُونَنَّ بِالْبِطَاحِ قُرَيْشٌ   بُقْعَةَ الْقَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاءِ
إِنَّهُ مُصْلَتٌ يُرِيدُ لَهَا الرَّأْ   يَ صَمُوتٌ كَالْحَيَّةِ الصَّمَّاءِ]

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم، وأمر بالراية فأُخذت من سعد بن عبادة ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد، قال: فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحبّ أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به، وأحبّ أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه، قال ابن إسحاق](١).

وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من اللّيط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنّبة اليُمنى، وفيها أسْلَم وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عُبَيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين ينصب [لأهل](٢) مكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلا مكة، فضربت له هنالك قبّته. وروى البخاري من حديث الزهري عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد: أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غداً؟ فقال: «وهلْ ترك لنا عَقيلٌ من رِباعٍ» ثم قال: «لا يرثُ الكافِرُ المُؤمنَ وَلاَ المُؤمنُ الكافر»(٣).

ثم قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، ثنا أبو الزناد عن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «منزلُنا إنْ شاء اللّهُ إذَا فتح اللّهُ، الخيفُ حيثُ تقاسَمُوا على الكُفر»(٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس، ثنا إبراهيم ـ يعني ابن سعد ـ عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «مَنزِلُنا غداً إنْ شاءَ اللّهُ بخِيف بنِي كِنانَة حيثُ تقَاسَمُوا علَى الكُفرِ»(٥) ورواه البخاري من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه. وقال ابن إسحاق: وحدّثني عبد اللّه بن أبي نجيح، وعبد اللّه بن أبي بكر أن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخَندمة ليقاتلوا، وكان حِمَاس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعِدّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويُصلح منه، فقالت له امرأته: لما تُعِدّ ما أرى؟ قال: لمحمّد وأصحابه، فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمّد وأصحابه شيء، قال: والله إني لأرجو أن أُخدِمك بعضهم. ثم قال: [الرجز]

إنْ يَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلَّهْ   هَذَا سِلاَحٌ كَامِلٌ وَإِلَّهْ

(١) ما بين المعقوفين المروي عن ابن عساكر لم يرد في المصرية وسقط في أ.
(٢) سقط في ط.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٨، ومسلم في الحج حديث ٤٤٠، وأحمد في المسند ٥/٢٠١.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٩.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٦٣.

وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةْ[١]

قال ثم شهد الخَندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كُرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحنيش[٢] بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ، وكانا في جيش خالد، فشذا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً، وكان قتل كُرز قبل حنيش[٣] قالا: وقتل من خيل خالد أيضاً سَلَمة بن الميلاء الجهني، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته اغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال: [الرجز]

إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ

وَأَبُو يَزِيدٍ قَائِمٌ كَالمُؤْتِمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ... ضَرْباً فَلاَ يُسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ

لَهُمْ نَهِيتُ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات للرعاش الهذلي، قال: وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحُنَين والطائف يا بني عبد الرَّحمٰن، وشعار الخزرج يا بني عبد اللّه، وشعار الأوس يا بني عُبَيد اللّه. وقال الطبراني: ثنا علي بن سعيد الرازي، ثنا أبو حسان الزيادي، ثنا شعيب بن صفوان، عن عطاء بن السائب، عن طاوس، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ حَرَّمَ هذا البَلَدَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضَ، وَصَاغَهُ يَوْمَ صَاغَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ. وَمَا حِيَالَهُ مِنَ السَّمَاءِ حَرامٌ. وَأنَّهُ لاَ يحلُّ لأحَدٍ قَبْلي، وإنَّما حَلَّ لِي ساعَةً مِنْ نَهارٍ، ثُمَّ عادَ كَمَا كَانَ» فقيل له: هذا خالد بن الوليد يقتل؟ فقال: «قُمْ يا فُلانُ فأتِ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ مِنَ القَتْلِ» فأتاه الرجل فقال: إن نبي الله[٤] يقول أقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين إنساناً، فأتى النبيّ ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل إلى خالد فقال: «ألَمْ أنْهَكَ عَنِ القَتْلِ؟» فقال: جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل إليه: «ألَمْ آمُرْكَ؟» قال أردت أمراً وأراد الله أمراً، فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلاّ الذي كان. فسكت عنه النبيّ ﷺ، فما ردّ عليه شيئاً. قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ عَهِدَ إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلاّ من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سمّاهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم؛ عبد اللّه بن سعد بن أَبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدّ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكّة وقد أهدر دمه فرّ إلى عثمان، وكان أخاه من

(١) ذو غرارين: أي سيف ذو حدين.

(٢) في الأصل: حنيش،وفي ابن هشام والتيمورية: خنيس، وقال السهيلي: إن الصواب حبيش.

(٣) في ابن هشام: أن خنيس بن خالد قتل فأخذه كرز فجعله بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قتل.

(٤) في ط: النبي.

الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال: «نَعَمْ» فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «أَما كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِين رَآني قَدْ صَمَتُّ فَيَقْتُلَهُ» فقالوا: يا رسول الله هلاّ أومأت إلينا؟ فقال: «إِنَّ النَّبِيَّ لاَ يَقْتُلُ بِالإِشَارَةِ» وفي رواية [بهذا][1]: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ» قال ابن هشام: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاّه عمر بعض أعماله، ثم ولاّه عثمان.

قلت: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته، كما سيأتي بيانه. قال ابن إسحاق: وعبد اللّه بن خَطَل رجل من بني تيم بن غالب.

قلت: ويقال إن اسمه عبد العزّى بن خَطَل، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سُمّي عبد اللّه[2] ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتدّ مشركاً، وكان له قينتان: فرتنى وصاحبتها، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه، فقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبو بَرْزة الأسلميّ وسعيد بن حريث المخزومي، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى. قال: والحويرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد قصيّ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، ولما تحمّل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة، نخس[3] بهما الحويرث هذا الجمل الذي هما عليه، فسقطتا إلى الأرض، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب، قال: ومِقْيَس بن صبابة لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعدما أخذ الديّة، ثم ارتدّ مشركاً، فقتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبد اللّه، قال: وسارة مولاة لبني عبد المُطّلب، ولعكرمة بن أبي جهل، لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة.

قلت: وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمّلت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة، وكأنها عفي عنها أو هربت، ثم أهدر دمها والله أعلم. فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمّنها، فعاشت إلى زمن عمر، فأوطأها رَجلٌ فرساً فماتت. وذكر السهيلي أن فرتنى أسلمت أيضاً. قال ابن إسحاق: وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمّنه، فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم. وقال البيهقي: أنبأ أبو طاهر محمّد بن محمّد بن محمس الفقيه، أنبأ أبو بكر محمّد بن الحسين القطّان أنبأ أحمد[4] بن يوسف السلمي ثنا أحمد بن المفضل، ثنا أسباط بن نصر الهمداني، قال: زعم السدّي عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: لما كان يوم [فتح][5] مكة، أمّن رسول الله ﷺ الناس إلاّ أربعة نفر وامرأتين.

---

(١) سقط في ط.

(٢) وقال السهيلي: وقد قيل في اسمه هلال وقيل إن هلالاً كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان.

(٣) نخس: غرز الدابة بمؤخرتها فهاجت. (٤) في ط: حمد.

(٥) سقط في ط.

وقال: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ» وهم عِكرمة بن أبي جهل، وعبد اللّه بن خَطَل، ومِقْيَس بن صبابة، وعبد اللّه بن سَعْد بن أبي سَرْح. فأما عبد اللّه بن خُطَل فأُدرك وهو متعلّق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حُرَيث وعمّار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين فقتله. وأما مِقْيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عِكْرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف[1] فقال أهل السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البرّ غيره، اللّهمّ إن لك عليّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتي محمّداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم، وأما عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفّان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد اللّه، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كانَ فيكُمْ رجُلٌ رَشيدٌ يقومُ إلى هَذَا حِينَ رَآني كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعته فَيَقْتُلَهُ؟» فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلاّ أومأت إلينا بعينك؟ فقال: «إنَّهُ لا يَنبغي لنبيّ أنْ تكُون لهُ خائنةُ الأعْيُنِ». ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه. وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد اللّه الحافظ، أنبأ أبو العباس الأصم، أنبأ أبو زرعة الدمشقي، ثنا الحسن بن بشر الكوفي، ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: أمّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلاّ أربعة؛ عبد العُزّى بن خَطَل، ومِقْيَس بن صبابة، وعبد اللّه بن سَعْد بن أبي سَرْح، وأم سارة؛ فأما عبد العزّى بن خَطَل فإنه قُتل وهو متعلّق بأستار الكعبة، قال: ونذر رجل أن يقتل عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح إذا رآه، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له، فلما أبصر به الأنصاري اشتمل على السيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردّد ويكره أن يقدم عليه، فبسط النبيّ ﷺ فبايعه، ثم قال للأنصاري: «قَدْ انتَظَرْتُكَ أَنْ تُوفِي بِنَذْرِكَ؟» قال: يا رسول الله هبتك أفلا أومضت إليّ؟ قال: «إِنَّهُ لَيسَ لِلنَّبِيّ أَنْ يُومِضَ». وأما مِقْيس بن صُبَابَة فذكر قصّته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك، قال: وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش، فأتت النبيّ ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً، ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكّة فذكر قصّة حاطب بن أبي بلتعة. وروى محمّد بن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم: أن مِقْيس بن صبابة قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق، قتله رجل من المسلمين وهو يظنّه مشركاً، فقدم مِقْيَس مظهراً للإسلام ليطلب ديّة أخيه، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله: [الطويل]

---

(١) قاصف: رياح قوية.

شَفَى النَّفْسَ مَنْ قَدْ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا ... يُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِمَاءُ الأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِمُّ وَتُنْسِينِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ
قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وَغَرَّمْتُ عَقْلَهُ ... سُرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
حَلَلْتُ بِهِ نَذْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي ... وَكُنْتُ إِلَى الأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ

قلت: [وقد][1] قيل إن القينتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمِقْيس بن صبابة هذا، وأن ابن عمّه قتله بين الصفا والمروة. وقال بعضهم: قتل ابن خطل الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: حدّثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مُرّة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانىء ابنة أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلا مكة فر إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم - قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزُهَير بن أبي أميّة بن المغيرة - قال ابن إسحاق: وكانت عند هُبَيْرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال: والله لأقتلنهما[2]، فأغلقتُ عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جَفْنة إنّ فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشّح به ثم صلّى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليّ فقال: «مَرْحَباً وَأَهْلاً بِأُمِّ هَانِىءٍ مَا جَاءَ بِكِ؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ فَلا يَقْتُلْهُمَا».

قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، ثنا شعبة عن عمرو بن مرّة، عن ابن أبي ليلى قال: ما أخبرنا أحد أنه رأى النبيّ ﷺ يصلي الضحى غير أم هانىء، فإنها ذكرت يوم فتح مكة [أن النبيّ ﷺ] اغتسل في بيتها، ثم صلى ثمان ركعات، قالت: ولم أره صلّى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود[3].

وفي صحيح مسلم من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن أبي هند: أن أبا مرّة مولى عقيل حدّثه، أن أم هانىء بنت أبي طالب حدثته، أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتهما، قالت: فدخل عليّ عَليّ فقال: أقتلهما، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلا مكة، فلما رآني رحّب وقال: «مَا جَاءَ بِكِ؟» قلت: يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد علي قتلهما، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِىءٍ» ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ثم صلّى ثماني ركعات سبحة الضحى. وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب، فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالت: أم هانىء، قال: «مَرْحَباً بِأُمِّ هَانِىءٍ»

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: لأقتلهما.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٤، ومسلم في المسافرين حديث ٨٢، ٨٣.

قالت: يا رسول الله زعم ابن أم علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجرتهما؟ فقال: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِيء» قالت: ثم صلّى ثماني ركعات، وذلك ضحى، فظنّ كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى. وقال آخرون بل كانت هذه صلاة الفتح، وجاء التصريح بأنه كان يسلّم من كل ركعتين، وهو يردّ على السهيلي وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة، وقد صلّى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثماني ركعات يسلّم من كل ركعتين ولله الحمد.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، وقال موسى بن عقبة: ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ، والناس يبتدرون وضوءه، والمشركون يتعجبون من ذلك، ويقولون: ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - [قال][1] وأخر المقام إلى مكانه[2] اليوم، وكان ملصقاً بالبيت.

[قال محمّد بن إسحاق: [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد انعكف له الناس في المسجد][3] قال ابن إسحاق: فحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلاَ كُلُّ مأثُرةٍ أَوْ دم أَوْ مالٍ يُدْعى فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلاَّ سِدَانَةَ البَيْتِ[4] وَسِقَايَةَ الحاجِّ، أَلاَ وَقَتِيلُ الْخَطأ شِبْهُ العَمْدِ بِالسَّوْط وَالعصا، فَفِيهِ الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً مَائَةٌ مِنَ الإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِها أَوْلادُهَا، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدم وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ» ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الآية كلها ثم قال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلّى الله عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فدعي له فقال: «هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ اليَوْمَ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ».

وقال الإمام أحمد: حدّثنا سفيان عن ابن جدعان، عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلاَ إِنَّ قَتِيلَ العَمْدِ الخَطَأ بِالسَّوْطِ أَوْ العَصَا فِيهِ مائَةٌ مِنَ

---

(١) سقط في ط.

(٢) في ط: مقامه.

(٣) سقط في ط.

(٤) سدانة البيت: خدمه.

الإبل» وقال مرّة أخرى: «مُغَلَّظَةٌ فِيهَا أَرْبَعُونَ خَلِفَةً فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، أَلاَ إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَدَمٍ وَدَعْوَى» وقال مرّة: «وَمَالٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ سِقَايَةِ الحَاجِّ وَسِدَانَةِ البَيْتِ، فَإِنِّي[1] أَمْضَيْتُهُمَا لأَهْلِهِمَا عَلَى مَا كَانَتْ»[2]. وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني، عن ابن عمر به. قال ابن هشام: وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، ورأى إبراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها فقال: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ جعلُوا شَيْخَنا يَسْتَقْسِمُ بالأَزْلاَمِ، ما شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالأَزْلاَمِ؟ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾» [سورة آل عمران ٦٧] ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِسَت. وقال الإمام أحمد: حدّثنا سليمان، أنبأ عبد الرَّحمٰن عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان في الكعبة صور، فأمر رسول الله ﷺ [عمر بن الخطاب][3] أن يمحوها فبلّ عمر ثوباً ومحاها به. فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء.

وقال البخاري: حدّثنا صدقة بن الفضل، ثنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ. جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِي البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»[4]. وقد رواه مسلم من حديث ابن عُيَيْنَة. وروى البيهقي عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ قضيبه فجعل يهوي [به][5] إلى الصنم وهو يهوي حتى مرّ عليها كلها، ثم روي[6] من طريق سويد بن[7] عن القاسم بن عبد الله، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً، فأشار إلى كل صنم بعصا وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [سورة الإسراء ٨١] فكان لا يشير إلى صنم إلاّ ويسقط من غير أن يمسّه بعصاه، ثم قال: وهذا وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكّده. وقال حنبل بن إسحاق: أنبأنا أبو الربيع عن يعقوب القمّي، ثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها، وتدعو

---

(١) في ط: فإنهما.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١١/٢.

(٣) سقط في ط.

(٤) أخرجه البخاري في المظالم باب ٣٢، ومسلم في الجهاد حديث ٨٧.

(٥) سقط في ط.

(٦) في ط: يروى.

(٧) بياض في الأصل.

بالويل، فقال رسول الله ﷺ: «تِلْكَ نَائِلَةُ أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدَاً».

وقال ابن هشام: حدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس] أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبيّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلاّ وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلاّ وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي: [الوافر]

وَفِي الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ ... لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوِ العِقَابَا

وفي صحيح مسلم[1] عن سنان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن عبد الله بن رباح، عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى[2] الحجر فاستلمه، وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بشيتها[3]، فلما أتى على الصنم جعل[4] يطعن في عينه ويقول: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً» فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو. وقال البخاري: ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الصَّمد، عن أبي، ثنا أيوب عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام، فقال: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمُوا مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ» ثم دخل البيت فكبّر في نواحي البيت وخرج ولم يصل[5]. تفرّد به البخاري دون مسلم. وقال الإمام أحمد: ثنا عبد الصَّمد، ثنا همام، ثنا عطاء عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سواري، فقام إلى كل سارية ودعا ولم يصلّ فيه. ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ، عن همام بن يحيى العوذي، عن عطاء به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن بكيراً حدّثه عن كريب، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال: «أَمَا هُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ المَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوراً فَمَا بَالُهُ يَسْتَقْسِمُ؟». وقد رواه البخاري والنسائي من حديث ابن وهب به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزّاق، أنبأ معمر، أخبرني عثمان الخزرجي: أنه سمع

(١) كتاب الجهاد حديث ٨٤

(٢) في ط: على.

(٣) في ط: بسيتها.

(٤) في ط: فجعل.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٤٨.

مقسماً يحدّث عن ابن عبّاس قال: دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه، ثم خرج فصلى ركعتين. تفرّد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، أنبأ ليث عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ صلّى في البيت ركعتين.

قال البخاري[١] وقال الليث: حدثنا يونس، أخبرني نافع عن عبد اللّه بن عمر: أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، ومعه عثمان بن طلحة من الحَجَبة حتى أناخ في المسجد، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهاراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد اللّه بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً، فسأله أين صلّى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلّى فيه. قال عبد اللّه: ونسيت أن أسأله كم صلّى من سجدة.

ورواه الإمام أحمد عن هشيم، حدثنا غير واحد، وابن عون عن نافع، عن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ ومعه الفضل بن عبّاس، وأسامة بن زيد، وعثمان بن طلحة وبلال، فأمر بلالاً فأجاف[٢] عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج. قال ابن عمر: فكان أول من لقيت منهم بلالاً، فقلت: أين صلّى رسول الله ﷺ؟ قال: ها هنا بين الأسطوانتين.

قلت: وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أنه عليه السلام صلّى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره، فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقدار ثلاثة أذرع وقال الإمام أحمد: حدّثنا إسماعيل، أنبأ ليث عن مجاهد، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين قال ابن هشام: وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذّن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا، فسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلّمت لأخبرت عني هذه الحصا، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُم» ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدَّثني والدي، حدَّثني بعض آل جُبَيْر بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكّة أمر بلالاً فعلا على الكعبة على ظهرها، فأذّن عليها بالصلاة، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة. وقال عبد الرزّاق عن معمر،

(١) كتاب المغازي باب ٤٧.

(٢) أجاف الباب: ردّه.

عن أيوب، قال: قال ابن أبي مليكة: أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام: ألاَ ترى إلى هذا العبد أين صعد؟ فقال: دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره. وقال يونس بن بكير وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين. وقال محمّد بن سعد عن الواقدي، عن محمّد بن حرب، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق: أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه: لو جمعت لمحمّد جمعاً؟ فإنه ليحدّث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: «إذاً يُخزِيكَ اللّهُ» قال: فرفع رأسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال: ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة. قال البيهقي: وقد أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ ـ إجازة ـ أنبأ أبو حامد أحمد بن الحسن المقرىء، أنبأ أحمد بن يوسف السلمي، ثنا محمّد بن يوسف الفريابي، ثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي السفر، عن ابن عباس قال: رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبه، فقال بينه وبين نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال: «إذاً يُخزِيكَ اللّهُ» فقال: أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به. ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره، عن أبي حامد بن الشرقي، عن محمّد بن يحيى الذهلي، ثنا موسى بن أعين الجزري، ثنا أبي عن إسحاق بن راشد، عن سعيد بن المُسَيّب قال: لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهند: أتري هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله، قال ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قُلت لِهِندٍ أتري هذا مِن اللهِ؟ قالَتْ: نَعَمْ هَذَا مِنَ اللّهِ» فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند. وقال البخاري: ثنا إسحاق، ثنا أبو عاصم عن ابن جريج، أخبرني حسن بن مسلم، عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ اللّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فهِيَ حَرامٌ بِحَرامِ اللّهِ إلى يوْمِ القِيَامَةِ. لاَ تَحِلُّ لأحَدٍ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لأحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحْلُلْ لِي إلاَّ ساعَةً مِنَ الدَّهرِ لاَ يُنفرُ صَيدُهَا وَلاَ يُعْضَدُ شَوْكُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خِلاَؤُهَا، وَلاَ تَحِلُّ لقَطَتُهَا إلاَّ لِمُنْشِدٍ» فقال العبّاس بن عبد المُطّلب: إلاّ الإذخر[1] يا رسول الله فإنه لا بدّ منه للدفن والبيوت؟ فسكت ثم قال: «إلاَّ الإذْخَرَ فإنَّهُ حَلاَلٌ» وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزري ـ عن عكرمة، عن ابن عبّاس بمثل هذا، أو نحو هذا. ورواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ، تفرّد به البخاري من هذا الوجه الأول، وهو مرسل، ومن هذا الوجه الثاني أيضاً، وبهذا وأمثاله استدل من ذهب إلى أن مكّة فتحت عنوة، وللوقعة التي كانت في الخندمة كما تقدم. وقد قتل فيها قريب من

(١) الإذخر: نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح، له أصل مندفن وقضبان دقاق ينبت في السهل والحزن. وأهل مكة يسقفون به البيوت بين الخشب ويسدّون به الخلل بين اللبنات في القبور ويستعملونه بدلاً من الحلفاء في الوقود.

عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في ذلك وهو مذهب جمهور العلماء. والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم، ولقوله ﷺ ليلة الفتح: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الحَرَمَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**» وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى. وقال البخاري: ثنا سعيد بن شرحبيل، ثنا الليث عن المقبري، عن أبي شريح الخزاعي، أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدّثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلّم به؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، لاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً، وَلاَ يَعْضُدَ بِهَا شَجَراً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**» فقيل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم، ولا فاراً بجزية[1]. ورواه [البخاري] أيضاً ومسلم عن قتيبة، عن الليث بن سعد به نحوه. وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوع[2] قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له أحمر باساً، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع وهو بمكة، قتله خراش بن أمية، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ القَتْلِ، لَقَدْ كَثُرَ القَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ رَجُلاً لأَدِيَنَّهُ**» قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الرحمٰن بن حرملة الأسلمي، عن سعيد بن المُسَيِّب قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال: «**إِنَّ خِرَاشاً لَقَتَّالٌ**» وقال ابن إسحاق: وحدَّثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شُرَيح الخزاعي قال: لما قدم عمرو بن الزبير[3] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له: يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَماً، وَلاَ يَعْضُدَ فِيهَا شَجَراً، لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلاَّ هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَباً عَلَى أَهْلِهَا، أَلاَ ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ القَتْلِ، فَلَقَدْ كَثُرَ، إِنْ نَفَعَ**

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥١، وفيه «ولا فاراً بجزبة»، بدل «جزية».

(٢) كذا في الأصل ولم نقف عليه.

(٣) قال السهيلي: هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الأشدق ويكنى أبا أمية وكان يسمى لطيم الشيطان، وكان جباراً شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة، وذكر له خبراً طويلاً وهو الذي رعف على منبر رسول الله حتى سال الدم.

نقذ قتلتم قتيلاً لأدينّه فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاؤوا فدم قاتله. وإن شاؤوا فعقله» ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة. فقال عمرو لأبي شُرَيح: انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً، وكنت غائباً، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد أبلغتك فأنت وشأنك. قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع، قتله بنو كعب، فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة. وقال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: «كفوا السلاح إلاّ خزاعة من بني بكر» فأذن لهم حتى صلّى العصر ثم قال: «كفوا السلاح» فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال ـ: «إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول[1] الجاهلية» وذكر تمام الحديث وهذا غريب جداً. وقد روى أهل السنن بعض هذا الحديث فأمّا ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أره إلاّ في هذا الحديث، وكأنه إن صح من باب الاختصاص لهم مما كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير والله أعلم. وروى الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، ومحمّد بن عبيد كلّهم عن زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشعبي، عن الحارث بن مالك بن البرصا الخزاعي، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة» ورواه الترمذي عن بندار عن يحيى بن سعيد القطّان به وقال: حسن صحيح.

قلت: فإن كان نهياً فلا إشكال، وإن كان نفياً فقال البيهقي: معناه على كفر أهلها، وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشعبي، عن عبد اللّه بن مطيع، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «لا يقتل قرشيّ صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة»[2] والكلام عليه كالأول سواء. قال ابن هشام: وبلغني أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا: فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قلتم؟» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ اللّه المحيا محياكم والممات مماتكم» وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال: ثنا بهز وهاشم قالا: حدّثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت. وقال هاشم: حدّثني ثابت البناني، ثنا عبد اللّه بن رباح قال: وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان، فجعل بعضنا يصنع لبعض

(١) ذحول: أثار الحقد والكراهية.
(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٨٨.

الطعام، قال: وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا، قال هاشم: يكثر أن يدعونا إلى رحله، قال: فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحلي؟ قالَ: فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من العشاء، قال: قلت: يا أبا هريرة الدعوى عندي الليلة قال: استبقني قال هاشم: قلت: نعم، فدعوتهم فهم عندي. فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار قال: فذكر فتح مكة، قال: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة، قال: فبعث الزبير على أحد المجنبتين، وبعث خالداً على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عُبَيْدة على الجسر، وأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبته، وقد وبشت قريش أوباشها، قال: قالوا: نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سألنا، قال أبو هريرة: فنظر فرآني فقال: «يا أبا هُرَيْرة» فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهْتِفْ لِي بِالأَنْصَارِ، ولاَ يَأْتِينِي إلاَّ أَنْصَارِيٌّ» فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «احْصُدُوهُمْ حَصْداً حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا» قال فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء أحد[1] منا أن يقتل منهم ما شاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً، قال فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ» قال: فغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت؛ قال: وفي يده قوس آخذ بسية القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً» قال: ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه، قال: والأنصار تحت قال يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. قال هاشم: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: «يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَقُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَته ورأْفَةٌ بعشيرَته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «فَمَا أُسَمَّى إذاً، كَلاَّ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هاجَرْتُ إلى اللَّهِ وإِلَيْكُمْ فَالْمَحْيا مَحْياكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» قال: فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلاّ الظن بالله ورسوله، قال فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذُرَانِكُمْ» وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائي وسلام بن مسكين، ورواه مسلم أيضاً من حديث حمّاد بن سَلَمة ثلاثتهم عن ثابت، عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة، عن أبي هريرة به نحوه. وقال ابن هشام: وحدَّثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوح - يعني الليثي - أراد قتل النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: «أَفَضَالَةُ؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كُنتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟» قال: لا شيء، كنت

---

(١) في ط: واحد.

أذكر الله، قال: فضحك النبيّ ﷺ ثم قال: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها، فقالت: هلمّ إلى الحديث؟ فقال: لا، وانبعث فضالة يقول: [الكامل]

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الحَدِيثِ فَقُلْتُ لاَ ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللَّهُ وَالإِسْلاَمُ
أَوَمَا رَأَيْتِ مُحَمَّداً وَقَبِيلَهُ ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيِّناً ... وَالشِّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلاَمُ

قال ابن إسحاق: **وحدَّثني** محمّد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة قالت: خرج صفوان بن أمية يريد جدّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبيّ الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمّنه يا رسول الله صلى الله عليك فقال: «هُوَ آمِنٌ» فقال: يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك؟ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عُمَير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به، قال: ويلك أعزب عني فلا تكلّمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك؟ قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك، وأكرم. فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمّنتني؟ قال: «صَدَقَ» قال: فاجعلني بالخيار فيه شهرين؟ قال: «أَنْتَ بِالْخِيَارِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» ثم حكى ابن إسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم، فلما أسلما أقرّهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول. قال ابن إسحاق: وحدَّثني سعيد بن عبد الرّحمٰن بن حسّان بن ثابت قال: رمى حسّان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاد عليه: [الكامل]

لاَ تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ ... نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيمِ(١)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم: [الخفيف]

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سُنَنِ الغَـ ... يِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ(٢)

---

(١) أحذّ: المنقطع النادر والقليل، وقد يكون معناه عيش لئيم جداً.

(٢) مثبور: هالك.

آمَنَ اللَّحْمُ وَالعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيّاً مِنْ لُؤَيٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم: [الكامل]

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وَهُمُومُ وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ(١)
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لامَنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ(٢)
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلاَلِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خِطَّةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ
وَأَمُدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الغُوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْؤُومُ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتِ العَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ فِدىً لَكَ وَالِدَيَّ كِلاَهُمَا زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ المَلِيكِ عَلاَمَةٌ نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتِمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ شَرَفاً وَبُرْهَانُ الإِلَهِ عَظِيمُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي المَعَادِ جَسِيمُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ
قَرْمٌ عَلا بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَى وَأُرُومُ(٣)

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

قلت: كان عبد الله بن الزبعرى السهمي من أكبر أعداء الإسلام، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم منّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذبّ عنه.

فصل: قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سُلَيم سبعمائة ويقول بعضهم ألف، ومن بني غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة] ومن مَزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد. وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة: كان المسلمون يوم الفتح الذين مع

(١) البلابل: الوساوس المختلطة والأحزان. معتلج: مضطرب يركب بعضه بعضاً، والبهيم: الذي لا ضياء فيه.

(٢) عيرانة: الناقة القوية الشديدة. غشوم: لا ترد عن وجهها.

(٣) أروم: أصل.

رسول الله ﷺ اثنا عشر ألفاً فالله أعلم. قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسّان بن ثابت: [الطويل]

عَفَتْ ذاتُ الأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ ... إلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاَءُ[1]
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَانَتْ لاَ يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلاَلَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إذَا ذَهَبَ العِشَاءُ
لِشَعْثَاءَ[2] الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْماً ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الفِدَاءُ
نُوَلِّيهَا المَلاَمَةَ أَنْ أَلَمْنَا[3] ... إذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ[4]
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ
وَإلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقُولُ الحَقَّ إنْ نَفَعَ البَلاَءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً[5] فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ

(١) مواضع بالشام وعذراء قرية عند دمشق.
(٢) شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودي.
(٣) قال السهيلي: أتينا بما نلام عليه صرفناه إلى الخمر.
(٤) المغث الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان.
(٥) مغلغلة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

بِـأَنَّ سُـيُـوفَـنَـا تَـرَكَـتْـكَ عَـبْـداً وَعَـبْـدُ الـدَّارِ سَـادَتُـهَـا الإِمَـاءُ
هَـجَـوْتَ مُـحَـمَّـداً فَـأَجَـبْـتُ عَـنْـهُ وَعِـنْـدَ الـلَّـهِ فِـي ذَاكَ الـجَـزَاءُ
أَتَـهْـجُـوهُ وَلَـسْـتَ لَـهُ بِـكُـفْءٍ فَـشَـرُّكُـمَـا لِـخَـيْـرِكُـمَـا الـفِـدَاءُ
هَـجَـوْتَ مُـبَـارَكـاً بَـرّاً حَـنِـيـفـاً أَمِـيـنَ الـلَّـهِ شِـيـمَـتُـهُ الـوَفَـاءُ
أَمَـنْ يَـهْـجُـو رَسُـولَ الـلَّـهِ مِـنْـكُـمْ وَيَـمْـدَحُـهُ وَيَـنْـصُـرُهُ سَـوَاءُ
فَـإِنَّ أَبِـي وَوَالِـدَهُ وَعِـرْضِـي لِـعِـرْضِ مُـحَـمَّـدٍ مِـنْـكُـمْ وِقَـاءُ
لِـسَـانِـي صَـارِمٌ لاَ عَـيْـبَ فِـيـهِ وَبَـحْـرِي لاَ تُـكَـدِّرُهُ الـدِّلاَءُ

قال ابن هشام: قالها حسّان قبل الفتح.

قلت: والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة، مما يدل على ذلك، وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطّلب. قال ابن هشام: وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخُمُر، تبسّم إلى أبي بكر رضي الله عنه. قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زنيم الدئلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم: [الطويل]

أَأَنْـتَ الَّـذِي تُـهْـدَى مَـعَـدٌّ بِـأَمْـرِهِ بَـلِ الـلَّـهُ يَـهْـدِيـهِـمْ وَقَـالَ لَـكَ اشْـهَـدِ
وَمَـا حَـمَـلَـتْ مِـنْ نَـاقَـةٍ فَـوْقَ رَحْـلِـهَـا أَبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُـحَـمَّـدِ
أَحَـثَّ عَـلَـى خَـيْـرٍ وَأَسْـبَـغَ نَـائِـلاً إِذَا رَاحَ كَـالـسَّـيْـفِ الـصَّـقِـيـلِ الـمُـهَـنَّـدِ
وَأَكْـسَـى لِـبُـرْدِ الـخَـالِ[2] قَـبْـلَ ابْـتِـذَالِـهِ وَأَعْـطَـى لِـرَأْسِ الـسَّـابِـقِ الـمُـتَـجَـرِّدِ
تَـعَـلَّـمْ رَسُـولَ الـلَّـهِ أَنَّـكَ مُـدْرِكِـي وَأَنَّ وَعِـيـداً مِـنْـكَ كَـالأَخْـذِ بِـالْـيَـدِ
تَـعَـلَّـمْ رَسُـولَ الـلَّـهِ أَنَّـكَ قَـادِرٌ عَـلَـى كُـلِّ صِـرْمٍ مُـتْـهِـمِـيـنَ وَمُـنْـجِـدِ
تَـعَـلَّـمْ أَنَّ الـرَّكْـبَ رَكْـبَ عُـوَيْـمِـرٍ هُـمُـوا الـكَـاذِبُـونَ الـمُـخْـلِـفُـوا كُـلَّ مَـوْعِـدِ
وَنَـبُّـوا رَسُـولَ الـلَّـهِ أَنِّـي هَـجَـوْتُـهُ فَـلاَ حَـمَـلَـتْ سَـوْطِـي إِلَـيَّ إِذَنْ يَـدِي
سِـوَى أَنَّـنِـي قَـدْ قُـلْـتُ وَيْـلُ امِّ فِـتْـيَـةٍ أُصِـيـبُـوا بِـنَـحْـسٍ لاَ بِـطَـلْـقٍ وَأَسْـعَـدِ
أَصَـابَـهُـمُـوا مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ لِـدِمَـائِـهِـمْ كِـفَـاءً فَـعَـزَّتْ عَـبْـرَتِـي وَتَـبَـلُّـدِي
وَإِنَّـكَ قَـدْ أَخْـبِـرْتَ أَنَّـكَ سَـاعِـيـاً بِـعَـبْـدِ بْـنِ عَـبْـدِ الـلَّـهِ وَابْـنَـةِ مَـهْـوَدِ
ذُؤَيْـبٍ وَكُـلْـثُـومٍ وَسَـلْـمَـى تَـتَـابَـعُـوا جَـمِـيـعـاً فَـإِنْ لاَ تَـدْمَـعِ الـعَـيْـنُ أَكْـمَـدِ[3]
وَسَـلْـمَـى وَسَـلْـمَـى لَـيْـسَ حَـيٌّ كَـمِـثْـلِـهِ وَإِخْـوَتِـهِ وَهَـلْ مُـلُـوكٌ كَـأَعْـبُـدِ؟

(١) وقد زاد السهيلي على هذه القصيدة أربعة أبيات.

(٢) الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب ولعلّه سمي بالخال من الخيلاء اهـ عن السهيلي.

(٣) أكمد: من الكمد وهو الحزن.

فَـإِنِّـي لاَ ذَنْـبـاً فَـتَـقْـتُ وَلاَ دَمـاً هَـرَقْـتُ تَـبَـيَّـن عَـالِـمَ الـحَـقِّ وَاقْـصِـدِ

قال ابن إسحاق: وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح: [الوافر]

نَـفَـى أَهْـلَ الـحَـبَـلَّـقِ(١) كُـلَّ فَـجٍّ مُـزَيْـنَـةُ غَـدْوَةً وَبَـنُـو خُـفَـافِ

ضَـرَبْـنَـاهُـمْ بِـمَـكَّـةَ يَـوْمَ فَـتْـحِ الـنَّـ ـبِـيِّ الـخَـيْـرِ بِـالْـبِـيـضِ الـخِـفَـافِ

صَـبَـحْـنَـاهُـمْ بِـسَـبْـعٍ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ وَأَلْـفٍ مِـنْ بَـنِـي عُـثْـمَـانَ وَافِ

نَـطَـأُ أَكْـتَـافَـهُـمْ ضَـرْبـاً وَطَـعْـنـاً وَرَشْـقـاً بِـالْـمُـرَيَّـشَـةِ الـلِّـطَـافِ

تَـرَى بَـيْـنَ الـصُّـفُـوفِ لَـهَـا حَـفِـيـفـاً كَـمَـا انْـصَـاعَ الـفُـوَاقُ مِـنَ الـرِّصَـافِ

فَـرُحْـنَـا وَالـجِـيَـادُ تَـجُـولُ فِـيـهِـمْ بِـأَرْمَـاحٍ مُـقَـوَّمَـةِ الـثِّـقَـافِ

فَـأُبْـنَـا غَـانِـمِـيـنَ بِـمَـا اشْـتَـهَـيْـنَـا وَآبُـوا نَـادِمِـيـنَ عَـلَـى الـخِـلاَفِ

وَأَعْـطَـيْـنَـا رَسُـولَ الـلَّـهِ مِـنَّـا مَـوَاثِـقَـنَـا عَـلَـى حُـسْـنِ الـتَّـصَـافِـي

وَقَـدْ سَـمِـعُـوا مَـقَـالَـتَـنَـا فَـهَـمُّـوا غَـدَاةَ الـرَّوْعِ مِـنَّـا بِـانْـصِـرَافِ

وقال ابن هشام: وقال عبّاس بن مِرداس السلمي في فتح مكة: [الكامل]

مِـنَّـا بِـمَـكَّـةَ يَـوْمَ فَـتْـحِ مُـحَـمَّـدٍ أَلْـفٌ تَـسِـيـلُ بِـهِ الـبِـطَـاحُ مُـسَـوَّمُ

نَـصَـرُوا الـرَّسُـولَ وَشَـاهَـدُوا آيَـاتِـهِ وَشِـعَـارُهُـمْ يَـوْمَ الـلِّـقَـاءِ مُـقَـدَّمُ

فِـي مَـنْـزِلٍ ثَـبَـتَـتْ بِـهِ أَقْـدَامُـهُـمْ ضَـنْـكٌ كَـأَنَّ الـهَـامَ فِـيـهِ الـحَـنْـتَـمُ(٢)

جَـرَّتْ سَـنَـابِـكَـهَـا بِـنَـجْـدٍ قَـبْـلَـهَـا حَـتَّـى اسْـتَـقَـامَ لَـهَـا الـحِـجَـازُ الأَدْهَـمُ

الـلَّـهُ مَـكَّـنَـهُ لَـهُ وَأَذَلَّـهُ حُـكْـمُ الـسُّـيُـوفِ لَـنَـا وَجَـدٌّ مِـزْحَـمُ

عَـوْدُ الـرِّيَـاسَـةِ شَـامِـخٌ عِـرْنِـيـنُـهُ مُـتَـطَـلِّـعٌ ثُـغَـرَ الـمَـكَـارِمِ خِـضْـرِمُ

وذكر ابن هشام في سبب إسلام عبّاس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له: ضمار، فلما حضرته الوفاة أوصاه به، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول: [الكامل]

قُـلْ لِـلْـقَـبَـائِـلِ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ كُـلِّـهَـا أَوْدَى ضَـمَـارِ وَعَـاشَ أَهْـلُ الـمَـسْـجِـدِ

إِنَّ الَّـذِي وَرِثَ الـنُّـبُـوَّةَ وَالـهُـدَى بَـعْـدَ ابْـنِ مَـرْيَـمَ مِـنْ قُـرَيْـشٍ مُـهْـتَـدِي

أَوْدَى ضَـمَـارِ وَكَـانَ يُـعْـبَـدُ مُـدَّةً قَـبْـلَ الـكِـتَـابِ إِلَـى الـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدِ

قال: فحرق عبّاس ضمار، ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها ولله الحمد والمنّة.

---

(١) الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم. قاله السهيلي. (الروض الأنف ج ٤/١١٩).

(٢) الحنتم: الحنظل.

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جُذَيمة من كنانة

قال ابن إسحاق: فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف عن أَبي جعفر محمّد بن علي قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب، وسُلَيم بن منصور، ومدلج بن مرّة، فوطئوا بني جُذَيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح [فإن الناس قد أسلموا][1]: قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جَذِيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الأسار، وما بعد الأسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا؟! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد.

قال ابن إسحاق: فقال حكيم بن حكيم عن أَبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللَّهُمّ إِنّي أَبرَأُ إِلَيكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ»، قال ابن هشام: حدَّثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ أَنْكَرَ عَلَيهِ أَحَدٌ؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة، فنهمه[2] خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب، فاشتدت مراجعتهما، فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد اللّه، وأما الآخر فسالم مولى أَبي حذيفة. قال ابن إسحاق: فحدَّثني حكيم بن حكيم عن أَبي جعفر قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أَبي طالب فقال: «يَا عَلِيُّ اخرُجْ إِلَى هَؤُلاَءِ القَوْمِ فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الجَاهِلِيَّةِ تَحتَ قَدَمَيكَ» فخرج عليّ حتى جاءهم، ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء، وما أصيب لهم من الأموال، حتى أنه ليدي ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلاّ ودّاه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: «أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ» ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللَّهُمّ إِنّي أَبرَأُ إِلَيكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ» ثلاث مرات. قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من

(١) سقط في ط.

(٢) نهمه: زجره.

يعذر خالداً أنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذَافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام. قال ابن هشام: قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا صبأنا صبأنا[١] وهذه مرسلات ومنقطعات. وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، ثنا معمر عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني ـ أحسبه قال ـ جَذِيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً، قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال: فقدموا على النبيّ ﷺ فذكروا صنيع خالد فقال النبيّ ﷺ ورفع يديه: «اللَّهُمَّ إنّي أَبْرَأُ إِلَيكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» مرّتين[٢]. ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزّاق به نحوه. قال ابن إسحاق: وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد: يا بني جَذِيمة ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم مما وقعتم فيه. قال ابن إسحاق: وقد كان بين خالد وبين عبد الرَّحمٰن بن عوف ـ فيما بلغني ـ كلام في ذلك، فقال له عبد الرَّحمٰن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال: إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرَّحمٰن: كذبت قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شرّ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَهلاً يَا خَالِدُ دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهباً، ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلاَ رَوْحَتِهِ» ثم ذكر ابن إسحاق قصّة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، عمّ خالد بن الوليد في خروجه، هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، ومعه ابنه عبد الرَّحمٰن، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن، ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جَذِيمة كان هلك باليمن، فحملوه إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يقال له: خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عوف والفاكه، وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرَّحمٰن قاتل أبيه خالد بن هشام، وفرّ منهم عفّان ومعه ابنه عثمان إلى مكة، فهمّت قريش بغزو بني جَذِيمة، فبعث بنو جَذِيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم، وودوا لهم القتيلين وأموالهما، ووضعوا الحرب بينهم، يعني فلهذا قال خالد لعبد الرَّحمٰن: إنما ثأرت بأبيك، يعني حين قتلته بنو جَذِيمة، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره، وقتل قاتله، وردّ عليه بأنه إنما ثأر بعمّه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه، وأخذوا أمواله، والمظنّون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً

(١) صبأنا: يعنون: دخلنا في دين محمد، وكانوا يسمون النبيّ ﷺ الصابىء، لأنه خرج من دينهم، يقال: صبأ الرجل، إذا خرج من دين إلى دين، ومنهم الصابئون، لأن دينهم بين اليهودية والنصرانية، فيما ذكر بعض المفسّرين.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٨.

من ذلك، وإنما يقال هذا في وقت المخاصمة، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله، وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم صبأنا صبأنا، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا، فقتل طائفة كثيرة منهم، وأسر بقيّتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً، مع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ بل استمرّ به أميراً، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك، وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال، ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله والله أعلم. ولهذا لم يعزله الصدّيق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردّة، وتأوّل عليه ما تأوّل حين ضرب عنقه، واصطفى امرأته أم تميم، فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فإن في سيفه رهقاً فقال الصدّيق: لا أغمد سيفاً سلّه الله على المشركين.

وقال ابن إسحاق: حدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن الزهري، عن ابن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جَذِيمة وهو في سني، وقد جمعت يداه إلى عنقه برُمَّة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى قلت ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُمَّة فقائدي إلى هذه النسوة حتى أقضي إليهنّ حاجة، ثم تردّني بعد، فتصنعوا ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت، فأخذت برمّته فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال: اسلمي حبيش على نفد العيش: [الطويل]

أُرِيتُكِ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... بِحِلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ [(١)]

أَلَمْ يَكُ أَهْلاً أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إِدْلاَجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ [(٢)]

فَلاَ ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعَا ... أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ

أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ [(٣)] النَّوَى ... وَيَنْأَى الأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ

فَإِنِّي لاَ ضَيَّعْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ ... وَلاَ رَاقَ عَيْنِي عَنْكِ بَعْدَكِ رَائِقُ

سِوَى أَنَّ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... عَنِ الْوُدِّ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ التَّوَامُقِ [(٤)]

قالت: وأنت فحيّيت عشراً وتسعاً وِتْراً وثمانية تَتْرى قال: ثم انصرفتُ به فضُرِبَت عنقه. قال ابن إسحاق: فحدَّثني أبو فراس بن أبي سُنبلة الأسلمي عن أشياخ منهم، عمّن كان حضرها منهم قالوا: فقامت إليه حين ضُربت عنقه فأكبّت عليه، فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده. وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدي عن سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِداً أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّناً فَلاَ تَقْتُلُوا أَحَداً»

---

(١) حلية والخوانق: موضعان.

(٢) الودائق: ج وديقة: وهي شدة الحر في الظهيرة.

(٣) يشحط: يبعد.

(٤) التوامق: الحب.

قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية، وأمرنا بذلك، فخرجنا قبل تهامة، فأدركنا رجلاً يسوق بظعائن فقلنا له: أسلم، فقال: وما الإسلام، فأخبرناه به فإذا هو لا يعرفه، قال: أفرأيتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون؟ قال: قلنا: نقتلك، فقال: هل أنتم منظري حتى درك الظعائن؟ قال: قلنا: نعم ونحن مدركوك، قال: فأدرك الظعائن فقال: أسلمي حبيش قبل نفاد العيش، فقالت الأخرى: أسلم عشراً وتسعاً وِتراً وثمانياً تترى، ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله: وينأى الأمير بالحبيب المفارق؛ ثم رجع إلينا فقال: شأنكم قال: فقدمناه فضربنا عنقه، قال: فانحدرت الأخرى من هودجها فجثت عليه حتى ماتت. ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرَّحمٰن النسائي، ثنا محمّد بن علي بن حرب المروزي، ثنا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي عن عكرمة، عن ابن عبّاس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم، قال: فإذا امرأة أدماء طويلة فقال لها: أسلمي حبيش قبل نفاد العيش. ثم ذكر البيتين بمعناهما. قال فقالت: نعم فديتك، قال: فقدّموه فضربوا عنقه، فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَحِيمٌ».

بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العزّى

قال ابن جرير: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ. قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزّى، وكانت بيتاً بنخلة يعظّمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجّابها من بني شيبان من بني سُلَيم، حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها السّلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علّق سيفه عليها، ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول: [الطويل]

أَيَا عُـزَّ شُـدِّي شُـدَّةً لاَ شَـوَى لَـهَـا[1] عَـلَـى خَـالِـدٍ أَلْـقِـي الـقِـنَـاعَ وَشَـمِّـري
أَيَا عُـز إِنْ لَـمْ تَـقْـتُـلِـي الْـمَـرْءَ خَـالِـداً فَـبُـوئِـي بِـإِثْـمٍ عَـاجِـلٍ أَوْ تَـنَـصَّـرِي

قال: فلما انتهى خالد إليها هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ. وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع، فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «مَا رَأَيْتَ؟» قال: لم أرَ شيئاً، فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول: [الرجز]

يَـا عُـزَّى كُـفْـرَانَـكِ لاَ سُـبْـحَـانَـكِ إِنِّـي رَأَيْـتُ الـلَّـهَ قَـدْ أَهَـانَـكِ

ثم خرّب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال رضي الله عنه

(١) لا شوى لها: أي أنها لا تبقي علي شيء.

وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «تِلْكَ العُزى وَلاَ تُعْبَدُ أَبَداً» وقال البيهقي: أنبأ محمّد بن أبي بكر الفقيه، أنبأ محمّد بن أبي جعفر، أنبأ أحمد بن علي، ثنا أبو كريب عن ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئاً» فرجع خالد، فلما نظرت إليه السَّدَنة وهم حجّابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عُزّى خبّليه يا عُزّى عوّريه وإلاّ فموتي برغم، قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها، فعمّمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: «تِلْكَ العُزّى».

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكّة

لا خلاف[١] أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة، فله أن يقصر [ويفطر][٢] إلى ثماني عشر يوماً في أحد القولين، وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه. قال البخاري: ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان ح. وحدّثنا قبيصة، ثنا سفيان عن يحيى بن أبي إسحق، عن أنس مالك قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً يقصر الصلاة، وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، عن أنس [بن مالك قال: أقمنا مع رسول الله عشراً نقصر الصلاة به][٣] نحوه. [ثم][٤] قال البخاري: ثنا عبدان، ثنا عبد اللّه، أنبأ عاصم عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين[٥]. ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر، زاد البخاري وأبو حصين كلاهما، وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عاصم بن سليمان الأحول، عن عكرمة، عن ابن عبّاس به، وفي لفظ لأبي داود سبعة عشر يوماً[٦]. وحدّثنا أحمد بن يونس، ثنا أحمد بن شهاب عن عاصم، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة. قال ابن عباس: فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا. وقال أبو داود: ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا ابن علية، ثنا علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح، فأقام ثماني عشرة

---

(١) في ط: لا خلف.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٢
(٦) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٠.

ليلة لا يصلّي إلاّ ركعتين يقول: «يَا أَهْلَ البَلَدِ صَلُّوا أَرْبَعاً فَإِنَّا [قَوْمٌ] سَفرٌ[١]» وهكذا رواه الترمذي من حديث علي بن زيد بن جدعان، وقال: هذا حديث حسن. ثم [روى أبو داود][٢] من حديث محمّد بن إسحاق عن الزهري، عن عُبَيد اللّه بن عبد اللّه، عن ابن عبّاس قال: أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة؛ ثم قال رواه غير واحد عن ابن إسحاق، لم يذكروا ابن عباس. وقال ابن إدريس عن محمّد بن إسحاق، عن الزهري، ومحمّد بن علي بن الحسين، وعاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد اللّه بن أبي بكر، وعمرو بن شعيب وغيرهم؛ قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة.

فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخاري: حدّثنا عبد اللّه بن مسلم عن مالك بن شهاب، عن عروة، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ، وقال الليثي: حدَّثني يونس عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقّاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقّاص ابن وليدة زمعة، فأقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبي وقّاص: هذا ابن أخي عهد إليّ أنه ابنه، قال عبد بن زمعة: يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمعة ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس بعُتبة بن أبي وقّاص، فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ لَكَ هُوَ أَخُوكَ يَا عَبْدَ بْنَ زُمْعَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ» وقال رسول الله ﷺ: «احْتَجِبِي مِنْهُ يَا سَوْدَةُ» لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقّاص. قال ابن شهاب: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ»[٣]. قال ابن شهاب: وكان أبو هريرة يصرح بذلك. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به. وابن ماجه من حديثه، وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري. ثم قال البخاري: ثنا محمّد بن مقاتل، أنبأ عبد اللّه، أنا يونس عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير: أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه قال عروة: فلما كلّمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال: «أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللّهِ؟» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشيّ، قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٠.

(٢) في ط: رواه.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣، ومسلم في الرضاع حديث ٣٦، ٣٨، وأو داود في الطلاق باب ٣٤، والترمذي في الرضاع باب ٨٢، وابن ماجه في النكاح باب ٥٩.

لَقَطَعْتُ يَدَهَا». ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقُطِعَت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوّجت، قالت عائشة: كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ(١). وقد رواه البخاري في موضع آخر، ومسلم من حديث ابن وهب عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة به، وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة، ثم لم يخرج حتى نهانا(٢) عنها. وفي رواية فقال: «أَلاَ إِنَّهَا حَرَامٌ حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» وفي رواية في مسند أحمد والسنن أن ذلك كان في حجّة الوداع فالله أعلم. وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن محمّد، عن عبد الواحد بن زياد، عن أبي العميس، عن أياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه أنه قال: رخّص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه(٣). قال البيهقي: وعام أوطاس هو عام الفتح، فهو وحديث سبرة سواء.

قلت: من أثبت النهي عنها في غزوة خَيْبر قال: إنها أبيحت مرّتين، وحرّمت مرتين، وقد نصّ على ذلك الشافعي وغيره. وقد قيل إنها أبيحت وحرّمت أكثر من مرّتين فالله أعلم. وقيل إنها إنما حرّمت مرّة واحدة، وهي هذه المرة في غزوة الفتح، وقيل إنها إنما أبيحت للضرورة، فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت، وهذا رواية عن الإمام أحمد، وقيل بل لم تحرّم مطلقاً، وهي على الإباحة، هذا هو المشهور عن ابن عبّاس وأصحابه وطائفة من الصحابة، وموضع تحرير ذلك في الأحكام.

فصل: قال الإمام أحمد: **حدثنا** عبد الرزّاق، ثنا ابن جريج، أنبأ عبد الله بن عثمان بن خثيم: أن محمّد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود **رأى** رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح، قال: جلس عند قرن مستقبله، فبايع الناس على الإسلام والشهادة، قلت: وما الشهادة؟ قال: أخبرني محمّد بن الأسود بن خلف، أنه بايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً عبده ورسوله، تفرّد به أحمد(٤)، وعند البيهقي: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء، فبايعهم على الإسلام والشهادة. وقال ابن جرير: ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، قال: فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء، وفيهنّ هند بنت عُتبة متنقبة(٥) متنكّرة لحدثها، لما كان من صنيعها بحمزة فهي

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣، وأحاديث الأنبياء باب ٥٤، والحدود باب ١٢، ومسلم في الحدود حديث ٨٠.

(٢) في ط: نهى.

(٣) أخرجه مسلم في النكاح حديث ١٨.

(٤) المسند ٣/ ٤١٥.

(٥) متنقبة: واضعة النقاب على وجهها.

تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال: «بَايِعْنَنِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً» فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال؟ «وَلاَ تَسْرِقْنَ» فقالت: والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة[١]، وما كنت أدري، أكان ذلك علينا حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان ـ وكان شاهداً لما تقول ـ أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حلّ، فقال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّكِ لَهِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ؟» قالت: نعم فاعف عما سلف، عفا الله عنك، ثم قال: «وَلاَ تَزْنِينَ[٢]» فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرّة؟ ثم قال: «وَلاَ تَقْتُلْنَ أَوْلاَدَكُنَّ» قالت: قد ربيناهم صغاراً حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كباراً، فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق، ثم قال: «وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ» فقالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل، ثم قال: «وَلاَ يَعْصِينَنِي» فقالت: في معروف، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فبايعهنّ عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ولا يمسّ إلاّ امرأة أحلّها الله له، أو ذات محرم منه. وثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا والله ما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط؛ وفي رواية ما كان يبايعهنّ إلاّ كلاماً، ويقول: «إِنَّما قَوْلِي لاِمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِمائَةِ امْرَأَةٍ» وفي الصحيحين عن عائشة: أن هنداً بنت عُتْبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ، فهل عليّ من حَرَج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ قال: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك [وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء ـ الشك من أبي بكر ـ أحب إليّ من أن يذلوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحبّ إلي من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك، فقال رسول الله ﷺ: «وَأَيْضاً وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ» قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل عليّ حرج أن أطعم من الذي له؟ قال: «لا إلاّ بِالْمَعْرُوفِ» ورواه البخاري عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان][٣].

وقال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «لاَ هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ أَلاَ فَانْفِرُوا»[٤] ورواه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة، ومسلم عن يحيى بن يحيى، عن جرير. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا وهب، ثنا ابن طاوس عن أبيه، عن

(١) الهنة بعد الهنة: المرة بعد المرة.

(٢) في ط: ولا يزنين.

(٣) ما بين المعقوفين عن النسخة التيمورية ولم يرد في غيرها.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٩٤، ومسلم في الإمارة حديث ٨٥.

صفوان بن أمية: أنه قيل له إنه لا يدخل الجنّة إلاّ من هاجر، فقلت له: لا أدخل منزلي حتى أسأل رسول الله ما سأله، فأتيته فذكرت له فقال: **«لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»** تفرّد به أحمد، وقال البخاري: ثنا محمّد بن أبي بكر، ثنا الفضيل بن سليمان، ثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي، عن مجاشع بن مسعود قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبيّ ﷺ ليبايعه على الهجرة فقال: **«مَضَتِ الهِجْرَةُ لأَهْلِهَا، أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ»** فلقيت أبا معبد فسألته فقال: صدق مجاشع[1]. وقال خالد بن أبي عثمان، عن مجاشع، أنه جاء بأخيه مجالد. وقال البخاري: ثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا عاصم عن أبي عثمان قال: حدَّثني مجاشع قال: أتيت رسول الله بأخي بعد يوم الفتح فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: **«ذَهَبَ أَهْلُ الهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا»** فقلت على أي شيء تبايعه؟ قال: **«أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ وَالجِهَادِ»** فلقيت أبا معبد بعد، وكان أكبرهما سناً فسألته فقال: صدق مجاشع. وقال البخاري: ثنا محمّد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة عن أبي بشر، عن مجاهد قال: قلت لابن عمر: أريد أن أهاجر إلى الشام؟ فقال: لا هجرة ولكن انطلق فأعرض نفسك، فإن وجدت شيئاً وإلاّ رجعت. وقال أبو النصر[2]: أنا شعبة، أنا أبو بشر، سمعت مجاهداً قال: قلت لابن عمر فقال: لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - مثله. حدّثنا إسحاق بن يزيد، ثنا يحيى بن حمزة، حدَّثني أبو عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد بن جبير: أن عبد اللّه بن عمر قال: لا هجرة بعد الفتح.

وقال البخاري: ثنا إسحاق بن يزيد، أنا يحيى بن حمزة، أنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عُبَيْد بن عُمَيْر فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم. وكان المؤمنون يقرّ أحدهم بدينه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربّه حيث يشاء ولكن جهاد ونيّة.

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة إما الكاملة أو مطلقاً قد انقطعت بعد فتح مكة، لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه، فلم تبق هجرة اللهم إلاّ أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء، ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح، كما أن كلاّ من الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع، ورغّب فيه إلى يوم القيامة، وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [سورة الحديد ١٠] الآية.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣، ومسلم في الإمارة حديث ٨٤.

(٢) في ط: النصر.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا محمّد بن جعفر، ثنا شعبة عن عمرو بن مرّة، عن أبي البختري الطائي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قرأها رسول الله حتى ختمها وقال: «النَّاسُ خَيرٌ وَأنَا وَأصْحَابِي خَيرٌ» وقال: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» [فقال له مروان: كذبت، وعنده][1]: رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدّثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، فرفع مروان عليه الدرّة ليضربه، فلما رأيا ذلك. قالا: صدق. تفرّد به أحمد. وقال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلاّ ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عزّ وجّل ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عبّاس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلَمه له قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ قال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلاّ ما يقول[2]. تفرّد به البخاري، وهكذا رُوي من غير وجه عن ابن عباس، أنه فسّر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحّاك وغير واحد، كما قال ابن عبّاس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. فأمّا الحديث الذي قال الإمام أحمد: ثنا محمّد بن فضيل، ثنا عطاء عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ قال رسول الله ﷺ: «نُعِيتُ إِلَى نَفْسي» بأنه مقبوض في تلك السنة. تفرّد به الإمام أحمد. وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخراساني، وفيه ضعف، تكلّم فيه غير واحد من الأئمة، وفي لفظه نكارة شديدة، وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة، وهذا باطل فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه، وهذا ما لا خلاف فيه. وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضاً، وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله: ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي، ثنا أبي، ثنا جعفر بن عون عن أبي العُميس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عبّاس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾. فيه نكارة أيضاً، وفي إسناده نظر أيضاً، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال، والله أعلم. وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنّة. وقال البخاري: ثنا

---

(١) ما بين المعقوفين لم يرد في الحلبية وفي نسخة دار الكتب والتيمورية بهذا السياق.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفتح باب ٤.

سليمان بن حرب، ثنا حمّاد بن زيد عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو بن سَلَمة ـ قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: زعم[1] أن الله أرسله وأوحى [الله][2] إليه كذا، فكنت أحفظ ذاك الكلام، فكأنما يغري في صدري، وكانت العرب تلوّم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيّ صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبيّ حقاً. قال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم وليؤمّكم أكثركم قرآناً، فنظروا فلم يكن أحداً أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدّموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلّصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است[3] قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص. تفرّد به البخاري دون مسلم.

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ][4]

غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧]. وقد ذكر محمّد بن إسحاق بن يسار في كتابه: أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة؛ وهكذا روي عن ابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير، واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه. وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لستّ خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره. وقال أبو بكر الصديق لن نغلب اليوم من قلّة!! فانهزموا فكان[5] أول من انهزم بنو سُلَيم، ثم أهل مكّة، ثم بقية الناس.

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها ملكها مالك بن عوف النّصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها، واجتمعت نصر

---

(١) في ط: يزعم.
(٢) سقط في ط.
(٣) إست: دبر.
(٤) سقط في ط.
(٥) في ط: لمكان.

وجشم كلّها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلاّ هؤلاء، وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جشم دُرَيد بن الصمّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً، وفي ثقيف سيّدان لهم؛ وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ أحضر مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمّة في شجار[١] له يقاد به، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حَزَن ضِرس[٢] ولا سَهْلٌ دَهس[٣]، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء[٤]؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قالوا: هذا مالك ودُعِي له، قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولِمَ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فَأَنقَضَ[٥] به، ثم قال: راعي ضأن والله، هل يردّ المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قال: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر، لا ينفعان ولا يضرّان، ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ثم قال دريد لمالك بن عوف: ارفعهم إلى مُتَمنّع بلادهم، وعلْياء[٦] قومهم، ثم الْقَ الصُّبّاء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من ورائك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، ثم قال مالك: والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري

---

(١) الشجار: يشبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

(٢) الحزن: المرتفع من الأرض. والضرس: الذي فيه حجارة ممددة.

(٣) الدهس: اللين الكثير التراب.

(٤) يعار الشاء: صوتها.

(٥) فانقض به: أي زجره، من الانقاض، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى، ثم تصوت في حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه. أو هو التصويب بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئاً، وذلك حين تنكر على غيرك قولاً أو عملاً.

(٦) في ط: وعليا.

ـ وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكر أو رأي ـ فقالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني: [مجزوء الرجز]

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدّة رجل واحد. قال ابن إسحاق: وحدَّثني أمية بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، أنه حدّث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرّقت أوصالهم، فقال: ويلكم ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فواللهِ ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد. قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبيّ الله ﷺ بعث إليهم عبد اللّه بن أَبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له، وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً فقال صفوان: أغصباً يا محمّد؟ قال: «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل. هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد. وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر بن عبد اللّه، عن أبيه، وعن عمرو بن شعيب والزهري وعبد اللّه بن أَبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم، قصّة حنين فذكر نحو ما تقدم، وقصة الأدراع كما تقدّم وفيه أن ابن أَبي حدرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ [عن][2] خبر هوازن كذّبه عمر بن الخطاب، فقال له ابن أَبي حدرد: لئن كذّبتني يا عمر فربما كذبت بالحق، فقال عمر: ألا تسمع ما يقول يا رسول الله؟ فقال: «قد كنت ضالاً فهداك الله». وقد قال الإمام أحمد: ثنا يزيد بن هارون، أنبأ شريك بن عبد العزيز بن رفيع، عن أمية بن صفوان بن أمية، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعار من أمية يوم حنين أدراعاً، فقال: أغصباً يا محمّد؟ فقال: «بل عارية مضمونة» قال: فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب، ورواه أَبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هارون به. وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة

---

(١) الوطفاء: الطويلة الشعر. والزمع: الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود في وصف الخيل. والشاة هنا: الوعل. وصدع: أي وعل بين الوعلين، ليس بالعظيم ولا بالحقير.

(٢) سقط في ط.

عبد الرَّحمٰن بن صفوان بن أمية: أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً فذكره. ورواه من حديث هشيم عن حجاج، عن عطاء: أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً وساق الحديث. وقال أبو داود: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع، عن أناس من آل عبد اللّه بن صفوان: أن رسول الله ﷺ قال: «يا صفوان هل عندك من سلاح؟» قال: عارية أم غصباً؟ قال: «بل عارية» فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً، فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان، ففقد منها أدراعاً، فقال رسول الله ﷺ لصفوان: «قد فقدنا من أدارعك أدراعاً فهل نغرم لك؟» قال: لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ. وهذا مرسل أيضاً. قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً.

قلت: وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى هوازن أربعة عشر ألفاً، لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم، وأضيف ألفان من الطّلقاء. وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال، قال: واستخلف على أهل مكة عتاب بن أُسَيْد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي.

قلت: وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة، قال: ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن ثم ذكر قصيدة العبّاس بن مرداس السلمي في ذلك[1] منها قوله:

أبـلـغ هـوازن أعـلاهـا وأسـفـلـهـا ... مـنـي رسـالـة نُـصْـح فـيـه تِـبـيـان
إنـي أظـن رسـول الله صَـابِـحَـكـم ... جـيـشـاً لـه فـي فـضـاء الأرض أركـان
فـيـهـم سـليـم أخـوكـم غـيـر تـارككـم ... والـمـسـلـمـون عـبـاد الله غَـسّـان
وفـي عـضـادتـه الـيُـمـنـى بـنـو أسَـدٍ ... والأجـربـان بـنـو عَـبْـس وذُبْـيـان
تـكـاد تـرجـف مـنـه الأرض رَهْـبـتـه ... وفـي مُـقَـدّمـه أوسٌ وعُـثـمـان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان قبيلا مُزَينة. قال: وحدَّثني الزهري عن سنان بن أبي سنان الدئلي عن أبي واقد الليثي: أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنَين، قال: وكانت لكفّار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنْواط، يأتونها كل سنة فيعلّقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنْواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أَكْبَرُ قُلتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ: إِنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّهَا السُّنَنُ

---

(١) وأولها:

صـابـت الـعـام رِعْـلاً غُـولُ قـومِـهِـمُ ... وَسْـطَ الـبـيـوت ولَـوْنُ الـغُـولِ ألْـوانُ

لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[١] . وقد روى هذا الحديث الترمذي عن سعيد بن عبد الرَّحمٰن المخزومي، عن سفيان والنسائي، عن محمّد بن رافع، عن عبد الرزَّاق، عن معمر كلاهما عن الزهري، كما رواه ابن إسحاق عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد اللّه بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه مرفوعاً.

وقال أبو داود: ثنا أبو توبة، ثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي، أنه حدّثه سهل ابن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فأطنبوا السير حتى كان العشيّة، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله» ثم قال: «من يحرسنا الليلة» قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال: فاركب فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «اسْتقبِلْ هذا الشِّعْبَ حتَّى تكُون فِي أعْلاهُ وَلاَ نُغرَنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَة» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين، ثم قال: «هَلْ أحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله ما أحسسنا، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال: «أبْشِرُوا فَقدْ جاءكُم فَارِسُكُمْ» فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلا هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟» قال: لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: «قدْ أوْجبْتَ فلاَ عَلَيْكَ ألاَّ تَعْمَلَ بَعْدَهَا»[٢] وهكذا رواه النسائي عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن كثير الحرَّاني، عن أبي توبة الربيع بن نافع به.

[فصل][٣] في [كيفية][٤] الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتّقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمّد بن إسحاق: حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرَّحمٰن بن جابر بن عبد اللّه، عن أبيه قال: فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حُنَين فسبق رسول الله ﷺ إليها، فأعدوا وتهيؤوا في مضايق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح[٥] ، فلما انحط الناس ثارت

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٦.

(٣) سقط في ط.

(٤) سقط في ط.

(٥) عماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبين.

في وجوههم الخيل فشدّت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول: «**أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**» قال: فلا شيء، وركبت الإبل بعضها بعضاً، فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان، وأيمن ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين، منهم أبو بكر وعمر والعبّاس آخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، قال: فبينما هو كذلك إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتي عليّ من خلفه فضرب عرقوبي الجمل، فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ. ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهري، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق، قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال: «**مَنْ هَذَا؟**» قال: ابن أمك يا رسول الله. قال ابن إسحاق: ولما انهزم الناس تكلّم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان صخر بن حرب ـ يعني وكان إسلامه بعد مدخولاً ، وكانت الأزلام بعد معه يومئذ ـ قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كِلْدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعني لأمه ـ وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السِّحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فضّ الله فاك، فوالله لئن يربني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربني رجل من هوازن. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك: أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم، فجعلوها صفوفاً يكثرون على رسول الله ﷺ، فلما التقوا ولّى المسلمون مُدْبرين كما قال الله تعالى؛ فقال رسول الله ﷺ: «**يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» ثم قال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» قال: فهزم الله المشركين، ولم يُضرَب بسيف ولم يُطْعَن برمح. قال وقال رسول الله ﷺ يومئذ: «**مَنْ قَتَلَ كَافِراً فَلَهُ سَلَبُهُ**» قال: فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم، وقال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درع له، فأجهضت عنه فانظر من أخذها، قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها فارضه منها وأعطنيها، قال: وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت فسكت رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها، فقال

رسول الله ﷺ: «صَدَقَ عُمَرُ» قال: ولقي أبو طلحة أم سُلَيم[(١)] ومعها خنجر، فقال أبو طلحة: ما هذا؟ فقالت: إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سُلَيم؟ فضحك رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك، فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ»[(٢)] وقد روى مسلم منه قصّة خنجر أم سُلَيم، وأبو داود قوله: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ» كلاهما من حديث حمّاد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصدّيق. وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث، ثنا أبي، ثنا نافع أبو غالب، شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدويّ: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين سنة، قال: ثم كان ماذا؟ قال: ثم كان بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، فتمت له ستون سنة، ثم قبضه الله إليه. قال: بسنّ أي الرجال هو يومئذ؟ قال: كأشبّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه، قال: يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم غزوت معه يوم حُنَين، فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا، وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطّمنا، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولوا، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يجاء بهم أسارى رجل رجل فيبايعونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب النبيّ ﷺ: إن علي نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنّ عنقه، قال: فسكت رسول الله ﷺ؛ وجيء بالرجل، فلما رأى نبي الله ﷺ قال: يا نبي الله تبتُ إلى الله؟ قال: وأمسك نبي الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره، قال: وجعل ينظر إلى النبيّ ﷺ ليأمره بقتله، ويهاب رسول الله ﷺ، فلما رأى النبيّ ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه، فقال: يا نبي الله نذري؟ قال: «لَمْ أُمْسِكْ عَنْهُ مُنْذُ الْيَوْمَ إِلاَّ لِتُوفِيَ نَذْرَكَ» فقال: يا رسول الله ألا أومأت إلي؟ قال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُومِيءَ». تفرّد به أحمد، وقال أحمد: حدّثنا يزيد، ثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاءْ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ الْيَوْمِ» إسناده ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه. وقال البخاري: ثنا محمّد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة عن أبي إسحاق، سمع البراء بن عازب ـ وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم فاستبقلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب[(٣)]، ورواه البخاري عن

---

(١) في اسمها خلاف، قيل هي: مليكة بنت ملحان، وقيل: رميلة، ويقال: سهيلة وتعرف بالغميصاء والرميصاء، لرمص كان في عينيها.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ١٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٥٢، ٦١، والمغازي باب ٥٤، ومسلم في الجهاد حديث ٧٨.

أَبي الوليد عن شعبة به وقال: [مجزوء الرجز]

أَنَــــا الـــنَّــبِــــيُّ لاَ كَـــذِبْ أَنَــا ابْــنُ عَــبْــدِ الــمُــطَّــلِــبْ

قال البخاري: وقال إسرائيل وزهير عن أَبي إسحاق، عن البراء: ثم نزل عن بغلته. ورواه مسلم والنسائي عن بندار، زاد مسلم وأَبي موسى كلاهما عن غندر به. وروى مسلم من حديث زكريا بن أَبي زائدة عن أَبي إسحاق عن البراء، ثم نزل فاستنصر وهو يقول: [مجزوء الرجز]

أَنَــــا الـــنَّــبِــــيُّ لاَ كَـــذِبْ أَنَــا ابْــنُ عَــبْــدِ الــمُــطَّــلِــبْ

«الــلَّــهُــمَّ نَــزِّل نَــصْــرَكَ»

قال البراء ولقد كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ وإن الشجاع الذي يحاذي به. وروى البيهقي من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «أنا ابنُ العواتك»[(١)] وقال البخاري: حدثنا عبد اللّه بن يوسف أنبأ مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح عن أَبي محمّد مولى أَبي قتادة عن أَبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل عليّ فضمني ضمّة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر، فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله، ورجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال: «مَن قَتَل قتيلاً لهُ عليهِ بيِّنةٌ فلهُ سلبُهُ» فقمت فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله، فقلت: من يشهد لي ثم جلست، ثم قال رسول الله ﷺ مثله، فقمت فقال: «مَا لَكَ يَا أَبا قَتادَةَ؟» فأخبرته فقال رجل: صدق، سلبه عندي فأرضه مني، فقال أَبو بكر: لاها الله[(٢)] إذاً تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه؟! فقال النبيّ ﷺ: «صَدَقَ فَأَعْطِه» فأعطانيه، فابتعت به مخرافاً في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام. ورواه بقية الجماعة إلا النسائي من حديث يحيى بن سعيد به. قال البخاري، وقال الليث بن سعد: حدّثني يحيى بن سعيد عن عمرو بن كثير بن أفلح، عن أَبي محمّد مولى أَبي قتادة أن أبا قتادة قال: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمّني ضماً شديداً حتى تخوّفت، ثم ترك فتحلل، فدفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون فانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله: «مَنْ أَقَامَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلٍ فَلَهُ سَلَبُهُ» فقمت لألتمس بيّنة على

(١) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٧٩.

(٢) لاها الله: قال الجوهري: ها للتنبيه وقد يقسم بها فيقال: ها الله ما فعلت كذا.

قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أُضَيْبع[1] من قريش، ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله فأداه إليّ فاشتريت به مخرافاً[2] فكان أول مال تأثّلته. وقد رواه البخاري في مواضع أخر، ومسلم كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به، وقد تقدّم من رواية نافع أبي غالب عن أنس، أن القائل لذلك عمر بن الخطّاب، فلعله قاله متابعة لأبي بكر الصدّيق ومساعدة وموافقة له، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم. وقال الحافظ البيهقي: أنبأ الحاكم، أنبأ الأصم، أنبأ أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر عن عبد الرّحمٰن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد اللّه: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى: «يَا عَبَّاسُ نادِ يا مَعْشَرَ الأنْصارِ يا أصْحاب الشَّجَرَةِ» فأجابوه لبيك لبيك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه، ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جعلت آخراً للخزرج، وكانوا صبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركايبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: «الآنَ حمِيَ الوَطيسُ» قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتّفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم. وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة؛ وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقرّ بها عينه، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكّة لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاة، حتى خرج النساء يمشين على غير دين، نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: وكان معه أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة، وهو مشرك لم يفرّق بينهما، قالوا: وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النّصْري، ومعه دريد بن الصمّة يرعش من الكِبَر، ومعه النساء والذراري والنعم، فبعث رسول الله ﷺ عبد اللّه بن أبي حدرد عيناً فبات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه: إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد، واكسروا أغماد سيوفكم واجعلوا مواشيكم صفاً، ونساءكم صفاً، فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة، وصفّ الناس بعضهم لبعض، وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء، فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضّهم على القتال وبشّرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك، إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد، فجال المسلمون جولة، ثم ولّوا مُدْبرين، فقال حارثة بن النعمان: لقد حزرت من بقي مع

(١) أضيبع: تصغير أضبغ؛ وهو القصير الضبع ويكنى به عن الضعيف.
(٢) المخراف: السكة.

رسول الله ﷺ حين أدبر الناس، فقلت: مائة رجل، قالوا: ومرّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: ابشر بهزيمة محمّد وأصحابه، فوالله لا يجتبرونها أبداً، فقال له صفوان: تبشّرني بظهور الأعراب، فوالله لربّ من قريش أحبّ إلي من ربّ من الأعراب، وغضب صفوان لذلك. قال عروة ويعث صفوان غلاماً له، فقال: اسمع لِمَن الشعار؟ فجاءه فقال: سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرّحمٰن يا بني عبد اللّه، يا بني عُبَيد اللّه، فقال: ظهر محمّد، وكان ذلك شعارهم في الحرب. قالوا: وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين، وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول: «اللّهُمَّ إنّي أنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَني، اللّهُمَّ لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أنْ يَظْهرُوا عَلَيْنَا» ونادى أصحابه وزمرهم[1]: «يَا أَصْحَابَ البَيْعَةِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ اللّهَ اللّهَ الكَرَّةَ عَلَى نَبِيِّكُمْ» ويقال: حرّضهم فقال: «يَا أَنْصَارَ اللّهِ وَأَنْصارَ رَسُولِهِ، يَا بَنِي الخَزْرَجِ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرَةِ» وأمر من أصحابه من ينادي بذلك، قالوا: وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلّها وقال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ» وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ» فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها، واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم وذراريهم، وفرّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ وإعزازه دينه. رواه البيهقي.

وقال ابن وهب: أخبرني يونس عن الزهري، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب، قال: قال العباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مُدْبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفّار، قال العباس: وأنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ. وقال رسول الله ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ» قال: فوالله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيكاه يا لبيكاه، قال: فاقتتلوا هم والكفّار والدعوة في الأنصار وهم يقولون: يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ» ثم أخذ حصيات فرمى بهنّ في وجوه الكفّار، ثم قال: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته، فما زلت أرى حدّهم كليلاً، وأمرهم مُدبراً[2]. ورواه مسلم عن أَبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه. ورواه أيضاً عن محمّد بن رافع، عن عبد الرزّاق، عن

(١) زمرهم: أغراهم بأعدائهم.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٢٨.

معمر، عن الزهري نحوه. وروى مسلم من حديث عكرمة بن عمّار، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حُنَيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بسهم، وتوارى عني فما دريت ما صنع، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ، فولّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً وعليّ بردتان متزراً بإحداهما، مرتدياً بالأخرى، قال: فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً، ومررت على النبيّ ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء، فقال: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الأَكْوعِ فزعاً» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم، وقال: «شَاهَتِ الوُجوهُ» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة، فولوا مُدْبرين، فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[١].

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: ثنا حمّاد بن سلمة عن يعلى بن عطاء، عن عبد اللّه بن يسار، عن أبي عبد الرَّحمٰن الفِهْري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حُنَين فسرنا في يوم قايظ شديد الحرّ، فنزلنا تحت ظلال السمر، فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قد حان الرواح يا رسول الله؟ قال: «أَجَلْ» ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بِلاَلُ» فثار من تحت سمرة كأن ظلّه ظل طائر فقال: لبيك وسعديك وأنا فداؤك؟ فقال: «أَسْرِجْ لِي فَرَسِي» فأتاه بدفّتين من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر، قال: فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم، فولى المسلمون مُدْبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يَا عِبَادَ اللهِ أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه، وحدَّثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحثى بها وجوه القوم[٢] وقال: «شَاهَتِ الوُجُوهُ» قال يعلى بن عطاء: فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا: ما بقي أحد إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب، وسمعنا صلصلة من السماء كمرّ الحديد على الطست الحديد، فهزمهم الله عزّ وجل. ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن إسماعيل، عن حمّاد بن سلمة به نحوه. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا الحارث بن حصين، ثنا القاسم بن عبد الرَّحمٰن بن عبد اللّه بن مسعود، عن أبيه قال: قال عبد اللّه بن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن فولّى عنه الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً، ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُماً، فحادت به بغلته فمال عن السّرج، فقلت له: ارتفع رفعك الله فقال: «نَاوِلْنِي كَفاً مِنْ تُرَابٍ» فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً قال:

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٨١.

(٢) في ط: العدو.

«أَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارُ؟» قلت: هم أولاء قال: «أَهْتِفْ بِهِمْ» فهتفت بهم فجاؤوا سيوفهم بأيمانهم كأنها الشُّهُب وولّى المشركون أدبارهم[(١)]. تفرّد به أحمد. وقال البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الحسين محمّد بن أحمد بن تميم القَنْطري، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، ثنا عبد الله بن عبد الرَّحمٰن الطائفي، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً، فقتل من أهل الطائف يوم حُنَيْن مثل من قتل يوم بدر، قال: وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى، فرمى بها في وجوهنا فانهزمنا، ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً. وقال مسدد: ثنا جعفر بن سليمان، ثنا عوف بن عبد الرَّحمٰن مولى أم برثن عمن شهد حنيناً كافراً قال: لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حلب شاة، فجئنا نهشّ سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا: شاهت الوجوه فارجعوا، فهزمنا من ذلك الكلام. رواه البيهقي. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو سفيان، ثنا أبو سعيد عبد الرَّحمٰن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، حدَّثني محمّد بن عبد الله الشعبي عن الحارث بن بدل النصري، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفي قالا: انهزم المسلمون يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث، قال: فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصباء فرمى بها في وجوههم، قال: فانهزمنا فما خيّل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا، قال الثقفي: فأعجرت على فرسي حتى دخلت الطائف. وروى يونس بن بكير في مغازيه عن يوسف بن صهيب بن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد. وروى البيهقي من طريق الكديمي ثنا موسى بن مسعود ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين، فتبعهم الكفّار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال: «ارْجِعُوا شَاهَتِ الوُجُوهُ» فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه. ثم روي من طريقين آخرين عن أبي حُذَيْفة: ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي، حدَّثني أبي السائب بن يسار، سمعت يزيد بن عامر السوائي ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ـ قال: فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان؟ قال: فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمي بها في الطست فيطن، قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا. وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ ومحمّد بن موسى بن الفضل قالا: ثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمّد بن بكير الحضرمي، ثنا أبو أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد، عن مصعب بن شيبة، عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله إني أرى خيلاً بُلْقاً، فقال: «يَا شَيْبَةُ إِنَّهُ لاَ يَرَاهَا إِلاَّ كَافِرٌ» فضرب

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٥٣، ٤٥٤.

يده في صدري ثم قال: «اللَّهمَّ اهدِ شيبةَ» ثم ضربها الثانية فقال: «اللَّهمَّ اهدِ شيبَةَ» ثم ضربها الثالثة ثم قال: «اللَّهمّ اهدِ شيبة» قال: فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحبّ إليّ منه. ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين، ونداء العبّاس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين. وقال البيهقي: أنبأ أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو محمّد أحمد بن عبد اللّه المزني، ثنا يوسف بن موسى، ثنا هشام بن خالد، ثنا الوليد بن مسلم حدّثني عبد اللّه بن المبارك عن أبي بكر الهُذلي عن عكرمة مولى ابن عبّاس عن شيبة بن عثمان قال: لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري، ذكرت أبي وعمّي، وقتل عليّ وحمزة إياهما، فقلت اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ، قال: فذهبت لأجيئه عن يمينه فإذا بالعبّاس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضّة يتكشف عنها العُجَاج، فقلت: عمه ولن يخذله، قال ثم جئته عن يساره فإذا إنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقلت: ابن عمه ولن يخذله، قال: ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف، إذ رُفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق، فخفت أن يمحشني[1]، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «يا شيب ادنُ منّي. اللّهمّ اذْهبْ عَنْه الشّيطَان» قال: فرفعت إليه بصري ولهو أحبّ إليّ من سمعي وبصري، فقال: «يا شيب قاتل الكُفّار» وقال ابن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت: اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قد قتل يوم أُحُد - اليوم أقتل محمّداً، قال: فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني.

وقال محمّد بن إسحاق: وحدّثني والدي إسحاق بن يسار عمن حدّثه، عن جُبَيْر بن مُطْعم قال: إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتتلون، إذا نظرت إلى مثل البجاد[2] الأسود يهوي من السماء، حتى وقع بيننا وبين القوم، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة. ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصمّ عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق به. وزاد فقال خديج بن العوجا النّصري - يعني في ذلك -: [الطويل]

وَلَـمَّـا دَنَـوْنَـا مِـنْ حُـنَـيْـنٍ وَمَـائِـهِ ... رَأَيْـنَـا سَـوَاداً مُـنْـكَـرَ الـلَّـوْنِ أَخْـصَـفَـا[3]

بِـمَـلْـمُـومَـةٍ شَـهْـبَـاءَ لَـوْ قَـذَفُـوا بِـهَـا ... شَـمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إذاً عَادَ صَفْصَفَا[4]

وَلَـوْ أَنَّ قَـوْمِـي طَـاوَعَـتْـنِـي سَرَاتُـهُـمْ ... إذاً مَـا لَـقِـيـنَـا الـعَـارِضَ الـمُـتَـكَـشِّـفَـا

---

(١) يمحشني: يحرقني.

(٢) البجاد: الكساء.

(٣) الأخصف: ما جمع اللونين الأسود والأبيض.

(٤) صفصفا: المستوي من الأرض.

إِذَا مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفاً وَاسْتَمَدُّوا بِخِنْدِفَا

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النّصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرتجز ويقول: [الرجز]

أَقْدِم مُجَاحُ إِنَّهُ يَوْمٌ نُكُرْ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُرْ
إِذَا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْماً وَالدُّبُرْ ثُمَّ احْزَأَلَّتْ[1] زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ
كَتَائِبٌ يَكِلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرْ قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسَّبِرْ[2]
حِينَ يُذَمّ الْمُسْتَكِنُّ الْمُنْحَجِرْ وَأَطْعَنُ النَّجْلاءَ تَعْوِي وَتَهِرْ[3]
لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرْ تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِيناً تَنْفَجِرْ
وَيَغْلِبُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِرْ يَا زَيْنَ يَا ابْنَ هَمْهَمٍ أَيْنَ تَفِرْ
قَدْ أَنْفَذَ الضِّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرْ قَدْ عَلِمَ الْبِيضُ الطَّوِيلاتُ الْخُمُرْ
أَنِّي فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرْ إِذْ تُخْرِجُ الْحَاضِنَ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن أبي إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولّى أصحابه منهزمين، وذلك قوله بعدما أسلم وقيل هي لغيره: [البسيط]

اذْكُرْ مَسِيرَهُمْ وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ
حَتَّى لَقُوا النَّاسَ حِينَ الْبَأْسِ يَقْدُمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبِيضُ وَالأَبْدَانُ وَالدَّرَقُ[4]
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَداً حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ
حَتَّى تَنَزَّلَ جِبْرِيلٌ بِنَصْرِهِمُ فَالْقَوْمُ مُنْهَزِمٌ مِنَّا وُمُعْتَلِقُ[5]
مِنَّا وَلَوْ غَيْرَ جِبْرِيلٍ يُقَاتِلُنَا لَمَنَّعَتْنَا إِذاً أَسْيَافُنَا الْفَلَقُ
وَقَدْ وَفَى عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هُزِمُوا بِطَعْنَةٍ كَانَ مِنْهَا سَرْجُهُ الْعَلَقُ

قال ابن إسحاق: ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين: [الرجز]

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قال ابن هشام: وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر: [الرجز]

---

(١) احزألت: ارتفعت.

(٢) السبر: ج سبار، وهو الفتيل يسبر به الجرح.

(٣) تعوي وتهر: أي التي يسمع لخروج الدم منها صوت كالعواء والهرير.

(٤) الدرق: ج درقة؛ وهي الترس من جلد بلا خشب ولا عقب.

(٥) في ابن هشام:

حتى نزل جبريل بنصرهم من السماء فمهزوم ومعتنق

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ(١)

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، وكانت مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال: «أَبْعَدَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشاً» وذكر ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة، أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني، فجاء رجل من الأنصار ليسلبه فإذا هو أغرل، فصاح بأعلا صوته: يا معشر العرب إن ثقيفاً غرل، قال المغيرة بن شعبة الثقفي: فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت: لا تقل كذلك فداك أبي وأمي، إنما هو غلام لنا نصراني، ثم جعلت أكشف له القتلى، فأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى؟ قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمّه وقومه فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين؛ رجل من بني غِيرة يقال له: وهب، ورجل من بني كبّة يقال له: الجلاّح، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: «قُتِلَ الْيَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ، إلاَّ مَا كَانَ مِنِ ابْنِ هُنَيْدَةَ» يعني الحارث بن أويس، قال ابن إسحاق: فقال العباس بن مرداس يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت: [الوافر]

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّي وَسَوْفَ أَخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُرْوَةُ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَاباً وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدٌ رَسُولٌ لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيّاً مِثْلَ مُوسَى فَكُلُّ فَتًى بِخَايِرِهِ مُخِيرُ
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ بِوَجٍّ(٢) إِذَا تَقَسَّمَتِ الأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ أَمِيرٌ وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ
نَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ
وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُوا مَكَثُوا لَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى أَبَحْنَاهَا وَأُسْلِمَتِ النُّصُورُ(٣)
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
مِنَ الأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ

(١) في: بالثياب.
(٢) وج: اسم واد بالطائف قبل حنين.
(٣) لية: موضع قريب من الطائف. والنصور من هوازن وهم رهط مالك بن عوف النصري.

قَتَلْنَا فِي الغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالخَيْلُ زُورُ
وَلَمْ يَكُ ذُو الخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَوْ نَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ المَنَايَا وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الأُمُورُ
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ حَرِيضاً [١] وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلاَ يُغْنِي الأُمُورُ أَخُو التَّوَانِي وَلاَ الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ [٢]
أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ أُمُورَهُمْ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادٌ أُهِينَ لَهَا الفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقُسِّمَتِ المَزَارِعُ وَالقُصُورُ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عَمَّمُوهَا [٣] عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ المُشِيرُ
أَطَاعُوا قَارِباً وَلَهُمْ جُدُودٌ وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الإِسْلاَمِ يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ [٤]
فَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُوا أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّمَتْ بَنِي سَعْدٍ وَجَرْتٍ بِرَهْطِ بَنِي غُزَيَّةَ عَنْقَفِيرُ [٥]
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ إِلَى الإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
فَقُلْنَا اسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ وَقَدْ بَرِأَتْ مِنَ الإِحَنِ [٦] الصُّدُورُ
كَأَنَّ القَوْمَ إِذْ جَاؤُوا إِلَيْنَا مِنَ البَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ

فصل: ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النّصري على ثنيّة مع طائفة من أصحابه فقال: قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم. قال ابن إسحاق: فبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنيّة فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادّهم [٧]، فقال: هؤلاء بنو سُلَيم ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالاً [٨] على خيلهم، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج ولا

(١) حريضاً: لا يستطيع النهوض من شدة الضعف والعجز.
(٢) الغلق: الكثير الحرج. والصريرة: تصغير الصرورة، وهو الذي لا يأتي النساء.
(٣) عمّموها: أسندت إليهم وقدموا لها.
(٤) أنوف الناس: أشرافهم والمقدمون فيهم. والسمير: ج السمار: وهم الذين يجتمعون للحديث بالليل.
(٥) العنقفير: الداهية.
(٦) الإحن: ج أحنة وهي العداوة.
(٧) بوادهم: جمع الباد، وهو باطن الفخذ.
(٨) أغفالاً: جمع غفل، وهو الذي لا علاقة له. يعني أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به.

بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سُلَيم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحه على عاتقه عاصباً رأسه بملاءة حمراء، قال: هذا الزبير بن العوّام وأقسم باللات ليخالطنكم فأثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنيّة أبصر القوم فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

[فصل:][1] وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق، وأمر أن تُساق إلى الجعرانة فتحبس هناك، قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري.

[فصل:][2] قال ابن إسحاق: وحدَّثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مرّ يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصّفون[3] عليها، فقال لبعض أصحابه: «أدرِكْ خالداً فقُلْ لَهُ إنَّ رَسُولَ اللّهِ - ﷺ - يَنْهاكَ أَنْ تَقْتُلَ وليداً أو امْرَأَةً أَوْ عَسِيفاً»[4] هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً. وقد قال الإمام أحمد: ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، ثنا المغيرة بن عبد الرَّحمٰن، عن أبي الزناد، حدَّثني المرقع بن صيفي، عن جده رباح بن ربيع أخي بني حنظلة الكاتب، أنه أخبره أنه [خرج مع][5] رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وعلى مقدّمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها، حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته، فانفرجوا عنها، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «مَا كَانَتْ هٰذِهِ لِتُقَاتِلَ» فقال لأحدهم: «الْحَقْ خالداً فقُلْ لهُ لا يَقْتُلَنَّ ذُرِيَّةً ولاَ عَسِيفاً» وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه.

[سرية][6] أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النّصري، فلجؤوا إلى الطائف فتحصّنوا بها، وسارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس، فبعث إليهم رسول الله ﷺ سريّة من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم فغلبوهم، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتي.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلاّ بنو

---

(١) سقط في ط.

(٢) سقط في ط.

(٣) متقصفون: مزدحمون.

(٤) العسيف: الأجير، والعبد المستعان به.

(٥) في ط: رجع.

(٦) في ط: غزوة.

غيرة من ثقيف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك الثنايا، قال: فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدغنّة - وهي أمه - دريد بن الصمّة، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شجار لهم، فإذا برجل فأناخ به فإذا شيخ كبير، وإذا دريد بن الصمّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت! قال: أنا ربيعة بن رُفَيع السُلَمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، قال: بئس ما سلّحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار ثم اضرب به، وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمّك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمّة، فربّ والله يوم منعت فيه نساءك، فزعم بنو سُلَيم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشّف، فإذا عِجَانه[1] وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل إعراء. فلما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتله إياه فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً. ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عَمْرة بنت دُريد أباها فمن ذلك قولها: [البسيط]

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيداً قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا   فَظَلَّ دَمْعِي عَلَى السِّرْبَالِ[2] مُنْحَدِرُ
لَوْلاَ الَّذِي قَهَرَ الأَقْوَامَ كُلَّهُمُ   رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ يَأْتَمِرُ
إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِبّاً وَظَاهِرَةً   حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ[3]

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فرُمِيَ أبو عامر [بسهم][4] فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمّه، فقاتلهم ففتح الله عليه، وهزمهم الله عزّ وجلّ، ويزعمون أن سَلَمة بن دُرَيد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته فقتله وقال: [رجز]

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَه   ابنَ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ[5]
أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ المُسْلِمَهْ

قال ابن إسحاق: وحدَّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهد عليه، فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهد عليه، فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل:

---

(١) عجانة: ما بين فرجيه.
(٢) السربال: القميص.
(٣) ذفر: كثر.
(٤) سقط في ط.
(٥) توسّمه: استدل عليه ونظر فيه. وسمادير: هي أم سلمة بن دريد.

اللهم لا تشهد عليّ فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه، فكان النبيّ ﷺ إذا رآه قال: «هَذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ» قال: ورمى أبا عامر؛ إخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته فقتلاه، وولّى الناس أبا موسى، فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جشم يرثيهما: [المتقارب]

إنَّ الـرَّزِيَّـةَ قَـتْـلُ الـعَـلا ... ءِ وَأَوْفَـى جَـمِـيـعـاً وَلَـمْ يـشْـهَـدا

هُـمَـا الـقَـاتِـلاَنِ أَبَـا عَـامِـرٍ ... وَقَـدْ كَـانَ دَاهِـيَـةً أَرْبَـدَا

هُـمَـا تَـرَكَـاهُ لَـدَى مَـعْـرَكٍ ... كَـأَنَّ عَـلَـى عِـطْـفِـهِ مُـجْـسَـدَا

فَـلَـمْ يَـرَ فِـي الـنَّـاسِ مِـثْـلَـيْـهِـمَـا ... أَقَـلَّ عِـثَـاراً[1] وَأَرْمَـى يَـدَا

وقال البخاري: حدثنا محمّد بن العلاء، وحدّثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبد اللّه، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حُنَين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمّة فقُتل دُرَيد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُمي أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم، فأثبته في ركبته، قال: فانتهيت إليه فقلت: يا عم مَنْ رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته فلما رآني ولّى، فاتبعته، وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. قال: يا ابن أخي اقرىء رسول الله ﷺ السلام، وقل له استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله قل له استغفر لي، قال: فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْد أَبِي عَامِرٍ» ورأيت بياض إبطيه ثم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ - أَوْ مِنَ النَّاسِ» فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً» قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما[2]. ورواه مسلم عن أبي كريب محمّد بن العلاء، وعبد اللّه بن أبي بردة، عن أبي أسامة به نحوه.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الرزّاق، أنبأ سفيان - هو الثوري - عن عثمان البتي، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهنّ أزواج، فكرهنا أن نقع عليهنّ ولهن أزواج، فسألنا النبيّ ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [سورة النساء ٢٤] قال: فاستحللنا بها فروجهنّ. وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان البتي به. وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة،

---

(١) العثار: الزلل.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٥، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٦٥.

عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري. وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة، زاد مسلم وشعبة والترمذي من حديث همّام عن يحيى، ثلاثتهم عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي علقمة الهاشمي، عن أبي سعيد: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك. فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن، فنزلت هذه الآية في ذلك ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهذا لفظ أحمد بن حنبل، فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة، وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم. وقد استدلّ جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة، على أن بيع الأمة طلاقها. روي ذلك عن ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وسعيد بن المسيّب، والحسن البصري، وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة حيث بيعت، ثم خيّرت في فسخ نكاحها أو إبقاءه، فلو كان بيعها طلاقها لها لما خيّرت، وقد تقصّينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية، وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير، وقد استدلّ جماعة من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس، وخالفهم الجمهور وقالوا: هذه قضية عين، فلعلهنّ أسلمن أو كنّ كتابيات، وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى.

[فصل][(١)] من استشهد يوم حنين و[بسرية][(٢)] أوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ، وهو أيمن بن عبيد، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، جمح به فرسه الذي يقال له الجناح فمات، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدي الأنصاري من بني العجلان، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس، فهؤلاء أربعة رضي الله عنهم.

[فصل][(٣)] فيما[(٤)] قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجير بن زهير بن أبي سلمى: [الكامل]

لَوْلاَ الإِلَهُ وَعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ ... حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ
بِالجِزْعِ [(٥)] يَوْمَ حِيَالَنَا أَقْرَانُنَا ... وَسَوَابِحٌ يَكْبُونَ لِلأَذْقَانِ
مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ ... وَمُقَطَّرٍ بِسَنَابِكٍ وَلُبَانِ

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) في ط: ما.
(٥) الجزع: ما انعطف من الوادي.

وَالـلَّـهُ أَكْـرَمَـنَـا وَأَظْـهَـرَ دِيـنَـنَـا وَأَعَـزَّنَـا بِـعِـبَـادَةِ الـرَّحْـمَـنِ
وَالـلَّـهُ أَهْـلَـكَـهُـمْ وَفَـرَّقَ جَـمْـعَـهُـمْ وَأَذَلَّـهُـمْ بِـعِـبَـادَةِ الأَوْثَـانِ[1]

قال ابن هشام: ويروي فيها بعض الرواة: [الكامل]

إِذْ قَـامَ عَـمُّ نَـبِـيِّـكُـمْ وَوَلِـيُّـهُ يَـدْعُـونَ يَـا لَـكَـتِـيـبَـةِ الإِيـمَـانِ
أَيْـنَ الَّـذِيـنَ هُـمُ أَجَـابُـوا رَبَّـهُـمْ يَـوْمَ الـعُـرَيْـضِ وَبَـيْـعَـةِ الـرِّضْـوَانِ

وقال عبّاس بن مرداس السلمي: [الوافر]

فَـإِنِّـي وَالـسَّـوَابِـحَ يَـوْمَ جَـمْـعٍ وَمَـا يَـتْـلُـو الـرَّسُـولُ مِـنَ الـكِـتَـابِ
لَـقَـدْ أَحْـبَـبْـتُ مَـا لَـقِـيَـتْ ثَـقِـيـفٌ بِـجَـنْـبِ الـشِّـعْـبِ أَمْـسِ مِـنَ الـعَـذَابِ
هُـمُ رَأْسُ الـعَـدُوِّ مِـنْ أَهْـلِ نَـجْـدٍ فَـقَـتْـلُـهُـمُ أَلَـذُّ مِـنَ الـشَّـرَابِ
هَـزَمْـنَـا الـجَـمْـعَ جَـمْـعَ بَـنِـي قَـسِـيٍّ وَحَـلَّـتْ بَـرْكُـهَـا بِـبَـنِـي رِئَـابِ
وَصِـرْمـاً[2] مِـنْ هِـلالٍ غَـادَرَتْـهُـمْ بِـأَوْطَـاسٍ تُـعَـفَّـرُ بِـالـتُّـرَابِ
وَلَـوْ لاَقَـيْـنَ جَـمْـعَ بَـنِـي كِـلاَبٍ لَـقَـامَ نِـسَـاؤُهُـمْ وَالـنَّـقْـعُ كَـابِـي
رَكَـضْـنَـا الـخَـيْـلَ فِـيـهِـمْ بَـيْـنَ بُـسٍّ إِلَـى الأَوْرَادِ تَـنْـحَـطُ بِـالـنِّـهَـابِ
بِـذِي لَـجَـبٍ رَسُـولُ الـلَّـهِ فِـيـهِـمْ كَـتِـيـبَـتُـهُ تَـعَـرَّضُ لِـلـضِّـرَابِ

وقال عباس بن مرداس أيضاً: [الكامل]

يَـا خَـاتَـمَ الـنُّـبَـآءِ إِنَّـكَ مُـرْسَـلٌ بِـالـحَـقِّ كُـلُّ هُـدَى الـسَّـبِـيـلِ هُـدَاكَـا
إِنَّ الإِلَـهَ بَـنَـى عَـلَـيْـكَ مَـحَـبَّـةً فِـي خَـلْـقِـهِ وَمُـحَـمَّـداً سَـمَّـاكَـا
ثُـمَّ الَّـذِيـنَ وَفَـوْا بِـمَـا عَـاهَـدْتُـمْ جُـنْـدٌ بَـعَـثْـتَ عَـلَـيْـهِـمُ الـضَّـحَّـاكَـا
رَجُـلاً بِـهِ ذَرَبُ الـسِّـلاَحِ كَـأَنَّـهُ لَـمَّـا تَـكَـنَّـفَـهُ الـعَـدُوُّ يَـرَاكَـا
يَـغْـشَـى ذَوِي الـنَّـسَـبِ الـقَـرِيـبِ وَإِنَّـمَـا يَـبْـغِـي رِضَـا الـرَّحْـمَـنِ ثُـمَّ رِضَـاكَـا
أُنْـبِّـئُـكَ أَنِّـي قَـدْ رَأَيْـتُ مَـكَـرَّهُ تَـحْـتَ الـعَـجَـاجَـةِ يَـدْمَـغُ الإِشْـرَاكَـا
طَـوْراً يُـعَـانِـقُ بِـالْـيَـدَيْـنِ وَتَـارَةً يَـفْـرِي الـجَـمَـاجِـمَ صَـارِمـاً فَـتَّـاكَـا[3]
[يَـغْـشَـى بِـهِ هَـامَ الـكُـمَـاةِ وَلَـوْ تَـرَى مِـنْـهُ الَّـذِي عَـايَـنْـتُ كَـانَ شِـفَـاكَـا][4]
وَبَـنُـو سُـلَـيْـمٍ مُـعْـنِـقُـونَ أَمَـامَـهُ ضَـرْبـاً وَطَـعْـنـاً فِـي الـعَـدُوِّ دِرَاكَـا

---

(١) في ط: الشيطان.

(٢) الصرم: جماعة بيوت انقطعت عن الحي الكبير.

(٣) يفري: يقطع، ويروي: يقري بالقاف؛ أي يقدم الجماجم قرى لسيفه.

(٤) زيادة من ابن هشام (ج٤/ ٨٦).

يَـمْـشُـونَ تَـحْـتَ لِـوَائِـهِ وَكَـأَنَّـهُـمْ أُسْـدُ الـعَـرِيـنِ أَرَدْنَ ثُـمَّ عِـرَاكَـا
مَـا يَـرْتَـجُـونَ مِـنَ الـقَـرِيـبِ قَـرَابَـةً إلاَّ لِـطَـاعَـةِ رَبِّـهِـمْ وَهَـوَاكَـا
هَـذِي مَـشَـاهِـدُنَـا الَّـتِـي كَـانَـتْ لَـنَـا مَـعْـرُوفَـةً وَوَلِـيُّـنَـا مَـوْلاَكَـا

وقال عباس بن مرداس أيضاً[١]: [الطويل]

عَـفَـا مَـجْـدَلٌ مِـنْ أَهْـلِـهِ فَـمَـتَـالِـعٌ فَـمَـطْـلا أَرِيكٍ قَـدْ خَـلاَ فَـالْـمَـصَـانِـعُ[٢]
دِيَـارٌ لَـنَـا يَـا جُـمْـلُ إِذْ جُـلُّ عَـيْـشِـنَـا رَخِـيٌّ وَصِـرْفُ الـدَّهْـرِ لِـلْـحَـيِّ جَـامِـعُ
حُـبَـيِّـبَـةٌ أَلْـوَتْ بِـهَـا غُـرْبَـةُ الـنَّـوَى لِـبَـيْـنٍ فَـهَـلْ مَـاضٍ مِـنَ الـعَـيْـشِ رَاجِـعُ
فَـإِنْ تَـبْـتَـغِـي الـكُـفَّـارَ غَـيْـرَ مَـلُـومَـةٍ فَـإِنِّـي وَزِيـرٌ لِـلـنَّـبِـيِّ وَتَـابِـعُ
دَعَـانَـا إِلَـيْـهِ خَـيْـرُ وَفْـدٍ عَـلِـمْـتُـهُـمْ خُـزَيْـمَـةُ وَالـمَـرَّارُ مِـنْـهُـمْ وَوَاسِـعُ
فَـجِـئْـنَـا بِـأَلْـفٍ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ عَـلَـيْـهِـمُ لَـبُـوسٌ لَـهُـمْ مِـنْ نَـسْـجِ دَاوُدَ رَائِـعُ
نُـبَـايِـعُـهُ بِـالأَخْـشَـبَـيْـنِ وَإِنَّـمَـا يَـدُ الـلَّـهِ بَـيْـنَ الأَخْـشَـبَـيْـنِ نُـبَـايِـعُ
فَـجُـسْـنَـا مَـعَ الـمَـهْـدِيِّ مَـكَّـةَ عَـنْـوَةً بِـأَسْـيَـافِـنَـا وَالـنَّـقْـعُ كَـابٍ وَسَـاطِـعُ
عَـلاَنِـيَـةً وَالـخَـيْـلُ يَـغْـشَـى مُـتُـونَـهَـا حَـمِـيـمٌ وَآنٌ مِـنْ دَمِ الـجَـوْفِ نَـاقِـعُ
وَيَـوْمَ حُـنَـيْـنٍ حِـيـنَ سَـارَتْ هَـوَازِنٌ إِلَـيْـنَـا وَضَـاقَـتْ بِـالـنُّـفُـوسِ الأَضَـالِـعُ
صَـبَـرْنَـا مَـعَ الـضَّـحَّـاكِ لاَ يَـسْـتَـفِـزُّنَـا قِـرَاعُ الأَعَـادِي مِـنْـهُـمْ وَالـوَقَـائِـعُ
أَمَـامَ رَسُـولِ الـلَّـهِ يَـخْـفُـقُ فَـوْقَـنَـا لِـوَاءٌ كَـخُـذْرُوفِ الـسَّـحَـابَـةِ لاَمِـعُ[٣]
عَـشِـيَّـةَ ضَـحَّـاكُ بْـنُ سُـفْـيَـانَ مُـعْـتَـصٍ بِـسَـيْـفِ رَسُـولِ الـلَّـهِ وَالـمَـوْتُ كَـانِـعُ[٤]
نَـذُودُ أَخَـانَـا عَـنْ أَخِـيـنَـا وَلَـوْ نَـرَى مَـصَـالاً لَـكُـنَّـا الأَقْـرَبِـيـنَ نُـتَـابِـعُ
وَلَـكِـنَّ دِيـنَ الـلَّـهِ دِيـنُ مُـحَـمَّـدٍ رَضِـيـنَـا بِـهِ فِـيـهِ الـهُـدَى وَالـشَّـرَائِـعُ
أَقَـامَ بِـهِ بَـعْـدَ الـضَّـلاَلَـةِ أَمْـرَنَـا وَلَـيْـسَ لأَمْـرٍ حَـمَّـهُ الـلَّـهُ دَافِـعُ

وقال عبّاس أيضاً: [الطويل]

تَـقَـطَّـعَ بَـاقِـي وَصْـلِ أُمِّ مُـؤَمِّـلِ بِـعَـاقِـبَـةٍ وَاسْـتَـبْـدَلَـتْ نِـيَّـةً خُـلْـفَـا
وَقَـدْ حَـلَـفَـتْ بِـالـلَّـهِ لاَ تَـقْـطَـعُ الـقُـوَى فَـمَـا صَـدَقَـتْ فِـيـهِ وَلاَ بَـرَّتِ الـحَـلْـفَـا
خُـفَـافِـيَّـةٌ بَـطْـنُ الـعَـقِـيـقِ مَـصِـيـفُـهَـا وَتَـحْـتَـلُّ فِـي الـبَـادِيـنَ وَجْـرَةَ فَـالـعُـرْفَـا[٥]

---

(١) سقط من التيمورية هذه القصائد إلى آخر الفصل.
(٢) مجدل ومتالع وأريك: أسماء مواضع.
(٣) خذروف السحابة: طرفها، يريد به: سرعة تحرك هذا اللواء، واضطرابه.
(٤) معتص: ضارب. وكانع: قريب.
(٥) العقيق ووجرة والعرف: أسماء مواضع.

فَإِنْ تَتْبَعِ الكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شَغَفَا
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهَا الخَبِيرُ بِأَنَّنَا أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا
وَإِنَّا مَعَ الهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا
بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا
خُفَافٌ وَذَكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالُهُمْ مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طُرُوقَتِهَا كُلْفَا
كَأَنَّ نَسِيجَ الشُّهْبِ وَالبِيضِ مُلْبَسٌ أُسُوداً تَلاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا
بِنَا عَزَّ دِينُ اللَّهِ غَيْرُ تَنَحُّلٍ وَزِدْنَا عَلَى الحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِوَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفَا
عَلَى شُخَّصِ الأَبْصَارِ تَحْسَبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
غَدَاةَ وَطِئْنَا المُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلاً وَلاَ صَرْفَا
بِمُعْتَرَكٍ لاَ يَسْمَعُ القَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا زَجْمَةً إِلاَّ التَّذَامُرَ وَالنَّقْفَا(١)
بِبِيضٍ تُطِيرُ الهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَتَقْطِفُ أَعْنَاقَ الكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا
فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَحَّبٍ وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا(٢)
رِضَا اللَّهِ نَنْوِي لاَ رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِي وَلِلَّهِ مَا يَبْدُو جَمِيعاً وَمَا يَخْفَى

وقال عبّاس [بن مرداس السلمي](٣) أيضاً رضي الله عنه: [البسيط]

مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهِرٌ مِثْلَ الحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفُرُ
عَيْنٌ تَأَوَّبَهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرَقٌ فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْراً وَيَنْحَدِرُ
كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ نَاظِمِهِ تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهْوَ مُنْتَثِرُ
يَا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَّانِ فَالحَفَرُ
دَعْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّعَرُ(٤)
وَاذْكُرْ بَلاَءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا وَفِي سُلَيْمٍ لأَهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ هُمُوا نَصَرُوا الرَّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ(٥)
لاَ يَغْرِسُونَ فَسِيلَ(٦) النَّخْلِ وَسْطَهُمُ وَلاَ تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهُمُ البَقَرُ

(١) المعترك: موضع الحرب. وزجمة: أي صوت.
(٢) ملحب: مقطع اللحم.
(٣) سقط في ط.
(٤) الزعر: قلة الشعر.
(٥) مشتجر: مختلف.
(٦) الفسيل: صغار النخل.

إلاَّ سَوَابِحُ كَالعِقْبَانِ مُغْرِيَةٌ ... فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الأَخْطَارُ وَالعَكَرُ
تُدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا ... وَحَيُّ ذَكْوَانَ لاَ مِيلٌ وَلاَ ضُجُرُ
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً ... بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلاَهُمْ كَأَنَّهُمُ ... نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ البَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا ... لِلدِّينِ عِزّاً وَعِنْدَ اللَّهِ مُدَّخَرُ
إِذْ نَرْكَبُ المَوْتَ مُخْضَرّاً بَطَائِنُهُ ... وَالخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
تَحْتَ اللِّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَا ... كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الخَدِرُ
فِي مَأْزِقٍ مِنْ مَجَرِّ الحَرْبِ كَلْكَلُهَا ... تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسِنَّتَنَا ... لِلَّهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ
حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ ... لَوْلاَ المَلِيكُ وَلَوْلاَ نَحْنُ مَا صَدَرُوا
فَمَا تَرَى مَعْشَراً قَلُّوا وَلاَ كَثُرُوا ... إِلاَّ وَقَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمُ أَثَرُ

وقال عباس أيضاً رضي الله عنه: [الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوِي بِهِ ... وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ المَنَاسِمِ عِرْمِسُ(١)
إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ ... حَقّاً عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ المَجْلِسُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطِيَّ وَمَنْ مَشَى ... فَوْقَ التُّرَابِ إِذَا تُعَدُّ الأَنْفُسُ
إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْتَنَا ... وَالخَيْلُ تَقْدَعُ بِالكُمَاةِ وَتَضْرِسُ
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْثَةَ كُلِّهَا ... جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ المَخَارِمُ تَرْجُسُ(٢)
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقاً ... شَهْبَاءَ يَقْدُمُهَا الهُمَامُ الأَشْوَسُ
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ ... بَيْضَاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ(٣)
يَرْوِي القَنَاةَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الوَغَى ... وَتَخَالُهُ أَسَداً إِذَا مَا يَعْبِسُ
يَغْشَى الكَتِيبَةَ مُعْلِماً وَبِكَفِّهِ ... عَضْبٌ يَقُدُّ بِهِ وَلَدْنٌ مِدْعَسُ(٤)
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا ... أَلْفٌ أُمِدَّ بِهِ الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ(٥)
كَانُوا أَمَامَ المُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً(٦) ... وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الإِلَهُ بِحِفْظِهِ ... وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مَنْ يَحْرُسُ

---

(١) الوجناء: الناقة الضخمة، أو الغليظة الوجنات، والعرمس: الشديدة القوية.
(٢) سال: ارتفع. وبهثة: حي من سليم. والمخارم: الطرق في الجبال. ترجس: تهتز وتتحرك.
(٣) أغلب: الشديد الغليظ. محكمة الدخال: يريد قوة نسج الدرع. والقونس: أعلى بيضة الحديد.
(٤) عضب: سيف قاطع. لدن: لين، يقصد به الرمح. ومدعس: طعان.
(٥) عرندس: شديد. (٦) دريئة: مدافعة.

وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ(١) مَحْبِساً رَضِيَ الإِلَهُ بِهِ فَنِعْمَ الْمَحْبَسُ
وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةً كَفَتِ الْعَدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا يَا احْبِسُوا
تَدْعُو هَوَازِنُ بِالأُخُوَّةِ بَيْنَنَا ثَدْيٌ تَمُدُّ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السِّبَاعُ مُفَرَّسُ(٢)

وقال أيضاً رضي الله عنه: [الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْداً مُحَمَّداً يَؤُمُّ بِنَا أَمْراً مِنَ اللَّهِ مُحْكَمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَاناً وَغَاباً مُقَوَّمَا(٣)
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُوداً عَلَيْنَا دُرُوعُنَا وَرَجْلاً كَدُفَّاعِ الأَتِيِّ عَرَمْرَمَا
فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلاً سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ مِنَ الأَنْصَارِ لاَ يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِداً وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفاً مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
وَبِتْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ بِنَا الْخَوْفُ إِلاَّ رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا
يَظَلُّ الْحِصَانُ الأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسْطَهُ وَلاَ يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا
سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضُحَى وَكُلاًّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ أَحْجَمَا
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حُنَيْناً وَقَدْ سَالَتْ دَوَامِعُهُ دَمَا
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْتَ طِمِرَّةً وَفَارِسَهَا يَهْوِي وَرُمْحاً مُحَطَّمَا
وَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا

هكذا أورد الإمام محمّد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة، ثم أورد من شعر غيره أيضاً وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك والله أعلم.

---

(١) المناقب: اسم طريق الطائف من مكة.
(٢) العير: حمار الوحش. ومفرس: معقور افترسته السباع.
(٣) تماروا بنا: شكوا فينا. والغاب: الرماح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: قاتل رسول الله ﷺ يوم حُنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان. وقال محمّد بن إسحاق: ولما قدم فلّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور(١). قال: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حُنَين فقال كعب بن مالك في ذلك: [الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا

نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا

وَنَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا(٢)

وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا

إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٍ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بِهَا الحُتُوفَا(٣)

كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا ... قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا(٤)

تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيهَا ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً مَدُوفَا(٥)

---

(١) الضبور: مثل رؤوس الأسفاط، يتقى بها في الحرب عند الانصراف، ويقال: جلود يغشى بها خشب، يتقى بها في الحرب (عن السهيلي)، وفي اللسان: الضبر: جلد يغشى خشباً ويقال هي الدبابات التي تقرب للحصون، لتنقب من تحتها.

(٢) العروش: (هنا) سقوف البيوت. ووجّ: موضع بالطائف. وخلوف: أي دور تغيب عنها أهلها.

(٣) الحتوف: المنايا.

(٤) العقائق: ج عقيقة وهي هنا: شعاع البرق، وكتيف: ج كتيفة، وهي صفائح الحديد التي تضرب للأبواب وغيرها.

(٥) الجدية: الطريقة من الدم؛ والزحف: دنو المتحاربين بعضهم من بعض. والجادي: الزعفران ومدوف: مخلوط.

أَجَدُّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الخَيْلِ وَالنُّجُبِ الطُّرُوفَا
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ ... وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبّاً ... هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ ... وَلاَ يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً[1] ضَعِيفَا
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا ... إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيفَا[2]
نُجَاهِدُ لاَ نُبَالِي مَا لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلِبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُمْ وَالحَلِيفَا
أَتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فَجَدَّعْنَا المَسَامِعَ وَالأُنُوفَا
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقاً عَنِيفَا
لأَمْرِ اللَّهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا
وَتُنْسَى اللاَّتُ وَالعُزَّى وَوُدٌّ ... وَنَسْلُبُهَا القَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا[3]
فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا[4]

وقال ابن إسحاق: فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي:

قلت: قد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيف فأسلم معهم. قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد، وزعم المدايني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتنصّر ومات بها: [الطويل]

مَنْ كَانَ يَبْغِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا ... فَإِنَّا بِدَارٍ مَعْلَمٍ لاَ نَرِيمُهَا
وَجَدْنَا بِهَا الآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى ... وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا
وَقَدْ جَرَّبَتْنَا قَبْلَ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ... فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا
وَقَدْ عَلِمَتْ - إِنْ قَالَتِ الحَقَّ - أَنَّنَا ... إِذَا مَا أَتَتْ صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُهَا

(١) رعشا: متقلباً غير ثابت.
(٢) المضيف: أي الملجأ.
(٣) الشنوف: ج شنف، وهو القرط الذي يكون في أعلى الأذن.
(٤) الخسوف: الذل.

نُقَوِّمُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيسِهَا[١] وَيَعْرِفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا
عَلَيْنَا دِلَاصٌ[٢] مِنْ تُرَابٍ مُحَرَّقٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا
نُرَفِّعُهَا عَنَّا بِبِيضٍ صَوارِمٍ إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لا نَشِيمُهَا[٣]

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف: [البسيط]

لاَ تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
إِنَّ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسَّدِّ فَاشْتَعَلَتْ وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدى أَحْجَارِهَا هَدَرُ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلادَكُمُ يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ - يعني من حنين إلى الطائف - على نخلة اليمانية ثم على قَرْن، ثم على المُلَيح، ثم على بحيرة[٤] الرغاء من ليّة فابتنى بها مسجداً فصلى فيه. قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب أنه عليه السلام أقاد يومئذ ببحيرة[٥] الرغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيد به في الإسلام، رجل من بني ليث، قتل رجلاً من هذيل، فقتله به، وأمر رسول الله ﷺ وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم. قال ابن إسحاق: ثم سلك في طريق يقال لها: الضيقة، فلما توجّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال: ما اسم هذه الطريق فقيل الضيقة، فقال: بل هي اليسرى، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج إلينا، وإما أن نخرّب عليك حائطك، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه . وقال ابن إسحاق: عن إسماعيل بن أمية، عن بجير بن أبي بجير، سمعت عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله ﷺ: **«هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ، وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِنْ ثَمُودٍ، وَكَانَ بِهَذَا الحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا المَكَانُ فَدُفِنَ فِيه وَآيَةُ ذٰلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ»** قال: فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن. ورواه أبو داود عن يحيى بن معين، عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق به. ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن إسماعيل بن أمية به. قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من

(١) الشريس: الشديد.
(٢) الدلاص: الدروع اللينة.
(٣) نشيمها: لا نقيمها.
(٤) في ط: بحرة.
(٥) في ط: ببحرة.

حائط الطائف، فتأخّروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنته ثقيف بعد إسلامها، بناه عمرو بن أمية بن وهب، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلاّ سمع لها نقيض فيما يذكرون، قال: فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، قال ابن هشام ويقال سبع عشرة ليلة، وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السبي بالجعرانة، وملئت عرش مكة منهم، فنزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكرة بن مسروح أخي زياد لأمه، فأعتقه رسول الله ﷺ، وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغيظوهم بها، فقالت لهم ثقيف: لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم. وقال عروة: أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حبلات، وبعث منادياً ينادي من خرج إلينا فهو حرّ، فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمله. وقال الإمام أحمد: ثنا يزيد، ثنا حجّاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا، وقد أعتق يوم الطائف رجلين، وقال أحمد: ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس، ثنا الحجّاج عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فخرج إليه عبدان فأعتقهما، أحدهما أبو بكرة وكان رسول الله ﷺ يعتق العبيد إذا خرجوا إليه وقال أحمد أيضاً: ثنا نصر بن رئاب عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عبّاس أنه قال قال رسول الله ﷺ يوم الطائف: «**مَنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ العَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ**» فخرج عبيد من العبيد فيهم أبو بكرة، فأعتقهم رسول الله ﷺ، هذا الحديث تفرّد به أحمد، ومداره على الحجّاج بن أرطأة وهو ضعيف، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً، وقال آخرون إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً، ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ**» وقد قال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، حدّثني عبد اللّه بن المكرم الثقفي قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم أبو بكرة عبداً للحارث بن كلدة والمنبعث، وكان اسمه المضطجع فسمّاه رسول الله ﷺ المنبعث، ويحنس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا: يا رسول الله ردّ علينا رقيقنا الذين أتوك؟ قال: «**لاَ أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللّهِ**» ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله له. وقال البخاري: ثنا محمّد بن بشار، ثنا غندر، ثنا شعبة عن عاصم، سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً ـ وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكرة وكان تسوّر حصن الطائف في أناس، فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**» ورواه مسلم من حديث عاصم به. قال البخاري: وقال هشام: أنبأ معمر عن عاصم، عن أبي

العالية أو أبي عثمان النهدي، قال: سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبيّ ﷺ قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال أجل أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف. قال محمّد بن إسحاق: وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما، فحاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل قال ابن هشام: ورماهم بالمنجنيق. فحدّثني من أثق به أن النبيّ ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق رمى به أهل الطائف. وذكر ابن إسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دبّابة، ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف، فأرسلت عليهم سكك الحديد محماة، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتلوا منهم رجالاً، فحينئذ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون، قال: وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلّموهم فأمّنوهم، فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرُجْنَ إليهم، وهما يخافان عليهن السباء إذا فتح الحصن، فأبينَ فقال لهما أبو الأسود بن مسعود: ألا أدلّكما على خير مما جئتما له؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بواد يقال له العقيق وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف، وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه، وإن محمّداً إن قطعه لم يعمر أبداً، فكلّماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم. فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم. وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا، وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده، وقيل قدم به وبدبابتين فالله أعلم. وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة: أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال: لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ: «ما قُلْتَ لَهُمْ؟» قال: دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكّرتهم بالجنّة، فقال: «كذَبْتَ بَلْ قُلْتَ لَهُمْ كذا وَكذا» فقال: صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك. وقد روى البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ابن أبي نجيح السلمي، وهو عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَلَغَ بسهم فَلَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ» فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً، وسمعته يقول: «مَنْ رَمَى بسهم في سَبيلِ اللهِ فَهوَ عدْلُ مُحرَّرٍ. وَمَنْ شابَ شَيْبَةً في سبيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يوْمَ القيامَةِ وأيُّما رَجُلٍ أَعْتَقَ رَجُلاً مُسْلماً فإنَّ اللهَ جاعِلٌ كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِهِ وقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ بعظم. وَأيُّما امْرَأةٍ مُسْلِمَةٍ أعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فإنَّ اللّهَ جَاعِلٌ كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عظامِهَا وقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عظامِهَا مِنَ النَّارِ». ورواه أبو داود والترمذي، وصحّحه النسائي من حديث قتادة به. وقال البخاري: ثنا الحميدي، سمع سفيان، ثنا هشام عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم

سلمة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي مخنّث، فسمعه يقول لعبد اللّه بن أَبي أمية: أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ يَدْخُلَنَّ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُنَّ»[1] قال ابن عيينة وقال ابن جريج: المخنّث هيت. وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة، عن أبيه به، وفي لفظ وكانوا يرونه من غير أولى الأربة من الرجال، وفي لفظ قال رسول الله ﷺ: «ألا أرى هذا يَعْلَمُ مَا ها هُنا، لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ هؤُلاَءِ» يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخل في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] والمراد بالمخنّث في عرف السلف الذي لا همّة له إلى النساء، وليس المراد به الذي يُؤتى، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دلّ عليه الحديث، وكما قتله أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، ومعنى قوله تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني بذلك عكن بطنها، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت، ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف، وهذا المخنّث قد ذكر البخاري عن ابن جريج: أن اسمه هيت، وهذا هو المشهور؛ لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال: وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته بنت عمرو بن عايذ مخنّث، يقال له: ماتع، يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته، ولا نرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن إليه رجال[2]، ولا يرى أن له في ذلك إرباً، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد: يا خالد إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه: «ألاَ أَرَى هَذَا يَفْطِنُ لِهَذَا» الحديث. ثم قال لنسائه: «لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ» فحجب عن بيت رسول الله ﷺ. وقال البخاري: ثنا علي بن عبد اللّه، ثنا سفيان عن عمرو، عن أبي العباس الشاعر الأعمى، عن عبد اللّه بن عمرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً قال: «إِنَّا قَافِلُونَ غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولا نفتح؟ فقال: «اغْدُوا عَلَى القِتَالِ» فغدوا فأصابهم جراح فقال: «إِنَّا قَافِلُون غداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فأعجبهم فضحك النبيّ ﷺ[3] وقال سفيان: مرّة فتبسّم ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به، وعنده عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، واختلف في نسخ البخاري، ففي نسخة كذلك عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص والله أعلم. وقال الواقدي: حدَّثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف، استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب ٦٢، ١١٣، والمغازي باب ٥٦، وأبو داود في اللباس باب ٣٢، والأدب باب ١٣، وابن ماجه في النكاح باب ٢٢، والحدود باب ٣٨، ومسلم في السلام حديث ٣٢، وأحمد في المسند ٦/ ١٥٢، ٢٩٠، ٣١٨.

(٢) في ط: ينظر إليه الرجال.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٦، والأدب باب ٦٨، والتوحيد باب ٣١، ومسلم في الجهاد حديث ٨٢، وأحمد في المسند ٦/ ١٥٢، ٢٩٠، ٣١٨.

الدئلي فقال: «**يَا نَوْفَلُ مَا تَرَى فِي المُقَامِ عَلَيهِمْ؟**» قال: يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرّك. قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً: «**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زبداً فَنَقَرَهَا دِيكٌ فَهَرَاقَ مَا فِيهَا**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «**وَأَنَا لاَ أَرَى ذَلِكَ**» قال: ثم إن خولة بنت حكيم السلمية، وهي امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيّ بادية بنت غيلان بن سَلَمة، أو حُلِيّ الفارعة بنت عقيل ـ وكانتا من أحلى نساء ثقيف ـ فذكر أن رسول الله ﷺ قال لها: «**وَإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَنْ فِي ثَقِيفٍ يَا خُوَيْلَةُ**» فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما حديث حدّثتنيه خولة، زعمت أنك قلته؟ قال: «**قَدْ قُلْتُهُ**» قال: أو ما أذن فيهم؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: بلى، فأذن عمر بالرحيل، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عُبَيْد بن أُسَيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحي مقيم، قال يقول عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره؟ فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمّد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلّها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً مناكير. وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة قصّة خولة بنت حكيم، وقول رسول الله ﷺ ما قال، وتأذين عمر بالرحيل، قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرّحوا ظهرهم، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ودعا حين ركب قائلاً فقال: «**اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ وَاكْفِنَا مُؤْنَتَهُمْ**» وروى الترمذي من حديث عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم فقال: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً**» ثم قال: هذا حديث حسن غريب. وروى يونس عن ابن إسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر، وعبد اللّه بن المكرم عمن أدركوا من أهل العلم قالوا: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم، فقدم المدينة فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا، وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله.

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق فمن قريش: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية، وعُرْفُطة بن حُباب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث، وعبد اللّه بن أبي بكر الصدّيق رُمي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وعبد اللّه بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رَمْية رميها يومئذ، وعبد اللّه بن عامر بن ربيعة حليف لبني عديّ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهميّ وأخوه عبد اللّه، وجُلَيْحة بن عبد اللّه من بني سعد بن ليث، ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجَذَع الأسلميّ، والحارث بن سَهْل بن أبي صعصعة المازني، والمنذر بن

عبد اللّه من بني ساعدة، ومن الأوس رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين. قال ابن إسحاق: ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حُنيناً والطائف: [الكامل]

كَانَتْ عُلالَةُ يَوْمِ بَطْنِ حُنَيْنٍ وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الأَبْرَقِ
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءٍ هَوازِنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ المُتَمَزِّقِ
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً إلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَاسْتَحْصَنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَاناً إِلَى رَجْرَاجَةٍ (١) شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيْلَقِ
مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حِضْناً لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ
مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الهِرَاسِ كَأَنَّنَا قُدْرٌ تُفَرِّقُ فِي القِيَادِ وَيَلْتَقِي (٢)
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَحْصَنَتْ كَالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ المُتَرَقْرِقِ
جُدْلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرِّقِ (٣)

وقال أبو داود: ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص، ثنا الفريابي، ثنا أبان، ثنا عمرو ـ هو ابن عبد اللّه بن أبي حازم ـ ثنا عثمان بن أبي حازم عن أبيه، عن جدّه صخر ـ هو أبي العيلة الأحمسي ـ أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً، فلما أن سمع ذلك صخر، ركب في خيل يمدّ النبيّ ﷺ فوجده قد انصرف ولم يفتح، فجعل صخر حينئذ عهد وذمة: لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، وكتب إليه صخر: أما بعد فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله، وأنا مقبل بهم، وهم في خيلي، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة، فدعا لأحمس عشر دعوات: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَحْمَسَ فِي خَيْلِهَا وَرِجَالِهَا**». وأتى القوم فتكلّم المغيرة بن شعبة فقال: يا رسول الله إن صخراً أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، فدعاه فقال: «**يا صَخْرُ إِنَّ القَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَادْفَعْ إِلَى المُغِيرَةِ عَمَّتَهُ**» فدفعها إليه وسأل رسول الله ﷺ ماء لبني سُلَيم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء، فقال: يا رسول الله أنزلنيه أنا وقومي؟ قال: «**نَعَمْ**» فأنزله وأسلم ـ يعني الأسْلَميّين ـ فأتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وأتينا

(١) رجراجة: جماعة كثيرة في الحرب.

(٢) الضراء: هنا: الكلاب، أو الأسود الضارية. والهراس: نبات له شوك، والقدر الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت.

(٣) جدل: جمع جدلاء، وهي الدرع الجيدة النسج، وآل محرّق: يعني آل عمرو بن هند ملك الحيرة.

صخراً ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا، فقال: «يَا صَخْرُ إِنَّ القَوْمِ إِذَا أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ، فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ مَاءَهُمْ» قال: نعم يا نبي الله، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيّر عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذه الماء. تفرّد به أبو داود وفي إسناده اختلاف.

قلت: وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخّر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلاً، لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربّه عزّ وجلّ، وذلك بعد موت عمّه أبي طالب، فردّوا عليه قوله وكذّبوه، فرجع مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل فناداه ملك الجبال فقال: يا محمّد إن ربّك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ أَسْتَأْنِي[(١)] بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخرِجَ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» فناسب قوله بل أستأني بهم أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم، وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى [وبه الثقة][(٢)].

[فصل][(٣)] [في][(٤)] مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن التي أصابها يوم حنين قبل دخوله مكة معتمراً [من الجعرانة][(٥)]

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا[(٦)] حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس[(٧)]، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم، فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وَائْتِ بِهِمْ» قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدّته. قال ابن إسحاق: فحدّثني عمرو بن شعيب، وفي رواية يونس بن بكير عنه قال عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه: كنا مع رسول الله ﷺ بحُنَين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم، أدركه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنّا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منّ الله عليك، وقام خطيبهم [وهو من][(٨)] صُرَد أبو صرد فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك[(٩)] اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا صلحنا[(١٠)] لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا

(١) أستأني: استمهل وانتظر.
(٢) سقط في ط.
(٣) سقط في ط.
(٤) سقط في ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) دحنا: من مخاليف الطائف.
(٧) في ط: المسلمين.
(٨) في ط: زهير بن.
(٩) حواضك يعني اللاتي أرضعن النبيّ ﷺ وقد كانت حاضنته من بني سعد بن بكر من هوازن وهي حليمة.
(١٠) في ط: ملحنا.

منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول: [البسيط]

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ فَإِنَّكَ المَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غِيَرُ
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرِ هَتَّافاً عَلَى حَزَنٍ عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالغَمَرُ
[يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَجَبٍ فِي العَالَمِينَ إذَا مَا حُصِّلَ البَشَرُ[1]
إنْ لَمْ تَدَارَكَهَا نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْماً حِينَ يُخْتَبَرُ
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضِعُهَا إذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَخْضِهَا الدِّرَرُ
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنتَ تَرْضِعُهَا[2] وَإِذْ يَرِيبُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
لاَ تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ[3] وَاسْتَبْقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنَّا لَنَشْكُرُ الآلاءَ وَإِنْ كُفِرَتْ وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ مُدَّخَرُ

قال فقال رسول الله ﷺ: «نِسَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم أَحَبُّ إِلَيْكُم أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحبّ إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا ما كانَ لِي ولِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فهوَ لَكُمْ، وَإذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلى المُسْلِمِينَ؛ وَبِالمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَاءِنَا، فَإِنِّي سَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ» فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم وهنتموني؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ مِنْكُمْ بِحقِّهِ فَلَهُ بِكُلِّ إنْسَانٍ سِتَّةُ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ فَيْءٍ نُصِيبُهُ» فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم، ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة، فانتزعت رداءه فقال: «أيُّهَا النَّاسُ رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي فَوَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ لَوْ كَانَ لَكُمْ عِنْدِي عَدَدَ شَجَرِ تِهَامَةَ نِعَماً لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيلاً وَلاَ جَبَاناً وَلاَ كَذَّاباً» ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وَبْرة فجعلها بين إصبعيه، ثم رفعها فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هَذِهِ الوَبْرَةُ إلاَّ الخُمُسُ، وَالخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الخِيَاطَ وَالمَخِيطَ، فَإِنَّ الغُلُولَ عَارٌ وَنَارٌ وَشَنَارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا

(١) هذا البيت زيادة من السهيلي وزاد عليها ثلاثة أبيات أخر.
(٢) في السهيلي: إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها. وفي التيمورية: وإذ يريبك الخ.
(٣) شالت نعامته: أي تفرقت كلمتهم، أو ذهب عزمهم (القاموس).

رسول الله أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال رسول الله ﷺ: **«أَمَا حَقِّي مِنْهَا فَلَكَ»** فقال الرجل: أما إذا بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده. وهذا السياق يقتضي أنه عليه السلام ردّ إليهم سبيهم قبل القسمة كما ذهب إليه محمّد بن إسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره. وفي صحيح البخاري من طريق الليث عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونساؤهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«مَعِي مَنْ تَرَوْنَ وَأَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا السَّبْيِ وإِمَّا المَالَ؟ وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ»** وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبيّن لهم أن رسول الله ﷺ غير رادّ إليهم أموالهم إلاّ إحدى الطائفتين قالوا: إنا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«أمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلاَءِ قَدْ جَاؤُوا تَائِبِينَ، وإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيهِ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مالٍ يُفيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»** فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله؛ فقال لهم: **«إِنَّا لا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ»** فرجع الناس فكلّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيّبوا وأذنوا. فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن[١] ولم يتعرّض البخاري لمنع الأقرع وعيينة وقومهما، بل سكت عن ذلك، والمثبت مقدّم على النافي فكيف الساكت. وروى البخاري من حديث الزهري: أخبرني عمر بن محمّد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة، فخطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ ثم قال: **«أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ عَدَدَ هَذِهِ العِضَاهِ نِعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ؛ ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً»** تفرّد به البخاري. وقال ابن إسحاق: وحدّثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها: ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة، وأعطى عثمان بن عفّان جارية يقال لها: زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد اللّه، وقال ابن إسحاق: فحدّثني نافع عن عبد اللّه بن عمر قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح ليصلحوا لي منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها، قال: فجئت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدّون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا، قلت: تلكم صاحبتكم في بني جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فأخذوها. قال ابن إسحاق: وأما عُيَينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نَسَباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما ردّ

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٤.

رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردّها، فقال له زهير بن صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بوَاجِد، ولا درها بماكد[١]، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة، ولا نصفاً وثيرة [فردّها بست فرائض] قال الواقدي: ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة وقال سلمة عن محمّد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن أبي بكر: أن رجلاً ممن شهد حُنيناً قال: والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي وفي رجلي نعل غليظة، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه، فقرع قدمي بالسوط وقال: «أوجعتني فتأخر عني» فانصرفت، فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني قال: قلت: هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس، قال: فجئته وأنا أتوقع فقال: «إنك أصبْتَ رجْلي بالأمْس فأوْجعْتَني فقرعْتُ قدمكَ بالسّوْطِ، فدعوْتك لأعوّضك منها» فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني، والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ ردّ إلى هوازن سَبْيهم بعد القسمة كما دلّ عليه السياق وغيره، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمّد بن إسحاق عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ ردّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة، ولهذا لما ردّ السبي وركب، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه فقال: «رُدّوا عليّ ردائي أيُها النّاسُ فوالّذِي نفْسِي بيَدِهِ لَوْ كانَ لَكُمْ عَدَدَ هٰذِهِ العِضَاةِ نعماً لَقَسَمْتُهُ فِيكُمْ، ثُمّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلا جَباناً وَلا كَذَّاباً» كما رواه البخاري عن جُبَيْر بن مطعم بنحوه؛ وكأنهم خشوا أن يردّ إلى هوازن أموالهم كما ردّ إليهم نساءهم وأطفالهم، فسألوه قسمة ذلك، فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عزّ وجل، وآثر أناساً في القسمة وتألّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم، فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم، وبيّن لهم وجه الحكمة فيما فعله تطييباً لقلوبهم، وتنقد بعض من لا يعلم من الجَهَلة والخوارج كذي الخُوَيْصرة وأشباهه قبّحه الله، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان.

قال الإمام أَحمد: حدّثنا عارم، ثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي يقول: ثنا السميط السدوسي عن أنس بن مالك قال: فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، فصفّت الخيل، ثم صفّت المقاتلة، ثم صفّت النساء من وراء ذلك، ثم صفّت الغنم، ثم النعم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف، وعلى مجنّبة[٢] خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال: فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرّت الأعراب ومن نعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ: [يَا لَلْمُهَاجِرِينَ يَا

(١) واجد: أي حزين على فقدانها، وماكد: غزير.

(٢) مجنبة: قال شمر: المجنبة هي الكتيبة من الخيل التي تأخذ جانب الطريق. وهما مجنبتان: ميمنة وميسرة. والقلب بينهما.

لِلْمُهَاجِرِينَ يَا لِلأَنْصَارِ [يَا لِلأَنْصَارِ؟][(1)] - قال أنس: هذا حديث عمته - قال قلنا: لبيك يا رسول الله، قال: وتقدم رسول الله ﷺ، قال: وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة، قال: فنزلنا فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة، ويعطي الرجل المائتين، قال: فتحدّث الأنصار بينها أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه؟! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال: «لا يَدْخلَنَّ عليَّ إلاّ أنصاريّ - أو الأَنْصارُ» قال: فدخلنا القبة حتى ملأناها، قال نبي الله ﷺ: «يَا مَعْشر الأَنْصار» أو كما قال: «مَا حَديثٌ أتاني؟» قالوا: ما أتاك يا رسول الله قال: «مَا حديثٌ أتاني» قالوا: ما أتاك يا رسول الله، قال: «ألاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتذْهَبُون بِرَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تُدْخِلُوهُ بُيوتَكُمْ؟» قالوا: رضينا يا رسول الله، قال: فرضوا أو كما قال[(2)].

وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان، وفيه من الغريب قوله: أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف، وإنما كانوا في اثني عشر ألفاً، وقوله إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة، وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فالله أعلم. وقال البخاري: ثنا عبد اللّه بن محمّد، ثنا هشام، ثنا معمر عن الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن: فطفق النبيّ ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ قال أنس بن مالك: فحدّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة أدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبيّ ﷺ فقال: «ما حَديثٌ بلغَني عَنكُمْ؟» قال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنّي لأُعطِي رِجَالاً حَدِيثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أتألَّفُهُمْ؛ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيّ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَاللهِ لمَا تَنْقَلِبُونَ بهِ خَيْرٌ مِمّا يَنقَلِبُونَ بِهِ» قالوا: يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم النبيّ ﷺ: «فَسَتجِدُونَ أثرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنّي عَلَى الحَوْضِ» قال أنس: فلم يصبروا[(3)]. تفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عوف عن هشام بن زيد، عن جدّه أنس بن مالك قال: لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبيّ ﷺ عشرة آلاف والطلقاء، فأدبروا فقال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ» قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك، فنزل رسول الله ﷺ فقال: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالوا: فدعاهم فأدخلهم في قبّته فقال: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ

---

(1) سقط في ط.

(2) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ١٣٦، وأحمد في المسند ٣/١٥٧، ١٥٨.

(3) أخرجه البخاري في الخمس باب ١٩، ومسلم في الزكاة حديث ١٣٢.

النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِير وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟» ﷺ [قالوا: بلى] فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ». وفي رواية للبخاري من هذا الوجه قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟» قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟» فقالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» فانهزم المشركون وأصاب يومئذ غنائم[1] كثيرة، فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: «يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي؟» فسكتوا فقال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟» قالوا: بلى؛ فقال: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ». قال هشام: قلت: يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك؟ قال: وأين أغيب عنه؟[2] ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً، من حديث شعبة عن قتادة، عن أنس قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: «إِنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعباً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ»[3]. وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حميد، عن أنس بنحوه وفيه فقالوا: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم والغنائم تقسم فيهم، فخطبهم وذكر نحو ما تقدم. وقال الإمام أحمد: ثنا عفان، ثنا حماد، ثنا ثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم؟ فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فجمعهم في قبّة له حتى فاضت فقال: «فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قالوا: لا إلاّ ابن أختنا، قال: «ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ» ثم قال: «أَقُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟» قالوا: نعم، قال: «أَنْتُمُ الشِّعَارُ وَالنَّاسُ الدِّثَارُ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى دِيَارِكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعباً لَسَلَكْتُ شِعْبَهُمْ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ».

وقد قال[4]: قال حمّاد: أعطى مائة من الإبل فسمّى كل واحد من هؤلاء. تفرّد به

(١) في ط: مغانم.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٨، ومسلم في الزكاة حديث ١٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في الخمس باب ١٩، ومسلم في الزكاة حديث ١٣٣، ١٣٤.

(٤) في ط: وقال.

أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم. وقال الإمام أحمد: حدّثنا ابن أبي عدي عن حميد، عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ أَلَمْ آتِكُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بي، أَلَمْ آتِكُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «أَفَلا تَقُولُونَ: جِئْتَنا خَائِفاً فَأَمَّنَّاك، وطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فنصَرْنَاكَ؟» قالوا: بل لله المن علينا ولرسوله. وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك. وقد روي عن غيره من الصحابة قال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، عن عبد اللّه بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلّفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟» كلّما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنا كَذَا وَكَذَا؛ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصَارِ. وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَشِعباً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأنْصَارِ وَشِعبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ». ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به. وقال يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق، حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؟ فقال: «فِيمَ؟» قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قال: ما أنا إلاّ امرؤ من قومي، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الحَظِيرَةِ فَإِذَا اجْتَمَعُوا فَأَعْلِمْنِي» فخرج سعد يصرخ[(١)] فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة، فجاء رجل من المهاجرين فأذن لهم[(٢)]، فدخلوا وجاء آخرون فردّهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلاّ اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قالوا: بلى، ثم قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ تُجِيبُونَ يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المن لله ولرسوله قال: «وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ

(١) في ط: فصرخ.
(٢)

جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فأمّناك، ومخذولاً فنصرناك» فقالوا: المن لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة[1] من الدنيا، تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا. وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، وهو صحيح. وقد رواه الإمام أحمد عن يحيى بن بكير، عن الفضل بن مرزوق، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لأصحابه: أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو [قد][2] استقامت الأمور قد آثر عليكم، قال: فردّوا عليه رداً عنيفاً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «وكنتم لا تركبون الخيل» وكلّما قال لهم شيئاً قالوا: بلى يا رسول الله، ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدّم. تفرّد به أحمد أيضاً. وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد بنحوه؛ ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة، عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر مختصراً؛ وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق، عن أبيه، عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج، عن جدّه رافع بن خديج: أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلّفة قلوبهم من سبي حنين مائة من الإبل، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة، وأعطى صفوان بن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العبّاس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول: [المتقارب]

أتجعلُ نهبي ونهب العبيـ ... ـدِ[3] بين عيينةَ والأقرعِ

فما كان حصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقانِ مِرداسَ في المجمعِ

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ... ومن تخفضِ اليومَ لا يرفعِ

وقد كنتَ في الحربِ ذا تدرُئٍ ... فلم أُعطَ شيئاً ولم أمنعِ

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة. رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه، وهذا لفظ البيهقي. وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال: [المتقارب]

---

(١) لعاعة: بقية يسيرة.

(٢) سقط في ط.

(٣) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.

كَـانَـتْ نِـهَـابـاً تَـلاَفَـيْـتُـهَـا بِـكَـرِّي عَـلَـى الـمُـهْـرِ فِـي الأَجْـرَعِ[١]
وَإِيـقَـاظِـيَ الـحَـيَّ أَنْ يَـرْقُـدُوا إِذَا هَـجَـعَ الـنَّـاسُ لَـمْ أَهْـجَـعِ
فَـأَصْـبَـحَ نَـهْـبِـي وَنَـهْـبُ الـعَـبِـيـدِ بَـيْـنَ عُـيَـيْـنَـةَ وَالأَقْـرَعِ
وَقَـدْ كُـنْـتُ فِـي الـحَـرْبِ ذَا تُـدْرَىءٍ فَـلَـمْ أُعْـطَ شَـيْـئـاً وَلَـمْ أُمْـنَـعِ
إِلاَّ أَفَـائِـلُ أُعْـطِـيـتُـهَـا عَـدِيـدَ قَـوَائِـمُـهَـا الأَرْبَـعِ[٢]
وَمَـا كَـانَ حِـصْـنٌ وَلاَ حَـابِـسٌ يَـفُـوقَـانِ مِـرْدَاسَ فِـي الـمَـجْـمَـعِ
وَمَـا كُـنْـتُ دُونَ امْـرِىءٍ مِـنْـهُـمَـا وَمَـنْ تَـضَـعِ الـيَـوْمَ لاَ يُـرْفَـعِ

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «أَنْتَ[٣] القَائِلُ أَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ العَبِيدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ؟» فقال أبو بكر ما هكذا قال يا رسول الله، ولكن والله ما كنت بشاعر ولا[٤] ينبغي لك، فقال: «كَيف قَالَ؟» فأنشده أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: «هُمَا سَوَاءٌ مَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِمَا بَدَأْتَ» ثم قال رسول الله ﷺ: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ» فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به، وإنما أراد النبيّ ﷺ العطية، قال: وعبيد فرسُه. وقال البخاري: حدّثنا محمّد بن العلاء، ثنا أسامة عن يزيد بن عبد اللّه، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: كنت عند النبيّ ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أَبْشِرْ» فقال: قد أكثرت علي من أبشر! فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «رَدَّ البُشْرَى فَاقْبَلاَ أَنْتُمَا» [قالا: قبلنا][٥] ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه، ثم قال: «اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا» فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة. هكذا رواه. وقال البخاري: حدّثنا يحيى بن بكير، ثنا مالك عن إسحاق بن عبد اللّه عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدّة جذبته، قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء. وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الإبل وهم: أبو سفيان صخر بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث [بن الحارث] بْنُ[٦] كلدة أخو بني عبد الدار،

---

(١) الأجرع: المكان السهل.
(٢) الأفايل: ج أفيل، وهي الصغار من الإبل.
(٣) في ط: أنب.
(٤) في ط: وما.
(٥) سقط في ط.
(٦) سقط في ط.

وعلقمة بن علاثة، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة، والحارث بن هشام، وجُبَير بن مطعم، ومالك بن عوف النصري، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزّى، وعيينة بن حصن، وصفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، قال ابن إسحاق: وحدّثني محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟! فقال رسول الله ﷺ: «أمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيَدِهِ لَجُعَيْلٌ خيرٌ مِنْ طلاعِ الأرْضِ كُلّهِمْ مِثْلَ عُيَيْنَةَ وَالأقْرَعِ، وَلَكِنْ تَألَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا، وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ» ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطوق ذكره. وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال: ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ حتى ما خلق الله شيئاً أحبّ إليّ منه.

[ذكر][1] قدوم مالك بن عوف النصري على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف فقال: «أخبِرُوهُ إنَّهُ إنْ أتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ إلَيْهِ أهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأعْطَيْتُهُ مائَةً مِنَ الإبِلِ» فلما بلغ ذلك مالكاً انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فأسلم وحسن إسلامه، فردّ عليه أهله وماله، ولما أعطاه مائة [الإبل][2] فقال مالك بن عوف رضي الله عنه: [الكامل]

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمُ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أوْفَى وَأعْطَى لِلْجَزِيلِ إذَا اجْتَدَى[3] ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإذَا الكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ[4] أنْيَابُهَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أشْبَالِهِ ... وَسْطَ الهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ[5]

قال واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وتلك القبائل ثمالة وسَلمة وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

وَقال البخاري: ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا جرير بن حازم، ثنا الحسن، حدّثني عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال: «إنّي أعْطِي قَوْماً أخَافُ هَلَعَهُمْ وَجزَعَهُمْ وَأكِلُ قَوْماً إلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الخَيْرِ وَالغِنَى

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) اجتدى: أي طلب منه الجدوى، وهو العطية.
(٤) عردت: أنفذت أنيابها.
(٥) الهباءة: الغبارة. الخادر. الأسد الداخل في خدره أي عرينه، والخدر هنا غابة الأسد.

مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم، زاد أبو عاصم عن جرير، سمعت الحسن، ثنا عمرو بن تغلب: أن رسول الله ﷺ أتي بمال ـ أو سبي ـ فقسمه بهذا.

وفي رواية للبخاري قال: أتي رسول الله بمال ـ أو بشيء ـ فأعطى رجالاً، وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أمّا بعْدُ»** فذكر مثله سواء. تفرّد به البخاري.

وقد ذكر ابن هشام أن حسّان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخيرهم[1] عن الغنيمة: [البسيط]

[ذَرِ الهُمُومَ فَمَاءُ العَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحّاً إذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ]
وَجْداً بِشَمَّاءَ إذْ شَمَّاءُ[2] بَهْكَنَةٌ ... هَيْفَاءُ لاَ دَنَسٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ
دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا ... نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الوَاصِلِ النَّزِرُ
وَائْتِ الرَّسُولَ وَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنِينَ إذَا مَا عُدِّدَ البَشَرُ
عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ ... قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُوا آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمُ اللّهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمُ ... دِينَ الهُدَى وَعَوَانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْتَرَضُوا ... لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ إِلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا ... إلاَّ السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ القَنَا وَزَرُ[3]
نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ
وَلاَ تَهِرّ جُنَاةُ الحَرْبِ نَادِيَنَا ... وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ
كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا ... أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ ... إذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ[4]
فَمَا وَنِينَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا ... مِنَّا عِثَاراً وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا[5]

ذكر اعتراض بعض الجهلة[6] من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالإنفاق

قال البخاري: ثنا قبيصة، ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما قسم النبيّ ﷺ قسمة حُنَين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله، قال: فأتيت

---

(١) في ط: وتأخرهم.
(٢) في الحلبية: شنباء.
(٣) إلب: أي مجتمعون. والوزر: الملجأ.
(٤) النعف: أسفل الجبل؛ وحزبت: جمعت.
(٥) ونينا: ضعفنا وفترنا؛ وخمنا: جبنا.
(٦) في ط: اعترض بعض أهل الشقاق على الرسول.

رسول الله ﷺ فأخبرته فتغيّر وجهه ثم قال: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». ورواه مسلم من حديث الأعمش به، ثم قال البخاري: ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا جرير عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: لما كان يوم حُنَين آثر النبي ﷺ ناساً أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت لأخبرنّ النبيّ ﷺ، [فأخبرته] فقال: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به. وفي رواية للبخاري فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرنّ رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال: «مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[1]. وقال محمّد بن إسحاق: وحدّثني أبو عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر، عن مقسم [عن][2] أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلّمه التميمي يوم حُنَين؟ قال: نعم جاء رجل من بني تميم يقال له: ذو الخُوَيْصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال له: يا محمّد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ فَكَيْفَ رَأَيْتَ؟» قال: لم أرك عدلت، قال: فغضب النبيّ ﷺ فقال: «وَيْحَكَ إِذَا لَمْ يَكُنِ العَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟» فقال عمر بن الخطاب: [يا رسول الله][3] ألا نقتله؟ فقال: «دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَمِيَّةِ يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي القِدْحِ فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ فِي الفُوقِ[4] فَلاَ يُوجَدُ شَيْءٌ سَبَقَ الفَرْثَ[5] وَالدَّمَ» وقال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل بالجعرانة النبيّ ﷺ منصرفه من حُنَين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمّد اعدل، قال: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فقال عمر بن الخطّاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال: «مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[6] ورواه مسلم عن محمّد بن رمح عن الليث.

وقال أحمد: ثنا أبو عامر، ثنا قرة عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: بينما

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٨، ومسلم في الزكاة حديث ١٤٠.

(٢) سقط في ط.

(٣) سقط في ط.

(٤) الفوق: طرف السهم الذي يباشر الوتر.

(٥) الفرث: ما يوجد في الكرش.

(٦) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ١٤٢.

رسول الله ﷺ يقسم مغانم حُنَين إذ قام إليه رجل فقال: اعدل، فقال: «لَقَدْ شَقِيتُ إِذْ لَمْ أَعْدِلْ» ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم، عن قرّة بن خالد السدوسي به. وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخُوَيْصِرة رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: «وَيلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ، إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ. يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ [ينظر][١] إِلَى رُصَافِهِ[٢] فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَصبِهِ - وَهُوَ قَدْحُهُ - فَلاَ يُوجَدُ فيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت[٣]. ورواه مسلم أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد به نحوه.

[ذكر][٤] مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة [وهو][٥] بالجعرانة [واسمها الشيماء][٦]

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن: «إِنْ قَدِرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ - فَلاَ يَفْلِتَنَّكُمْ» وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزّى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، قال: فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين: تعلمون والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة؟ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ. قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن عُبيد السّعديّ - هو أبو وجزة - قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة، قال: «وَمَا عَلاَمَةُ ذٰلِكَ؟» قالت: عضّة عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتُك[٧]، قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها

(١) سقط في ط.
(٢) الرصاف: مدخل النصل في السهم.
(٣) أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، ومسلم في الزكاة حديث ١٤٨، وأحمد في المسند ٣/٥٦.
(٤) سقط في ط.
(٥) سقط في ط.
(٦) سقط في ط.
(٧) متوركتك: أي حاملتك على وركي.

رداءه فأجلسها عليه وخيّرها وقال: «إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبَّبَةٌ مُكَرَّمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ[1] وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ فَعَلْتُ؟» قالت: بل تمتّعني وتردّني إلى قومي، فمتّعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية، فزوّجت أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة. وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا أختك، أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها: «إِنْ تَكُونِي صَادِقَة فَإِنَّ بِكِ مِنِّي أَثَرٌ لاَ يَبْلَى» قال: فكشفت عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضضتني هذه العضّة، قال: فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال: «سَلِي تُعْطَيْ وَاشْفَعِي تشفعي». وقال البيهقي: أنبأ أبو نصر بن قتادة، أنبأ عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمي، ثنا مسلم، ثنا أبو عاصم، ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان، أخبرني عمّي عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال: كنت غلاماً أحمل عضو البعير، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم نعماً بالجعرانة، قال: فجاءته امرأة فبسط لها رداءه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته[2]. هذا حديث غريب، ولعله يريد أخته، وقد كانت تحضنه مع أمها حليمة السعدية، وإن كان محفوظاً فقد عمّرت حليمة دهراً، فإن من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك، وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه والله أعلم بصحّته. قال أبو داود في المراسيل: ثنا أحمد بن سعيد الهمداني، ثنا ابن وهب، ثنا عمرو بن الحارث، أن عمر بن السائب حدّثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً، فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه، وقد تقدّم أن هوازن بكمالها متوالية برضاعته من بني سعد بن بكر، وهم شرذمة من هوازن، فقال خطيبهم زهير بن صرد: يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامنن علينا منّ الله عليك وقال فيما قال: [البسيط]

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ يَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا دِرَرُ

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً، خصوصاً وعموماً. وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمّد بن شرحبيل عن أبيه قال: كان النّضير بن الحارث بن كلدة من أجمل الناس فكان يقول: الحمد لله الذي منّ

(١) امتعك: أي أعطيك ما يكون به الامتاع، أي الانتفاع.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٢٠.

علينا بالإسلام، ومنّ علينا بمحمّد ﷺ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء، وقتل عليه الإخوة، وبنو العم. ثم ذكر عداوته للنبي ﷺ وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حُنَين وهم على دينهم بعد، قال: ونحن نريد إن كانت دائرة على محمّد أن نغير عليه، فلم يمكنّا ذلك، فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلى ما أنا عليه، إن شعرت إلاّ برسول الله ﷺ فقال: «أنضير؟» قلت: لبيك، قال: «هَلْ لَكَ إلى خيرٍ مِمَّا أَرَدْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِمَّا حَالَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟» قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: «قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا كُنْتَ فِيهِ تُوضَعُ» قلت: قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَباتاً» قال النضير: فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين، وتبصرة بالحق. فقال رسول الله ﷺ: «الحَمْدُ لِلَّه الَّذِي هَدَاهُ».

عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الإمام أحمد: ثنا بهز وعبد الصمد المُعْنى قالا: ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حجّ رسول الله ﷺ؟ قال: حجّة واحدة، واعتمر أربع مرّات. عمرته زمن الحُدَيْبِية وعمرته في ذي القعدة من المدينة، وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة، حيث قسم غنيمة حنين، وعمرته مع حجته[1]. ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من طرق عن همام بن يحيى به. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد: ثنا أبو النضر، ثنا داود - يعني العطار - عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر؛ عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجّته. ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرَّحمٰن العطّار المكي، عن عمرو بن دينار به. وحسنه والترمذي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ثنا حجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده - عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص - قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، كل ذلك في ذي القعدة يلبي حتى يستلم الحجر. غريب من هذا الوجه، وهذه الثلاث عمر اللاتي وقعن في ذي القعدة، ما عدا عمرته مع حجّته فإنها وقعت في ذي الحجّة مع الحجّة، وإن أراد ابتداء الإحرام بهنّ في ذي القعدة، فلعلّه لم يرد عمرة الحديبية لأنه صدّ عنها ولم يفعلها والله أعلم.

قلت: وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة بالكلية، وذلك فيما قال البخاري: ثنا أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به، قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حُنَين فوضعهما في بعض بيوت مكة، قال: فمنّ رسول الله ﷺ على سبي حُنَين فجعلوا يسعون في السكك، فقال

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٥؛ ومسلم في الحج حديث ٢١٧.

عمر: يا عبد اللّه انظر ما هذا؟ قال: منّ رسول الله ﷺ على السبي، قال: اذهب فأرسل الجاريتين. قال نافع: ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبد اللّه، وقد رواه مسلم من حديث أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر به. ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبدة الضبّي، عن حماد بن زيد، عن أيوب عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها، وهذا غريب جداً عن ابن عمر عن مولاه نافع في إنكارهما عمرة الجعرانة، وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير[1] كلّهم. وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح، عن عروة، عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله إن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب وقالت: يغفر الله لأبي عبد الرَّحمٰن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلاّ وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط. وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، ثنا الأعمش عن مجاهد قال: سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ؟ قال: في رجب، فسمعتنا عائشة، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت: يرحم الله أبا عبد الرَّحمٰن ما اعتمر عمرة إلاّ وقد شهدها، وما اعتمر عمرة قط إلاّ في ذي القعدة، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير عن منصور، عن مجاهد به نحوه. ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث زهير عن أبي إسحاق، عن مجاهد، سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال: مرّتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجّة الوداع.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، ثنا مفضل عن منصور، عن مجاهد قال: دخلت مع عروة بن الزبير المسجد، فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة، وأناس يصلّون الضحى، فقال عروة: أبا عبد الرَّحمٰن ما هذه الصلاة؟ قال: بدعة، فقال له عروة: أبا عبد الرَّحمٰن كم اعتمر رسول الله؟ فقال: أربعاً إحداهن في رجب، قال: وسمعنا استنان عائشة في الحجرة، فقال لها عروة: إن أبا عبد الرَّحمٰن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن في رجب؟ فقالت: يرحم الله أبا عبد الرَّحمٰن ما اعتمر النبي ﷺ إلاّ وهو معه، وما اعتمر في رجب قط[2]. وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن الحسن بن موسى، عن شيبان، عن منصور وقال: حسن صحيح غريب. وقال الإمام أحمد: ثنا روح، ثنا ابن جريج، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم، عن عبد العزيز بن عبد اللّه، عن مخرش الكعبي، أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً، فدخل مكة ليلاً يقضي عمرته، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف، حتى جاء مع الطريق ـ طريق المدينة ـ بسرف قال مخرش: فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس. ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد، عن ابن جريج

---

(١) في ط: والسنن.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٢٢٠، وأو داود في المناسك باب ٧٩.

كذلك، وهو من إفراده، والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه، ومن نفاها لا حجّة معه في مقابلة من أثبتها والله أعلم. ثم وهم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف، وقسم غنائم حنين، وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير قائلاً: حدّثنا الحسن بن إسحاق التستري، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمّد بن الحسن الأسدي، ثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير، عن عُمَير مولى عبد اللّه بن عباس، عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة، فقسم بها الغنائم، ثم اعتمر منها، وذلك لليلتين بقيتا من شوال، فإنه غريب جداً، وفي إسناده نظر والله أعلم.

وقال البخاري: **حدثنا** يعقوب بن إبراهيم، ثنا إسماعيل، ثنا ابن جريج، أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه، قال: فبينا رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جبّة متضمّخ بطيب، قال: فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ محمر الوجه، يغط كذلك ساعة، ثم سري عنه فقال: **«أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ العُمْرَةِ آنفاً؟»** فالتمس الرجل فأُتي به، قال: **«أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الجُبَّةُ فَانْزَعْهَا ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ»** ورواه مسلم من حديث ابن جريج، وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به. وقال الإمام أحمد: ثنا أبو أسامة، أنا هشام عن أبيه، عن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كِداء من أعلى مكة، ودخل في العمرة من كدى. وقال أبو داود: **حدثنا** موسى أبو سلمة، ثنا حماد عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة، فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى. تفرّد به أبو داود، ورواه أيضاً، وابن ماجه من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل، عن ابن عبّاس مختصراً.

وقال الإمام أَحمد: ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، حدَّثني الحسن بن مسلم عن طاوس، أن ابن عبّاس أخبره، أن معاوية أخبره، قال: قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال: رأيته يقصر عنه بمشقص عند المروة، وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج به. ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس، عن معاوية به. ورواه أَبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد الرزّاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه به. وقال عبد اللّه ابن الإمام أَحمد: **حدَّثني** عمرو بن محمّد الناقد، ثنا أَبو أَحمد الزبيري، ثنا سفيان عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن ابن عبّاس، عن معاوية قال: قصرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة. والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة، وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها،

بل صدّ عنها كما تقدم بيانه، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم، ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ، بل خرجوا منها، وتغيبوا عنها مدّة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة الأيام، وعمرته التي كانت مع حجّته لم يتحلّل منها بالاتفاق، فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم. وقال محمّد بن إسحاق رحمه الله: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفيء فحبس بمجنّة بناحية مرّ الظهران.

قلت: الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألّف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكّة والمدينة. قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلّف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلّمهم القرآن. وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلّف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة. وقال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكّة رزقه كل يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم، فليست لي حاجة إلى أحد. قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجّة. قال ابن هشام: قدمها لست بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المديني. قال ابن إسحاق: وحجّ الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحجّ عليه، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان. قال: وأقام أهل الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع.

إسلام كعب بن زهير بنْ أبي سلمى [وأبوه][1]
هو صاحب إحد المعلقات السبع الشاعر ابن الشاعر
وذكر قصيدته [التي سمعها رسول الله ﷺ][2] وهي: بانت سعاد

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير، يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهُبَيْرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض. وكان كعب قد قال: [الطويل]

(١) سقط في ط. (٢) سقط في ط.

أَلاَ بَلِّغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً فَوَيْحَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا[١]
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْماً أَباً لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تَلْقَى عَلَيْهِ أَباً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعاً لَكَا
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

قال ابن هشام: وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ بِالْخَيْفِ هَلْ لَكَا
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْساً رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا
وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى وَاتَّبَعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيبَ غَيْرِكَ[٢] دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّاً وَلاَ أَباً عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ وَلاَ قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعاً لَكَا

قال ابن إسحاق: وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع سقاك بها المأمون: «صَدَقَ وَإِنَّهُ لَكَذُوبٌ أَنَا الْمَأْمُونُ» ولما سمع على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه قال: «أَجَلْ لَمْ يُلْفِ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلاَ أُمَّهُ» قال: ثم كتب بجير إلى كعب يقول له: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لاَ الْعُزَّى وَلاَ اللاَّتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لاَ يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

قال: فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه وقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهَينة كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن جئتك

(١) كذا في الأصل وفي ابن هشام والتيمورية: فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا.
(٢) ويب غيرك: هلكت هلاك غيرك.

به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ» فقال: إذاً أنا يا رسول الله كعب بن زهير. قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ جَاءَ تَائِباً نازِعاً» قال: فغضب كعب بن زهير على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلّم فيه رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ: [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا[1] لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ[2]
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً لاَ يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ طُولُ[3]
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ[4]
شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ[5]
تَنْفِي الرِّيَاحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ[6]
فَيَا لَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ بِوَعْدِهَا أَوْ لَوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلاَفٌ وَتَبْدِيلُ[7]
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
وَمَا تَمَسَّكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمَتْ إِلاَّ كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ[8] لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ

---

(١) في ابن هشام إثرها. وبانت: فارقت فراقاً بعيداً. ومتبول: أسقمه الحب وأضناه ولم يفد: لم يخلص من الأسر. ومكبول: مقيد.

(٢) أغنّ: «هنا» الظبي الصغير الذي في صوته غنة. غضيض الطرف: فاتره مكحول: من الكحل، وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال.

(٣) هيفاء: من الهَيَف، وهو ضمور البطن، ودقة الخاصرة، ومقبلة: حال. وعجزاء: صفة كهيفاء، أي كبيرة العجز وهو الردف.

(٤) تجلو: تصقل وتكشف. والعوارض: ج عارض أو عارضة، وهي الأسنان كلها، أو الضواحك خاصة. أو هي من الأنياب. والظلم: ماء الأسنان وبريقها، أو هو رقتها وبياضها.

(٥) ذو شبم: ماء شديد البر، والمحنية: منعطف الوادي. والأبطح: المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى. المشمول: الذي ضربته ريح الشمال حتى برد، وهي أشد تبريداً للماء من غيرها.

(٦) الصوب: المطر؛ وغادية: السحابة تمطر غدوة. يعاليل: الحباب الذي يعلو وجه الماء. وقيل المراد بالبيض اليعاليل: الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر.

(٧) سيط: ويقال شيط: أي خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة في البيت. والولع والولعان: الكذب.

(٨) عرقوب: رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد، فضرب به المثل في الخلف.

أَرْجُو وَآمُلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتُهَا … وَمَا لَهُنَّ إِخَالُ الدَّهْرَ تَعْجِيلُ
فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ … إِنَّ الأَمَانِيَّ وَالأَحْلامَ تَضْلِيلُ
أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لا تُبَلِّغُهَا … إِلاَّ العِتَاقُ النَّجِيبَاتُ المَرَاسِيلُ
وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلاَّ عُذَافِرَةٌ … فِيهَا عَلَى الأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ(١)
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِفْرَى إِذَا عَرِقَتْ … عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ(٢)
تَرْمِي الغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ … إِذَا تَوَقَّدَتِ الحِزَّانُ وَالمِيلُ
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْمٌ مُقَيَّدُهَا … فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ
حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ … وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ
يَمْشِي القُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ … مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ
عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ … مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ(٣)
قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا … عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ
كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا … مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ
تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ … فِي غَادِرٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ
تَهْوِي عَلَى يُسُرَاتٍ وَهْيَ لاهِيَةٌ … ذَوَابِلٌ وَقْعُهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ(٤)
يَوْماً تَظَلُّ بِهِ الحِرْبَاءُ مُصْطَخِداً … كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَخْلُولُ(٥)
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ … وُرْقُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَا قِيلُوا(٦)
أَوْبٌ بِذِي فَاقِدٍ سَمْطَا مُعَوَّلِهِ … قَامَتْ فَجَاءَ بِهَا نُكْرٌ مَثَاكِيلُ
نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا … لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ(٧)
تَفْرِي اللُّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا … مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ(٨)
تَسْعَى الغُوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ … إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

(١) العذافرة: الناقة الصلبة العظيمة. الاين: الإعياء والتعب؛ والارقال والتبغيل ضربان من السير السريع.
(٢) النضاخة: الكثيرة رشح العرق. الذفري: النقرة التي خلف أذن الناقة، وهي أول ما يعرف منها. عرضتها: همتها. طامس الأعلام: الدارس المتغير من العلامات التي تكون في الطريق ليهتدي بها.
(٣) عيرانة: الناقة التي تشبه عير الوحش في السرعة والنشاط والصلابة. والنحض: اللحم.
(٤) تهوي: أي تسرع. يسرات: القوائم الخفاف.
(٥) مصطخداً: محترقاً بحر الشمس. ضاحية: ما برز للشمس منه. مملول: مذاب وتروى مملول، وهو الموضوع في الملة، وهي الرماد الحار.
(٦) قيلوا: أمر من قال يقيل قيلولة، وهي الاسترخاء في وقت شدة الحر.
(٧) رخوة الضبعين: مسترضية العضدين.
(٨) الرعابيل: ج رعبول، قطع متفرقة وممزقة.

وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمَلُهُ … لاَ أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَكُمُ … فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ … يَوْماً عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ(١)
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي … وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ … ـقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ … أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ … أَرَى وَأَسْمَعُ مَا قَدْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يُرْعَدُ مِنْ وَجْدٍ مَوَارِدَهُ … مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أُنَازِعُهَا … فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَوْلُهُ الْقِيلُ
فَلَهُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ … وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مُخْدَرَةٍ … فِي بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ(٢)
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا … لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ(٣)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْناً لاَ يَحِلُّ لَهُ … أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَغْلُولُ
مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْوَحْشِ نَافِرَةً … وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ(٤)
وَلاَ يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ … مُضَرَّجُ الْبَزِّ وَالدُّرْسَانِ مَأْكُولُ(٥)
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ … مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ … بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا(٦)
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ … عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ(٧)
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ … ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ
شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ … مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

(١) آله حدباء: النعش الذي يحمل عليه الميت.
(٢) ضراء الأرض: الأرض التي فيها شجر، وعثر: اسم وكان مشهور بكثرة السباع الفيل: الشجر الكثيف المكثف.
(٣) المعفور: الملقي في التراب، والخراديل: قطع صغار.
(٤) الأراجيل: الجماعات من الرجال. وفي ابن هشام: منه تظل سباع الجو ناضرة.
(٥) البز السلاح، والدرسان (بضم الدال) اختلاف الثياب.
(٦) زولوا: فعل أمر من زال: يريد تحولهم من مكة إلى المدينة.
(٧) الأنكاس: جمع نكس وهو الجبان والرجل الضعيف. والكشف: جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه. المعازيل: الذي لا سلاح معه.

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حِلَقٌ كَأَنَّهَا حُلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ(١)
لَيْسُوا مَعَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْماً وَلَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا
لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمْ وَلاَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

قال ابن هشام: هكذا أورد محمّد بن إسحاق هذه القصيدة، ولم يذكر لها إسناداً، وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوّة بإسناد متصل، فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو القاسم عبد الرَّحمٰن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمذان(٢)، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرَّحمٰن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، عن أبيه، عن جدّه قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف(٣) فقال بجير لكعب: اثبت في هذا المكان حتى آتي هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأسمع ما يقول، فثبت كعب وخرج بجير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال: [الطويل]

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْراً رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّاً وَلاَ أَباً عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخاً لَكَا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه وقال: «مَنْ لَقِيَ كَعْباً فَلْيَقْتُلْهُ» فكتب بذلك بجيراً إلى أخيه، يذكر(٤) له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاء، وما أراك تنفلت، ثم كتب إليه بعد ذلك اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم واقبل، قال: فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متحلّقون معه، حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرّة فيحدّثهم، وإلى هؤلاء مرّة فيحدثهم؛ قال كعب: فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت وقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمّد رسول الله الأمان يا رسول الله، قال: «وَمَنْ أَنْتَ؟» قال: كعب بن زهير، قال: «الَّذِي يَقُولُ» ثم التفت رسول الله ﷺ فقال: «كَيْفَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» فأنشده أبو بكر: [الطويل]

سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

قال: يا رسول الله ما قلت هكذا، قال: «فَكَيْفَ قُلْتَ؟» قال: قلت: [الطويل]

---

(١) القفعاء: ضرب من الحسك تشبه به حلق الدار.
(٢) في ط: بهذان.
(٣) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة. وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصر.
(٤) في ط: وذكر.

سَقَاكَ بِهَا الـمَأْمُونُ كَأْساً رَوِيَّةً وَأَنْهَلَكَ الـمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فقال رسول الله ﷺ: مأمون والله، ثم أنشده القصيدة كلّها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة: [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله عزّ وجلّ وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله: [البسيط]

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا. وقد ذكر ذلك كله[1] موسى بن عقبة في مغازيه ولله الحمد والمنة.

قلت: ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه بردته حين أنشده القصيدة، وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة قال وهي البردة التي عند الخلفاء.

قلت: وهذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم. وقد روي أن رسول الله ﷺ قال له لما قال بانت سعاد: «وَمَنْ سُعَادُ؟» قال: زَوْجَتي يا رسول الله، قال: «لَمْ تَبِنْ» ولكن لم يصح ذلك، وكأنه على ذلك توهّم أن بإسلامه تبين امرأته، والظاهر أنه إنما أراد البيونة الحسيّة لا الحكمية والله تعالى أعلم. قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب - يعني في قصيدته - إذا عرد السود التنابيل وإنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به وخصّ المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليُمن: [الكامل]

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فَلا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ[2] مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ
وَرِثُوا المَكَارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ إنَّ الخِيَارَ هُمُو بَنُو الأَخْيَارِ
المُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ كَسَوَالِفِ الهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ[3]
وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كَالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الأَبْصَارِ
وَالبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ

---

(١) في ط: قبله.
(٢) المنقب: الجماعة من الخيل.
(٣) السمهري: الرمح. وسوالف الهندي: يريد حواشي السيوف.

[وَالقَائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالمَشْرَفِيِّ وَبِالقَنَا الخَطَّارِ][(١)]
يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكاً لَهُمْ بِدِمَاءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ
دَرِبُوا كَمَا دَرِبَتْ بُطُونُ خَفِيَّةٍ غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودِ ضَوَارِي
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمُ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاقِلِ الأَغْفَارِ[(٢)]
ضَرَبُوا عَلِيّاً يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دَانَتْ لِوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ
لَوْ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ عِلْمِيَ كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي[(٣)]
قَوْمٌ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي[(٤)]

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد: «**لَوْلاَ ذَكَرْتَ الأَنْصَارَ بخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لِذلِكَ أَهْلٌ**» فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له، قال: وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدَّثني معن بن عيسى، حدَّثني محمّد بن عبد الرَّحمٰن الأفطس عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل. وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بعدما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال: وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبقته هو وأخوه بجير، وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله: [البسيط]

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لأَعْجَبَنِي سَعْيُ الفَتَى وَهْوَ مَخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ
يَسْعَى الفَتَى لأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا فَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالهَمُّ مُنْتَشِرُ
وَالمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لاَ تَنْتَهِي العَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَثَرُ

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها، ولم يؤرّخ وفاته، وكذا لم يؤرّخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب الغابة في معرفة الصحابة، ولكن حكي أن أباه توفي قبل المبعث بسنة، فالله أعلم. وقال السهيلي: ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ: [البسيط]

تَجْرِي بِهِ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِراً بِالبُرْدِ كَالبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
فَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

---

(١) المشرفي: السيوف. والخطار: المهتز.
(٢) الأغفار: ج غفر. وهو ولد الوعل.
(٣) أماري: أجادل.
(٤) خوت النجوم: أي سقطت ولم تمطر في نوئها. المقاري: ج مقراة. وهي الجفنة التي يصنع فيها الطعام للأضياف.

الحوادث المشهورة
في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة، وفي رمضان غزوة فتح مكة، وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين، وبعده كان حصار الطائف، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة. قال الواقدي: رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالٍ بقين من ذي الحجة في سفرته هذه. قال الواقدي: وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجَلَندي من الأزد، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب، قال: وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضّحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة، فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها، وقيل بل خيّرها، فاختارت الدنيا ففارقها. قال: وفي ذي الحجّة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً. وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ. فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته، فذهب فبشّر به رسول الله ﷺ، فأعطاه مملوكاً ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول، وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع، وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العُزّى تعبد فيه بنخلة، بين مكة والطائف، وذلك لخمس بقين من رمضان منها. قال الواقدي: وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبده هذيل برهاط، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولم يجد في خزانته شيئاً، وفيها هدم مناة بالمشلل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظّمونه، هدمها سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه، وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النجم ١٩ـ ٢٠].

قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصّة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمّونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكّة، ويسمون التي بمكة الكعبة الشاميةولتلك ـ الكعبة اليمانية فقال البخاري: ثنا يوسف بن موسى، ثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«ألاَ تُريحُني مِنْ ذِي الخلصَةِ؟»** فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: **«اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً»** قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية. قال: فأتاها فحرّقها في النار وكسرها[1]، قال: فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام،

(١) في ط: وكسرنها.

فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلاّ الله، أو لأضربنّ عنقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أرطأة إلى النبيّ ﷺ يبشّره بذلك، قال: فلما أتى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرّات[١]. ورواه مسلم من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه.

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ٦٢، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٣٧.

فهرس محتويات
الجزء الرابع من البداية والنهاية

الفهرس

سنة ثلاث من الهجرة

غزوة الفرع من بُحران ٤
خبر يهود بني قَيْنُقاع من أهل المدينة ٤
سرية زيد بن حارثة ٥
مقتل كعب بن الأشرف اليهودي ٦
غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث ١١
مقتل حمزة رضي الله عنه ١٩
فصل فيما لقي النبيّ ﷺ يومئذ من المشركين قبّحهم الله ٣١
[ذكر] دعاء النبي ﷺ [يوم الوقعة] يوم أُحُد ٤٢
[ذكر] الصلاة على حمزة وقتلى أُحُد ٤٣
فصل: في عدد الشهداء ٤٨
[ذكر] خروج النبي ﷺ بأصحابه على ما بهم من القرح والجراح في أثر أَبي سفيان إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال [من المدينة] ٥٢
فصل فيما تقاول به المؤمنون والكفار في وقعة أُحُد من الأشعار ٥٦
آخر الكلام على وقعة أُحُد ٦٧

سنة أربع من الهجرة النبوية

غزوة الرجيع ٦٩
سريّة عمرو بن أميّة الضمري ٧٦
سرية بئر معونة ٧٨
غزوة بني النضير وفيها سورة الحشر ٨٢
قصة عمرو بن سُعدَى القرظي ٨٨
غزوة بني لَحْيان التي صلّى فيها صلاة الخوف [بعسفان] ٨٩
غزوة ذات الرّقاع ٩١
قصة غَوْرث بن الحارث ٩٢

قصة الذي أصيبت امرأته [في هذه الغزوة] ٩٣
قصة جمل جابر في هذه الغزوة ٩٤
غزوة بدر الأخيرة ٩٥
فصل في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة ٩٨

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها ١٠٠
غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب ١٠١
فصل في دعائه عليه السلام على الأحزاب [وكيف صرفهم الله بحوله وقوّته استحباباً لرسوله ﷺ وصيانة لحوزته الشريفة فزلزل قلوبهم ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم] ١٢٠
فصل في غزوة بني قريظة ١٢٥
وفاة سعد بن مُعَاذ رضي الله عنه ١٣٦
فصل فيما قيل [من] الأشعار في الخندق وبني قُرَيْظة ١٤٠
مقتل أبي رافع اليهودي [عبد الله ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله وكان في قصر له في أرض خَيْبر ـ وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز] ١٤٨
مقتل خالد بن سفيان الهذلي ١٥٢
قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق وإسلامه [على يديه] ١٥٣
فصل في تزويج النبيّ ﷺ بأم حبيبة [رملة] بنت أبي سفيان ١٥٥
تزويجه عليه [الصلاة و] السلام بزينب بنت جحش ١٥٧
[ذكر] نزول الحجاب صبيحة [عرس] زينب رضي الله عنها التي ولى الله عقد نكاحها ١٥٩

سنة ست من الهجرة النبوية

غزوة ذي قَرَد ١٦٢
غزوة بني المصطلق من خزاعة ١٦٩
حديث الإفك ١٧٣
غزوة الحُدَيْبِية ١٧٨
[ذكر] سياق البخاري لعمرة الحُدَيْبِية ١٨٨
فصل في [ذكر] السرايا [والبعوث] التي كانت في سنة ست من الهجرة ١٩٤
فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة ١٩٧

سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيبر في أولها ١٩٨

ذكر قصة صفية بنت حيي [بن أخطب] النضرية رضي الله عنها ٢١٣
فصل [في] فتح حصونها [وقسمة] أرضها ٢١٥
ذكر قدوم جعفر بن أَبي طالب رضي الله عنه ومن كان بقي [بالحبشة] ممن هاجر إليها من المسلمين ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم [بخَيْبر] ٢٢٣
ذكر قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر ٢٢٦
فصل من استشهد بخيبر من الصحابة ٢٣٢
خبر الحجّاج بن علاط البهزي رضي الله عنه ٢٣٣
فصل مروره ﷺ بوادي القُرى ومحاصرة اليهود ومصالحتهم ٢٣٦
سرية أبي بكر الصدِّيق إلى بني فزارة ٢٣٩
سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبة وراء مكة بأربعة أميال ٢٣٩
سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي ٢٣٩
سرية أخرى مع بشير بن سعد ٢٤٠
سرية أبي حدرد إلى الغابة ٢٤٢
السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط ٢٤٣
سرية عبد الله بن حذافة السهمي ٢٤٥
عمرة القضاء ٢٤٦
قصة تزويجه عليه السلام بميمونة ٢٥٢
ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته ٢٥٣

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل [في] إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة بن أَبي طلحة رضي الله عنهم وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان ٢٥٥
طريق إسلام خالد بن الوليد ٢٥٨
سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن ٢٥٩
سرية كعب بن عمير إلى بني قضاعة ٢٦٠
غزوة مؤتة ٢٦٠
فصل في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم ٢٧٤
[فصل في ذكر] من استشهد يوم مؤتة [من المسلمين] ٢٧٩
حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية ٢٧٩
[فصل] فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة ٢٨٠

كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم [يدعوهم إلى الله عزّ وجل وإلى الدخول في دين الإسلام] ٢٨٣
[ذكر] إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام ٢٨٩
[ذكر] بعثه إلى كسرى ملك الفرس ٢٩٠
بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي ٢٩٣
غزوة ذات السلاسل ٢٩٤
سرية أَبي عبيدة إلى سيف البحر ٢٩٧
غزوة الفتح وقد كانت في رمضان سنة ثمان ٢٩٩
قصة حاطب بن أَبي بلتعة ٣٠٥
فصل في إسلام العبّاس بن عبد المُطّلب عم النبيّ ﷺ وأَبي سفيان بن الحارث بن عبد المُطّلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد اللّه بن أَبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة ٢٠٩
صفة دخوله عليه السلام مكّة ٣١٥
بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جُذَيمة من كنانة ٣٣٧
بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العزّى ٣٤٠
فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكّة ٣٤١
فصل فيما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام ٣٤٢
غزوة هوازن يوم حنين ٣٤٧
[فصل] في [كيفية] الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتّقين ٣٥١
[سرية] أوطاس ٣٦٣
[فصل] من استشهد يوم حنين و[بسرية] أوطاس ٣٦٦
[فصل] فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن ٣٦٦
غزوة الطائف ٣٧٢
[فصل] [في] مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن التي أصابها يوم حنين قبل دخوله مكة معتمراً [من الجعرانة] ٣٨٠
[ذكر] قدوم مالك بن عوف النصري على رسول الله ﷺ ٣٨٩
ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالإنفاق ٣٩٠

[ذكر] مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة [وهو] بالجعرانة [واسمها الشيماء] ٣٩٢
عمرة الجعرانة في ذي القعدة ٣٩٤
إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى [وأبوه] هو صاحب إحدى المعلقات السبع الشاعر ابن الشاعر وذكر قصيدته [التي سمعها رسول الله ﷺ] وهي: بانت سعاد ٣٩٧
الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات ٤٠٥


